مجلة المجمع العلمي العربي

دمشق

كانون الثاني سنة ١٩٦٠ م

رجب سنة ١٣٧٩ هـ

مجلة
المجمع العلمي العربي
دمشق

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي { في جميع البلاد العربية ١٠٠٠ قرش سوري
وفي سائر الأقطار ١٢٠٠ قرش سوري }

تدفع مقدماً

مد

الإبدال اللغويّ

أو

الاشتقاق الكبير

إن الإبْدال والقلبَ اللغويَّين هما ظاهرتان لغويتان من ظواهر التطور الصوتي ، وبحثٌ من أبحاث علم الأصوات اللغويَّة : Phonétique [1] الذي ألّف فيه علماء الغرب كتباً جليلةً ، وأنشئوا له معاهد ومخابر علميَّة خاصة ؛ ولم يقصّر من سلفنا الصالح للحياة فقهاء اللغة العربية ، فقد عرفوا كثيراً من أصوله وأسراره ، وفيما اشتملت عليه حوايا كتب اللغة والاشتقاق والصرف والتجويد كثير من مبادئ علم الأصوات اللغوية منثورةً ومنشورة فيها ، ومن تلك المبادئ والأسرار اللغوية بحث (الإبدال اللغويّ) الذي سموه : الاشتقاق الكبير ، كما سموا بحث الصرف بالاشتقاق الصغير ، والقلب اللغويّ بالاشتقاق الأكبر ، وكان العكس من الإنصاف وصدق التعبير : بأن يُنعت الإبدالُ اللغويّ لخطورته بالاشتقاق الأكبر ، والقلب اللغويّ بالكبير .

كتب الإبدال ومؤلّفوها . — وجمع علماء العربية مثل الخليل بن أحمد وأبي عمرو بن العلاء ومن أخذ عنهما كثيراً من ألفاظ لغتنا التي جاؤا بها من البدْو وتسقَّطوها من أفواه الأعراب وصنفوها في رسائل خاصَّة ، وبينها كثير من ألفاظ الإبدال ؛ والخليل أول من اعتمد على ما جُمع من ألفاظ اللغة ، وصنف

(١) ويقال له أيضاً Phonologie .

في العربية كتاب العين المشهور ، فكان قدوة لمن تبعه من أصحاب المعاجم وكتب اللغة والنوادر والقلب والإبدال ، ومن كتب الإبدال المعروفة : إبدال أبي سعيد عبد الملك بن قُريب الأصمعيّ ، وأبي يوسف يعقوب بن السكيت الذي أخذ عنه أبو عمر الزاهد صاحب اليواقيت والمعروف بغلام ثعلب ، وعن أبي عمر هذا أخذ أبو الطيب اللغويّ عبد الواحد بن علي الحلبيّ صاحب الإبدال الذي ينشره اليوم مجمعنا العلمي العربيّ ، فقد جمع في إبداله ألفاظ من سبقه في جمع ألفاظ الإبدال ، وزاد عليهم كثيراً من النظائر المتعاقبة ؛ ومن كتب النوادر التي اشتملت على هذه النظائر : نوادر الأصمعيّ وأبي زيد الأنصاريّ وابن الأعرابيّ وأبي عمرو الشيبانيّ وأبي مِسْحل عبد الوهاب بن حريش [(١)] وغيرها من نوادر اللغة ، وينقل لنا أبو الطيب اللغويّ في إبداله كثيراً من ألفاظ الإبدال عن اللحيانيّ وأبي عبيدة ، والجرميّ وقطرب ، والفرّاء واليزيديّ ، وأبي مالك عمرو بن كركرة ، وكراع والأمويّ وغيره ، وفي حواشيه كثير من هذه الألفاظ بخط شيخ صاحب اللسان الراوية الحافظ رضيّ الدين الشاطبي ، وبعض هذه الألفاظ من حواشي الإمام ابن برّي ؛

وهنالك أقوال في الإبدال ، وأبواب معقودة للنوادر في آخر كتاب الجمهرة لابن دُريد ، وفي الغريب المصنف لأبي عُبيد ، وفي أمالي القالي أبواب لأنواع من الإبدال اللغوي ، وفي شرح شواهد الشافية للبغدادي كثير من ضروبه ، كما أنه في الجزء الأول من الخصائص ، وفي ابن جني على تصريف المازني كلام مفيد في الإعلال والقلب والإبدال ، وفي الجزء الأول من المزهر للسيوطيّ أقوال منتقاة من الجمهرة ، وشرح الفصيح للبطليوسي ، ومن أمالي ثعلب وديوان الأدب للفارابي وصحاح الجوهري وشرح التسهيل لأبي حيان .

(١) وقد ظفر الدكتور عزة حسن امين المخطوطات الظاهرية بنسخة جليلة نادرة منه في الآستانة وسينشرها مجمعنا العلمي قريباً .

وممن بحث وألّف من المتأخرين والمعاصرين احمد بن فارس عصره صاحب سر الليال في القلب والإبدال ، وللأستاذ عبد الله أمين في كتابه الاشتقاق أبحاث لغوية ممتعة في الابدال ومسوّغاته [1] ، ولشيخنا الطاهر الجزائري في كتابه التقريب لأصول التعريب مباحث عن الإبدال واللثغات ، وقد تكون هذه اللثغات من أسباب الإبدال ، أو تشويه الأصوات اللغويـة ، فقد جاء في بغية الوعاة للسيوطي (٩٧) أن الركن محمد بن محمد التونسي المعروف بابن القوَبع النحويّ كان يلثغ بالراء همزة ، ونعلم أن واصل بن عطاء كان يلثغ بالراء أيضاً وانه كان يتجنبها لبلاغته في خطبه ، وكان عبيد الله بن محمد النحوي الموصلي يلثغ بالراء غيناً كأهل باريس ، فقال له الفارسيُّ : — ضعْ ذبابة القلم تحت لسانك لتدفعه بها ، وأكثِرْ مع ذلك ترديد اللفظ بالراء ، ففعل فاستقام له اخراج الراء في مخرجها ، فهو بذلك يشبه دموستين خطيب اليونان الشهير الذي كان يروض لسانه بوضع حصاة تحته ويخطب أمواج البحـر حتى قوّم ما اعوجّ من لسانه وأصبح يسحر السامعين بحسن بيانه .

وقال أحمد فارس في سر الليال (٧٢) : ومن الغريب أني وجدت الغين منقلبة عن الراء في عدة ألفاظ ، وهي عكس لثغة باريس : فإنهم يقلبون الراء غيناً !

ان التطوّر الصوتي قد يجري مترقياً أو متدنياً [2] ، وهذه اللثغات بأنواعها من أسباب تشويه الأصوات العربية السّويّـة وتدنّيها ، فقد يكون جدّ القبيلة ألثغ

(١) ولعميد كلية الشريعة بدمشق صديقنا الاستاذ محمد المبارك كتاب ينشره اليوم في فقه اللغة بحث فيه عن الابدال اللغوي بحثاً صحيحـاً ، ويوافقنا على انه أعم وانفع من القلب واحق منه باسم الاشتقاق الاكبر .

(٢) سنتكلم عن أحوال التبدّل الصوتي في العربيّة ببحث مستقل مفصّل ونكتفي الآن بالإشارة اليه .

فيسمعه أولاده صغاراً فيكتسبون هذه اللثغة من أبيهم ، وقد يتكاثر أولاده وأحفاده ، ويصبحون كجدهم الشيخ شيوخاً أولي قوةٍ وعَصبية قبليَّة متناصرة ، والرعية على دين رُعاتها أبداً ، وبذلك تنتشر هذه اللثغة أو العاهة التي فطروا عليها ، وبذلك قد تتشوّه لغة القبيلة ، ويكون هذا التطور الصوتي البطيء من بواعث التدنّي الصّوتي ، ولأمرٍ ما كان الباريسيون يلثغون بالراء غيناً دون غيرهم من الفرنسيين ، وعرفت لغتهم باللثغة الباريسية . وقد شعر أطباء اللغة منّا بهذا المرض اللغويّ (اللثَغ) فحاربوه بقوةٍ وعالجوه بما وضعوه من الكتب أو الرسائل في أصول النطق العربي القويم ، وقد اشتمل عليها علم التجويد : أي تجويد القرآن ، وتحسين النّطق به كما ينطق فصحاء العرب .

واللثَغ : آفة لسانية يتحوّل بها اللسان من السين أو الصاد الى الثاء ، أو من الراء الى الغين أو اللام أو الياء ، أو من حرف الى حرف ، وقيل ان لا يتم رفع اللسان في الكلام وفيه ثقل ، والرثغ لغة فيه ، ويقال لهذه التحولات اللثغات منها (الرُّتّة) ، والأرتّ الذي يجعل اللام ياءً ولا تكاد كلمته تخرج من فيه ، و (اللكنة) عُجمة في اللسان المطبوع عليها فتظهر في كلام الألكن فيقال فلان يرتضخ لكنة فارسية أو تركية فلا يقوى على إقامة العربية ، ومنها (اللَّيَغ) والأليغ الذي لا يبيّن حروف الكلام ويرجع كلامه الى الياء ، ومنها (الخنّة) وهي ضرب من (الغنة) كأن الكلام يرجع الى الخياشيم ، و (التمتمة) كلام الذي تغلب على كلامه التاء والميم ، ومنها الحُكلة والعُقدة والحُبسة وغيرها من عيوب الكلام .

ومن هذه الكتب التي وضعت لتقويم اللسان بإخراج الحروف من مخارجها ومقاومة اللثغات ومحاولة إصلاحها : كتاب الارتضاء في الضاد والظاء لأبي حيان الأندلسي ، والمراد في كيفية النطق بالضاد : لعيسى بن عبد العزيز اللخميّ ،

ولكل من أحمد بن ابرهيم اللؤلؤي ، ومرجي بن كوثر المقري النحوي كتاب في الضاد والظاء ، ولابن برهان سعيد بن المبارك كتاب الضاد والظاء ، وكتاب الغين والراء ، ولأبي البركات بن الأنباري كتاب زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء ، وهنالك كتب أخرى لا مجال لسرد أسمائها ، وذكرنا هذه الكتب على سبيل المثال ، وإن بعض هذه العيوب اللسانية قد ينتقل بالوراثة من الآباء للأبناء كالتأتأة والفأفأة وهنالك أسرٌ في الشام يتوارث التأتأة أبناؤها التَّمتامون ؛ وقد كثر السنديون في العصر العباسيّ بالبصرة للعمل فيها فانتشرت لكنتهم ورطاناتهم بين العرب : قال العباسيّ في شواهد التلخيص (١/٣١) : كان أبو عطاء السندي يرتضخ لكنة سندية فيجعل الجيم زاياً ، والشين سيناً ، والطاء والضاد دالاً ، والعين همزةً ، والحاء هاءً فيقول : مرهبا ، هيا كم الله ! ، ولا يزال أهل دير القمر في جنوبيّ لبنان يقولون : دَوّ القمر بدل ضوء القمر ، ولا يدري أحد كيف فسدت ضادهم ، ولا الزمن الذي تمّ فيه هذا الفساد ، وقيل هي لغة ثقيف وهذيل ، وما يدريك أنهم ثقفيون .

واللثغة إذا تفشَّت في قوم وانتقلت من جيل الى جيل ورسخت فيهم أصبحت لهجة أو لغية ، وقد تلتبس على علماء اللغة فلا يدرون ألثغة هي أم لغة ؟ فقد جاء في المزهر (١/٥٠٦) في باب (معرفة ما ورد بوجهين بحيث اذا قرأه الألثغ لا يعاب) قال السيوطيّ : والأصل في هذا النوع ما ذكره الثعالبيّ في فقه اللغة قال : أنا أستطرف قول الليث عن الخليل : الذعاق كالزعاق سمعنا ذلك من بعضهم وما ندري ألغة أو لثغة ؟ وجاء في الصحاح : اللهس لغة في اللحس أو هَنَةٌ (لثغة) ، أقول : فان كانت لثغة أو لكنة فلعلها سندية الأصل ، وقد مرّ بنا أن أبا عطاء السندي كان يقلب الحاء هاء ويقول : مرَهبا !

وقد ينشأ القول بالإبدال كاللَّثغ عن التصحيف واللكنة ، وربما لا يكون إبدالاً ، فقد جاء في القاموس : الشَّفَلَّع كالشَّعَلَّع زنةً ومعنى ، ثم قال المجد : أو

هذه تصحيف ، والصواب التَّعَلُّعُ ، وكثيراً ما يقول علماء اللغة مثل هذا ، وقال محمد بن المكرّم في لسانه (دشش) : الدشّ اتخاذ الدشيشة ، وهي لغة في الجشيشة ، قال الأزهري : ليست بلغة ولكنها لكنة ، فلو أن صاحب التهذيب ألّف في الإبدال لأدخل (الدشيشة والجشيشة) في باب (الجيم والدال) من إبداله ، ولولا الأخذ بالحديث لتحقيق اللغة لما رجع الأزهري عن قوله في الدشيشة (ولكنها لكنة) ، فقد استشهد بعد ذلك على أنها لغة بقوله : وروي عن أبي الوليد بن طَخْفَةَ الغفاري أن النبيّ (ﷺ) قال لخمسة من أصحاب الصفة دعاهم الى منزله : « انطلقوا ، قال : فانطلقنا الى بيت عائشة ، فقال : يا عائشة أطعمينا ، فجاءت بدشيشة فأكلنا ... » ثم قال الأزهري : فدل هذا الحديث ان الدشيشة لغة في الجشيشة انتهى ؛ وكثيراً ما لا يتفق لعلماء اللغة الاطلاع على حديث صحيح يصحح آراءهم في نظائر الإبدال .

الإبدال ونوعاه . — إن الإبدال اللغويّ نوعان : الأول (الإبدال النحويّ أو الصرفيّ) وهو الذي يحدث مع حروف البدل الاثني عشر التي يجمعها قولك : (طال يوم أنجدته) فالطاء تبدل من التاء في افتعل اذا كانت بعد الضاد نحو (اضْطَهَد) أصلها (اضتهد) وزان افتعل ، ونحو (اصطبر) ، وبعد الظاء أيضاً في افتعل نحو (اظطلم) من الظلم ، وهكذا سائر حروف البدل الشامل كما لا يخفى .

قال أبو علي القالي في أماليه : (٢ / ١٨٦) : اللغويون يذهبون الى ان جميع ما أمليناه إبدال – أي كدّ ومتّ وقدّ وقطّ ، وقضمَ وكدم – وليس هو كذلك عند علماء أهل النحو ، وانما حروف الإبدال عندهم اثنا عشر حرفاً[1] :

(١) وابن سيده في مخصصه (١٣ / ٢٦٧) يجعلها ثلاثة عشر : ثمانية من حروف الزيادة التي يجمعها قولك (اليوم تنساه) تسقط السين واللام من الحروف العشرة ، وخمسة من غيرهن ...

تسعة من حروف الزوائد ، وثلاثة من غيرها ، وأما حروف البدل فيجمعها قولنا : (طال يوم أنجدته) ، وهذا أنا عملته .

تعريف الإبدال اللغوي[1] . — والنوع الثاني ، وهو موضوع بحثنا اللغوي ، ويُراد به « إقامة حرف مقامَ حرف مع إبقاء سائر أحرف الكلمة » فتشترك الكلمتان بحرفين أو أكثر ، ويبدل حرف منهما بحرف آخر يقاربه مخرجاً أو صفةً نحو (قضب وقضم ، وقطع وقطم ، وقصب وقصف) مثلاً ، فقد اشترك الزوج الأول (قضب وقضم) بحرفين منهما وهما القاف والضاد ، واختلفا بالباء والميم ، وقد ابدل أحدهما من الآخر ، وهما من مخرج واحد ، أي حرفان شفويّان .

ثمّ إنّ حرف الابدال الثالث في الكلمات الثلاثية قد يكون فاء الفعل أو عينه أو لامه فمثاله وهو فاء الفعل (خبن وغبن) ، وعين الفعل (رمم ورشم) ، ولام الفعل (قضب وقضم) .

وقد تكون الكلمتان رباعيتين (كَتَوْأَج ودَوْأَج) ، والبدل في الحرف الأول منهما ، والأحرف الثلاثة الأخرى باقية على حالها ؛ أو خماسيتين والبدل في الحرف الثاني مثلاً نحو (جِرسام وجِلسام) الذي تسميه العامة البِرسام ، ومثال الفعلين السداسيين : (اعرنكس الليل واعلنكس) اذا أظلم ، ومثال الاسمين السداسيين : جُرُبّان السيف وجلبّانه : قرابه ؛

وقد يكون هذا الإبدال أو التعاقب بين الحروف المتقاربة في المخارج والصفات أو في احدهما ناشئاً عن تطوّر صوتي في مراحل متوالية وأزمنة متعاقبة لأسباب لا يُبتّ في معرفتها ، وقد يكون التبادل الحرفيّ غيرَ متعمَّد ، وسببه اختلاف القبائل المتكلمة بها ، قال أبو الطيب اللغويّ في مقدمة كتابه الإبدال المشار اليه : ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمّد تعويض حرف من حرف ، وانما

(١) المزهر (مط عيسى البابي الحلبي) ١ / ٤٦٠ .

هي لغات مختلفة لمعان متفقة : تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنىً واحد ، حتى لا يختلفا إلاّ في حرف واحد ؛ قال : والدليل على ذلك أن قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طوراً مهموزة وطوراً غير مهموزة ، ولا بالصاد مرةً وبالسين أخرى ، وكذلك إبدال لام التعريف ميماً ، والهمزة المصدَّرة عيناً كقولهم في نحو أنْ (عَنْ) ، لا تشترك العرب في شيء من ذلك ، إنما يقول هذا قوم وذاك آخرون ؛

ولم يقتصر الإبدال على الشعر والنثر من كلام العرب فقد جاء في القرآن المبين والحديث أيضاً ، مما يدل على تمكنه من اللغة العربية ووقوعه في جميع طبقات البيان ، قال احمد بن فارس في فقه اللغة : من سنن العرب ابدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض : مدحَه ومدهَه ، وفرس رِفلّ ورفنّ ، وهو كثير مشهور قد ألف فيه العلماء ، فأما قوله تعالى : «فانفلق فكان كل فِرْقٍ كالطود» فاللام والراء متعاقبتان ، كما تقول العرب : فَلَق الصبح وفَرَقَه ؛ وذُكر عن الخليل ولم أسمعه سماعاً أنه قال في قوله تعالى : «فجاسوا خلال الديار» إنما أراد : فحاسوا ، فقامت الجيم مقام الحاء .

ومن فوائد الإبدال : أن معرفته قد تدفع الاتهام بالتصحيف ، وقد وقع ذلك لكثير من أئمة اللغة ، وبفضل اطلاعهم على أسرار الإبدال أحسنوا الدفاع عن أنفسهم ، فقد جاء في اللسان (عدف) [1] : قال أبو حسان سمعت أبا عمرو الشيباني يقول : ما ذقت عدوفاً ولا عَدوفة ، قال : وكنت عند يزيد بن مزيد الشيباني فأنشدته بيت قيس بن زهير :

ومجنَّباتٍ ما يَذقنَ عَدوفةً يقذِفنَ بالمُهَرات والأمهارِ

بالدال ، فقال لي يزيد : صحّفتَ يا أبا عمرو ، إنما هي عذوفة بالذال ،

(١) وانظر ابدال ابن السكيت ص ٥٤ ، قال صاحب اللسان : وهذا البيت في التهذيب منسوب الى قيس بن زهير كما أورده ، وقد استشهد به ابن برّي في أماليه ، ونسبه الى الربيع بن زياد .

قال فقلت له : لم أصحِّف أنا ولا أنت ، تقول ربيعة هذا الحرف بالذال ، وسائر العرب بالدال .

ومن فوائد الإبدال اللغوية أو الاشتقاق الكبير أنه قد ينتفع به في وضع المصطلحات العلمية ، وذلك بتخصيص اللفظتين المتعاقبتين لمسميين متشابهين في العمل ، وبينهما علاقة معنوية مثال ذلك ما جاء في لسان العرب (ارث) قال : والأُرَث والأُرَف : الحدود بين الأرَضين ، واحدتهـا : أُرْثَة وأُرفة ، فيجوز أن نضع (الأُرثة) لكلمة Borne أي المنار بين الأرضين المتجاورتين دفعاً للنزاع بين الجارين ، و (الأُرفة) للحد بين البلدتين أو الدولتين ، وبلدة (أُرفة) اليوم وهي الرُّها قديماً ، واقعة بين إقليمنا الشاميّ وتركية مثلاً ؛ قال ابن سيده : وأرَّث الأرضين : جعل بينهما أُرثة ، وقد وضع المعجم الزراعيّ اصديقنا ورئيس مجمعنا الأمير الشهابيّ كلمة (التأريث) مقابل Abornage بالفرنسية ، ويراد بها وضع المنار بين الأرضين ، وجعل (التأريف) لما يقابل (Cadastre ، وفي طبيعة لغتنا العربية لجواهر مناجم تحتاج اليها المعاجم أبداً .

وجاء في كتاب الاشتقاق [١] لعبد الله أمين (ص ٣٧٠) بعد أن بحث عن الإبدال ، وضرب مثالاً لما يمكن أن ينتفع به في اشتقاق اسمين لمسمّيين متشابهين في الشكل والعمل أو في أحدهما بقوله :

مثال ذلك : الغُمْنة والغُمرة ، وهما لَبَن تطلي به المرأة وجهها ويديهـا حتى ترِقَّ بَشَرتها . يمكن أن يسمّى المسحوق الذي يَطلي به السيدات وجوههنّ وأيديهن (غُمرة) [٢] ، والمعجون الذي يستعمل استعماله : (غُمْنة) بإبدال النون من الراء لتقاربهما مخرجاً وصفةً ، انتهى .

عز الدين التنوخي

(١) من أمتع ما وضع في الاشتقاق ، وهو غير الصرف والنحو ، لأنه يبحث عن أصول الكلمات وفروعها وصوغ بعضها من بعض ، وفيه بحث عن الابدال والقلب .
(٢) واليوم تسمى (بودرة) من Poudre ، والمعجون (كريمة) من Crème الفرنسية وهي القشدة .

العربية بين الفصحى والعامية

وكتاب رد العامي الى الفصيح

كان شيخنا وزميلنا في المجمع العلمي العربي : الأستاذ أحمد رضا قد وضع قبيل انتقاله الى رحمة الله ـ كتابه «رد العامي الى الفصيح» وهو كتاب قيم مفيد خدم به العربية خدمة جليلة ، وُفِّق فيها توفيقاً مشكورا .

وسبقت لنا كلمة في هذا الكتاب ، رأيت أن أنقل بعضها ، وأضيف اليها ما لا بد منه ، مما يتصل بموضوعنا ، نزولاً عند رغبة من لا أرى لي مندوحة عن اجابة طلبه .

وخليق بمن يهتمون بهذه العربية ، ويغارون عليها ، أن يدافعوا عنها في كل مناسبة تعرض ، بعد أن استشرى داء بعض المستشرقين الاستعماريين في العمل على افساد لغتنا ، بالدعوة الى العامية ، وتفضيلها على الفصحى ، تمزيقاً للوحدتين : القومية واللغوية ، وبعد أن كثر بين العرب من ينزعون نزعتهم ، عن سوء نية ، أو سلامة طوية .

وقد عدَّدوا الأبواب التي يريدون أن يدخلوا منها الى حرم العربية فيدنسوا مقدساتها ويفسدوا أوضاعها ، ويغيروا أشكالها ، فاذا سُدَّ عليهم باب ، وأعيتهم فيه حيلة ، عمدوا الى باب آخر لعلهم يجدون فيه الثغرة التي أعوزتهم في محاولاتهم تلك . ومن المؤلم : أن عدد هؤلاء الهدامين يزداد يوماً بعد يوم ، ويقبل الناس على الاستماع اليهم ، ومن يدري اذا تمادى بهم الأمر وظل رجال العربية ساكتين عنهم ـ سواء أكان سكوت ازدراء أو اعراض ـ

أن يبلغوا في يوم من الأيام ما يريدون أو بعضه [١] ، ومتى وجد الخرق فمن يضمن أن لا يتسع على الواقع .

ومن غرائب هذه المحاولات في الفترة الأخيرة ، قيام فئة تريد ـ على زعمها ـ اصلاح الاملاء العربي . كأن هذا الإملاء السهل الواضح الصريح ، المبني على أسس راسخة ، وقواعد ثابتة ، يحتاج الى من يصلحه ، وأوجع ما كان من هذا ، أن نفراً ممن يوثق بعربيتهم وبعروبتهم ، لا يتهمون بعجز في اللغة ، وهم من أقطابها ، ولا تطالهم تهمة في غيرتهم على العربية واخلاصهم لها ، قد ذهبوا في مؤتمر المجامع اللغوية العربية الذي عقد في دمشق هذا المذهب ، وقالوا بهذا التجديد الهدام ، وهو شيء يحار الانسان في فهمه ، ولا يعرف كيف يفسره ، ولا على أي محمل يحمله ، واذا كانت العربية يطعنها أعرف الناس بأسرارها ، ومن كان عليه أن يكون من أشد القوم حفاظاً على آثارها ، فما ظنك بالجاهلين والهدامين .

هذه اللغة التي تلفظ حروفها كما تكتب ، لا يتبدل النطق بها أين وقعت وكيف وقعت ، وللهمزة التي يجعلها العاجزون حجة على الصعوبة ، قواعد معروفة ، وصورة حية ماثلة ، وللتائين المبسوطة والمعقودة ، وللألف المقصورة والممدودة ، قاعدة معروفة أيضاً لا تختلف ولا تتغير . يسهل حفظها ، والجري عليها . على من شدا شيئاً من العربية ، أو حفظ القليل من قواعدها .

وهؤلاء الذين لا يرضيهم هذا الإملاء العربي الواضح ، راضون عن الإملاء في اللغات الأجنبية التي يعرفونها ، رضاء أبناء هذه اللغات نفسهم عنه ، على ما في هذا الإملاء من شذوذ في حروفه وفي تراكيبها . يختلف لفظ

---

(١) كثرت في الفترة الأخيرة الكتابة باللغة العامية والخطابة بها ، وهبط الشعر الى دركة ساوى فيها الزجل بل انحط عنه .

الحرف الواحد باختلاف موقعه ، فينقل الحرف من لفظ الى لفظ آخر لا نسبة بينهما ، وتلفظ الحرف عندهم ولا تكتبه ، وتكتب الحرف والأحرف ولا تلفظها .
وعلى الجملة فالإملاء في لغاتهم وهو ما فصلنا بعضه ، في الكلمة التي ألقيناها في مؤتمر المجامع اللغوية - شذوذ في شذوذ ، وقد شرفت العربية عنه ، وعافاها الله وعافانا منه .

رضوا بهذا الإملاء الذي يسميه أحد علمائهم [1] Chinoiserie ولم يرضوا لنا ولا رضي بعضنا بهذا الإملاء العربي بصيغته السهلة ، وقواعده البينة .

على أن من الغرائب المؤلمة هذه المعمعية المعيبة ، التي نحن عليها ، وهذا الاستسلام المخزي الذي نستسلمه - غير مفكرين ولا مدافعين - كلما انتقد العربية منتقد منا ، أو من غيرنا .

جرى بعض المدرسين - فترة من الزمن - على لفظ بعض الحروف العربية لفظاً أجنبياً ، وهي طريقة لا وجه لها ، ولا يستقيم لها انتساق . ورأى آخرون ان تلفظ الحروف العربية لفظاً صوتياً . وهو أسلوب قد يكون مفيداً ، ولا اعتراض لنا عليه ، فالمدرسون القائمون على عملهم أدرى منا بما هو الأوفق والأسهل .

ولكن اعتراضنا على الانتقاد الذي زعموه سبباً لهذا التبديل في التلفظ .

يقولون لك :

من شذوذ العربية ! . . . . . ان حروفها لا انسجام بينها مفردة ومركبة . وهو ما لا مثيل له في سائر اللغات . فاذا قلت (عين) أو (سين) أو (قاف) أو (كاف) ومثلهن كثير فكيف توفق بين حرف من هذه الأحرف في

---

(١) قالها أحد علماء الفرنسيين ، والافرنسية أكثر لغات الغرب تثقيفاً وتهذيباً ، فما عسى ان يقال في غيرها و « Chinoiserie » من معانيها القياس الغريب المرتبك .

حالة الإفراد ، وبينه وبين لفظه في حالة التركيب ؟ فاذا قلت : عالم مثلاً أو سالم فأين ذهبت الياء والنون ؟ . . . . . وأين ذهبت (الألف) و (الفاء) و (القاف) و (الكاف) في (قائل) و (كافل) وأمثالها ؟

ولسنا هنا في بيان السبب الذي من أجله سمّي كل حرف باسمه الذي أطلق عليه ، ولا نحن بالذين يزعمون أن العربية بحروفها وألفاظها ، وُضعت أول ما وُضعت وضعاً علمياً من سائر وجوهها ووجوهه ، ولا بالمعترضين على الحروف تلفظ لفظاً صوتياً .

ولكنا نقول : ان العربية لم تشذ في هذا عن سائر اللغات التي جاءت بعدها ، ولا انفردت به . فما يجوز أن يؤخذ على العربية ، يجب أن يؤخذ على الحروف في جميع اللغات ، فهي في حال تركيبها تخالف ما كانت عليه في حالة افرادها فتسقط من الحرف مركباً مثل ما تسقط منه في العربية بل ما يزيد[1] .

ونخلص بعد هذا الى ما يجب على العرب من صيانة لغتهم والحفاظ عليها ، وتسفيه الاعتراضات التي يوردها بعضهم تعصباً أو جهلاً . وأول هذه الواجبات وأولاها بالعناية ، نشر العربية الفصحى واستعمالها استعمالاً صحيحاً في المجالس العلمية والرسمية ، وفي المؤتمرات ، وفي حلقات الأدباء والمتأدبين ومناقشاتهم .

فالعرب ان تستقيم لهم لغتهم ما دامت لغتين مختلفتين : لغة عامية ، ولغة فصيحة . وهذا ما يجعل العرب يعانون في تعلم لغتهم وفي ضبط ألفاظها ما يقرب مما يعانون في تعلم لغة غريبة عنهم[1] . فالحاجة الى تقريب مسافة الخلف بين اللغتين ، حاجة ملحة ولا سيما في زماننا هذا الذي صار فيه العالم وكأنه وطن واحد ،

(١) خذ مثلاً (Z) و (Y) وغيرهما . فهل تستطيع ان تحتفظ لهما مركبة بصيغتها مفردة ؟

(٢) من كلمتنا في هذا الموضوع نشرتها العرفان سنة ١٩٥٢ .

اذا أصيب منه قطر فكأنما أصيبت أقطاره جميعاً في تجارتها واقتصادياتها وسائر مرافقها . فكيف بالأقطار العربية !

ومن وسائل هذا التقريب ، النظر في الكلمات العامية ، وتصحيحها ، ورد ما فيها من خطأ الى الفصيح . وقد عالج هذا الموضوع جمهرة من علماء العربية من المتقدمين والمتأخرين ، ولعل أول من كتب في هذا من المتأخرين وجعله كتاباً برأسه ، الشيخ خليل اليازجي ، ولست أعرف أطبع كتابه أم بقي مخطوطاً ، والأستاذ رشيد عطيه في كتابه الدليل في العامي والدخيل[1] وقد طبعه ، والأستاذ عيسى المعلوف ، وما كتبه نشر بعضه في مجلته (الآثار) وسائره لا يزال مخطوطاً ، والأمير شكيب أرسلان وكتابه موسوم بـ «القول الفصل في رد العامي في الأصل» وهو مخطوط لم يطبع بعد[2] . ثم كتاب الشيخ احمد رضا «رد العامي الى الفصيح» وهو الكتاب الذي نحن في بحثه الآن .

وهذا الكتاب تُظهِر بحوثُه ما كابده صاحبه من مشقة ، وما اقتضاه من عنت ومراجعة وصبر وأناة .

رتب المؤلف كتابه على الحروف الهجائية ، ولنا أن نقسم بحوثه ثلاثة أقسام :

١ — الكلمات التي تكثر العامة من استعمالها ، حتى يخيل الى بعض الخاصة انها عامية ، وليست كذلك . حدد ذكر مصادرها ، واستشهد على صحتها بشواهد من كلام العرب الأقدمين .

٢ — الكلمات الصحيحة في الأصل وحرفتها العامة . فهذه ردها الى أصلها الصحيح .

٣ — ما ليس بصحيح ولا بعربي ، وجاء له بما هو في معناه مما استعملته العرب .

---

(١) هذا اسمه فيما اذكر ولعلي على خطأ .

(٢) نشر المجمع العلمي كتاب (بحر العوام فيما اصاب فيه العوام) لابن الحنبلي الحلبي المتوفى سنة ٩٧١ هـ بتحقيق التنوخي . « لجنة المجلة »

ومثل هذا الجهد الذي عاناه المؤلف لا يجوز أن يُمر به مروراً عابرا ، كلمة ثناء مجملة وينتهي الأمر . بل يستحق دراسة دقيقة تقديراً لعمل أستاذنا الجليل .

هذا ما حملنا على مراجعته في بعض ألفاظ رأينا فيها غير رأيه ، قد يكون مردُّ أكثرها الى اختلاف اللهجات العاميـة ، في مختلف الأقطار العربية . بل الى اختلافها حتى في القطر الواحد . كان هذا ، على أن نتابع الملاحظات شيئاً فشيئا . غير أن الموت عاجله رحمه الله ، قبل أن يبدي رأيه ، في ما أبدينا رأينا فيه ، وها نحن أولاء نعيد بحثنا ، ونتابعه من حيث وقفنا . فقد يكون بين المشتغلين في هذه الموضوعات من يرى رأينا ، أو يصحح ما وهمنا فيه .

فمن هذه الكلمات التي ترددنا فيها :

تمألس : قال المؤلف : « ويقولون تمألسه وتمألس به ، اذا سخر به وهزأ . فكأنه ينزله منزلة المألوس وهو المجنون . وفي اللغة : ألس ألساً : الرجل فهو مألوس . اذا اختلط وذهب عقله . والالاس الجنون . وتمألسه هذه بمعنى جعله كالمألوس . فعبث به وسخر منه كما يعبثون بالمجنون ، والميم زائدة لأنها صيغت من المألوس على توهم الاصالة » اهـ الصفحة الـ ٨ .

المقلسة : وقال في الصفحة الـ ٣٨٥ : « وقالوا تمقلس عليه ، اذا سخر منه ، أو تنادر معه منادرة فيها سخرية . وهو من (ألقسه) يلقسه لقساً اذا عابه وشتمه ، واذا سخر منه أو لقبه باللقب الرديء . أو هي تمألس بالهمزة راجع ا . ل ـ س . اهـ » .

قلنا : هذا التردد في رد الكلمة الى أصل فصيح ، وهذا التخريج ـ الذي فيه ، في رأينا ـ شيء من التكلف يحملنا على التفتيش لها عن أصل آخر .

والذي نراه أن « المقلسة » هي بالقاف لا بالهمزة ، على ما تلفظها الى اليوم

عامة بني معروف ، ومن يجاورهم من أهل الشوف ، وعلى ما جاءت أخيراً في الصفحة الـ ٣٨٥ من الكتاب .

وفي لسان العرب « التقليس : ضرب اليدين على الصدر خضوعا ... » و « الانحناء ... » وهو ما يفعله المستهزئون بمن يستهزئون بهم . أفلا يكون رد تقلس الى قلس اقرب منه الى « ألس » أو « لقس » ؟

أطم : ومن هذه البابة (اطم) بمعنى قطع ردها المؤلف الى (اتم) وقال : « وفي اللغة : أتم الشيء قطعه ... » قلنا : وقد تكون (قطم) بالقاف ، أقرب ، وقد ذكرها الأستاذ ، ومرّ بها وكأنها لم ترضه .

فأى : قال : (فأى الدملة والقرحة) اذا شقها ، فانفأت . وهو من قول العرب فأى رأسه : اذا فلقه بالسيف ، أو بالعصا ، ونحوهما ، نقله الجوهري عن أبي زيد .

وفي اللسان : قال الليث : فأوت رأسه فأواً وفأيته فأياً اذا فلقته بالسيف . وقيل هو ضربك قحفه حتى ينفرج عنه الدماغ ، والانفياء الانفراج ..

قلنا : أقرب من هذا ، وأقل سنداً في التخريج ، أن ترد (فأى) الى (فقأ) . وفي اللسان : فقأ العين ، والبثرة ونحوهما ، يفقؤهما فقأ .. قلعها وبخقها[1] ...

وفي الحديث : لو ان رجلاً اطلع في بيت قوم بغير اذنهم ففقؤوا عينه لم يكن عليهم شيء .. وكانت العرب في الجاهلية ، اذا بلغ ابل الرجل منهم ألفاً ، فقأ عين بعير منها وسرحه حتى لا ينتفع به .

والعامة في بني معروف الى اليوم تستعمل هذه اللفظة على وجهها الصحيح . فتقول (فقأ) الدملة والعين ونحوهما . غير أنها تستعملها مسهلة بلا همزة[2] .

---

(١) البخق (بالتحريك) اقبح ما يكون العور .

(٢) كما تستعمل (فور) وهي صحيحة ، و (فقر) ولها وجه . يقال فقر الخرز اي ثقبه — وحزه — واثر فيه . ومن هنا اخذت العامة قولها (فقر عينه) .

دوبل : ويرى الاستاذ ان (دوبل) بمعنى أطرق برأسه الى الأرض ، أخذته العامة من الدوبل وهو الخنزير . لأنه من عادة الخنزير أن يكون مطأطئ الرأس .

قلنا : لعل الأقرب أن تكون (دوبل) من (ذبل) بالذال المنقوطة . وفي اللسان : ذبل النبات والغصن والانسان ، يذبل ذُبولاً دق بعد الري ، فهو ذابل ، أي ذوي . وكذلك (ذبل) ... وأذبله الحر ...

والعامة عندنا تقول (ذبلان) و (مذوبل) اذا أطرق لتعب أو علة أو خجلاً وانكساراً

عارف النكدي

ثقافة الأطباء عند العرب

- ٣ -

« وتعهدت المرضى ، فانفتح علي من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لا يوصف . وأنا مع ذلك أختلف الى الفقه وأناظر فيه . وأنا في هذا الوقت من أبناء (ست عشرة سنة) ، ثم توفرت على العلم والقراءة سنة ونصفا ، فأعدت قراءة المنطق وجميع أجزاء الفلسفة ، وفي هذه المدة ما نمت ليلة واحدة بطولها ، ولا اشتغلت في النهار بغيره ، وجمعت بين يدي ظهوراً . فكل حجة كنت أنظر فيها أثبت مقدمات قياسية ، ورتبتها في تلك الظهور ، ثم نظرت فيما عساها تنتج وراعيت شروط مقدماته حتى تحقق لي حقيقة الحق في تلك المسألة ، وكلما كنت أتحير في مسألة ولم أكن أظفر بالحد الأوسط في قياس ترددت الى الجامع وصليت وابتهلت الى مبدع الكل حتى فتح لي المنغلق وتيسر المتعسر ، وكنت أرجع بالليل الى داري وأضع السراج بين يدي وأشتغل بالقراءة والكتابة فمهما غلبني النوم أو شعرت بضعف ، عدلت الى شرب قدح من الشراب ريثما تعود الي قوتي ، ثم أرجع الى القراءة ، ومهما أخذني أدنى نوم أحلم بتلك المسائل بأعيانها ، حتى أن كثيراً من المسائل اتضح لي وجوهها في المنام ، وكذلك حتى استحكم معي جميع العلوم ووقفت عليها بحسب الامكان الانساني ، وكل ما علمته في ذلك الوقت فهو كما علمته الآن لم أزدد فيه الى اليوم حتى أحكمت علم المنطق ، والطبيعي ، والرياضي ، ثم عدلت الى الإلهي وقرأت كتاب « ما بعد الطبيعة » فما كنت أفهم ما فيه والتبس علي غرض

واضعه حتى أعدت قراءته أربعين مرة وصار لي محفوظاً ، وأنا مع ذلك لا أفهمه ولا المقصود به ، وأيست من نفسي وقلت هذا كتاب لا سبيل الى فهمه . وإذ أنا في يوم من الأيام حضرت وقت العصر في الوراقين وبيد دلاّل مجلد ينادي عليه فعرضه علي فرددته ردّ متبرم معتقداً أن لا فائدة في هذا العلم . فقال لي اشتر مني هذا فانه رخيص أبيعكه بثلاثة دراهم وصاحبه محتاج الى ثمنه ، فاشتريته فاذا هو كتاب « لأبي نصر الفارابي » في أغراض كتاب « ما بعد الطبيعة » ورجعت الى بيتي وأسرعت قراءته فانفتح علي في الوقت أغراض ذلك الكتاب بسبب أنه كان لي محفوظاً على ظهر القلب . وفرحت بذلك وتصدقت في ثاني يوم بشيء كثير على الفقراء شكراً لله تعالى . وكان سلطان بخارى في ذلك الوقت نوح بن منصور واتفق له مرض حار فيه الأطباء ، وكان اسمي اشتهر بينهم بالتوفر على القراءة فأجروا ذكري بين يديه وسألوه إحضاري ، فحضرت وشاركتهم في مداواته ، وتوسمت بخدمته . فسألته يوماً الإذن لي في دخول دار كتبهم ومطالعتها وقراءة ما فيها من كتب الطب ، فأذن لي ، فدخلت داراً ذات بيوت كثيرة في كل بيت صناديق كتب منضدة بعضها على بعض ، في بيت كتب العربية والشعر ، وفي آخر الفقه ، وكذلك في كل بيت كتب علم مفرد ، وطالعت فهرست كتب الأوائل ، وطلبت ما احتجت اليه ، ورأيت من الكتب ما لا يقع اسمه الى كثير من الناس قط ، ولا رأيته قط ولا رأيته من بعد ، فقرأت تلك الكتب ، وظهرت فوائدها وعرفت مرتبة كل رجل في علمه . فلما بلغت ثماني عشرة سنة من عمري فرغت من هذه العلوم كلها ، وكنت اذ ذاك للعلم أحفظ ولكنه اليوم معي أنضج والا فالعلم واحد لم يتجدد لي بعده شيء . وكان في جواري رجل يقال له أبو الحسن العروضي فسألني أن أؤلف له كتاباً جامعاً في هذا العلم فصنفت له المجموع

وسميته به ، وأتيت به على سائر العلوم سوى الرياضي ولي إذ ذاك احدى وعشرون سنة من عمري ، وكان في جواري أيضاً رجل يقال له أبو بكر البرقي ، خوارزمي المولد ، فقيه النفس توحد في الفقه والتفسير والزهد ، مائل الى هذه العلوم . فسألني شرح الكتب فصنفت له كتاب « الحاصل والمحصول » في قريب من عشرين مجلدة ، وصنفت له في الأخلاق كتاب سميته كتاب « البر والإثم » وهذان الكتابان لا يوجدان إلا عنده فلم يعرفها أحد ينتسخ منهما . ثم مات والدي وتصرفت بي الأحوال وتقلدت شيئاً من أعمال السلطان ودعتني الضرورة الى الارتحال عن « بخارى » والانتقال الى « كركانج » وكان أبو الحسين السهلي المحب لهذه العلوم بها وزيراً وقدمت الى الأمير بها وهو علي بن المأمون وكنت على زي الفقهاء إذ ذاك بطيلسان وتحت الحنك وأثبتوا لي مشاهرة دارة تقوم بكفاية مثلي . ثم دعت الضرورة الى الانتقال الى « فسا »[1] ومنهـا الى « باورد »[2] ومنها الى « طوس »[3] ومنها الى « شقان »[4] ومنها الى « سمنقان »[5] ومنها الى « جاجرم »[6] رأس حد خراسان ومنها الى « جرجان »

---

(١) فسا : أو بسا : كلمة أعجمية معناها الرياح الشمالية وهي مدينة بفارس قريبة من شيراز بأربعة مراحل تابعة لكورة دارابجرد . معجم البلدان ٦ : ٣٧٦ .

(٢) باورد : وهي أبيورد بلد بخراسان .

(٣) طوس : مدينة بخراسان أيضاً بينها وبين نيسابور عشرة فراسخ وبها قبر هارون الرشيد وعلي بن موسى الرضي (معجم البلدان) .

(٤) شقان : بلدة من نيسابور . ويقال شقان بالكسر لوجود جبل فيها ينشق عنه ماء وجبل آخر ينشق عنه ماء .

(٥) سمنقان : بلدة بالقرب من جاجرم من أعمـال نيسابور في بلاد العجم .

(٦) جرجان : مدينة شهيرة بين جراستان وخراسان وكان أول من أحدث بناءها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ومنها خرج البرمكي (معجم البلدان) .

وكل قصدي الأمير قابوس[١] وحبسه في القلاع وموته هناك . ثم مضيت الى « دهستان » ومرضت بها مرضاً صعبا وعدت الى « جرجان » واتصل أبوعبيد الجوزجاني بي وأنشأت في حالي قصيدة فيها بيت القائل :

لما عظمت فليس مصر واسعي لما غلا ثمني عدمت المشتري »

وفي جرجان صنف كتاب « المبدأ والمعاد » وكتاب « الأرصاد الكلية » وكتباً كثيرة كأول القانون ومختصر المجسطي وكثيراً من الرسائل ، ثم صنف في أرض الجبل بقية كتبه ، ثم انتقل الى الري واتصل بخدمة السيدة وابنها مجد الدولة وكان به مرض تغلب السوداء عليه فاشتغل بمداواته وأقام بها الى أن قصد شمس الدولة بعد قتل هلال بن بدر بن حسنويه وهزيمة عسكر بغداد ، ثم اتفقت أسباب أوجبت الضرورة لها خروجه الى قزوين ومنها الى همذان واتصاله « بكذبانويه » والنظر في أسبابها ، ثم اتفق معرفة شمس الدولة واحضاره مجلسه بسبب قولنج كان قد أصابه وعالجه حتى شفاه الله تعالى وفاز من ذلك المجلس بخلع كثيرة وعاد الى داره بعد ما أقام هنالك أربعين يوماً بلياليها وصار

---

(١) الأمير قابوس : هو أبو الحسن قابوس بن وشمكير بن زياد بن وردان شاه الجيلي الملقب شمس المعالي . أمير جرجان وبلاد الجبل وخراسان ، وليها سنة ٣٦٦ هـ واكتسح عضد الدولة البويهي مملكته سنة ٣٧١ هـ ، واستعادها قابوس سنة ٣٨٨ هـ ، فاشتد في معاقبة من خذلوه في حربه مع عضد الدولة فنفي من شعبه وقامت الثورة فخلعه القواد وولوا ابناً له ورضوا باقامته في احدى القلاع الى أن مات عام ٤٠٣ هـ وهو ديلمي الأصل ، متعرب ، نابغة في الأدب والانشاء ، وله شعر جيد في العربي والفارسي وكتاب يحوي رسائله سمي (كمال البلاغة) مطبوع . عن كتاب الأعلام ٢ : ٧٨٠ .

من ندماء الأمير [1] ، ثم اتفق نهوض الأمير شمس الدولة الى قرمسين لحرب عناز وخرج الشيخ في خدمته ثم توجه نحو همذان منهزماً راجعا . ثم سألوه تقلد الوزارة فتقلدها ، ثم اتفق تشويش العسكر عليه واشفاقهم منه على أنفسهم فكبسوا داره وأخذوه الى الحبس وأغاروا على أسبابه وأخذوا جميع ما يملكه وسألوا الأمير قتله فامتنع منه وعدل الى نفيه عن الدولة طلباً لمرضاتهم ، فتوارى في دار الشيخ أبي سعد بن دخدوك أربعين يوماً فعاود الأمير شمس الدولة القولنج وطلب الشيخ فحضر مجلسه فاعتذر الأمير اليه بكل الاعتذار فاشتغل بمعالجته وأقام عنده مكرماً مبجلاً وأعيدت اليه الوزارة ثانياً ، ثم سأله أبو عبيد الجوزجاني وهو صاحبه ، شرح كتب أرسطوطاليس فذكر أنه لا فراغ له الى ذلك في ذلك الوقت ، ولكن إن رضي منه بتصنيف كتاب يورد فيه ما صح عنده من هذه العلوم فعل بلا مناظرة المخالفين ولا اشتغال بالرد عليهم ، وقد رضي الموحى اليه فابتدأ بالطبيعيات من كتاب سماه « الشفاء » وكان قد صنف الكتاب الأول من القانون وكان يجتمع كل ليلة في داره طلبة العلم وكان الجوزجاني يقرأ من الشفاء ويقرئ غيره من القانون نوبة ، فاذا فرغوا حضر

(١) الأمير شمس الدولة : هو أبو طاهر بن فخر الدولة البويهي حاكم حمدان وهمذان وكرمانشاه اضطرمت الفتن في أيامه فاستنجد عليها بحاكم أصفهان علاء الدين أو علاء الدولة من بني كاكويه فنجدوه وأخذوا الحكم منـه سنة ٤١٥ هـ . وأما الأمير مجد الدولة فهو أبو طالب رستم بن فخر الدولة علي بن ركن الدولة حسن بن بويه . ثامن ملوكهم . خلف والده عام ٣٨٧ على حكومة العراق وتغلب على خراسان ولما جلس على عرش الحكم كان صبياً فأدارت والدته (سيدة خاتون) الحكم مكانه ولما بلغ أشده تولى هو بذاته الملك وبقي (٣٣) سنة فيه . وفي عام ٤٢٠ حاربه السلطان محمود الغزنوي بالقرب من الري وغلبه وأخذه أسيراً ثم آلت خراسان والعراق الى السبكتكيين . عن قاموس الأعلام - مجلد (٦) .

المغنون على اختلاف طبقاتهم وهيئ مجلس الشراب بآلاته وكانوا يشتغلون به . وكان التدريس بالليل لعدم الفراغ بالنهار خدمة للأمير فقضى على ذلك زمناً .

ثم توجه شمس الدولة الى (طارم) [1] لحرب الأمير بها وعاوده القولنج قرب ذلك الموضع واشتد عليه ، وانضاف الى ذلك أمراض أخرى جلبها سوء تدبيره وقلة القبول من الشيخ فخاف عسكره وفاته ورجعوا به طالبين همذان في المهد فتوفي في الطريق في مهد ثم بويع ابن شمس الدولة وطلبوا استيزار الشيخ فأبى عليهم وكاتب علاء الدولة [2] سراً يطلب خدمته والانضمام الى جوانبه وأقام في دار أبي غالب العطار متوارياً وطلب منه صاحبه الجوزجاني اتمام كتاب الشفاء ، فاستحضر أبا غالب وطلب الكاغد والمحبرة فأحضرهما وكتب الشيخ في قريب من عشرين جزءاً على الثمن بخطه رؤوس المسائل وبقي فيه يومين حتى كتب رؤوس المسائل كلها بلا كتاب يحضره ولا أصل يرجع اليه ، بل من حفظه وعن ظهر قلبه . ثم ترك الشيخ تلك الأجزاء بين يديه وأخذ الكاغد فكان ينظر في كل مسألة ويكتب شرحها ، فكان يكتب كل يوم خمسين ورقة حتى أتى على جميع الطبيعيات والإلهيات ما خلا كتابي الحيوان والنبات ،

---

(١) طارم : أو تارم : كورة واسعة في الجبال بين قزوين وجيلان . فيها قرى كثيرة وجبال وعرة وليس فيها مدينة مشهورة . وفي معجم البلدان انها أيضاً بليدة أخرى في آخر حدود فارس من جهة كرمان . وبين تارم وشيراز ٨٢ فرسخاً . ويقول صاحب (قاموس الأعلام) أن (طارم) هو نهر تابع لتركستان الشرقية يتألف بين كاشغر ويارقند ثم يتصل (بقره صو) متجهاً الى الشرق وبعد أن تنصب عليه أنهر الشمال يشكل بحيرة ومنها يجري الى الجنوب الشرقي .

(٢) علاء الدولة : ملك الري عام ٥١٦ هـ وهو ابن فرامز بن علي بن فرامرز ، وفي زمانه عاش الخيام والغزالي والنظام .

وابتدأ بالمنطق وكتب منه جزءاً ثم اتهمه تاج الملك [1] بمكاتبته علاء الدولة فأنكر عليه ذلك وحث في طلبه فدل عليه بعض أعدائه فأخذوه وأدوه الى قلعة يقال لها «فردجان» وأنشأ هنالك قصيدة منها :

دخولي في اليقين كما تراه وكل الشك في أمر الخروج

وبقي فيها أربعة أشهر ثم قصد علاء الدولة همذان وأخذها وانهزم تاج الملك ومر الى تلك القلعة بعينها ثم رجع علاء الدولة عن همذان وعاد تاج الملك وابن شمس الدولة الى همذان وحملوا معهم الشيخ الى همذان ونزل في دار العلوي واشتغل هنالك بتصنيف المنطق من كتاب الشفاء ، وكان قد صنف في القلعة كتاب الهدايات ورسالة حي بن يقظان وكتاب القولنج . وأما الأدوية القلبية فانما صنفها أول وروده الى همذان .

وكان قد تقضى على هذا زمان وتاج الملك في أثناء هذا يمنيه ويعده بمواعيد جميلة ، ثم عنّ للشيخ التوجه الى أصفهان فخرج متنكراً هو وأخوه وصديقه وغلامان معه في زي الصوفية الى أن وصلوا الى طبران على باب أصفهان بعد أن قاسوا شدائد الطريق فاستقبلهم أصدقاء الشيخ وندماء الأمير علاء الدولة وخواصه وحُمل اليه الثياب والمراكب الخاصة وأنزل في محل يقال له (كونكبند) في دار عبد الله بن بابي وفيها من الآلات والفرش ما يحتاج اليه . وحضر مجلس علاء الدولة فصادف في مجلسه الإكرام والإعزاز الذي

---

(١) تاج الملك : ويسمى أبو الغنايم مرزبان بن خسرو فيروز وزير ملكشاه السلجوقي . تولى الوزارة بعد الوزير نظام الملك ، وتعيّن وصياً على ابن ملكشاه الذي كان عمره (٤) سنين ، وفي أثناء تدبيره الملك انشق أصحاب سلطة نظام وثاروا على الدولة في أصفهان وفي الحرب الذي جرى بين عسكر ابن ملكشاه وبين أنصار نظام الملك انكسر الجيش الأول وهرب تاج الملك الى يزدجرد وهناك استوزره (بركيارق) ولكن قتله جماعة نظام الملك في عام (٤٨٦) ه وبركيارق هو ابن ملكشاه وحفيد آلب أرسلان تولى عرش أبيه في ايران عام ٤٨٤ وحكم (١٢) سنة وتوفي وعمره (٤٥) سنة .

يستحقه مثله ثم رسم الأمير علاء الدولة ليالي الجمعات مجلس النظر بين يديه بحضرة سائر العلماء على اختلاف طبقاتهم والشيخ من جملتهم فما كان يطاق في شيء من العلوم . واشتغل في أصفهان بتتميم كتاب الشفاء ففرغ من المنطق والمجسطي (الهيئة) وكان قد اختصر أوقليدس (الهندسة) والأرتماطيقي (الحساب) والموسيقى ، وأورد في كل كتاب من الرياضيات زيادات رأى أن الحاجة اليها داعية . أما في المجسطي فأورد عشرة أشكال في اختلاف المنظر . وأورد في آخر المجسطي في علم الهيئة أشياء لم يسبق اليها ، وأورد في أوقليدس شبها ، وفي الارتماطيقي خواص حسنة ، وفي الموسيقى مسائل غفل عنها الأولون ، وأتم الكتاب المعروف بالشفاء ما خلا كتابي النبات والحيوان فانه صنفهما في السنة التي توجه فيها علاء الدولة الى (سابورخواست) في الطريق . وصنف أيضاً في الطريق « كتاب النجاة » واختص بعلاء الدولة وصار من ندمائه الى أن عزم علاء الدولة على قصد همذان وخرج الشيخ في الصحبة فجرى ليلة بين يدي علاء الدولة ذكر الخلل الحاصل في التقاويم المعمولة بحسب الأرصاد القديمة فأمر الأمير الشيخ بالاشتغال برصد هذه الكواكب وأطلق له من الأموال ما يحتاج اليه ، وابتدأ الشيخ به وولي الشيخ الجوزجاني اتخاذ آلاتها واستخدام صناعتها حتى ظهر كثير من المسائل ، فكان يقع الخلل في أمر الرصد لكثرة الأسفار وعوائقها . وصنف الشيخ بأصفهان كتاب العلائي ، وكان من عجائب أمر الشيخ اذا وقع له كتاب مجدد لا ينظر فيه على الولاء بل كان يقصد المواضع الصعبة منه والمسائل المشكلة فينظر ما قاله مصنفه فيها فيتبين مرتبته في العلم ودرجته في الفهم . وفي يوم من الأيام كان الشيخ جالساً بين يدي الأمير وأبو منصور الجبائي حاضر فجرى في اللغة مسألة تكلم فيها الشيخ بما حضره فالتفت أبو منصور الى الشيخ يقول انك فيلسوف وحكيم ، ولكن لم تقرأ من اللغة ما يرضي كلامك فيها ، فاستنكف الشيخ أبو علي بن سينا من هذا الكلام

وتوفر على درس اللغة ثلاث سنين واستهدى كتاب تهذيب اللغة من خراسان من تصنيف أبي منصور الأزهري ، فبلغ الشيخ في اللغة طبقة قلما يتفق مثلها ، وأنشأ ثلاث قصائد ضمنها ألفاظاً غريبة من اللغة وكتب ثلاثة كتب أحدها على طريقة ابن العميد والآخر على طريقة الصابي والآخر على طريقة الصاحب ، وأمر بتجليدها وإخلاق جلدها ، ثم أوعز الى الأمير فعرض تلك المجلدة على أبي منصور الجبائي وذكر أنهم ظفروا بهذه المجلدة في الصحراء وقت الصيد فيجب أن يتفقدها ويقول لهم ما فيها فنظر فيها أبو منصور وأشكل عليه كثير من ألفاظها وما فيها ، فقال له الشيخ ان ما تجهله من هذا الكتاب فهو مذكور في الموضع الفلاني من كتب اللغة وذكر له كثيراً من الكتب المعروفة في اللغة كان الشيخ حفظ تلك الألفاظ منها . وكان أبو منصور مجزفاً فيما يورده من اللغة غير ثقة فيها ففطن أبو منصور أن تلك الرسائل من تصنيف الشيخ وان الذي حمله عليه ما جبهه به في ذلك اليوم فتنصل واعتذر اليه .

ثم صنف الشيخ كتاباً في اللغة سماه (لسان العرب) لم يصنف في اللغة مثله ولم ينقله الى البياض حتى توفي فبقي على مسودته لا يهتدي أحد الى ترتيبه . وكان قد حصل لابن سينا تجارب كثيرة فيما باشره من المعالجات عزم على تدوينها في كتاب (القانون) وكان قد علقها على أجزاء فضاعت قبل اتمام كتاب القانون . من ذلك أنه صدع يوماً فتصوّر أن مادة[1] تريد النزول

(١) يظهر أن الدماغ كان محتقناً وضغط الدم عالياً فخاف من النزف الدماغي وعليه استعمل الثلج وتبريد المحل لهذه الغاية وهو تدبير حكيم لمنع الالتهاب فى سحايا الدماغ وفي ايقاف الاحتقان . وقد يكون الورم حاداً في حجـــاب الدماغ الرقيق والغليظ دون جرمه وان كان جرمه قد يعرض له ورم وليس كما ظن بعض المتطببين أن الدماغ لا يرم ... أما علاماته المشتركة لأصنافه الحقيقية فحمى لازمة يابسة تشتد في الظهارة على الأكثر وهذيان يفرط تارة وينقطع أخرى وكراهة للكلام وكلاً منه الى آخر ما وصفه ابن سينا في كتابه وسمـــاه « قرانيطس = Crinatis) ومما وصفه ابن سينا أعراض داء الجنب وخراج الكبد والتهاب الحيزوم وفرق بينهم ، والسكتة الدماغية ، وحمى المثانة السريرية .

الى حجاب رأسه ، وانه لا يأمن وربما يحصل فيه فأمر باحضار ثلج كثير ودقه ولفه في خرقة وتغطية رأسه بها . ففعل ذلك حتى قوي الموضع وامتنع عن قبول تلك المادة وعوفي .

وبينما كان قاصداً علاء الدولة وهو في همذان عاوده القولنج في الطريق الى أن وصل الى همذان وعلم أن قوته قد سقطت وأنها لا تفي بدفع المرض ، فأهمل من اداة نفسه وقال المدبّر الذي في بدني ـ ويعني الطبيعة ـ عجز عن تدبير بدني فلا تنفعني المعالجة ثم اغتسل وتاب وتصدق بما بقي معه على الفقراء ورد المظالم الى من عرفه من أربابها وأعتق غلمانه . وكان يحفظ القرآن فيختم في كل ثلاثة أيام ثم مات في الجمعة الأولى من رمضان سنة ٤٢٨ هـ ودفن في همذان ، وكان يوم توفي قد بلغ من العمر (٥٨) سنة وفي رواية ابن أبي أصيبعة (٥٣) سنة .

والذي يستنتج من هذه السيرة الحافلة بالأحداث أمور لا يسعنا إغفالها لأن فيها ما ينشر لنا الفهم عن أصول التحصيل الذي كان متبعاً حتى القرن الرابع والخامس ، وماذا كان يتعلم معظم الأطباء . وأما عن ابن سينا هذا الحكيم النابغة والفيلسوف العظيم فيمكن ذكر هذه الأمور الهامة على الوجه الآتي :

أولاً — ان ابن سينا أكمل العلوم وحصّل الطب وهو لا يزال بين السادس عشرة والاحدى وعشرين من عمره ، وان ما تعلّمه من علوم ذلك العصر لم يزدد بعد ذلك ولكنه زاد نضوجاً وتجربة .

ثانياً — ان قوة الحفظ والتذكر ، والتحري ، والقياس ، والفهم ، كانت فيه قوية ونادرة المثال بين الأطباء والحكماء . يدلنا على ذلك حفظه القرآن ، واستظهاره كتب اللغة والفقه والحديث والعروض ، ثم اطلاعه على ما ترجم من الكتب اليونانية والفارسية وحفظه علومها وحفظه كتاب (ما وراء الطبيعة) للفارابي وقراءته أربعين مرة حتى فتح عليه مغاليق قضاياه .

ثالثاً — اطلاعه على الفلسفة والعلوم الإلهية وتبحره في مسائلها وتصنيفه الكتب الكثيرة عنها .

رابعاً — انشغاله الدائم في الحل والسفر في التصنيف ، والتدريس ، والاملاء في مختلف العلوم حتى زاد ما كتبه في جميعها عما ينوف عن المائة كتاب .

خامساً — لم يمنعه طبه ولا التصنيف عن الاشتغال في السياسة والتوظف في الوزارة وتدبير أمور الملك لعدة ملوك من آل بويه والسلاجقة .

سادساً — حبه العظيم للموسيقى ، والرياضيات ، والفلك ، واشتغاله فيها وتصنيفه الكتب فيها .

سابعاً — اتقانه العميق الدقيق لعلوم اللغة العربية ووضعه كتاب « لسان العرب » وتأليفه الرسائل الثلاث التي حاكى بها ابن العميد ، والصابي ، والصاحب . ونظمه القصائد البليغة في التصوّف والإلهيات ، والأراجيز في الطب والصحة ، وفي ذلك أثبت نزعته الفنية وشعوره الحساس .

ثامناً — أثبت أنه أعظم شخصية اسلامية تمثل المعرفة الموسوعية في جميع العلوم .

تاسعاً — تمتعه بملاذ الحياة كمتمم لراحة النفس ، وتعديل فعل الغرائز وتهذيب الطباع .

عاشراً — استجابته لطبيعته الوثابة ، وفكره المنطقي ، وفلسفته العميقة السامية في تصانيفه ووضعه وتأليفه كتاب (القانون) الذي تناول علم الطب وفروعه حتى زمانه ، فبوّبه وصنفه واستخلصه من الكتب التي اطلع عليها وجرده من الزوائد والخرافات والشعوذة ، ورتبه ترتيباً علمياً أضاف عليه ما استقرأه وشاهده ، وجربه فكان خير كتاب لا يستغني عنه الأطباء ولذا نظر فيه كل الذين أتوا بعده وغيره منهم اختصروه وادخروه وبقي حتى القرن الخامس عشر ميلادي يدرّس في مدارس أوروبا والشرق ، وكانت آخر طبعة له طبعت في روما عام ١٥٩٣ م .

حادي عشر — ان ابن سينا كان أول من أشار بوضوح الى عدوى السل الرئوي وانتقال الأمراض الى الانسان بواسطة الماء والشراب ، وأول من وصف داء الفيلاريا وانتشاره في الجسم ، وأول من وصف داء الجمرة الخبيثة وسماها بالنار الفارسية ، كما أن الرازي أول من وصف بدقة داء الجدري والحصبة وفرق بينهما ، وأول من قال بالعدوى الوراثية . والطبري أول من اكتشف الحشرة التي تسبب داء الجرب ووصفها .

ثاني عشر — استعمل الرياضة الروحية والرياضة البدنية في طلب الهداية وحلّ مغاليق القضايا والمسائل وهي طريقة صحيحة لتصفية الذهن واراحة الفكر .

ثالث عشر — كانت عبقريته من النوع الذي لا يستقر على حال وحياته موسومة بالشواذ والغرابة يقضي الليالي مكباً على القراءة والكتابة ، ويتناول أحياناً المنبهات ليبقى واعياً ، واذا أتاه النوم تناوبته الأحلام فيما كان يقرأ ويفكر ، وكان حينما ينتهي من عمله يستسلم الى شرب الخمرة والطرب .

رابع عشر — كانت له أطماع سياسية تجعله دائم التنقل من أمير الى آخر ، ومن مدينة الى أخرى ، ومتى أدرك حظه من السياسة كان ينسى الطب ، وبعكس ذلك عندما تخذله السياسة كان يعود الى ممارسة الطب والتأليف . ودلّ نشاطه على أنه كان قادراً على تأليف كتاب في الليلة واحدة .

خامس عشر — كان قوي الحجة قاطع البرهان ، وهذا ما جعل كتاباته شديدة التأثير على رجال العلم والفكر في عصره وفي القرون الوسطى . وقد قال عنه « وليم أوسلر » ان قانونه الطبي كان الانجيل الطبي لأطول فترة من الزمن درس فيه الطلاب والعلماء مدة تنوف عن ثمانية قرون . أما تآليفه الاخرى فأهمها قوانين ومعالجات طبية ، الأدوية القلبية ، كتاب الشفاء وكتاب النجاة وكتب أخرى منها ما هو مطبوع والباقي لم يطبع عدا ما له من مؤلفات في العلوم الأخرى .

سادس عشر – يدل شعره على نزعة فلسفية صوفية . ومن قصائده الشهيرة قصيدة في النفس ومطلعها :

هبطت اليك من المحل الأرفع … ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف … وهي التي سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره اليك وربما … كرهت فراقك وهي ذات تفجع
أنفت وما أنست فلما واصلت … ألفت مجاورة الخراب البلقع
وأظنها نسيت عهوداً بالحمى … ومنازلاً بفراقها لم تقنع
حتى اذا اتصلت بها وهبوطها … في ميم مركزها بذات الأجرع
علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت … بين المعالم والطلول الخضع
تبكي اذا ذكرت دياراً بالحمى … بمدامع تهمي ولما تقطع
وتظل ساجعة على الدمن التي … درست بتكرار الرياح الأربع
اذ عاقها الشرك الكثيف وصدها … قفص عن الأوج الفسيح الأربع
حتى اذا قرب المسير الى الحمى … ودنا الرحيل الى الفضاء الأوسع
سجعت وقد كشف الغطاء فأبصرت … ما ليس يدرك بالعيون الهجع
وغدت مفارقة لكل مخلف … عنها حليف الترب غير مشيع
وغدت تغرد فوق ذروة شاهق … والعلم يرفع كل من لم يرفع
فلأي شيء أهبطت من شاهق … سام الى قعر الحضيض الأوضع
ان كان أرسلها الإله لحكمة … طويت عن الفطن اللبيب الأروع
فهبوطها ان كان ضربة لازب … لتكون سامعة بما لم تسمع
وتعود عالمة بكل خفية … في العالمين فخرقها لم يرقع
وهي التي قطع الزمان طريقها … حتى لقد غربت بغير المطلع
فكأنها برق تألق في الحمى … ثم انطوى فكأنه لم يلمع

ونقول وصيته التي أوصى بها صديقه وهو أبو سعيد بن أبي الخير الصوفي على ماله من عقيدة دينية ومن مبادئ أخلاقية واجتماعية يجدر بنا نقلها كما هي تكملة لبحثنا عن ابن سينا وسيرته .

قال الشيخ الرئيس : « ليكن الله تعالى أول فكر له وآخره ، وباطن كل اعتبار وظاهره ، ولتكن عينهُ نفسهُ مكحولةً بالنظر اليه ، وقدمهـا موقوفةً على المثول بين يديه مسافراً بعقله في الملكوت الأعلى وما فيه من آيات ربه الكبرى . واذا انحط الى قراره فلينزه الله تعالى في آثاره فانه باطن ظاهر تجلى لكل شيء بكل شيء

« ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد »

فاذا صارت هذه الحال له ملكة انطبع فيها نقوش الملكوت وتجلى له قدس اللاهوت فألف الأنس الأعلى ، وذاق اللذة القصوى ، وأخذ عن نفسه من هو بها أولى ، وفاضت عليه السكينـة ، وحقت له الطمأنينة ، وتطلع على العالم الأدني اطلاع راحم لأهله مستوهن لحيله ، مستخف لثقله ، مستحسن به لعقله ، مستضل لطرقه وتذكر نفسه وهي بها لهجة وببهجتها بهجة ، فتعجب منهـا ، ومنهم تعجبهم منه ، وقد ودعها وكان معها كأنه ليس معها . وليعلم أن أفضل الحركات الصلاة ، وأمثل السكنات الصيام ، وأنفع البر الصدقة ، وأزكى السر الاحتمال ، وأبطل السعي المراءاة ، ولن تخلص النفس عن الدرن ما التفتت الى قيل وقال ، ومناقشة وجدال ، وانفعلت بحال من الأحوال . وخـير العمل ما صدر عن خالص نية ، وخير النية ما ينفرج عن جناب علم ، والحكمة أم الفضائل ، ومعرفة الله أولى الأوائل . اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ، ثم يقبل على هذه النفس المزينة بكمالها الذاتي فيحرسها عن التلطخ بما يشينها من الهيئات الانقيادية للنفوس المواذية التي اذا بقيت في النفس المزينة كان حالهـا عند الانفصال كحالها عنـد الاتصال إذ جوهرها غير مشارب ولا مخالط ، وانما يدنسها هيئة الانقياد لتلك الصواحب ، بل يفيدها هيئات الاستيلاء والسيادة

والاستعلاء والرياسة ، وكذلك يهجر الكذب قولاً وتخيلاً حتى تحدث للنفس هيئة صدوقة فتصدق الأحلام والرؤيا . وأما اللذات فيستعملها على اصلاح الطبيعة وابقاء الشخص أو النوع أو السياسة . أما المشروب فان يهجر شربه تلهياً بل تشفياً وتداوياً . ويعاشر كل فرقة بعادته ورسمه ، ويسمح بالمقدور والتقدير من المال ، ويركب لمساعدة الناس كثيراً مما هو خلاف طبعه ، ثم لا يقصر في الأوضاع الشرعية ، ويعظم السنن الإلهية ، والمواظبة على التعبدات البدنية ، ويكون دوام عمره اذا خلا وخلص من المعاشرين ، تطربه الزينة في النفس ، والفكرة في الملك الأول وملكه ، وكيس النفس عن عيار الناس من حيث لا يقف عليه الناس . عاهد الله ، أنه يسير بهذه السيرة ويدين بهذه الديانة والله ولي الذين آمنوا وهو حسبنا ونعم الوكيل» .

أما ما ذكر عن ملذاته وافراطه الجنسي فلا يقبل صدقه كما ورد لأن من كان مثل الشيخ ابن سينا في نبوغه وعبقريته وعلمه وانسانيته ومطامعه ومشاغله وسهره وصلاته ، وفلسفته وصوفيته ، وتآليفه وكتابته ، يصعب علينا وصفه بما كتبه بعضهم عنه . وفي عقيدتي انه براء منه . أليس هو القائل :

احفظ منيك ما استطعت فانه ماء الحياة يصب في الأرحام

فكيف يقول هذا ويفرط في شهواته وملذاته ؟ وماذا تقول عن وصيته وعن سيرته في شبابه ؟ ان الذين ترجمنا لهم سيرتهم اتخذناهم نموذجاً لتصوير الزمن الذي عاشوا فيه ، والحياة الاجتماعية التي تربوا في بيئتها ، وماهية العلوم التي درسوها ، والمناهج الدراسية التي اتبعوها ، وما أردنا تعداد كل من يجب ذكرهم من عباقرة الأطباء العرب بل اكتفينا بهؤلاء الثلاثة خوفاً من الإطالة والخروج عن الغاية وهم في نظرنا خير من يمثلون ثقافة العرب الطبية .

(يتبع) عبد الرحمن الكيالي

عبقرية خليل مطران

في الغزل والتصوير(١)

يرى كثير من النقاد أن مطران حمل راية التجديد في الشعر العربي ، وأنه برع في الغزل القصصي وفي الوصف ، فكان شاعر معان لا شاعر صناعة وصياغة ، وأن عنايته انصرفت الى معرفة الأدب الغربي يقلّده ويحذو حذوه أكثر مما يقلّد القدماء من العرب الفحول ، فانخفض عن زملائه البارودي وشوقي وحافظ في السبك والمتانة ، ولكنه فتح فتحاً كبيراً في صوره وألواحه وتماثيله .

ويرى هؤلاء النقاد أن ذلك راجع الى نشأته وتربيته وثقافته وتقلب حياته ، ونحب هنا أن نستعيد الخطوط الكبرى لهذه النشأة والثقافة مما يفيدنا في عرض غزله ووصفه . فقد ولد الخليل في بعلبك بعد عامين من حرب السبعين ، ولبث العالم يتحدث عن الحرب الطاحنة ، والمدافع الهدامة ، والأجساد المتساقطة ، وانتصار الألمان واندحار الفرنسيين . وسورية كانت تتصل في كثير من أجزائها بجانب واحد من ثقافة هؤلاء المحاربين وعقليتهم ، فلها أن تهتم بالقوم ، وأن تتحدث عن نكبتهم وأن ترهف السمع الى تلك الأحداث ، فدارت حول الفتى أحاديث في سهرات بعلبك وفي بيت مطران ، لا تخلو من أسى وهول ، في بشاعة الانسانية ومصائب الحروب .

ودرج الفتى في هذه المدينة الصغيرة ، وهي لمن يعرفها حديقة زرعت بالبيوت البسيطة ، وفي قلبها أعمدة سامقة ركزها الرومان في القديم ، وخلفوا على جنباتها نقوشاً لآلهتهم ، لعلها أجمل ما بقي من آثارهم في الشرق ، فهي منحوتة على براعة

(١) الكلمة التي ألقيت في مهرجان مطران بالقاهرة في ٢٠ تشرين الأول ١٩٥٩ .

مدهشة ، تمثل إله الحرب مارس وعليه درعه ، وديانا إلهة الصيد ، وباخوس إله الخمر وحول رأسه عناقيد العنب ، وإلهة العشق وبين ثدييها تجسّم ولد ذو جناحين هو كوبيدون رسول الحب والهوى وعلة القلب في كل شاعر .

هذه الأعمدة كانت تبعث التاريخ والأسى والجمال والعظمة ، يراها الفتى إذا أصبح ويراها إذا أمسى ، قائمة الى السماء مائلة نحو الأرض ، أو نائمة الى الأبد ، فتلهو عيناه الصغيرتان بالجواري ؛ والحور والعنب على أطرافها ، وقلب الفتى يعبث بالتاريخ والقصص فيحلم بالحب الذي نبت في ظلالها والهوى الذي عاش في أكنافها . وبذلك ولد في نفسه عاملان عامل النحت وعامل الحب ، وقامت في قلبه مشاعر القصة والحزن والكآبة .

فلما زحزح عن بيروت وكليتها وعم باريس لقي الجمال كذلك في كل زاوية ، وتنشق العطر عند كل شجرة ، وتعلق وهو في الثامنة عشرة بينابيع الأدب الغربي ، يعب من الرومانسية السائرة ، فيعشق فيني وموسه ويحفظ من شعرهما ، ويسهر مع مسرحيات باريس في قصص جميل .

وعلى هذا كله أصاب الفتى مرض العصر في لبنان وهو الهجرة والرحلة ، فوقف بين شيلي ومصر ، ولكن مصر تغلبت أخيراً ، فعاد اليها ليقضي فيها قرابة خمسين سنة ، وفي برديه كآبة الماضي ، ورحلة التاريخ ، ونقوش الجمال ، ورومانسية الشعر . فقام في نفسه أن يحدث حدثاً في الأرض المضيفة ، وعزم على أن ينقل الشعر الغربي والمسرح الغربي الى مصر ، ففكر في أن يجعل الشعر العربي الذي ينظمه على غرار ما حفظ وما سمع ، وراح يعمل له في فهم جديد وروح جديدة على جناحين من تصوير بارع وقصص في الحب ، فكان منه ديوانه الأول ، أصدره سنة ١٩٠٨ وعمره ست وثلاثون سنة ، هو الذي يمثل شعره في رأينا ، وهو الذي نقف عنده خلال هذه الدقائق لنرى الى الغزل والوصف كيف كانا منه .

صدر الديوان « ببيان موجز » شبه فيه الشعر الذي بقي له ببقايا السفينة الغريقة والقطع السالمة من الآثار ، فأذكرنا ببقايا بعلبك . وقال انه لن يخشى الخروج على المألوف من الاستعارات والمطروق من الأساليب ولكنه سيحتفظ جهده بأصول اللغة ، ورد على من سخر من شعره العصري قائلاً : « فياهؤلاء ، نعم ، هـذا شعر عصري ، وفخره أنه عصري ، وله على سابق الشعر مزية زمانه على سالف الدهر » . ورسم في هذا البيان خطتـه فقال بأنه لا ينظر « الى جمال البيت المفرد ولو أنكر جاره ، وشاتم أخاه ودابر المطلع ، وقاطع المقطع ، وخالف الختام » . فقضى على نظرية الجمال في البيت الواحد ، والشاعر بالبيت المفرد ، وأراد أن يكون الجمال بجملة القصيدة « في تركيبها ، وترتيبها وتناسق معانيها ، وتوافقها ، مع ندور التصور ، وغرابة الموضوع ، ومطابقة كل ذلك للحقيقة ، وشفوفه عن الشعور الحر وتحري دقة الوصف ، واستيفائه فيه على قدر » كما قال .

بهذه الصرخة كان خليل مطران يرسم الشعر لنفسه ولجيله فيقول : « انه شعر المستقبل لأنه شعر الحياة والحقيقة والخيال جميعا » . وعلى هـذه الخطة سار في ديوانه الأول بواكب العصر والزمان ، ففشل في بعض ونجح في بعض ، ولكنه سار على الدرب ، وسارت قوافل الشعراء مثله على الدرب نفسه ، في المهجر ولبنان وسورية ومصر ، لأنها أحست كما أحس بضيق المعاني ، فأرادت أن تفتح على الغرب ، نوافذها ، تطل على ألوان جديدة ورسوم جديدة شريطة أن تستمد جذورها من عبقرية اللغة العربية وغناها وجمال طواعيتها للمعاني البعيدة المولدة ، فهي قد أعطت أبداً على الزمان لم تمنع ولم تضن .

وفي هذا الديوان الأول طغى شعر القلب على كل شيء حتى قال مطران نفسه : « الحب ثلاثة أرباع شعري » ولعله أراد أن يسد النقص في قصص الحب

لعصره ، فيملأ الخالي من حافظ ويوضح الخفيّ من شوقي ، بل لعله أراد أن ينتصر لهذا اللون في معركة الشعر ، على قصص جميل جديد .

كان في حديقة الجيزة أصيل يوم ، فرأى فتاة تنظر في عيني أمها ، وتصلح شعرها ، فوصف منها الثياب والقوام وقال :

جلست تقابل أمها وكأنما ... كلتاهما جلست قبالة رسمها
وتناثرت ضفر الفتاة غمائمـــا ... سترت عن الأبصار طلعة نجمها
فتحيرت فيما تحاول وهي قـــد ... أعيت بلا مرآتها عن نظمها
فدنت تحاذي أمها وتناظرت ... بعيونهـــا وجلت سحابة همها
وكذا الفتاة إذا أضلت ساعة ... مرآتها نظرت بعيني أمهـــا

وأحب أن نتلفت الى الرقة في الوصف والتغزل ، والتخلص ، لقد أعارها الخليل من شعره مرآة جلت وصفها وهو في الثانية والعشرين ، وأنامله ما تكاد تقوى على صنع المرايا ورسم الألواح ، فاذا أمسكت بازميل النحات والمثال ، طمحت الى مثل ما صنع الرومان في بعلبك .

ودرجت السنون وازميل الفتى يحت من قصص الحب معهودة ومروية ، كأنه ترجمان القلوب وبستان الأحبة ، يسيل دمعه حيناً في فرح ، وحيناً في أسى ، فهو يبث شكوى المحبين ، ويفضح أقاصيص المغرمين ، ليخفي وراءها هواه وآلامه . فكان يقلد الرومانسيين ويتبع ألفريد دهفيني حين يتحدث هذا الشاعر عن بنت يفتاح وقد نذر أبوها قرباناً أن يضحي بأول شخص يلقاه حين يعود منتصراً ، فاذا بابنته تخرج أول من يخرج للقائه ، أو حين يتحدث فيني عن الحب في قلب موسى الكليم عليـه السلام ، بل لعله يتشبه بليالي موسه الأربع ، والألم ينبع من نفس الشاعر ، والآلهة تحثه على الصبر ، أو أنه شبيه بقصائد موسيه في الصفصاف ، ونامونا ، ورولا ، وكلها تتغنى بالحب الباكي والغرام الحزين .

وعلى متن هذه القصائد الغرامية التي نسجها مطران ركب الى ساح الشعر الغربي ، فانتقل من ميدان المقطعة الغزلة أو مطالع النسيب التقليدية الى قصائد جعلها برمتها لهذا الغرض ، وصف فيها الهوى بين الفتى والفتاة وترجم ما كان بينهما من لقاء ، وأحداث ، وعواطف ، ومشاعر . فأصبح الشعر على يديه طامحاً الى أن يجاري أدب القرن التاسع عشر في فرنسة . وبذلك رسم مطران قصص الهوى في نفوس غيره ، فوصف ضلوع الأحبة وأفئدة العشاق التعساء ، وقام للشعر الرومانسي في جوى وحرقة وألم . واستعار قلوب الناس ليرسم ما في قلبه .

وألحّ مطران على ذلك حتى كانت قصة حبه سنة ١٨٩٧ ، وهو في الخامسة والعشرين من عمره ، فنظم قصيدة جعل عنوانها «حكاية عاشقين» وقدمها بقوله : «تتبع الناظم وقائعها ، وكان فيها ترجمان ضمير العاشق ولسان فؤاده» . وهذه القصيدة استهوت النقاد ، واستحوذت على اعجابهم ، فتحدثوا عنها ، لأنها حقاً أطول قصائد العشق في الأدب العربي ، بل انها مجموعة مقطعات وقصائد يتغير فيها الوزن والقافية ، ويظل المعنى متلاحقاً متتابعاً ، كأنها مسرحية شعرية لمتكلم واحد (مونولوج) . وصف فيها مطران رواية الحب منذ اللقاء حتى الختام ، فيها حديث القلب ، ونعيم الحب ، تحت ضوء القمر أو في ظل الشجر ، أو على النيل المبارك ، وفيها الغضب والرضا ، والصحة والمرض . وقد ختمت بفاجعة ، لأن الفتاة سافرت الى الشام ومرضت وماتت . ومرض الفتى حتى لكأنه رسم محيل ، أو بيت عتيق شيد فيه لعابد ورع مقام .

ثم وجد الحب منديلاً بين ملابسه أبلاه مرور أعوام لم يسلم منه إلاّ الموضع الذي طرز عليه حرفان مشتبكان من اسم حبيبته ، فاستبكى وراح يغني شعراً وختم القصة بدمعة على قبرها ونجوى في ذكرها .

وهذه القصيدة المتقطعة في أوزانها وقوافيها وقعت في ديوانه على ست وثلاثين صفحة ، فكانت قصة الحب الطويلة ، هي قصة الخليل نفسه هزت كيانه فيما قيل ، وبدات من شخصيته ، فعاش أعزب لم يتزوج بعدها أبداً ، وقد قالوا ان هذه الصدمة العنيفة كانت نهاية حبه ختمه حبها ، فماتت عذراء ، وقضى عمره شهيد الحب ، فكأنها من مسرحيات شكسبير .

وبعد أن عرفنا القصة نحب أن نستمع الى صور قليلة منها ، مثالاً على أسلوبه في الغزل القصصي أو قصة الغزل ، قال يرسم أثرها في نفسه :

ان لي في الغيب الفاً قد نأى عني نفورا
حجبت منه الليالي عنيَ الصبح المنيرا
منيـة قد أصبحت في خاطر الدهر ضميرا
فارق الدنيا وأبقا ني جزوعاً مستطيرا
أبتغي السير اليـه حيثما بات قريرا

* * *

فاذا أدركتـه أطفأ تُ من وجدي السعيرا
واتحدنا فاغتدينا مزج روحين سرورا
نفحة إن هي إلاّ نسمة ضمت عبيرا [1]
أو شعاع ان تبينت فنور ضم نورا

ويعف الحبيب عن لقاء غيرها على كثرة ما وقع له من فرص ، فيقول مناجياً منديلها :

وكم عرضت لي غانيات فعفتها وصنت ضميري واللسان المشببا
وكم بلد وافيتـه متلهياً فغادرته أدمى فؤاداً وأكأبا

(١) في الطبعة الثانية : « وتآلفنا على الدهر نسياً وعبيراً » والبيت بعده : « أو شعاعاً » .

وما زال هذا الحب فيّ مؤبدا مكيناً نبت عنه السنون وما نبا
وما زلت يا منديل ليلى ملازمي تنشقني الذكرى نسيماً مطيبا
أصابك ناب قارض من فم البلى الى موضع فيه اسمها فتجنبا
وغال فؤادي البين الا بقية قضى الحب أن أحيا بها فأعذبا

وسافر الخليل بعد هذه المأساة الى الشام سنة ١٨٩٩ ، ليستشفي من جراح قلبه وجسمه ، ويرى من جديد مدينته بعلبك وجارتها زحلة «جارة الوادي» . فلما عاد الى مصر أقبل يستمع الى قصص الحب والهوى ، يرى فيها صورة حبه ونشيد أيامه ، فيصوغها ألحاناً يبثها ألمه وبكاءه ، فهو مشوق حين يلقى العاشقين . وكان أن وقعت اليه قصة فتاة أحالها الحب من الطهر الى السقوط فنظم فيها .

هذه الفتاة فلاحية قدمت مع المهاجرين ، وكان أبوها واخوتها في فقر مدقع ، فضت تستجدي الأكف من السابلة لتعول أسرتها ، فلما أصبحت صبية جميلة دفعها أبواها الى حانة ترتزق منها ، وتصيب عيش أهلها ، فراحت في هذا القبو العفن تشرب وتسقي حتى أصبت لها شاب مخادع حبال الصيد ، ومناها بالزواج فأطاعته في الهوى حتى كان له منها ما أراد ، وحملت جنى غير مشروع ، فتركها ولاذ بالفرار . وقاست بعده آلاماً مبرحة من ذل وفقر وعار ، فمات ضميرها وقضت على جنينها الشهيد ، ونسيت الذي كان من شرف ، وغدت في خمارتها الجديدة ، بؤرة للسقوط ، لتشهد العالم على شرور الرجال وضعف النساء .

وهذه القصة ليست جديدة ، لأنها قد تقع في كل ساعة بالشرق والغرب ، انها قصة آدم وحواء ، جنت حواء فيما قالوا مرة ، فراح آدم يجني في كل سانحة مرات . ومسارح باريس مشغوفة حباً بهذا اللون ، شهدها مطران وفهمها ، وتأثر بغادة الكاميليا وأخواتها فيما تأثر به .

والمهم أن مطران نظمها في قصيدة طويلة كذلك استغرقت ثماني عشرة صفحة متصلة لا انقطاع فيها ولا عناوين بينها ، على بحر واحد ، وروي مختلف ،

في أبيات مخمسة جعل عنوانها « الجنين الشهيد » وقصّ فيها حكاية الحب ، فكانت من الغزل القصصي البارع ، وكانت القصيدة المدوية التي دفعت الشاعر الى الشهرة ، قرأها نجيب الحداد فقال : « ان هذا المذهب في اعتقادي هو مذهب الشاعر في المستقبل » . وقال صاحب مجلة مصر كيس : « انها الياذة الشعر الحاضر ، ومعلقة النهضة الشعرية العصرية » . وذلك لأن الشاعر اعتمد على وحدة القصيدة ، فكان كالغربيين سواء بسواء ، حتى لكأن قصيدته مترجمة أو منقولة . وانها على بساطة في الأسلوب وسهولة في اللفظ ، ولو انها لا تقف للشعر الجزل الذي كان يرسله شوقي وحافظ .

ومردّ النجاح عند مطران في هذه القصائد القصصية للغزل هو هذا الوصف الذي كلف به الشاعر ، وطاوعته ريشته في رسمه ، فصوّر الحب تصويرا ، وكان في هذا الباب الشاعر الوصّاف . فكل غزله يعتمد على القصة ، والقصة تعتمد على الوصف والتصوير ، وقد كانا من أكبر الأسباب في شهرة مطران .

***

ان الوصف كان على لسان شاعرنا تصويراً للمنازع والمشاعر والعواطف ، وكان تصويراً للمشاهد والجمادات ، تأثر فيه الغربيين ، وشغف حباً بالألواح التي خلدها شعراؤهم . فأراد أن يكون في أدبنا رسام المشاهد الكاملة حتى لقد وازنه النقاد بابن الرومي على بعد ما بينهما من أهداف وأغراض .

والحق أن الخليل اعتمد على الوصف في مديحه وفي رثائه وفي قصص الحب ، فوصف الرجال أحياءً وأمواتاً ، وصفاً انتزعه من صميم الحياة ، في خيال قويّ وشعور واسع ، وحيوية فياضة كانت ينابيعها من صباه ومن رحلته ومن ثقافته ونفسيته .

تختلف منذ صباه مشاهد في الوصف جميلة ، لعله استقاها من صور الصبي ونقوش بعلبك ، فسمت بذاه الى نحت نقوش نابليون الأول حين انتصر ، ونابليون الثالث حين انكسر ، وكان في هذه القصيدة الفنية يربنا أول محاولة لوصف القتال ، والفناء ، والبشرية المتحاربة فقال في نابليون :

الجد رهن اشارة بيمينه والنصر بين يديه كالمنقاد
والفخر في راياته متمثل وطلائع العقبان في ترداد

الى أن قال في الرصاص والقنابل :

تلقى الرجال على الثرى قتلى كما يلقي السنابل منجل الحصّاد

واتخذ سبيله الى صور العقبان عن شعرنا الحمداني ، وصور السنابل عن الشعر الغربي ، ووصف الجيشين يلتقيان ، والهتاف يعلو ، والآلات تجاوب ، والنار في كل مكان كالشهب الضخام والردى غاد وآت ، والجراح تسيل ، والأمهات يبكين الأولاد ، والحزن يعم . فكان مطران بهذا انسانياً يهتم بالمتحاربين لا بالقادة فحسب ، وينظر الى الشعب وما تكلفه الحرب حين الانتصار والانكسار من ألم وفقد وخراب . وهي نظرة بعيدة لشاب ناشئ .

فلما أراد أن يصور آثار بعلبك ، ويرمم الحجر ويستذكر طفولته وعهوده حين يلهو بهند وتلهو به هند ، وصف حاله وحالها كالفراش يجريان في الرياض ، ثم يلتقيان على قبلات عفيفة تحاكي الندى في الأسحار ، ثم انتقل الى الحجر والجماد فقال :

صنعوا من جماده ثمراً يجـ ـنى ولكن بالعقل والأبصار
وضروبا من كل زهر أنيق لم تفتها نضارة الأزهار

وشموساً مضيئة وشعاعاً ... باهرات لكنها من حجار
وطيوراً ذواهباً آيبات ... خالدات الغدو والابكار
في جنان معلقات زواه ... بصنوف النجوم والأنوار
وأسوداً يخشى التحفز منها ... ويروع السكوت كالتزآر
عابسات الوجوه غير غضاب ... باديات الأنياب غير ضواري
في عرانينها دخان مثار ... وبألحاظها سيول شرار

وكثيرة هي ألواح الوصف عند مطران في هذا الجزء الأول من الديوان ، ما نستطيع أن نستعرضها كلها ، فهناك قصيدته في فتاة الجبل الأسود وفي المساء والغروب تحمل ألواناً مختارة من الشعر ، ولكننا نحب أن نختم بصورة عن مصر تقف لصورته عن بعلبك ، وصف فيها بناة الأهرام فقال :

اني أرى عدّ الرمال ههنا ... خلائقاً تكثر أن تعدّدا
صفر الوجوه باديا جباههم ... كالكلأ اليابس يعلوه الندى
محنية ظهورهم خرس الخطى ... كالنمل دب مستكناً مخلدا
مجتمعين أبحراً منفرعيـن أنهراً منحدرين صعدا
أكل هذي الأنفس الهلكى غداً ... تبني لفان جدثاً مخلّدا

وهذه الأبيات على ضآلة موسيقاها ، تلز بالصور العالية للشعر ، ففيها براعة الازميل عند المثال ، وفيها نفسية الشاعر الإنساني ، وقلب الشاعر الاشتراكي ، وعقل المواطن الصالح . ذلك لأنها تأسى لأسى الشعب ، وتحنو عليه ، فلا تقف نفسها على مدح أمير أو تعزية وزير أو رثاء كبير ، وانما تتلفت الى البشر لتصنع منه تمثالاً ناطقاً ، يصور الألم والحزن والبشرية المعذبة منذ ولدت الى أن تموت .

وهذه الأبيات جزء مما خلف مطران لأدبنا ، صرفته الحياة ومشاغلها عن الاتقان فيه والتجويد ، فلم تكن مهنته الشعر فحسب وانما كان يستغرق الوقت من وظائفه في الزراعة والاقتصاد والأوبرا ، ومن أوقات مرضه ليصوغ هذا الشعر الانساني الذي رفعه الى مواضع الإكبار والذكرى الخالدة ، فقد كان مطران أديباً بروحه وخياله مخلصاً لفنه وأمته بشعره ونثره ، محباً للتاريخ في ديوانه وفي تصنيفه ، عبّر عن ذلك في حياته الخاصة وفي شعره الكثير فكسا حياته وأدبه أجمل أبراد الحياة ، واستحق منا أجمل ما تهب الحياة خلوداً على الدهر ، وعرفاناً على الأيام .

الدكتور محمد سامي الدهان

نسخة تاسعة

من ديوان ابن عُنين

- ٢ -

(٦) وقتل الملك المعظم أسداً بالغَوْر فقال شرف الدين بديهاً :

يا ملكاً من بني الأكاسرة الأقيال أهل التيجان والسُرُر
لا خمدتْ نارك التي تُحرق الكفرَ وترمي الصليبَ بالشَرَر
ثم لا زلت دائماً تقنص الأُسْد اعزم أمضى من القَدَر
ما ذا حلوا [1] عنك عند قتلتك الليثَ وليس العيان كالخبر
من وَثبات ومن سُطىً [2] وثبا تٍ قلّ ما يجتمعن في بشر
ثم جميع الأنام قالوا وما فاهوا بَمْيْن في البدو والحضر
ها ملك الوحش صاده ملك الانس فلله ذاك من ظفر
اني [3] (?) عظيم المقدار لم يأت إلاّ بعظيم في الخطب والخَطَر
قُدّس عيسى المعظّم الملك المُظهِر للمعجزات والسِيَر

(٧) وأهدى اليه بعض أصدقائه صابوناً وماء وَرْد بعد نَبْوة كانت بينهما فقال :

فتىً أهدى إليّ اليو م صابونا وماوَرْد
ليغسل عِرضَه ممـا بدا منـه وما يُجدِي
ولو بالبحر أو بالقطر أو بالغيث ان أهدي

(١) كذا .
(٢) سطى أخلتْت به المعاجم ولعله الواوي لو ثبت .
(٣) لعله إنّ .

ولكنّي غفرتُ له ذنوباً مجمّةً تُردي
وما قلت الذي قد قلت عن قصد وعن حقد
فلا تخش أذى السيف اذا ما كان في الغِمد

(٨) وأهدى اليه بعض أصحابه جُبُنّا فقال فيه :

نفسي الفداء لمُهدٍ إليّ سلّة جُبْنِ
رطباً كمثل لساني في مدحه حين يُثني

(٩) وغنّى بعض المطربين في حضوره بهذين البيتين وهما :

هيّج الشوق صحابي وحدا الوجهُ ركابي
وجفا[1] المضجعُ حتّى هجر الطيّفُ جنابي

وسأله بعض الأكابر أن يزيد عليها[2] فقال :

وهو من فرط غرام في نحيب واكتئاب
طائر العقل حزين ليس يُهدى لصواب
في هوى ظبي غرير فاتن حُلو التصابي
ما براه الله إلاّ لعنادي وعذابي
أين أيامي المواضي لو أُعيدت وشبابي
هل لما فات رجوع من وصال وتصابِ

(١٠) وكان أبلّ من مرض واحتاج الى فتائل عَنبَر مصنوعة بفَحْم الكَرْم فكتب الى الشيخ تاج الدين[3] أبي اليُمْن زيد الكندي رحمه الله يطلب منه شيئاً من ذلك يقول :

(١) الاصل وخفى .
(٢) الاصل أن يزيدها .
(٣) النحوي المعروف ترجم له كثيرون .

يا أيها المولى الذي عرفه ... يضوع كالمسك مع الغاليه
مبدل وقد ألبسه الله (كذا) من ... لطائف البرء حلى حاليه
وكل هذا بسعادات مو ... لانا ومن همته العاليه
وهي التي قد أصبحت ترتجى ... بأنها تنظر في حاليه
لكنني أسأل من فضله ... طيباً له من خشب الداليه
فنشره لا شك من نشرك الـ ... طيب يحيي الرمم الباليه
فان عندي كاسمه ضده ... شربته[1] الساعة من ماليه
والكرم[2] مفهوم فوا خجلتي ... من كل ما قلت وإدلاليه

(١١) وعمل صفي الدين بن شكر رحمه الله مقامة فأخذها شرف الدين يطالعها وكتب على حاشية الكتاب :

مقامة مولانا الوزير جليلة ... سمت وعلت في الناس مثل مقامه
غدت أبحراً في عظمها وهي قطرة ... اذا نسبت من فضل بحر كلامه
يقوم لها الأقوام من عظم قدرها ... كما قعدوا عن نيل بعض مرامه
حوت من فنون العلم كل غريبة ... وأعجوبة من نثره ونظامه
فكم خبر مع آية جاء ضمنها ... وشكل معمّى مشكل في انعجامه
تعالى الذي أعطى الوزير مناقبا ... يفوق بها في مصره وشآمه

(١٢) وناوله الملك المعظّم يوماً رسالة بخط ابن البوّاب فتأملها ثم قال بديهاً من ساعته :

خطّ عليّ بن هلال غدا ... في حسنه كالأعين الدعج
ما خطّ في درج ولكنه ... سمط لآل حطّ في درج

(١) الاصل شربته .
(٢) الاصل واكرم .

(١٣) وكتب على يد الشيخ الإمام العلامة نجيب الدين أبي الفتح نصر الله ابن الصفّار المعروف بابن الشقيشقة شفاعة للأمير محمود الارموي نسيب ابن المجاور الى بهاء الدين محمد بن التبني :

أيها السيّد الذي جعل المجدَ لراجيه واجباً مفروضا
في صديق رأى ثنائي طويلا ومديحي جمًّا وشكري عريضا
وقيامي في كل واد حوَى السا دات أتلو مآثراً لك بيضا
ظنّ خيراً وقال لي سله في أمري وعرِّض بحاجتي تعريضا
فعساه يَريش مني جناحاً غادرتْه يد الزمان مَهيضا
قلت دعني فان جاهي مريض ومريض فلا يداوي مريضا

قال نجيب الدين فقبل شفاعته والتزم طاعته وجعل ميقات قضاء حوائجه ساعتَه .

(١٤) وقال في وصف بِرَك اللينوفر :

فكأنما البِرَك الملاء يحفُّها أنواع ذاك الروض والزهر
بُسُط من الديباج بيض فُرِّوزت أطرافها بفراوز خُضر

(١٥) وقال يوماً للشيخ نجيب الدين ما أحسنُ ما تحفظُ في التشبيه في الغزَلْ فأنشده في صبيّ حائك :

غُزَيِّلٌ لم تزل بالغزْل جائلةً بنانُه جوَلان الفكر في الغزَل
جذلانَ تلعبُ بالمحواك أنملُهُ على السَّدَى لَعِبَ الأيّام بالدُّوَل
ما إن يني تَعِبَ الأطراف مشتغِلا أفديه من تَعِبِ الأطراف مشتغِل
جَذْباً بكفّيه أو فحصاً بأخمصه تخبُّطَ الظبي في أشراك محتبِل

فقال شرف الدين أشهد بالله لقد تستحقّ هذه الأبيات أن تكتب بذوب السعادة على صفحات الزمان وتقام في الشرف على الشعر مُقامَ الانسان من الحيوان ثم فكر ساعة وأنشد مرتجلاً :

وأهيفَ يحكي الغصنَ لِينُ قوامِه   وتغرق في ماء النعيم غلائله
إذا ما بدا من شعره في ذوائب   رأيتَ غزالاً لم ترُعه حبائله

فلما سمعها الشيخ نجيب الدين اهتزّ لها اهتزاز الطَّروب للأغاني، وأقسم أن ليس لقائلها ثاني، وقال من حق هذه أن تكتب بماء الأحداق على صفحات القلوب وأن يُستنزل بها القطر بعد القنوط ويُستطلع بها الشمس بعد الغروب .

(١٦) وكتب إلى صلاح الدين الإربلي الكاملي بالديار المصرية وهو مريض يستزيره :

علَّ ريح الشَّمال تحمل أشوا   قي وتهدي تحيَّتي وارتياحي
ثمَّ تشكو إليكم جَورَ دهر   بزَّني قوَّتي وقصَّ جناحي
ألبستني صروفه ثوبَ سُقم   غيَّضت شِرَّتي وبان مِراحي
كلَّما قلتُ قد تنكَّب نبل الدهر   عنّي رمى فأصمى جِراحي
وصلاحي في أن أراك فإن لم   يأذنِ الله لي عدمتُ صلاحي
فهنيَّاك لاثمي كفّك السبط ومرأى[١] جبينك الوضّاح

(١٧) وعمل هذه الأبيات لما سافر الملك الناصر داود إلى إربل سنة ٦١٧ يتشوّقه ويذكره :

عليك سلام الله داودُ حيثما   تبوّأتَ من مستوعَر ودَهاس[٢]
ولا زالت النعماء تلبَسك كلّما   ذوَى ملبَسٌ بُدِّلتَه بلباس
رحلتَ فلا والله ماالعيش بعدك الهنيء   ولا الناس السَّراةُ بناس
كريم ذخرناه لعام محاذر[٣]   ويوم مباهاة وساعةِ باس
وإنَّ حلوماً لم تَطِش يوم غُربة النوَى   لحلومٌ كالجبال رواسي

---

(١) الاصل ورأى .
(٢) الاصل دماس .
(٣) كذا .

فياقلب عبسى هل من الصخر كُوّ نت حصاتُك أم كل القلوب قواس
فيانفس لا تستحيي بمسرّة ويا مقلتي لا تطمعي بنعاس
فمالك من أسر الغرام مخلّص ولا لك من داء الصبابة آس
وماهاجت الذكرى إليك صبابتي ألا إنّما الذكرى تهيّج ناس[1]
وإني لأرجو اللهَ واللهُ قادر على جمع شمل منك بعد إياس

تمّ فصل الماجريات

الفصل الرابع

في الألغاز والأجوبة فيها وما دار بينه وبين الفضلاء فيها

ص ١٤٩ س ٩ أصلنا : تتوج ومقلات وهو الصواب . على ما اختاره محققه . وأصلنا وما لامست ذكر .

ص ١٥٠ س ٣ : يريد العقعق والربرب

س ١٠ : يتلوه سادس .

فبين الآن ما أقول فما تركت مهراً من أمره يكتتم

ص ١٥١ س ٣ : يريد الوراء (الخلف) وحرف الشين .

بعد س ١٥ :

وقال أيضاً ملغزاً في الفدفد : (١٨)

وما اسم رباعيّ إذا ما قلبته تراه[2] على التكرار من آلة الغنا
كما أنه من غير قلب ترونه إذا ما حللتم جوزه موجب العنا

---

(١) ناسيا .

(٢) يرى الدفّ مكرّرا ، وقطع الفدفد (البيداء) لا يخلو من عناء . والجوز الوسط .

(١٩) فقال أيضاً لغزاً في لاحوق :

وما اسم خماسيٌّ إذا ما طلبته وكلّفت نفسي عادة ما عهدتها
فان قيل لي حرفان من أوّل اسمه وَدِدتُ بأن الروح منّي فقدتها

ص ١٥٢ س ٥ : تداعت وكذا في أصلنا ولا غبار عليه ·

ص ١٥٣ س ١ : عندنا مجد الدين محمد نسيب الامام فخر الدين محمد ابن عمر الرازي ·

ص ١٥٣ س ٢ أصلنا : ذا عينين ما ·

س ٦ أصلنا : إذا حزّ ···· غدا نازباً فأعجب وصفتُ ·

س ٨ أصلنا : اقتضبتُ ···· والحلما ·

ص ١٥٤ س ٢ أصلنا : إليه رَجاءٌ ·

س ٣ : ونَرْوَى متى نروي · ونظماً اذا ·

ص ١٥٥ س ٢ : محكمة محكماً ·

س ٧ أصلنا : ألفيتَ · يريد الخيل الفَرَس ·

س ٨ : الخلل في القول والعمل ·

س ٩ أصلنا : لا يبخل ·

ص ١٦٤ س ٥ أصلنا : الطفل في الدار إن حضر ·

ص ١٦٥ س ٨ أصلنا : وسارية ·

ص ١٥٧ س ٧ : اللُغز في أصلنا مختلف ونصّه :

وما اسم رباعي اذا زال نصفه غدا حالَ حُرٍّ شفّه طولُ هضمِهِ
وإن حسبوا ربع اسمه وتبيّنوا له عدداً ألفيتَه مبلغَ اسمه

قوله : غدا الخ أي بقي فَرّ ماض من الفرار وهو حال حرّ مسّه الهَضم

الظُلَم · وقوله وإن حسبوا رُبع اسمه يريد الميم وهو في حساب الجُمَّل أربعة (كذا بدل أربعين) وحروف الاسم جميعه أربعة فرُبعه يقاومه ·

ص ١٥٨ س ٥ : ملغزاً الخ ورد بيتا اللُغز بأصلنا وهما :

ما اسمٌ رباعي ولكنّه فعلٌ لذيذٌ طولُ تردادِه

إن سلبوا أوّلَه يغتدي وصفَ طَروبٍ عند إنشاده

فأجابه شرف الدين بديهاً : يا جامع الفضل البيتين ·

ص ١٥٦ س ٥ أصلنا : في القلب منتشراً ·

س ١٠ : المتاح بالقلب حاتم ·

ص ١٢٥ س ٥ بأصلنا : الشرف الأعلى موضع في ظاهر دمشق يُسدون[1] فيه الحاكةُ الغَزْل · وكان له عمٌ يقال له المجد فيه بذاءة وسفاهة يغلب بها الأفرارَ اهـ ومجدي : وعمّي المجد ·

ص ١٢٧ س ١ بأصلنا : مُلغزاً في رجل حائك صار قاضياً ببلاد العجم ونَسَجها على ذلك المنوال أيضاً · وخُيِّل إلى القاضي حين سمعها أنها مديح وأجازه عليها · وعندنا دَيندورَ ·

ص ١٢٧ س ١٢ : أنا ملك الوساع ·

ص ١٢٨ س ٧ : للخلائق ·

ص ١٧٤ س ١٢ : عندنا وقال أيضاً ملغزاً في الكاركة التي يُستخرج بها ماء الورد وكتب بها على يد الشيخ نجيب الدين الى عفيف الدين بن عَدْلان الموصلي النحوي ، الميمني وأرى الكاركة فارسيّة أصلها كارگاه موضع العمل أي المعمل ·

---

(١) من باب أكلوني البراغيثُ . عامية .

ص ١٦٧ س ١٣ : إذا ما اقتدى ... بحُكمهم .

ص ١٦٧ س ١٤ : إذا ضمَّهم «فتر» وهو الصواب .

ص ١٥٨ س ١١ : فلستُ أُجيبهُ .

ص ١٧٥ س ٢ أصلنا : الفوا في خدودها [1] .

ص ١٦٨ س ١١ : السُكيت يوم الفخار .

ص ١٥٩ س ٣ : وكشف السِتر عيبا .

ص ١٧٢ س ٦ : جمع البيضة بيض بنقصان حرف . و (صيث) مصحّف عكسه .

ص ١٧٢ س ٨ : محمد الخوارزمي .

س ١٢ : تنقصْنا الفرزدقَ أو .

ص ١٧٤ س ٢ أصلنا : يُرَى كبرْ .

س ٤ أصلنا : بين نهي .

ص ١٦١ س ٢ : أي إذا جُعل اليأس بأساً بالموحَّدة .

س ١٣ : وعَدَّهُ سبعة .

ص ١٧٨ س ١ : يليه :

وقال أيضاً لُغزاً في شمخ :

(٢٠) لي حبيب الخدّ ماشين بالعذار منه ذلك الطرس (كذا)

كأنّه الشمس ولكنّه تكسف إن قابَلها الشمس

لو ان تصحيف اسمه وصفُه دامت له الراحة والأُنس

ثلاثة أحرفه إنما تصحيف معكوس اسمِه خمس

---

(١) وفي س ٨ ألا فاسقياني .

وقال أيضاً لغزاً في شبل : (٢١)

لي حبيب سمّوه باسم عجيب ليس[١] تصحيف عكسه بيقين
باسم شيء تخافه الإنس والجن وتحمي حماه أسد العرين
نقطوا رأسه بنصف[٢] الثريا ولعانيه راقص الشين (كذا)

وقال أيضاً ملغزاً في الطير المعروف بالقُطرب وهو طير يلمع في الليل (٢٢)
كأنه السراج أو الكوكب :

وما اسم اذا شاهدته ورأيته ترى عجباً من صنع معنى لنصفه
تشاهد منه آيةً في حنادس الدُجى حين يبدو وهي غاية وصفه
يحاكي[٣] الشهاب ثاقباً في سمائه على أرضه فانظر له واضعفه

وقال أيضاً ملغزاً في اسم نصر الله وكتب بها الى الملك الأعظم (كذا) : (٢٣)

وما اسم سباعيّ سعدنا بشخصه ثلاثة أسباع لذي السعد تصحبه[٤]
وان الذي يبقى الفداة من اسمه بلا شبهة يعطيه عيسى ويوهبه
فقل ما اسمه ان كنت تفهم أنه من الله في كل المواطن تطلبه

وقال أيضاً ملغزاً في الخُلد : (٢٤)

وما حيوان لا يرى ما يضرّه وينفعه في ليله ونهاره
فقير فلا عين ولا ورِق له[٥] ولكنّه يَغْنَى بحسن اصطباره
له جنّة ما جازها منذ حازَها ولكنّها محفوفة بالمكاره
اذا ركبَ الخيل الجياد أذلّها وأهزلها من بأسه واقتداره

(١) عكسه لبش ومصحفه (ليس) باليقين .
(٢) بثلاث نقط ويقال ان نجوم الثريا سبعة :
اذا ما الثريّا في السماء تعرّضت يراها الحديد العين سبعةَ انجم
(٣) الأصل حكى لشهاب ثاقب . والله اعلم .
(٤) الأصل يصحبه .
(٥) الأصل عنده .

هذا مليح جداً . (هنا منتهى الورقة [١] ويتلوها على الآتيه ما سيأتي من دون عنوان) :

(٢٥) وروضة من أديم الحم منبتها — أزرى (؟) بكل حرير حيك بالذهب
تبارك الله كم فيها وحل بها — من آية أودعت حقاً ومن عجب
أكرم بها روضة أبدت زخارفها — وما ألمّ بها صوب من السحب
فأبرزت كل لون فائق حبر — وكل شكل بديع الحسن منتسب

(٢٦) وقال أيضاً لغزاً في أرغش :

وما اسم رباعيّ من الترك قدّه — بقدّ فؤاد المبتلى أيّما قدّ
يقيه بمعكوس الثلاث من اسمه — وتصحيفه من وافر أسود جعد
ترى الصبح يبدو من أسرة وجهه — على فرع ليل طائل (؟) لاح مسود

تمّ فصل الألغاز .

الفصل الخامس

(المطبوع ص ١٧٩) في الأهاجي التي وجدت له عفا الله عنه ، ولم تكن قصده بها الغيبة والثلب ولا المعيبة والسب . لكنه كان يرى المعنى يشتهي نظمه فلا يتأتى له إلا في الهجو فينظمه مداعبة مع أنه لم يفحش في الهجو . وأنا أسأل الله له العفو . ودليل ذلك قوله في بعضهم :

ما إن مدحتك أرتجي لك نائلاً — فحرمتني فذممت باستحقاق

البيتين ص ٢٠٧ .

---

(١) أي يمكن أن يتخلل الورقتين خرم .

قال يهجو جماعة من أهل دمشق بقصيدة سمّاها مقراض الأعراض (ص ١٧٩) اهـ في مرآة الزمان ٨ × ٦٩٦ حيدرآباد أنها في ٥٠٠ بيت . وللموفق ترجمة طويلة في مرآة الزمان ٨ × ٤١١ أيضاً .

ص ١٨٠ س ٦ : الضب يفرّ من الماء ومن أمثالهم : بيني وبينه كما بين الضبّ والنون ، (الحوت) .

ص ١٨٠ س ١٠ : للخليط .

ص ١٨٢ س ١ : كلية السر (كذا) .

س ٥ : من جَبَل . و (من حبل) من خطأ الطبع . ورواية البيت عندنا كرواية الصلب .

ص ١٨٢ س ٨ : من حادث ومن خطب .

ص ١٨٣ س ٢ : أو تجشّع ما وراءهم .

ص ١٨٤ س ٤ : مُحال بالضمّ (الميمني) .

ص ١٨٤ س ٦ : والأب والجدّ .

س ٧ : كان القاضي الفاضل أحد .

س ٨ : ناديت بالمقترين ويحكمو البيت .

حدثني بعض من كان يصحبه أن هذه الأبيات التي هجا بها أهل دمشق لم يكن له فيها غرض ولا أرَب ولم يخطر بباله ، ولا في هؤلاء المذكورين أحد كان بينه وبينه ما يوجب الهجوَ . وإنما الباعث على ذلك أنه لما كان ببلاد العجم سمع رجلاً ينشد الشريف ابن[1] الهبّاريّة العبّاسي قصيدة يهجو بها

(١) توفي سنة ٥٠٤ هـ كان خبيث اللسان هجّاء يربي فيه على ابن عنين وغيره وله الصادح والباغم وانظر الوفيات (محمد بن محمد) ومرآة الزمان ٨ × ٥٨ والقصيدة هنا مصحّفة غاية التصحيف ووقفت عليها بعد لأي في تاريخ آل سلجوق لعماد مصر ص ٦٠ وقد أسقطت منها ٦ أبيات لخلل فيها .

أهل مدينة من بلاد العجم فكتبها منه ثم عمل هذه على حسنها (كذا) وحذا فيها على حذوها ونسج على منوالها ·

وقصيدة الشريف ابن الهبّاريّة أوّلها :

لو أنّ لي نفساً صبرتُ [١] لما ... ألقى ولكن ليس لي نفسُ
ما لي أقيمُ لدى زَعانفةٍ ... شُمّ القرون أنوفُهم فُطس
في [٢] مَأْتمٍ من سوء فعلِهم ... ولهم بحُسن مدائحي عُرسْ
ولقد غرستُ المدحَ عندهم ... طمعاً فحنظلَ ذلك الغَرْس
الشيخ عَيْنُهم وسيِّدهم ... خَرِف لعمرك باردٌ جِبْس

يعني بالشيخ الوزير الأعظم نظام [٣] الدين الكُنْدُري وزير السلطان ملك شاه ·

كالجاثليق على عُصَيّته ... يعدو [٤] ودار خلفه القَسُّ
والناصح [٥] الفندور حتى إلى ... جَنْب الوزير كأنه جَمْس
وأبو الفتوح [٦] وأنت تعرفه ... وسهيل مثل الكلب ينْدس
وخليفة الريّ الخبيث له ... بالتيس فَرْطُ القرب والأُنس
وأبو الغنائم في تبَظْرُمِه ... يعلو وليس ليومه أمس

يعني بأبي الغنائم [٧] تاج الملك بن رئيس الرؤساء ·

---

(١) العماد : هربتُ .
(٢) العماد : لي مأتم . واراه للصواب .
(٣) هو نظام الملك قوام الدين وقتل سنة ٤٨٥ منشيء المدارس . وأما الكُنْدُري (وكندر كبرث قرية بنواحي نيسابور) فهو عميد الملك أبو نصر وزير طغرلبك اوّل ملوك السلاجقة المقتول سنة ٤٥٩ هـ خَرِف لأنه ناهز الثانين .
(٤) من العماد واصلنا : دابر خلفنا كذا . والنسختان فيها سقم .
(٥) منه واصلنا : والناصحي الهندروجي كذا . و (حتى) تصحيف .
(٦) الحكيم ابو الفتوح المستوفى النصراني الطوسي من اصحاب نظام الملك تتمة الصوان رقم ٢٠ وحواشيها ص ١٨٥ وابن الاثير ٤٧٧ .
(٧) الوزير بعد نظام الملك صهره وكان السببَ في قتله فقتله غلمان نظام الملك شرّ قتلة سنة ٤٨٦ وهو ابن ٤٧ سنة . المعروف بابن دارست .

والزوزني[١] فبارد سَمِجٌ كالموت فيه البَرْد واليُبْس

[و] محمد القصّابُ فَقحتهُ لأَبور قصّابيْ نَسا تُرس

محمد القصّاب وهو عميد الحضرتين[٢] محمد بن اسمعيل المعروف بعميد خراسان .

وُحريبةُ الإسكاف خازنه رِخو العِجان كأنه قلْنس[٣]

هو أبو حرب الخزّان كان أقرع[٤] .

قد صار مال الأرض في يده عفواً وقيمة[٥] رأسه فلس

هذي أمور الملك أجمعها فسعوده[٦] بسعودهم نحس

ولقد هممت بأن أفارقهم وتجدّبي[٧] عَيرانةٌ عَنْس

لكن ثناني عن فراقهم علمي بأن الناس قد خَسُّوا

عُمَر[٨] أروم وأجتديه لقد عَمّ البلاء وأشكل اللّبْس

هو كمال الدين عمر بن محمد الأديب الطغرائي .

مُخفّف أي أنه دَمِثٌ وأخفّ من حَركاتِه قُدس[٩]

هذا وكُهرائينُ عندهمو كالكلب خَبّ بارد نجْس[١٠]

---

(١) ابو المختار كمال الملك ، العماد ٥٨ .
(٢) محمد بن منصور ابن النَسَوي عميد خُراسان المتوفي سنة ٤٩٤ ه المنتظم ج ٩ رقم ١٩٨ . وأبور الاصل لابوار .
(٣) الأصل قبس . والقلس حبل السفينة الضخم .
(٤) الأصل قرع أو نزع .
(٥) الأصل فـه .
(٦) العماد : فسعودها من اجلهم .
(٧) الأصل ويجدي عيرانه عبس .
(٨) العماد : من ذا أروم .... عَمّ البلاءُ وأرى هنا غلطاً وعند العماد : ص ٥٦ هو كمال الدولة ابو الرضي فضل الله بن محمد صاحب ديوان الانشاء والطغراء قرين لنظام الملك ومؤيّده . وأرى ابن نبهان اخطأ في تسميته .
(٩) جبل بنجد .
(١٠) الأصل غير واضح وما كولهُ . وعند العماد : نجس .

كوهرائين(١) هو الأمير سعد الدولة الخادم شِحْنَةُ بغداد المشكان ·

رجل ولكن ماله ذَكَرٌ أنثى ولكن مالها كُسُّ
وأبو شجاع سيف وسادته كالخَرْسِ(٢) لكن ماله جَرْسُ

أبو شجاع(٣) هو الوزير في زمان الإمام المستنجد (صوابه المقتدي) رضي الله عنه ·

يبني وينقُضُ ما يشيّدُه فكأنّه متبخترٌ يفسو
أبني جَهير(٤) أرتجي وهو بالأمس الأقرب سوقةٌ نُعْسُ
أعلى أمورهم اذا نفق الطِرّيخُ(٥) عنهم أو غلا الدِبْسُ
والله لو ملكوا السماء لما عرِقوا ولا اهتزّوا ولا انخسُّوا(٦)
أم بابُ(٧) إبراهيم أقصده هيهات خاب الظنّ والحَدْسُ
قد كان محبوساً وكان له جودٌ فزال الجُودُ والحَبْسُ
أم أعتني ابنَ أخيه مرتجياً علّقاً له من ظهره تُرْسُ
أدمتْ أيورُ الترك فقحتَه حتى ظننّا أنه تُرْسُ (كذا)

(يتبع) كراتشي عبد العزيز الميمني

---

(١) ترجم له في المنتظم ج ٩ رقم ١٧٣ المتوفى سنة ٤٩٣ ﻫ والمشكان لعله لقب وانظر جهار مقاله بالعربيّة حواشي القزويني ١٣٩ · وفي بلدان ياقوت قرية ·

(٢) بالفتح ويكسر الدَنّ والأصل الجرس ، وجَرْسٌ صوت ، وعند العماد : في وزارته كالخرس لا بل دوله الحرس ·

(٣) هو وزير المقتدي صاحب ذيل تجارب الأمم المطبوع مدحـه الحريريّ ومات بالمدينة سنة ٥١٣ ﻫ ·

(٤) فخر الدولة أبو نصر وزير القائم والمقتدي ومات سنة ٤٨٣ ﻫ وابنه عميد الدولة وزير المقتدي قبل أبي شجاع وختن نظام الملك أبو منصور المتوفى سنة ٤٩٣ ﻫ المنتظم ج ٩ رقم ١٨٢ · وزعيم الرؤساء أبو القاسم علي وزير المستظهر ·

(٥) سمك صغار مملح ·

(٦) العماد : ولا انجسُّوا ·

(٧) من العماد وأصلنا : نار ابراهيم أقصدها ·

الزجّاجي

حياته وآثاره

ومذهبه النحوي من خلال كتابه « الإيضاح »

- ٤ -

مادة كتاب الإيضاح

يتألف كتاب الإيضاح من مقدمة وثلاثة وعشرين باباً يضاف اليها مسائل صغيرة ألحقها الزجاجي في آخره .

أما المقدمة فيتعرض الزجاجي فيها لموضوعات كثيرة كوجوب العناية بالتأليف وسبب وضعه للكتاب وطريقة معالجته للموضوع وسبب تسميته بالإيضاح ...

وأما الأبواب الثلاثة والعشرون فلن نعرضها هنا كما عرضها الزجاجي في كتابه أبواباً عامة في كل منها نصيب للاسم والفعل والحرف فإذا هو يجمع في باب واحد مسائل متنوعة وبحوثاً مختلفة وحّدت بينها المصطلحات ... ولكننا سنعرض مادة الكتاب على أساس تقسيم البحوث التي تناولها أقساماً أربعة ؛ فنتحدث في القسم الأول عن الاسم ، ونورد في هذا القسم كل ما له صلة بالاسم من كل أبواب الكتاب . ونجعل القسم الثاني للفعل ، والثالث للحرف ، وأما القسم الرابع فنعرض فيه للمسائل العامة التي وردت في الكتاب كمسائل الإعراب والنحو وغير ذلك .

١ — الاسم

تعرض الزجاجي في كثير من أبواب « الإيضاح » لمسائل تختص بالاسم كتسمية الاسم وسببها ، وحدّ الاسم واختلاف النحويين فيه وتأثرهم بالمنطق ، واستحقاق الاسم للإعراب ، ومكان الإعراب فيه ، ومرتبة الاسم من حيث التقدم والتأخر بإزاء الفعل والحرف . وخفة الاسم ، وامتناعه عن الجزم ، وتثنيته وجمعه . أما الحديث عن سبب تسمية الاسم فيورد فيه حجة القائلين بأن كل لفظ من اسم أو غيره انما هو « فعل » للمتكلم الناطق به . ثم يبين ان الاسم اكتسب هذه التسمية لأنه دال على المسمّى وسمة له .

وأما حدّ الاسم فقد أتى به الزجاجي حدّاً نحوياً فقال « الاسم ما كان فاعلاً أو مفعولاً أو واقعاً في حيّز الفاعل أو المفعول به » وتعرّض لما حدّه به النحاة وانتقد ما كان جارياً من حدودهم على أوضاع المنطق ، وبيّن أن غرض المنطقيين من حدهم يختلف عن غرض النحويين ، ومن هنا كنا نجد بعض الحدود صحيحة على أوضاع المنطق وهي على أوضاع النحو غير صحيحة ولا مستقيمة .

وناقش أصحاب الحدود المنطقية في النحو مبيناً خطأهم . ثم استعرض حدود النحاة للاسم استعراض الناقد فأورد تعريفات كل من الأخفش الأوسط وابن السراج وابن كيسان والمبرد للاسم فعاب بعضها ونقضه ، واعتذر لبعضها بأن صاحبها لم يرد الحد على الحقيقة وانما أراد بحده التقريب على المبتدئين كما هو الشأن عند المبرد الذي اعتذر الزجاجي له ودافع عنه .

وتحدث عن الإعراب وبيّن العلة في وقوعه آخر الاسم دون أوله ووسطه . فاستعرض ما قاله النحويون كأبي بكر بن الخياط والمبرد وغيرهما ، وكان يورد القول وما اعترض به عليه ثم يحكم على أقوالهم بأنها كلها أقوال مقنعة .

وأما استحقاق الاسم للاعراب فقد ذكر فيه رأي الخليل وسيبويه ونحاة البصرة، وأورد حجتين لهم تثبتان أن الاسم هو المستحق للإعراب دون الأفعال والحروف المستحقة للبناء، إلا ماعرض له من الأسماء علة منعته من الإعراب فدخل في باب المبنيات . ثم أورد أقوال الكوفيين وقدم حججهم . ولكنه وقف قبل تفصيل أدلتهم لينبه على أن هذه الحجج على ثلاثة أقسام، فمنها ما كان مسجلاً في كتب البصريين والكوفيين فنقله بغير ألفاظهم لصعوبة فهمها . . . ومنها ما اخترعه من عنده ولكن على أصول القوم ومقاييسهم . ومنها ما تلقاه عن أساتذته وشيوخه مما لم يودعوه كتبهم . ويقطع الحديث هنا ليذكر لنا أساتذته الذين أخذ عنهم فيعددهم ذاكراً ما يميل اليه كل منهم من المذاهب وفنون العلم . ويعود بعد ذلك الى ما كان بصدده من ايراد حجج الكوفيين ومناقشتها .

ويتعرض الزجاجي في بعض الأبواب لمسائل نظرية تخص الاسم كما في الباب الحادي عشر وهو باب القول في الاسم والفعل والحرف وأيها أسبق في المرتبة والتقدم، فيصدّر الباب بقول جمهور النحاة من بصريين وكوفيين، وهو أن الأسماء قبل الأفعال وقبل الحروف ويشرح هذا القول ويورد الحجج ضده . ثم يعود على هذه الحجج فيوهيها ويبين مغالطتها وينتهي من ذلك الى إثبات رأي الجمهور .

ويكتفي في بعض الأبواب بعرض الأقوال المختلفة دون أن يبين رأيه . كما هو الأمر حين تحدث عن العلة في خفة الاسم وثقل الفعل . فأورد قول البصريين ووضحه ثم عرض لأقوال الكسائي والفراء وهشام بن معاوية وثعلب فذكرها دون تعليق .

ومن المسائل التي عرض لها في باب الاسم، هذه المسألة التي طال فيها نفسه وهي علة امتناع الأسماء من الجزم، ابتدأ هذا الباب بقوله ان لسيبويه في ذلك قولين ثم قدم أحدهما لأنه المعتمد عند النحويين فشرحه، وأتى بثلاثة

ردود عليه ثم دفع هذه الردود بقوة ، وانتقل بعد ذلك الى القول الثاني لسيبويه وأعقبه بآراء الكوفيين وبعض البصريين ممن خالف سيبويه ورأى غير رأيه .

وكان آخر ما تحدث عنه الزجاجي في باب الاسم التثنية والجمع ، فعرّف التثنية وبين كيفيتها ، وأوضح اختلافها عن الجمع . وتحدث عن الجمع بأنواعه السالم منه والمكسر ، وما كان منه للقليل وما كان منه للكثير .

وأورد بعد ذلك مسائل فرضية ، وأسئلة نظرية كقوله : لِمَ كان رفع الاثنين بالألف وهي المجانبة للفتح ولم يكن بالواو ، ولِمَ لم تخص الألف برفع الجمع والواو بتثنية المرفوع ؟ ولِمَ ضم النصب الى الخفض دون أن يضم الى الرفع أو دون أن تجعل له سمة خاصة به ؟ ؟ وأجاب عن كل ذلك .

٢ — الفعل

تناول الزجاجي الحديث عن الفعل في أكثر أبواب الكتاب ، فتحدث عن : سبب تسمية الفعل ، وحده ، وما قيل في تقدمه على المصدر وتأخره عنه ، واستحقاقه للبناء ، ومرتبته ازاء الاسم والحرف ، ومراتب الأفعال فيما بينها ، وفعل الحال ، وثقل الفعل ، وامتناعه من الخفض ، وعدم الإضافة اليه .

أما سبب تسمية الفعل فقد بين الزجاجي أنه ان كان كل من الاسم والفعل والحرف يستحق أن يسمى بـ « فعل » لأنه فعل المتكلم ، فان الفعل أحقها بهذه التسمية ، وذلك لأن الفعلية أصابته من جهتين ، فكان فعلاً للمتكلم به من جهة ، وفعلاً لفاعله من جهة ثانية . وأما حد الفعل فقال انه ـ على أوضاع النحو ـ ما دل على حدث وزمان ماض أو مستقبل ، وفسر الحدث بالمصدر ، وشرط اقترانه بالزمان ليكون منهما الفعل ، فأما ان دل على الحدث وحده ، فهو المصدر ، وان دل على زمان فقط فهو الظرف . وذكر أن قوله هذا لا يعدو أن يكون تفسيراً لقول سيبويه .

وأتى بحد آخر وضعه بعض النحويين للفعل ، فنقضه ثم تعرض لما يزعم الكوفيون أنه فعل دائم فقال انه محال .

وتحدث في باب آخر عن المسألة الخلافية المعروفة حول الفعل والمصدر وأيهما مأخوذ من صاحبه . فأورد قول سيبويه ووضحه وألحق به قول الفراء والكوفيين ، ثم عاد فذكر أدلة البصريين وأثبتها ، ورد على أدلة الكوفيين وبين أنهم لم يكونوا فيها على صواب ، وختم الحديث بذكر محاورة جرت بينه وبين ابن الأنباري النحوي الكوفي أظهر لنا فيها عناد الكوفي واصراره على التمسك برأيه .

وأما استحقاق الفعل للبناء فقد ذكر في الحديث عن أقوال البصريين وعلى رأسهم سيبويه ، ثم عرض لأقوال الكوفيين الذين يرون أن أصل الإعراب للأسماء والأفعال جميعاً وأما البناء فللحرف فقط ، وأورد حججهم في ذلك وردها . وختم الباب بتصويب رأي البصريين .

وتناول الحديث عن مرتبة الفعل بالنسبة الى الاسم والحرف فذكر اتفاق البصريين والكوفيين على أن الفعل بعد الاسم وقبل الحرف ، وناقش هذا القول وانتهى الى اثباته وتأييده . وأما تقدم الأفعال بعضها على بعض ، فجعل السبق فيه للمستقبل فالحال ثم الماضي .

وأفرد باباً للحديث عن فعل الحال ، بين فيه أنه ليس هو الفعل الذي يسميه الكوفيون بالفعل الدائم ، فهذا محال عنده ، ولكن فعل الحال هو الفعل المتكون بين الفعلين المستقبل والماضي ، وذلك أن المستقبل هو الفعل الذي لم يقع بعد وان الماضي هو الفعل الذي مضى عليه زمانان اثنان : زمان وقوعه ، وزمان الإخبار عنه ، فأما الفعل الذي يتكون في حال خطاب المتكلم ، فلم يخرج الى حيز المضي ولا هو في حيز المنتظر ، فذلك هو فعل الحال . وهنا يذكر احتجاجاً يرد على البصريين في فعل الحال ، وهو أنه ما دام فعلاً مستقلاً فلماذا

لم يكن له لفظ خاص يعرف به ؟ ويرد على ذلك بأن قوة الشبه بين المضارع والاسم هذه القوة التي منحت الفعل الإعراب هي أيضاً القوة التي جعلته بلفظ واحد ويقع لمعنيين ، كما كان من الأسماء ما يقع لأكثر من معنيين . وأما الماضي فليس له من شبه الاسم ما يمنحه شيئاً من قوته فبقي على حاله .

وتعرض في موضع آخر لعلة ثقل الفعل فذكر رأي بعض البصريين والكوفيين في ذلك . وكان آخر ما تحدث عنه مما له صلة بالفعل ، امتناع الأفعال من الخفض ، وقد أفرد لذكر العلة في ذلك باباً خاصاً صدره بقول سيبويه ثم شرح هذا القول شرحاً مفصلا ، تعرض فيه لذكر امتناع الأفعال من أن تضاف أو أن يضاف اليها ، وأورد في ذلك أسئلة كثيرة وشواهد متباينة ، ثم رد على الأسئلة وخرّج الشواهد بما يلائم الأصل ، ولم يفته أن يلتفت الى أسماء الزمان خاصة ، ليتحدث عن جواز اضافتها الى الأفعال أو عدمه ، فقد خصها بحديث مطول أتى فيه على أقوال النحاة الذين يرون جواز هذه الإضافة وذكر شواهدهم ثم وقف من أقوالهم وشواهدهم موقف الناقد المفند يردّ ويرفض ويؤوّل .

٣ — الحرف

سبب تسمية الحرف ، وأضربه ، وحد كل منها . واستحقاقه للبناء ومرتبته بالنسبة الى الاسم والفعل ، هو ما تحدث عنه الزجاجي في كتابه ، مما له صلة بالحرف فكان نصيب الحرف في الكتاب دون نصيب كل من قسميه الاسم والفعل .

يرى الزجاجي أن الحرف حد بين الاسم والفعل ، ورباط بينهما ، لذلك سمي حرفاً . وحرف الشيء حده ، وينقسم الحروف ثلاثة أقسام هي حروف المعجم التي تتألف منها الكلمات . وحروف هي الكلمات نفسها . وحروف المعاني .

ويعرّف كلاً منها فيقول ان حروف المعجم هي الأصوات التي لا تدل على معنى من معاني الأسماء والأفعال ، ولكنها أصل تركيبها . والحروف الكلمات هي أبعاض الكلم ، وأما حروف المعاني فهي التي يعنى بها النحويون والتي جاءت لتدل على معان في غيرها . ويختم الزجاجي حديثه عن الحد باستعراض نماذج قليلة من حدود النحويين والتعليق عليها بما يدل على عدم اقتناعه بها إذ يقول « وهذا وصف للحرف صحيح ، وليس بحد له » . وأما استحقاق الحرف للبناء فيوضح الزجاجي رأي سيبويه فيه ، ويورد حجج البصريين في تأييده ، واثبات أن الحرف كالفعل مستحق للبناء وهي حجج مستندة الى كون الفعل مستحقاً للبناء كقولهم « واذا كانت الأفعال غير مستحقة للاعراب لأنها عوامل فحروف المعاني من الإعراب أبعد » .

ولم يذكر للكوفيين في الموضوع أكثر من موافقتهم على الأصل القائل بأن الحرف حقه البناء .

وآخر ما تعرض له الزجاجي من مسائل الحرف مرتبته في السبق والتقدم بالنسبة الى الاسم والفعل . وهي المسألة النظرية التي عالج فيها ترتيب الأسماء والأفعال والحروف وتصنيفها وفق الأسبقية والتقدم . وقد جعل مرتبة الحرف أخيرة بعد الاسم والفعل ولكنه بادر الى الاحتجاج بأنه ما دام الحرف عاملاً في الاسم والفعل ، وما دام العامل قبل المعمول فكيف يكون الحرف بعدهما ؟ وأنهى الحديث برد هذه الحجة وإبطالها ، بل اتهامها بأنها مغالطة . وأنها لا تنقاس على العلة ومعلولها ، ولجأ الى الواقع فضرب منه مثلاً بسيطاً فقال اذا كان النجار قبل الباب الذي نجره فإن هذا لا يعني أنه قبل الخشب الذي صنع منه الباب ، وكذلك الحروف التي هي ـ وإن لم تكن أجساماً ـ سابقة لعملها فقط ، وليست سابقة لما عملت فيه ، ان الحروف قبل الرفع والنصب والخفض والجزم ،

هذه التي هي كلها من آثارها ، ولكنهـا ليست قبل المرفوع والمنصوب والمخفوض والمجزوم .

٤ — المسائل العامة

من المسائل العامة التي تعرض لها كتاب ايضاح علل النحو المسائل الآتية : اختلاف الحدود وعلته ، وعلل النحو ، والاعراب ولماذا دخل الكلام ؟ وهل هو حركة أم حرف ؟ وما معنى الرفع والنصب والجر ، والسبب في تسمية النحو ، وفائدة تعلمه . والفرق بين النحو والاعراب واللغة والغريب . وعلة دخول التنوين في الكلام .

الى جانب مسائل نظرية قائمة على الفروض كالفعل والمصدر وأيهما مأخوذ من صاحبه . وكالاعراب والكلام وأيهما أسبق وغير ذلك مما أشرت اليه في أقسام الاسم والفعل والحرف كالتفاوت بينها في المرتبة والتقدم ، وتفاوت الأفعال فيما بينها في التقدم ، وعلة امتناع الأسماء من الجزم وامتناع الأفعال من الخفض ... ولم كان رفع الاثنين بالألف ولم يكن بالواو .. ؟

اختلاف الحدود :

يوضح الزجاجي لماذا تختلف الحدود بعضها عن بعض ، مع أن الحد هو ما دل على طبيعة الشيء الموضوع له ، فيقول ان هذا الاختلاف فيما بينها ليس اختلاف تضاد وتنافر وان وقع شيء من هذا كان خطأ في الحد وفساداً في الحدود ، وانما هو اختلاف في اللفظ . ثم يبين أن الاختلاف في الحدود قائم حتى بين الفلاسفة أنفسهم وهم أعرف الناس بالحدود ويضرب أمثلة كثيرة عن اختلافهم في حد الفلسفة ذاكراً أن هذا ليس من النحو في شيء ولكنه ما دام يبحث بعقلية أصحاب الحدود فلا بد من مجاراتهم . وثمة شيء آخر يعزو

اليه الزجاجي اختلافهم في الحدود وهو أن لكل منهم غرضاً يقصد اليه في حده ، فمنهم من أراد التقريب والافهام ، ومنهم من أراد الشمول والحصر ، ومنهم من أراد الحد على الحقيقة ، واختلاف الأغراض أدى بهم الى اختلاف الحدود .

علل النحو :

أول ما يشير اليه الزجاجي في باب علل النحو هو أن هذه العلل ليست كالعلل الفلسفية من حيث كونها موجبة للمعلول ، وأنها متى وجدت وجد بالضرورة ، وانما هي علل مستنبطة من المعلول بعد وجوده .

ثم ينتقل الى ذكر أقسامها فيجعلها ثلاثة : تعليمية ، وقياسية ، وجدلية نظرية . فالعلل التعليمية هي التي توصل الى تعلم كلام العرب . كأن تقول : العلة في نصب « زيداً » من قولنا « ان زيداً قائم » هي مجيء « ان » قبله .

والعلل القياسية كأن تسأل عن العلة في نصب « ان » لزيد في قولنا « ان زيداً قائم » فنقول ولم وجب أن تنصب ان الاسم ؟ ويكون جوابنا هو العلة القياسية القائلة ان « ان » وأخواتها ضارعت الفعل المتعدي الى مفعول فحملت عليه وأعملت أعماله ، فالمنصوب بها مشبه بالمفعول به لفظاً . والمرفوع بها مشبه بالفاعل لفظاً . وهي تضارع الفعل الذي قدم مفعوله على فاعله نحو ضرب أخاك محمد . وأما العلل الجدلية النظرية فكل ما يعتل به في باب « ان » بعد هذا الذي سبق ، كأن يقال : فمن أي جهة شابهت هذه الحروف الأفعال ؟ وبأي الأفعال شبهتموها ؟ ولم لم تشبهوها بما جاء على الأصل من تقديم الفاعل على المفعول ؟ فكل علة يعتل بها المسؤول في الإجابة عن شيء من هذه الأسئلة فهي علة داخلة في باب النظر والجدل .

وبعد أن ينهي الزجاجي حديثه عن أقسام العلة يورد خبراً عن الخليل بن أحمد وأثره في علل النحو . فيقول ان الخليل سئل عن العلل التي يعتل بها أكانت

من اختراعه وابتكاره أم أنه أخذها عن العرب . فكان جوابه طريفاً يدل على أنه كان يخترع العلل ويأتي منها بما كان يعتقد أن العرب لاحظته وان لم تصرح بأنه العلة ، وكان آخر جوابه قوله « فان سنح لغيري علة لما عللته من النحو ، هي أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها » ويعلق الزجاجي على ذلك بقوله « وهذا كلام مستقيم ، وانصاف من الخليل رحمة الله عليه » . وينهي حديثه عن العلل بقوله ان علل النحو كافة قائمة على هذه الأقسام الثلاثة التي ذكرها .

الإعراب :

يعالج الزجاجي في كتاب الإيضاح عدة مسائل تتعلق بالإعراب ، وسنعرض هذه المسائل عرضاً سريعاً وبالترتيب التي أوردها به .

الإعراب والكلام أيهما أسبق :

يحكم الزجاجي بسبق الكلام الإعراب ، فالاسم أو الفعل موجود ذو دلالة معينة ولا تزول دلالته سواء أكان معرباً أو غير معرب . والإعراب طارئ على الكلام لمعنى يعتوره . ولكن هل يعني ذلك أن الكلام نطق به زماناً غير معرب ثم أعرب ؟ الزجاجي يرفض ذلك ويقول ان العرب نطقت بالكلام معرباً لأول وهلة . فان قيل وكيف حكمتم بسبق أحدهما ما داما وجدا معاً ؟ فيقول ان الأشياء ، وان لم تكن توجد الا مجتمعة ، لتستحق التقديم والتأخير . ويمثل لذلك بقوله ان السواد عرض في الأسود ، والجسم أقدم من العرض بالطبع ، والعرض قد ينفصل عن الجسم ، فنقول ان الأسود قبل السواد مع أننا لم نر الجسم الأسود منفصلاً عن سواده ، ولا رأينا السواد قط عارياً عن الجسم ... ومثل ذلك قولنا ان الأسماء قبل الأفعال مع أنها وجدت معاً في النطق .

وعلى كل فقد أجاز بعض العلماء أن تكون العرب نطقت أولاً بالكلام غير معرب ، ثم رأت اشتباه المعاني فأعربته .

الإعراب وعلة دخوله في الكلام :

لو اختفى الإعراب لالتبست المعاني وتشاكلت الألفاظ إذ الإعراب علم المعنى في اللفظ وبه نهتدي الى معنى الفاعلية أو المفعولية أو الإضافة ... هذا موجز رأي النحويين في علة دخول الإعراب في الكلام عرضه الزجاجي مع التفصيل التمثيل .

ويستثنى قطرب من النحويين لأنه لا يرى رأيهم . بل يرى أن اتفاق الإعراب في زيد من قولنا « ان زيداً أخوك » . ولعل زيداً أخوك . وليت زيداً أخوك » لم يدل على اتفاق المعنى . وان اختلاف الإعراب في قولنا « ما زيد قائماً ، وما زيد قائم » لم يدل على اختلاف المعنى . ان قطرباً يرفض رأي النحويين ويقول ان العرب لجأت الى الإعراب للتخلص من التقاء الحروف الساكنة ، وليعتدل الكلام ما بين حركة وسكون .

ويرد الزجاجي قول قطرب بما رد به النحويون من أنه لو صح زعم قطرب لكانت الحركة الواحدة مجزئة للتخلص من التقاء السواكن . ولكنا رأينا كثيراً من جر الفاعل ونصبه ورفع المفعول وجره ... ولما كنا رأينا الاعراب يسير في كلامهم على هذا النسق من الترتيب والاطراد .

الإعراب أحركة هو أم حرف ؟

مذهب البصريين أن الإعراب حركة وليس حرفاً ، إذ لو كان حرفاً لما دخل على حرف . وأما الكوفيون فيرون أن الإعراب يكون حركة فيدخل علي حرف ، ويكون حرفاً فيقوم بنفسه . وقد يكون الإعراب بعد ذلك

سكوناً (كما في المضارع الصحيح) أو حذفاً (كما في المضارع المعتل).
وينبه الزجاجي على أن الإعراب قد يكون حرفاً - عند سيبويه - في موضع واحد ولعلة تسوق اليه، وهذا غير ناقض للأصل. أما هذا الموضع فهو الأفعال الخمسة التي ترفع بثبات النون، وتنصب وتجزم بحذفها. وعلة ذلك أنه لو جعلت النون حرفاً ثابتاً دوماً ودخلته حركات الإعراب، لوجب إذا وقع عليه السكون أن تحذف الألف أو الواو أو الياء من قبله، فتلتبس المعاني لضياع الضمائر الساقطة، لذلك جعلت النون علم الرفع، فوجب حذفها عند الجزم، لأن الجزم يسكن المتحرك ويحذف الساكن.

وأما النصب فقد ضم في هذا الباب الى الجزم، كما ضم في تثنية الاسم وجمعه الى الجر، لأن الجزم في الأفعال نظير الخفض في الأسماء.

ويرد الزجاجي بعد ذلك بما يحتج به أو يسأل عنه كقولهم لماذا لم تكن الألف والواو والياء في الأفعال الخمسة هي حروف الإعراب؟ وكيف جاز أن يجيء الفاعل في مثل «يفعلان وتفعلون» قبل حركة الإعراب؟

الإعراب ولم وقع في آخر الاسم دون أوله ووسطه؟

سبق أن أشرنا إلى هذه المسألة في قسم الاسم [1] فلا لزوم لإعادتها هنا.

معنى الرفع والنصب والجر:

يشرح الزجاجي معنى هذه العلامات الأربع التي هي الرفع والنصب والخفض والجزم عن طريق اللغة فيقول انما سمي الرفع رفعاً لأن المتكلم به يرفع حنكه الى الأعلى حين النطق به، وسمي الفتح فتحاً لأن المتكلم يفتح فاه، ويباعد بين حنكيه حين النطق به، وأما الجر فسمي بذلك لأنه يجر ما قبله ليوصله الى

(١) انظر ص ٦٢ من هذا البحث.

ما بعده نحو مررت بزيد فالباء أوصلت مرورك الى زيد ، ومثله المال لعبد الله ، وهذا غلام زيد . ولا ينسى الزجاجي أن جماعة من الكوفيين يسمون الجر خفضاً فيخرج معناه بذلك عما علله به من أمر الجر فيقول ان هؤلاء قد لاحظوا انخفاض الحنك الى الأسفل وميله الى احدى الجهتين (عند النطق بحركة الخفض) .

وأما الجزم فمعناه القطع ، وكأنه سمي بذلك لقطعه الإعراب عن الكلمة ، هذا هو الأصل فيه . ثم أطلق على حذف الحرف أيضاً لأنه يشبه حذف الحركة ، إذ كلاهما حذف . ويورد الزجاجي بعد ذلك كلاماً ينسبونه الى المازني . فيشرحه ثم يرده ويثبت شكه في نسبته اليه .

العلة في تسمية النحو :

يروي الزجاجي تحت هذا العنوان ما شاع من خبر أبي الأسود الدؤلي ، وما قيل حول وضعه للنحو ، وسبقه الى ذلك ، وأنه قال : انحوا هذا النحو أي اقصدوه ، وان النحو – على ذلك – هو القصد ، ثم غلب هذا الاسم على علم العربية حتى عرف به .

فائدة تعلم النحو :

يرى الزجاجي للنحو فوائد كثيرة ، منها أنه يوصل الى التكلم بكلام العرب غير مبدل ولا مغير ، ومنها تقويم كتاب الله وفهم الحديث النبوي ... ويورد بعد ذلك ما أثر من أقوال تحث على تعلم العربية وتبين فضلها ، فيروي عن ابن عباس وأبي بكر وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب . ثم يقول ان الشعر – وهو ديوان العرب – لا تمكن اقامته ولا فهمه إلا بمعرفة النحو . ويختم حديثه بالرد على من احتج لعدم ضرورة النحو بفهم الكلام العامي غير

العرب فيقول انما يكون ذلك في المتعارف المشهور ولو التبس على المرء معنى من المعاني وأراد ايضاحه لم يمكنه ذلك بغير معرفة الإعراب ۰

الفرق بين النحو والإعراب واللغة والغريب :

أما النحو فقد تحدث عنه في باب «علة تسمية النحو» ويزيد هنـا أنهم قد يطلقون على النحو اسم الإعراب كما يطلقون على الإعراب اسم النحو سماعاً لأن المقصود منها علم واحد ۰ وأما الإعراب فهو البيان ، ولما كانت الحركات تبين عن المعاني فقد سميت به ۰ وأما اللغة أو اللسن فهي ما يتكلم به القوم ۰ وما قل سماعه منها ولم يعبر في غير أفواه الخاصة فهو الغريب ۰

التنوين وعلة دخوله في الكلام :

يدخل التنوين في الكلام لمعان ثلاثة :

١ — أن يكون للفرق بين الخفيف من الأسماء وغير الخفيف ، فالتنوين ثقيل لا يدخل على ثقيل ۰ وجعله سيبويه فارقاً بين المتصرف الخفيف من الأسماء وغير المتصرف ۰ وجعله الكوفيون فارقاً بين المفرد والمضاف ۰

٢ — أن يكون عوضاً عن محذوف من الكلمة ، فقولك «جوار» مثـلاً أصلها جواري فاستثقلت الضمة على الياء فحذفت فنقص بناء الكلمة فعوضت التنوين ، وكذلك في حال الجر ۰ وأما في النصب فنبقيه على حاله لخفة الفتح ۰

٣ — أن يكون فرقاً بين المنكر والمعرف من الأسماء المنتهية بالزوائد نحو : عمرويه وسيبويه ، لأنهم أجروا هذه الألفاظ مجرى الأصوات فمنعوها الإعراب وبنوها على الكسر ۰ فإذا أرادوا تنكيرها نونوها كما فعلوا في حكاية الأصوات ۰

عرض تاريخي :

كانت نظرتنا الى كتاب الإيضاح فيما سبق نظرة عامة استعرضنا من خلالها المواد التي احتوى عليها أو تألف منها . ومن حق الزجاجي علينا بل من حق الكتاب نفسه أن ننظر اليه نظرة خاصة ، لا نتجه بهـا الى المادة العلمية المعروضة فيه ، وانما نوجهها الى تطور هذه المادة أو تاريخها . ومن الغبن للزجاجي أن ننظر اليه من خلال كتابه على أنه نحوي فقط ، وهو الذي كان فيه نحوياً يبحث مسائل النحو ومشاكله كما يبحثها غيره ، وكان ــ الى حد ما ــ مؤرخاً يستعرض الآراء النحوية استعراضاً تاريخياً . فيبدأ منها منذ نشأتهـا الأولى ثم يحاول تتبع سيرها على ألسن النحويين ، فيطلعنا بذلك على جانب من جوانب تطورها أو تاريخها النحوي .

على أنا لا نعني أن كتاب « الايضاح في علل النحو » كتاب في تاريخ النحو ، إذ لم يكن التأريخ للنحو غاية سعى اليها صاحبه ، إلا أن أسلوب الزجاجي في عرض المسائل النحوية أسلوب راعى فيه التطور الزمني . وكان فيه عالماً أميناً ومتتبعاً بصيراً . ولم يكن مجرد راوية ينقل ، وانما كان ناقلاً ناقداً يستعرض ويختار ، ويختصر ويوجز .

فمن خصائص هذا الأسلوب التاريخي أنه عني بالكشف عن مصدر الفكرة الأول ، وتتبعهـا لمعرفة ما آلت اليه ، ثم محاولة الربط بين حاضر الفكرة وماضيها . فأما الكشف عن مصدر الفكرة ، ومحاولة عزوها الى صاحبها ، فيظهر عند الزجاجي في مثل قوله في حديثه عن أقسام الكلام « وأول من سطر القول بذلك سيبويه » فدل على أن سيبويه هو أول من سجل تقسيم الكلام الى اسم وفعل وحرف . على أنه لم يغفل عن ذكر ما روي من أن علي بن أبي طالب

هو أول من قال بذلك . ولكنه ينقل هذا الخبر على أنه رواية رويت وليس لديه ما يؤيدها أو ينقضها .

وأما تتبعه للفكرة واستعراضه لما دار حولها من أقوال ، ورجعه كل قول الى صاحبه فيظهر مثلاً حين تحدث عن الاسم وحده فذكر موقف سيبويه (١٨٠ هـ) منه ورأي أصحابه ـ ثم ذكر رأي الأخفش الأوسط (٢١٠ هـ) ورد عليه ـ ثم رأي ابن السراج (٣١٦ هـ) وعاد أخيراً الى المبرد (٢٨٥ هـ) فوقف عند رأيه يفصل ويناقش .

وبمثل هذا التتبع تحدث عن امتناع الفعل من الخفض ، فبدأ برأي سيبويه وشرحه وأورد ما قيل فيه ، ثم انتقل الى رأي الأخفش الأوسط فشرحه ، وبين الصلة بينه وبين قول سيبويه ، بل بيّن كيف يعود قول الأخفش الى المصدر الأول الذي هو قول سيبويه وخلص من ذلك الى الحكم بأن كل كلام قيل في علة امتناع الفعل من الخفض فهو مشتق من قول سيبويه وراجع اليه .

وشبيه بذلك موقفه من رأي الفراء في علة دخول التنوين في الكلام ، إذ أتى على ذكره وبين أنه مأخوذ من قول سيبويه .

وتتبع القول في علة ثقل الفعل وخفة الاسم فذكر أقوال البصريين ، ثم انتقل الى الكوفيين فعدد منهم الكسائي (١٨٩ هـ) فالفرّاء (٢٠٧ هـ) فهشام ابن معاوية (٢٠٩ هـ) فثعلباً (٢٩١) .

وقد لا يكون بين النحويين خلاف في المسألة التي يبحثها ، فلا يكون هناك ضرورة لهذا العرض ، بل يكفي أن يشير الى إجماعهم على الأمر كأن يقول في الحديث عن العلة في تنكير الأفعال « وهو جواب الجماعة لا ينفرد به قوم دون قوم » أو أن يقول « الدليل على ذلك اجتماع النحويين

كلهم من البصريين والكوفيين على أن الأفعال نكرات » فاذا انعدم الاجماع كان ذكر القول الأشيع هو المقدم عنده ، ثم يتلوه قول المخالفين أو ما كان وجيهاً وجديراً منه بالذكر كما هو الأمر في باب علة دخول الإعراب في الكلام اذ ذكر قول النحويين ثم قال « هذا قول جميع النحويين إلا قطرباً » واستمر يشرح رأي قطرب ويناقشه ويرد عليه . وكذلك فعل في باب علة دخول الإعراب في آخر الاسم دون أوله ووسطه إذ أفرد رأي كل من ابن الخياط والمبرد بالحديث لأنهما خالفا في ذلك وكانا على غير ما أجمع عليه النحاة .

ونرى الزجاجي أحياناً يصنف النحويين وفق آرائهم كما فعل حين تحدث عن الألف والواو والياء في التثنية والجمع فقال : « اعلم أن للعلماء في ذلك ثلاثة أقوال ، قال الكوفيون كلهم ... هي الإعراب نفسه . وقال المازني والمبرد والأخفش سعيد بن مسعدة هذه الحروف دليل الإعراب وليست باعراب ولا حروف إعراب . وقال الخليل وسيبويه ومن تابعهما هذه الحروف هي حروف الإعراب .

ثم شرح كل قول من هذه الأقوال وناقشه . ولا شك أن تقسيم العلماء وفق آرائهم . وذكر هذه الآراء وشرحها يساعد على معرفة الآثار المتبادلة فيما بين العلماء كما يساعد على معرفة الرأي القوي الذي كان له النفاذ والشيوع وكانت له الغلبة والحياة .

ويراعي الزجاجي هذا التسلسل الزمني حتى في ترتيبه للشواهد حين يحتاج اليها ولا يكتفي به في عرض آراء النحاة ، فقد أراد في بعض أبواب الكتاب أن يبين قيمة العربية فبدأ بالاستشهاد بالقرآن ثم بالحديث ثم بأقوال نسبت الى ابن عباس وابي بكر وعمر وعلي .

والخلاصة ان أبا القاسم الزجاجي كان يتتبع المسألة النحوية التي يبحثها محاولاً أن يكشف عن مصدرها ، فيثبت نسبتها اليه ، ثم يسير معها عبر الزمن ليظهرها في ثوب جديد من التعبير على ألسن أخرى تناولتها . بل لقد تعرض لتأريخ الحركة النحوية بصورة عامة فذكر ما شاع من خبر أبي الأسود الدؤلي الذي قيل أنه أول من بدأ العمل النحوي في عهد زياد ، وأنه أخذ ذلك عن علي بن أبي طالب .

(يتبع) مازن المبارك

نظرة في

معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

للدكتور ا. ل. كليرفيل

نقله الى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط
ومحمد صلاح الدين الكواكي
(لجنة المصطلحات الطبية في كلية الطب من جامعة دمشق)

- ٥ -

رقم المصطلح			رقم المصطلح
٢١٦٤	نَخَر الأسنان	Carie dentaire	2164

وقد درجت في كتبي على استعمال السأس ترجمة لهذا المصطلح . ففي اللسان السأس غير مهموز ولا ثقيل القادح[1] في السن . وطبيعي أن ترجح كلمة واحدة في ترجمة هذا المصطلح على كلمتين .

٢١٦٥	نَخِر ، مُسَوَّس	Carié, e	2165

نَخِر أو مَسوس ومَسُوسة ومُسيس .

(١) في اللسان : والقَدْح والقادِحُ أكال يقع في الشجَر والأسنان . والقادِحُ العَفَن وكلاهما صفة غالبة . والقادِحةُ الدودة التي تأكل السن والشجَر تقول قد أسرعت في اسنانه القوادحُ الى أن قال وقد قُدِح في السن والشجرة ، وقُدِحتا قَدْحاً ، وقَدَح الدودُ في الأسنان والشجَر قدحاً وهو تأكل يقع فيه . والقادِح الصَّدع في العُود والسَّواد الذي يظهر في الأسنان .

2210 Casque neurasthénique ٢٢١٠ خوذة الخَوَر

وأرجح قلنسوة الوَهن العصبي .

2243 Catatonie ٢٢٤٣ خُلاع

وأقر مجمع اللغة خُباط متقلب ، ودرج كاتب هذه السطور على ترجمة اللفظة بالجُمود . فقد جاء تعريفها في معجم بلاكستون (Blakiston's) : طور من ارتكاس الفِصام (Schizophrenic reaction) أو نوع منه ، يبدو المصاب به فاقداً ارادة الكلام أو الحركة ملتزماً وضعة واحدة ، ومحافظاً على الوضعة التي يجعل فيها مع ممانعة لأي حركة ارادية أو للكلام .

أما الخُلاع فقد جاء في اللسان : والخُلاع والخَيْلَع والخَوْلَع كالخَبَل والجنون يصيب الإنسان ، وقيل هو فَزَع يبقى في الفؤاد يكاد يَعتَري منه الوَسْواس وقيل الضَّعف والفَزَع .

لذا أرجح الجمود والكاتاتونية معرّبة .

2247 Cathode incadescente ٢٢٤٧ مَخرَج مُتَوَهّج

وأفضل مَنْفَذ سَلْبي مُتوهج إذا لم يفضل كاتود متوهج (معرباً) .

2248 Cation ٢٢٤٨ شاردة سَلْبية (شاربية)

وأرجح كاتيون معرّبة .

2255 Causalgie,syndrome causalgique, thermalgie ٢٢٥٥ حُراق ، تنـاذر حُراقي عُصاب حروري

وأقر مجمع اللغة حُرقة في الجلد . ودرج كاتب السطور على استعمال الألم المُحرِق ترجمة لـ (Causalgie) فأقول الألم المُحرِق ، تناذر الألم المُحرِق والألم الحروري .

أما ُحراق فله دلالته اللغوية الخاصة ، فقد جاء في اللسان : والُحراق ما تنقت به النار من ِخرْقة أو نَبْج ، قال والنَبْج أصول البَرْدي" اذا جفَّ ، الُحراق والُحراقة ما تقع فيه النار عند القَدْح والعامة تقوله بالتشديد .

٢٣٢٦ (٥) جامعة عصبية 2326 (5) Neurone

وأقر مجمع اللغة عَصَبة . ودرجت على استعمال الوحدة العصبية .

٢٤٦٠ مِسْبَحَة خَرَعية . 2460 Chapelet rachitique

وأرجح مِسْبَحة رخيطبسية [1] .

٢٥١٧ انجذاب كيمياوي ، انحياز كيمياوي 2517 Chimiotaxie, Chimiotro-pisme, Chimiotactisme

وأرجح أن تكون ترجمة هذه المصطلحات الثلاثة تباعاً : الانتظام الكيميائي (لأن منه ما يكون ايجابياً فيدل على الانجذاب ، كما ان منه ما يكون سلبياً لحري به أن يدعى نفوراً) ، انجذاب كيميائي والنظامية الكيميائية .

٢٥٤٤ خَضَر ، فاقة دم شديدة 2544 Chlorose, anémie essentielle Chlorose, d'Egypte, chlorose tropicale

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة الأولى بكلوروز ، ودرجت على ترجمتها بداء الإخضرار والتعريب أفضل . أما بقية الألفاظ فتكون ترجمتها : فاقة الدم الأساسية (لا الشديدة) كلوروز مصر ، كلوروز المناطق الحارة . وللخَضَر معناه اللغوي الخاص [2] .

(١) ينظر في الصفحة ٩٩ من الجزء الأول من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .
(٢) في التاج : والخَضَر بالتحريك النعومة مصدر خَضِر الزرع اذا نعم الى ان قال والخَضَر سَعَف النخل وجريده الأخضر .

2545 Chlorotique ٢٥٤٥ خَضور ، متعلق بالخَضَر

وأرجح أن يقال كلوروزي استناداً الى ما تقدم .

2553 Choc allergique ٢٥٥٣ صَدْمة تجاوبية

وأفضل صدمة آليرجيائية (١) .

2554 Choc anaphylactique ٢٥٥٤ صدمة تأقية

وأفضل صدمة الاستهداف (٢) أو اللاوقاية (المجمع) .

2558 Choc hémoclasique, colloïdo - clasique ٢٥٥٨ صدمة تزعزع الدم صدمة تزعزع الشُغريات

أقول صدمة تزعزع الدم ، صدمة تزعزع الغرويات .

2559 Choc hypoglycémique, Choc insulinique ٢٥٥٩ صدمة نقص التَحَلُوُن الدموي صدمة انسولينية

ودرجت على استعمال صدمة نقص سكر الدم والصدمة الأنسولينية .

2581 Cholestéatome ٢٥٨١ وَرَم شمعي ، ورم لؤلؤي

وأقر مجمع اللغة ورم لؤلؤي ورم شحمي كولسترولي .

2583 Cholestérine, cholestérol ٢٥٨٣ غَوْل المِرّة (كولسترول)

وأقر مجمع اللغة كولسترول وهي الكلمة الدارجة حتى على ألسن العامة وكذلك كولسترين .

2598 Chondrodystrophie ٢٥٩٠ كُساحة الوِلدان ، حَتَل الغضاريف

---

(١) انظر الصفحة ٣١٨ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ٤٦٥ من الجزء الثالث من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

وأقر مجمع اللغة السَّغَل الغضروفي ، وهو الأفضل لأن السَّغَل[1] البادي مرده الى سوء تكوّن الغضاريف ، وكلمة حَثْل (لا حَثَل) لا تفيد المعنى المطلوب ونسبتها الى الغضاريف يفهم منه اضطراب الغضاريف بحد ذاته ، وكلمة كُساحة لا أراها تفيد المعنى المطلوب .

وعليه فالأفضل أن تترجم اللفظة بالسَّغَل الغضروفي .

٢٥٩٣ رَقَص ، رَقَص سن غي ، رَقَص سيدنهام الرثوي — 2593 Chorée, danse de saint Guy. Chorée rhumatis- - male de Sydenham

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة بكورية ، والشائع هو داء الرقص ، فتكون الترجمة : كورية أو داء الرَقْص ، رَقْص (ترجمة Danse) سن غي ، كورية سيدنهام الرثوية .

٢٦١٥ مقياس تعيين اللون — 2615 Chromomètre

وأرجح مقياس اللون .

٢٦١٦ كُرْه الألوان — 2616 Chromatophobie

---

(١) ان مدلول لفظة (Chondrodystrophie) هو سوء التشكل الخِلْقي في العظام من منشأ غضروفي . وفي اللسان : والكُساحُ الزَمـانة في اليدين والرجلين وأكثر ما يستعمل في الرجلين ، الكَسَح ثِقَل في إحدى الرجلين اذا مشى جرّها جرّاً ، الأكسح الأعرج والمُقْعد ايضاً . وجاء ايضاً والكسَح داء يأخذ في الأوراك فتضعف له الرجل وقد كسِحَ الرجلُ كَسَحاً إذا ثقلت إحدى رجليه في المشي ، فاذا مشى كأنه يكسح الأرض أي يكنسها .
وفي اللسان : الحَثْل سوء الرّضاع والحال ، وقد أحثلته أمه والمُحْثَل السيء الغذاء والحِثْل الضاوي الدقيق كالمُحْثَل .
والسَّغِل : الدقيق القوائم الصغير الجثة الضعيف والاسم السَّغَل ، والسَّغِل والوَغِل السيء الغذاء المضطرب الأعضاء السيء الخُلُق يقال صبيٌّ سَغِل بين السَّغَل .

وأرجح النفور من الصباغ ويعني بهذه اللفظة حال بعض الخلايا التي لا تصطبغ بالملونات ، ودعاها الجمع الخلايا اللامستلونة .

٢٦١٧ رؤية الأشياء ملوّنة 2619 Chromatopsie

وأرجح اصطباغ الرؤية [١] .

٢٦٢٠ جسم ملوّن (في نواة الخلية) 2620 Chromosome

وأقر مجمع اللغة الصبغي (ج الصبغيات) وأرجح تعريب هذه اللفظة بكروموزوما ليعم كل من الجسم الملون (في نواة الخلية) والصبغية عن الدلالة [٢] .

٢٦٢١ زَمْنَة وحدة زَمَنية 2621 Chronaxie

وأفضل تعريبها بكروناكسيا [٣] أيضاً .

٢٦٨٨ دَوَران اكليلي 2688 Circulation coronaire

كذا وردت الترجمة في جدول تصويب الأخطاء الواردة في المعجم ، وكانت في المتن دَوَران تاجي فعدلت عنه ، وأراه أصح . فالمتفق عليه اطلاق (Couronne) على التاج والإكليل معاً إلا أن التاج أخص لا سيما وان

(١) لقد ذكرت لجنة مجمع اللغة في ترجمة (Chromatopsia) عمى الألوان ولا أظنه إلا خطأ مطبعياً لأن عمى الألوان ترجمة لـ (Achromatopsia) .

(٢) ويعني بها اجزاء متناهية في الصغر بشكل (٧) تظهر في نواة الخلية التي هي في طور الانقسام ، وتنشأ من تجزؤ شبكة الكروماتين (Chromatine) ، وعدد هذه الأجزاء ثابت لكل نوع من انواع الحيوانات .

(٣) يفهم من وحدة زمنية احد اجزاء الدقيقة والثانية ، والزَمْنة كما جاء في اللسان الزمان . واللفظة الفرنجية لا تدل على هذا ولا ذاك فهي ذات دلالة خاصة لا تشاطرها فيها أي كلمة . فقد عُرفت الكروناكسيا بالمدة التي تنقضي لمرور التيار الكهربائي حتى إحداث ادنى تقلص في العضلة وذلك بشدة تبلغ ضعف أخف التيارات التي تثير التقلص المذكور (Rheobase) .

التتويج يأتي ترجمة لـِ (Couronnement) في الفرنسية و (Coronation) في الانكليزية . وقد أقر مجمع اللغة ترجمة (Coronary) بتاجي .

٢٧٠٥ إشقرار 2705 Cirrhose

وأقر مجمع اللغة كلمة تليف في ترجمة اللفظة ، وهي تطلق على حالة مرضية تعرض للكبد تمتاز بالتكثر المفرط لنسيجها الضام ، وقد درجنا ومن تقدمنا على اطلاق التشمع عليها وأصبحت الكلمة من الخطأ المشهور ، وكلمة الاشقرار تشير الى مدلول اللفظة اللغوي بأن تصبح الكبد بلون أشقر . وكلمة التليف دلالتها أعم لأن لون الكبد لا يكون أشقر دائماً في الأشكال المختلفة من العلة المذكورة .

٢٧٤٨ دَوْرة كاملة ، بُحراني ، نقد 2748 Climatérique, Critique

إن اللفظة الفرنجية كما جاء في معجم بلاكستون (Blakiston's) من اليونانية وترجمتها الحرفية (درَجة السلَّم) ومعناها كما يقول صاحب المعجم المذكور طور الحياة الذي يطرأ فيه على البدن تغير بين ، وقد ظُن أن هذه الأطوار تتكرر كل سبع سنوات إلا أن هذه الكلمة تستعمل من أجل سن الأياس (Menopause) .

وعليه فترجمة اللفظة أيامي (دَوْري أو نَوْبي) .

٢٧٤٩ معالجة بالإقليم 2749 Climatothérapie

وأرجح المعالجة المُناخية ، وأقر مجمع اللغة العلاج المُناخي .

٢٧٥٤ ضُجْمة 2754 Clinomanie

وأرجح وَلَع الاستلقاء . فقد عرفت اللفظة الفرنجية بالميل المُفرط لملازمة السرير أو الاستلقاء والمشاهد في بعض المصابين بالوَهْن العصبي وبالوهن العصبي التناسلي خاصة . أما الضُجْمة فقد جاء في اللسان : الضُجْمة والضُجْمي الذي

يلزم البيت ولا يكاد يبرح منزله ولا ينهض لمكرمة . واضطَجَعَ نام وقيل استلقى ووضع جنبه بالأرض وأضجعت فلاناً إذا وضعت جنبه بالأرض . الاستلقاء على القفا وكل شيء كان فيه كالانبطاح ففيه استلقاء ، واستلقى على قفاه .

٢٧٥٦ ملازم فِراشه 2757 Clinostatique

والأفضل أن يقال استلقائي ومنه البيلة الآحينيـة الاستلقائية (Albuminurie clinostatique) المشاهدة في بعض الحوامل ، على عكس البيلة الآحينية الانتصابية (Alb. orthostatique) التي تبدو في بعض الأعلاء حين الانتصاب أو الوقوف .

٢٧٥٧ لُزوم الفراش 2757 Clinostatisme

وأرجح الاستلقاء .

٢٧٦٩ اختلاجي 2769 Clonique

٢٧٧٠ اختلاج اليد 2770 Clonus de la main

وأقر مجمع اللغه الرجفان في ترجمة (Clonus) ودرجت على استعمال الارتجاج مخصصاً الاختلاج للفظة (Convulsion) وقد استعملت اللجنة الكلمة ذاتها في المصطلح ذي الرقم ٣٢٠٥ بقولها اختلاج ارتجاجي لترجمـة (Convulsion clonique) .

وعليه فأرجح ارتجاجي للفظة الأولى وارتجاج اليد للثانية .

٢٧٧٢ اختلاج القدم ، ارتجاجات نظيرة الصَّرع ، اختلاجات نخاعيـة 2772 Clonus du pied, phénomène du pied, trépidation épileptoïde, spinale

وأرجح أن يقال في ترجمة هذه الألفاظ : ارتجاج القدم ، ظاهرة القدم ، الاهتزاز شبه الصرعي ، نخاعي .

2772 Clonus de la rotule, phénomène de la rotule — اختلاج الداغصة ٢٧٧٢

وأفضل ارتجاج الداغصة ، ظاهرة الداغصة .

2773 Clou hystérique — مسمار هَرَعي ٢٧٧٣

أقول مسمار هيستريائي [1] .

2786 Cocci, microcoques — مكوَّرات دِقاق ٢٧٨٦

مكوَّرات (بصيغة الجمع) ، مكوَّرات دِقاق .

2787 Coccidie — كُرويات ٢٧٨٧

وعرَّبها الجمع بكوكسيدية .

2788 Coccobacille de la coqueluche — عُصَوَّرة السُّعال الديكي ٢٧٨٨

bacille de Bordet-Gengou — عُصيَّة بورده جنغو

2789 Coccobacille de Pfeiffer — عُصَوَّرة فايفر، عُصية فايفر ٢٧٨٩

bacille de Pfeiffer

وعُصوَّرة منحوتة من عُصية ومكوَّرة ، و لا استحسن هذا النحت ، لذا أرجح أن يقال في اللفظة الأولى عصية السعال الديكي المكوَّرة وفي الثانية عُصية فايفر المكوَّرة .

2790 Coccus — مكوَّرات ٢٧٩٠

والأصح مكوَّرة بصفة المفرد وجمعها مكوَّرات (Cocci) .

2795 Cœliaque — بَطني ٢٧٩٥

وأقر مجمع اللغة جُوافي وهو الأفضل لأن بَطني تعني (Abdominal) أيضاً .

---

(١) الصفحة ٣٠٠ الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

2796 Cœlome, Cavité pleuro - péritonéale ٢٧٩٦ جوف عام ، جوف جنبي صفاقي خارجي

وأرجح أن يقال الفضاء الجوافي (في الجنين) والجوف الجنبي البريطوني .

2804 Cœur en goutte ٢٨٠٤ قَلْبٌ مُسترخٍ

وجاء في النص الانكليزي pendulous heart, drop heart ويعني بهذه اللفظة أحد أشكال القلب البادي في الأشعة والقلب على هيئة قطرة أو رقّاص الساعة ، ويفهم من قَلْب مُسترخ مصاب بالاسترخاء Asystolie [1] لذا أرجح أن يقال القلب على هيئة القطرة أو رقاص الساعة .

2806 Cœur irritable, cœur de guerre, cœur de soldat instabilité cardiaque, syn-drome neurotachycardiaque névrose tachycardiaque, syndrome d'asthénie circulatoire ٢٨٠٦ قَلْب نَزِق ، مستثار ، قلب محارب ، قلب الجندي ، تقلب القلب ، تناذر قلبي عصبي إسراعي عصابية قلبية إسراعية ، تناذر وَهن دوراني

وأرجح قلب هائج ، قلب الحرب ، لا استقرار القلب ، تناذر عصبي اسراعي ، شُواش اسراع القلب ، تناذر الوَهْن الدوراني .

2407 Cœur mitral ٢٨٠٧ قلب تاجي

وأرجح قلب اكليلي كما جاء في متن الكتاب قبل تصحيح الخطأ وأن يخصص النسبة الى تاج بـ (Coronaire) .

(١) لقد ذكرت اللجنة في اللفظة ١٢٣٠ استرخاء القلب وقصوره في ترجمة (Asystolie, insuffisance) :

2848 Collagène ٢٨٤٨ مُهَلِّمِن (مُكوِّن الهُلام أو الغراء)

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة بكولاجين ودرجت على استعمال مولد الغراء وأفضل التعريب .

2894 Collodion ٢٨٦٤ غُرَيَاء (كولوديون)

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظ بكولوديون وهي دارجة الاستعمال وأخف وقعاً من غُرَيَاء .

2865 Colloïdal, ale ٢٨٦٥ شَبَغَرِي ، شبه غِراني

وأقر مجمع اللغة غراني ، وعندي التعريب أفضل بقولنا كولوئيدي .

2868 Collutoire ٢٨٦٨ غَرغَرة ، مَضْمَضة

وقد عرفت اللفظة الفرنجية بأنها العلاج الذي يستعمل لأجل التأثير في اللثة وفي جدار جوف الفم (معجم غارنيه M. Garnier) وأرجح بأن تترجم اللفظة بطِلاء [1] الفم ، وان تخصص الغرغرة والمضمضة ترجمة للفظة (Gargarisme) وقد عُرفت هذه بأنه العِلاج السائل الذي يستعمل بخضه في الجزء الخلفي من الحلق والبلعوم [2] . وطبيعي أن لا ينطبق هذا التعريف على مدلول لفظة (Collutoire) .

2893 Colorant azoïque corps azoïque coloré ٢٨٩٣ مُلَوِّن آزوتي، جسم آزوتي مُلَوَّن

والأصح أن يقال مُلوِّن آزوئيكي أو مُلوِّن الآزو عملاً بالترجمة الانكليزية (Azodyes) ولو كانت النسبة الى الآزوت لوجب أن تكون (Colorant Azotique) ولكن النسبة هنا الى صنف من المواد الصباغية تعرف بـ (Azobenzène) .

---

(١) في اللسان : الطِّلاء القَطِران وكل ما طليت به .

(٢) (M. Garnier et V.Delamare Dictionnaire,des termes techniques de médecine)

2908 Coma — ٢٩٠٨ تسبيخ

وأقر مجمع اللغة كلمة سُبات وهي الكلمة الدارجة والتي يستعملها جميع الأطباء بلا استثناء ولا أرى مسوغاً لاستبدالها بكلمة جديدة قاموسية ٠

2910 Coma urémique — ٢٩١٠ تسبيخ تبولي

وأرجح سُبات أوريميائي وهو المصطلح الدارج أيضاً ٠

2948 Complexe auriculaire, ressaut P (E C G) — ٢٩٤٨ مشترك أذَيني

وأفضل المجموعة الأذينية أو المُركّب الأذيني اشارة P (م ق ك) أعني مخطط القلب الكهربائي ٠

2949 Complexe intial, partie initiale du complexe ventriculaire, complexe Q. R. S. (E C G) — ٢٩٤٩ مشترك بِدائي،القسم البدائي من المشترك البطيني

وأفضل أن يقال في ترجمة اللفظة وما يليها : المجموعة البدئية ، الجزء البدئي من المجموعة البطنية ، مجموعة Q. R S. (م ق ك) ٠

2950 Complexe Q. R S. T. complexe ventriculaire (E C G) ventri-culogramme — ٢٩٥٠ مشترك بُطَيني مخطط بطيـني

وأفضل في ترجمة هذه المصطلحات : مجموعة (Q R. S T.) ، المجموعة البطينية (م ق ك) المخطط البطيني ٠

2935 Comportement général — ٢٩٥٣ احتمالٌ عام ، تحمُّل

والصحيح سُلوك عام أو تصرُّف عام ٠

٣٠٢١ مَجرى السمع الظاهر والباطن — 2021 Conduit auditif ou acoustique externe et interne

والصحيح الصِماخ ومجرى السمع الباطن • ففي المخصص ولسان العرب الصِماخ من الأذن الخرق الباطن الذي يفضي الى الرأس • ولا أرى مانعاً من أن يدعى الأول الصماخ الظاهر والثاني الصماخ الباطن •

٣٠٤٠ هُذاء ، تخيل — 3040 Confabulation

وأرجح الخرَف [1]

٣٠٩٠ إضواء (وحدة الدم) — 3090 Consanguinité

والصحيح القَرابة أو القُربى وإن شئت القَرابة الدموية أو القربى الدموية على وجه التخصيص • أما الإضواء فهو الهُزال والضَّعف البادي في الولد من القَرابة في الزواج ، فهو نتيجة التقارب لا القرابة ذاتها [2] •

٣٠٩١ الشُعور (غَطْمَشة) — 3091 Conscience (obnubilation de la)

---

(١) في اللسان : الخرَف بالتحريك فساد العقل من الكِبَر • وقد خرِف الرجلُ بالكسر يخرَف خرَفاً فهو خرِفٌ فسدَ عقلُه من الكِبَر والأنثى خرِفة وأخرفَه الهرَمُ •

(٢) في اللسان : والضَّوى دقّة العظم وقلة الجسم خِلْقة ، وقيل الضوى الهُزال ضوِيَ ضَوىً الى أن قال : وأضوى الرجلُ وُلِد له ولدٌ ضاويٌ وكذلك المرأة • وفي الحديث اغتربوا لا تضوُوا أي تزوجوا في البِعاد الأنساب لا في الأقارب لئلا تضوى أولادُكم • وقيل معناه انكحوا في الغرائب دون القرائب ، فإن ولد الغريب أنجَبُ وأقوى ، وولد القرائب أضعَفُ وأضوى •

وأرجح فَتَرَ الشُعور أو الوعي وربما غطش الشعور أو الوعي والأولى أفضل [١] .

3092 Conscience de soi - même ٣٠٩٢ شُعُور بالذات

وأرجح شُعُور بالأنا (مصطلح نفساني) .

3135 Constriction intestinale ٣١٣٥ تَحتَّر مِعَوي

وأرجح تَضَيُّق مِعَوي [٢]

3171 Contraction péristaltique ٣١٧١ تَقَلُّص حَوْلي

وأقر مجمع اللغة التَمعّج ترجمة لِ (Peristaltis) ودرجت على استعمال كلمة التحوّي في هذه الترجمة ، والمقصود من اللفظة الحركة البادية في الأمعاء والتي من شأنها أن يضيق أحد أجزائها بينما يتسع الجزء الذي يليه وتتابع الحركتين مما يتيح للغذاء أن يسير في لمتها [٣] وأرجح من أجل ذلك أن تكون الترجمة تقلص حَوِي أو استداري .

---

(١) في اللسان : والفَتَر الضعف وفَتَر جسمه يَفْتُر فتوراً لانت مفاصله وضعف ، ويقال أجد في نَفْسي فَتْرة وهي كالضَّعفة ، ويقال للشيخ قد علاه كَبْرة وعَرَتْه فَتْرَة وأفتره الداء أضعفه وكذلك أفتره السُكر . والغُطاش ظُلْمة الليل واختلاطه ، ليل أغطش ، وقد أغطشَ الليل فهو غاطش أي مظلم ، وفي الأساس وفلاة غطشى عمية المسالك ومررت فتغاطش أي تغافل .
أما الغَطْمَشَة فقد جاء في اللسان : الغطمشة الأخذ قهراً وتَغَطْمش فلان علينا تغطمشاً ظلمنا وبه سمي الرجل غَطَمَّشاً .

(٢) في اللسان : حتار كل شيء كِفافه وحرفه وما استدار به كحتار الأذن وهو كِفاف حروف غضاريفها الى أن قال : وحَتَر الشيء وأحتره أحكمه ، احترت العُقدة إحتاراً إذا أحكمتها فهي مُحْتَرة ، وكل شد حَتْر . بينما يقصد بهذا المصطلح تضيق لمة المعي لا غير .

(٣) المقصود من كلمة حوْلي نسبة الى حوْل الشيء ما يطيف بجوانبه ولا أراها في محلها . والتمعج كما جاء في اللسان : المَعْج سرعة المَرّ وريح مَعُوج سريعة المَرّ ومَعَجَ السَّيل يمعَجُ أسرَعَ ومَعَج في الجري يمعَجُ مَعجاً تفنن .
أما التحوي ففي اللسان أيضاً : والحوِيّة استدارة كل شيء وتحوى الشيء استدار .

3184 Contre - coup تضاد الصدمة ٣١٨٤

وأفضل أن يقال الصَّدْمة المُقابِلة أو الراجِعة أو ردة الصدمة .

3185 Contre épreuve ضد التجربة ، ضد الاختبار ٣١٨٥

وأفضل الاختبار المُقابل .

2190 Contre stimulant مضاد التنبه ٣١٩٠

وأرجح مُهَدّئ .

3309 Convulsion tonique, tonisme اختلاج اشتدادي ، مُحَظْرَب ٣٢٠٩

وأرجح أن يقال اختلاج مقوّ ، التقوي . لأن كلمة اشتدادي سبق وأن استعملت ترجمة لِـ (paroxystique) ، واللجنة استعملت القوة والمقوي لترجمة (tonique) وأمثالها . أما التحظرب فقد جاء في اللسان أنه امتلاء البطن [1] .

3217 Coprostase انحباس البراز ، انحباس الغائط ٣٢١٧

وأرجح ركود البِراز أو ركود الغائط كما أن مطاوع حَبَس احتبس لا انحبس وفق ما جاء في اللسان والقاموس .

3244 Cornage, dyspnée du cheval, pousse صَوت صوري ، زلة الحصان ، نُخام ٣٢٤٤

ودرجتُ على ترجمة اللفظة بالضَّبْح . وعرفت اللفظة الفرنجية بأنها مستعارة من الطب البيطري للدلالة على الصفير الحُنْجري الرُغامي الشديد حتى ليسمع

(١) في اللسان : المُحَظْرَبُ الشديد الفَتْل ، حَظْرَب الوَتَرَ والحَبْلَ أجاد فَتْلَه وشد تَوْتيرَه وحَظْرَبَ قوسه اذا شد تَوْتيرها ورَجُلٌ مُحَظْرَبٌ شديد الشكيمة الى أن قال والتحظرُب امتلاء البَطْن .

من بَعْد . وفي اللسان : ضَبَح يَضْبَح ضَبْحاً وضُباحاً نَبَح والضُباح الصَّهيل وضَبَحت الخَيْل في عَدْوها تَضْبَح ضَبْحاً أسمعت من أفواهها صوتاً ليس بصَهيل ولا حَمحمة ، وقيل تَضْبَح تنحِم وهو صوت أنفاسها اذا عَدون الى أن قال وفي التنزيل والعاديات ضَبْحاً .

وفي اللسان والنُّحام طائر أحمر على خِلْقة الإوز واحدته نُحامة . والنَّحيم صوت من صدر الفرس [1] . لذا أرجح أن يقال في ترجمة هـذه اللفظات : ضَبْح ، زُلة الخَيْل ، تنحيم .

3268 Corps ٣٢٦٨ جِسم ، جُسْمان ، جَسَد
وَبدَن أيضاً .

3383 Coudé. e ٣٣٨٣ مُكوَّع

وأرجح مِرْفقي نسبة الى المِرْفق وهو مَوْصِلُ الذراع في العَضُد . أما مُكوَّع فهو نسبة الى كوع وهو طَرَفُ الزند الذي يلي أصل الإبهام [2] .

3385 Cou - de - pied ٣٣٨٥ عُنُق القدم

وهي الترجمة الحرفية للفظة الفرنسية ولم يسبق لأحد من أطباء العرب القدامى أن استعملها ولم أعثر عليها في أي معجم من المعاجم العربية . وما استعمل في الدلالة على هذه اللفظة هو صَدْر القَدَم وحِمارة القدم مع بعض الفرق بين هاتين

(١) في المخصص : التَنحيم والكَرير صوت يكون من الصدر وفَرَسٌ نَاحِمٌ ونَاحِمة .

(٢) في اللسان : الكاع والكُوع : طَرَف الزند الذي يلي أصل الإبهام وقيل هو من أصل الإبهام الى الزند ، وقيل هما طرفا الزندين في الذراع والكوع الذي يلي الإبهام والكاع طـرف الزند الذي يلي الخِنْصِر وهو الكُرْسُوع وجمعها أكواع .

اللفظتين (١) . وترجمة اللفظة الانكليزية (Instep) وقد عُرفت بأنها قوس الجزء المتوسط من القدم ، واللفظة الالمانية (Fussbeuge) تفيد المعنى نفسه ، مما يدل على انفراد الفرنسية بهذه التسمية التي لنا في لغتنا الضادية ما يقابلها . كما أن ترجمة اللجنة للفظة (Articulation tibio - tarsienne ou du cou de pied) بمفصل عنق القدم (اللفظة ذات الرقم ١١٥٠) حريّ به أن يصحح بمفصل القدم وكُرْسوع (٢) القدم أو مفصل الكعب كما جاء في قانون ابن سينا وفي كامل الصناعة .

٣٣٩١ رَمَض 3391 Coup de chaleur

ودرجت على ترجمة اللفظة بلفحة الرَمْضاء ، إذ المقصود منها العوارض العامة الناجمة عن التعرض للحر الشديد والرَمَض يدل على أثر موضعي (٣) .

---

(١) في المخصص الحمارة : في القدم حمارتها وهي ظهْر عظمها قريباً من مفصل القدم ، صَدْر القدم ما تحت الأصابع من مُقدّمها .
في اللسان : وحمارّة القَدَم المشرِفة بين أصابعها ومفاصلها من فوق ، وصَدر القَدَم مُقدّمها ما بين أصابعها الى الحمارّة .

(٢) في المخصص : كُرْسوع القدم مفصلها من الساق ، وكذلك في اللسان أيضاً .

(٣) في اللسان لَفَحَتْه النــار تَلْفَحُه لَفْحاً ولَفَحاناً أصابت وَجْهَه إلا أن النَّفح أعظم تأثيراً منه وكذلك لَفَحت وَجْهَه ، لَفَحَتْه النار إذا أصابت أعلى جسده فأحرقته لفَحَته النار والسَّمُومُ بحرها أحرقته .
وفي اللسان أيضاً : الرَمَض والرَمضاء ، شدة الحر ، والرَمَض حرُّ الحجارة من شدة حَرّ الشمس وقيل هو الحرّ والرُّجوع عن البادي إلى المحاضر وأرضٌ رمضة ، والرَمَض شدة وقع الشمس على الرمل والأرض رمضاء الى أن قال : ورَمض الإنسان رَمضاً : مضى على الرَمضاء والأرض رَمِضة ورَمِض يومنا بالكسر يرمَض رَمضاً اشتد حره ، ورمضت قدمه من الرمضاء أي احترقت .

٣٣٩٩ رَعْن 3399 Coup de soleil, insolation

والصحيح رَعَن بالتحريك [١] .

٣٤٧٢ وُراك 3472 Coxalgie

والصحيح الألم الحَرْقفي أو الألم الحَجَبي نسبة الى الحَرْقفة والحَجَبة [٢] ، وهو الاسم الدارج بين الأطباء وفي كتب التشريح إذ الوَرِك ينبغي أن يخصص للفظة (Ischion) وقد أطلقت عليها اللجنة الوَرِك أيضاً مما يوجب الالتباس بينهما .

٣٤٧٣ وُراك هَرَعي 3473 Coxalgie hystérique, maladie de

داء برودي Brodie

وأرجح ألم حرقفي هيستريائي أو ألم حجَبي هيستريائي [٣] .

(للبحث صلة) الدكتور حسني سبح

---

(١) في القاموس المحيط : الأَرْعَن الأهوج في منطقه والأحمق المسترخي وقد رَعُن مثلثة رُعونة ورَعَناً محركة وما أَرْعَنَه ورَعَنَتْه الشمس آلمت دماغه فاسترخى لذلك وغُشيَ عليه والرَّعْن أنف يتقدم الجبلَ ج رُعُون ورعان والجبل الطويل .

(٢) لا أدري لماذا تخلت اللجنة عن الحرقفة في ترجمة كلمة (Hanche) واستبدلتها بوَرِك فقد جاء في اللسان الحَرْقفتان رؤوس أعالي الوَرِكين بمنزلة الحجبة ، والحرقفتان مجتمع رأس الفخذ ورأس الوَرِك حيث يلتقيـان من ظاهر . الحَرْقَفَة عظم الحَجَبَة وهي رأس الوَرِك . والحَجَبَة بالتحريك رأس الوَرِك والحَجَبتان حرْفا الوَرِك اللذان يُشرفان على الخاصرتين .

(٣) انظر الصفحة ٣٠٠ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

مختارات مما لم يُنشر

من شعر البحتري[1]

-٦-

قال البحتري[2] يمدح أحمدَ بنَ محمدِ بنِ بَسْطَام[3] :

---

(١) أخبرنا بعض العائدين من مصر أن الأستاذ حسن كامل الصيرفي قد دفع إلى مطبعة دار المعارف بالجزء الأول من تحقيقه لديوان البحتري الكامل ، ولهذا رأينا أن نختم مختاراتنا بتقديم هذه الحلقة الرابعة والأخيرة منها ، وكلنا أملٌ ألا يطول انتظارنا بعد اليوم ، وإلى الأستاذ الصيرفي أطيب تحياتنا وأصدق رجائنا بأن تتم هذه «المعجزة» على يده ، وفقه الله .

(٢) القصيدة من الطويل ، عدد أبياتها ٣٦ ، نقلناها من مخطوطة ديوان البحتري بالمكتبة الوطنية بباريس (رقم ٣٠٦٨ من القسم العربي) الورقة ٣٢٨ و — ٣٢٩ و والذي يؤكد صحة نسبتها إلى البحتري أن المعري في (عبث الوليد : مطبعة الترقي في دمشق ١٩٣٦ : ص ١٩٠ — ١٩١) يذكر الشطر الأول من مطلعها والأبيات : ٩ و ١٢ و ٣٤ منهـا .

(٣) أبو العباس أحمد بن محمد بن بسطام الكاتب أحد أعيان الفرس ، ومن أشهر رجال الدولة في النصف الثاني من القرن الثالث ، وكان ممدَّحاً «مشهوراً بعظم مروءته وكثرة معروفه» كما يقول عنه التنوخي على لسان الخليفة المعتضد (نشوار المحاضرة ـ مطبعة المفيد بدمشق ١٩٣٠ م : ٨ / ٦٥) ، وقد مدحه البحتري بعشر قصائد ، ثلاث منها لا تزال مخطوطة ، وهذه القصيدة إحداها ، ويبدو أن اتصال البحتري بأبي العباس بدأ في الشآم ، حيث كان الممدوح يتولى بعض الأمور (ديوان —

هواها ـ على أنّ الصُّدودَ سبيلُها ـ مُقيمٌ بأكنافِ الحشا ما يَزُولُها

وإنْ جَهَدَ الواشونَ في صَرْمِ حَبْلِها وأبدعَ في فرط الملامِ عَذولُها

ومُولَعَةٍ بالهجرِ يُقلى وَدودُها ويُقصى مُدانيها ويُجفى وَصولُها

أذال[1] مصوناتِ الدموعِ اهتجارُها ولولا الهوى ما كانَ شيءٌ يُذيلُها

وما الوجدُ إلاّ أدمعٌ مُستَهِلَّةٌ إذا ما مَراها[2] الشوقُ فاضَ هَمُولُها

أَسِيْتُ فأعطيتُ الصّبابةَ حقَّها غداةَ استقلّت للفِراقِ حُمُولُها[3]

وهل هيَ إلاّ لوعةٌ مُستَسِرَّةٌ يُذيبُ الحشا والقلبَ وجداً غَليلُها

ـــ البحتري : الجوائب : ١/ ١٣٥) وفي العراق توثقت أواصر الصداقة بينهما، وكان الممدوح يتقلد أعمالاً مالية وإدارية وكتابيــة (نشوار المحاضرة : ٨ / ٥١ ــ ٥٢) والبحتري في مدائحه له يتحدث عن حسن سياسته في جمع الخراج، كما يصوره كاتباً مجيداً وقائداً فارساً شجاعاً (الديوان ــ الجوائب : ١/ ١٢٩ و ٢/ ١٣٩؛ ومخطوطة الديوان الباريسية : الورقة ٣٨١ ــ ٣٨٢) وحول إحدى مدائح البحتري فيه ثارت تلك المعركة الشعرية بين البحتري وعبيد الله بن عبد الله بن طاهر، ونجد صدى هذه المعركة في ديوان البحتري (الجوائب : ١ / ١٢٧ ــ ١٣٣) وبعض كتب الأدب (الموشح للمرزباني ــ السلفية ١٣٤٣هـ : ص ٣٥١) .

(١) أذال الدمع : سفحه .

(٢) مرى الدمع : استدرّه وأرسله .

(٣) الحمول : الهوادج أو الإبل التي عليها الهوادج .

ولولا معالي أحمدَ بنِ محمدٍ لأضحت ديارُ الحمدِ وَحشاً[١] طُلولُها
فتى[٢] لم يَمِلْ بالنفسِ منه عن العُلى إلى غيرها شيءٌ سواها يميلها
يَرُدُّ بني الآمالِ بِيضاً وُجوهُهُمْ بنائلةٍ جَمٍّ العطايا جزيلُها
فليس يُبالي مُستَميحو نوالِهِ أصاب الليالي خِصْبُها أم مُحُولُها
أنار [٣] به بسطامُه [٤] ومحمدٌ قِمامَ[٥] علىً يُعْيِي الملوكَ حُلولُها

(١) المكان الوحش: القفر.

(٢) أورد المعري البيت في (عبث الوليد) هكذا:

متى لم يمل بالنفس فيه عن العلى إلى غيرها شيءٌ سواه يُميلُها

ثم علّق عليه بقوله: «كان في النسخة - يعني التي كانت تُقرأ عليه - «شيءٌ سواه» والمعنى صحيح إن كانت الرواية على ذلك، كأنه يريد أنّ هذا الرجل إذا لم يُسأل شيئاً، أو تُرِد منه معونة، فهو يميل نفسه إلى البر والأفعال الحسنة وإن لم يُسأل ولم يُستمن، وهذه المذكورات كلها شيء هو غير الممدوح، والهاء في (سواه) راجعة عليه.»

(٣) في (عبث الوليد): «كان في النسخة (أناب به) وهي كلمة نافرة في هذا الموضع، ولو أنها (أثاب) لكانت أشبه ... وفي بعض النسخ (أناف) وهو أشبه بمذهبه».

(٤) جد الممدوح، واسم الممدوح أحمد بن محمد بن بسطام.

(٥) في (عبث الوليد): «في النسخة (القمامُ) مرفوعة، وإنما يجوز ذلك إذا جُعلت بدلاً من (بسطام ومحمد)، والمعنى يصحّ على ذلك إلا أنه بعيد، والأحسن أن يكون (أَبَنّ) في موضع (أناب) أي أقام ولزم؛ (قِمامُ عُلًى) يُنصب بوقوع الابنان عليها؛ وقد أساء البحتري في قوله (قِمام) لأن المعروف (قِمم) إلا أن زيادة الألف هاهنا جائزة، تُشبَّه بقِلال وقِباب.»

له هِمَمٌ لا تملأُ الدهرَ صَدْرَهُ ... يَضِيقُ بها عرضُ البلادِ وَطُولُها
إذا لاحظ الأحداثَ عن حدِّ سُخْطِهِ ... تضاءل عند اللَّحْظِ خوفاً جَلِيلُها
لقد أُعْطِيَتْ منه الرعيةُ فوق ما ... تَرَقَّتْ أمانيها إِليهِ وَسُولُها(١)
نَفَى الجورَ بالعدلِ المُبينِ فأصبحتْ ... معاهدُه لم يبقَ إلاّ مُحيلُها(٢)
فأثرى به مِن بَعْدِ بُؤسٍ عَديمُها ... وعزَّ به مِنْ بَعْدِ خَوْفٍ ذَليلُها
وسارعَ طَوْعاً بالخراجِ أَبِيُّها ... وعاد حليماً بعد جهلٍ جَهُولُها
وما زال ميمونَ السياسةِ ناصحاً ... له شِيَمٌ زُهْرٌ يَقِلُّ عَديلُها
يَنال بحُسْنِ الرِّفقِ ما لو يرومُه ... سِواهُ ببيضِ الهند خِيفَ فُلولُها
له فِكَرٌ عند الأمورِ يُرِينَهُ ... عواقبَها في الصَّدْرِ حينَ يُجيلُها(٣)
تتابَعُ منه كلَّ يومٍ فضيلةٌ ... يفوتُ ارتدادَ الطَّرْفِ سَبْقاً عَجولُها
إذا كرَّها بالبِرِّ منه أعادها ... على النهجِ محمودُ السجايا جميلُها
له نبعةٌ في العزِّ طالتْ فروعُها ... وطابَ ثَراها واطمأَنَّتْ أُصولُها

(١) سولها مخففة من (سُؤْلها) وهو ما تسأله وتطلبه .

(٢) دار محيلة : غاب عنها أهلها منذ حول ، وكذلك إذا أتت عليها أحوال .

(٣) في مدائح البحتري الأخرى لأبي العباس مثل هذا المعنى ، كقوله :

وذو هاجسٍ لا يُحجبُ الغيبُ دونه ... تُريهِ بطونَ المشكلاتِ ظهورُها

(الديوان — الجوائب : ٢ / ١٣٨) .

ولو وُزِنَتْ أركانُ رَضْوى وَيذْبُلٍ وقُدْسٍ[١] بهِ في الحِلْم خفَّ ثقِيلُها
له سَطَواتٌ كلَّ يومٍ وليلةٍ على مُهَجِ الأعداءِ لا تَسْتَقِيلُها[٢]
إذا جارتِ الآمال عن قصْدِها اغتدى إليها نَداهُ الجزْلُ وَهْوَ دَليلها
ولمّا شَأَى[٣] في المجدِ سَبْقاً تقدَّمتْ له في مداهُ غرَّةٌ وحُجُولُها[٤]
سليلُ المعالي والفخارِ وإنّما يَتيهُ ويُزهى بالمعالي سَليلُها
فِداكَ أبا العباسِ مِنْ كلِّ حادثٍ من الدهرِ مَنْزُورُ العطايا مَطُولُها[٥]
فكم لكَ في الأموالِ من يومِ وقعةٍ طويلٍ من الأموالِ فيه عَويلُها
ومِنْ صولةٍ في يومِ بُؤْسٍ على العدى يُهالُ[٦] فؤادُ الدهرِ حين يَصولُها

(١) رضوى ويذبل وقدس جبال مشهورة في الجزيرة العربية ، أولها بالحجاز على سبع مراحل من المدينة (معجم البلدان – بيروت : ٣ / ٥١) والثاني والثالث في نجد (معجم البلدان : ٥ / ٤٣٣ و ٤ / ٣١١) .

(٢) لا تقيلها ولا تنساها .

(٣) شأى القومَ : سبقهم .

(٤) الغرة بياض في جبهة الفرس والحجول بياض في قوائمه .

(٥) منزور العطاء : الرجل الذي ألح عليه في طلب العطاء ، والمطول : الكثير المطل .

(٦) هاله الأمر : أفزعه وعظم عليه .

إليك سَرَتْ غُرٌّ القوافي كأنّها … كواكبُ ليلٍ غاب عنها أُفولُها

بدائعُ تأبى أن تدينَ [١] لشاعرٍ … سوايَ إذا ما رامَ يوماً يقولُها [٢]

تزولُ الليالي والسِّنونَ ولا يُرى … على العهدِ طولَ الدهرِ شيءٌ يُزيلُها

يُهيِّجَ إطرابَ [٣] الملوكِ استماعُها … فيُحمَدُ راويها ويحيا قَؤُولُها

* * *

(١) في (عبث الوليد) : تبينَ .

(٢) يقول المعري في (عبث الوليد) : «أراد البحتري (أن يقولَها) فحذف (أن) وهو جائز ، إلا أنه رديء ، ومن جنسه قول طرفة :

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى … وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

وبعض الناس يغرّ من حذف (أن) فينشد :

ألا أيهذا اللائمي أن أحضرَ الوغى … . . . »

(٣) أطربه إطراباً : حمله على الطرب .

ملاحظات ونظرات

١ — هذه القصيدة واحدة من ثلاث لا تزال مخطوطة ، قالها البحتري في مديح أبي العباس أحمد بن محمد بن بسطام ، وفي ديوان البحتري المطبوع سبع قصائد أخرى في مديحه ، فابن بسطام إذاً أحد كبار ممدوحي البحتري ، وقد قدّمنا ترجمته ، ورجّحنا أن يكون اتصال الشاعر به قد تمّ في الشآم أولاً ثم ازدادت الصلة توثقاً في العراق ، لقول البحتري لممدوحه من قصيدة :

فكنّا بالشآم ـ إخالُ ـ خيراً لِرَعْيِ الودّ منـا بالعراقِ

(الديوان ـ الجوائب : ١ / ١٣٥) .

٢ — ليس من السهل تحديد تاريخ لنظم القصيدة ، فليس فيها ما يعيننا على تأريخها ، غير أننا نميل إلى الظن بأن القصيدة ثمرة الصلة الأولى بين الشاعر وممدوحه في الشآم ، ذلك أن البحتري لا يشير فيها إلى الأعمال الرسمية المهمة التي أصبح يقوم بها في العراق ؛ واتصال الشاعر بممدوحه في العراق يعاصر ثورة الزنج ، لأنه يتحدث عنها في إحدى مدائحه لابن بسطام آنذاك (الديوان ـ الجوائب : ١ / ١٢٧) وفي قصيدة أخرى يشير البحتري إلى أن عمره أوفى على الخمسين (الجوائب : ٢ / ١٣٨ — ١٣٩) وهذا كله يؤكد أن اتصال البحتري بممدوحه في العراق كان حوالي ٢٥٦ هـ ، أي في المرحلة التي قضاها الشاعر في العراق بعد المتوكل ، وعلى هذا تكون القصيدة قد نظمت قبل سنة ٢٤٧ هـ ، وهي السنة التي قتل فيها المتوكل .

٣ — تقع القصيدة في ثلاثة أقسام متميزة : نسيب ومديح وفخر بالشعر ؛ أما النسيب فيشغل الأبيات (١ — ٧) وهو غزل تشيع فيه حرارة قلب شاب ، متقد اللوعة ، فيّاض الدمع ، على الرغم من أن صوره كلها تقليدية لا جديد فيها .

وأما المديح فيشغل الأبيات (٨ — ٣٢) وقد مجد الشاعر فيه كرم الممدوح (فهو يعطي الجزيل حتى يبيت مستميحوه هانئي البال وقد تحققت آمالهم) وشرفَ نسبه (فأبوه وجده رفعا له أعلى الذرى ، وشجرة عزه طويلة الفروع طيبة الثرى مطمئنة الأصول ، وهو سليل المعالي والفخار) وشجاعتَه وحلمه وعقله (فله في أعدائه وقعات وسطوات ، وهو يفوق الجبال رزانة وتعقّلا) وإلى هنا يوفي البحتري أقانيم المديح التقليدية الثلاثة حقّها (الكرم وشرف النسب والشجاعة) ويضيف إلى ذلك تمجيد همة ممدوحه وحسن تدبيره وسياسته للرعية ، فقد حقق لها أمانيها ، وأزال عنها الظلم بعدله ، فأثرى بفضله العديم ، وعزّ بقوّته الذليل وأسرع الناس يدفعون الخراج ، ويدعون الجهل والطيش ، راضين مطمئنين .

وأما الفخر بالشعر فيشغل الأبيات الباقية (٣٣ — ٣٦) فقوافي البحتري غر كالكواكب ، وقصائده بدائع لا تدين لغيره ، وهي خالدة تتناقلها الألسن ، تُعجب وتُطرب آذان الملوك ، فيحمدون لذلك راويها ويحمدون قائلها .

٤ — أبرز مميزات القصيدة موسيقاها الذهبية الصافية ، فهي من ذلك النمط الغنائي الرفيع الذي من أجله سموا شعر البحتري « سلاسل الذهب » وقد أغنى البحتري قصيدته بالتلوينات الصوتية من جمل مترادفة وجمل متوازنة ، وألوان منسجمة من الطباق والجناس ، ولا نلتمس الأمثلة لذلك فالصنعة تفيض في القصيدة ، ولكن الذي خفف من كثافتها عذوبةُ الطبع الغلاّب وموسيقية فن البحتري المعجزة .

٥ — القصيدة إذاً من جيد شعر البحتري ورائعه ، وهي لا تتأخر عن أجود المختار له ؛ وهذا كله يزيد حسرتنا في أن تظل مثل هذه القصيدة البحترية الفريدة دفينة المخطوطات إلى اليوم .

- ٧ -

وقال البحتري (١) يمدح خُمارَوَيهِ (٢) بنَ طولون :

تفتا (٣) عُجباً بالشيء تَذكُرُهُ وإن تولّى وانقضى عُصُرُهْ

---

(١) القصيدة من المنسرح ، عدد أبياتها ٣٧ ، نقلناها من مخطوطة ديوان البحتري بالمكتبة الوطنية بباريس : الورقة : ١٩٦ و – ١٩٧ و ، ونسبة القصيدة إلى البحتري مؤكدة ، فكثير من كتب الأدب يورد بعض أبياتها ، في كتاب التشبيهات لابن أبي عون (مطبعة كمبردج) ص ٧٩ نجد الأبيات ٣ – ٦ و ص ٣١٩ نجد البيتين ٣١ و ٣٢ ؛ وفي عبث الوليد للمعري ص ١١٦ نجد الشطر الأول من المطلع والبيت التاسع ؛ وفي طيف الخيال للشريف المرتضى (مخطوطة) نجد الأبيات ٣ – ٦ نقلاً عن (الموازنة للآمدي) ولا نجد الأبيات في الموازنة المطبوعة (وطبعات الموازنة إلى اليوم كلها ناقصة) ؛ وفي معجم البلدان لياقوت (بيروت : ١ / ١٩٢) نجد البيتين ١٦ و ٣٠ ؛ وفي المختار من دواوين المتنبي والبحتري وأبي تمام للجرجاني (الطرائف الأدبية بتحقيق الميمني ١٩٣٧ : ص ٢٤٩ نجد الأبيات ١٣ و ٣١ و ٣٢ ؛ وقد أورد الدكتور محمد صبري القصيدة إلا البيت ٣٤ منها في كتابه القيم عن البحتري في سلسلته (الشوامخ) نقلاً عن مخطوطة خاصة يملكها للديوان ، وعلى الرغم من استفاضة شهرة هذه القصيدة فإن الديوان في طبعاته الثلاث لا يحويها !

(٢) قدمنا ترجمته في العدد الأول من المجلد ٣٤ من مجلة المجمع (كانون الأول سنة ١٩٥٩ ص ١٠٢) .

(٣) في عبث الوليد : « تفتأ من قولهم ما فتئ أي ما زال وهذا رديء جداً لأن (لا) إنما تحذف في القسم خاصة لأن مكانها قد عرف هنالك فاستغنى السامع –

ذكرت من واسطٍ (١) وبارحها ... ليل السواجير (٢) ساجياً سَحَرُهْ
وزائراً (٣) زار من أَعِقَّتِهِ (٤) ... يميل (٥) وزناً بانسه ذُعُرُهْ (٦)
كأنه جاء مُنْجِزاً عِـــدَةً ... وبتُّ في الراقبين أنتظرُهْ
لم أنسه مُوشِكاً على عَجَلٍ (٧) ... مُداجياً في الحديث (٨) يختصِرُهْ

— أن تُذكر له ... وليس في بيت أبي عبادة ما يدل على القسم ... وقد جاء في شعر بعض العلماء (فنئت) مهموزاً ، ولو رويت (تقنأ عجباً) لكانت أبين وأسوغ في قياس العربية» ومعنى تقنأ : تكسب وتملك .

(١) يذكر ياقوت أن للعرب سبعة أواسط في أقطار متفرقة ، ولكن البحتري يريد هنا واسط الحجاج بالعراق ، لأنه كان هناك قبل قدومه على خمارويه ، وسميت واسط الحجاج لأن الحجاج بناها ، ولأنها متوسطه بين البصرة والكوفة (معجم البلدان ٥ / ٣٤٧) .

(٢) السواجير : نهر من عمل منبج بالشام كما يقول ياقوت (معجم البلدان : ٣ / ٢٧١) وليس في منبج اليوم نهر ، ولعله أقنية المياه الرومانيــة القديمة آنذاك ، ومن عادة البحتري أن يطلق (السواجير) ويريد بلده منبج (أخبار البحتري : ١٣١) .

(٣) في (طيف الخيال) : وزائرٍ .

(٤) جمع عقيق وهو الوادي وكل مسيل ماء شقه السيل قديماً فوسّعه .

(٥) في (تشبيهات ابن أبي عون) : يخلط .

(٦) إنما يريد به أن ذعره أرجح وأزيد من أنسه (طيف الخيال) .

(٧) في مخطوطة صبري : وجل .

(٨) في (طيف الخيال) : للحديث .

كأنّما الكاشحونَ قد خَرِصوا (١) مكانَه أو أتاهمُ خَبَرُهْ

وقد دعا ناهياً فأسمَعَني وَخْطٌ (٢) على الرأسِ مُخْلِسٌ (٣) شَعَرُهْ

شيبٌ أرتني الأسى أوائلُهُ فليت شِعري ماذا تُري أُخَرُهْ

صغَّرَ قَدْري في الغانياتِ وما صغَّر صبّاً تصغيرَه كِبَرُهْ (٤)

ولي فؤادٌ دَنَتْ إِفاقَتُهُ فانزاحَ إلاّ صُبابةً (٥) سُكُرُهْ

بَيْنَ التكالِفِ (٦) والنزوعِ فما تأخذه لوعةٌ ولا تَذَرُهْ

كلٌّ امرىءٍ مُرْصَدٌ لِعاقِبَةٍ سامٍ (٧) إليها رجاءه حَذَرُهْ

(١) إنما يريد أنهم قد حزروا مكانه ، وسبق ظنهم اليه ، من الخَرْص الذي هو حَزْرُ ثمرة النخل ، لا من الخَرْص الذي هو الكذب . (طيف الخيال) . وفي المحيط : كم خِرصُ أرضك ؟

(٢) وَخَطه الشيبُ : خالط سوادَ شعره .

(٣) أخلس الشعر : ابيض بعضه فهو مُخْلِسٌ .

(٤) يقول المعري في (عبث الوليد) تعليقاً على البيت : « هذا شيءٌ يجترئ عليه البحتري لسعة بحره في القريض ، وكان لا يحفل بضرورة ولا حذف ، وغرضه في هذا البيت : وما صغّر شيءٌ [صبّاً] مثلَ ما صغَّره كِبرُه ، والهاء في (تصغيره) راجعة على الصب ، وقد حذف اسم الفاعل الذي يرتفع بصغّر اعتماداً على علم المخاطب بذلك » عبث الوليد : ١١٦

(٥) الصبابة : البقية القليلة .

(٦) من كَلِفَ الأمرَ : تجشمه على مشقة وعُسرة ، والواحدة : تكلفة .

(٧) في (الأصل) : ساوى ، وأثبتنا رواية مخطوطة صبري .

لا تَسْخَطِ المَصْعَدَ المهُولَ إذا ... كان إلى ما ترضاهُ مُنْحَدَرُهْ

تَثُوبُ[١] حالُ الفتى وإن لجّ صَرْ ... فُ الدهرِ يَجْني عليه أو يَتِرُهْ[٢]

ثَوْبَ[٣] ذي الأَثْرِ[٤] إنْ يُعِدْ صَنَعٌ[٥] ... له صِقالاً يوماً يَعُدْ أَثْرُهْ

هل يُلْقِيَنِّي إلى رِبَاعِ[٦] أبي الـ ... ـجيشِ[٧] خِطَارُ[٨] التغويرِ[٩] أو خَطَرُهْ[١٠]

مُخَيِّمٌ في دمشقَ من دونه الـ ... ـخَرْقُ[١١] بعيدٌ من وِرْدِهِ صَدَرُهْ

أعارَها مِنْ ضِيائهِ وغدا ... فخراً لها مَجْدُهُ ومُفتَخَرُهْ

---

(١) في مخطوطة صبري : تبين .

(٢) وتره يَتِرُه : أفزعه وأصابه بظلم أو مكروه .

(٣) في مخطوطة صبري مكان (ثوب ذي الأثر) نجد (إبانة السيف) .

(٤) ذو الأثر : السيف ، والأثر : جوهر السيف .

(٥) الصَنَع : الحاذق الماهر في الصنعة .

(٦) في الأصل : الأمير ، وفضّلنا رواية مخطوطة صبري ومعجم البلدان .

(٧) هو خمارويه ، و (جيش) أكبر أولاده وخليفته من بعده (انظر مجلة المجمع : العدد الأول من المجلد ٣٤ ص : ١٠٨ (ك ٢ : ١٩٥١) .

(٨) خطار : أن تخطِر الناقةُ بذنبها في السير نشاطاً ، ومنها الناقة الخطّارة التي تضرب بذنبها يميناً وشمالاً .

(٩) التغوير : السير في الغور ، وهو ما انحدر واطمأن من الأرض .

(١٠) عند ياقوت : غَرَرُهْ : وهو كالخطر : التعريض للهلاك .

(١١) الخرق : الأرض البعيدة الواسعة تتخرّق فيها الرياح ، والفلاة الواسعة .

كاد دُجى الليل مِنْ طلاقَتِه يُقْمِرُ والأفْقُ ساقطٌ قمرُهْ
وبينَ أُسْوانَ [١] والفراتِ [٢] زَهتْ رعيّةٌ ما يُغِبُّها [٣] نظَرُهْ
يبلغُ أقطارَهـــا ، وتعلمُهُ مُجتمعاً في صلاحِها وَطَرُهْ
يَقْصُرُ شأْوُ الملوكِ عن مَلِكٍ نُجِلُّهُ دونَهم ونَجْتَهِرُهْ [٤]
أغرُّ منهم والشهرُ آنسَهُ لِطالبٍ ذي لُبانةٍ غُرَرُهْ [٥]
والصُّنْعُ [٦] إذ يرتجيه آمِلُهُ مُرْجىً إلى أن يسوقَهُ قَدَرُهْ
كالسَّهمِ لا يَكْتَفي بوَحْدَتِه الـــقانصُ حتى يُعينَهُ وَتَرُهْ
وقد كفى غَوْلَ [٧] دَهرِهِ جَبَلٌ يَعْظُمُ عن أهلِ دَهرِهِ خَطَرُهْ

---

(١) مدينة كبيرة في آخر صعيد مصر على النيل في شرقيه (معجم البلدان : ١/ ١٩١) .

(٢) في (معجم البلدان) : العراق .

(٣) غبَّ القومَ وأغبَّهم : جاءهم يوماً وتركهم يوماً ، والمعنى أن نظره لا ينقطع ، وعنايته بهم دائمة .

(٤) ننظر إليه جهاراً نستعظمه ، ويبدو أن في مثل هذا القول تعريضاً بالعباسيين . ويقول البحتري لخمارويه أيضاً في قصيدة أخرى لا تزال مخطوطة :

أراك تزيد في عيني وقلبي إذا نقصت موازين الرجال

(مخطوطة باريس : الورقة ٣١٤ ظ) .

(٥) الغُرَر : ثلاث ليالٍ من أول الشهر .

(٦) الإحسان والرزق .

(٧) مشقة .

يُخشى شَذاهُ (١) وغيرُ مُغتبطٍ نفعٌ مُرَجّى لا يُختشى ضَرَرُهْ
إنْ سار عادالنهارُ من رَهَج (٢) الزَّ(م) حوف (٣) ليلاً يسودُّ مُعْتَكِرُهْ (٤)
فالجوُّ كابي الأرواق (٥) أكلَفُها (٦) والماءُ طَرْقٌ (٧) نميرُهُ كَدِرُهْ
عِبءٌ على الواصفين تُؤثَرُ أخـــبارُ نداهُ وتُقْتَفى سِيَرُهْ
إذا علا في بهاءِ منظرِهِ أربى عليه في الحُسْنِ مُختَبَرُهْ
كالغيثِ ما عَيْنُهُ ببالِغَةٍ بعضَ الذي راحَ بالغاً أثَرُهْ
لنا عتادٌ مِمّا يراه لنا نُنفِقُهُ تارةً ونَدَّخِرُهْ
يثلم في وَفْرِ (٨) لابسٍ مِقَةً (٩) يكاد حُباً بحظّه يَفِرُهْ (١٠)

(١) الشذا : الأذى والضر .
(٢) الرَّهْجُ والرَّهَجُ : ما أثير من الغبار .
(٣) في مخطوطة صبري : الزحف ، ولا يستقيم بذلك وزن البيت ، ولم ينتبه الدكتور صبري إلى ذلك .
(٤) اعتكر الليل : اشتدّ سواده .
(٥) جمع رَوْق وهو الرواق ، ورواق الليل ظلمته .
(٦) الأكلف مَن به كُلْفة أي حمرة كدرة أو سواد أُشرب حُمرة كالسُّفعة .
(٧) الماء المجتمع الذي خوّضت الإبل فيه وبوّلت .
(٨) الوَفر : المال الوافر .
(٩) كذا في الأصل ، ولم يرد البيت فيما نقله الدكتور صبري من القصيدة .
(١٠) وفر المالَ يفره : صانه .

أزهرو الروضُ(١) لا يروقُكَ أو يحكي مصابيحَ ليله زَهَرُهْ
يُخِيلُ(٢) حتى ترى النجاحَ على ظاهر بِشرٍ مُبينةٍ بُشُرُهْ(٣)
والغيمُ محبوكةً طرائقه أحجى من الصحو يُرتجى مَطَرُهْ

☆ ☆ ☆

ملاحظات ونظرات

١ – كنا ذكرنا في ملاحظاتنا على القصيدة الأولى في هذه السلسلة من المختارات (العدد الأول من المجلد الرابع والثلاثين من مجلة المجمع) أن للبحتري أربع قصائد في خمارويه بن أحمد بن طولون لا يحويها الديوان في طبعاته الثلاث ، وقدّمنا هنالك أولى هذه القصائد ، وهذه ثانية أردنا أن نقدمها إلى القراء ، ليروا فيها لوناً جديداً من صياغة البحتريّ ، تغلب فيه الصنعة الحاذقة حظّ الطبع ، وتظل مع ذلك في الطبقة الرفيعة من فن البحتري .

٢ – وكنا ذكرنا أن اتصال الشاعر بالأمير الطولوني بدأ منذ سنة ٢٧٩ هـ فتاريخ نظم القصيدة إذاً يقع في المرحلة الأخيرة من حياة البحتري .

٣ – تُلاحظ في القصيدة أقسام ثلاثة : نسيب وحكمة ومديح .

أما النسيب فهو يبدؤه بتصوير حنينه إلى بلده منبج ولطيف ليله وسحره وهو غريب عنه في واسط العراق ، ثم ينتقل إلى الغزل بالطيف الزائر ليلاً ، وللبحتري شهرة بوصف طيف الخيال ، ولهذا وقف الشريف المرتضى في كتابه « طيف الخيال »

---

(١) في مخطوطة صبري : والليل .

(٢) يُبشّر بالخير ، وتقول : أخيلت السماء : تهيأت للمطر .

(٣) جمع بشور وهي البشارة .

عند هذه الأبيات وقفة خاصة ، وإن يكن قد قال في آخرها «وهذه الأبيات ليست خاصة لوصف الطيف ، بل يجوز أن يكون المراد بها زائراً زار في اليقظة ، فالكلام محتمل في الطيف وغيره» ويحق للبحتري بعد ذلك أن يذكر شيبه ، وهو يقول القصيدة وقد أربى على السبعين من عمره ، وذكره لشيبه الذي صغّر من قدره عند الغواني يدفعه إلى إعلان شكواه من قلبه السادر في ضلاله وغوايته على الرغم من مشيبه .

وأما الحكمة فيسكب فيها الشاعر الشيخ شيئاً من عصارة تجاربه في الحياة ، فكل إنسان عنده مهيأ لِما قُدِّر عليه ، وهو لذلك بين راجٍ وحذر ، وعلى الإنسان ألا يغضب للطريق المصعدة المخيفة إذا كان منحدرها يؤدي به إلى ما يرضاه ؛ وحال الإنسان – كلما ألحت عليه مصائب الدهر – كالسيف يعود إليه أثره إذا جلاه الحاذق الصناع .

وأما المديح فقد أغناه الشاعر بتمجيد ممدوحه في طلاقته وحسن سياسته للرعية وفي شجاعته وكرمه ، فخمارويه مقيم في دمشق ، وقد أعارها من ضيائه ، وأقمر الليل فيها من طلاقته ، ورعيته من أسوان في أقصى مصر إلى مشارف العراق على الفرات زاهية بحسن تدبيره وجميل سعيه في صلاحها ، وخمارويه يفضل الملوك ، فهو غرة بينهم ، وهو شجاع يقود العسكر اللجب ، ويزحف به فيعتكر النهار ، ويصير ليلاً من كثرة الغبار ؛ وخمارويه كريم تُؤثر أخبار نداه ، وتتناقل سير جوده ، ويُعطي من ماله الوافر ، وطلاقة وجهه الدائمة تبشر العفاة بالخير المقبل كما يبشر الغيم بالمطر المرجو .

٤ – يجب أن نلاحظ أيضاً أن الشاعر يسكت في هذه القصيدة مرة أخرى عن تمجيد رفعة نسب ممدوحه ، وكنا ذكرنا أن إثارة ذلك يصل بالشاعر إلى والد خمارويه ، أحمد بن طولون ، وموقف البحتري من أحمد هذا لا يعينه على أن يذكره بخير ، كما قدّمنا .

٥ – لاحظنا في بعض الأبيات تعريض البحتري بالعباسيين ، فهو يفضل خمارويه على غيره من الملوك ، ويخصه منهم بالتجلة والتعظيم (البيت ٢٢ وتعليقاتنا عليه) وقد ذكرنا في مقدمتنا لكتاب (أخبار البحتري) أنّ من أسباب ضياع شعر البحتري في بني طولون ورجالهم ما فيه من تعريض بالعباسيين ، فقد كان « الطولونيون دعاة استقلال وانفصال عن الخلافة المركزية ، وكل دعم لخمارويه هو في حقيقته دعمٌ لهذه الميول الانفصالية التي ينكرها العباسيون ، ويخوضون الحروب من أجلها » ولم يكن باستطاعة الصولي وغيره ممن جمعوا شعر البحتري من العراقيين أن يذيعوا شعراً في تمجيد دولة الطولونيين ، وبخاصة إذا كان فيه مثل ما ذكرناه من التعريض الظاهر بغيرهم . (انظر أخبار البحتري : ٨ – ٩) .

٦ – تمتاز القصيدة بكثافة صنعتها ، حتى ليقف القارئ أمام بعض أبياتها حائراً ، لا يكاد يتبيّن معانيها أول وهلة ، والعجيب أن يحمل الشاعر نفسه في شيخوخته على مثل هذا الجهد الفني المصنوع ، وأن يصبر عليه ؛ ونلخص الحكم على القصيدة بما قاله قبلنا الشريف المرتضى فيها : « هذه الأبيات الرائية معانيها أجود من ألفاظها ، وتظهر فيها بعض كلفة الصنعة ، وهي مع ذلك في غاية الحسن » .

جامعة دمشق – كلية الآداب الدكتور صالح الأشتر

كتاب النفس

لابن باجّة الأندلسي

— ٩ —

الفصل الحادي عشر

القول في القوة الناطقة

وقد يجب أن نفحص عن القوة الناطقة ، وأي قوّة هي ؟ وما هي ؟ وهل هي نفس ؟ أو قوة لنفس ؟ فإن كانت قوة لنفس على ما يظن فعلى أيّ جهة تنسب انها للنفس . ويجب أن نفحص عن هذه القوة هل هي دايماً فعل[1] أو هي تارة قوة وتارة فعل . فإن كان ذلك فلها هيولى ، وإن كان لها هيولى فلها محرّك إذ كل متحرّك فله محرك . فما هذا المحرك[2] ؟ وأيّ وجود وجوده ؟ ويطابق بذلك كلّه المتعارف من أمرها وما يشاهد بالحس من أحوال الجسم الطبيعي التي هي له . فإن ذلك مما يفيد الناظر أشياء مما[3] تقال فيسدده ذلك ذلك الوقوف بنفسه على النفس في ذلك كله .

وأما أنها ليست دائمة بالفعل ، وذلك بيّن فإنه لو كان كذلك لكان التعلم تذكرا[4] ، ولكان التعلم غير مفتقر إلى الحس[5] . ولكان إذا نقصنا حاسة

(١) قارن ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهوانى ص ١٨٠٨١ .
(٢) أيضاً ص ١٦٠٦٦ .
(٣) المخطوطة : بما .
(٤) ايضاً ص ٢٠٨٠ .
(٥) قارن ارسطو : De An. iii. 8. 432 a 6 ، « فلا يمكن لأحد ان يتعلم عند عدم الحاسة » .

من الحواس لم ينقصنا علم من العلوم والأمر بخلاف ذلك[١] . وإذن فالمكان سينفع لها العلم بوجود أشياء تسند الى المحسوس من غير أن يحسها حتى يكون من لم يحس الثقل يقع له اليقين بأنه بجميع الصفات التي من شأن مَن أحسه أن يقع له اليقين بها ، وهذا فبيّن والتطويل فيه فضل ، وقد تلخص ذلك في مواضع كثيرة .

وأما أنها دائماً بالقوة فذلك أيضاً محال لأنه[٢] يحدث للانسان علوم إما بالحس كما يوجد ذلك لأهل الصنائع العملية وإما بالتعلم .

< فبيّن > (ورقة ١٦٤ ب) أنها تارة بالقوة وتارة بالفعل والخروج من القوة إلى الفعل تغير ، فهناك مغير لأن كل متحرك فله محرك ، وقد لخصنا هذا فيما تقدم .

والقوة الناطقة هي التي بها يدرك الإنسان آخر مثله على ما هجس في نفسه[٣] . وهي[٤] بالجملة إخبار أو سؤال أو أمر ، والسؤال فهو اقتضاء اخبار ، والاخبار تعليم ، والسؤال تعلّم . وهذه القوة هي التي بها يعلم الإنسان أو يتعلم . وهذه الأقسام الثلاثة إنما تكون إذا كان الإنسان على المجرى الطبيعي . فالنطق بألفاظ يخطر بالوضع تلك المعاني التي تهجس في نفس الناطق بها . والنطق في لسان العرب يدل عندهم أولاً على التصويت بألفاظ دالة على معان . ثم يستعمل على التصويت بالألفاظ وهذه غير دالة ولذلك قال الشاعر :

(١) قارن ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ص ٧٩-٩٠ .

(٢) المخطوطة : لا يحدث .

(٣) قارن ابن باجة : ورقة ١٣٥ الف : القوة المتخيلة الموجودة في الانسان بالفعل هي القوة التي يجدها الإنسان في نفسه يرسم فيها رسوم المحسوسات ويتصور بها ويحضر للانسان فيها رسوم من المحسوسات متخيلة بعد غيبتها عن الحواس فيرى الإنسان فيها صفة زيد وعمرو وصفة داره وذاته وغير ذلك من المحسوسات المشار اليها .

(٤) المخطوطة : وهو .

« لم يمنع[1] الشرب منها غير أن نطقت حمامة في غصون ذات أوقال[2] »[3]

وقد يستعملون النطق على غير ذلك وقد أحصى ذلك أهل اللغة في لسانهم .

ولما كان ذلك انها[4] تكون لهذه القوة آلة تقدمنا ورسمنا لها ، كان فعلها أولى بالنطق ، فنقل إليها المتفلسفون هذا الاسم ، ورسمنا القوة التي فيها القول . ونريد أن نلخص ما هي وعمّا هي ؟ فإن فحص المتقدمين إنما كان عن هذه وهل هي مائية[5] أو غير مائية وليس بعسر على من أراد إحصاء الآراء التي رآها من تقدم . فان جلها مشهورة ولذلك نسقط فيما نحن بسبيله إحصاءها والتفحص[6] عنها ونقتصر على ما يوجبه ما يعلم الانسان من أمرها بالطبع . فإن الآراء التي قيلت فيها ليست من هذا النحو بل إنما هي ظنون [أكثر منها عند من قال بها امّا بعض هذه ، واما آراء مشهورة] ، فالفحص عن تلك الآراء إمّا أن يوقف من أمرها على حال ما أو يقف بالإنسان على موضع غلط القائل بها . وذلك نحو من أنحاء الرياضة الجدلية .

(١) المخطوطة : لم يطرب .

(٢) المخطوطة : أوراق .

(٣) هذا البيت من قصيدة لأبي قيس بن الأسلت وقبله :

ثم ارعويت وقد طال الوقوف بنا فيها فصرت الى وجناء شملال
تعطيك مشياً وارقالاً ودأدة اذا تسربلت الآكام بالآل
تردى الإكام اذا صرّت جنادبها منها بصلب وقاح البطن اعمال

راجع الكتاب لسيبويه (هارتويج ديرنبورج ، بيرس) ج ١ ، ص ٣٢٢ ، لسان العرب لابن منظور (« النطق » حرف القاف ، ص ٢٣١) ، الخزانة البغدادي ج ٢ ص ٤٥ ، ج ٣ ص ١٤٤ .

(٤) المخطوطة : انما .

(٥) قارن ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ، ص ٦٦ : « وانها انما تتعطل افعالها في الصبا لأنها مغمورة بالرطوبة » ، وابن باجة : رسالة الاتصال (المصدر نفسه) ، الاهواني ص ١٠٧ : « وهل هي موجودة في الطفل وغيرتها الرطوبة أو تحدث بآخرة » .

(٦) المخطوطة : السمن .

فنقول : إن من الأمور الظاهرة بأنفسها ان الإخبار والاستحالة إنما يكونان بقول جازم[١] وقد تلخص في بارمينياس ما الأمر الجازم ، وانه مركب من محمول وموضوع . فبالضرورة يوجد في الإنسان فعلان : أحدهما وجود المعاني المفردة[٢] والثاني تأليف هذين المعنيين . فالقوة التي يكون بها هذا التأليف هي القوة المفكرة وفعلها أنواع تأليف المعاني المفردة[٣] ، وقد أحصيت في كتب المنطق والثاني القوة التي بها تحصل المعاني المفردة وهذه[٤] كالهيولى (ورقة ١٦٥ الف) لتلك[٥] فانه متى لم توجد المعاني المفردة لم يمكن أن يكون تركيب ، فهذه متقدمة لتلك بالطبع .

والمعاني المدلول عليها بالألفاظ على ما عدد في مواضع كثيرة ضربان[٦] : كليات وأشخاص . فالقوة التي بها تدرك الأشخاص هي القوة المتخيلة على ما تبين

---

(١) قارن ابن باجة ، ورقة ١٩٩ الف س ١٠ : والقول التام اجناسه عند كثير من القدماء خمسة : جازم ، وتضرع ، وطلبة ونداء . لأنه قد يمكن ان يوجد بطريق آخر فيكون أكثر ، والتمني وما يجري مجراه جار مجرى الجازم لأنه لم يتغير فيه الجازم بل بقي على حاله زيادة .

(٢) المخطوطة : المفكرة .

(٣) قارن ابن باجة : ورقة ١٣٥ الف : وكذلك وجود القوة الناطقة يجدها الانسان في نفسه ويعلمها علماً يقيناً لا يشك فيه بشيء من التثبت وذلك انا نجد في أنفسنا ما يتميز به وينفصل عن سائر الحيوان المتغذي الحساس : فان الانسان يجد في نفسه معلومات يحتوي على ميز الجميل والقبيح والنافع والضار . . . ويميزها . ويجد في نفسه أموراً يرى صدقها لا يشك فيه وأموراً على ما هي ظن ، وأموراً هي كذب لا يجوز في الوجود ، كل هذه المعلومات يجدها الإنسان في نفسه . وهذه المعاني الملومة في النفس تسمى نطقاً ، وما يوجد في الإنسان يسمى ناطقاً .

(٤) وفي المخطوطة زيادة : لم يمكن أن يكون تركيب .

(٥) المخطوطة : لذلك .

(٦) قارن ابن رشد : تلخيص ، الأهواني ص ١٠٠٦٧ ، حيدراباد ص ١٣٠٦٢

قبل هذا . وأما الكليات فهي[1] لقوة أخرى[2] وبين أنها ليست للحس . وان الحس لا يدرك < إلا > الأشخاص . والكليات معان أخر . لأن الكلي معنى واحد من ساير < ما يقال > ان يوجد الكثيرين وليس لشخصين كذلك . ولأن كل قضية ، لها أن تكون مؤلفة من شخصين ، فهي قليلة الاستعمال . وستقول فيما بعد . وأمّا التي من شخص وكلي فهي[3] توجد كثيراً في الكهن[4] وفي الخطابة والشعر . وأما التي من كليتين فهي تعم جميع الصنائع وهي التي تسمى علوما على الاطلاق وعلى التقديم ، فإذن ماله مثل هذا المبدأ يكون ناطقاً و < لو > بالقوة ، وعلى هذه يقال للانسان .

وهذه الكليات هي معان معقولة . وانما تصير كليات[5] باضافتها الى الأشخاص الموضوعة لها وكذلك معنى الشمس والقمر . وبالجملة فماله شخص واحد هي معان معقولة وليست بكليات الا على طريق التشبيه ويقال لهذا كليات بالتأخير .

وهذه المعقولات إمّا أن تكون أزلية أو حادثة .

إلى هنا انتهى الموجود من قوله رحمه الله < تعالى > .

***

(١) المخطوطة : فهو .
(٢) ابن رشد ، ص ١٠٦٨ ، حيدواباد ص ١٥٠٦٣ .
(٣) المخطوطة : فهو .
(٤) أيضاً : في الكلام .
(٥) ابن رشد ، ص ١٩٠٨٠ ، حيدراباد ص ٦٠٧٧ .

المصـــادر

ابو ريدة ، مصطفى عبد الهادي : رسائل الكندي

اهل‌ورت (Ahlwardt, W.): Verzeichniss Der Arabischen Handschriften Der Konglichen Bibliothek Zu Berlin, vierter Band VII und VIII Buch, Berlin, 1892.

الأهواني ، أحمد محمود : تلخيص كتاب النفس لأبي الوليد ابن رشد ، وأربع رسائل ، ١٩٥٠ :

(١) رسالة الاتصال لابن الصائغ ، (٢) كتاب النفس لاسحق بن حنين

(٣) رسالة الاتصال لابن رشد ، (٤) رسالة العقل ليعقوب الكندي

الأندلس ، Granad - Madrid : انظر « أسين بلاسيوز »

ارسطاطاليس : ترجمة كتبه بالانكليزية ، نشر و ، د ، راس (W. D. Ross)

رسالة ارسطاطاليس في النفس : نشر الدكتور صغير حسن المعصومي ، في مجموعة ارمغان علمى ، لاهور

رسالة درنفس منسوب بارسطاطاليس : مخطوطة بودليانا ، رقم Ousl. 92

آسين بلاسيوز (M. Asin Palacios) : (1) Tratado de Avempace Sobre la union del intelecto con el hombre. Al Andalus vol. 7. 1942, 1 — 47.

رسالة اتصال العقل بالانسان لابن باجه .

(2) La « Carla de Adios » de Avempace, Al Andalus, vol. 8. 1943, 1 — 87.

رسالة الوداع لابن باجه .

كتاب النبات ، الأندلس ج ٥ ، ١٩٤٠

(3) Al-Andalus, vol. 5. 1940, 266 — 278

تدبير المتوحد لابن باجه ،

كتاب الحدائق لابن سيد البطليوسي الأندلسي ،

Al-Andalus, vol. 5. 1940, 63 — 98

انسائيكلوپديا اف اسلام (دائرة المعارف الاسلامية) :

The Encyclopaedia of Islam,
ed. Houtsma, Arnold et others Leyden, 1913, 4
voll. q Suppl.

ابن باجـه : مخطوطة بودليانا ، رقم Pocock 206 ، وانظر « آسين بلاسيوز »

ابن خلدون : التاريخ ، ج ١ بولاق .

ابن خلـكان : وفيات الأعيان .

ابن النديم : كتاب الفهرست ، نشر فلوجل (Flügel) ، ليپسك ، ١٨٧١ م .

ابن القفطي : تاريخ الحكماء ، نشر ج. ليپرت (J. Lippert) ، ليپسك ، ١٩٠٣م .

ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، نشر الاهواني .

رسائل ابن رشد ، حيدراباد ، ١٩٤٦ م .

تفسير ما بعد الطبيعة ، نشر بوئيج (Bouyges) ، ٣ أجزاء .

كتاب الكليـــات ،

Artes Graficas Bosca, Larache, Marruecos, 1939

ابن السيد البطليوسي : كتاب الحدائق ، انظر « آسين بلاسيوز »

ابن سينا : كتاب الشفاء ، مخطوطة بودليانا ، رقم Pocock 125 .

تعليقات كتاب النفس ، نشر عبد الرحمن بدوي ، ارسطو عند العرب .

ابن طفيل : حي ابن يقظان ، نشر جوتيه (Gauthier) .

ترجمته بالانكليزية من قلم سائمن اوكلي (Simon Ockley) ،
نشر Edward A. Van Dyck ، قاهرة ، ١٩٠٥ م .

اوكلي (Ockley) : Philosophus Autodidactus أو حي بن يقظان ، انظر « ابن طفيل » .

بدوي ، عبد الرحمن : ارسطو عند العرب .

برجستراسر (Bergstrasser) : Geleni in Hippocratis De Septimanis

بوئيج (Bouyges) : انظر « ابن رشد » و « الفارابي » .

براكلمن (Bockelmann, C.) . (جزءان) Geschichte der Arabischen Literatur

Supplementland (ثلثة أجزاء)

بوكاك (Pocock, E.) : Philosophus Antodidactus, Elenchos Scriptorum

جالينوس (Galen) : انظــر « برجستراسر » و « كراؤس - والسر »

جوتيه (Gauthier, L.) : Roman philosophique d'Ibn Tufayl. taxt et traduction, Beyrouth, 1936.

جواشون (Goichon, A. M.) : Lexique de la langue philosophique d'Ibn Sina, Paris, 1938.

Vocabulaires compares d'Aristote et d'Ibn Sina,

Supplement au Lexique de la langue philosophique.

جووت (Gowett, B.) : محاورات أفلاطــون ، خمسة أجزاء

Dialogues of Plato, English, 5 vols.

ج ر ا س (J R A S) : Gournal of the Royal Asiatic Society, London

ديتريصي (Dieterici, F.) : Al-Farabi's philosophiche Abhandlungen, Leiden 1890.

دنلوب (Dunlops, D. M.) : تدبير المتوحد لابن باجه : GRAS, 1945, 61—81

راس (Ross W.) : انظر « ارسطاطاليس » .

رائيث (Wright) : Arabic Grammar (Engl.) 2 vols

زيلر (Zeller, E.) : Aristotle and Early Peripaletics Englishs by Contelloc and Muirhead, 2 vols.

سارطن (Sarton, G.) : Introduction to the History of Science, 2 vols in 3 parts, Baltimore, 1927 — 31.

سبرينگر (Sprenger) انظر « علي التهانوي » .

علي التهانوي : كشّاف اصطلاحات الفنون ، نشر سبرينگر ، كلكتة .

فضل الرحمن : Avicenna's Psychology ، اكسفورد .

فضل امام خيرابادي : الهدية السعيدية ، الهند .

الفارابي، ابو نصر محمد بن طرخان: فصول المدني، مخطوطة بودليانا، رقم Hunt 307.

فصوص الحكم ، نشر ديتريصي .

احصاء العلوم ، ميدرد ، ١٩٣٢ م .

مسائل متفرقة ، حيدراباد .

المدينة الفاضلة ، نشر ديتريصي .

السياسة المدنية ، حيدراباد .

فلوجل (Flügel, G.) : انظر « ابن النديم » .

الكندي : انظر « ابوريده » .

كراوْس (Kraus — Walzer) : Galenic Compendium Tinaci Platonis London, 1951.

لين (Lane, E) : Arabic - English Lexicon

مكّنّا (Makkenna) : ترجمة نواميس . Plotinus, Enneads, 4 vols.

المقّري ، أحمد : نفح الطيب ، أربعة أجزاء .

مولر (Muller, A) : عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ، كونكسبرك وقاهرة .

والسر (Walzer) : انظر « كراوْس » .

محمد صغير حسن المعصومي

البنّيس
وألفاظ أخرى

في سنة ١٩٢٢ نشرت كتاب المنتخب من شعر ابن زاكور ، وهو منتخب عملته من ديوان هذا الشاعر الرقيق المسمى بالروض الأريض في بديع التوشيح ومنتقى القريض والذي لا يزال مخطوطاً . وقد قدّمت له بمقدمة عرفت فيها بابن زاكور وأدبه ، وبينت لماذا عملت هذا المنتخب من شعره ولم أنشر ديوانه كله . كما بينت طريقته في الاختيار والترتيب ، وعنونت القصائد وضبطت الأشعار كلها بالشكل وفسرت الألفاظ الغريبة التي توقفت فيها أو قدّرت أن القارئ قد يتوقف فيها وعملت له فهرساً على المواضيع وآخر على الحروف . وذلك غاية ما أمكنني عمله اذ ذاك في خدمة هذا الشاعر وتقديمه للناشئة المغربية والأدباء على العموم في بلادنا العربية .

واعترافاً بالحق أقول انني لما مررت بقول الشاعر في أحد موشحاته :

بنت كرم حبيت كرمتها لأبي باقبيس
وسقاها فبدت نضرتهـا ارسطاطاليس
خلتها لما غشت سورتها في حشا (البنيس)
زجل الرهبان يوم المهرجان في حِمَى عبدون
أو فؤادي اذا علاه الخفقان فهو كالمجنون

وقفت طويلاً عند هذا البنيس اذ لم أعرف مدلوله ، وراجعت ما بين يدي من كتب اللغة فلم أجد له ذكراً ، بل راجعت كتباً أخرى حسبتها مظنة لذكره

كحلبة الكميت وخاصة هذا الباب الذي عقده النواجي لوصف ما يشتمل عليه مجلس الأنس من أواني الشراب وكاسات وطاسات وبواطي وظروف وراووق وقناني وأباريق وغير ذلك ، كما استعرضت باب الخمريات في ديوان أبي نواس ، ومجموع الأغاني والألحان الذي يجمع الأشعار المستعملة في نوبات الموسيقى الأندلسية أي أدوادها الأربعة عشر ، نشر ادمون بانيل وهو يشتمل على قصائد وموشحات ومقطوعات غنائية كثيرة ، فلم أعثر في كل ذلك على لفظة البنيس المطلوبة مع العلم بأن ابن زاكور انما يحذو حذو شعراء الأندلس والوشاحين منهم بالخصوص في موشحه هذا وغيره .

وكان هذا البحث ارضاء لحب الاطلاع فقط وإلا فان معاني الشعر لم تكن خافية . وقد تركت اللفظة على ما هي عليه ونسيت البحث عنها فيما بعد . ثم وقفت في دفة بعض المخطوطات على ما يلي :

« من رحلة ابن رُشَيْد » : أنشدني ابن حيان ، أنشدني أبو عبد الله بن حنيني ، أنشدني أبو الحجاج يوسف بن حكم لنفسه ، وقد رغبت منه في شيء من المداد :

جاءتك تشكو بالظما ، إذ لم تجد ريًّا ، وقد سقّيتها تدريجا
وسألت (بنيس المداد) فقال لي من أين لي أن أملأ الصهريجا
ورأيت أن الود ليس بخالص إن كان ما ألقى به ممزوجا »

وأظن أن اسم ابن حيان هنا محرف عن أبي حيان ، وهو النحوي الأندلسي المشهور ، لقيه ابن رُشَيْد صاحب الرحلة المنقول منها هذا الإنشاد في ثغر الاسكندرية عند إيابه . وقد رجعت الى مخطوطة الاسكوريال الوحيدة من هذه الرحلة للتحقق من هذه الأبيات فلم أجدها فيما أَنشَدَهُ أبو حيان ابنَ رُشَيْد من شعره أو شعر غيره في الجزء الخامس منها ، ولا في غيره من الأجزاء الخمسة الموجودة في مكتبة الاسكوريال ، فلعلها كانت في الجزء المفقود من هذه الرحلة .

والمقصود من هذا كله أن لفظة البنيس وردت في هذه الأبيات مضافة الى المداد ، فتفيد أنها وعاء يستعمل للخمر وغيرها .

وفيما كنت أتذاكر قبل بضع سنوات مع الصديق المرحوم قاضي طنجة سابقاً السيد محمد بن رحمون ، أنشدني عفواً هذا البيت للشيخ المشرفي :

وما البنيس إلا إناء خمـر   وبالتحقيق قد وجب انكساره

فتلقفت منه هذا البيت بلهفة ، إذ حدد فيه معنى البنيس وشرحه شرحاً لغوياً معجمياً كما لو كان يعرف ما في نفسي من أمر هذه اللفظة فشفى غلتي وأزال حيرتي . على أن البيت لم يقصد لشرح المعنى اللغوي لكلمة البنيس وانما هو هجاء لشخص من أولاد بنيس ، وهم أسرة مغربية معروفة اشتهرت بهذا الاسم وأصلها من مدينة فاس . فاغتنم قائله هذا الاشتراك اللفظي بين اسمه وبين البنيس بمعنى إناء الخمر فورّى به وحكم حكماً شرعياً بوجوب كسره فبلغ قصده من الهجاء وأفادنا رحمه الله [1] هذه الفائدة الجلّى .

وفي هذه الأيام بينما كنت أطالع كتاب المدارك للقاضي عياض ، نسخة خطية خاصة ، إذ وقفت في ترجمته للقاضي أحمد بن بَقيّ بن مخلد على هذه الحكاية :

« وذكر أنه كان في مجلس نظره ، وقد غص بالفقهاء والعدول والخصم ، حتى دخل عليه المعتوه المعروف بابن شمس الضحى ، وكان من ذوي البيوتات والثروة . فقال يا قاضي المسلمين أريد أن تأمر وكيل فلان [2] يزرع لي بقربتي

---

(١) الشيخ محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي صاحب البيت المذكور من علماء المغرب في الثلث الأول من هذا القرن ، اشتهر بكتابه الدر المكنون في ترجمة الشيخ محمد كنون وهو مطبوع على الحجر بفاس وبكتابه اظهار العقوق في منع التوسل بالنبي والولي الصدوق ، طبع بمصر . وكان يتعاطى الأدب وولي القضاء بفاس الجديدة مدة .

(٢) كذا بالأصل ولعلها وكيلي فلاناً .

(بنانيس) فتنبت لي خوابي فأحصل على ربحي . فما بقي أحد في المجلس إلا ضحك سوى القاضي ، فانه وجم واستعبر وقال : يا بني : لقد ظلمك من ألقى هذا على لسانك . ثم قال لأهل مجلسه : وا أسفا على سخريتكم وضحككم منه . انا لله وانا اليه راجعون على قلة التحصيل وعزوب العقول . فان البكاء على هذا أولى وأليق ، فما بيننا وبين زوال العافية إلا الذهول عن شكرها . اللهم اسدل علينا سترها [1] واحفظ عقولنا لمعرفتك ، وارزقنا ذرية طيبة صالحة زكية تقر أعيننا بها . فاستحيى من حضر .

فاستفدت منها زيادة على مغزاها الخلقي الذي أشار له القاضي ابن مخلد ولأجله أورد الحكاية ، أن البنيس اناء من فخار ولذلك جعله المتوه صاحب الحكاية بزرة للخابية . والخابية من الفخار معروفة ، كما استفدت أنهم كانوا يجمعونه على بنانيس ولم يبق حينئذ حول هذه اللفظة أدنى شيء من الإبهام . فهي تطلق على إناء صغير يصنع من الفخار كالجرّة والحبّ والخابية ، ويغلب استعماله للخمر وان كان قد يستعمل لغيرها من المائعات كالمداد على ما رأيت . وكانت هذه اللفظة من الدارج على ألسنة أهل الأندلس ولا نعرف ما إذا كان أصلها اسبانياً ، على أننا بحثنا عنها فيما عندنا من المعاجم الاسبانية فلم نجدها . أما في المغرب فلم تجر الا على ألسنة أهل الأدب مما يدل على اقتباسها من الأشعار الأندلسية .

وبخلاف البنيس ، لفظ الشرجب وجمعه شراجب ، وقد يقولون شرجم بالميم كما يقولون في رجب رجم ، وهي لغة ، فهذا اللفظ مما يجري على الألسنة هنا في المغرب كثيراً كما كان جارياً على ألسنة أهل الأندلس وربما ورد في أشعارهم . وهو يعني ما يسمى الآن في هندسة المباني بالنافذة Le guichet, La fenêtre وفي نظري هو أدل منها على المعنى المراد فان النافذة أعمّ من الشرجب والطاقة

---

(١) لعل الصواب سترك .

والكوة وحتى الباب وغيرها مما يقع منه النفوذ ، ولولا أن الاستعمال خصصها حديثاً بما ذكر لما فهم المراد منها . وذكري للطاقة هنا إنما هو باعتبار الاستعمال المغربي لها في معنى النافذة ، وربما كان استعمالاً أندلسياً أيضاً وهم يجمعونها على طيقان وطاقات . ومعلوم أن مدلول الطاق وجمعه الطيقان في اللغة ؛ هو ما عُقِد من الأبنية باباً أو نافذة أو غيرهما فلعلهم بعد ما استعملوه في النافذة خصوه بها ثم أنثوه بالتاء وان اشتبه بالطاقة بمعنى القُدْرة لكن السياق يُعيّنُه . ومع هذا يبقى لفظ الشرجب متمكناً في معناه الذي يدل على الإنافة والسعة ويستصحب أيضاً الدلالة على فخامة البناء وأناقته ، ولا كذلك دلالة الطاقة في العرف المغربي فأحرى الكوة ..

وجاء في نفح الطيب تعريف للشرجب يكتنفه بعض الإبهام فربما ظهر غير منسجم مع ما ذكرنا من أن معناه هو النافذة . وذلك في الجزء الثاني في ترجمة أبي جعفر بن سعيد ، أثناء حكاية وقعت له مع بعض المُجَّان وهو في نزهة بنهر اشبيلية .. ونص المقصود منها : «ولما وصل صحبة والده الى اشبيلية افتتن بواديها ، واعتكف على الخلاعة فيها ، مصعداً ومنحدراً بين بساتينه ومنازهه . فمر ليلة بطريانة ، فمال نحو منزه فيه طرَب سمعه فاستوقفه هنالك . وهو في الزورق متكئ ، وأصحابه وأصحاب أبيه مظهرون انحطاطهم عنه في المرتبة . فأخرج رأسَه أحدُ الأنذال المعتادين بالنادر من (شرجب) والشرجب هو الدرابزين من خشب فيه طاقات .. وطريانة مقابلة اشبيلية وبها المنازه والأبنية الحسنة ... الخ» فتفسيره للشرجب بالدرابزين غير متوافق مع المعنى الذي ذكرناه له ، ولكن ببعض الايضاح يتطابق التفسير والمعنى المذكور ولا يبقى بينهما خلاف .

فابن سعيد الذي كان في نزهة على متن الوادي الكبير وبشاطئه الذي يلي حَيِّي طريانة خاصة ، لما سمع الطرب توقف تحت المنزه الذي كان يوجد فيه

المطربون ، « والمنزه في المتعارف مكان مرتفع كالعِلّية يُشرف على البحر أو على الخلاء ونحوهما من المناظر الطبيعية الجميلة » فأخرج أحد الأنذال رأسه من شرجب في المنزه وجعل يتعاطى مع ابن سعيد فحش القول كما يفيده آخر الحكاية ، فالمهم أنه أطل عليه من شرَجب بل أخرج رأسه منه ولا يكون ذلك إلا من نافذة . . ولما كانت هذه النافذة ذات شبّاك يمتنع معه بروز الرأس حينما يطل الإنسان منه ، وقال ان فيه طاقات ، والطاقة هنا بالمعنى المستعمل عند المغاربة على حسب ما أشرنا اليه آنفاً أي النافذة . فيخرج من ذلك أن الشرجب نافذة رُكّب عليها شبّاك قد يكون بحيث يصح اخراج الرأس منه والنظر الى الخارج بالأحرى . في عبارة النفح اقتصار ، وهو الحذف من غير دليل أو اختصار وهو الحذف مع الدليل للعلم من السياق .

والواقع اننا كذلك نستعمل لفظ الشرجب في النافذة ذات الشباك ، ويكون من حديد كما يكون من خشب . ولكن ذلك ليس بلازم إذ قد يكون الشرجب خالياً من الشباك بل هو الأكثر .

ومن لطيف الأدب الوارد في الشباك قول عبد المومن بن علي أول خليفة للموحدين وكان هو ووزيره أبو جعفر بن عطية مارين ببعض طرق مراكش فأطلت عليهما جارية بديعة الجمال من شباك فقال : قدّت فؤادي[1] من الشباك إذ نظرت

فأجاز وزيره أبو جعفر : حوراء ترنو الى العشاق بالمقل

ثم قال عبد المومن : كأنما لحظها في قلب عاشقها

وأجاز أبو جعفر : سيف المؤيد عبد المومن بن علي

ومما ورد في الشرجب من جميل الشعر قول المعتمد بن عباد ، يخاطب الوزير ابن عمار :

---

(١) كذا ، ولعل (قلبي) بدل فؤادي ليستقيم الوزن . (لجنة المجلة)

ألا حيِّ أوطاني بشِلبَ ، أبابكر وسلهنَّ هل عهد الوصال كما أدري
وسلم على (قصر الشراجيب) من فتىً له أبداً شوقٌ إلى ذلك القصر

قال الفتح في القلائد عقب هذين البيتين : « وقصر الشراجيب هذا متناه في البهاء والاشراق ، مُباهٍ لزوراء العراق ركضت فيه جياد باحاته ، وأومضت بروق أمانيه في ساحاته ، وجرى الدهر مطيعاً بين بكوره وروحاته ، أيام لم تُحَلَّ عنه تمائمه ، ولا خلت من أزاهر الشباب كمائمه الخ » .

ولفظ آخر هو الزلّيج بكسر اللام مع تشديدها ويعني الفسيفساء والقاشاني ، هذين اللفظين اللذين يستعملان في الشرق العربي ولا نعرفهما في المغرب . والأول ليس بعربي والثاني لعله منسوب الى قاشان لصنعه فيها . أما لفظنا فله أصل في المادة اللغوية (زلج) ولعله أخذ منها . وفي القاموس : « والزُّلُج بضمتين الصخور المُلس » والمهم ان هذه الصنعة الدقيقة قديمة في المغرب والأندلس ، ولا تزال حية ونشيطة فيه ، ولا اسم لها عندنا الا الزليج ، ويقال لصاحبها الزلايجي وجمعه الزلايجية ، ويستعمل منها فعل زلّج الرباعي المضعف وتصاريفه ، فهل آن الأوان لتأخذ هذه الكلمة طريقها الى المعجم العربي وتحل فيه محل الفسيفساء والقاشاني[1] أو تقوم الى جانبها على الأقل اسماً لهذا النوع المغربي الممتاز من مدلول تينك الكلمتين ؟ . .

ومما ورد فيه كلمة الزليج نثراً هذه الفقرة من وصف الافراني لقصر (البديع) الذي بناه المنصور الذهبي في مدينة مراكش بين سنتي ٩٩٦ هـ - ١٠٠٢ ، وذلك في كتابه نزهة الحادي ، ص ٩٤ طبع فاس ونصها : « وفيه من الرخام المجزّع والمرمر الأبيض المفضّض والأسود ، وكل رخامة طُلي رأسها بالذهب

(١) الفسيفساء غير القاشاني ، وكلمة زليج تنطبق على القاشاني المشرقي وحده وهي خليقة بدخول معاجمنا العربية . (لجنة المجلة)

الذائب ، ومُوِّه بالنضار الصافي ، وفُرشت أرضه بالرخام العجيب النحت الصافي البشَرة ، وجُمل في أضعاف ذلك (الزليج) المتنوع التلوين حتى كأنه خمائل الزهر ، أو برد موشى من عمل صنعاء أو تُستُر » ، وفقرة أخرى من نفس الصفحة في وصف الكتابة والنقوش التي كانت على جدران القصر وستوره وهي هذه : « وفيه من الأشعار المرقومة في الأستار والأبيات المنقوشة في الخشب (والزليج) والجبس ما يسر الناظر ويروق المتأمل ويبهر العقول » ونقل الناصري في الاستقصاء نفس العبارات وأصلها للكاتب القشتالي في تاريخه : مناهل الصفا .

أما في الشعر فقد جاء لفظ الزليج في عدة قصائد وأبيات ، ونختار منها المقطعة الآتية للأديب ادريس بن علي السناني التي قالها في وصف روض لأحد الأكابر بفاس وهي تُنشر لأول مرة :

روضٌ يروق الناظرين بهيجُ ... سيان فيه الزهر والزّليجُ
فكلاهما في بهجة وتنوعٍ ... يُحيي النفوس بحسنه ويَهيج
إن جئته تبغي انتشاق أريجه ... وافاك دون الباب منه أريجُ
قد عربدت أشجاره بمدامةٍ ... شبهِ اللجين يُديرها الصهريجُ
والطير تشدو في الغصون بنغمة ... في شدوها التفريح والتفريجُ
نلنا به عند الصباح مسرةً ... والغصن غصن والخليج خليجُ
أبقاه ربي زاهراً في نضرة ... ما يمم الحرم الشريف حجيج

ونسجل هنا ورود كلمة (الصهريج) في هذه القطعة والأبيات الثلاثة السابقة التي ورد فيها ذكر البنيس ، ملاحظين كثرة استعمالها في المغرب ودورانها على ألسنة العموم وتسمية أحواض مائية شهيرة بها كصهريج المنارة بمراكش الذي بناه عبد المومن الموحدي وكان يمرن فيه الجنود على العوم والتجديف ، وكمدرسة الصهريج بفاس وغيرهما ، في حين اننا قلما نعثر على استعمالها في الآثار الأدبية الشرقية ، وفي الكتابات الوصفية التي يحررها أدباء الشرق ما عدا أثر واحد

هو كتاب صهاريج اللؤلؤ للسيد توفيق البكري فهو الوحيد الذي استعمل هذه الكلمة من الكتاب الشرقيين فيما علمنا .

وما دمت قد ذكرت هذين اللفظين أو المصطلحين المستعملين في البناء وما اليه وهما الشرجب والزليج فيحلو لي أن أشير هنا الى اني قرأت في كتاب المؤتمر الأول للمجامع اللغوية العلمية المنعقد في دمشق سنة ١٩٥٦ نشر الإدارة الثقافية التابعة للجامعة العربية بحثاً قيماً للدكتور مصطفى جواد في وسائل النهوض باللغة العربية وتيسير قواعدها وكتابتها ، ومما جاء فيه عند الكلام على مصطلحات البناء نقله عن أساس البلاغة كلمة الحضرة للمصطلح المسمى بالفرنسية matériaux أي مواد البناء من آجر وجير وغيرهما ملاحظاً أن المجامع العربية لم تضع له مقابلاً ، ونقله للمصطلح المذكور عن الزمخشري في محله ، وانما أريد أن أقول اننا هنا في المغرب نستعمل في هذا المعنى كلمة الأنقاض فتأتي في ألفاظ المُوثّقين وحسابات المُقاوِلين وهي كلمة لا غبار عليها لأنها تسمية للشيء بما يؤول اليه على طريقة المجاز المرسل [1] كقوله تعالى «اني أراني أعصر خمراً» في تسمية العصير .

وفي هذا البحث العظيم الفائدة استشهد صاحبه الدكتور جواد على استعمال استلم بمعنى تسلم بنص لابن بدرون في شرحه لقصيدة ابن عبدون الشهيرة قائلاً : «فهو مستعمل عند أدباء الأندلس منذ المائة السادسة من الهجرة في أقل اعتبار» وأضيف الى هذا الشاهد شاهداً آخر يدل على أن أدباء المشرق قدْ عرفوا هذا المعنى لفعل استلم واستعملوه في تاريخ قريب لتاريخ ابن بدرون وهو قول البوصيري في قصيدته المعروفة بالبُرْدة :

ما سامني الدهر ضيماً واستجرت به ... الا ونلتُ جواراً منه لم يُضَم

ولا التمستُ غنى الدارين من يده ... الا (استلمتُ) الندى من خير (مُستَلَم)

(١) المسمى بمجاز الأول .

كذلك في الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين من مجلتنا هذه قرأت للدكتور حسني سبح في مقاله المعنون بنظرة في معجم المصطلحات الطبية ما علّق به على كلمة سُلابة التي وضعها المعجم المذكور لكلمة Abats الافرنجية وفسرها بغُفاشة الأحشاء ، واني بعد اعلان إعجابي بتحقيق الدكتور سبح وتدقيقه في مطابقة الألفاظ لمعانيها المرادة ، أذكر أن هذا المصطلح يستعمل له في المغرب لفظ السقط ويقال لبائعه السقّاط ولمكان بيعه السقّاطين ، وأظن أنهم في الأندلس كانوا يستعملونه أيضاً لهذا المعنى . وكل من زار غرناطة فلا بد انه مر على المكان المعروف بالسقاطين الى يومنا هذا وهو مكان ضيق يشتمل على دكاكين صغيرة متقابلة مما يكون عليه وضعُ دكاكين الجزّارة ، وان كان في الوقت الراهن يباع فيه بضائع تجارية متنوعة . وكلمة (سقط) في اللغة تطلق على الولد لغير تمام كما أنها بالفتح تطلق على رديء المتاع وكلا الدلالتين قريب مما نطلقها عليه من حشا الحيوان المأكول (الذي يشمل الكوارع والكبد والطحال والدماغ والقلب والرئة فضلاً عن الكَرِش والمصارين خلا الاهاب . والواقع أن نطقَ الكلمة عند العموم يختلف باختلاف الجهات ، ففي فاس مثلاً يقولون السقط بسكون القاف ، وفي طنجة يقولون السقط بفتحها مع تسكين السين في النطقين معاً على عادة العامة في الابتداء بالساكن خلافاً للقاعدة العربية . ومهما يكن الأمر فان الاستعمال القائم للكلمة لا يقع على رديء المتاع بل على حشا الحيوان ، فهل يصح لي أن أقترح الكلمة للمصطلح المذكور لا سيما والدكتور سبح ترك المكان فارغا فلم يأت بمقترح جديد بعد نقد مصطلح المعجم ؟

عبد الله كنون

التعريف والنقد

محاضرات عن القومية العربية

(تاريخها وقوامها ومراميها)

ألقاها الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي على طلاب معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة سنة ١٩٥٨ / ١٩٥٩ وهي تقع في ٣٦٤ ص من القطع الوسط

ألقى رئيس مجمعنا الأمير مصطفى الشهابي سلسلة من المحاضرات على طلاب معهد الدراسات العربية العالية ضمنها آراءه «في كنه عقيدتنا القومية، وتاريخها الحديث، والعوامل المكونة لها، والأهداف التي ترمي اليها، والفلسفة المثالية التي تجدد أغراضها، وعلاقتها بالقوميات السائرة وبالبشرية جميعاً»[1].
فجاءت محاضراته هذه متممة لما كتبه الأساتذة ساطع الحصري وعزة دروزة وأمين سعيد، وعلال الفاسي وغيرهم عن نشوء الفكرة القومية، والحركة العربية الحديثة، والثورة العربية الكبرى والحركات الاستقلالية العربية.

وأحسن ما تتميز به هذه المحاضرات دقة البحث الموضوعي، ورصانة الأسلوب العلمي وجمال التعبير الأدبي ونظم عناصر الموضوع في سلك واحد يجمع بين التحقيق التاريخي والتعليل الفلسفي.

أما دقة البحث الموضوعي فتظهر في كلام المؤلف على الحركات القومية السرية والعلنية، وفي حديثه عن العرب والعروبة في القديم والحديث، وفي وصفه ليقظة

---

(١) من مقدمة الكتاب.

الأقطار العربية ونضالها في سبيل التحرر ، وفي كلامه على أثر اللغة والدين والاقتصاد والتربية والثقافة وغيرها في نشوء القومية العربية الحديثة وفي كشفه النقاب عن المراحل التي اجتزناها في الماضي والاتجاهات التي تتوزعنا في الحاضر .

وأما رصانة الأسلوب العلمي فتظهر في وصف المؤلف حوادث زمانه وصفاً موضوعياً دقيقاً ووقوفه منها موقف العالم المدقق الذي ينظر الى الأشياء نظرة خالية من الهوى ، لا بل نظرة علمية تكشف عن كنه الأمور ومراميها القريبة والبعيدة .

وأما جمال التعبير الأدبي فيظهر في الأسلوب السهل الممتنع الذي اختاره المؤلف للإفصاح عن رأيه فلا يوقع ألفاظه إلا في مواقع الحقيقة ولا يكلمك إلا بكلام مرسل سمح يستهوي عقلك ويأخذ بمجامع قلبك لارتباطه بقوة المنطق ولتأديته المعنى الجميل في القالب الجميل .

لقد أتيح للمؤلف أن يرى بنفسه كثيراً من الحوادث وأن يتصل بحكم عمله بكثير من رجال السياسة في سورية ومصر والعراق وغيرها ، وأن يبقى مع ذلك مستقلاً عن التيارات السريعة التي كانت تجرف المندفعين فيها وتحرمهم دقة الملاحظة وهدوء التفكير وتماسك العاطفة فهيأ له ذلك أسباب الاطلاع على خفايا الأمور والحكم عليها حكماً صادقاً ، فلم يفصل القول في ناحية واحدة بعينها كما فعل بعض الكتاب قبله بل اقتصر منها على القدر اللازم للغرض الذي يرمي اليه ، وهو ربط نتائج الأحداث بعضها ببعض لاستخراج المقومات الأساسية لعقيدتنا القومية .

وانه ليسرنا أن نلتقي وصديقنا الأمير الشهابي على صعيد واحد ، فنحن نرى معه أن للعقيدة القومية من حيث هي فكرة مثالية أساسين الأول هو

التصور والايمان بأن الشعوب العربية في جميع أقطارها أمة عربية واحدة وبأن أوطان تلك الشعوب أجزاء من وطن كبير واحد هو وطن الأمة العربية ، والثاني ارادة السعي لتحقيق الأهداف السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية لهذه الأمة .

وفي رأيه أن البواعث العملية لتحقيق هذه الفكرة المثالية تتلخص بالأمور التالية وهي :

(١) الاشتراك في اللغة العربية الفصحى .

(٢) الاشتراك في التاريخ .

(٣) الاشتراك في المصالح السياسية والاقتصادية في الحاضر والمستقبل .

فالقوميـة العربية لا تقوم في نظره على عامل العنصرية ولا على عامل الدين بل العربي من تكلم بالعربية وأراد أن يكون عربياً مهما يكن دينه ، ومهما تكن السلالة البشرية التي ينتمي اليها . والمؤلف يتكلم على الوسائل المؤدية الى تحقيق فكرة القومية كالاستقلال ومكافحة الاستعمار ، والوحدة العربية ، وإقامة الحكم على أساس ديمقراطي برلماني ، والاشتراكية التعاونية ، ورفع مستوى الشعب خلقياً وثقافياً واجتماعياً واقتصادياً ، واحترام القوميات التي تحترم القومية العربية ، ومشاركة العالم المتمدن في تقدم البشر روحياً وعقلياً ، وتجنب مصائب الحروب باتباع سياسة الحياد الايجابي والتعايش السلمي .

يتضح من ذلك كله أن الوسائل التي أشار اليها المؤلف هي الوسائل التي أخذت بها الجمهورية العربية المتحدة لتحقيق فكرة القومية فليس في استقصاء هذه الوسائل إذن شيء جديد ، ولكن الجديد الذي ضمه المؤلف الى استقصائه هو ربطه وسائل التحقيق بفكرة فلسفية عامة مبنية على دقة الملاحظة وصدق

المشاهدة وهو يلخص هذه الفكرة الفلسفية بقوله : ليست القومية العربية فلسفة قومية ضيقة ولا مذهباً اجتماعياً محدوداً قوامه الأثرة أو التعصب أو البغضاء ، بل هي فلسفة اجتماعية مثالية بنّاءة تقدمية تدعو كل عربي الى محبة أمته العربية ووطنه العربي ، والى الاعتزاز بماضي هذه الأمة والى العمل التقدمي لحاضرها ومستقبلها كما تدعو الى محبة الإنسانية والى خير البشرية والى حق كل شعب في تقرير مصيره (راجع مقالنا عن الاتجاه القومي في التربية العربية في مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد ٣٣ الجزء ٢ صفحة ٢٣٨) .

وخلاصة القول ان كتاب القومية العربية سفر جليل بعمق تحليله ودقة بحثه ورصانة أسلوبه وفائدته ووضوح أهدافه . أهداه المؤلف الى أخيه الأمير عارف الشهابي الذي وقف حياته القصيرة على نشر عقيدة القومية العربية وقضى شهيداً في سبيلها وعلمه أن يحب العروبة وأن يبذل جهده في خدمتها .

وفي هذا الإهداء اعتراف كريم بفضل الشهداء النبلاء وتذكير بما بذلوه من جهد لبلوغ الأمة العربية حريتها واستقلالها ووحدتها .

جميل صليبا

المبادئ الشرعية والقانونية
في الحجر والنفقات والمواريث والوصية ،
في المذهب الحنفي والتشريع اللبناني
تأليف الدكتور المحامي : صبحي محمصاني
الطبعة الثانية بيروت ١٩٥٩ م

كنا وصفنا هذا الكتاب الجامع للمبادئ الشرعية في طبعته الأولى في المجلد الثلاثين من مجلة المجمع العلمي العربي وقلنا هو مجموعة من المحاضرات التي أعدها العلامة الدكتور المحمصاني سابقاً لطلاب السنتين الثالثة والرابعة من معهد الحقوق الفرنسي في بيروت والتي لا تزال تلقى على تلامذة السنة الرابعة من كلية الحقوق وفق منهاجها الجديد . وقد قسم مباحث هذا الكتاب إلى الأقسام الأربعة التي جعلها عنواناً له . وكل قسم منها قد اشتمل على عدة أبواب من فروع هذه الأقسام . (فمن الأول) الحجر والولاية ، والصغر والجنون إلى آخر الأبواب السبعة وأسباب أخرى للحجر . (والثاني) أحكام عامة ، ومنها شروط الوصية وآثارها . (والثالث) نفقة الزوجة والفروع والأصول وذوي الأرحام ، وقواعد عامة في النفقات (والقسم الرابع) يشتمل على ثمانية أبواب كموانع الإرث ، وأصحاب الفروض والعصبات والعَوْل والردّ ، وذوي الأرحام وأحكام عامة ومسائل متنوعة ، ووراء كل باب فصول وفروع منسقة ومستوفاة .

وهذه الطبعة الجديدة منقحة من كتاب المبادئ الشرعية ، وقد سميت (المبادئ الشرعية والقانونية) ، وتناول التنقيح بوجه خاص ـ كما قال الدكتور المؤلف ـ الامور الآتية :

(١) توضيح بعض المسائل التي أظهر الاختبار حاجتها للتفسير والشرح .

(٢) زيادة بعض المقارنات المستمدة من القوانين اللبنانية وبعض القوانين العربية الجديدة .

(٣) زيادة بعض الاجتهادات القضائية اللبنانية الجديدة لتسهيل فهم المبادئ النظرية على ضوء القضايا العملية .

(٤) ادخال بعض التعديلات على القانون اللبناني ، وبوجه خاص بحث قانون الإرث والوصية اللبناني لغير المحمديين الصادر عام ١٩٥٩ م .

قال : وعلى أساس هذه التغييرات الجذرية أبدل بعنوان الكتاب السابق عنوان جديد هو (المبادئ الشرعية والقانونية) للتنويه بالأحكام القانونية الجديدة ، التي صدرت في لبنان في المسائل التي عُنِيَ بها هذا الكتاب .

وانك لتجد فيما تخطه يراعة الأستاذ المحمصاني ، ما امتاز به الفقه الإسلامي على الفقه الغربي من دقة التعبير ، وجمال التصوير ، وموافقة قواعده وشواهده لكل أمة ؛ على اختلاف الزمن وارتقاء الأمم ، وتنوع المطالب .

وكنا نرجو أن نرى المقدمة مبدوءة باسم الله تعالى كما هي عادة الكتاب الشرقيين ، وأن نرى التاريخ الهجري إلى جانب التاريخ الميلادي . أخذ الله بيد الدكتور وزاده إحساناً وتوفيقا .

كتاب الحوادث والبدع

تأليف أبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي

المتوفى بمصر سنة ٥٢٠ — ٥٢٥ هـ

طبعة تونس سنة ١٩٥٩ م

كنا نجلس في حلقة محدّث الشام الأستاذ الشيخ بدر الدين الحسني الشهير ، وكان مما نتلقاه عنه رواية ودراية منتخب كنز العمال من كتب الحديث الجامعة ، ولما بلغنا باب الاعتصام بالكتاب والسنة ، سأله بعض الفضلاء : أوَ يقرآن للعمل بهما أم للتبرك قال أستاذنا : إذا قصدتم العمل بهما كنتم من المعتصمين .

وكتاب الإمام الطرطوشي هذا يهدي إلى العمل ، ويبعد عن الحوادث والبدع ، وينهى عن كلّ ما تخترعه القلوب ، وما تنطق به الألسنة ، وما تفعله الجوارح ، مما يظنه بعضهم عبادات وقربات وطاعات ، والطاعة في الاتباع لا في الابتداع ، وقد أكمل الله لنا الدين ، وأتمّ علينا النعمة ، ورضي لنا الإسلام دينا .

وقد حققه الأستاذ الطالبي ، وأشار الى اختلاف نسخه بدقة وعناية وأنشأ عليه تعليقات مفيدة ، ووضع له في آخره فهارس عديدة ، وترجم لمن ورد ذكرهم في الكتاب ، فبلغ (٢٢٣) صفحة بالقطع المتوسط ، وطبع على أجود الورق ، فجزى المولى المؤلف والمحقق والناشرين أفضل الجزاء .

خطب حمدي عُبيد

في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أنشأها واستمدها من الكتاب والسنة والمجتمع

ص ٣٠٩ طبع ١٣٧٩ ﻫ = ١٩٥٩ م

الأمر الذي بعث الله به رسوله هو الأمر بالمعروف ، والنهي الذي بعثه به هو النهي عن المنكر ، وهذا نعت النبي والمؤمنين ، قال تعالى في وصف النبي (ﷺ) : « يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرّم عليهم الخبائث » . وقال في وصف الأمة : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » هذا وإن بني العروبة والإسلام لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع والتعاون والتناصر ، فالتعاون لجلب المصالح لهم ، والتناصر لدفع المضار عنهم ، وتكون الطاعة للآمر بتلك المقاصد ، والناهي عن تلك المفاسد ، « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » وفي هذه الخطب المفيدة للأستاذ حمدي عبيد العقائد والأوامر ، والزواجر الإلهية والنبوية ، كقواعد الإسلام الخمس ، وكالمحبة والصحبة والتوبة ، وشذرات من نفحات النبوة ، وكقول الحق والصدق ، وكالنهي عن الموبقات السبع ، وهي الشرك ، والسحر ، وقتل النفس بغير حق ، وأكل الربا ، ومال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات ، وكل ذلك بأدلة ثابتة من الكتاب والسنة ، وأعمال المجتمع ، وبأسلوب عصري واضح ، وهذا الديوان مشكول شكلاً تامًّا ، ومن الخطبة السابعة التي حثّ فيها الأستاذ عبيد على تحصيل العلم النافع قوله :

« فمن العلوم النافعة التي تؤمّن لنا كلّ ما قدّمنا العلومُ الرياضيَّة ، والتاريخية ، والأدبية والاجتماعية ، والجغرافية والاقتصادية ، والسياسية والحربية ، والأخلاقية والتربوية ، وسائر العلوم الكونية ، وكلُّها حثّ على تحصيلها القرآن الكريم ، وأمر بها الرسول العظيم ، ﷺ » .

ثم إن من سهو القلم أو الطبع وضع فتحتين على الألف الساكنة في مثل (منبرًا ودفاعًا ومحمودًا) ، لأن التنوين عبارة عن تكرير الحركة في الحرف المتحرك ، والألف اللينة ساكنة ، والفتحة الثانية من حقها أن توضع فوق الراء والعين والدال من هذه الكلمات المفتوحة الآخر ، ويقاس عليها غيرها كما لا يخفى .

ولعله يشار في الطبعة الثانية إن شاء الله الى أرقام الآيات وسورها ليسهل الرجوع اليها ، وتعزى الأحاديث إلى مخرّجيها من أصحاب الكتب الستة وغيرهم ليكون القراء على بصيرة منها ومن شرحها .

هذا مثال من هذه الخطب النافعة الرافعة ، فجزى الله تعالى مؤلفها خير الجزاء .

محمد بهجة البيطار

حرب صليبية في أوروبا

تأليف دوايت ايزنهاور وترجمة ابراهيم عبود

السلسلة الخامسة من عيون التاريخ العالمي التي تنشرها دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر . طبع بدمشق سنة ١٩٥٩ في مجلد واحد يشتمل على (٢٧٠) صفحة من قطع الوسط ، يتخللها بعض الصور

وهو ترجمة كتاب (Crusade in Europ) لداوي ايزنهاور القائد العام لجيوش الحلفاء في الجبهة الغربيه أثناء المرحلة الأخيرة من الحرب الكونية الثانية والرئيس الحالي للولايات المتحدة الأميركية . وقد دون المؤلف فيه مذكراته عن مراحل الغزوة التي قادها ضد جيوش المحور في افريقية الشمالية وايطالية وفرنسة .

وهو سجل رائع لسير المعارك في هذه الميادين وللأحداث السياسية التي رافقتها . وكيف انتزع الظفر من جيوش المحور وأرغمها على الاستسلام من دون قيد أو شرط ، فبدد بانتصاراته أوهام الزاعمين بأن جيش المانية لا يقهر .

وكان المؤلف صريحاً في آرائه ، مهذباً بحق أعدائه ، ولم يكتم تخلف بلاده عسكرياً بالنسبة لاستعداد قوى المحور الهائلة . وانتقد بعنف اهمال القيادة الامركية وضعف جهازها الحربي ، وفشل دوائر استعلاماتها عن مجرى الأحداث في الدول الأوربية ، مما كلف الحكومة لتدارك ما فاتها جهداً جباراً ، وأعباء مالية ثقيلة حتى ضمنت لنفسها التفوّق العسكري وحققت الظفر لها ولحلفائها .

ويحار الفكر بتعليل عنوان هذا الكتاب : (حرب صليبية في أوروبا) ومغزاه ، فلا تنعت الحروب بالصليبية إلا إذا وقعت بين المسيحية وغيرها من الملل ، كما هو شأن الجهاد عند المسلمين . فأين هي الصليبية في هذه الحرب ، والخصمان من دين واحد ؟ هل اعتبر المؤلف النازية الألمانية والفاشستية الإيطالية في عداد الملاحدة حتى يبرر قتالهم ؟ فإن صح هذا الزعم فكيف له أن يفسر تآخي مسيحية الحلفاء وشيوعية السوفيات الملحدة . قاتل الله السياسة وتلونها ، فانها تدني البعيد ، وتقصي القريب وتجعل من الهدى ضلالاً ومن الباطل حقاً .

نشكر دار اليقظة على حسن انتقاء ما تنشره من عيون التاريخ العالمي ونتمنى لها المزيد من التوفيق ، ونخص الأستاذ المترجم بأطيب الثناء والتقدير لإصابته حسن الاداء ، ودقة التعبير ، وأمانة النقل .

جعفر الحسني

آراء وأنباء

انتخاب رئيس المجمع العلمي العربي

عقد المجمع العلمي العربي جلسة في ١٥ تشرين الأول سنة ١٩٥٩ لانتخاب رئيس خلفاً للمرحوم الأستاذ الرئيس خليل مردم بك .

وحضر لهذه الجلسة أكثرية الأعضاء العاملين وجرى الانتخاب بطريقة الاقتراع السري ففاز الأمير مصطفى الشهابي بإجماع الأصوات وعلى هذا صدر القرار التالي .

قرار نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة

رقم (٤٠) سنة ١٩٥٩

بتعيين رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق

نائب رئيس الجمهورية

بعد الاطلاع على القرار رقم (١٩٥٧) لعام ١٩٥٩

وبناء على المرسوم التشريعي رقم (٩٠) تاريخ ١٩٤٧/٦/٣٠ المتضمن ملاك المجمع العلمي العربي ودار الكتب الظاهرية وتعديلاته .

وبناء على ضبط الجلسة التي عقدها المجمع العلمي العربي في ١٩٥٩/١٠/١٥ التي جرى فيها انتخاب رئيس المجمع العلمي العربي خلفاً للرئيس الراحل .

« يقـــرر ما يلي »

١ ـ يعين الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي عضو المجمع العلمي العربي العامل رئيساً للمجمع العلمي العربي لمدة أربع سنوات .

٢ ـ يتقاضى الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي من موازنة المجمع العلمي العربي الباب (١) البند (١) تعويضاً ثابتاً معادلاً لراتب موظفي الدرجة الثالثة من المرتبة الممتازة .

دمشق في ١٥ / ١٢ / ١٩٥٩

محمد عبد الحكيم علي عامر
نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة

أعضاء المجمع العلمي العربي في سنة ١٣٧٩ هـ — ١٩٦٠ م

الأعضاء العاملون

١ — الرئيس : الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي

٢ الدكتور اسعد الحكيم
٣ الأمير جعفر الحسني (أمين السر العام)
٤ الدكتور جميل صليبا
٥ 〃 حسني سبح
٦ 〃 حكمة هاشم
٧ 〃 سامي الدهان
٨ الاستاذ شفيق جبري
٩ الاستاذ عارف النكدي
١٠ 〃 عز الدين التنوخي
١١ 〃 فارس الخوري
١٢ الشيخ محمد بهجة البيطار
١٣ الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي
١٤ 〃 محمد كامل عياد
١٥ 〃 مرشد خاطر

الأعضاء المراسلون

(الجمهورية العربية المتحدة)
الاقليم الشمالي

١ الدكتور عبد الرحمن الكيالي
٢ الاستاذ عمر ابو ريشة
٣ 〃 محمد سليمان الأحمد
٤ الدكتور قسطنطين زريق

(ج.ع.م. الاقليم الجنوبي)

٥ الاستاذ احمد حسن الزيات
٦ الدكتور احمد زكي
٧ الاستاذ احمد لطفي السيد
٨ 〃 خليل ثابت
٩ الدكتور طه حسين

(ج.ع.م. الاقليم الجنوبي)

١٠ الاستاذ عباس محمود العقاد
١١ الأمير يوسف كمال
١٢ الاستاذ أنيس المقدسي — لبنان
١٣ 〃 بشارة الخوري — 〃
١٤ الشيخ سليمان ظاهر — 〃
١٥ الدكتور صبحي المحمصاني — 〃
١٦ 〃 عمر فروخ — 〃
١٧ الأستاذ مارون عبود — 〃
١٨ الأب ا.س. مرمرجي الدومنكي — فلسطين

١٩ الاستاذ قدري حافظ طوقان فلسطين
٢٠ 〃 محمد الشريقي المملكة الاردنية الهاشمية
٢١ 〃 احمد حامد الصراف العراق
٢٢ الدكتور داود الچلبي 〃
٢٣ الاستاذ ساطع الحصري 〃
٢٤ 〃 طه الهاشمي 〃
٢٥ 〃 عباس العزاوي 〃
٢٦ الشيخ كاظم الدجيلي 〃
٢٧ الاستاذ كوركيس عواد 〃
٢٨ الشيخ محمد بهجة الاثري 〃
٢٩ الاستاذ محمد رضا الشبيبي 〃
٣٠ الدكتور مصطفى جواد 〃
٣١ الاستاذ منير القاضي 〃
٣٢ الشيخ محمد نور الحسن السودان
٣٣ الأستاذ حمد الجاسر المملكة العربية السعودية
٣٤ 〃 خير الدين الزركلي 〃
٣٥ 〃 علي الفقيه حسن ليبية
٣٦ 〃 حسن حسني عبد الوهاب تونس
٣٧ 〃 محمد الطاهر بن عاشور 〃
٣٨ 〃 محمد البشير الابراهيمي الجزائر
٣٩ 〃 عبد الحي الكتاني المغرب
٤٠ 〃 عبد الله كنون 〃
٤١ 〃 علال الفاسي 〃
٤٢ 〃 احمد آتش تركية
٤٣ الدكتور علي أصغر حكمت ايران

٤٤ الاستاذ آصف علي أصغر فيضي الهند
٤٥ 〃 أبو الحسن علي الحسني الندوي 〃
٤٦ 〃 عبد العزيز الميمني پاكستان
٤٧ 〃 يوسف البنوري 〃
٤٨ الدكتور بلاشير (رجيس) فرنسة
٤٩ 〃 كولان (جورج) 〃
٥٠ 〃 لاوست (هنري) 〃
٥١ 〃 ماسه (هنري) 〃
٥٢ 〃 ماسينيون (لويس) 〃
٥٣ 〃 أربري (أ. ج.) بريطانية
٥٤ 〃 جيب (هـ. ا. ر.) 〃
٥٥ 〃 غليوم (الفرد) 〃
٥٦ 〃 ريتر (هلموت) المانية
٥٧ 〃 هارتمان (ريشارد) 〃
٥٨ 〃 ديدرنغ (س.) السويد
٥٩ الدكتور ضودج (بيارد) الولايات المتحدة
٦٠ الاستاذ فيليب حتي 〃
٦١ 〃 غومز (اميليو غارسيا) اسبانية
٦٢ الدكتور اشتولز (كارل) النمسة
٦٣ الاستاذ موجيك (هانز) 〃
٦٤ 〃 ماهلر (ادوارد) المجر
٦٥ 〃 جبرايلي (فرنشيسكو) ايطالية
٦٦ الدكتور شخت (يوسف) هولاندة
٦٧ الاستاذ بدرسن (جون) الدانيمرك
٦٨ 〃 كرسيكو (يوحنا اهتنن) فنلاندة
٦٩ 〃 رشيد سليم الخوري البرازيل

أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون

(ج.ع.م. الاقليم الشمالي)

١ الشيخ طاهر الجزائري
٢ « سليم البخاري
٣ « مسعود الكواكبي
٤ الاستاذ الياس قدسي
٥ « أنيس سلوم
٦ « جميل العظم
٧ « سليم عنحوري
٨ « عبد الله رعد
٩ « رشيد بقدونس
١٠ « اديب التقي
١١ الشيخ عبد القادر المبارك
١٢ الاستاذ معروف الأرناءوط
١٣ السيد محسن الأمين
١٤ الاستاذ الرئيس محمد كرد علي
١٥ « محمد البزم
١٦ « سليم الجندي
١٧ الشيخ عبد القادر المغربي
١٨ الأستاذ الرئيس خليل مردم بك
١٩ الأب جرجس شلحت
٢٠ « جرجس منش
٢١ الاستاذ قسطاكي الحمصي
٢٢ الشيخ كامل الغزي

(ج.ع.م. الاقليم الشمالي)

٢٣ الاستاذ ميخائيل الصقال
٢٤ الشيخ بدر الدين النعساني
٢٥ « راغب الطباخ
٢٦ « عبد الحميد الجابري
٢٧ « عبد الحميد الكيالي
٢٨ « محمد زين العابدين
٢٩ الدكتور صالح قنباز
٣٠ الشيخ سليمان الأحمد
٣١ الاستاذ ادوار مرقص
٣٢ الشيخ سعيد العرفي
٣٣ البطريرك مار اغناطيوس افرام

(ج.ع.م. الاقليم الجنوبي)

٣٤ الاستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي
٣٥ « رفيق العظم
٣٦ « احمد كمال
٣٧ « احمد تيمور
٣٨ « احمد زكي باشا
٣٩ الدكتور يعقوب صروف
٤٠ السيد محمد رشيد رضا
٤١ الاستاذ حافظ ابراهيم
٤٢ « احمد شوقي
٤٣ الشيخ احمد الاسكندري
٤٤ الاستاذ اسعد خليل داغر

(ج.ع م. الاقليم الجنوبي)

٤٥ الاستاذ داود بركات

٤٦ الدكتور امين المعلوف

٤٧ الاستاذ مصطفى صادق الرافعي

٤٨ الشيخ عبد العزيز البشري

٤٩ الدكتور احمد عيسى

٥٠ الأمير عمر طوسون

٥١ الشيخ مصطفى عبد الرازق

٥٢ الاستاذ انطون الجميل

٥٣ 〃 خليل مطران

٥٤ 〃 ابراهيم عبد القادر المازني

٥٥ 〃 محمد لطفي جمعة

٥٦ الدكتور احمد امين

٥٧ الاستاذ عبد الحميد العبادي

٥٨ الشيخ محمد الخضر حسين

٥٩ الدكتور عبد الوهاب عزام

٦٠ 〃 منصور فهمي

٦١ الاستاذ حسن بيهم لبنان

٦٢ الأب لويس شيخو 〃

٦٣ الشيخ عبد الله البستاني 〃

٦٤ الاستاذ جبر ضومط 〃

٦٥ 〃 عبد الباسط فتح الله 〃

٦٦ الشيخ عبد الرحمن سلام 〃

٦٧ 〃 مصطفى الغلاييني 〃

٦٨ الاستاذ عمر الفاخوري 〃

٦٩ الاستاذ بولص الخولي لبنان

٧٠ 〃 امين الريحاني 〃

٧١ الامير شكيب ارسلان 〃

٧٢ الشيخ ابراهيم المنذر 〃

٧٣ الاستاذ جرجي يني 〃

٧٤ الشيخ احمد رضا 〃

٧٥ الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف 〃

٧٦ 〃 فيليب طرازي 〃

٧٧ الشيخ فؤاد الخطيب 〃

٧٨ الدكتور نقولا فياض 〃

٧٩ الشيخ سعيد الكرمي فلسطين

٨٠ الاستاذ نخلة زريق 〃

٨١ الشيخ خليل الخالدي 〃

٨٢ الاستاذ عبد الله مخلص 〃

٨٣ 〃 محمد اسعاف النشاشيبي 〃

٨٤ 〃 عادل زعيتر 〃

٨٥ 〃 محمود شكري الآلوسي العراق

٨٦ 〃 جميل صدقي الزهاوي 〃

٨٧ 〃 معروف الرصافي 〃

٨٨ 〃 طه الراوي 〃

٨٩ الاب انستاس ماري الكرملي 〃

٩٠ الشيخ محمد بن ابي شنب الجزائر

٩١ الاستاذ محمد الحجوي مراكش

٩٢ 〃 زكي مغامز تركية

٩٣ الشيخ ابو عبد الله الزنجاني ايران

٩٤ الاستاذ عباس إقبال ايران
٩٥ الحكيم محمد أجمل خان الهند
٩٦ الاستاذ فران (جبرئيل) فرنسة
٩٧ 〃 هوار (كليمان) 〃
٩٨ 〃 بوفا (لوسيان) 〃
٩٩ 〃 مالنجو 〃
١٠٠ 〃 كي (ارتور) 〃
١٠١ 〃 باسه (رينه) 〃
١٠٢ 〃 ميشو بلـيّير 〃
١٠٣ 〃 مارسيه (وليم) 〃
١٠٤ 〃 دوسو (رينه) 〃
١٠٥ 〃 مرجليوث (د٠س٠) بريطانية
١٠٦ 〃 بفن
١٠٧ 〃 براون (ادوارد) 〃
١٠٨ 〃 كرينكو (فريتز) 〃
١٠٩ 〃 هومل المانية
١١٠ 〃 ساخاو (ادوارد) 〃
١١١ 〃 هوروفيتز (يوسف) 〃
١١٢ 〃 هارتمان (مارتين) 〃
١١٣ 〃 ميتفوخ (اوجين) 〃
١١٤ 〃 بروكلن (كارل) 〃
١١٥ الأستاذ غولدصيهر (اغناطيوس) المجر
١١٦ » ماكدونالد (د.ب.) الولايات المتحدة
١١٧ 〃 هرزفلد (ارنست) 〃
١١٨ 〃 سارطون (جورج) 〃
١١٩ 〃 كراتشكوفسكي (أ) الاتحاد السوفياتي
١٢٠ 〃 برتلز (ايفيكين) 〃
١٢١ 〃 آسين بلاسيوس (ميكل) اسبانية
١٢٢ 〃 لوپس (دافيد) البرتغال
١٢٣ 〃 جويدي (اغنازيو) ايطالية
١٢٤ 〃 نالينو (كارلو) 〃
١٢٥ 〃 غبريفني (اوجينيو) 〃
١٢٦ 〃 مونته (ادوارد) سويسرة
١٢٧ 〃 هس (ج٠ ج٠) 〃
١٢٨ 〃 كوفالسكي (ت٠) بولونية
١٢٩ 〃 موزل (الوا) تشكوسلوفاكية
١٣٠ 〃 هورغرنيه (سنوك) هولاندة
١٣١ 〃 اراندوك (ك٠) 〃
١٣٢ 〃 هوتسما (م٠ ت٠) 〃
١٣٣ 〃 بوهل (ف٠م٠ب٠) الدانيمارك
١٣٤ 〃 استروب (ج٠) 〃
١٣٥ 〃 سترستين (ك٠ف٠) السويد
١٣٦ 〃 سعيد ابوجمرة البرازيل

« مي »

زرتها في دارها يوم الجمعة في ١٩ آذار سنة ١٩٢٦ قبيل سفري من القاهرة بساعتين ، وكان معي حسين بك الحسيني ، ضغطت على زر الجرس ففتح نافذة من الباب خادم بربري فسألته عن الآنسة فقال هنا فدفعت اليه بطاقتي فذهب بها اليها وما هي إلا كما ولا حتى عاد مسرعاً وذهب بنا إلى البهو ، واتفق أن كان فوق رأسي بجدار البهو اطار به صورة الآنسة مي تعمدت بها أن تمثل الحداثة الساذجة بنظراتها المرتاعة وإرسال يديها الى خلف كأنها تريد أن تعتمد على شيء ووقفتها المشوشة التي يلتبس على الناظر أمرها : أكانت تريد جلوساً من وقوف أم نهوضاً من جلوس ؟ وهكذا فان الآنسة تحاول أن تصور نفسها حدثة مراهقة بل طفلة غريرة في مقالاتها وخطبها وكتبها وحديثها ، ولكن بمعرض التواضع ونكران الذات فيتم لها ما تبتغيه كل امرأة ولكن بلباقة وكياسة .

بعد بضع دقائق من دخولنا إلى البهو ولجت علينا أم الآنسة مي وسلمت علينا مصافحة فذكرت لها اسمي واسم صاحبي ، وشرعنا نتحدث بالأحاديث المعتادة كحالة الجو وجمال البلد ، وما أذكر المناسبة التي جعلتها تنوه بكثرة من يرتاد البهو الذي نحن فيه من علية القوم واستطردت الى ذكر ابنتها الآنسة مي وكثرة شغلها في الإنشاء والخطب فكنت أخفق برأسي وأقول لها : نعم صحيح .

سألتني عن بلدي ، فقلت دمشق قالت وأنا أصلي من حوران وزوجي من لبنان فقلت ما شاء الله ! قالت لكن زوجي موعوك ملازم فراشه قلت خير إن شاء الله ولا بأس عليه .

ولم يطل بنا الحديث حتى حانت مني التفاتة فرأيت الآنسة ميّاً تحبو بخطى خرساء ، وقد بلغت نصف البهو فنهضت على قدمي فوقفت مكانها ولوت جيدها يمنة وعقدت كفيها وقالت والبشر يأتلق على أسرتها (أهلاً وسهلاً شرفت يا بك) فخطوت اليهـا ماداً كلتا يديّ ودلفت هي نحوي مادة يمناها وصافحتني بقوة مرددة كلمات الترحيب وبعد أن عرفتها بصاحبي جلست مواجهة لي .

كان ثوبها زهري اللون قصير الذيل والكمين مفتوح الجيب الى ما تحت الترقوتين ، وكانت هي في لبسها وزينتها وتصفيف شعرها آخذة بمقتضيات الكياسة والمودة الأوروبية أو - المواءمة - على رأي الكرملي .

كان أمد الزيارة نحو ساعتين وكان مدار الحديث بها على ما يأتي :

الترحيب والمجاملة وشيء من الدعابة المملوءة خفراً .

الثورة السورية .

الرابطة الأدبيـة .

النهضـة المصرية .

التململ من الاستعمار الأوروبي .

فكان من ترحيبها ومجاملتها قولها ان مصر ترحب بي وان أدباءها حريصون على التعرف بي شخصياً ، وإن كانوا لا يجهلونني وانها سعيدة بلقائي وأطرت رسالتي شعراء الشام وقصيدتي في شوقي وقالت أكل هذا توحي اليك زيارة شوقي

لدمشق الى غير ذلك من أساليب المجاملة التي تحسن ايرادها النساء أكثر من الرجال ·

وكان من دعابتها أن قدمت لي لفافة وأرادت أن تقدح عود ثقاب فبادرت اليه قبلها فقالت : دعني أقبسك النار ولا تخف هي نار باردة قلت أنا أحرق نفسي ·

ثم سألتني عن كارثة دمشق فقالت بصوت مملوء حنواً وبكاء : (ان كان لا يؤلمك أن تقصّ عليّ كيف وقعت الواقعة فحدثني) قالت ذلك وهي مقبلة نحوي بوجهها تفرك كفها بكفها ويقطع مجرى نظرها عني غضها طرفها كأنما تريد أن تغيض عبرة ·

ذاك القول وهذا المشهد بعثا في قلبي من الشجن والأسى والذكريات المحزنة ما فاضت له مقلتاي رغم أنفي ·

قلت نعم يا سيدتي من الألم ما قد يفيد ، وأخذت أقص عليها ما شهدته بعيني في الواقعة فكانت تظهر ألماً وحزناً وحناناً واستياء وتصعد أنفاسها وتقول لا أقدر أن أتصور دمشق خربة محروقة تلك المدينة التي يتمثل بها جمال الشرق وجلاله ، وتبعث في نفس الرائي الحرمة والروعة · · · · وتمنت انفراج أزمة الثورة ·

ثم أتت على ذكر الرابطة الأدبية وقرظتها وأسفت لتقوضها وتساءلت عما إذا كان بالإمكان إعادتها سيرتها الأولى وقالت : ما رأيت جمعية توثقت رابطة المحبة والولاء بين أعضائها كالرابطة الأدبية ·

ثم تناولت حديث النهضة المصرية من وجهتيها السياسية والأدبية وأظهرت

إعجابها بها وتطرقت الى اليقظة الشرقيــة العامة وقالت انها موجة ما زالت تعظم وتتعالى ، ولا بد من أن تفيض على جوانب الشرق فتعم أقطاره كافة وتململت من قسوة الاستعمار الغربي .

وهناك كان ميعاد السفر قد دنا فاستأذنتها بالانصراف فخرجت هي وأمهـا معنا لخارج باب الدار ولا أكتمك أنني برحت القاهرة وركبت القطـار ووصلت الى الاسكندرية وحديثها في مسمعي وشخصها ماثل أمام عيني وما أعلم أن آنسة استدعت احترامي لها وإعجابي بها كالآنسة مي .

خليل مردم بك

ديوان ابن عنين

تعليق على استدراك

عثر الأستاذ عبد العزيز الميمني على نسخة خطية من ديوان ابن عنين ؛ « فيها مقاطع وقصائد وبعض أخبار وروايات » خلت منها الطبعة التي أخرجها الرئيس السابق الأستاذ خليل مردم بك رحمه الله .

قال الأستاذ الميمني : « فصحت عزيمتي على تعليقها : ـ يريد هذه المقاطع والقصائد والأخبار والروايات ـ ولمّ شعثها ، وضبط شواردها ، وعرض فرائدها » .

وقد رأينا في بعض هذه القصائد التي نشرها الأستاذ عبد العزيز : استدراكاً وتعليقاً ، مما أحببنا أن نلفت نظره الدقيق اليها خدمة لهذا الديوان .

جاء في القصيدة التي مدح بها صلاح الدين : الصفحة الـ ٥٨٩ ، المجلد ٣٤ من مجلة المجمع :

يا طالبي العارفات دونكمو ندى مليك الزمان فاعترفوا

(فاعترفوا) بالعين المهملة ، وهي وإن يكن لها وجه ، فقد تكون (اغترفوا) بالغين المعجمة أوجه .

وبعد هذا :

فما الخضم الطامي غواربه ولولا الغيوث الهواطل النطُفُ

والواو في (ولولا) زائدة خطأ في النسخ أو الطبع .

وبعده :

عليكمُ منه بابن مكرمةٍ تندح أمواله وتغترفُ

وقد تكون (تنداح) هنا أولى من تندح[1] . ونفترض هنا تؤكد (فاغترفوا) التي سبق أن أشرنا اليها .

وبعد هذا البيت :

ما دونها ذائد ولا حرسٌ الى حَراها الآمال تختلفُ

وفسَّر الناسخ أو راوي هذه القصيدة ، لفظة (حراها) بـ (نواحيها) . والنواحي من معاني (الحرا) كما ان من معانيها (الساحة)[2] والساحة هنا أدق معنى من الناحية) .

كما أن (الوَكَف) في قوله :

أبقى على الدهر من حوادثه محوطة لا ينالها الوَكَفُ

فسَّره بـ (العيب) وهو من معانيه ، كما ان من معانيه أيضاً الشدة ، وقد تكون (الشدة) هنا أطبق في سياق المعنى من (العيب) .

ويلي ذلك قصيدة في مدح صلاح الدين أيضاً مطلعها :

حلومك أرسى من شمام وأرسخ ومجدك أعلى من (جبال) وأشمخُ

وعلى ما في هذا البيت من ضعف تزيده هذه (الحلوم) ، جمعاً لـ (حلم) التي تصدرت في رأس هذا المطلع . مع هذا ، لا نظن أن ابن عنين يقول : مجدك أعلى من جبال ، يفضّل مجد صلاح الدين على (جبال) وهي نكرة لا يصح معها تفضيل . فأي جبال هذه التي مجد صلاح الدين أعلى منها ؟

وقد يكون أصل الكلمة جبل معروف ، يفاضل بينه وبين مجد صلاح الدين ، كما فاضل في صدر البيت بين حلمه أو (حلومه) وبين (شمام) وهو جبل لباهلة معروف .

(١) يقال : ندح الشيءَ ، أي وسَّعه . وانداح الشيءُ انبسط متسعاً .

(٢) تقول : نزلت بحراه : أي في ساحته . وهي الحراة والحرا .

كأن تكون تِعار أو فعار[١] أو مثلها للموازنة مع شمام .

وبعد هـذا

بقيت صلاح الدين فينا مخلداً فانك مها دمت فالردع مفرخ

و (أفراخ الردع) تحتاج في تفسيرها الى تأويل بعيد ، أقرب منه أن تكون (فالروع مفرخ) وأفراخ الروع وتفريخه معروف مشهور .

وقد يكون ابدال (الواو) بـ (الدال) من غلط النسخ أو الطبع .

ثم

إذا الحرب حشتها الكماة كأنها طهاة قدير في الشتاء وطُبَّخ

وأولى من حشَّتها حشتها بالشين .

« وحشّ النار : جمع اليها ما تفرق من الحطب ، وقيل أوقدها ، وحشّ الحرب اذا أسعرها قال الشاعر :

تألله لولا أن تحشّ الطُبَّخ بي في الجحيم حين لا مُستصرَخ

والطُبَّخ : « الملائكة الموكَّلون بالعذاب . واحدها طابخ » وقد تكون (كأنهم) أفضل من (كأنها) .

وفي الصفحة الـ ٥٣٢

ضبطت العَطف بالضم . وهي أيضاً من غلط الطبع .

وفي الصفحة الـ ٥٢٩ يصف روضة فيقول :

(١) تِعار (بالعين المهملة) ، وقيل تِغار (بالغين المعجمة) والأول أصح . جبل عالٍ . قال لبيد :

عشت دهراً ولا يعيش مع الأيام الا يرمرم وتِعارُ

والفَعَار : جبل أيضاً . قال أبو صخر الهذلي :

يَيل فَعاراً لم يك السيل قبله اضر بها فيها حباب الثعالبِ

في روضة بالنيربين أريضـة موشيـة ببدائع الإبداعِ
مخاضة (كذا) وشائع بردها كف الخضيب وأي كف صناعِ

وقد وضع الأستاذ بعد كلمة (مخاضة) كذا ارتياباً بصحتها . وقد أصاب ، فالكلمة مغلوطة ، والبيت مكسور ، ولو رددنا (مخاضة) الى ما يجب أن تكون أي (مخضلة) فتصحُ اللفظة ولا يستقيم البيت إلا اذا أضيف اليـه (نسجت) أو (حاَكت) أو ما هو بوزنها وبمعناهما . . فيصبح البيت :

مخضلة نسجت وشائع بردها كفُّ الخضيبِ وأي كف صناع

يبقى كف الخضيب على الإضافة والمعروف أنه الكف الخضيب على النعت . وهو النجم شبه به . وكأن ابن عنين جاء به على الإضافة توسعاً منه وتجوزا .

والبيت الثاني ورد في طبعة الأستاذ المردمي رحمه الله هكذا :

في روضة نسجت وشائع بردها كف السحاب وأي كف صناع

وهي رواية أفضل من الرواية المستدركة .

وفي الصفحة الـ ٥٩٥

لم أكُ فيِ ظني مسيئاً به بل أرَهُ في الفعل بي محسنا

بجزم أره . وعندئذ يجب عطفها على (أك) في صدر البيت فيستحيل المعنى الى ضده فلعل الأصل :

(بل كنت في الفعل به محسنا) أو (في الظن) أو (فيِ ظني) أو
(إن أك في ظني مسيئاً به فانه في الفعـل بي محسناً)

أو ما أشبه ذلك .

وفي الصفحة الـ ٥٩٨

فالملك عين خاطبته كأن بها رمداً فكان لما عراها أثمدا

والبيت لا يستقيم وزنه مع (كأن بها) ولا مع (بأن بها) التي أوردها في الحاشية .
ويستقيم الوزن لو قيل :

فالملك عين خاطبته كأنهـا رمدا فكان لما عراها أثمدا

أي (رمداء) مؤنث (أرمد) بحذف الهمزة حذفاً جائزاً للضرورة .

وفي الصفحة الـ ٦٠٠

بالكؤوس المـلآء حشا اليا لا تجريا (كذا) بالمدام لا عليًا

والبيت بصورته هـذه مضطرب الوزن مما حمل الأستاذ على وضع (كذا) بعد (لا تجريا) . وهو الى اضطراب وزنه ، قلق المعنى ، بل هو غير مفهوم .

وقد يقرب معناه ، ويستقيم وزنه اذا قيل :

واجريا بالمدام لي لا عليّـا

على نظر فيه . . . .

وفي الصفحة الـ ٦٠١

يا أيها المالك المولى الكريم ومن يستحق الملك والدنيا اذا وهبا

والبيت غير صحيح الوزن ، وغريب المعنى ، ان لم نقل لا معنى له . وصوابه :

يستحقر الملك والدنيا اذا وهبا

وفي الصفحة نفسها :

وإني لأعجب من زيزب به بحر (؟) كيف لا يغرق
فمن تحته بحر (؟) واحد ومن فوقه أبحـر تدفق
وأعجب من ذا وذا أنـه بلامسه وهـو لا يرزق

والبيتان الأولان غير موزونين ، لذلك وضع الأستاذ علامة استفهام بعد كلمة بحر . في البيتين . وسياق الكلام يقتضي لفظة بحر وهي علة البيتين ،

ولا يستقيم الوزن الا اذا ضبطت (بَحَر) بالتحريك . وهو غير مسموع وكلمة (يرزق) في البيت الثالث يجب أن تكون (يورق) .

قال المعلق في الحاشية :

هذه الأبيات معروفة للخلوقي الشاعر في طاهر بن الحسين :

والرواية :

عجبت لحراقة ابن الحسين كيف تعوم ولا تغرق

الى آخر الأبيات :

والذي نرويه :

عجبت لحراقة ابن الحسين — لا غرقت — كيف لا تغرق

ولعل هذه الرواية أشعر من تلك .

هذا ما رأيت أن ألفت اليه نظر الأستاذ الميمني . وتبقى الموازنة بين الروايتين ، في النسخة المطبوعة ، وفي النسخة المخطوطة التي استند المعلق عليها .

ورأيه بعد ، الموفق الى الصواب .

عارف النكدي

فتاوى لغويّة

- ١ -

ما كانت دور القضاء والفتوى لدى سلفنا الصالح للحياة مقتصرة على أحكام الفقه ، فكثيراً ما استفتي الأئمة من القرّاء والمحدثين والفقهاء في اللغة والأدب وعلوم العربية ، وكان عبد الله بن عباس حبر الأمة يحب الشعر ويحفظه ويرويه ويستعين بشعر الجاهلية منه لتفسير غريب القرآن ، وكان محمد بن ادريس الإمام الشافعي يحفظ شعر هُذيل وغيرها من قبائل العرب ، ويفتي الناس في الدين واللغة والشعر الذي يجيد قوله ، وكان عبد الملك بن قريب الأصمعيّ ، مرجع الناس في لغة العرب وأشعارهم وأخبارهم يحضر في البصرة مجالس حمّاد بن سلمة محدّث عصره ويأخذ عنه الحديث وأسرار العربية .

ولما ذكرناه على سبيل المثال يسرنا أن نرى دار الفتوى الشامية لا تقتصر على الفقه في فتاويها ، وقد سئل مفتي الإقليم الشماليّ الفقيه الحكيم (الدكتور) محمد أبو اليسر عابدين في رسالة إليه أسئلة في الفقه ، وبينها سؤال لغوي عن اسم (سعاد) أهو مذكر أم مؤنث ؟ فأجاب السائلَ بما يلي :

أما الجواب على اسم (سعاد) أهو لمذكر أم لمؤنث ، فقد قال المجدُ اللغويّ في القاموس : وسمّوا سعيداً ومسعوداً ومسعدة بالفتح ومساعداً وسعدون وسعدان وأسعد وسعوداً بالضم . وللنساء سعاد وسعدى بضمها ، وسعدة وسعيدة بالفتح ، وسعيدة بالضم ومثله في لسان العرب .

وقد اشتهرت قصيدة (بانت سعاد) لسيدنا كعب بن زهير ومراده بها مؤنث قطعاً . مع ما روي أن بُندار الاصبهاني كان يحفظ تسعمائة قصيدة كل

قصيدة منها بانت سعاد ، ذكر السيوطي منها عشرة ، ولم ينقل في واحدة مما قالته العرب اسناد الفعل للفظ سعاد إلاّ مؤنثاً .

وليس في الصحابة من الرجال من اسمه سعاد أصلاً ، وفيهم من النساء اثنتان هما سعاد بنت رافع بن أبي عمر بن عائذ بن ثعلبة الأنصارية تكنى أم سلمة زوجة أسلم من حريش فولدت له سلمة . والثانية سعاد بنت سلمة بن زهير ابن ثعلبة بن عبيد الأنصارية زوجة حبسة بن صخر بن أمية بن خنساء بن عبيد .

ولا بأس لتقرير قاعدة التذكير والتأنيث بذكر حكاية لطيفة ذكرها النسفيّ المفسر في تفسيره وهي أن أبا حنيفة سأل قتادةَ عن صفة نملة سليمان في قوله تعالى : (وقالت نملة) أهي مذكر أم مؤنث ؟ فلم يجبه ، فقال له أبو حنيفة : هي مؤنث لأنها تصلح للمذكر والمؤنث ، فلا بد من فارق كهو وهي ، ولو كانت مذكراً لقيل قال نملة .

وهذه القصة بظاهرها طريفة يقبلها من يأخذها على علاتها ، ولكن اذا طبقناها على ما نذكره من قاعدة التذكير والتأنيث يعلم بوضعها ، وعادة المشغوفين بعالم أو صحابي أن يضعوا على لسانه قصصاً تبين مدحه وفضله ، أو يضعوا أحاديث مكذوبة يقصدون بها رفعة قدره ومنزلته وهو في غنى عنها .

وقد ذكرت في كتابي «أغاليط المؤرخين» كثيراً من هذه القصص الموضوعة التي لا شك في كذبها أمثال هذه الحكاية ونبهت على عدم صحتها ، ولم أتتبع فيه القصص المشكوك في صحتها لأنها أكثر من أن تحصر .

أما القاعدة في التذكير فهو (ان الأصل في الأسماء التذكير ، والتأنيث فرع عنه ، ولذا استغنى الاسم المذكر عن علامة تدل عليه واحتـاج الفرع الى العلامة) .

أما العلامات فهي التاء والألف مقصورةً أو ممدودةً ، وأكثرها استعمالاً

هي التاء ، ولم يقولوا الهاء لأن التاء أصل عند البصريين لتشمل تاء الفعل الساكنة ، قال ابن مالك :

علامة التأنيث تاء أو ألف وفي أسام قدروا التا كالكتف

فاذا سمي بالاسم مؤنث حقيقي أنث ، ولو كان اللفظ مذكراً كما لو سمينا امرأه بخالد أو أحمد ، نقول قالت خالد أو أحمد ، ونمنعها من الصرف للعلمية والتأنيث ؛ واذا سمي به مذكراً استغنى عنها ولو كان لفظه مؤنثاً ، حيث يقال : قال طلحة وأسامة ، ولا يقال قالت طلحة وأسامة .

وما لا يتميز مذكره من مؤنثه : فان كان خالياً من التاء يجب تذكيره وان أريد به مؤنث كبرغوث تغليباً لجانب المذكر ، وان كان فيه تاء يجب تأنيث فعله وان أريد به مذكر بلا خلاف ترجيحاً لظاهر اللفظ حيث يقال : قالت نملة .

وكذا يجب تأنيث ما يفرق بين جمعه ومفرده بالتاء كثمرة وبقرة ، فيقال هذه ثمرة وبقرة ولا يقال هذا ثمرة وبقرة تغليباً لجانب اللفظ أيضاً .

وعليه فمتى لم يعرف حال المعنى في الواقع يراعى اللفظ ، فعرف ان الاستدلال على أن نملة سليمان كانت أنثى بقوله تعالى قالت نملة وهم لعدم تميزها ، وكل ذلك في الحقيقي .

أما المجازي فذو التاء مؤنث جوازاً كبحرة وسجادة وحصيرة ، والمجرد مذكر وجوباً كحائط وباب وجدار ، الا أن يسمع تأنيثه كأرض وشمس وسماء .

ومن هنا يعلم عدم صحة الحكاية المارة لأنها ما كانت لتخفى هذه القاعدة على قتادة ويعرفها أمثالنا حتى يسكت عنها المسئول ، وما كانت لتخفى على أبي حنيفة حتى يجيبه عنها بجواب خطأ مغلوط ، وكلا الإمامين خالط العرب جنباً الى جنب واشتهرت علومهم في الشرق والغرب ؛ ومن كتاب هذا العصر

وخطبائهم من يتفكهون بأقاصيص المؤرخين المكذوبة ليتحفوا الناس بتلك الملح ، وفيها ما فيها من الدسائس التي قصدها الواضع ، دون أن يتحروا مصدرها ورواتها .

أما سؤالكم عن واقعة هل تجمع على وقائع أم وقوعات وأن أيهما أصح لغة ؟

فأقول : قال في لسان العرب « الواقعة الداهية والواقعة النازلة من صروف الدهر » والواقعة اسم من أسماء يوم القيامة .

والواقعة والوقيعة الحرب والقتال ، وقيل المعركة والجمع الوقائع ، ووقائع العرب أيام حروبها .

والوقائع المناقع ، وعليه قول الفرزدق :

(رشيف الغُرَيريّات ماء الوقائعِ) (١)

والوقيع مناقع الماء ، والوقيعة مكان صلب يمسك الماء ، والوقيعة نقرة في متن حجر في سهل أو جبل يستنقع فيها الماء وهي تصغر وتعظم حتى تجاوز حد الوقيعة فتكون وقيطا ، قال ابن أحمر :

الزاجر العيس في الإمليس أعينها مثل الوقائع في أنصافها السمل

ومما ذكر يعلم أن علماء اللغة استعملوا لفظ الوقائع جمعاً ، ولا مناسبة لجمع الواقعة بوقوعات لأن وقوعاً مصدر ووقوعات جمع له إن صح جمع المصدر كنصرات وضربات ، وفيما ذكر كفاية والله أعلم .

الدكتور أبو اليسر عابدين
المفتي العام للإقليم الشمالي

---

(١) الغُرَيْر فحل من الإبل ، وهو ترخيم أغرّ ، كقولك في أحمد حُمَيد ، والإبلُ الغُرَيريّة منسوبة اليه .

- ٢ -

أمَطار أم مَطير ومَسار أم مَسير ؟

جاءني من صديق أديب هذا السؤال اللغوي ، ونصه : «ما هو المصدر الميمي أو اسم المكان من العنوان ، وما هي القاعدة في الاشتقاق من الأفعال المعتلة العين ، فقد كثر الجدال حول ذلك بيني وبين إخوانٍ لي من الكتّاب يزعمون أنه لا يجوز أن نطلق (المطار) Aérodrome على مكان الطيارات أو مينائه الجوّية [1] ، لأنه مصدر كالمطاف والمعاش ؛ وهل نقول لمَحْرك الرصاصة المنطلقة من البندقية الى الهدف : مَسار أم مَسير ؟

وأجبته بالجواب التالي شاكراً له اهتمامه بلغته العربية ، وأي عروبةٍ لمن يجهلها ، وكيف يخدم أمته من لا يتقن لغته ؟ وقد أصبحنا في عصر استعجم - إلا من عصم الله - عَرَبُهُ ، واستعربَ عجمه ، ثم رغب السائل الى لجنة مجلة المجمع العلمي العربي بأن تفتح في المجلة باباً خاصاً للاستفتاء اللغوي :

إن جوابك هذا لفي حاجة الى مزيد من البيان : فان (المطار والمطير ، والمسار والمسير) مشتقة من الأفعال المعتلة العين بالياء ، وهي التي يجيء منها مَفْعَل ومَفعِل بالفتح والكسر للمصادر الميمية وأسماء المكان والزمان ، فيقال : مطار ومطير ؛

وأما الأفعال المعتلّة العين بالواو كمعاد ومطاف ومدار ومزار ، فلا يجيء منها شيء من المصادر والأسماء إلا على (مَفْعَل) بفتح العين ، فلا يقال بكسرها :

---

(١) هي بالفرنسية Port aérien وبالانكليزية Air - port .

مَعيد ومَطيف ومَدير ومَنير ، ونزيد في إيضاح ذلك وتوكيده بما بيّنه أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية في كتاب الأفعال [1] في بحث المصادر الميمية قائلاً : « ومنها أسماء مبنية بالزيادة تشبه المصادر في وزنها ، وتخالفها في بعض حركاتها للفصل بين الاسم والمصدر ؛ وتكلّم منها على الأفعال المعتلة بقسميها : المعتلّة بالياء ، والمعتلّة بالواو بقوله : وأمّا المعتلة بالياء في عين الفعل : فإنما يُنتهى في مصادرها والأسماء منها الى الروايات ، لأنهم قالوا : المَخيض والمبيت والمغيب والمزيد وهن مصادر ، وقالوا : المَغيض مَغيض الماء ، والمخيض في الأسماء والمصادر ، وقالوا : (المَطار) والمَنال في الأسماء والمصادر . قلتُ : فيكون (المطار) على قوله هذا اسم مكان ومصدراً ميمياً بمعنى الطيران ؛ ثم قال مؤيداً ذلك :

ومن العلماء من يجيز الكسر والفتح فيها (أي المعتلّة بالياء) مصادرَ كنّ أو أسماء فيقول : المَمال والمميل والمَغاب والمغيب ، وفي أشباهها كذلك ؛ قلتُ : أي مثل (المَطار والمَطير) فلك أن تجعل كلاً منهما اسم مكان وزمان أو مصدراً ؛ وتنقلب الواو والياء ألفاً في مصادر ذوات الواو والياء كما انقلبت في أفعالها كالمَقام والمَجال والمَطار والمَنال ، والمُقام والمُراح في الرّباعي ، وكان الأصل في مَقام : (مَقْوَمٌ) ، فألقوا حركة الواو على ما قبلها ، ثم انقلبت الواو ألفاً للفتحة التي قبلها : لأن الألف أخف من الواو ، قلت : وهذا في المعتل بالواو ، ومثّل للمعتلّ بالياء بـ (المطار) وكان الأصل فيه (مَطْيَرٌ) ، فألقوا حركة الياء على الطاء ، فصار (مَطَيْر) ، ثم انقلبت الياء ألفاً للفتحة التي قبلها لأن الألف أخف من الياء .

---

(١) مطبعة مصر ١٩٥٢ (ص ٤ و ٥) .

واليك ما ذكره صاحب المصباح المنير [1] وهو خلاصة الباب ، وفصل الخطاب قال : وإن كان معتل العين بالياء ، فالمصدر مفتوحٌ ، والاسم مكسور كالصحيح نحو : مالَ مَمالاً ، وهذا مَميله ، هذا هو الأكثر ؛ وقد يوضع كل واحدٍ موضع الآخر نحو المَعاش والمَعيش ، والمَسار والمَسير ؛ قال ابن السكيت : ولو فُتحا جميعاً في الاسم والمصدر ، أو كُسِرا معاً فيهما لجازَ لقول العرب : المَعاش والمَعيش ، يريدون بكلٍّ واحدٍ المصدرَ والاسم ، وكذلك المَعابُ والمَعيبُ قال الشاعر :

أنا الرجلُ الذي قد عِبتموني وما فيكم لعيّابٍ مَعابُ

وقال :

أزمانَ قومي والجماعة كالذي منعَ الرِّحالةَ أن تَميلَ مَمالا

أي أن تميل ميلاً ، والرِّحالة : الرَّحلُ والسرج أيضاً . انتهى .

وجواب سؤالك عن (المطار) في قول أبي يوسف يعقوب بن السكيت الذي قرأته الآن ، فان كلاًّ من (المَعاش والمَعيش ، والمَعاب والمَعيب ، والمَمال والمَميل) يجوز أن تجعله مصدراً واسماً ، كذلك الأمر في (المَسار والمَسير) ، فلك أن تجعل (المَسار) اسم مكان وتطلقه مثلاً على تحرك الرصاصة Trajectoire ، وهو الخطّ الذي ترسمه القذيفة أو الرّصاصة بين البندقية والهدف ، أو على مَسار الكهرباء électrode بين مَهبطها ومَصعدها ، ثم يجعل (المسير) مصدراً بمعنى السير ، وهو أقوم ، والله أعلم .

عز الدين التنوخي

---

(١) المطبعة الأميرية ١٩٢٨ (ص ٦٦٢) .

تعليق على مقال

الساميّون ومهدهم

قرأت مقال الأستاذ غريغوريوس بولس بهنام المعنون بالملاقات الجوهرية بين اللغتين العربية والآرامية في الجزء الرابع من المجلد الثالث والثلاثين من مجلة المجمع العلمي العربي والذي يذكر الساميين ومهدهم استطراداً ، وقرأت تذييل لجنة المجلة على قول الأستاذ ان الباحثين ليسوا متفقين على مهد الساميين الذين انتشروا في جزيرة العرب وبلاد الشام والعراق ووادي النيل ، وأنا أصوب تذييل اللجنة القائل ان مهد هذه الأرومات هو جزيرة العرب ومنها انتشرت الى الأقطار المجاورة لها شمالاً وجنوباً لأنه مستند الى جمهرة كثيرة من الباحثين ، وأزيد عليه ان من الباحثين الذين يقولون ان الجزيرة العربية ليست مهد الساميين مَن يجعل هذا القول بالنسبة الى النواة الأولى ، ويقول ان هذه النواة جاءت الى جزيرة العرب ونمت فيها ثم أخذت قبائلها تنساح منها الى الأقطار المجاورة أي ان هذا الفريق يلتقي مع الفريق القائل ان جزيرة العرب هي مهد الساميين على اعتبار أنها منطلق انتشارهم الى خارجها .

والحظ من جهة أخرى أن بعض الباحثين الذين يتحفظون في الموافقة على هذا الرأي يتجاهلون أو يهملون دليلاً عرف منذ أواسط القرن الأول قبل الميلاد معرفة يقينية لا تحتمل مراء واستمر يتوالى حقبة بعد حقبة الى يومنا هذا وهو انسياح قبائل جزيرة العرب في دور العروبة الصريحة من جنوبها وشمالها وسواحلها الى الأقطار المجاورة وغمرها قبل الإسلام ، بلاد الشام والعراق ريفها وباديتهـا واقامتها الدول والممالك وتسجيلها نشاطاً عظيماً ثم خروجها منذ الفتح الإسلامي

وفيضانها على هذه البلاد ووادي النيل معاً حقبة بعد حقبة الى يومنا هذا بحيث يجوز القول بشيء من الجزم ان هذا قد كان امتداداً لما كان يجري قبل العروبة الصحيحة بسبب الطبيعة الجغرافية والاجتماعية لجزيرة العرب ومؤيداً لقول القائلين ان جزيرة العرب هي منطلق انتشار الأرومات التي سميت بالسامية والتي كانت تطرأ على الهلال الخصيب ووادي النيل منذ أقدم عصور التاريخ ، وان هذا لم يبق موضوعاً تاريخياً قديماً مضى وانقضى وغدا محل تخمين وظن ونفي واثبات وإعادة وإبداء ، ومهما كان هناك من بعض المباينات فعلماء الساميات متفقون على التشارك العميق بين اللغات السامية والأفكار السامية والتقاليد السامية ؟ ولا يمكن أن يكون هذا إلاّ في حالة التكون في مكان واحد والانطلاق من مكان واحد ، ويلحظ ان بين اللغة العربية الفصحى وبين اللغات العبرانية والسريانية والبابلية والآشورية والكنعانيـة والمصرية والحبشية خارج الجزيرة ثم بينها وبين اللغات المعنية والسبئية والقتبائية والحضرموتية داخل جزيرة العرب تشاركاً عميقاً في المفردات الأصلية والقواعد ؛ ولا يمكن أن يكون هذا كذلك إلاّ في حالة الانبثاق من نواة واحدة ومكان واحد مهما كان هناك أيضاً من مباينات ، ولا يتعارض هذا مع احتمال أن تكون النواة الأولى قد جاءت الى جزيرة العرب من أنحاء أخرى آسيوية أو افريقية ، بل ولا يمنع هذا من أن تكون هذه النواة في أصلها القديم ليست عنصراً واحداً وليست من ناحية واحدة .

هذا ؛ ونستطرد الى القول ان التسمية السامية سواء أكانت حديثة لا ترقى الى أكثر من مئة وخمسين سنة ، أم كما يقول صاحب المقال ان السريان استعملوها منذ القرن الثاني عشر بعد الميلاد ، لا سند لها من علم صحيح ولا آثار قديمة ثابتة ؛ وانما هي مستمدة من انساب سفر التكوين الذي اختلف في تاريخ

كتابته والذي لا يرقى على كل حال الى أبعد من القرن الثاني عشر قبل الميلاد ؛ وهذه الانساب تتحمل كثيراً من التوقف والكلام الذي يجعل اعتبارها سنداً صحيحاً للتسمية غير وارد أصلاً في مجال العلم ، وأولى أن يكون بدلها اسم « الجنس العربي » فان جزيرة العرب ، بقطع النظر عما كانت تعنيه كلمة العرب ، عرفت بهذا الاسم قبل الفين وخمسمائة سنة على الأقل ، والأمة العربية عرفت بهذا الاسم كذلك في هذا الظرف أو قبله على ما تدل عليه النقوش والمدونات القديمة ، فهذا القدم في التسمية للموطن الذي كان منطلق انتشار الأرومات (السامية) في خارج جزيرة العرب ، وللأمة التي تمثل التشارك في اللغة والخصائص بين هذه الأرومات ، بل وتمثل صفة الأم لأنها ظلت في هذا الموطن يسوغ تسمية هذه الأرومات بالجنس العربي أكثر مما تسوغه أنساب سفر التكوين كما هو المتبادر ، وقد قال هذا كثيرون من باحثي العرب وجهابذتهم مثل الدكتور جواد علي مؤلف كتاب تاريخ العرب قبل الإسلام ، وعطية الابراشي ورفقاؤه مؤلفو كتاب الأساس للغات والأمم السامية ، والرفاعي ورفقاؤه مؤلفو كتاب معالم الحضارات في الشرق والغرب الخ[1] .

(دمشق) محمد عزة دروزه

---

(١) انظر تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي ج ١ ص ١٤٨ وما بعدها و ج ٢ ص ٢٨٧ وتاريخ اللغات السامية لإسرائيل ولفنسون والأساس للأمم واللغات السامية لعطية الابراشي ورفقائه ، ومحاضرات في تاريخ العرب لصالح العلي ومقدمة في الحضارات القديمة لطه باقر والقرون القديمة لبريستيد مثلاً .

المصادر

التي اعتمدنا عليها

١ – ابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١ ﻫ	تاريخ دمشق
٢ – ابو زرعة المتوفى سنة ٢٨٠ ﻫ	تاريخ دمشق (مخطوط)
٣ – المسعودي المتوفى ٣٤٦	مروج الذهب
٤ – ابن جبير القرن السادس	الرحلة
٥ – ابن خلكان المتوفى ٦٨١	وفيات الأعيان
٦ – الهروي المتوفى ٦١١	الزيارات
٧ – عمر كحالة	أعلام النساء
٨ – ابن عبد الهادي المتوفى ٩٠٩ وطلس	المساجد وذيله
٩ – البلاذري المتوفى ٢٧٩	فتوح البلدان
١٠ – ابن حجر المتوفى ٨٥٢	الإصابة في معرفة الصحابة
١١ – أمين البصروي (القرن العاشر)	تحفة الأنام في فضائل الشام (مخطوط)
١٢ – ابن الأثير المتوفى ٦٣٠	أسد الغابة في معرفة الصحابة
١٣ – ابن بطوطة (القرن الثامن)	الرحلة
١٤ – عز الدين بن شداد المتوفى ٦٨٤	الأعلاق الخطيرة
١٥ – الحسن المهلبي المتوفى ٣٨٠ ﻫ	المسالك والممالك (مخطوط)
١٦ – العمري المتوفى ٧٤٩	مسالك الأبصار

١٧ — ابن كثير المتوفى ٧٧٤	البداية والنهاية
١٨ — أبو شامة المتوفى ٦٦٥	الروضتين في أخبار الدولتين النورية والأيوبية ، وذيله
١٩ — ابن تغري بردي المتوفى ٨٧٤	النجوم الزاهرة
٢٠ — ابن القلانسي (القرن السادس)	تاريخ دمشق
٢١ — ابن العماد المتوفى ١٠٨٩	شذرات الذهب
٢٢ — ابن طولون المتوفى ٩٥٣	الشمعة المضيئة في تاريخ القلعة الدمشقية
٢٣ — النعيمي المتوفى ٩٥٣ ﻫ	الدارس في تاريخ المدارس
٢٤ — الذهبي المتوفى ٧٤٨	تاريخ الإسلام

الفصحى
في اليمن والحجاز

لقد صان القرآن الكريم والحديث الشريف اللغة العربية وحفظاها من عبث العابثين ، وارتقيا بأساليبها الى القمة من الفصاحة والبيان ، ولولا ذلك لم تخلد وقد درّج أقرانها ، ولم تأنف ، وقد استخذى سلطانها .

غير أنه فشت في كل قطر عامية باعدت بينها وبين الأصل ، حتى لكأنّا نتعلم لغة ثانية لا نستعملها دون لغتنا الأصلية ، وتباعد ما بينها حتى كدنا نحتاج في بعض ذلك الى ترجمان ، كما قال القالي عن الأندلس إذ رأى ابتعاد اللسان ، وقد بلغ القيروان ، وان الأمر ليسير وقد انتشر العلم إذا صدقت النية ، وان الفصحى لمن أولى مقومات الوحدة ، وقد تبدت باكورتها في الجمهورية العربية المتحدة التي نرجو أن تكون جامعة لشمل العرب والمسلمين .

وانها للغة القرآن الكريم ولسان الدين الحنيف ، وان الأعاجم من المسلمين ليتمنون أن تكون لسانهم ، واذا حادثونا فانما يحادثونا بها ، واذا ناطقونا فانما يناطقونا بمحاسنها ، قران بينها وبين الدين متين .

ولقد كان العرب أمة أمية وكانوا أولي اللسن والفصاحة قديماً ، ولا تزال منهم في الأزمنة المتأخرة طائفة تفصح لنا عن ذلك الرأي وتثبته أيما إثبات : لقد قرأت في ذيل الخصائص لابن جني (طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة ٢/٥) أن صاحب القاموس ذكر في (عكد) أن باليمن قرب زَبيدَ جبلاً يسمى عَكَاداً (وزان سحاب) أهله باقون على اللغة الفصيحة ، قال محققه الأستاذ محمد علي النجار الأستاذ بكلية اللغة العربية بالأزهر الشريف : ويقول

السيد مرتضى الزبيدي شارح القاموس انهم لا يزالون على ذلك الى زمنه ، وانهم لا يأذنون للغريب أن يقيم عندهم أكثر من ثلاث ليال خوفاً على لسانهم ، وكانت وفاة الزبيدي سنة ١٢٠٥ هـ وله ترجمة واسعة في تاريخ الجبرتي ، وقال ياقوت في معجم البلدان في ترجمة (عُكُوتَان) : وجبلا عكاد فوق مدينة الزرائب ، وأهلها باقون على اللغة العربية من الجاهلية الى اليوم لم تتغير لغتهم ، إذ لم يختلطوا بغيرهم في مناكحة ، وهم أهل قرار لا يظعنون ولا يخرجون .

ولقد سألت القاضي العَمْري وكيل خارجية اليمن ، لما قدم سمو الأمير البدر ولي عهدها قبيل محادثات الاتحاد بينها وبين الجمهورية العربية المتحدة ، إن كان أهل عَكَاد لا يزالون على الفصحى وقد مضى على موت الزبيدي (١٧٣) عام ، فقال : انه استولى السعوديون في حربهم مع اليمن عليها منذ أكثر من عشرين عاماً ، وانه كان يعرف عنها قبل ذلك أن جل كلام أهلها (٩٠ ٪ منه) فصيح معرب ، وان غريباً دخل وعلى عينيه نظارتان فقال بعض أهلها لصاحبه على البداهة وهو لا يعرف ما تسميان : انظر ، على عينيه نظارتان . وذكر لنا في اليمن راويتين كحماد الراوية يحفظان عشرات الألوف من أشعار القبائل بهنواتها ، مات أحدهما وبقي صاحبه ، وكان الدكتور شكري فيصل حاضراً ذلك المجلس ، فرغبنا اليه جميعاً أن يسجل محفوظه فانه إن مات مات علمه معه ، فوعدنا ببذل الجهد في هذا السبيل .

ونقل لي الدكتور أديب الحبال عن الدكتور أحمد الطباع وكانا طبيبين في الحجاز : ان اعرابياً من بني فهم قرب الطائف قدم يشكو البواسير ، فقال : إني أنزِف دماً قَرَاحاً ، قال : وما القراح ؟ قال : الذي لا خِلْطة به ، قال الطبيب : فكأنه المعجم في التعبير ، وليس في الباسور قيح .

ولقد قال لي الأستاذ الشيخ علي الطنطاوي : إن سائقي السيارات في بغداد لا يزال في لسانهم من بعض الفصحى ، فهم يقولون للمرأة : تروحين ،

وللجمع : يرحن ، وضم تاء المتكلم فاش في شمالي العراق ، وأعراب باديتها وبادية نجد لا يزال ما يتعلق لديهم بالبادية فصيحاً معرباً ، وان أخذ غير ذلك من التركية والفارسية ، فهم يقولون : الجرة تَدِي (وفي المصباح : وَدَى الشيء إذا سال) ، وكثير من غريب ليس لديهم بغريب .

وفي كتاب له صدر مؤخراً اسمه (صور وخواطر) مقال بعنوان (الأعرابي والشعر) كان نشر عام ١٩٣٩ ، فيه : ان قبيلة يقال لها (السوالم) كانت تسكن دمشق ففارقتها يوم قتل الوليد بن يزيد الخليفة الأموي ، واكتشف أمرها في بعض رمال (عالج) عبد العزيز بن سعود الملك السعودي السابق رحمه الله ، وان فيها العربية المبرأة من العجمة ، والبلاغة التي ما بعدها بلاغة ، وانه قدم شيخها الى القنصلية السعودية آنذاك فذهب اليه صاحب المقال فاذا لسان مبين ولغة معربة وأجوبة في اللغة والنحو تذكر بما كان بين الأصمعي ومن شافه من الأعراب ، وانه كان يروي من الشعر ما قالته العرب لا يخرم منه حرفاً ، دون المحدثين وقد فشا فيما بلغه اللحن في الأمصار وعمت العجمة فلا يرضون بروايته إذ أفسد ديوان العرب وجاء بما ينكر في القول ، وان الأستاذ الطنطاوي ذكر له أبياتاً لأبي تمام وغيره من المحدثين والمعاصرين ، فاستحسن بعضاً وانتقد بعضاً ، وأيد ذلك بالمحكم من الدليل ، وانه جرى الحديث بعد ذلك فيمن يتلقى العربية اليوم على أهل باريس عاصمة الفرنسيين .

ذلك دليل على امكان العودة الى الفصحى باعرابها وجميع ما فيها إذا عزم الأمر ، أتينا به إبلاغاً للنصح ، فلقد نطق أكراد دمشق بالكردية حيناً من الدهر ولما يعرفها منهم الكثير ، والله المستعان .

محمد وحيد الجباوي

تصوير المخطوطات

تأسس في دار الكتب الوطنية (الظاهرية) شعبة لتصوير المخطوطات مزودة بأحدث الأجهزة وهي مستعدة لتلبيـة جميع ما يطلب اليها لتصوير المخطوطات الموجودة في دار الكتب المذكورة .

ما ينشر في المجلة

إن جميع الأبحاث والمصطلحات التي تنشر في هـذه المجلة هي على عهـدة كاتبيها ومسؤوليتهم .

فهرس الجزء الأول من المجلد الخامس والثلاثين

صفحة

التعريف والنقد

آراء وأنباء

مجلة
المجمع العلمي العربي

١ نيسان سنة ١٩٦٠ م ٥ شوال سنة ١٣٧٩ هـ

مدى التعريب
في ألفاظ تصنيف المواليد (١)

لعل من أدق الألفاظ الاصطلاحية التي أقرها المجمع في دورة المؤتمر السابقة تلك التي تدل على حلقات التصنيف في النبات والحيوان ، وهي من الأعلى الى الأدنى : الشعبة والطائفة والرتبة والفصيلة والقبيلة والجنس والنوع والسلالة والصنف (أو الضرب) والفرد . وما يقابلها بالفرنسية أو الإنكليزية معروف (٢) ،

(١) بحث ألقاه الأمير مصطفى الشهابي رئيس المجمع العلمي العربي في الدورة السادسة والعشرين (١٩٥٩ ـ ١٩٦٠) لمؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة . والمواليد الثلاثة عند الحكماء القدماء المعدن والنبات والحيوان . وقد ورد هذا الاصطلاح في شرح الجغميني للملخص في الهيئة ، وفي كشاف اصطلاحات الفنون ، وذكره صاحب محيط المحيط وقطر المحيط ، ونقله عنه دوزي في معجمه ، واقتبسه علماء النهضة الحديثة في مصر ، فكان العالم المشهور أحمد ندى مثلاً يسمى معلم المواليد الثلاثة . وعلم المواليد يقابله تعبير Histoire naturelle عند الفرنسيين .

(٢) يقرأ من اليمين إلى الشمال : Embranchement , Classe , Ordre , Famille , Tribu , Genre , Espèce , Race , Variété , Individu

وقد أزالت هذه الأسماء المتفق عليها حيرة كانت شائعة لدى مؤلفي كتب المواليد ، وأصبح اليوم كل اسم عربي يدل اصطلاحياً على حلقة واحدة معلومة من حلقات التصنيف ، على غرار الأسماء الأعجمية المماثلة لها .

ومن الواضح أن أسماء حلقات التصنيف هذه تعد من أسماء المعاني ، وأنها تُرجمت بالعربية كأشباهها من الأسماء . ولم يكن هنالك صعوبة في ترجمتها ، وإنما كانت الصعوبة في تخصيص كل حلقة باسم عربي واحد راجح ، وهذا ما حصلنا عليه في قرار المجمع الملمع اليه ، وهو قرار حكيم جدير بأن يُتّبع ، وفيه الخلاص من فوضى تعدد الأسماء لكل حلقة واحدة من حلقات تصنيف المواليد .

واذا انتقلنا في حديثنا هذا الى الألفاظ الأعجمية والعربية الدالة على الشُعَب والطوائف والرُتَب في الحيوان والنبات نجد أن تلك الألفاظ على قسمين : قسم له في لغاتهم وفي لغتنا أسماء مشهورة كالطوائف الخمس في شعبة الفقاريّات مثلاً وهي السَمَك والضفدعيات والزحّافات والطير والثدييات .

وقسم وضعوا له في اللغة العلمية أسماء تدل على أهم صفات فيه كقولهم في طوَيئفات السمك أو في رتبها مثلاً ما ترجمته غضْروفيات الزعانف ، ولينات الزعانف ، وشائكات الزعانف ، ومزدوجات التنفس ، والعظميات أو كاملات العظام الخ .

وكقولهم في رتب طائفة الحشرات ما ترجمته رتبة مغمدات الأجنحة ، وغشائيات الأجنحة ، وحرشفيات الأجنحة ، ومستقيات الأجنحة ، وذوات الجناحين ونصفيات الجناح وغيرها .

ومثل ذلك في شعب النبات وطوائفها ، كقولنا مثلاً شعبة الزهريات ، وشعبة اللازهريات . وفي الشعبة الأولى كاسيات البزور ، وعاريات البزور . وفي كاسيات البزور أحاديات الفلقة وذوات الفلقتين . وفي عاريات البزور رتبة السيكاسيات ورتبة الصنوبريات وغيرهما .

وواضح من هذه الأمثلة القليلة في الحلقات العليا من تصنيف الحيوان وتصنيف النبات أنه لا مجال بذكر للتعريب ، وأن ترجمة الألفاظ بمعانيها هو المجال الأوسع . فأنا لا أتصور أستاذاً يلقي الدروس بلغتنا العربية ويقول لطلابه مثلاً :

« تقسم طائفة السمك طوَيئفات ورتباً منها : الكُنْدُرُوبتارِيجيان ، والمالاكوبتاريجيان ، والأكنتوبتاريجيان ، بدلاً من غضروفيات الزعانف ، ولينات الزعانف ، وشائكات الزعانف ».

أو يقول لهم مثلاً :

« من رتب الحشرات : الكوليوبتيرات ، والنفروبتيرات والأرطوبتيرات ، بدلاً من مُغمَدات الأجنحة ، وعَصَبيات الأجنحة ، ومستقيمات الأجنحة وهكذا .

ولا أتصور في علم النبات أستاذاً يقول لطلابه مثلاً :

« تقسم الأنجيوسبرمات قسمين : المونوكوتيلودونات ، والديكوتيلودونات ، بدلاً من قوله تقسم كاسيات البزور قسمين ، أحاديات الفلقة ، وذوات الفلقتين .

من الطبيعي أن توضع في التعليم العالي الألفاظ العلمية الأعجمية بين قوسين الى جانب الألفاظ العربية . أما الاكتفاء بالألفاظ الأعجمية المعربة وحدها فمعناه عجز العربية عن أن تتسع لألفاظ الحلقات العليا من تصنيف المواليد . وهذا العجز في الحقيقة لا وجود له . وايجاد الألفاظ العربية هو في هذا الباب ضرورة لا غنى عنها . وهذه الألفاظ العربية لا تحول دون ذكر الألفاظ العلمية في التعليم العالي وفي كتب المواليد المسهبة .

ومن الطبيعي أيضاً أنه لا مجال للنحت ولا للتركيب المزجي في ألفاظ تصنيف المواليد . فالمتسْجَنيات أو المسجناحيات بدلاً من مستقيمات الأجنحة ، وغُضرَعنفيات بدلاً من غضروفيات الزعانف ، وأشباه هذه الرطانات المستهجنة التي يلجأ اليها بعض المؤلفين ، لا حاجة اليها البتة . وكلتان هنا أصلح بكثير من كلمة واحدة نابية تشذ عن

التراكيب العربية ويستغلق فيها المعنى . والنحت اذا لم تَدْعُ الضرورة اليه شيء قبيح . ولا ضرورة للنحت في أسماء التصنيف . ومن جودة الرأي أن مجمعنا الموقر لا يلجأ الى النحت إلا قليلاً جداً ، وأنه يراعي الذوق والضرورة جميعاً في كل منحوت يضعه أو يقبله .

وإذا هبطنا في سلسلة التصنيف من الرتبة الى الفصيلة نجد أن معظم أسماء الفصائل الحيوانية والنباتية منسوبة الى أسماء حيوانات أو نباتات بارزة أي تبرز فيها أهم صفات الفصيلة . فالحيوانات والنباتات التي لها أسماء عربية قديمة أو حديثة تكون أسماء فصائلها عربية ، أما التي لها أسماء مُعَرَّبة فتكون أسماء فصائلها معربة . فلا مجال إذن لقول بعضهم بتعريب أسماء الفصائل كافةً لأنها على حد قولهم جزء من تصنيف علمي عام . فنحن نقول مثلاً : في رتبة اللواحم الفصيلة الكَلْبِيَّة والسِّنَّورية والضبعية والزَّبادية والسَّمُّورية والدبية . ونقول : في رتبة القوارض الفصيلة الفأرية والسنجابية والخلدية والقُنْفُذية واليربوعية والأَرنبية والشيهمية الخ . ولا يخطر في بال أحد منا تسمية هذه الفصائل بأسماء أعجمية ما دام لها أسماء عربية .

ومثل ذلك في النبات فنحن نقول مثلاً : إن من فصائل أحاديَّات الفلقة الفصيلة النجيلية والنخلية والزنبقية والقلقاسية والسحلبية وهلم جرا . أما في الفصائل المنسوبة الى أسماء معربة فنقول : الفصيلة السِّيْكاسية والصقلابية والفَوْفَسية والغاريقُونية وأشباهها من المعربات .

وهنا أيضاً يفيد في التعليم العالي وضع الأسماء الأعجمية للفصائل الى جانب أسمائها العربية أو المعربة ولا يجوز الاقتصار على الأسماء الأعجمية .

وحكم القبائل الحيوانية والنباتية كحكم الفصائل .

أما موضوع الأجناس والأنواع فلعله بيت القصيد في هذا البحث الموجز .

فمن المعروف أن أجدادنا العرب جهلوا عدداً كبيراً من النباتات ، وأن الأسماء العلمية للأجناس النباتية هي من حيث أصولها قسمان : قسم سمي بأسماء أعلام كأسماء علماء أو ملوك أو أمراء أو حكام أو آلهة من آلهة القدماء أو مُدُن أو كُوَر أو أقطار من الأرض . فمن الأمور التي لا اختلاف فيها أن هذه الأسماء تعرّب اذا لم يكن لها اسم عربي . أما اذا كان لأحدها اسم عربي صحيح أو مولد أو عامي صائغ مشهور فهو يسمى به . فالزهرة المبذولة في القاهرة والتي تسمى دَهْلية Dahlia مثلاً قد وُضع اسمها على اسم عالم نباتي سويدي اسمه دهل . وقد أطلق عليها هذا الاسم تنويهاً بفضل هذا النباتي وتخليداً لاسمه . وليس عندنا اسم عربي لهذا الجنس النباتي . فقصارانا إذن تعريبه .

أما مثل الجنس النباتي المسمى علمياً غُنْدَليا Gundelia ، فهو على اسم أحد العلماء . وقد كان من الواجب الاكتفاء بتعريبه . ولكن لهذا الجنس النباتي اسماً عربياً مشهوراً (في الشام) ومذكوراً في التاج وفي المفردات وهو العَكّوب . فلا يجوز أن نهمل حتى في الكتب المسهبة الاسم العربي لهذا البقل الشائع ، اكتفاء بالاسم العلمي المعرّب ، كما لا يجوز في الكتب المطولة إلا ذكر الاسم المعرب الى جانب الاسم العربي .

ومثل ذلك يقال في الجنبة التي تسميها العامة في مصر والشام « الجَهَنَّمِيَّة » وهي على ما تعلمون مبذولة في حدائق بيوت القاهرة . فاسم الجنس العلمي لهذا النبات هو بُوغَنفيلية Bougainvillea وهو من اسم مدينة في أستراليه . وقد أطلقت العامة عليه اسم الجهنمية للون الزهر الناري المتأجج في أنواعه . وذوق العامة في هذه التسمية سليم وإن لم ير أحد منا نار جهنم !

أما القسم الثاني من الأسماء العلمية للأجناس النباتية ـ وهو الأكثر عدداً ـ فهو يشتمل على أسماء اشتقت أو اقتُبست من اليونانية أو اللاتينية ودلت على صفات بارزة لأجناس تلك النباتات .

فأجناس هذا القسم التي لها أسماء عربية يكون من الطبيعي أن نسميها بتلك الأسماء في جميع كتبنا ، سواء أكان الاسم العربي كلمة واحدة كالقمح والشعير والخردل والحُمّاض والخُزامى والزنبق والورد وغيرها ، أم كان الاسم مؤلفاً من كلمتين كلسان الثور وآذان العنز وجوز الطيب وأشباه ذلك .

أما الأجناس النباتية لهذا القسم التي لم يعرفها القدماء منا وليس لها أسماء عربية ، فالقاعدة التي أرى اتباعها في وضع أسماء عربية أو معربة لها تتلخص بما يلي :

أولاً : اذا كان لاسم الجنس العلمي معنى قابل للترجمة في كلمة عربية واحدة تُرجم بمعناه مثل جنس الزهر المسمى فُلُوكْس Flox فترجمته بالعربية القَبَس ؛ وجنس النبات المسمى كَنْبانُولا Campanula فهو الجُرَيس ؛ والجنس المسمى آرِيناريا Arenaria فهو الرَّمْلِيَّة وهكذا .

وهذه الأسماء العربية أقرب الى أفهامنا من الأسماء الأعجمية . ومع هذا يمكن في التعليم العالي خاصةً إضافة الاسم الأعجمي الى جانب الاسم العربي .

ثانياً : اذا لم يكن من المستطاع ترجمة اسم الجنس العلمي بكلمة عربية واحدة أرجح تعريب ذلك الاسم . فالشجر الذي سموا جنسه لِپْتُسْپَرْمُون Leptospermum مثلاً إذا تُرجم اسمه الى العربية وجب أن يكون ذلك الاسم العربي « رقيقة البزور » . ومثل ذلك اسم شجر التزيين المسمى متروسيداروس Metrosideros فمعناه « القلب الحديدي » . وأعتقد أن التعريب في مثل هذه الأسماء الكثيرة أصلح من الترجمة إجمالاً .

وإذا هبطنا في حديثنا من الألفاظ العلمية للأجناس النباتية الى الألفاظ الدالة على الأنواع النباتية نجد أن ألفاظ الأنواع هذه لا تحتمل التعريب بتاتاً ، لأن معظمها (إن لم أقل كلها تقريباً) نعوت وصفات قابلة للترجمة . وكلها

تترجَم ترجمة باللغات الأوربية . ومن واجبنا مجاراة الأوربيين في ترجمتها . والعربية تتسع لها جميعاً من دون أن يكون في ذلك انحراف عما هو متَّبع في مختلف اللغات .

فالفرنسي مثلاً يترجم اللفظ اللاتيني الدال على النوع وهو ألبا Alba في Rosa alba فيقول Rosier blanc أي الورد الأبيض ، ولا يقول Rosier alba . ويقول في نوع الورد الأصفر Rosier à fleurs jaunes ولا يقول Rosier lutea . ويقول في نوع الزنبق الزعفراني Lis safrané ولا يقول Lis croceum . واذا ذكر أنواع الخزامى مثلاً يسمي نوع الخزامى العطرة بقوله Lavande odorante لا L. fragrans ويسمي الخزامى الهجينة بقوله L. bâtarde لا L. hybrida .

وهكذا يترجم الفرنسي بلسانه جميع الألفاظ اللاتينية الدالة على الأنواع النباتية مثلما نترجمها نحن بمثل قولنا الأبيض في نوع الورد الأبيض ، والعَطِرة في نوع الخزامى العطرة الخ .

ومن الواضح أنه لا مجال في هذا الباب للتعريب ، خلافاً لما يذهب اليه بعضهم . فأنا لا أتصور كيف يمكن تعريب الألفاظ العلمية الدالة على الأنواع النباتية وكلها كما قلت نعوت أو صفات . أنقول في نوع القمح القاسي مثلاً القمح الدُّورُم ، أم نقول في حدود المنطق القمح القاسي ترجمةً لدورم اللاتينية ؟ وهل يجوز أن نذهب إلى أبعد من ذلك فنعرب اللفظ الدال على الجنس واللفظ الدال على النوع جميعاً فنقول تريتيكوم دُورُم بدلاً من القمح القاسي ؟ وعندئذ لا تبقى لنا لغة عربية ، وما على مدارسنا وجامعاتنا في هذه الحال الا أن تعلّم أبناءنا علوم المواليد الثلاثة بلغات أعجمية ! وما علينا نحن في هذا المجمع أو في مجمع دمشق الا أن نستريح من عناء العمل على جعل لغتنا تتسع للتعليم العالي في علوم المواليد

على الأقل ! وعلى زميلنا الدكتور المنتصر [١] أن يعد نفسه رجلاً خيالياً مذ بدأ يدرّس علم النبات بالعربية في كلية العلوم !

وأدنى حلقة من حلقات تصنيف المواليد هي حلقة السلالات والأصناف (الضروب) . فألفاظها مختلفة قد تكون نعوتاً أو أسماء أعلام أو أرقاماً أو حروفاً أو غير ذلك . فالنعوت والأرقام كثيراً ما تترجَم . أما البقية فهي تُستعمل في مختلف اللغات على حالها أي كما يُنطق بها في لسان البلد الذي نشأت فيه تلك السلالات وتلك الأصناف . فالفرنسي مثلاً ينقل الى لسانه أصناف القطن المصرية كما وردت بلساننا فيقول : أَشْمُوني Achmouni ومَعْرَض وكَرْنَك وجيزة الخ . ومثل ذلك يقول في أصناف المشمش الشامية : حموي Hamoui وبلدي وكلابي وعجمي ولوزي وتدمري وهكذا . ويقول في سلالات الحمير عندنا : حمار بلدي وحصاوي وقبرصي الخ . ولا ضرر أن نحذو حذو الغربيين في تسمية الأصناف والهجن النباتية والسلالات الحيوانية في العالم مما نحتاج الى ذكره في كتبنا العلمية .

وخلافاً لما يظن بعض الأساتيذ لا يوجد في تصنيف المواليد تباعد أو تغاير بين اللغة العلمية وما يسمونه لغة عامة أو لغة أدبية . فعندما كُشف النقاب عن القارة الأميركية مثلاً ونُقل البطاطس منها الى أوربة سماه الفرنسيون Pomme de terre أي تفاح الأرض . وما برحوا يستعملون هذا الاسم في جميع كتبهم الموجزة والمسهبة على السواء . ولا يضعون الى جانبه الاسم العلمي وهو : Solanum tuberosum الا في كتب التعليم العالي . وهم في هذا الاسم الفرنسي وفي عدد كبير من أمثاله لا يميزون في التسمية لغة علمية من لغة عامة أو أدبية ، ولا يهملون ألفاظهم الفرنسية حتى العامية منها مهما يكن بينها وبين الألفاظ العلمية من تباين في النطق أو في المعنى اللغوي .

(١) هو الدكتور عبد الحليم منتصر من أساتذة النبات البارزين ومن أعضاء مجمع اللغة العربية .

وأرى أن نقتدي بهم وبسائر الشعوب المتحضرة الحريصة على لغاتها ، فملخص حديثنا هذا في ألفاظ تصنيف المواليد الثلاثة بالقواعد الآتية، وهي الراجحة في نظري:

الأولى : ترجمة الألفاظ العلمية بمعانيها هو المجال الأوسع في حلقات التصنيف العليا وهي الشُّعَب والطوائف والرُّتَب .

الثانية : أسماء الفصائل والقبائل النباتية تكون عربية أو معرَّبة على حسب اسم النبات الذي تُنسب اليه .

الثالثة : أجناس المواليد التي ليس لها أسماء عربية تعرَّب أسماؤها العلمية اذا كانت منسوبة الى أعلام ، وتترجم بمعانيها اذا أمكنت ترجمتها في كلة عربية واحدة سائغة ، وإن لم يكن ذلك ممكناً رُجح تعريبها .

الرابعة : لا مجال للتعريب في الألفاظ العلمية الدالة على أنواع النبات لأن جميع هذه الألفاظ أو معظمها نعوت أو صفات تترجَم ترجمة في جميع اللغات الحية .

الخامسة : يوجد مجال للترجمة والتعريب جميعاً في الألفاظ الدالة على السلالات وعلى الأصناف (الضروب) .

السادسة : لا مجال للنحت ولا للتركيب المزجي في تصنيف المواليد ولا حاجة اليهما . وفي رأيي أن الجوء اليهما في هذا الباب تشويه للغة العربية .

ومن الواضح أن هذه القواعد الخاصة لا تتعارض هي والقواعد العامة الصائبة التي أقرها المجمع منذ تأسيسه الى الآن .

هذا ما رأيت عرضه على الزملاء الأفاضل . ورأيهم الموفّق للصواب . ثبت الله أقدامنا جميعاً في خدمة لغة القرآن العزيز ولغة قوميتنا العربية [1] .

مصطفى الشهابي

---

(١) ذكرنا في باب الآراء والأنباء القرار الذي اتخذته لجنة الأحياء والزراعة في مجمع اللغة العربية ، وأقره المجمع في دورته السادسة والعشرين .

الشعر العربي
والمذاهب الأدبية في الغَرْب[1]

نظم الشعر في اللغة العربية فن مستقل بذاته بين الفنون التي عُرفت في العصر الحديث باسم الفنون الجميلة ، وتلك مزية نادرة جداً بين أشعار الأمم الشرقية والغربية ، خلافاً لما يبدر الى الخاطر لأول وهلة . فان كثيراً من أشعار الأمم تكسب صفتها الفنية بمصاحبة فن آخر ، كالغناء أو الرقص أو الحركة على الإيقاع . ولكن النظم العربي فن معروف المقاييس والأقسام بعد استقلاله عن الغناء والرقص والحركة الموقعة ، فلا يصعب تمييزه شطرةً شطرة بقياسه الفني من البحور والأعاريض الى الأوتاد والأسباب .

وليست هذه خاصة من خواص اللغات السامية أخوات العربية . فاننا اذا أخذنا سطراً على حدة من قصيدة عبرية لم نستطع ان ننسبه الى وزن محدود أو مقياس متفق عليه ، ولا بد من اقترانه بسطور أخرى يتم بها الإيقاع ولا تطرد في قول كل شاعر ولا في سطور كل قصيدة ، فهو والفاصلة النثرية التي يمكن أداؤها بالغناء أو بالإيقاع على حركة الرقص ، متساويان .

ومن الشعر الغربي ما يعرف كل سطر منه بعدد من المقاطع والنبرات ولكنه بغير قافية تنتهي اليها هذه السطور .

---

(١) بحث ألقاه الأستاذ المشهور عباس محمود العقاد في الدورة السادسة والعشرين (١٩٥٩ ـ ١٩٦٠) لمؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ووافق على نشره في مجلة المجمع العلمي العربي . والأستاذ العقاد ، في مجمع القاهرة ، من قدماء الأعضاء العاملين ، وفي مجمع دمشق ، من قدماء الأعضاء المراسلين .

أما ضروب النظم التي تُلتزم فيها القافية فكلها في نشأتها كانت تغنّى أو تُنشد على إيقاع الرقص ، ثم استقلت بأوزانها المحدودة على نحو مشابه للأوزان العربية ، وهي الموشحات التي اشتهرت عندهم باسم « استانزا » أو اسم « سونيت » ويدل كلا الاسمين على أصلها من الرقص والغناء ... فان استانز كلمة ايطالية بمعنى الوقوف تقابلها ستاند Stand بالإنجليزية ، وسونيت Sonnet من كلمة سونج Song بمعنى الغناء .

فالشعر الذي لا يُضبط بالوزن أو بالقافية موجود في اللغات السامية واللغات الآرية ، وبعضه لا يزيد الإيقاع فيه على الموازاة بين السطور بغير ضابط متفق عليه ، وبعضه يُضبط فيه الإيقاع بعدد المقاطع والنبرات ، ولا ينتهي الى قافية ملتزَمة في القصيدة أو المقطوعة الصغيرة .

إنما الوزن المقسم بالأسباب والأوتاد والتفاعيل والبحور خاصّة عربية نادرة المثال في لغات العالم . وكذلك القافية التي تصاحب هذه الأوزان .

ومرجع ذلك الى أسباب خاصة لم تتكرر في غير البيئة العربية الأولى : أهمها سببان : هما الغناء المنفرد ، وبناء اللغة نفسها على الأوزان .

فالأمم التي ينفرد فيها الشاعر بالإنشاد تظهر القافية في شعرها ، لأن السامعين يحتاجون الى الشعور بمواضيع الوقوف والترديد ؛ ولكن الجماعة اذا اشتركت في الغناء لم تكن بها حاجة الى هذا التنبيه ، لأن المغنين جميعاً يحفظون الغناء بفواصله ولوازمه ومواضع النبر والترديد في كلماته وفقراته ، فينساقون مع الإيقاع بغير حاجة الى القوافي عند نهاية السطور ، وانما تنشأ الحاجة الى القافية ، أو وقفة تشبه القافية عند تفاوُت السطور وانقسام القوم الى منشدين ومستمعين .

يقول العلامة جلبرت موري ـ وهو من ثقات البحث في الأوزان والأعاريض ـ « إن إحدى نتائج هذا الاختلاف زيادة الاعتماد على القافية في اللغات الحديثة .

في اللغتين اللاتينية واليونانية ينظمون بغير قافية لأن الأوزان فيها واضحة، وإنما تدعو الحاجة الى القافية لتقرير نهاية السطر وتزويد الأذن بعلامة ثابتة للوقوف، وبغير هذه العلامة تثقل الأوزان وتغمض ولا تستبين للسامع مواضع الانتقال والانفصال، بل لا يستبين له هل هو مستمع لكلام منظوم أو كلام منثور. وقد اختلف الطابعون عند طبع الكتب هذا الاختلاف في بعض المناظر المرسلة من كلام شكسبير، فحسبها بعضهم من المنثور وحسبها الآخرون من المنظوم. ومما يلاحظ أن اللاتين اعتمدوا على القافية حين فقدوا الانتباه الى النسبة العددية ... وأن الصينيين يحرصون على القافية لأنهم يلتزمون الأوزان، وأن انتشار القافية في أغاني الريف الانجليزية يقترن بالترخص في أوزان الأعاريض».

ويستطرد الأستاذ موري الى الشعر الفرنسي فيقول: «إن اللغة الفرنسية حين رجع فيها الوزن الى مجرد إحصاء للمقاطع، وأصبحت المقاطع بين مطولة وصامتة ... نشأت فيها من أجل ذلك حاجة ماسة الى القافية، فصارت في شعرها ضرورة لا محيص عنها، ودعا الأمر الى تقطيع البيت أجزاء صغيرة ليفهم معناه».

ومن أسباب الاكتفاء بالوزن دون القافية في أشعار الغربيين سبب لم يذكره الأستاذ موري وهو غناء الجماعة للشعر المحفوظ كما تقدم.

فحيث شاعت أناشيد الجماعة قل الاعتماد على القافية وكثر الاعتماد على حركات الإيقاع ولو لم تكن متناسقة الوزن على نمط محدود، لأن الغناء بالكلام المنثور ممكن مع توازن الفواصل وموازاة السطور.

وأناشيد الجماعة قد شاعت بين العبريين لأنهم قبيلة متنقلة تحمل تابوتها في رحلتها وتنشد الدعوات معاً في صلواتها الجامعة، وفي هذه الدعوات ترانيم على وقع الدفوف كما جاء في الإصحاح الخامس عشر من سفر الخروج:

«أخذت مريم النبية الدف بيدها وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص . وأجابتهم مريم : رنموا للرب فانه قد تعظم . . .» .

وكذلك شاعت بين اليونان أغاني المسرح التي ترجع في نشأتها الى الشعائر الدينية ، ثم انتقلت منها الى الأمم الاوربية .

ومما يؤيد الصلة بين غناء الفرد والتزام القافية أن شعراء الأمم الغربية الذين ينشدون قصائدهم للمستمعين قد لجأوا الى القافية والتزموا في مراعاتها أحياناً ما يلتزمه عندنا شعراء الموشحات .

أما البيئة العربية فلم تكن فيها قبل الإسلام صلوات جامعة منتظمة بمواعيدها ومحفوظاتها . وإنما كان الحداء هو الغناء الذي يصاحب إنشاد الشعر على بساطة كأنها بساطة الترتيل ، ينشده الحادي على انفراد ، وتصغي اليه القافلة أحياناً في هدأة الليل ، إذ يعتمد الحس كله على السمع في متابعة النغم الى مواضع الوقوف والترديد ، فتقفو النغمة النغمة على وتيرتها ، ويصدق عليها اسم القافية بجملة معانيه .

لهذا استقلّ النظم بحقه في الصنعة ، لأن هذه الصنعة لازمة لتمييزه مع الغناء ومع غير الغناء . فانتظمت قوافيه وانتظم ترتيله انتظاماً لا بد منه لكفايته ، مع بساطة أفانين الغناء .

وإذا التمسنا مدخلاً لفن الحركة الموقعة مع الحداء فهناك إيقاع واحد نتابعه في خطوات الإبل وفي خطوات الهرولة التي تصاحبها على القدم . والى هذا الإيقاع يرجع وزن الرجز على قصد وعلى غير قصد ، ومجيئه على غير قصد أدل على تمكن العادة وعلى أصالتها في الحياة البدوية .

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

* * *

هل أنت إلا إصبع دميتْ وفي سبيل الله ما لقيتْ

* * *

وقد تكون حركة الهرولة في الطواف بالكعبة ملحوظة في كل دعاء مروي كيفما اختلف المختلفون في صحة الرواية ، كما قيل عن امرأة أخزم بن العاص حين نذرت ولدها للكعبة فقالت :

إني جعلت رب من بنيّه ربيطــة بمكة العليــه

فبارِكنْ ليَ بهــا اليّـه واجعله لي من صالح البريه

فهكذا يفهم الناظم كيف تكون حركة الدعاء مع الهرولة ، أيّا كان صاحب النظم أو من ينسب اليه .

هذه المردّدات الفردية هي التي ميزت النظم العربي باستقلال فنه ووضوح قافيته وترتيله ، ولو وُجدت في الجاهلية العربية صلوات جامعة تُنشد فيها الدعوات المحفوظة لوُجدت فيها القصائد التي تمثل لنا حياتهم الدينية وحياتهم الاجتماعية ، أما من أناشيد الصلاة كما عرفها العبرانيون ، أو من أناشيد المسرح كما عرفها اليونان . ولكننا نعرف العرب من قصائدهم الفردية كما نعرف الأمم الأخرى من أمثال تلك القصائد ، فلا يفوتنا منها غاية ما تدل عليه .

هذا سبب من أسباب تلك الظاهرة النادرة التي ظهرت لنا في القصيدة العربية ، وكانت نادرة بين الأمم السامية والأمم الآرية على السواء .

أما السبب الآخر فهو أصالة الوزن في تركيب اللغة ، فالمصادر فيها أوزان ، والمشتقات أوزان ، وأبواب الفعل أوزان ، وقوام الاختلاف بين المعنى والمعنى حركة على حرف من حروف الكلمة تتبدل بها دلالة الفعل ، بل يتبدل بها الفعل فيحسب من الأسماء أو يحتفظ بدلالته على الحدث حسب الوزن الذي ينتقل اليه .

هذه أصالة في موضع الوزن من المفردات والتراكيب لا يُستغرب معها أن يكون للوزن شأنه في شعر هذه اللغة ، وأن يكون شأنها في نظم أشعارها على خلاف المعهود من منظومات الأمم الأخرى ، ولو صرفنا النظر عن أثر الإنشاد الفردي في تثبيت القافية واستقلال فن العروض عن فن الغناء في القصائد العربية .

نعم إن اللغات السامية تجري على قواعد الاشتقاق وتوليد الأسماء من الأفعال ، ولكن المقابلة بين هذه اللغات في أقسام مشتقاتها وتفريع الكلمات من جذورها تدل على تمام التطور في قواعد الأوزان العربية وعلى نقص هذه القواعد أو التباسها في أخواتها السامية ، بل تدل في باب الإعراب خاصةً على تفصيل في العربية يقابله الإجمال أو الإهمال في أخواتها ، وفي غيرها من اللغات الآرية التي دخلها شيء من الإعراب .

* * *

وواضح مما تقدم أننا قصرنا القول على النظم من حيث هو أوزان عروضية أو قوالب تحتوي الكلم المنظوم فيها .

فهذه القوالب هي التي تطورت في اللغة العربية فأصبحت فناً مستقلاً بمقاييسه عن فن الغناء أو فن الحركة الموقعة ، أما الكلام المنظوم في تلك القوالب فهو عمل ممتد مع الزمن يأتي فيه كل عصر بما هو أهله من الإبداع أو الزيادة أو المحاكاة ، وإنما نعود الى القوالب والأوزان في كل عصر لنسأل : هل هي صالحة لأداء المقاصد الشعرية ومجاراة الأمم في تطورها الذي يمتد مع الزمن على حسب حالاتها من الشعور والفهم والقدرة على الأداء ؟ وهل تتسع للتعديل اذا وجب التعديل للوفاء بمطلب جديد من مطالب التعبير ؟

إن تجاوب العصور الماضية تنجلي عن صلاح القوالب العروضية لمجاراة أغراض

الشعر في أحوال كثيرة ؛ ويبدو منها أن أساس العروض العربي قابل للبناء عليه بغير حاجة الى نقضه وإلغائه . فقد كانت بضعة بحور من أوزان الشعر كافية لأغراض الشعراء في الجاهلية ، أشهرها الطويل والكامل والوافر والخفيف ، ثم نشأت من أوزانها مجزوءات ومختصرات صالحة للغناء حين استحدثت الحاجة اليه في الحواضر العربية التي عرفت الغناء على إيقاع الآلات ، ثم اتُخذت من هذه البحور أسماط وموشحات وأهازيج تتعدد قوافيها مع اختلاف مواقعها وتطول فيها الأشطر أو تقصر مع التزام قواعد الترديد فيها . واختار بعض الشعراء نظم المثاني أو المزدوجات ، وبعضهم نظم المقطوعات التي تجتمع في قصيد واحد متعدد القوافي ، أو تتفرق وتتعدد بأوزانها مع توحيد الموضوع ، ولما نُقلت الألياذة اليونانية الى النظم العربي لم تضق بها أوزانه ، ولم يُظهر سياق الترجمة أن هذه الأوزان قاصرة على التنويع فيها على نمط غير هذا النمط لمن يشاء التنويع ؛ واستجابت الأوزان لمطالب المسرح ، كما استجابت للملحمة المترجمة ولما يُشبهها من القصائد التاريخية المطولة .

وقد أفرد الموسيقار المصري الأستاذ خليل الله ويردي فصلاً وافياً في كتابه فلسفة الموسيقى الشرقية لبحث التوزين والإيقاع وتطبيق العروض العربي على الضوابط الموسيقية فانتهى من بحثه الى إمكان التنويع في الأوزان العروضية واستطاعة الموسيقي والشاعر أن « يفتتح أشكالاً غير محدودة من أشكال الموازين ، واعتمد في تجاربه على الجهاز الفني المسمى بالمترونوم وهو « صندوق صغير من الخشب هرمي الشكل يُفتح من إحدى جهاته الأربع فينكشف عن قضيب معدني مقسم بخطوط ، وعليه ثقل متنقل يُحدث حركة متساوية . . . فيقسم الدقيقة الواحدة من الزمن الى نقرات بين أربعين ومائتين وثمان ، فيمثل الحد الأدنى النقرات المتناهية في البطء ، ويمثل الحد الأعلى النقرات المتناهية في السرعة » . . . ولم يلجأ الموسيقار الى وحدات للنغمات غير وحدات الفواصل

والأوتاد والأسباب التي يستخدمها العروضيون ، ولم يجعل لها أقساماً غير أقسامهم المعروفة كالسبب الخفيف والسبب الثقيل ، والوتد المقرون والوتد المفروق ، والفاصلة الصغرى والفاصلة الكبرى . وإنما استخدم الضوابط الموسيقية لبحث الموضوع بمصطلحات فنه ، وترك مجال بحثه للعروضيين يتفاهمون فيه بمصطلحاتهم التي لا تحتاج الى التخصص أو التوسع في فنون الألحان . فخلص من بحوثه الموسيقية والعروضية معاً الى نتيجة محققة خلاصتها ـ كما قال ـ أن أشكال الموازين الشعرية غير محدودة أو أن حدودها ـ على ما نرى ـ أشبه بحدود الكلمات التي تتألف من الحروف الأبجدية ، على حين أن الحروف الأبجدية قلما تزيد على الثلاثين .

فاذا نظرنا الى ما تم من أشكال العروض ، وما يتأتى أن يتم منها مع التنويع والتوزين ، ثبت لنا أنها قائمة على أساس صالح للبناء عليه وتجديد الأنماط والأشكال فيه ، على نحو يتسع لأغراض الشعر ولا يلجئنا الى نقض ذلك الأساس .

وهذا كله مع التسليم بداهةً بالتفرقة بين الكلام المنثور والكلام المنظوم في السهولة أو الصعوبة ، فان التسهيل المطلوب لفن من الفنون كائناً ما كان ينبغي أن ينتهي عند بقاء الفن فناً مقرر القواعد والمقاييس ، وما جهل الناس قط أن الكلام أسهل من الغناء ، وأن المشي أسهل من الرقص ، وأن الحركة المرسلة أسهل من الحركة الرياضية ، ولم يكن ذلك قط مسوّغاً للاستغناء بالكلام عن فن الغناء ، أو بالمشي عن فن الرقص ، أو بتحريك الأعضاء بغير هدى عن أصول الحركة الرياضية أو الحركة في ألعاب الفروسية ، فمهما يكن من تيسير الأوزان بالتنويع والتوفيق فلا مناص في النهاية من التفرقة بينها وبين الكلام المرسَل في سهولة الأداء ، وإنما المطلوب أن تكون فناً سهلاً وليس المطلوب مجرد السهولة التي تخرجها من عداد الفنون .

ولا بد في هذا السياق من تفرقة أخرى هي التفرقة بين القواعد والقيود في كل فن من الفنون ، فلا سبيل الى الاستغناء عن القواعد في عمل له صفة فنية ، ولا ضرر من الاستغناء عن القيود التي تعوق حرية الفن ولا يتوقف عليها قوامه الذي يسلكه في عداد الفنون .

ومن تجاربنا في تاريخ الشعر العربي يتبين لنا أن قواعد النظم عندنا مؤاتية للشاعر في كل تصرف يُلجئه اليه تطور المعاني والتعبيرات في مختلف البيئات والأزمنة . فلا موجب للفصل بين قواعد النظم وأغراض الشعر في تجربة من التجارب العربية التي وعيناها منذ نشأت أوائل الأوزان الى أن بلغت ما بلغته في منتصف هذا القرن العشرين .

ذلك شأن التجارب العربية ، فما بال التجارب في أمم الحضارة التي تتصل بنا ونتصل بها وتبادلنا مطالب الفنون والآداب كما يحدث الآن بيننا وبين أمم الحضارة الغربية ؟ ماذا تفرض علينا هذه الثقافة المتبادلة في ميدان النظم والشعر على اتصال بينهما أو على انفراد ؟

أما في النظم فلا خفاء بالأمر من أيسر نظرة الى آدابنا وآداب الأمم الغربية التي نتصل بها في العصر الحديث .

فما لا تردد فيه أن هذه الأمم لم تبدع في موازين النظم بدعاً نستفيده منها ، ولم نكن قد سبقناها اليه في عصر من عصورنا ، فاذا التزموا الأعاريض معتدلين أو مبالغين فليس عندهم ما هو أدق وأجمل من الموشحة في أوزانها التي تقبل التنويع والتشجير الى غير نهاية ، والتي يُعتبر تعدد القافية فيها ندحة وزينة في وقت واحد . فان اطلاق الحرية للشاعر في توزيع القوافي حيث يشاء يوشك أن يعفيه من قيودها كما يزيد الإيقاع جمالاً على جمال .

ولم يبدع الأوربيون — حتى في شعر المسرحيات الملحنة — فناً من الأناشيد أتم من الموشحة وأصلح منها للتلحين وحركة الإيقاع .

فإذا ترخص الشاعر الغربي في القواعد فأسقط القافية واختار الوزن الذي يسمونه بالنظم الحر أو النظم الأبيض فجهد ما بلغوا اليه أنهم عادوا الى الأسطر المتوازية أو الى الاكتفاء بالمقاطع التي لا تبلغ في دقتها مبلغ الأسباب والأوتاد والفواصل ، وكل أولئك طور من الأطوار التي تخطاها الشعر العربي في الأزمنة الماضية أو سبقتهم اليه أمة من الأمم الشرقية وتوقف بها التطور عنده ، لارتباطه بالتقاليد الدينية .

فليس عند الغرب من فنون النظم جديد نأخذه منه في أبواب التوزين والتنويع .

ليس في فن النظم جديد نأخذه من الأعاريض الغربية لم تكن عندنا أسسه العريقة ، ولم تكن عندنا أصوله وفروعه أو جذوره وأغصانه على حد تعبير « الموشحين » .

لكن الأمر يختلف كثيراً في الكلام على « الشعر » أو الكلام على الأدب ومدارسه ومذاهبه ودعواته التي تجيش بها الحياة الغربية في كل حقبة ، ولا تتميز منها دعوة واحدة دون أن يتميز لها حكم خاص بالشعر يتناوله قبل أن يتناول غيره من الفنون الجميلة ولا سيما فنون التعبير .

هذه المذاهب الشعرية تعنينا كما تعنيهم وتمتد بآثارها الى أقوالهم وأفعالهم كما تمتد الى أقوالنا وأفعالنا . لأنها من أطوار الحياة التي لا تنحصر في دوائر الفن ولا في أدوار الثقافة على إطلاقها ، وإن يكن مظهرها الثقافي هو الجانب الذي يشتغل به النقاد والمؤرخون في ميادين الفنون .

هذه الدعوات أوسع نطاقاً من أن يحاط بها في مقال . ولكنها تقترب من الحصر المستطاع اذا جمعناها في أدوارها الإنسانية العامة التي توشك أن تكون أمواجاً دورية في هذا المحيط الزاخر إذ هي عالقة بطبيعة الإنسان في جملتها ، وطبيعة الإنسان واحدة كما قيل في كل زمان ومكان .

ونحن نعلم أن أبقراط حصر الطبائع الجسدية في أربعة أمزجة ، وهي المزاج الدموي والمزاج الصفراوي والمزاج البلغمي والمزاج السوداوي . ثم جاء العلامة بافلوف - بعد تقسيم خصائص الأجسام بين الهرمونات وعاتلات الدم وودائع الوعي الباطن والوعي الظاهر أقساماً لا تنفد ولا تحصى - فعاد الى الأمزجة الابقراطية تيسيراً للفوارق العامة وجعلها أساساً لتجاربه النفسية التي تعد الى هذه الساعة من أحدث تجارب العلماء .

فنحن على هذه الوتيرة نقسم الذوق الفني في الإنسان الى أقسامه الخالدة حين نقول : إن الناس كانوا منذ فُطروا واقعيين وخياليين ، ومحافظين على القديم وطلاباً للجديد ، أو إنهم كانوا إذا اكتفينا بقسمتهم الى قسمين اثنين : صنفاً يمشي في وسط القطيع وصنفاً ينزع الى الأطراف ، أمام ووراء وعلى كلا الجناحين من اليمين واليسار ، وقد تفكه بعض العلماء الجادين فأطلق على الصنف الأول اسم فريق الضأن وعلى الصنف الثاني اسم فريق المعيز . . .

ونرى من تاريخ الأمم الغربية منذ ملكت حرية التفكير أنها دارت دورتها بين مذاهب الأدب خلال القرون الثلاثة الأخيرة ، وأنها نزعت في دعواتها المتعاقبة كل نزعة طبيعية تستلزمها أطوار الحياة بعد عصر الجمود والتقليد .

ففي فترة اليقظة الأولى كان من الطبيعي أن ينزع الإنسان الى استقلال « الشخصية الإنسانية » في وجه التقاليد المطبقة والقيود العتيقة والأحكام التي تطاع بغير فهم ، بل بغير شعور في أكثر الأحوال . وهذه النزعة هي التي سميت بنزعة الإبداع و « الحرية الشخصية » Romanticism .

ومن الطبيعي أن ينتهي هذا الإبداع من كل جانب على غير هدى متفق عليه ، الى شيء من الفوضى والشرود يستحب معه التوقف الى حين . وهنا ظهرت دعوة العود الى الاتّباع والاطّراد على نحو جديد يناسب مطالب الزمن ، فنشأت من ثم دعوة الاتباع أو الاطراد الجديد New Classicism .

وإذا حكم اختلاف الطبائع حكمه بين أنصار الواقع وأنصار الخيال فهنا مجال الاختلاف بين الواقعيين Realists والخياليين والمثاليين Idealists .

وقد يظهر هذا الاختلاف في صورة أخرى بين الطبيعيين Naturalists وبين الفنيين أنصار الفن للفن Art for arts Sake .

ونقول إن الواقعيين والطبيعيين متقاربون لأنهم جميعاً من أنصار الواقع ، وإنما ينفرد الواقعيون بمحاربة النزعات الخيالية وينفرد الطبيعيون بمحاربة النزعات الصناعية : نزعات الإغراق في التزويق والتنسيق . واذا افترقت هذه المذاهب جميعاً في عصر من عصور النهضة العلمية فالانقسام بينها يؤول في هذه الحالة الى قسمين : قسم تغلب عليه الصبغة العلمية وقسم تغلب عليه الصبغة الفنية ، ويتسع كل قسم منها لكثير من الآراء وأشتات من الأساليب .

ولا جدوى من متابعة العناوين التي تنتهي في الغرب بصيغة النسبة المذهبية (Ism) فانها تنطوي جميعاً في هذه الدعوات ويحيط كل منها بعالم من الآراء والأسباب ، ولكننا نجمعها في حدودها الواسعة اذا حجبنا منها الرومانتيزم والنيوكلاسيزم والريالزم والإيديالزم ، فلا يخرج من هذه المذاهب مذهب جاد يناط به عمل من أعمال البناء والإصلاح في عالم الفنون ، ولا تزال حتى اليوم وافية بأغراض البحث والمناقشة بين المختلفين على الفنون فيما يستحق الخلاف .

وعلى تعدد المذاهب والعناوين في الغرب لا نرى هنالك لبساً على الإطلاق بين المذاهب التي أشرنا اليها وبين عشرات المذاهب التي ينتحلها الدعاة على عجل منذ الحرب العالمية الأولى ، ويندر أن تعيش إحداها أو تستقل عن سواها بصفة من الصفات التي يتناولها التطبيق والتمييز .

فلا لبس على الإطلاق بين مذاهب الجد ومذاهب الهزل في الآداب الغربية ، فمذاهب الجد تدعو كلها الى البناء وتقوم بالبناء فعلاً ويعيش ما تبنيه ، ومذاهب الهزل لا تحدث بشيء غير الهدم والإلغاء : فلا لون ولا شبه ولا رسم ، ولا

قاعدة في التصوير ، ولا لفظ ولا معنى ولا منطق ولا مدلول في الشعر والنثر ، وإنه لمن الحظ الحسن أن تقصر هذه الدعوى عن الفنون التي ترتبط بها ضرورات المعيشة والاجتماع . فإنها لو تناولتها لسمعنا بفن المعمار الذي لا حُجرات ولا جدران ولا تجارة ولا طلاء فيه ، وسمعنا بجامع الموسيقى التي لا تميز بين الضوضاء والألحان ، ولا محل فيها للمعازف والآلات !

من هذه المذاهب ما يُطلق عليه اسم المستقبلية Futurism أو فوق الواقعية Surrealism أو الذئبية Fauvism ... بل منها ما يسمى بمدرسة التأتأة Dadaism ويقول أصحابه أنهم اختاروا له هذا الاسم من أول تأتآت الطفل Da Da وتطلق أحياناً على حصان الخشب ليسهل النطق به على ألسنة الأطفال . ومؤدى مذهب هؤلاء الدعاة أن التعبير الصحيح عن النفس الإنسانية إنما يرجع به الى صورة الطفولة ورموز الأحلام وخفايا الوعي الباطن كما تبدو للحالم في المنام أو كما يرسلها الناطق عفواً بغير تأمل وبغير انتباه !

ومن هؤلاء الملفقين للمذاهب من يختار اللفظة ويُسأل عن معناها فيسخر من السائل لأنه يبحث عن المعنى ولا يكتفي بوقع اللفظة في الأذن أو من منظرها للعين القارئة . فمن عناوين مارينتي Marinetti إمام المستقبلية « Zang-tumb tuum زانج تمب تيايم » ... ومن عناوين زميله أرديخوسوفيسي Bif § z + 18 ما لا يُفْهَم ولا يُتَرْجَم . وإنما هو مقابل عندنا لحرف الباء ثم الياء ثم الفاء ثم علامة موسيقية ثم زاي ثم علامة + ثم رقم ١٨) ...

وقد عَقَّبَ صاحب تاريخ الأدب الإيطالي على إمام هذه المدرسة فقال (إنه لم يجاوز حدود السخف في شعره ...) ، ولم يخلُ كلام المؤرخ من مجاملة ، لأن السخف معنى يوصف بالرداءة ، ولا معنى هنا ولا وصف لرديء أو غير رديء . (صفحة ٤٨٥ من كتاب تاريخ الأدب الإيطالي تأليف أرنست هاتش ولكنز Ernest Hatch Wilkins) .

* * *

ولا بد من وضع هذه الدعوات في موضعها من تاريخ الآداب الإنسانية الأوربية التي تظهر بينها . فما هو موضعها الصحيح ؟

موضعها الصحيح أنها تمثل جانب السخافة الذي لا بد أن يتمثل في بيئة يباح فيها القول لكل قائل والقراءة لكل قارئ ، ولا يخجل فيها العاجز عن عجزه ولا صاحب الحاجة من لجاجته ، وهم جميعاً في غمرة من محن الحروب والفتن والقلاقل والآفات . فهل تخلو هذه البيئة من جانب سخافة في الأذواق والدعوات ؟ وأين هو هذا الجانب إن لم يكن هذا مظهره الذي يتمثل في صوت القنوت ؟

ولسنا نقول إن هذه السخافة جانب يُهمل ولا يُلتفت اليه ، فانها خليقة أن تُدرس كما تدرس عوارض الأمراض والعلل والنكبات ، ولكن البون بعيد جداً بين دراستها لهذا الغرض ودراستها للاقتداء بها واعتبارها من مدارس الفن والأدب ونماذج الذوق والجمال .

ولا تفوتنا في معرض الكلام على الشطط الفني ملاحظة وثيقة الصلة بموضوع الخلط الذي يقال عنه إنه هو الفن الصحيح أو إنه هو التعبير الصادق دون غيره عن الوعي الباطن والسريرة الإنسانية في أعماقها « اللامنطقية » على حد تعبيرهم المأثور .

فالخلط الهاذر مذهب لم يخلقه دعاة « اللامنطقية » في القرن العشرين ، ولكنهم خلقوا شيئاً واحداً فيه لم يسبقهم أحد اليه ، وهو إطلاق العناوين العلمية عليه واستعارتها من دراسات التحليل النفساني أو من دراسات العلوم الطبيعية ، وقديماً وُجد في الشعراء والفنانين من يجنح به هواه أحياناً الى رفع الكلفة واطراح الحشمة والابتذال في اللفظ أو المعنى أو في كليهما ، فيسترسل في الهذر واللفظ كأنه في إجازة من « نفسه الفُضلَى » كما يقولون ، ويُنسب الى هذه النزوات شعر المجانة والهزل وشعر الإباحة والجموح ، ويُنسب اليه كذلك ضرب من الشعر الذي يخيل الى الناس أنه محدثهم بالحكم والأمثال وهو في أسلوبه

الهازل ساخر بضروب الحكمة والمثل ، كما صنع ابن سورون اليشيغاوي (٨١٠ — ٨٦٨ م) في قصيدته البائية التي يقول فيها :

عجب عجب عجب   بقر تمشي ولها ذنب
ولها في بزبزها ابن   يبدو للناس اذا حلبوا
لا تغضب يوماً إن شُتمت   والناس اذا شُتموا غضبوا
من أعجب ما في مصر يُرى   الكرم يُرى فيه العنب
والنخل يُرى فيه بلح   أيضاً ، ويرى فيه رطب
زهر الكتان مع البلسا   ن هما لونان ولا كذب
كيهود في دير خُلطوا   بنصارى حركهم طرب

وأدخلُ من هذا في باب « اللامنطقية » مذهب من مذاهب الزَّجَل في اللغة الدارجة يعاقبون بينه وبين الأدوار المقصودة ، فيبدأون بالدور العاقل ويُتبعونه بالدور المجنون الى نهاية الزجل ، ويُحفظ من هذه الأزجال كثير في مجموعات هذا والأجيال القريبة من أمثلتها في كتاب ترويح النفوس لحسن الآلاتي زجل يقول فيه :

كسرتُ بطيخة رأيتُ العجب   في وسطها أربع مداين كبار
وفي المداين خلق مثل البقر   في كل واحدة أربع قواعي خصار
وفي القلاع أقوام طوال الذقون   ودمعهم يجري شبيه البحار
من دمعهم تزرع نجوم السما   في خلقة المشمش عديم المثال

وأحياناً يقسمون الأدوار الى دور صاح ودور سكران . أو يصوغون فيها المفارقات على ألسنة الصبيان كما يجري على ألسنة العامة :

ياليل يا عين معرفش أكذب   والضفدعة شايلة مركب
وأبو فصاده ريسها   والقط الأعور حارسها

الى أشباه هذه « اللامنطقيات » المتواضعة التي يضعها أصحابها في مواضعها ويسمونها بأسمائها ولا تعدو عندهم أن تكون «منفساً» يستبيحونه الى حين ويعرضون به «اللامنطقية» في صورة فنية ، يعلمون ويعلم الناظرون اليها أنها من قبيل الصور الهزلية أو «الكاريكاتور» ولا يطلبون من الانسانية أن تحلها في محل فنونها وأن تنبذ المنطق في سبيلها .

فاذا كان لا بد من هذه اللامنطقية في الآداب العربية فعندها منها ما يغنيها ، ولها فيها مجال لا يخرج بالعقل من دائرة العقل ولا بالجنون من دائرة الجنون .

ومما نحمده من أطوار الشعر العربي الحديث أن هذه المذاهب لم يكن لها تأثير ثابت فيه ، وأنها تعرض له مع عوارض الزمن كما تعرض الأزياء والأفانين ثم تمضي لطيتها الى مصيرها العاجل بعد شهور ، ولا تطول حتى تُحسب بحساب السنين .

أما المذاهب التي كان لها أثرها المحمود فهي مذاهب الجد والبناء . فاننا إذا عرضنا الشعر العربي من أواخر القرن التاسع عشر الى أواسط القرن العشرين لم نخطئ أن نرى فيه أثراً جديداً لكل مذهب من المذاهب الواقعية أو المثالية أو الطبيعية أو الاطرادية الحديثة أو الابتداعية المتحررة . وقد تتراءى هذه المذاهب في أغراض الشعر كما تتراءى في أساليب الشعراء ، ومنها الأغراض التاريخية والاجتماعية والملاحم والمسرحيات والأغاني العاطفية والأناشيد القومية ، وكل مقصد من المقاصد التي ينظم فيها شعراء الغرب ، مع الفارق الذي يُحسب فيه حساب التقدم في الزمان كما يُحسب فيه الحساب لوفرة المحصول وسعة النطاق .

وعلى الجملة يتقدم الشعر عندنا ولا تعتريه النكسة أو الجمود ، إلا أنه يعاني من أطوار العصر ما يعانيه كل شعر في أنحاء العالم ، وذاك هو المشاركة القومية في ميدانه الأول . فهو الآن لا يستأثر وحده بميدان العاطفة والخيال ، بل تشاركه فيه الصور المتحركة والقصص المطولة والنوادر الموجزة ومناظر التمثيل

ومسموعات الإذاعة وأخبار الصحافة ومبدعات الفنون التي تيسرت لها أسباب العرض في الأندية والمنازل ومجامع الناس في كل مكان ، وليس من المنظور أن يُنشر الفن مع هذه المشاركة كما كان يُنشر وحيداً منفرداً بالميدان قبل بضعة قرون .

على أنها مشاركة عارضة يعمل فيها التخصص عمله ويطول الأمد أو يقصر في هذا العمل المتصل بغير قرار . فاذا عاد الشعر الى الاستقلال بمجاله بين الفنون فقد يعود اليه أقوى مما كان ، لأنه يكسب المزية التي لا مشاركة فيها ، ويكسب الأنصار الذين لا يستبدلون به سواه ، ويتلقى المدد منه . ولعله دور من أدوار الشعر تركه الأوائل للأواخر على خلاف ما قيل [1] .

عباس محمود العقاد

(١) جاء في محضر الجلسة التي ألقى فيها الأستاذ العقاد هذا البحث الثمين تعقيبات لبعض أعضاء المؤتمر وردود للأستاذ صاحب البحث على تلك التعقيبات . ومن ذلك سؤال لرئيس مجمعنا وهو :

« أريد أن أسأل زميلنا المحترم عما نجده في كثير من مجلاتنا الأدبية من شيء يسمونه شعراً ، لا نرى له قافية ، ولا نرى له وزناً ، ونجد الشطر فيه أحياناً لا يتجاوز كلمة أو كلمتين بعدهما إشارة تعجب أو بضع نقط . فما هي الموسيقى الشعرية في ذلك ؟ وهل هذا الشيء يُسمى شعراً أو يسمي نثراً أو ماذا يجب أن نسميه ؟ ومن المعلوم أن هذا النوع من الكلام له اليوم أنصار ممن يمكن تسميتهم أدباء »

وقد ردّ الأستاذ العقاد على هذا السؤال بما يلي :

« إذا جاءنا شيء من هذا مما لا وزن فيه ولا قافية – في المجلس الأعلى للفنون والآداب – أحلناه الى زميلنا الدكتور مهدي علام رئيس لجنة النثر لينظر فيه إذا شاء أن يعتبره نثراً . وليس لنا ولا نحب أن نحجر على أحد يختار لنفسه منهجاً للكتابة يسميه ما يشاء . إن لهم أن يكتبوا ما يشاءون ، ولكن ليس لهم أن يحكموا على الأوزان أو المعاني الشعرية » .

وعندما ذكر أحد الأعضاء أسماء أدباء ينهجون هذا النهج أجاب بقوله : « الكلام الذي لا تتوافر فيه المصاريع الشعرية لا نسميه شعراً . فقد يكون كلاماً بليغاً أو نثراً شعرياً ، وبهذا نفرق بينه وبين غيره من الفنون » .

الاصطلاحات الفلسفية

-٨-

الإيثار (أو الغيرية)

في الفرنسية Altruisme

في الانكليزية Altruism

آثر فلاناً على نفسه فضّله وقدمه، وآثره إيثاراً أكرمه، فمعنى الإيثار إذن أن تقدم غيرك على نفسك في النفع والدفع عنه، وهو ضد الأثرة (راجع كلمة أنانية).

والغيرية (Altruisme) لفظ جديد وضعه (أوغوست كومت) للدلالة على معنى الإيثار، فقال: الغيرية هي أن تريد الخير لغيرك وأن تبذل نفسك مختاراً في سبيل نفعه.

وهذا الميل الى نفع الآخرين أصيل في الإنسان، إلا أن طائفة من الفلاسفة أنكرت ذلك، فزعم (لاروشفو كولد): أن الإنسان لا يحب إلاّ نفسه، ولا يفكر إلا في مصلحته الخاصّة، وزعم (آدم سميث) والفلاسفة النفعيون أن الغيرية مشتقة من الأنانية أو حب الذات بواسطة التعاطف، وزعم (جيمس ميل) و (استوارت ميل) و (هربرت سبنسر): أن الأنانية هي الأصل وأن التطور الاجتماعي هو الذي أدّى الى تولد الغيرية منها.

ولكن (أوغوست كومت) و (ليتره) و (دوركهايم) وغيرهم زعموا أن الغيرية أصيلة في الإنسان كالأنانية، وان كلا الميلين ناشئ عن وظائف

الخليّة الحية ، فالأنانية تنشأ عن وظيفة التغذي ، وهي التي تدفع الكائن الحي الى البحث عما يحتاج اليه من الغذاء في سبيل بقائه ونموه ، والغيرية تنشأ عن وظيفة التناسل ، وهي التي تدفع الكائن الحي الى إنسال كائن آخر يحضنه ويربيه حتى يصبح قادراً على الحياة بنفسه . قال دوركهايم : «حيث يوجد الاجتماع توجد الغيرية ... فلا ينبغي أن يقال إذن أن الغيرية قد تولدت من الأنانية ، لأن هذا التولد لا يمكن أن يتم إلا بابداع الشيء من العدم . والحق ان هذين المحركين الأساسيين للسلوك الإنساني موجودان منذ البدء في جميع النفوس البشرية» .

وقد يطلق لفظ (الغيرية) على كل فعل يهدف الى نفع الآخرين ، حتى لو كان ذلك الفعل خالياً من الميل اليهم . فاذا قلت لك : أحسن الى عدوك لم أطلب اليك بهذا القول أن تحب من يبغضك أو من يسيء اليك فحسب ، بل أردت به أيضاً أن تحسن إلى من تبغضه . إن الغيرية بهذا المعنى لا تدل على ميل من ميول النفس ، بل تدل على نمط من أنماط السلوك .

وقصارى القول ان للإيثار (أو الغيرية) معنيين أحدهما نفسي والآخر خلقي .

فلفظ الإيثار يدل من الناحية النفسية على شعور الإنسان بميله إلى غيره ، وهذا الشعور قد يكون ناشئاً بصورة غريزية عن الروابط الموجودة بين أفراد الجنس الواحد ، وقد يكون ناشئاً عن التأمل أو عن إنكار الذات . وهو يشتمل في نظر (أوغوست كومت) على الحب والاحترام وطيبة النفس .

ويدل من الناحية الخلقية على المذهب المضاد لمذهب اللذة أو مذهب الفردية أو مذهب النفعية . وهو مذهب الخير الذي يجعل غاية سلوكنا الفردي نفع غيرنا ودفع الضر عنهم . وقاعدته كما قال (أوغوست كومت) : أن تحيا في سبيل غيرك وأن تجعل الحب مبدأك ، والنظام دعامتك ، والتقدم هدفك .

الإيحاء

في الفرنسية Suggestion

في الانكليزية Suggestion

الإيحاء في اللغة الإشارة والكلام الخفي ، وكل ما ألقيته الى غيرك . يقال أوحى اليه إيحاءً أي كلمه بكلام يخفيه عن غيره ، وأوحى ربك الى النحل أي أمرها (أمر إلهام) ، وأوحى أومأ . وأوحى اليهم أي أشار اليهم ، وأوحَتْ اليه كلمتَهُ ، ويوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً ، معناه يسرُّ بعضهم الى بعض .

وفي تعريفات الجرجاني : الإيحاء هو إلقاء المعنى في النفس بخفاء وسرعة .

ونحن نستعمل اليوم هذا اللفظ للدلالة على المعاني الآتية :

١) فعل أوحى : أوحى اليه أي ولّد في ذهنه فكرة ، وهذا ينطبق على الأشخاص والأشياء معاً ، فتقول : (أ) أوحى الأستاذ الى تلميذه فكرة أو عملاً أو تجربة ، (ب) والمعاني يوحي بعضها بعضاً .

٢) الإيحاء (مصدر) هو اسم يدل على ما يحدث في الذهن من فكرة أو تصور بتأثير عامل خارجي . فلا إيحاء إذن إلا إذا أثار شخص بكلامه أو فعله في ذهن شخص آخر فكرةً تؤثّر في نفسه وتبدّل مشاعره وسلوكه . ولولا هذه الفكرة التي جيء بها من خارج لما تبدل مجرى تصوراته ولا تغير سياق فعله . ولكلمة إيحاء بهذا المعنى مفهومان مختلفان : الأول ، أن الفكرة الموحى بها تتولد في الذهن بتأثير عامل خارجي (كلمة أو إشارة أو حركة) لا بتأثير عامل داخلي ، والثاني ، ان هذه الفكرة الخارجية تطمّم ذهن الموحى إليه فتحركه وتثير فيه فاعلية نفسية جديدة .

٣) ومع ذلك فان معنى الإيحاء في الفلسفة الحديثة لا يخلو من اللبس والغموض ، فبعض الفلاسفة يشترط في الإيحاء أن يكون الموحى اليه غير شاعر بأسباب

التأثير الذي حدث فيه أو بالفكرة التي أوحي اليه بها ، وبعضهم يقول ان الموحى اليه قد يشعر بالتأثير ولكنه لا يستطيع أن يقاومه بإرادته ٠

٤) أما في علم الأمراض العقلية فإن معنى الإيحاء واضح جداً ٠ وهو عرض من أعراض مرض اختناق الرحم (الهستيريا أو الهسترة) : وذلك انك اذا أوحيت الى المريض فكرة بالكلام أو بغيره ، فان هذه الفكرة تنقلب عنده الى حادثة مركبة ، فتصبح فعلاً أو إدراكاً أو عاطفة مصحوبة بتبدلات عضوية دون أن يكون لإرادته أو شعوره تأثير في هذا الانقلاب ، وكذلك النائم نوماً مغنطيسياً ، فهو لا يستطيع أن يقاوم بارادته ما أوحت اليه الكلمة أو الصورة فيفعل ما يؤمر به ، ويعتقد ما يقال له ، ويحس ما يطلب منه أن يحس به ، وقد ينفذ الفعل بعد اليقظة في الوقت المحدد له حتى لو كان غير ذاكر ما جرى له في حالة النوم ، فلا يعي فعله ، ولا يشعر به إلاّ من حيث هو واقع تحت مشاهدته الحسية ، كأنما هو فعل غيره ، لا فعله الصادر عنه ٠

وكما يُتلقى الإيحاء في حالة النوم فكذلك يتلقى في حالة اليقظة ، إلاّ أن تأثر الأشخاص الأسوياء به لا يتصف بالآلية القسرية ٠ وقد أطلق الفلاسفة على هذا الإيحاء الذي لا يفقد الشخص مقاومته اسم الإيحاء غير المعين ، (Suggestion indéterminée) ٠

٥) والايحاء الذاتي (Auto - Suggestion) هو أن يوحي الانسان الى نفسه بارادته أو بغير إرادته اعتناق بعض الحالات ، كالشخص الذي يطالع اعراض مرض في كتب الطب فيتوهم أنه مصاب به ٠

٦) والايحاء الأجنبي (Suggestion étrangère) هو أن يوحي شخص الى غيره بفكرة أو عاطفة أو فعل ٠

٧) والايحاء المؤجل (Suggestion à échéance) هو الايحاء الذي ينفذ

في موعد معين ، أو عند اشارة متفق عليها ، أو عند تحقق بعض الشروط .

٨) والايحاء العقلي (Suggestion mentale) هو القول بإمكان انتقال الفكرة أو الأمر أو الادراك انتقالاً مباشراً من شخص الى آخر بدون وسط من كلام الأول أو فعله (راجع كلمة Telépathie) .

٩) وقابلية الايحاء أو التلقن (Suggestibilité) هي استعداد الشخص لقبول الايحاء بسهولة .

١٠) والواحي والموحي (Suggestif) هو كل ما يوحي بالأفكار أو العواطف أو الأفعال . وكثيراً ما يستعمل هذا اللفظ في مقام المدح فتقول : هذا الكتاب موحٍ بمعنى أنه يوقظ الفكر ويبعثه على التأمل .

أَيسَ

في اللاتينية	Esse
في الفرنسية	Etre, il est
في الانكليزية	to be

أيسَ لفظ عربي مهجور ، تقول جيء به من أيس وليس ، أي من حيث هو وليس هو . قال الليث أيس كلمة قد أُميتَتْ ، إلا أن الخليل ذكر أن العرب تقول جيء به من حيث أيس وليس ، أي من حيث هو موجود وغير موجود ، ولم تستعمل ايس إلا في هذه العبارة ، وإنما معناها كمعنى حيث هو في حال الكينونة والوُجد . وأيس ضد ليس أو لا أيس ، ومعنى لا أيس أي لا وجد ولا وجود .

وقد استعمل الفلاسفة أيس بمعنى الوجود والموجود ، وليس بمعنى العدم والمعدوم . قال الكندي : « يتضح لك أن الله جل ثناؤه ، وهو الانية الحق التي لم تكن ليس ، ولا تكون ليساً أبداً ، لم يزل ولا يزال أيس أبداً ، وانه هو الحي الواحد

الذي لا يتكثر بتة ، وانه هو العلة الأولى التي لا علة لها ، الفاعلة التي لا فاعل لها ، والمتممة التي لا متمم لها ، والمؤيّس الكل عن ليس ، والمصيّر بعضه لبعض أسباباً وعللاً » (كتاب الابانة عن العلة الفاعلة القريبة للكون والفساد ، من رسائل الكندي الفلسفية ، حققه محمد عبد الهادي أبو ريده ص ٢١٥ ، القاهرة ١٩٥٠) . وقال أيضاً : « الفعل الحقي الأول تأييس الأيسات من ليس . وهذا الفعل بيّن أنه خاصة لله تعالى الذي هو غاية كل علة ، فان تأييس الايسات عن ليس ، ليس لغيره » (راجع رسالة الفاعل الحق الأول التام والفاعل الناقص الذي هو بالمجاز ، المصدر نفسه ، ص ١٨٢ — ١٨٣) . وقال ابن سينا : « ومنها مثل أن يكون الشيء عالماً بأن شيئاً ليس ثم يحدث الشيء فيصير عالماً بأن الشيء أيس » (الاشارات ص ١٧٤) . فأنت ترى أن لفظ ايس يدل عندهم على الوجود أو الموجود ، وهو كما قلنا ضد ليس الدال على العدم أو المعدوم .

والمؤيّس عندهم هو الموجد ، والتأييس هو التأثير أو الايجاد .

إيساغوجي — Isagoge —

لفظ يوناني معناه المدخل أو المقدمة ، وهو عنوان الكتاب الذي وضعه فرفوريوس الصوري (Porphyre) تلميذ أفلوطين ليكون مدخلاً للمقولات أو للمنطق . نقله من السريانية الى العربية أيوب بن القاسم الرقي ، وأبو عثمان الدمشقي (راجع كتاب الفهرست لابن النديم ، طبعة مصر ص ٣٤١ ، ٣٥٤) ، وفسر معانيه ابن زرعة وابن الخمار وشرحه كثيرون . وهو يبحث في بعض الألفاظ الدالة على المعاني الكلية كالجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام .

وأكثر المنطقيين العرب يضيفون كتاب ايساغوجي الى كتب آرسطو المنطقية ويجعلونه جزءاً من المجموعة المنطقية التي تسمى بالارغانون ، وهي : (١) ايساغوجي

أو المدخل (٢) قاطيغورياس أو المقولات (٣) باري أرمنياس أو العبارة (٤) انالوطيقا الأولى «التحليلات الأولى» أو القياس (٥) أنالوطيقا الثانية «التحليلات الثانية» أو البرهان (٦) طوبيقا أو الجدل (٧) سوفسطيقا أو السفسطة (٨) ريطوريقا أو الخطابة (٩) بويطيقا أو الشعر. (راجع كلمة منطق).

الإيمان

في اللاتينية	Fides
في الفرنسية	Foi
في الانكليزية	Faith

الإيمان في اللغة التصديق، يقال: آمن بالشيء صدق، وضده التكذيب يقال: آمن به قوم، وكذب به قوم.

والإيمان في الشرع إظهار الخضوع والقبول للشريعة ولما أتى به النبي واعتقاده وتصديقه، فمن اعتقد وشهد وعمل فهو مؤمن غير شاك ولا مرتاب، ومن اعتقد وشهد ولم يعمل فهو فاسق، ومن شهد وعمل ولم يعتقد فهو منافق (راجع تعريفات الجرجاني).

والأصل في الإيمان الدخول في صدق الأمانة، وهي هنا النية التي يعتقدها الإنسان فيما يظهره باللسان من الإيمان. ولذلك قيل الإيمان أمانة، ولا دين لمن لا أمانة له.

والايمان في اصطلاحنا التصديق بالقلب. تقول آمنت بالشيء أي صدقته واعتقدته، ومعنى الاعتقاد هو القبول والاقتناع، لا بل هو التصديق الذي يطمئن له القلب دون أن يؤيده أو يكذبه برهان منطقي أو مشاهدة حسية. وهو مغاير للعلم، لأن العلم مبني على أسباب عقلية كافية، في حين أن الاعتقاد مبني على بواعث قلبية، أو على أسباب عقلية غير كافية.

وإذا كان التصديق فعلاً إرادياً كان الاعتقاد المستقل عن الأسباب العقلية الكافية مظهراً من مظاهر حرية الاختيار ، ونحن نطلق عليه اسم الايمان .

والايمان هو الثقة المطلقة بشخص أو بقول مضمون الصدق ، تقول آمن بالشخص أو بالقول وثق به ، وآمن بما جاء في العهد اطمأن له . فالايمان بهذا المعنى هو الثقة والطمأنينة معاً .

ومن معاني الايمان تسليم النفس بالشيء تسليماً راسخاً لا تقل قوته من الناحية الذاتية عن قوة اليقين . والفرق بينه وبين اليقين أن اليقين مستند الى أسباب موضوعية ، في حين ان الإيمان مبني على أسباب شخصية ذاتية . وما كان اقتناعك به مبنياً على أسباب ذاتية فانه من الصعب أن يقتنع به غيرك .

والأفعال الايمانية هي الأفعال التي تعبر عن الإعتقاد وهي :

١) الفعل الارادي الذي نوافق به على صحة قضية غير بديهية أو على صدق قول لم يقم عليه برهان .

٢) التعبير عن الايمان الديني باللسان أو العبادات أو الطاعات .

٣) الاعتراف العلني بقبول رأي أو فكرة أو مبدأ .

الأين (المحل)

في اللاتينية Ubi, locus

في الفرنسية où, lieu

في الانكليزية Place

أين سؤال عن مكان ، فاذا قلت أين زيد ، فانما تسأل عن مكانه ، وهو إحدى مقولات آرسطو ، أطلقه الفلاسفة على المحل الذي ينسب اليه الجسم ، فقال ابن سينا الأين : «هو كون الجوهر في مكانه الذي يكون فيه ككون زيد في السوق» (النجاة ص ١٢٨) . وقال الغزالي : من الأين

« ما هو أين بذاته ، ومنه ما هو مضاف ، فالذي هو أين بذاته كقولنا زيد في الدار وفي السوق ، وما هو أين بالاضافة فهو مثل فوق ، وأسفل ، ويمنة ، ويسرة ، وحول ، ووسط ، وما بين ، وما يلي ، وعند ، ومع ، وعلى ، وما أشبه ذلك ولكن لا يكون للجسم أين مضاف مالم يكن له أين بذاته » (الغزالي ، معيار العلم ص ٢٠٧) . وقال ابن رشد : « ومثال ذلك أن الأين كما قيل هو نسبة الجسم الى المكان ، فالمكان مأخوذ في حده الجسم ضرورة ، وليس من ضرورة حد الجسم أن يؤخذ في حده المكان ، ولا هو من المضاف ، فان أخذ من حيث هو متمكن لحقته الاضافة ، وصارت هذه المقولة بجهة ما داخلة تحت مقولة الإضافة » (ابن رشد ، مختصر ما بعد الطبيعة) .

يستنتج من ذلك كله أن الأين هو حصول الجسم في المكان ، أي في الحيز الخاص به ، ويسمى هذا أيناً حقيقياً . وعرّفه الجرجاني بقوله : « هو حالة تعرض للشيء بسبب حصوله في المكان » ، وعرّفه التهانوي بقوله انه « هيئة تحصل للجسم بالنسبة الى مكانه الحقيقي » أي « انه الهيئة المترتبة على الحصول في الحيز » (كشاف اصطلاحات الفنون) . وقد يقال الأين لحصول الجسم فيما ليس مكاناً حقيقياً له مثل الدار والبلد والاقليم والعالم ، فتقول مجازاً زيد في دمشق أو في سورية وتعني بذلك حصوله في مكان غير خاص به وحده .

ونحن نطلق اليوم على الأين لفظ المحل (Lieu) وهو مكان الحلول أعني الحيز الذي يشغله الجسم . يقول (ديكارت) : « أوضح ما يدل عليه المحل الوضع لا المقدار أو الشكل . فاذا قلنا ان الشيء موجود في محل ما عنينا بذلك أن له وضعاً خاصاً بالنسبة الى غيره من الأشياء ، ولكننا إذا زدنا على ذلك انه يشغل مكاناً أو محلاً معيناً عنينا بالاضافة إلى ما تقدم أن له مقداراً أو شكلاً معيناً يستطيع بهما ملأه » . ومعنى ذلك ان (ديكارت)

يفرق بين المحل الداخلي والمحل الخارجي . فالمحل الداخلي عنده هو الامتداد الذي يشغله الجسم ، وهو الجسم نفسه . أما المحل الخارجي فهو وضع الجسم بالنسبة الى الأجسام الأخرى المحيطة به . فاذا تحرك الجسم خيل الينا أنه ينقل امتداده معه ، وانه يترك مع ذلك وراءه امتداداً كان يشغله . وهذا ناشيء عن الفرق بين المحل الداخلي والمحل الخارجي . الأول يتحدد بالعلاقات الداخلية ، والثاني يتحدد بالعلاقات الخارجية ، والفرق بين المحل ، والامتداد ، والمكان ، ان المحل يدل على العلاقات الخارجية التي تعين وضع الجسم بالنسبة الى غيره في حين أن الامتداد أو المكان يدل على الفراغ اللانهائي المحيط بالأجسام كلها (راجع كلمتي امتداد ومكان) .

ويطلق اصطلاح المحل الهندسي (Lieu géomètrique) على مجموع النقاط المتميزة بخاصة واحدة .

جميل صليبا

ثقافة الأطباء عند العرب

- ٤ -

وبعد ما هو نصيب العرب من تقدم الطب ورقيه ؟

مما لا شك فيه أن العلوم الطبية والمعارف الانسانية كانت أصيبت بجمود وتوقف وضعف بعد ما دالت دولة اليونان والرومان وأوشكت الأخيرة على الزوال ، وبعد ما لحق الدولة البيزنطية الوهن والاضطراب الداخلي والخارجي ، الاجتماعي والأخلاقي من جراء فساد الحكم وسقوط الأخلاق وكثرة الظلم والمفاسد ، وبعد ما استدام الحرب بينها وبين دولة الفرس التي لم تكن أعدل ولا أسلم منها ولا أهدأ من غيرها ، قروناً عديدة أفقرت الشعبين ، وشردت العلماء ، ونشرت ألوية التعصب والجهل في كل الأنحاء .

وفي هذه الآونة من الزمن ظهر العرب في دنيا البشرية ، وبعد أن أتموا فتوحاتهم ونشروا تعاليمهم ، أقبلوا على العلم والفن ، وكان الطب في مقدمة العلوم التي طلبوها ، وشجعهم على ذلك ظمأهم للعلم وحبهم للحرية الفكرية وقول الحديث النبوي : « العلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان » ، فبذلوا عنايتهم في تحصيل المعارف وفتح المعاهد العلمية في الشرق والغرب وفي جلب العلماء من كل الأمم للترجمة والتعليم والتطبيب ، وفي جمع المخطوطات الموجودة في مختلف البلدان ، وجعل التعليم في متناول كل فرد في مملكتهم الواسعة الأرجاء .

وكان الحصول على المخطوطات شرطاً من شروط الصلح أحياناً ، وأصبح طلبة الخلفاء والأمراء والأغنياء . ولما فتح هارون الرشيد عمورية وأنقرة حمل الى بغداد كل ما وجد فيها من المخطوطات ، وأرسل المأمون بعثة خاصة الى

بلاد الروم لتجمع المخطوطات اليونانية ، وكانت الكتب تهدى الى الخلفاء أحياناً على سبيل الاسترضاء . فامبراطور القسطنطينية أرسل كتباً قيمة الى الخليفة في الأندلس ليكون له عوناً على الخليفة في بغداد . وقد اشتدت الرغبة بالحصول على المخطوطات والكتب ، ليس بين عرب العراق واسبانيا بل بين عرب القاهرة ودمشق والقيروان ، وبين بقية البلاد التي فتحها العرب . وكان من جراء هذه الرغبة أن كل مدينة من البلاد الإسلامية غدت تحتوي على مكتبة عمومية فيها غرف للقراءة والكتابة وقاعات للمحاضرات العلمية ، والدينية ، ومكاتب للترجمة والنسخ والتجليد ، كبيت الحكمة في بغداد ، ودار الحكمة في القاهرة حيث كان يشتغل المترجمون والمؤلفون والناسخون . وكان في قرطبة مكتبة تحوي على ربع مليون مجلد ، وفي بغداد بقيت الكتب المخطوطة التي أغرقها (هلاكو) عندما غزاها وفتحها ورماها في دجلة تمرّ عليها خيوله عشرة أيام وماء النهر أسود قاتم .

وقيل ان ابن المطران طبيب صلاح الدين الأيوبي كان يملك وحده مكتبة تحتوي على عشرة آلاف مجلد ، وكان لأمين الدولة ابن التلميذ مؤلف أحسن اقرباذين في أيامه مكتبة تحتوي على عشرين ألف مجلد بعضها بخط يده . وكانت مكتبة المؤرخ الطبي ابن القفطي الشهير تقدر قيمتها بما يزيد عن خمسين ألف دينار . وكان في كل مستشفى كبير مكتبة لتعليم الطلبة وللرجوع اليها عند الحاجة .

وللعرب يعود الفضل وحدهم دون غيرهم في حفظ تراث الطب اليوناني والفارسي والهندي واستخلاص المهم مما جمعوه وترجموه وتعلموه ووضعه في قالب واضح علمي تاركين كل ما كان غير لازم .

ويقول العلماء المنصفون لولا العرب لانقطعت الصلة بين الماضي والحاضر .

وتكفي المقابلة بين كتابات جالينوس وكتابات ابن سينا ، فالأول مبهم والثاني في غاية الوضوح ، والترتيب ظاهر في الثاني ومفقود في الأول .

وكان العرب أمناء في ترجمتهم ونقلهم فلم يشوهوا حقائق ما نقلوا بل صرفوا العناية الفائقة والاهتمام الجدي حتى تمَّ لهم نقل تلك العلوم دون تحريف ولا تشويه ولا تعصب .

ويعود الفضل الأكبر في نجاحهم الى سخاء الخلفاء والملوك والأمراء وسعة صدرهم وتحررهم من التعصب الديني وتقيدهم بحرية الرأي وأخذ العلم من أين كان وممن كان .

ومع هذا فلتقدير مساهمة العرب وأهميتها في حقل الطب والعلوم المتصلة به يجب أن نقارن ذلك بحالة الطب اليوناني والهندي والبزنطي والفارسي في ابتداء العصر العربي وما انتهت اليه في آخر هذا العصر .

يقول الدكتور أمين خير الله [1] : « ولكي نصدر حكماً صحيحاً على مساهمة العرب في الطب أيضاً يجب أن لا ننظر اليها بمنظار خصومهم ولا بمنظار المعلومات الحاضرة ، فالخصوم المتعصبون شوهوا الحقائق وأنكروا فضائل العرب ، والمعلومات الحاضرة هي نتيجة رقي صناعي واجهاد فكري اشتغل فيه معظم الأمم منذ ثلاثة عشر قرناً حتى الآن ، ولكن علينا أن ننظر اليها بالقياس الى المعلومات التي كانت في زمانهم .

« واذا كان بعض العلماء من غير العرب قد اشتركوا في التراث الذي نذكره فعلينا أن لا ننسى بأن الحكم العربي الصحيح انقضى بعد زوال الدولة الأموية في الشرق والغرب وبعد تضعضع الحكم العباسي الأول في بغداد ، وان الحكم بعدهم أصبح إسلامياً لا عربياً بحتاً .

(١) للدكتور أمين خير الله في كتابه الطب العربي .

«ويجب أن نذكر جيداً بأن الدافع الحقيقي للحركة العلمية كان العباسيون في بغداد والأمويون في الأندلس ولذا لا يعاب على العرب اذا كان بعض مؤلفي كتبهم من غير العرب ، كما لا يؤخذ على الأميركيين مثلاً اذا كان بعض المخترعين عندهم من أصل غير أميركي .

«وهكذا يقال عن العلم عند الرومان فأغلب العلماء عندهم كانوا من أصل يوناني ، ولهذا ـ حتى نكون منصفين ـ يجب أن نقارن التمدن العربي بالتمدن الروماني فنرى أن ما أتمه العرب في قرن واحد قضى الرومان عدة قرون في إتمامه . وإذا كان اليونان امتازوا في العلم والفلسفة وامتاز الرومان في التشريع والإدارة فالعرب امتازوا في الاثنين معا . وان المدنية العربية في القاهرة ، واسبانيا ، ومراكش ، ودمشق ، والقدس ، وبغداد لشاهد لامع على مقدار ما يمكن للعرب أن يبلغوه من الرقي متى أتيح لهم ذلك .

«ومن الإنصاف العلمي أن نذكر الأعمال الفردية التي قام بها العرب في الطب وغيره وأن لا ننسى مطاياهم الكبرى فانهم بدون شك حفظوا مشعل العلوم والثقافة في العصور المظلمة لما كانت أوروبا غارقة في ظلمات العصور ، وأنهم حرروا العلم وأنقذوا التمدن من الاضمحلال وأعطوه بعدئذ الى أوروبا بقالب حسن وواضح وكانوا السبب الأصلي في يقظة أوروبا من ديجور أجيالها المظلمة» .

ولاطلاع بعض أطبائنا العلماء على ماهية الطب العربي وما يحويه ، وفهم ما وصل اليه علمهم في ذلك الحين ، ومعرفة مصطلحاتهم الطبية وتشخيصهم للأمراض وتعليلاتهم لها والحاصل للإحاطة بذهنيتهم العلمية ، أرى من المفيد الاشارة الى أشهر كتبهم في شتى العلوم الطبية وهي :

١ — الأول (كتاب الحاوي) وهو لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي المسمى جالينوس العرب والطبيب الأعلى بين أطباء العرب المتوفى سنة ٤٢٠ ﻫ

والكتاب يقع في ٣٠ مجلداً حسب رواية أبي الفداء ، وفي ١٢ مجلداً حسب قول ابن النديم صاحب كتاب الفهرست . ترجمه الى اللاتينية فرج بن سليم ونشر مراراً في البندقية وفي بريشيا في القرون الوسطى .

٢ — الثاني (كتاب كامل الصناعة) الطبية لابن المجوسي علي بن عباس ويعرف (بالملكي) صنفهُ للملك عضد الدولة فناخسرو بن ركن الدولة أبي علي حسن بن بويه الديلمي . وهو كتاب جليل مشتمل على أجزاء الصناعة الطبية علمها وعملها بما فيها علم الجراحة . ترجم الى اللاتينية وطبع في ليدن عام ١٥٢٣ م وطبع في بولاق في جزئين عام ١٢٩٤ هـ وهو مفيد جداً .

٣ — الثالث (كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف) لأبي القاسم خلف ابن العباس الزهراوي وكان من أكبر جراحي العرب . ولد في الزهراء بجوار قرطبة ، وكان طبيب الخليفة الحكم ولد عام ٤٠٣ وتوفي عام ٥١٦ هـ وترجم كتابه الى اللاتينية وطبع سنة ١٧٧٨ م وهو أول من استعمل ربط الشريان لمنع النزيف وأثنى عليه كثيرون من علماء أوروبا وشهدوا له بطول الباع والسبق في شؤون كثيرة . (عن دائرة المعارف البريطانية) .

وكتاب التصريف عبارة عن دائرة معارف طبية يحتوي على ثلاثين فصلاً مبوبة في ثلاثة أقسام : الأول في الطب الداخلي . والثاني في الأقرباذين والكيمياء ، والثالث في الجراحة . وامتاز القسم الثاني بأدويته المفردة ، وامتاز القسم الثالث الجراحي برسومه للآلات الجراحية وآلات خلع الأسنان المستعملة في زمانه وكانت هذه الرسوم وحيدة في بابها .

وقد ترجم القسم الجراحي (جيرارد كريمونا) الى اللاتينيـة وبقي كتاب التدريس في جامعات أوروبا كجامعة سالرنو ومونبيليه مدة من السنين .

٤ — (تذكرة الكحالين) لعلي بن عيسى بن الكحال الطبيب النصراني المتوفى بعد الأربعمائة في بغداد ، والكتاب مطبوع وهو من خير ما ألف في طب العيون ، ترجم الى اللاتينية وطبع مراراً وكان من كتب التدريس عند العرب .

٥ — الخامس (كتاب تنقيح المناظر) لابن الهيثم أبو علي محمد بن الحسن ابن الهيثم البصري توفي في الأربعمائة ، نبغ في علم الهندسة والمرئيات والضوء . جاء الى مصر أيام الحاكم بأمر الله ثم تنسك واشتغل بالتصنيف والإفادة . تعاطى الطب ووصف العين وصفاً دقيقاً ، وبحث قضية البصريات بحثاً وافيا ، وهو أول من قال بأن النور يدخل العين لا يخرج منها ، وأثبت أن شبكية العين هي مركز المرئيات وان هذه المرئيات تنتقل الى الدماغ بواسطة عصب البصر وان وحدة النظر من الباصرتين عائد الى تماثل الصور على الشبكتين .

طبع كتابه مع الترجمة اللاتينية باعتناء الأستاذ هيل في دريدن عام ١٨٤٥ م .

٦ — السادس (كتاب القانون في الطب) للشيخ الرئيس أبو علي بن سينا المتوفى عام ٤٢٨ هـ هو بلا ريب أفضل تراث في الطب العربي ، وأجل كتاب لتدريس الطب في أوروبا وفي البلدان العربية لأكثر من ثمانية قرون . ولا يزال يستعمل ويدرس في بعض بلدان الشرق الأدنى والهند وشمالي أفريقيا . وهو ينقسم الى خمسة أقسام : القسم الأول يشمل خمسة فصول :

١ — الأول في التعاريف ، والعناصر ، والأخلاط ، والأمزجة ، والأرواح .

٢ — الثاني في التشريح ويشمل العظام ، والعضلات ، والأعصاب ، والشرايين ، والأوردة .

٣ — الثالث في الأمراض وأعراضها .

٤ — الرابع في حفظ الصحة ، والوقاية من الأمراض .

٥ — الخامس في العلاج عموماً .

والقسم الثاني يبحث في الأدوية المفردة مرتبة حسب الحروف الهجائية .

القسم الثالث يبحث في أمراض الجسم من الرأس حتى القدمين بما فيه تشريح الأعضاء ، الرأس ، ، الدماغ ، العيون ، الآذان ، الأنف والفم واللسان ، الشفتان ، الأسنان ، واللثة ، الحلقوم ، الثديان ، الصدر ، الرئتان ، المريء

والمعدة ، الكبد والمرارة ، الطحال ، الأمعاء ، والأعضاء التناسلية عند الرجال والنساء .

القسم الرابع يحتوي على سبعة فصول :

الأول — الحميات .

الثاني — الانذار والبحران .

الثالث — الأورام والقروح .

الرابع — الجراحة والعمل باليد .

الخامس — الكسور والخلوع .

السادس — السموم .

السابع — أمراض الجلد .

القسم الخامس في الأدوية المركبة والعلاجات .

٧ — السابع (كتاب الموجز) لابن نفيس القرشي المتوفى سنة ٦٩٨ هـ ، وهو علي بن أبي الحزم القرشي الملقب بابن النفيس . ولد في دمشق وسكن مصر الى أن توفي . والكتاب مختصر لقانون ابن سينا ، والشامل في الطب . وقد طبع في الهند . وابن النفيس هو أول من اكتشف الدورة الدموية .

٨ — الثامن (كتاب التيسير في المداواة والتدبير) لابن زهر [1] أبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء بن زهر ولد في اشبيلية بالأندلس عام ٤٦٤ وتوفي عام ٥٢٥ هـ وهو من عائلة اشتهر أفرادها بالطب منذ أجيال ولكنه كان

---

(١) ذكر ابن أبي أصيبعة أن معظم أفراد عائلة ابن زهر كانوا أطباء ومنهم صاحب كتاب التيسير أما الآخرون فأورد اسم (أبو مروان عبد الملك الفقيه محمد بن مروان ابن زهر الايادي) وهو طبيب . ثم اسم (أبو بكر محمد بن أبي مروان بن أبي العلاء ابن زهر) وهو طبيب شهير . ثم اسم (أبو محمد بن عبد الله الحفيد أبو بكر محمد بن أبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء بن زهر بن أبي مروان بن عبد الملك ابن محمد بن مروان بن زهر) وهو أيضاً كآبائه من مشاهير الأطباء في زمانه .

أنبغهم كما انه أحد الأطباء العرب القلائل الذين حصروا جهودهم في الطب فقط . وقد ألّف كتابه هذا وأهداه الى تلميذه الفيلسوف العظيم الطبيب ابن رشد . والكتاب يصف الأمراض وصفاً واضحاً جلياً خال من النظريات الفلسفية .

وابن زهر أول من وصف خراج الحيزوم وصفاً دقيقاً ، ووصف التهاب التامور (غشاء القلب) بنوعيه الناشف والرطب وفرقه عن أمراض الرئة . وفي أثناء وجوده في السجن كتب وصفاً دقيقاً لأعراض سرطان المعدة الذي كان رفيقه في السجن مصاباً به .

وكان يحب التجربة والاختراع . ووجد في أيام الخليفة عبد المؤمن أحد ملوك المرابطين وتقرّب اليه فنال منه الحظوة والإنعام والجاه . وكتابه المذكور ترجم الى اللاتينية وطبع عدة مرات واستعمل للتدريس في جامعات أوروبا .

٩ — التاسع (كتاب المفردات) لابن البيطار وهو في جزئين ومطبوع في مصر ويسمى (الكتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) تأليف الشيخ الفاضل ضياء الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي العشاب المعروف بابن البيطار ، أمر بجمعه الملك الصالح وطبع ببولاق سنة ١٢٩١ وترجم الى اللاتينية وغيرها .

ولد ابن البيطار في مالقة وساح في اسبانيا والمغرب وشمالي افريقيا ، ومصر ، وسوريا ، وآسيا الصغرى ، وتوفي في دمشق عام ٦٤٦ هـ . وقد ألّف معظم كتبه في مصر حيث كان يشغل مركز المفتش العام للصيدليات واستشهد فيه بأكثر من (١٥٠) مؤلفاً ووصف أكثر من (١٤٠٠) عقاراً من النبات والحيوان والمعدن . منها (٣٠٠) جديدة لم تذكر قبله . وكان الطبيب ابن أبي أصيبعة من تلامذته ، اجتمع فيه بدمشق سنة ٦٣٣ هـ وشاهد معه كثيراً من النبات في مواضعه ، وقرأ عليه تفسيره لأسماء الأدوية الواردة في كتاب ديسقوريدس .

١٠ — العاشر (كتاب المختارات) في أربعة أجزاء وهي في الطب لمهذب الدولة أبي الحسن علي بن أحمد بن علي بن هبل البغدادي المولود عام ٥٤٤ والمتوفى سنة ٦١٦ هـ طبع في حيدر آباد بمطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية عام ١٣٦٢ هـ . والكتاب ينقسم الى عدة فصول وأجزاء تتناول ما ورد في القانون ، والحاوي ، والمنصوري وغيرها من كتب الطب . وقد اختار منها ما اطلع عليه وجربه ولذا كان كتاب المختارات ذا فائدة عظيمة لتدريس الطب العربي وفهم اصطلاحات الأولين وآرائهم .

١١ — الحادي عشر (كتاب التذكرة الهادية في الطب) وهو لابراهيم بن محمد المشهور بابن السويدي . ولد عام ٦٠٠ هـ وتوفي عام ٦٧٠ هـ ويرتقي بنسبه الى ولد سعد بن معاذ الأوسي . تعلم في دمشق وطبب فيها ، ونصب طبيباً في البيمارستان النوري وبيمارستان باب البريد ، وكان أبوه من السويداء في حوران ومن التجار .

هذه أحد عشر كتاباً من أمهات الكتب العربية الطبية التي لا يحصى عددها منها ما طبع ومنها من لم يطبع ، ومنها لا يزال موجوداً في خزائن الكتب ، ومنها ما اندثر مع الزمن بسبب الحريق والتمزيق والتفريق . وكان عليَّ أن أذكر غيرها ولكن أوردت هذه الأسماء فقط كنماذج لجهود العرب في خدمة الطب ، ولم أذكر خدماتهم في بقية العلوم .

أما ما يتعلق بأدب المهنة وعلاقات الأطباء بعضهم ببعض فقد ذكرت الوصايا التي أوردها ابن أبي أصيبعة عنهم وهي صورة عن أخلاقهم وتفكيرهم ومباديهم .

والآن ونحن في القرن العشرين والطب قد بلغ من الرقي ما لا يحلم به اليونان ولا الرومان ولا آباؤنا العرب . فماذا نستفيد من هذا البحث ؟

الجواب : ان فائدتنا منه هو معرفة أساليب أطبائنا العرب في تقرير الأمور وفهم المسائل ، وتعليل الأعراض والعلل ، ثم تفكيرهم وما كان لهم من اتجاه

في التمحيص والتحقيق والاستقراء ، والتجربة ، والاستنتاج ، وهي للدلالة على ذهنيتهم العلمية واكتشافاتهم العديدة . ثم لربط ماضينا بحاضرنا . فلا ننسى فضلهم ولا نبتعد عن تطوّر العلم في جميع أنواع الطب والطبابة . ولا عن الاختصاص في فروعها وفروع فروعها ، ولا نهمل الإحاطة بالعلوم الأخرى التي هي من ضرورات العلوم الطبية ، ومقدمات لها ، ولا بالعلوم العامة التي تتعلق بمجتمعنا والبيئة التي نعيش فيها ، وأخيراً لنحافظ على قدسيات هذه المهنة ومستلزماتها لنبقى مثالاً يحتذى به في سيرتنا ومعاملاتنا ، وعلاقاتنا ، وعلمنا ، وأخلاقنا ، ولا نفسد المقاييس التي فرضها علينا العلم وفرضتها علينا المهنة وفرضها علينا المجتمع ، ولا نكون ساعين وراء المادة كتجار ، ولا أطباء عاملين كصوفيين يهملون المادة ويستسلمون للمعنويات . فالمادة بها قوام العيش ، والمعنويات بها قوام الروح ، والبحث والتجرد بهما قوام العقل . والخير أن يعمل الطبيب لدنياه كما يعمل لذكراه .

أما ثقافتنا فلها أدوارها ولا يستطيع الطبيب أن ينال حق الممارسة وحمل هذا اللقب قبل المرور بها منذ أن يدخل الى معاهد التعليم وهو في الخامسة من عمره الى أن يخرج منها وهو في الثلاثين منه اذا ساعده الحظ ، ومكنته الفرص ، وسار بالتعلّم والتحصيل حسب ذكائه ، واستعداده ، وميله ، ومقدار جهده وانشغاله والى أن يتم ما أوجبه التحصيل الابتدائي ، والتحصيل الثانوي ، والتحصيل العالي ، والتحصيل الجامعي ، ثم التخصص والممارسة تحت إشراف المتخصصين من أساتذة الطب والجراحة وأعلامهم في المستشفيات والمخابر والمعاهد الجراحية والطبية .

ولنعلم نحن العرب أن بيننا وبين الغربيين في علومهم ، وفي تفكيرهم ، وفي أسلوب بحثهم العلمي المجرد فارقاً كبيراً وبوناً شاسعاً نحتاج للوصول اليه بما ينوف عن مئة وخمسين سنة مع الجهد والجد والسعي المستديم ، والإرادة

الجبارة مع العلم بأنه يجب أن لا نحتكر العلم ونجعله وقفاً على فئة أو طبقة ؛ بل يجب أن نتركه مشاعاً بين أهل المواهب وأن نحميه من العبث ونحمي رجاله وطلابه من الحاجة كما فعل آباؤنا وكما تفعل الأمم الراقية في عصرنا . والمهم في مسعانا ليس الحصول على الكميات التي نحتاجها من الطب أو سواه ، ولكن الحصول على المنهاج الصحيح والتفكير الصحيح والكيفية التي تمكننا من اكتشاف الحقيقة ، والتجرد للعلم بروح لا يهمها سوى الحصول على المعرفة واظهار الحقيقة ، وبيان الحق .

* * *

مراجع الرسالة

١ — تاريخ (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) لابن أبي أصيبعة موفق الدين أبو العباس المتوفى في (صرخد) من أعمال حوران عام ٦٨٨ ﻫ .

٢ — تاريخ (حكماء الإسلام) لظهير الدين البيهقي المولود عام ٤٩٩ ﻫ والمتوفى عام ٥٦٥ ﻫ .

٣ — (إخبار العلماء بأخبار الحكماء) لجمال الدين القفطي المتوفى عام ٦٤٦ ﻫ .

٤ — (البيمارستانات في الإسلام) للدكتور أحمد عيسى بك .

٥ — (الطب عند العرب) لخير الله .

٦ — كتاب (الأعلام) لخير الدين الزركلي .

٧ — (كتاب ابن خلكان) المسمى (وفيات الأعيان) .

٨ — دائرة المعارف البريطانية .

٩ — (تاريخ التمدن الإسلامي) لجرجي زيدان .

١٠ — (الحضارة الإسلامية) لكردعلي .

١١ — (قاموس الأعلام) لشمس الدين .

* * *

« موضوعات البحث عن ثقافة الأطباء عند العرب »

١ — أهمية البحث عن ثقافة الأطباء عند العرب .

٢ — نتيجة البحث عن أطباء العرب كانوا موسوعيين .

٣ — لماذا تعلموا العلوم العديدة مضافة الى علوم الطب ؟ وهل كان بينهم من تعلم الطب ولم يتعاطه ؟

٤ — ما هو أسلوب تحصيلهم ؟

٥ — تأثير المحيط والمجتمع على ثقافة الطبيب ، وماذا كان يرجى أن يكون الطبيب في مهنته ؟

٦ — هل من الضرورة التخلق بهذه الصفات ولماذا ؟ وهل نحن في حاجة للاقتداء بها ؟

٧ — استعراض وجيز لنشأة الطب عند مختلف الأمم (عند المصريين والبابليين واليونان) ، وسبب انحصار المهنة برجال الكهنوت وسدنة المعابد .

٨ — أبيقراط أول من ألَّف في الطب ووضع الميثاق الطبي . ما هو هذا الميثاق ؟ وما هو الناموس الذي وضعه والوصية التي تركها ؟

٩ — ما هو رأي أطباء العرب فيمن يريد أن يكون طبيباً ؟ شروط الطبيب مهذب الدين بن هبل ، وشروط عميد أطباء القاهرة ابن رضوان .

١٠ — ترجمة أفلاطون وأريسطو وجالينوس وما ألفوه في علم الطب من الكتب ، وما قاله جالينوس عن نفسه .

١١ — النسطوريون وفضلهم على الطب والترجمة ، مدارسهم .

١٢ — بدء ارتقاء الطب عند العرب ، المكتبات والبيمارستانات ، والمعاهد الطبية ، والاجازات ، وأصول التدريس .

١٣ — الأدلة على عناية العرب بالصحة العامة وإنشائهم البيمارستانات ، صورة عن أصول الاعتناء بها والتدريس فيها ، وأسباب توقف الحضارة العربية وانهيار صروح العلم في البلاد العربية .

١٤ — ما امتاز به أطباء العرب في العهود الذهبية للدول العربية ؟

١٥ — فضل العرب على الطب ، أبحاثهم ، ومؤلفاتهم ، وتضحياتهم ، الرازي ، وابن سينا ، وابن زهر .

١٦ — عدد الكتب الطبية التي ترجمها الأطباء السريان .

١٧ — الأطباء المشهورون من العرب : الرازي ، والفارابي ، وابن رشد ، وابن سينا .

١٨ — الفارابي وعقيدته .

١٩ — ابن سينا وتاريخ حياته ، وكتبه ، وما يستنتج من سيرته . شعره ، ووصيته ، والرد على من اتهمه بفرط شهوته .

٢٠ — فضل الأطباء العرب على المدنية :

١ = نشر العلم والتعليم .

٢ = جمع الكتب المخطوطة وترجمتها .

٣ = الدقة والعناية بالترجمة .

٤ = إنشاء دار للترجمة وجلب العلماء لها .

٥ = استخدام الأطباء الغرباء لمكانتهم العلمية .

٦ = إنشاء البيمارستان ومعاهد الطب والمكتبات العامة .

٧ = بذلهم الأموال للعلم والمنشئات .

٨ = تأليف الكتب بعد البحث والتجربة .

٩ = خدمتهم للكيمياء ، والأقرباذين ، والطبيعيات ، والجراحة ، واكتشافهم الكثير من مسببات المرض والعلل ووصفهم لها .

١٠ = أمانة العرب في الترجمة والحفظ .

٢١ — أهم الكتب الطبية العربية الموجودة والمترجمة :

الحاوي ، والملكي ، والقانون ، كتاب تنقيح المناظر ، تذكرة الكحالين ، كتاب التعريف ، كتاب الموجز ، كتاب البشير في المداواة والتبرير ، كتاب المفردات لابن البيطار ، كتاب المختارات ، كتاب التذكرة الهادية في الطب والأقرباذين .

٢٢ — ما امتاز به أطباء العرب من الصفات والأعمال ، وما نحتاج اليه الآن في نهضتنا .

عبد الرحمن الكيالي

نسخة تاسعة

من ديوان ابن عُنين

-٣-

وقال يهجو ابن الحرستاني : لا حرمتنا ص ١٨٥ س ١

ص ١٨٥ س ٨ : ابن النابلسي وقد صفعوه على طريق الممازحة .

ص ١٨٦ س ١ : وقد تباطأ عن الاجتماع بهم .

ص ١٨٦ س ٤ : أي ان هؤلاء (كذا) الاثنين كانا يأمران بصفعه .

ص ١٨٧ س ١١ :

قلت هل ثمّ غير جلد خليع ذي قطوع قد رقّعوه بنعل

وغضب ابن النابلسي من ذلك وبقي مدة لا يطلع الى مجلس السلطان فأمر السلطان الملك المعظّم به فأُحضر وصالحه وخلع عليه وأمر له بمركوب فركب وترك من عنده . فعمل فيه يقول : جالَ على حجرته مَدْلويْهْ .

قال جامع الكتاب محمد بن نبهان التغلبي [1] الدمشقي رحمه الله قلت يوماً لشرف الدين قولك : فلعنة الله على والديه

من أردت بها الوحيّ أو الرشيدَ بن النابلسي . قال أردتهما كليهما ولو خدمتني اللعنة في خمسين من جيرانهم لأردتهم بها فرحمه الله ما كان ألطفه .

وقال أيضاً في الرشيد (بأتمه ص ١٨٧) ثم بعدُ (الرشيد ص ١٨٨ وزاد في عنوان البيتين وقال أيضاً فيه ويذكر أبا المرجّى راويته) .

وقال يهجو الموفق ابراهيم [بن] جعفر بن عليبة (كذا) النابلسيّ وكان يدّعي الشعر والخطّ وعلم الحساب والتصرّف (كذا) . (٢٧)

(١) الاصل غير منقوط .

قالوا الموفّق جعفر متصرّف فأجبتُهم في كل فعل كاَلخرا
قالوا وَيشْمُر قلت يَشْمُر أنّه من نسل كلب كان من شرّ الوَرَى
قالوا فيكتب قلت كم [من] ليلة قد تاب فيها سُرمه[1] متهوّرا
قالوا فيَحْسُب قلت جذْر نسائه[2] ليبيتى (كذا) انهنّ أربحُ مَتْجَرا

(٢٨) وقال يهجو شرفَ الدين يعقوب :

لاشيء أخز[ى] من دمشق وحالها يعقوبُ سائسُها فبئس الحال
وعجبتُ أنّي فاتَ عيسى قتلُه بالسيف وهو الأعور الدجّال

وهو أعور كما ذكر . وعيسى يعني[3] به السلطان الملك المعظم .

وكان الفصيح العجلي الحذري (كذا) الشاعر قد تاب عن عمل الشعر وشرب في زمن الخريف مسهلاً فكتب شرف [الدين] بن عنين اليه :

(٢٩) قل للفصيح مقال خلٍّ وامق مامالَ عن سَنَن الوفاء ولا النوى
لو لم تكن عن نظم شعرك تائباً مااحتجت في فصل الخريف الى الدوا

وكان زين الدين بن فُريج[4] في حماه عند صاحبها الملك المنصور وزيراً
(٣٠) وله خبزامير[5] (كذا) وأجناد وطبلخانات وغير ذلك فقال فيه :

لك يا زينُ منزلٌ فوق كيوا ن رفيعٌ على الدراري أثيرُ
مثل كعب القمار يابن فريج فأمير طوراً وطوراً وزير

وهذا مأخوذ من قول ابن الر[ا]وندي في أمين الدولة بن حرب وزير بكيارق[6] الصغير وقد عُزل بعد أن وَلي مدّة يسيرة :

(١) الاصل بسرمه .
(٢) الاصل نساه .
(٣) الاصل نعى .
(٤) فُريج من أسمائهم سمط اللآلي ٢٧٧ .
(٥) لعله مزامير .
(٦) كذا وهو بركياروق .

حكمت وحكم الله في الخلق نافذ ... وسلّم الليالي غِرّة[1] يافتى حرب

فمازغت عن زَيغٍ وما زلتَ عادلاً ... عن العدل مختالاً من التيه والعُجب

فأصبحت مصروفَ ابن عمّك كارهاً ... كأنك[2] [قد] نلت الوِزارة بالكسب

وهذا معنى شريف مستخرج من مكان سخيف .

وكقوله في ابنَيْ شيخ الشيوخ : (٣١)

ولد الشيخ في الإمارة والفقـــه حليفي (كذا) مال وعزّ وجاه

فأميرٌ ولا قتال عليـه ... وفقيـه والعلم عنـد الله

قوله والعلم عند الله يكاد يأخذ بمجامع القلوب ويحلّ من السامع محلّ المحبوب .

وفيهم أيضاً :

أولا[د] شيخ الشيوخ [إنا] ... ألقابنـا كلّهـا مُحـال (٣٢)

لا فخر[3] فينا فلا عمـادٌ ... ولا مُعينٌ ولا كمال

وقال فيهم وهو بمصر :

إن بني شيخ الشيوخ الأولى ... بعضهم تُمّم بالكامـل (٣٣)

خيـل وبرك وشافيـة[4] ... وما ورا ذلك من طائل

وقال لما مات الملك المعظّم وتسلّم الملك الأشرف دمشق (والبلوى ص ١٣٢) :

وقال في صلاح الدين الملك الناصر يخاطبه عند فتوحه الساحل (بالمساجد ص ٣٢٦) .

---

(١) الاصل مصحفاً عره ، ومختالاً من الية العجب .

(٢) الاصل كأنك قلت الورام .

(٣) أسماؤهم فخر الدين يوسف وعماد الدين عمر ومعين الدين حسن وكمال الدين احمد بنو شيخ الشيوخ صدر الدين أبي الحسن محمد . البداية وذيل الروضتين سنة ٦١٧ هـ .

(٤) كذا .

وأرى الصواب في ص ١٨٨ س ١٠ تظل تَهْذي .

ص ١٩٠ س ٢ : بسطلوسه . ويتلو الأبيات :

(٣٤) وقال يهجو فخر الدين عثمان أستاذ دار الملك الكامل بالديار المصريّة وكان مدحه فلم يعطه شيئاً ولا قضى له حاجة :

أعثمان مُتْ قتلاً بسيف[1] محمّد ... وتقرير هذا أنه ابن أبي بكر

مدحناك لا نرجو نداك وأيّما ... رجا لامرئ يرجو الندى من صفا صخر

ولكن تصدّقنا عليك بشكرنا ... لأنّ بك الفقرَ المُكِبَّ الى الشكر

وكنّا عهدنا المال تؤتى زكاتُه ... وفي مصر أدّينا الزكاة عن الشعر

ص ١٩٨ س ٧ : مَنيكا .

١٠ : من ذا الذي يرثيك ـ غير واضح ثم :

ويروى أيضاً : فتمثّل المرء للعين بقوله ـ الحق لا يبكيك بعد ـ

ص ١٩٩ س ٢ : وقال أيضاً يهجو زين الأمناء بن عساكر .

س ٦ : وقال في المرتضى بن عساكر أيضاً وقد ضربه عِلق[2] كان يحبّه على وجهه بمداس فيه مسامير فأثّرت في وجهه وشجّته[3] فاختفى في داره أيّاماً حتّى برأ وجهه ممّا كان فيه من القروح . والصواب في س ١٠ وقد بَرَحَ الخفا .

ص ٢٠١ س ١٠ و ١١ : لقّبوه الخَرا .

ص ٢٠٢ س ٣ : وأدنى رذالةً .

(١) قتل عثمان (رضي الله عنه) محمد بن أبي بكر (رضي الله عنه) .
(٢) العُلق الساقط المروءة على اقبح وجه - عامّية .
(٣) الاصل وسلخته .

ص ٢٠٤ س ٨ : وبدر الدين حسن وقاضي اليمن . فلقبه جمال الدين كما في الشافعية وطبقات فقهاء اليمن ٢٤٢ وترجم له بامخرمة ٢ × ١١٨ وليس القاضي ثالث البدور وإنما هو ثالثهما في الصفات .

ص ٢٠٣ س ٨ زيادةٌ : بدمشق يهجوه في سنة ٦١٠ هـ .

ص ٢٠٤ س ٥ : حيّة وهو الصواب .

ص ١٣٣ س ٩ : وكان الموفق بن المطران الطبيب يهوى غلاماً اسمه عمر وكان شديد الشغف به وكثرت عليه الشناعة به فلم يجد ما يُنقذه من ذلك إلاّ أنه أسلم . فلما أسلم نَبَزه بالتشيُّع والرِفض فقال فيه يهجوه :

ص ٢٠٧ س ١٣ : لقد مانَ ـ من المَيْن وهو الصواب . ويتلو البيتين : سئل الشيخ النجيب نجيب الدين عن هذين البيتين فقال هما لشهاب الدين فتيان الشاغوري . وهو الصادق في نقله العالم بفرع هذا الأمر وأصله .

ص ١٤٣ س ٢ : تراه جُنَّ

س ٩ : بعده يشير الى القاضي والخطيب .

ص ١١٤ س ٩ : من أحمد العواقب لي .

ص ١٣٦ س ٤ : مائلاً .

ص ١٣٧ س ٤ : زوراً وتجريفاً وإرزاغاً تلطيخاً بالعيب .

ص ٢١٩ س ٥ : واعتلى فوق قدره .

ص ١٤٧ س ٧ : لا جاهُنا يرَجى ولا سطواتنا تُخشى ولا نرَجى .

ص ٢١١ س ٣ : جرجس أرب .

ص ٢١٥ س ١ : وقال في البكري" الخ وكذا في البيت . والثالثُ والرابع :

وقد كفيت الدهر في صرفه من كلّ أمر محقر أو جليلْ
وسوف يضحى رَسْمُها بلقعاً وحسبها أنت وبئس الوكيلْ

س ٦ : لاجين هو حسام الدين بن ست الشام أخت صلاح الدين ترجمته في المرآة سنة ٥٨٧ هـ ·

ص ١٤٤ س ١٢ : وقال في ذمّ ضيوف نزلوا عليه بمدينة بخارا في الليل · وصواب ما هنا واستضافه ·

ص ٢٢١ س ١١ و ١٢ : ابن مازة · والصواب خرط القتادة ·

ص ٢٢٢ س ٨ و ٩ : مني مراماً لم ينله ـ أعيي الكماةَ مرامه ·

ص ٢٢٣ س ١ : قلتُ اذا التاج ·

٢ : من قبح فعليها ·

ص ٢١٠ س ٣ : كما شاؤا وقالوا وجيهي ·

ص ٢٠٢ س ٦ : وكان لنصير أخ اسمه عباس به أبنة ·

ص ٢٢٤ س ١٣ : لأني لا أرى فيكم أخا رَشَد ·

ص ٢٢٨ س ٥ : وقال في الشريف الكحّال ـ لله درّ الأبيات ·

ص ٢٢٩ س ١ : وكان الزنكلونيّ متسلِّم مصحف عثمان فقال يهجوه ·

ص ٢٣٠ س ٩ : ولا تَحرِدنّ إذا ما ·

س ١ : يَبيعَ الخَرا ويَربَحُ ·

ص ١٣٩ س ٣ : قلّما سرت ضارباً في بلاد الله إلاّ رأيت كهفاً ·

ص ١٢٩ س ١ : مارقّت حواشيه ـ ولأبي تمّـام :

رقّت حواشي الدهر فهي تَمَرْمَرُ

ص ٢٣٢ س ٥ : أنواء الحوايا فأنزلت ـ على متنه الأمشاج من كل منزل ·

ص ١٤٠ س ٣ : ولما كان ببلاد العجم كتب بعض الوزراء دائرة على العرب وكتب عليه بهـا شيئاً فلزمه صاحبها يطالبه فكتب الى ذلك الوزير مثلي ·

س ٧ : يريد قوله تعالى : « ومن يعشُ عن ذكر الرحمن نُقيِّضْ له شيطاناً فهو له قرين » . (الميمني)

ص ٢٣٣ س ١ : وقال في الأمير سليمان .

٢ : بشرى مواهبه .

ص ٢٣٤ س ٤ :

فما زادَ مقداراً يزيدَ بمُلكه الـــــرنانُ ولا حَطَّت حسيناً مصائبُهْ

ص ١٩٤ س ٨ : من دُجنَّة الكفر ـ وهو الوجه لأنه أسلم بعد النصرانية .

١٣ : إن قبلتمو عُذري .

س ١٤ : يستثير ـ وهو الصواب .

ص ١٩٥ س ٣ :

وكان هذا المسكين يعمل في الحَمـــــام هـذي نهاية الأمر

س ٦ : مثل مَنْسِم البَكر ـ وهو الصواب .

س ٩ : بالمُحال ـ (الميمني) .

ص ١٣٠ س ٤ : والخيل كالحة الثنايا .

س ٥ : بقَرنان قتالا .

ص ٩٤ س ٢ : ما اجترّ جرماً لا ولا سرقا .

ص ٢١٦ س ١١ : سرى بابه .

ص ١٧٨ س ٦ : بالمؤدد . عنى معن بن زائدة . وهذا لُغز نحوي .

تمّ الديوان المبارك بحمد الله في حادي عشري محرّم الحرام سنة خمس [و] سبعين وسبع مائة الخ . وكلمة سبع غير واضحة .

كراتشي عبد العزيز الميمني

الزجّاجي

حياته وآثاره

ومذهبه النحوي من خلال كتابه « الإيضاح »

- ٥ -

عرض مذهبي

رأينا في حديثنا عن مذهب الزجاجي النحوي أنه كان ابن عصره وبيئته في بسط المذهبين النحويين والأخذ من كل منهما بطرف كما رأينا أنه كان أكثر ميلاً الى مذهب البصريين ، وان استعراضنا للمسائل الخلافية التي تعرض لها كتاب الإيضاح ليؤيد فكرتنا السابقة عن مذهب الزجاجي في النحو .

أ) الزجاجي بين البصريين والكوفيين

لقد ذاع أمر الخصومة بين البصريين والكوفيين من النحويين ، حتى أصبح الخلاف بينهم موضوعاً للدرس والتأليف ، فدرست عوامله ونوازعه ، وبحثت مسائله ، وقام العلماء يحكمون بين الطرفين معتمدين سبيل العدل و « الانصاف » .

إلا ان الحق الذي لا مرية فيه أن البصريين كانوا أوفر حظاً من خصومهم ، فكثرت مؤلفاتهم وشاعت ، وعاشت آراؤهم سيدة متبعة الى يوم الناس هذا ، على حين لا نجد للكوفيين مؤلفاً يجمع شتات آرائهم وانما هي أقوال منثورة نقع عليها في تضاعيف كتب البصريين أو هي استدراكات يسيرة تذكر بعقب الأصول ، أما كتبهم التي وضعوها واتضحت فيها أصول مذهبهم ، فلم تكتب

لها الحياة طوال الأعصر السالفة ، وما عاش منها لم يكتب له أن يرى نور الطباعة والنشر إلا في هذا العصر المتأخر[١] .

وانه ليجدر بنا الآن ـ وقد اندثر عهد الخلاف وماتت دوافعه ـ أن نعود الى النحو جميعه كوفيه وبصريه فننشره ونتدارسه ، فقد يكون في نحو الكوفيين المغمور ما هو أكثر ملاءمة للغتنا وتطورها من نحو البصريين ، وحسبنا أن نعود الى كتاب الانصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري ونطالع فيه آراء البصريين والكوفيين لنعلم أن الحق لم يكن دوماً الى جانب البصريين وان نظرة الكوفيين في بعض المسائل كانت أكثر سداداً وتفهماً لواقع اللغة من نظرة البصريين .

ولا شك أن خير المصادر لأقوال الكوفيين تلك الكتب التي وضعها المنصفون من العلماء فأعطوا كل ذي حق حقه ، وذكروا لكل طرف نصيبه من الإحسان والإساءة ، وأبو القاسم الزجاجي واحد من هؤلاء الذين يؤلفون « ذاكرين ما بين البصريين والكوفيين من الخلاف ، ومحتجين للفريقين بأجود ما احتجوا به . . . غير متحاملين على أحد الفريقين[٢] » ثم انه تلقى علم كل من الطرفين من أصحابه مباشرة ، فأخذ عن ابن السراج تلميذ المبرد ، كما أخذ عن أبي موسى الحامض تلميذ ثعلب ، وعن الزجاج تلميذهما جميعاً .

(١) ظهر في هذا العصر من كتب الكوفيين كتاب « مجالس ثعلب » ويطبع الآن كتاب « معاني القرآن » للفراء وفيه الكثير من آراء الكوفيين النحوية ، إذ هو تخريج لأساليب القرآن العزيز من جهة النحو ؛ ومن الكتب التي حاولت أن تضم قواعد الكوفيين في النحو كتاب « الموفي في النحو الكوفي » لعبد القادر الكنغراوي المتوفى سنة ١٣٤٩ هـ ، وقد طبع في دمشق ، (وهذا الكتاب من مطبوعات المجمع العلمي العربي بتحقيق الأستاذ محمد بهجة البيطار) .

(٢) مقدمة كتاب الأيضاح .

ونحن إن كنا نظرنا الى كتاب الإيضاح فيما سبق نظرة عامة استعرضنا فيها مواده ونظرة أخرى تاريخية ، فقد يفيدنا الآن أن ننظر اليه من الوجهة المذهبية – إذا صح هذا التعبير – لنرى ما سجله من آثار الخلاف بين البصريين والكوفيين .

لقد كان للخلاف بين البصريين والكوفيين نصيب في كتاب الإيضاح ، فكان الزجاجي اذا بحث مسألة من مسائل النحو دار حولها شيء من الخلاف بين النحويين ، يذكر هذا الخلاف ويأتي على الآراء المتباينة شرحاً وتفصيلا ، ورداً أو قبولا ، مع نسبة كل رأي الى صاحبه .

والمسائل التي تناولها الزجاجي بالبحث ، وكانت هي أو عللها مثار الخلاف بين البصريين والكوفيين ، سبع مسائل هي :

١ – الفعل والمصدر أيهما اشتق من صاحبه ؟

٢ – الإعراب أحركة هو أم حرف ؟

٣ – المستحق للإعراب والمستحق للبناء من الأسماء والأفعال والحروف .

٤ – علة دخول التنوين في الكلام .

٥ – علة ثقل الفعل وخفة الاسم .

٦ – علة امتناع الأسماء من الجزم .

٧ – اعراب التثنية والجمع .

كان الزجاجي في بعضها ميالاً الى رأي البصريين – كما هو في المسألة الأولى منها إذ يقول « نبدأ بذكر احتجاج البصريين لمذهبهم لأنه عندنا الصحيح » وفي المسألة السابعة أيضاً إذ يقول « نبدأ بذكر احتجاج مذهب مذهب ، وماله وما عليه ، ونختم الكتاب بمذهب سيبويه ، وما احتج به له وعليه ، لأنه عندنا هو الصواب دون غيره . . » ، وكان في بعضها راوية ينقل عن الطرفين ،

ويسجل ما لها وما عليها دون أن يشير الى رأيه في الموضوع كما هو شأنه في المسألتين الرابعة والخامسة .

وإذا بحثنا عن هذه المسائل في كتاب الإنصاف لابن الأنباري وجدنا فيه مسألتين منها فقط ، هما المسألة الأولى ـ وهي المسألة الثامنة والعشرون من مسائل الإنصاف ـ والمسألة الأخيرة ـ وهي الثالثة من مسائل الإنصاف ـ وأما سائر هذه المسائل فقد تفرد الزجاجي بذكرها على تقدم عهده عن ابن الأنباري .

ويتبين لنا بالموازنة بين ما ذكره كل من الزجاجي وابن الأنباري من هذه المسائل أن الزجاجي كان أقل عناية بالحجج النظرية والعلل الفلسفية من ابن الأنباري ، وان أكبر عنايته كانت موجهة الى ما يجري من هذه الحجج والعلل على أوضاع النحو واللغة ، ومن هنا كان الاختلاف في عرض المسألة الواحدة عند كل منهما وفي الحجج التي يوردها للطرفين .

كما يتبين لنا امتياز الزجاجي بنسبته الرأي الى صاحبه ، أو ذكر من يقول به من العلماء ، فبينما يقدم ابن الأنباري لكل دليل يورده بقوله « ومنهم من تمسك بأن الدليل ... » دون ذكر أحد من أصحاب هذا الدليل نجد الزجاجي يعزو القول الى قائله فيقول قال الفراء أو قال الكسائي ، أو يذكر عالماً أخذ بهذا الرأي فيقول مثلاً « دليل آخر للبصريين وكان شيخنا أبو اسحاق الزجاج رحمه الله يستدل به . »

واذا أحصينا الذين روى الزجاجي عنهم في كتاب الإيضاح من رجال المذهبين وجدناهم متساوين عدداً ، ومتسلسلين زماناً من عصر الخليل الى عصر الزجاجي نفسه وهذا جدول بأسمائهم مرتب حسب مذهبهم النحوي وسني وفاتهم :

الخليل بن أحمد (١٧٥ هـ)

البصريون		الكوفيون	
سيبويه	١٨٠ هـ	الكسائي	١٨٩ هـ
قطرب	٢٠٦ هـ	الفراء	٢٠٧ هـ
سعيد بن مسعدة (الأخفش)	٢١٠ هـ	هشام بن معاوية	٢٠٩ هـ
المازني	٢٤٩ هـ	ثعلب	٢٩١ هـ
المبرد	٢٨٥ هـ	الحامض	٣٠٥ هـ
ابن السراج	٣١٦ هـ	ابن الأنباري	٣٢٧ هـ

وقد روى عن غير هؤلاء ممن خلط بين المذهبين وأخذ عن الطرفين وعدّ بغدادياً كما سنرى وجملة القول إن بحث الزجاجي لبعض مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين يعطينا نماذج من علل كل منهم ، ويطلعنا على منهج تفكيرهم النحوي بل يلفتنا الى أن الكثير مما دار الخلاف حوله لا يعدو كونه أمراً نظرياً جدلياً ، غير ذي قيمة عملية ، وان الكثير من هذا الخلاف تناول العلة في ذاتها أكثر مما تناول المعلول ، إذ كثيراً ما اتفق النحويون على شيء ، ثم فرق بينهم الخلاف في تعليله .

ب ـ مذهب البغداديين والزجاجي

من تمام النظرة التاريخية الى كتاب الإيضاح أن نساير حياة النحو وتطور مذاهبه فيه ، وأن نقف فيه حيث وقف صاحبه به ، والزجاجي لم يقف عند الرواية عن البصريين والكوفيين ، وذكر ما اختلفوا فيه ، بل تابع السير فروى عمن جاء على أعقابهم ومزج بين آرائهم جميعاً .

وان بوادر الخلاف في الرأي إذا كانت قد أطلت بين الخليل (١٧٥ هـ) والرؤاسي وتركزت بين سيبويه (١٨٠) والكسائي (١٨٩) وبلغت أشدها بين المبرد (٢٧٥) وثعلب (٢٩١) ، فان أوارها أخذ يخبو فيما بعد بين تلاميذ المبرد وثعلب ، أولئك التلاميذ الذين فتحت لهم بغداد أبوابهـا وازدحمت بهم مساجدها وامتلأت بهم قصور الخلفاء وغيرهم فيها ، فكانت بيئتهم أرحب من البصرة والكوفة وأوسع ، وكانت أبعد عن حمى التعصب ، وحماسة الجدل ، وعزة التمسك بالرأي ، وكانت بغداد ملتقى علماء البصريين ، فكان فيها بسط للعلم واختيار للآراء وأخذ من كل طرف بقول ، على تفاوت في مدى هذا الأخذ ونفاذه .

وفي هذا العصر « البغدادي » عاش الزجاجي ، وعن هؤلاء العلماء الذين مزجوا نحو البصرة بنحو الكوفة تلقى علومه ، أخذ عن ابن كيسان (٢٩٩) والزجاج (٣١١) والأخفش الصغير (٣١٥) ، وكان كل من هؤلاء الثلاثة تلميذاً للمبرد وثعلب . كما أخذ عن علماء بغداديين آخرين كالطبري وابن الخياط وابن شقير ، وكان عدد الذين روى عنهم من البغداديين لا يقل عمن روى عنهم من بصريين أو كوفيين . وحديث الزجاجي عن هؤلاء يطلعنا كيف حصل التمازج ، وكيف نشأت هذه الطبقة ذات العقلية المعتدلة ، والآراء القائمـة على الانتخاب والاختيار .

فبعض هؤلاء كان كوفياً ، بل من أعلام الكوفيين ، ثم أخذ عن البصريين حتى أحاط علماً بالمذهبين ، يقول الزجاجي « ومن علماء الكوفيين الذين أخذت عنهم أبو الحسن بن كيسان ، وأبو بكر بن شقير ، وأبو بكر بن الخياط ، لأن هؤلاء قدوة أعلام في علم الكوفيين ، وكان أول اعتمادهم عليه ، ثم درسوا علم البصريين بعد ذلك فجمعوا بين العلمين » وقصة تحوّل الزجاج عن ثعلب الى المبرد ليست بعيدة عنا .

وتربنا رواية الزجاجي لآراء البغداديين كيف قامت طريقتهم على انتخاب الرأي الموافق، دون النظر الى نزعة صاحبه، وأنهم كانوا أحراراً في اختيارهم . كما تربنا أي النحوين البصري والكوفي كان أكثر نفاذاً وسيرورة بين المتدلين من العلماء . وإذا كان نحو البصرة هو الذي غلب فيما بعد، وكان حظه من الحياة أوفر، فان هذا لا يعني أن نحو الكوفة أهمل، بل لقد كان من البغداديين من يميل الى رأي الكوفيين في كثير من المسائل ويقول به، ففي بحث المستحق للاعراب من الأسماء والأفعال والحروف كان رأي الخليل وسيبويه وجميع البصريين أن المستحق للإعراب من الكلام هو الأسماء . وأما الأفعال والحروف فمستحقة للبناء . وكان رأي الكوفيين أن الإعراب للأسماء والأفعال وأما البناء فللحروف فقط . وكان من أدلة الكوفيين على صحة رأيهم أن قالوا : اذا كانت الأسماء قد استحقت الإعراب لاختلاف معانيها حتى أننا أعربنا الفعل المضارع لمضارعته الأسماء، فان الأفعال أيضاً تختلف معانيها كما اختلفت معاني الأسماء فتكون ماضية ومستقبلة وموجبة ومنفية ومجازى بها، ومأموراً بها، ومنهياً عنها، وتكون للمخاطب والمتكلم والغائب، وللذكر والأنثى فاذا كان اختلاف المعاني أوجب للأسماء الإعراب عندكم فاختلاف هذه المعاني في الأفعال يوجب إعرابها لأنها مثل ذلك أو أكثر . وإلا فما الفرق ؟ يقول الزجاجي «وكان ابن شقير يعتل بمثل هذا الاعتلال ويردده كثيراً، وكان شديد التعصب مع الكوفيين مع اعتقاده مذهب البصريين . .»

فابن شقير كان عالماً بغدادياً قال بأكثر آراء البصريين، ولكن هذا لم يمنعه أن يقول برأي للكوفيين استحسنه في مسألة ما . وعلى مثل هذا المزج والاختيار قام مذهب بغداد .

أما الزجاجي نفسه، فكان يعرض أقوال البصريين والكوفيين وحججهم،

وكان الميل الى البصريين هو الغالب عليه . وموقفه من هذين الطرفين ، وآراؤه هو آخر ما نتحدث عنه في تأريخنا لمواد كتاب الإيضاح .

لقد كانت نظرة الزجاجي الى النحو نظرة تقوم على الإجلال والقداسة ، لأن النحو هو العلم الذي تعرف به لغة القرآن الكريم وتدرك به أحاديث النبي .

فما زالت العربية ـ إلى أيام أبي القاسم ـ شديدة الصلة بالدين ، فهي لغة القرآن وآلة علومه ، وهو الباعث على حفظها وخدمتها .

وليس في كتاب الإيضاح ما يدلنا على مفهوم « النحو » عند الزجاجي أو عند أهل عصره سوى ما كان من أمر الإشارة الى أخذ معناه من كلمة أبي الأسود الدؤلي حين وضع شيئاً منه ثم قال : انحوا هذا النحو . وأما حده عند الزجاجي فهو اسم لهذا الجنس من العلم .. بل ان مدلول النحو قد يضيق عنده حتى يصبح قاصراً على الإعراب فيقول « ويسمى النحو إعراباً . والإعراب نحواً ، سماعاً لأن الغرض طلب علم واحد » ولعله يريد بذلك أن يبرز انا اهتمام النحاة بالإعراب خاصة من بين موضوعات النحو عامة . وعلى كل فإن هذا الباب الذي تحدث فيه الزجاجي عن حدود النحو واللغة والإعراب والغريب يعطينا فكرة عن وضع المصطلحات واستعمالها في ذلك العصر ، فهي مصطلحات ما زالت ملتصقة بالمعنى اللغوي للمصطلح ، لم تبتعد عنه ، فالنحو من « انحوا » أي اقصدوا ، والإعراب من أعرب أي أبان ، ثم سميت الحركات إعراباً لأنها تبين عن المعاني ... وأما اللغة فهي العربية ...

ومثل هذه البدائية في التعريف والقرب في التعليل ما نجده عند الزجاجي حين يتحدث عن معنى الرفع والنصب والجر أو الخفض ، فيجعلها مأخوذة من حركة الحنك عند التلفظ بها .

على أن الأمر الذي يجب أن نقف عنده ، ونعظم شأنه ونحن نؤرخ لعمل الزجاجي هو تأليفه في العلل ، وحديثه عنها هذا الحديث النظري المجرد .

فقد دارت العلة على ألسن النحويين منذ القديم ، قبل الزجاجي وبعده ، ولكن لم يتحدث عنها أحد من الذين سبقوه ، نعم لقد كانوا يعلّلون بعض أحكامهم ويلتمسون العلل للظواهر اللغوية أو النحوية التي وجدوها ، ولكنهم لم يتحدثوا عن التعليل نفسه من أين استقوه ؟ وما هي أنواعه ومسالكه ؟ وعمل أبي القاسم الزجاجي هو أول خطوة في هذا السبيل إن صح أنه أول من ألف في العلة كما ذكر هو عن نفسه .

ولست أقصد هنا الى الحديث عن تاريخ العلة في النحو العربي ، ولكني أريد أن أذكر أن خطوة الزجاجي هذه ـ وان لم تكن الأولى ـ يمكن اعتبارها بدء التطور في تاريخ العلة ، وفاصلاً بين مرحلتين اثنتين : مرحلة التعليل بأعقاب الأحكام النحوية كما هو الأمر عند سيبويه ومرحلة الحديث عن التعليل ذاته ؛ مصادره وأنواعه ومسالكه كما هو الأمر عند ابن جني . وبعبارة أوضح يمكن اعتبار عمل الزجاجي فاصلاً بين مرحلة التعليل ومرحلة تأريخ التعليل ، كما يمكن اعتبار حديثه عن العلة أول حديث نظري مجرّد وصل الينا .

* * *

مصادر ترجمة الزجاجي

١ — اشارة التعيين الى تراجم النحاة اللغويين لأبي المحاسن عبد الباقي الشافعي . (مخطوط في دار الكتب المصرية بالقاهرة . رقم/ ١٦١٢ تاريخ) الورقة : ٢٦

٢ — الاكمال في رفع الارتياب عن المختلف والمؤتلف من الأسماء والكنى والأنساب لابن ماكولا . (مخطوط في دار الكتب المصرية بالقاهرة . رقم/٨ مصطلح حديث) ج ٢ ورقة : ١١

٣ — إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي ٢ : ١٦٠

٤ — الأنساب للسمعاني : ٢٧٢

٥ — بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : ٢٩٧

٦ — تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١ : ١١٠ والذيل ١ : ١٧٠

٧ — تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر . (مخطوط في المكتبة الظاهرية بدمشق . رقم/ ٨ تاريخ) ج ٩ : ٤٣٢

٨ — الجُمَل للزجاجي . فيه مقدمة لمحققه الشيخ ابن أبي شنب .

٩ — روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات لمحمد باقر الموسوي : ٤٢٥

١٠ — شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ٢ : ٣٥٧

١١ — طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر الزبيدي : ١٢٩

١٢ — طبقات النحاة واللغويين لابن قاضي شهبة (مخطوط في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية بالقاهرة . رقم/ ٢١٤٦ تاريخ تيمور .) ٢ : ٦٥

١٣ — عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي . (مخطوط في دار الكتب المصرية بالقاهرة . رقم ١٤٩٧ تاريخ) . وفيات سنة ٣٤٠

١٤ — فهرسة ابن خير الاشبيلي : ٣٤٤

١٥— فهرسة ابن النديم : ٨٠

١٦ — الكامل لابن الأثير ٨ : ١٩٤

١٧ — مرآة الجنان وعبرة اليقظان لليافعي ٢ : ٣٣٢

١٨ — النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي ٣ : ٣٠٢

١٩ — نزهة الألبا في طبقات الأدباء لابن الأنباري : ٣٧٩

٢٠ — وفيات الأعيان لابن خلكان { طبعة باريس ١ : ٣٨٩
طبعة بولاق ١ : ٣٤٩ }

مازن المبارك

جمال الدين القاسمي

(١٢٨٣ ـ ١٣٣٢ هـ)

ثقافتـــه العامة

روى الإمام القاسمي في ترجمته لنفسه مصادر العلوم الأساسية التي كانت عدة طالب العلم في ذلك العصر ، والتي قرأها على مشايخه . فالمقصد الأصلي عند علماء الدين هو خدمة الشريعة ، بدراسة الكتاب والسنة وفهمها ، والعمل بتعاليمها . فكان طالب العلم يبدأ بحفظ القرآن الكريم ، منذ الطفولة المبكرة . ثم يأخذ بأطراف العلوم الأخرى تباعاً ، وفقاً لتوجيه أستاذه ، ولاستعداده الشخصي . وكان لا بد لفهم الكتاب والسنة من اتقان علوم أخرى ، كاللغة والنحو والصرف والأصول والبلاغة والبديع والبيان وغير ذلك . ولهذا كان كل ما عدا الكتاب والسنة يسمى علوم الآلة ، أي أنها آلات لفهمها .

درج الإمام القاسمي على الطريقة نفسها ، ثم أخذت الملكة الأدبية تنمو لديه بتوجيه من والده رحمـه الله ، وباستعداده الشخصي . فأخذ بالاطلاع على أمهات كتب الأدب ودراسة بعضها دراسة تعمق وإتقان . ثم دفعه ولعه بالاطلاع ، وغرامه بالمطالعة الى اقتناء معظم ما أنتجته المطبعة العربية في عصره ، سواء أكان ذلك من مطبعة الجوائب في القسطنطينية أم المطابع المصرية أم المغربية أم الهندية أم الشامية أم غيرها .

ولعل أوضح عنوان لثقافته العامة مؤلفاته ومكتبته الخاصة التي ما زالت محفوظة حتى اليوم ، والتي بدأ بتأسيسها جده المرحوم الشيخ قاسم ، والتي ضمت

كثيراً من المخطوطات ووسمها أبوه ، ثم أضاف اليها هو نفسه ما استطاع اقتناءه من مخطوط ومطبوع .

ولم يكن لرجال الدين في عصره أي اهتمام بغير كتب الفقـه والآلة . أما الإمام فقد صرف اهتمامه الى جميع أنواع المعرفة التي أخذت في الانتشار ، وعزم على أن يتعلم في شبابه وكهولته ما فاته تعلمه في صغره .

ففي مكتبته الخاصة كتب شتى ، لم يخل واحد منها من تصحيح أو تعليق أو إشارة الى قراءته على أحـد الاختصاصيين . فالى جانب كتب التفسير والحديث والفقه واللغة والتصوف والأدب والتاريخ والأصول وغيرها ، ترى كتب الفلسفة القديمة والحديثة ، وكتب الاجتماع ، وكتب الرياضيات القديمة والحديثة . وقد رأيت في مكتبته أنه قرأ أحدها على المرحوم صادق النقشبندي كما وجدت كتاباً في الرياضيات ، مطبوعاً على الحجر ، اسمه شرح أشكال التأسيس لموسى قاضي زاده ، صححه على نسخة شيخه الشيخ محمد الخاني والمقروءة على شيخه الشيخ محمد الطندتائي ، وذلك عام ١٣٠٨ ، وكتب الجغرافيا ، وقد قرأ أحدها على المرحوم عبد الوهاب الانكليزي . وكان كل من النقشبندي والانكليزي أصغر منه سناً ، ومن شباب الجيل الذين أخذوا العلم في المدارس الحديثة العالية .

أضف الى ذلك رغبته في الاطلاع على الدراسات القانونية الحديثـة ، التي ألفت في مطلع هذا القرن ، وأخرجتها المطابع العصرية ، فترى في مكتبته «مقابلات» وهو أحد الكتب الذي قارن الشريعة الإسلامية بشرائع اليهود ، والقوانين الفرنسية الحديثة .

ولم تخل مكتبته من كتب الفرق الإسلامية ، كالشيعة والزيدية والمعتزلة والظاهرية وغيرها وأخذ عنها في تآليفه ما وجد فيه تأييداً لفكرته ، أو تقوية لطريقته . ورد على بعضها في بعض مؤلفاته .

كما أنها لم تخل من كتب الديانات الأخرى ، كاليهودية والنصرانية [١] . ففيها مجموعة قاربت مئة كتاب ، قرأها كلها ، ودرس مضامينها ، وانتفع بكثير منها لتأييد آرائه وأفكاره .

ومن الآثار الواضحة لثقافته العامة ، مؤلفاته العديدة . فقد ألف في مواضيع نادرة ومتعددة . ويكفي أن تلقي نظرة على أسماء الكتب التي ألفها ، سواء أكان في صباه أو في كهولته ، لترى من هذه الأسماء ، شغف الإمام بفنون المعرفة وألوانها ، ورغبته الواسعة في تناول العلم والإحاطة فيه ، لو أن الإحاطة ممكنة . فالى جانب مؤلفاته في التفسير والحديث والأصول ، ترى كتاباً في تاريخ دمشق ، ورسالة في الجن ، وكتيباً في الشاي والقهوة والدخان ، ومقالة عن القلب ، وسفراً في دلائل التوحيد ، ومباحث في أحكام الشريعة في الجماعة المتماثلة بالواحد ، وكتاباً في الآداب والأخلاق ، الى غير ذلك مما تراه واضحاً في عناوين كتبه وأسمائها .

وترى آثار ثقافته العامة في هذه الكتب نفسها أيضاً ، وتعجب لهذا الشيخ الذي عرف قبل أكثر من نصف قرن ما هي الاشتراكية ، وما مدلولها وما معناها . وكان ذلك في زمان ما أظن أن في البلاد الشامية كلها ، لا بل وفي العالم العربي ، أكثر من أفراد معدودين قد سمعوا بالاشتراكية ووعوا معناها . اسمعه يقول [٢] :

« ان العالِم لما أخذ الله عليه الصدع بالحق ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وأن لا يخاف في الله لومة لائم ، كان معرضاً من أعداء أنفسهم ، وعبيد أهوائهم ، للشنآن والنبز بالألقاب ، فتراهم ان وجدوه يميل للنظر في

(١) في مفكرة عام ١٣٢٤ ــ ٢٠ جمادى الأولى = ١١ تموز ١٩٠٦ : (وأرسل لي في النهار الشيخ طاهر الجازئري عدة كتب من كتب النصارى هدية) .
(٢) الفتوى في الاسلام ص ٦٦ .

الأدلة على الأحكام ، والوقوف على مآخذ المذاهب والأقوال ، وتحري الأقوم والأصلح ، بدون تعصب لإمام ، ولا تحزب لآخر ، نبزوه بالاجتهاد ، وسموه (مجتهداً) تهكماً ، مع أنه بذلك لم يقم إلا بواجبه .

« وان أبصروا ميله لعلوم الحكمة والرياضيات ، وتشويقه لاقتطاف ثماره سموه (طبيعياً) .

« وان رأوا حثه على البذل والانفاق في سبيل الله ، ودعواه الموسرين للعطف على البؤساء ، لقبوه اشتراكياً . . . . . »

ولو قرأت كتابه « دلائل التوحيد » ، لرأيت فيه حصيلة حسنة من علوم الفلك والجغرافيا والحيوان والنبات والجيولوجيا [1] . وينقل عن الفارابي بحثاً فيرى أنه قد استعمل كلمة (اثولوجيا) فيصححها في الهامش ويقول [2] : كذا في الأصل ، وصوابه (ثئولوجيا) ومعناها علم الإلهيات .

ويوم ألف في موضوع الجن رسالته الشهيرة « مذاهب الأعراب وفلاسفة الإسلام في الجن » ، لم تفته الاستعانة بطلابه الذين أتقنوا الفرنسية والانكليزية ، فنقلوا له - على ما يظهر - ما جاء في معجم لاروس وفي دائرة المعارف البريطانية ، ما جاء فيهما تحت كلمة « جن » [3] .

ثم يؤلف كتابه « إرشاد الخلق الى العمل بخبر البرق » ، فيجعل خاتمة (في طرف تاريخية ولطائف أدبية) ، يبحث فيها عن « التلغراف » [4] ومعناه ، واشتقاقه من اللغة اليونانية ، وأول من استعمل الكهرباء في المخابرة عن بعد ،

---

(١) ص ٤٨ وغيرها .
(٢) ص ٦٤ .
(٣) ص ٤٧ – ٤٨ .
(٤) ص ٧٥ .

وكذلك « التلفون » ثم يحيل المطالع الى دوائر المعارف والمعاجم . ولا يغيب عن ذهنه أن يشير في بضعة أسطر الى (التلغراف اللاسلكي) الذي كان حديث العهد بالظهور ، يوم وضع هذا الكتاب ، حيث لم يمض على تجاربه الأولى أكثر من ثلاث سنوات .

ويحدث أن يصاب عام ١٣٢٠ بمرض « البواسير » ، فيتألم ، ويدفعه ألمه الى البحث عن هذا المرض بحثاً علمياً ، ويضع في ذلك رسالة معروفة سماها : « ما قاله الأطباء المشاهير ، في علاج البواسير » التي قال عنها الأستاذ الدكتور عزة مريدن عميد كلية الطب وأستاذ علم الأدوية وفن المداواة ، بعد أن اطلع عليها : « رسالة جامعة لكل ما يريد الباحث معرفته مما قيل عن هذا المرض قديماً وحديثاً . ولئن كانت الرسالة لم تتضمن من الأدوية ما عرفت تأثيراته في الأيام الأخيرة ، فلأن المؤلف رحمه الله لم يلحق عهد المُرْدِيات ، وعهد النهضة الطبية الحديثة . ومع ذلك فان الرسالة تظل تحمل قيمتها العلمية والأثرية ، فضلاً عما تحمله بين طياتها من معاني الدأب ، والدقة في البحث ، والحرص على الاطلاع ..... »

ويبدو له أن يؤلف كتاباً في « شرف الأسباط » ليؤكد فيه أن الاتصال من ناحية الأم ، هو كالاتصال من ناحية الأب ، لا فرق بينهما من الوجهة الشرعيــة ، ويروي أدلته من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين والأئمة ، ثم يضيف الى هذا كله ما قاله علماء (البيولوجيا)[1] ـ علماء الحياة ـ من موافقة الأولاد لوالديهم في بعض الأوضاع الجنسية ، والصفات النفسية ....

ويعقد في كتابه « تعطير المشام ، في مآثر دمشق والشام » فصلاً عن « الزراعة في الشام والذرائع لاصلاحها » ، فتراه يشير الى السمادات الكيماوية

(١) ص ٤٥ .

وأنواعها : الفسفورية ، والبوتاسية ... والى ضرورة استعمال الآلات الميكانيكية في الحرث والحصاد ، والى الآفات والأمراض والحشرات الزراعية وطرق مكافحتها [١] ....

ويؤلف كتاباً يسميه « جوامع الآداب » ، فيتحدث فيه عن (أدب النائب في مجالس المبعوثين [٢]) . فترى في هذا البحث من معاني الديمقراطية ، ما لم يكن معروفاً ولا مألوفاً في ذلك الزمان ، فالنائب « لا يطلب بين خزائن النقود ، ولا من وراء مجوف النعمة ورغد العيش ، فان من ترفع عنك لا يهبط اليك » .

ولا يفوته حين يشير الى صفات النائب أن يشترط تضلعه في علم الحقوق ، ومعرفته لحركة المجالس النيابية عند الأمم الراقية ، وإدراكه علائق حكومته بحكومات أوربا ، وما نالته منا من الامتيازات [٣] ، وأن يكون قادراً على الاستخراج من كتب السياسة والإدارة والقضاء باحدى اللغات الأجنبية .

ويدرك ببصيرته النافذة ما للمخترعات الحديثة من خطر في تطوير المجتمع ، وما ينتظر لها من تقدم وارتقاء فيعلن أن « ما ظهر من التلغراف هو قطرة من بحر ما سيظهر في العصور التالية من المكتشفات والمخترعات (ويخلق ما لا تعلمون) مما فيه مرتفق للناس ، ومنتفع لهم ، وخدمة لعامة طبقاتهم [٤] ... »

ويضيف الى هذا ضرورة الاستفادة منها فيقول : « فاذا لم تطبق أمورها على الأصول المقررة بالاستنباط أو القياس ، فهل نجمد في الدين ، ونخالف طريقة المتقدمين والمتأخرين ، ونضيق ما وسعه الله من الفهم والاستنباط أبد الآبدين [٣] . »

(١) تعطير المشام : ج ٣ (مخطوط) .
(٢) ص ١١٢ .
(٣) يلاحظ أن هذا البحث كتب في ظل الحكم العثماني .
(٤) إرشاد الخلق ص ٤ .

ولم يقف رحمه الله عند حدود كتب الشريعة واللغة والأدب والتاريخ ، وإنما تعداها الى كتب القوانين الحديثة وشروحها ، والمبادئ التي أخذت بها ، فيستشهد بقانون التجارة وشروحه ، وقوة المراسلات - منها البرق - في الاثبات بين الخصوم [١] .

ولا يتردد في تقرير كروية الأرض ، في وقت كان الناس يرون القول بها كفراً [٢] .

ويؤلمه جهل المفتين ، فيدعو لا الى ضرورة احاطتهم بعلوم الشريعة فحسب ، بل الى وجوب معرفتهم بالعلوم الرياضية ، فيعقد لذلك فصلاً هاماً في كتابه « الفتوى في الإسلام [٣] » .

ومن مشاكل العالم الكبرى في العصر الحديث « التمييز بسبب العنصر أو العرق أو اللون » وقد استأثرت هذه المشكلة بأبحاث الكثيرين من العلماء في الشرق والغرب ، كما كانت وما زالت موضوعاً رئيسياً من مواضيع المؤتمرات والهيآت الدولية [٤] . وقد نعجب حين نعلم أن القاسمي قد عالج هذا الموضوع عام ١٣٢١ - ١٩٠٤ فقرر أن « منشأ هذه الخرافة استعباد الزنوج ، وأن من أحنى قامة الذل والهوان ، نهض يطالب بحقوقه المهضومة ، ويناقش ظُلاَّمَهُ الحساب [٥] . »

ويرى أن « السياسة مصابرة المكاره ، ومسايرة الأهوال والمصاعب ،

(١) إرشاد الخلق ص ٥٧ .
(٢) دلائل التوحيد ص ٣٥ .
(٣) ص ٥٠ .
(٤) راجع قرارات مؤتمر الحقوقيين الآسيويين الافريقيين المنعقد في دمشق بين ٧ - ١٠ تشرين الثاني ١٩٥٧ ص ١٥٦ وقرارات مؤتمر التضامن الآسيوي الافريقي المنعقد في القاهرة .
(٥) دفتر أواخر شوال ١٣٢١ (مخطوط) الورقة ٣٩ .

وركوب الأسنة ، وتحيّن الفرص والظروف . وأن أصارع القوي وأنا الضعيف ، وأكافح الكمي وأنا الأعزل .[١] »

وقد أولع عام ١٣٢٤ = ١٩٠٧ بفقه اللغات (فيلولوجيا) ، وأخذ يبحث عن أصول بعض الألفاظ المعرّبة من لغاتها الأصلية : اليونانية ، والسريانية ، والعبرية ، والفارسية ، والقبطية ، والألمانية ، والإيطالية والفرنسية وغيرها . وقيد في مفكرته اليومية[٢] لذلك العام بعض دراسته في هذا الموضوع الفني ، مشيراً أحياناً الى مصدرها .

وعلى الجملة فقد كان رحمه الله آخذاً بأطراف المعرفة من كل سبب ، لم يمنعه عن ذلك مخالفة في الدين أو المذهب أو العقيدة أو الطريقة . وأتاحت له حريته الفكرية أن يجول في آثار عقول الأمم على اختلاف مللهم ونحلهم ، يحدوه الى ذلك رغبته في خدمة الشريعة ، وهدفه في الإفادة والاستفادة .

ظافر القاسمي

(١) المصدر نفسه الورقة ٤٢ .
(٢) ٢١ ـ ٣٠ ذي الحجة ١٣٤٢ .

متنبي ايران في الشام

سعدي الشيرازي

سعدي الشيرازي ، مصلح الدين ، أبو محمد ، عبد الله بن مشرف بن مصلح ابن مشرف ، أكبر شعراء ايران ، وإمام الأدب الفارسي في كل العصور .

لقب بالشيخ سعدي[1] ، انتساباً الى الأمير الشاهزاده[2] الأتابك ، مظفر الدين (سعد)[3] بن أبي بكر سعد بن زنكي ، حاكم شيراز[4] . فقد تعوّد الشعراء غير العرب ، وبعض الشعراء العرب المتأخرين ـ أيضاً ـ التلقب في شعرهم باسم يختارونه ، ويشتهره الناس ، يسمّى (التخلّص) . وهم يذكرونه عادة في آخر أبيات القصيدة والغزل أو ما قبله[5] .

ولد سعدي في شيراز[6] ـ مدينة البلبل والورد ـ في العشر الأول من القرن السابع الهجري[7] . وذاق ألم اليتم وهو طفل ، وحرم ظل الأبوة

---

(١) تلخيص مجمع الآداب ص ٥٥١

(٢) الشاهزاده : أي ؛ ابن الملك . تراجع المتنبي وسعدي ص ٥

(٣) تاريخ گزيده ج ١ ص ٨٢٠ ، وتلخيص مجمع الآداب ص ٥٥١

(٤) توفي سنة ٦٥٨ هـ ـ تراجع تاريخ گزيده ج ١ ص ٥٠٨

(٥) لاحظ « التخلص » في : فضولي البغدادي ص ٩ وفرنودسار ج ٢ ص ٨٢٩ ، وفرهنگ نظام ج ٢ ص ٢٢١ ، وتاريخ الشعر العثماني ج ١ ص ١٠٣ ـ ولم يوفق صاحب كتـــاب « مباحث عراقية » ج ٢ ص ٢٢٣ إلى الصواب في شرح معنى التخلص .

(٦) گلستان ص ١٣٦ : « سألني عن مولدي ؟ قلت : ارض شيراز »

(٧) سعدى نامه ص ٧٩ ـ ٨٠

وهو صبي[١] . وقد كان رجال أسرته كلهم علماء[٢] فشدا مقدمات العلوم في بلدة شيراز[٣] . وفارقها أيام اضطراب بلاد فارس ، قبل سنة ٦٢٣ هـ[٤] ، فأتى العراق ـ[٥] وهو في ريعان شبابه .

وقد كانت بغداد ـ حينئذ ـ دار العلم وينبوع الآداب[٦] . فقرأ في معهدها القرآن والحديث والكلام ، وسمع في مدارسها التفسير والأدب والفقه ، وتعلم في مساجدها الوعظ ، وتلقن في مجالسها الحكمة والشعر[٧] .

وأقام بالمدرسة النظامية[٨] ، ودرس فيها ، وعيّن معيداً بها[٩] واتصل بأساتذتها ، فاغترف من علمهم ، واستفاد من أدبهم ، واجتمع مع كثير من الصوفية والعارفين ، ولا سيما الشيخ شهاب الدين السهروردي[١٠] ، والشيخ جمال الدين ، أبي الفرج ، عبد الرحمن بن محيي الدين أبي محمد يوسف بن جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ؛ ابن الجوزي[١١] .

---

(١) قال في بوستان ص ٧٠ : « انا اعرف الم الأيتام ؛ فقد حرمت ظل الوالد وانا طفل »
(٢) قال في غزليات ص ١٨ : «كل اسرتي علماء »
(٣) مقدمة قريب صفحة / ل
(٤) سعدي نامه ص ٧٧
(٥) سعدي نامه ص ٧١
(٦) المتنبي وسعدي ص ٤٠ ـ ٤٧
(٧) المتنبي وسعدي صفحة يو ـ يح
(٨) سعدي نامه ص ٧١
(٩) قال في بوستان ص ١٨٦ : « كنت اعيد الدروس في النظامية ليلاً ونهاراً ، وأعطى فيها ادراراً »
(١٠) شد الازار ص ٤٦١ . وقال سعدي في بوستان ص ١٧٥ : « محضني الشيخ العالم المرشد الشهاب نصيحتين . . »
(١١) گلستان ص ٦٥ : « أمرني الشيخ الأجل ابو الفرج ابن الجوزي ـــ رحمة الله عليه ـــ بترك السماع »

ثم سافر من بغداد إلى الشام ، وأقام بها ، واعتكف في جامعها [١] ، وصادق أفاضلها [٢] ، ولبث فيها سنين ، وجوّب في بلادها . فقد وعظ في جامع بعلبك [٣] ، وأسر مع الافرنج في خندق طرابلس [٤] ، وتزوج ابنة بعض رؤساء حلب [٥] ، ووصف دمشق لمّا أسنتت ، وقحط مطرها ، وأصاب أهلها الجدب [٦] ؛ في عصره ـ في أواسط القرن السابع الهجري .

وذكر تجارة حلب في أيامه ؛ فقد كان تجار جزيرة كيش في الخليج الفارسي ـ ـ كما يقول ـ يتسوّقون فيها ، فيأتون بالفولاذ الهندي ، ويحملون الزجاج الحلبي إلى اليمن [٧] وقد ذكر سعدي سورية في ١٦ موضعاً [٨] من (الكليات) ـ عدا ديوان الغزل ـ وتخلل ديوانه منها اسم بعلبك [٩] ، وحلب [١٠] ، ودمشق [١١] ، والشام [١٢] ، وطرابلس [١٣] ، ولبنان [١٤] .

(١) گلستان ص ٢٥
(٢) گلستان ص ٧٤
(٣) گلستان ص ٦٠
(٤) گلستان ص ٧٤
(٥) گلستان ص ٧٤ – ٧٥
(٦) بوستان ص ٣٦ - ٣٨
(٧) گلستان ص ١٠٠
(٨) سيأتي تبيانها في ختام المقالة
(٩) گلستان ص ٦٠
(١٠) گلستان ص ٧٤ و ٨٨ و ١٠٠
(١١) گلستان ص ٢٥ و ٥٩ و ٧٤ و ١٤٦ – وبوستان ص ٣٦ – ٣٨
(١٢) گلستان ص ٦٩ و ١٥٥ و ١٦١ – ومواعظ ص ٨٤ و ٣٩٥ .
(١٣) گلستان ص ٧٤
(١٤) گلستان ص ٥٩

وغادر الشام فورد أرض الروم (تركية) وسار في الآفاق ، وزار كثيراً من الممالك الاسلامية ؛ فالتقى برجال العلم والثقافة في ذلك العصر [١] .

أدرك سعدي سقوط الخلافة ، فبكى على بني العباس ، ورثى بغداد والمدرسة المستنصرية بقصيدة طويلة [٢] في ٩٣ بيتاً ، وتمنى لو مات قبل أن يرى خراب مدينة السلام ، وشبّه نفسه بالخنساء في كثرة البكاء على بغداد [٣] . ولم يستطع أن يبقى في العراق بعد داهية المغول ؛ فرجع الى شيراز - في أواخر عهد سعد بن زنكي [٤] . ولكنّه ظل وفيّاً للعراق ؛ يلهج به ، ويثني عليه ، ويحيّيه . وقد ذكره في ٥٧ موضعاً من ديوانه [٥] ، وكان يقول :

لم تطب لي الإقامة
في أي مكان
بعد العراق [٦]

وقال :

ضاق صدري في شيراز
فاذكروا لي بغداد [٧]

وهكذا كان شأن الشام ، التي لم تلتق إلاّ بذكراها شفتاه ، ولم ير مثلها دار إقامة - إذا ضاق صدره بالحياة في وطنه ، وملّ فارس ، وسئم شيراز .

(١) المتنبي وسعدي ص ٦ ، وتراجع منتخبات أدبيات فارسي ص ٢٢١ ، وسعدى نامه ص ٧١ ، ومقدمة قريب صفحة / له
(٢) ديوان « مواعظ » ص ٩١ - ٥
(٣) المتنبي وسعدي صفحة / يح ، وتراجع ص ٧٣ - ٧٧
(٤) سعدي نامه ص ٧٧ ، والمتنبي وسعدي ص ٦
(٥) تراجع - المتنبي وسعدي ص ٦٦ - ٧٧
(٦) ديوان « غزليات » ص ٣٢٨ ، والمتنبي وسعدي ص ٧١
(٧) ديوان « غزليات » ص ٢٠٤ ، والمتنبي وسعدي ص ٧٠

وكان سلطان شيراز وابنه يحترمان سعدي، ويعظمانه، ويستفيدان من أدبه، ويقتبسان من حكمته[١].

وأمضى هذا الحكيم النابغة أواخر عمره في الإرشاد، والموعظة، وهداية الناس، والدعوة إلى المثل الإنسانية، ومكارم الأخلاق[٢]. حتى توفي في سنة ٦٩٤ هـ[٣] ودفن في خانقاهه بشيراز[٤].

وقد أحاطت به قدسية عريضة بعد موته، وما زال قبره مزار الناس كافة، يتيمنون به ويتبركون[٥].

أحب سعدي العراق، وأغرم بالمتنبي فيه، وهنالك تلقى ديوانه، وأولع به، وأعجب بشعره[٦].

ولا يتعجب أحد من عناية سعدي بديوان المتنبي، فان للمتنبي مكاناً مرموقاً في الأدب الفارسي[٧]، وأثر أفكاره واضح شديد في كتب المؤلفين، ورسائل الكتاب، ودواوين الشعراء.

فقد اقتبس منه فحول شعراء ايران؛ كالعنصري البلخي[٨] والمنوچهري الدامغاني[٩]، وفخر الدين الكرگاني[١٠]، والأسدي الطوسي[١١]، ومسعود

(١) منتخبات ادبيات فارسي ص ٢٢١
(٢) المتنبي وسعدي ص ٧
(٣) الحوادث الجامعة ص ٤٨٩
(٤) شد الازار ص ٤٦٢
(٥) المتنبي وسعدي صفحة / يج
(٦) المتنبي وسعدى صفحة / يح
(٧) المتنبي وسعدي ص ١٠ — ١٧
(٨) توفي سنة ٤٣١ هـ
(٩) توفي سنة ٤٣٢ هـ
(١٠) توفي بعد سنة ٤٤٢ هـ (ظ ؟)
(١١) توفي بعد سنة ٤٦٨ هـ (ظ ؟)

سعد سلمان [١] ، والأمير المعزي [٢] ، والأديب صابر الترمذي [٣] ، والانوري [٤] ، وجمال الدين الاصفهاني [٥] ، وظهير الدين الفاريابي [٦] [٧] وهم أركان الأدب الفارسي . ولا يخلو كتاب فارسي من التمثل بأبياته [٨] [٩] .

ترك سعدي كتاب (گلستان) وثلاثة دواوين في ١٣٠٠ صفحة ، تشتمل على ١٧٠٠٠ بيت أو أكثر .

---

(١) توفي سنة ٥١٥ هـ

(٢) توفي بين سنة ٥١٨ و ٥٢١ هـ

(٣) توفي سنة ٥٤٦ هـ

(٤) توفي سنة ٥٦٥ هـ

(٥) توفي سنة ٥٨٨ هـ

(٦) توفي سنة ٥٩٨ هـ

(٧) وتراجم المتنبي وسعدي ص ١٨ ـ ٣٢

(٨) ككتاب كشف المحجوب للهجويري ، وتاريخ بيهق لأبي الفضل البيهقي الكاتب ، ومكاتيب فارسي غزالي للغزالي ، وتمهيدات لعين القضاة الهمداني ، وكليله ودمنه الفارسي لنصر الله بن محمد بن عبد الحميد المنشئ ، وچهار مقاله للعروضي السمرقندي ، وعتبة الكتبة لمؤيد الدولة بديع اتابك الجويـــني ، وتاريخ بيهق لابن فندق ، وسندبادنامه للظهيري السمرقندي ، وحدائق السحر للوطواط ، وعقد العلى لأفضل الدين الكرماني ، والتوسل إلى الترسل لبهاء الدين محمد بن المؤيد البغدادي ، وروضة العقول للملطيوي ، وراحة الصدور للراوندي ، وترجمة تاريخ اليميني للجرفادقاني ، ومرزبان‌نامه للوراويني ، ولباب الألباب للعوفي ، والمعجم في معايير اشعار العجم لشمس الدين الرازي ، وبدائع الأزمان ، والمضاف الى بدائع الأزمان لحميد الدين الكرماني ، وتاريخ طبرستان لبهاء الدين بن اسفنديار الكاتب ، ونفثة المصدور للزيدري ، ومرصاد العباد لنجم الدين الرازي ، وتاريخ جهانگشاي لعلاء الدين الجويني ، وطبقات ناصري للجوزجاني ، ومكتوبات ، ومجالس سبعة ، وفيه ما فيه للمولوي ، والأدب الوجيز للخواجة الطوسي ، وتاريخ نامه هراة للهروي ... الخ

(٩) تراجم المتنبي وسعدي ص ٣٣ ـ ٣٧

أمَّا (گلستان) فلا نعرف كتاباً فارسياً بلغ ما بلغه هـذا الكتاب من الانتشار والاشتهار وبُعد الصيت ، فإنه يوجد في كل بيت ، ويقرأه كل من أظلته سماء ايران .

وشعره هنالك محفوظ ؛ ترويه الألسن ، ويتداوله الناس أجمعون ، ويتمثل به الأدباء والعامة في كل أمر .

هذا ـ وديوانه مرآة تبيّن أثر الثقافة العربية ، التي تلقاها سعدي في العراق ، ولا سيما معاني المتنبي ، الذي حفظ سعدي ديوانه ، وكان كثير النظر فيه معجباً به . وقد قال فيه :

كنت أطالع جزءاً من ديوان المتنبي

سفينة بحر المعاني الحافل بالدر النفيس

فاحتقـرت شعري

وليس للسهى نور تجـاه الشمس[1]

وما زال تراث سعدي الإنساني حيًّا يعنى به رجال الفكر في الشرق والغرب ، سواء منهم القدماء والجدُد .

وهو الثاني من أعلام الأدب العالمي الذين أحيى الاتحاد السوفيتي ذكراهم ؛ فقد أقامت موسكو مهرجانه في صيف سنة (١٩٥٨) واحتفت به .

وغزله المحتشم انموذج عال لأدب الحب والصبابة ورقة الشوق . والعنـاية الزائدة والرغبة الشديدة ـ الآن ـ منصبة إلى كتابيه (گلستان) و (بوستان) .

يحتوي (گلستان) على ثمانية أبواب :

---

(١) المتنبي وسعدي ص ١٦

الأول — في سير الملوك .

الثاني — في أخلاق الصوفية والفقراء

الثالث — في فضيلة القناعة .

الرابع — في فوائد الصمت .

الخامس — في العشق .

السادس — في الضعف والشيخوخة .

السابع — في تأثير التربية .

الثامن — في آداب الصحبة .

ويشتمل بوستان على ١٥٩ حكاية في عشرة أبواب :

الأول — في العدل والتدبير والرأي .

الثاني — في الإحسان .

الثالث — في العشق والسكر .

الرابع — في التواضع .

الخامس — في الرضا .

السادس — في القناعة .

السابع — في عالم التربية .

الثامن — في الشكر على العافية .

التاسع — في التوبة وطريق الصواب .

العاشر — في المناجاة .

وترك سعدي أيضاً ـ ديواناً صغيراً بالعربية ؛ قوامه ٢٥ قصيدة وغزلاً ومقطعة ، في ٣٧٤ بيتاً ، عدّ عمّا في ديوان شعره الفارسي ، من الشعر العربي ،

في مطالع القصائد، ومقطعات الغزل، وأثنائها على سبيل التلميع[1].

ويحتوي ديوان غزله الفارسي على ٦٣٧ غزلاً، وترجيع بند طويل في ٢٥١ بيتاً و ٣١ مقطعة، و ١٤٧ رباعية.

وفي ديوان المواعظ ٥٥ قصيدة و ٧ مراثي و ٥٩ غزلاً، ومثلثات ملمعة و ٢٢٧ مقطعة، و ٥٦ رباعية، ومثنوي في ٤٦ بيتاً، و ٧٩ بيتاً مفرداً. وقد طبعت جميعاً في ديوان كبير يسمّى (كليات سعدي) في طهران سنة ١٣١٦ — ١٣٢٠ الشمسية.

ومن رقيق شعره العربي:

يا نديمي قم بليل واسقني واسق الندامى
خلني أسهر ليلي ودع الناس نياما
اسقنيها وهدير الرعد قد أبكى الغماما
وشفاه الزهر تفتر من الضحك ابتساما
في زمان سجع الطير على الغصن رخاما

(١) تراجع: گلستان ص ١٣ و ٢٩ و ٥٦ و ٦٩ و ٧١ و ٧٦ و ٨١ و ٩٣ و ٩٦ و ٩٧ و ٩٩ و ١٠٣ و ١٠٦ و ١١١ و ١١٥ و ١٢٠ و ١٣٥ و ١٣٦ و ١٣٧ و ١٣٩ و ١٥٠ و ١٧٥.
وبوستان ص ٤ و ٥ و ٦ و ٨ و ٤٧ و ٩١ و ١٠٧ و ١٨٣ و ٢٠٣ و ٢٤٢.
وغزليات ص ٥ و ٢٩ و ٤٧ و ٩١ و ١٥٧ و ١٥٨ و ١٨٩ و ١٩١ و ١٩٤ و ١٩٥ و ٢٥٢ و ٢٦٣ و ٢٨٨ و ٢٨٩ و ٢٩٠ و ٣٢٧ و ٣٢٨ و ٣٢٩ و ٣٣١ و ٣٣٢ و ٣٣٣ و ٣٦٠ و ٣٦١ و٣٦٩ و ٣٧٣ و ٣٧٤.
ومواعظ ص ١ و ٢ و ٣٨ و ٤١ و ٤٢ و ٤٣ و ٤٥ و ٥٢ و ٦١ و ٦٢ و ٨١ و ٩٢ — ١١٢ و ١٥٠ — ١٥١ و ١٥٣ — ١٥٤ و ١٨٩.
وبهداه اقتدى حافظ في ديوانه ص ١١ و ١٧٠ و ٢٠٤ و ٢٠٥ و ٢٠٦ و ٢١١ و ٢١٢ و ٢٩٥ و ٣٠٤ و ٣٠٥ و ٣١٨ و ٣٢٢ و ٣٢٣ و ٣٢٤ و ٣٢٥ و ٣٢٦ و ٣٢٩ و ٣٣٠ و ٣٣١ و ٣٣٣ و ٣٤٤ و ٣٦١

وأوان كشف الورد عن الوجه اللثاما
قل لمن عير أهل الحب بالحب ولاما
ما عرفت الحب هيهات ولا ذقت السقاما [١]

ومن معانيه الجميلة بالفارسية ، قوله :

اسأل عمّا تجهل
فإن ذل السؤال
دليل طريقك إلى عزّ العلم

وهو أول من جهر بأخوة البشر ، والمعاني الإنسانية من شعراء الشرق ، في كتاب گلستان ؛ فقال :

« بنو آدم بعضهم أعضاء بعض ،
وهم في الخلقة سواء .
فإذا تألم عضو ؛
تألمت جميع الأعضاء » [٢] [٣]

ويعد سعدي رسول الأدب العربي إلى الأدب الفارسي ؛ فقد ترجم كثيراً من نتائج الفكر العربي . اقتبس ١٠٢ آية [٤] و ٩٧ حديثاً [٥] ، ونقل

(١) مواعظ ص ١٠٨
(٢) گلستان ص ٢٥
(٣) مقتبس من الحديث الذي رواه نعمان بن بشير ، قال : « سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : إنما المؤمنون كجسد رجل واحد ، إذا اشتكى عضو من أعضائه ، اشتكى جسده أجمع ، وإذا اشتكى مؤمن اشتكى المؤمنون — تراجع عوارف المعارف ج ١ ص ٢٢٤ — ٢٢٥
(٤) المتنبي وسعدي ص ٨٠ — ١٠٢
(٥) المتنبي وسعدي ص ١٠٣ — ١٣١

٨٦ مثلاً [١] ، و ١٤ قصة [٢] . وأخذ ١٠٠ معنى من المتنبي [٣] ، في ٣٠٠ موطن تقريباً [٤] ، واستمد من دواوين ١١٥ من الشعراء العرب [٥] . وجاء بكل أولئك في كلامه ، وعمل عمل السحر في سلاسة اللفظ ، ونقاء العبارة ، وجمال العرض ؛ حتى لنقضي أن تلك المعاني له ، ومن اختراعه [٦] .

هذا ـ وأمّا مواطن ذكر الشام في (گلستان) ، فها هي ذه ، أثبتها نقلاً من كتاب (ترجمة الجلستان) الذي ترجمه الخواجا جبرائيل بن يوسف ؛ الشهير بالمخلّع إلى العربية ، وطبع بمصر سنة ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١ .

وسأشير إلى مظانها في الأصل الفارسي ، اتكالاً على طبعة محمد علي فروغي ، التي تقدم ذكرها .

-١-

(حكاية) اعتكف في سنة مّا ، على رأس تربة يحيى النبي ـ عليه السلام ـ بجامع دمشق الشام . فاتفق أن ملكاً من ملوك العرب ، كان موصوفاً بالشقاق ، والقول بعدم انصافه كلمة اتفاق . فجاء للزيارة وصلى ، ودعا وطلب حاجة من المولى

ذو العبد والمثري عبيد رحابه

وأخو الغنى أوفى احتياجاً وافرا

(١) المتنبي وسعدي ص ١٣٢ ـــ ١٥٩

(٢) المتنبي وسعدي ص ١٦٠ ـــ ١٦٩

(٣) المتنبي وسعدي ص ٢٢٥ ـــ ٢٧٩

(٤) المتنبي وسعدي صفحة / يط

(٥) المتنبي وسعدي ص ١٧٠ ـــ ٢٢٣

(٦) المتنبي وسعدي ص ٦٣

وبعد ذلك التفت بوجهه إلي ، ودنا مقبلاً عليَّ ، وقال من هذا المقام ، الذي هو همة الدرويش الكرام ، وصدق معاملتهم مع الملك العلام .

وجه الخاطر برافقتي ، فانني متفكر من العدو الصعب ، في مضايقتي ؛ فقلت له : ارحم ضعيف الرعية ، حتى لا ترى مشقة من الأعداء القوية

جور القوي على الضعيف بيأسه

خطأ وفقـد مروءة وتعسف

. . . الخ »(١)(٢)

(٢)

(حكاية) اتفق لواحد من صلحاء جبل لبنان ؛ وقد كان من الكمّل الأعيان ، ومقاماته في ديار العرب مذكوره ، وكراماته كثيرة مشهوره ؛ انه دخل جامع الأمويين في دمشق الشام ، وأقبل على الوضوء باهتمام . فبينما هو على حرف بركة الكلاسة بذلك الجامع ، إذ زلقت رجله ، فسقط في الحوض الواسع ، وما خلص من تلك الشدائد ، إلاّ بعناء زائد . . . »(٣)(٤)

(٣)

(حكاية) كنت في جامع بعلبك أقرر كلمات وعظية ، إلى جماعة كالصخر

---

(١) ترجمة الجلستان ص ٤٢ - ٤٣

(٢) گلستان ص ٢٥

(٣) ترجمة الجلستان ص ٧٣

(٤) گلستان ص ٥٩

في الجمودية ؛ قلوبهم ميتة ، وعقولهم مشتتة . ما أمالوا طريقها من عالم الصورة إلى جانب المعنى ، ولا استضاءوا بكل ما ألمنا ... »[١][٢]

(٤)

«سألوا واحداً من مشايخ الشام ، عن حقيقة التصوف في الاحكام ؛ فقال : قد كان أهله قبل هذا الأوان طائفة متفرقين بالمبنى ، مجتمعين في المعنى ، والقوم في هذا اليوم ، يجمعهم الظاهر ، وتشتتهم السرائر »[٣][٤]

(٥)

(حكاية) ظهر لي في بعض الأعوام ، ملل من صحبة الأصدقاء في دمشق الشام . فهمت برأسي في صحراء الوادي المقدس ، واخترت الانس بالوحش عن من تأنس . فما شعرت إلاّ وأنا في خندق طرابلس مع الافرنج ، أسيراً أسيرا في القيود ، وقد كلفوني بعمل الطين مع الاسود ، فاتفق أن جاز عليّ واحد من رؤساء حلب الشهبا ، وقد كان بيننا معرفة فيما مرّ من الدهر ونبا . فقال ما هذه الحال ، وكيف وقعت في هذه الأثقال ؟ فقلت :

وكنت عن الأنصار مرت مهاجراً ... الخ

فرق لحالي الفقير ، وخلصني من قيد الافرنج بعشرة دنانير ، وأخذني معه الى حلب ، في المسار ، وكان له بنت فعقد لي نكاحها بصداق مائة دينار ... »[٥][٦]

---

(١) ترجمة الجلستاق ص ٧٤
(٢) گلستان ص ٦٠
(٣) ترجمة الجلستان ص ٨٢
(٤) گلستان ص ٦٩ – ٧٠
(٥) ترجمة الجلستان ص ٧٤
(٦) گلستان ص ٦٠

(٦)

(حكاية) ان أحد المتعبدين في الشام، أقام يؤدي العبادة دهراً طويلاً، في غابة من الآكام ...» (١)(٢)

(٧)

(حكاية) سائل مغربي كان ينادي بحلب في سوق البزازين : يا أرباب النعمة لو كنتم منصفين، وكنا مقتنعين لرُفع رسم السؤال من الدنيا، ولا ذكر اسمه في الأحيا » (٣)(٤)

(٨)

(حكاية) نظرت تاجراً عنده وقر مائة وخمسين جملاً في المتاجر، وأربعون عبداً وخادماً .. وكان من جزيرة كيش . أخذ الكبريت الفارسي الى الصين، لأني سمعت أنه هنالك ثمين، ومن هناك أخذ القماش الهندي، وأحضره الى الروم . وأخذ الأقمشة الرومية الى الهند، للربح المعلوم . وأتى بالفولاذ الهندي الى حلب، فأخذ الزجاجات الحلبية الى اليمن، ولو مع التعب، وأحضر الأقمشة اليمانية لأرض فارس الزهيه ... » (٥)(٦)

---

(١) ترجمة الجلستان ص ٨٧ – ٩٠
(٢) گلستان ص ٧٥ – ٧٧
(٣) ترجمة الجلستان ص ٩٧ – ٩٨
(٤) گلستان ص ٨٨
(٥) ترجمة الجلستان ص ١٠٨ – ١٠٩
(٦) گلستان ص ١٠٠

(٩)

(حكاية) كنت في مباحثة مع طائفة من العلماء، في جامع دمشق الشام؛ إذ دخل من الباب شاب، وقال بعد السلام: هل فيكم من يعلم اللسان الفارسي. فأشاروا إلي فقلت خيراً؟ كفيت ضراً. فقال ان شيخاً في سن المائة والخمسين، في حالة النزع والأنين، يتكلم باللسان الفارسي ونحن منه لسنا بفاهمين. فمن كرمك، جد بنقل قدمك، لتجد ثواباً بتفهيمنا القضية، إذ لربما يوصيه بوصية. فلما انتهيت الى وسادته، سمعته يقول في لوعته:

توهمت أن العمر طبق إرادتي
فياحسرتي إذ حان قطع طريقي
مددت لألوان الخوان به يدي
فقلت مريئاً واغتصصت بريقي

فترجمت ذلك بالعربي للدمشقيين، فتعجبوا من تأسفه على الحياة الدنيا بعد المائة والخمسين.» (١)(٢)

(١٠)

وقعت بأرض الشام جمرة فتنة
فتفرقت من خوفها السكان
فسرى بأبناء المعارف عقلهم
لوزارة يزهو بها السلطان

(١) ترجمة الجلستان ص ١٤٩ – ١٥٠
(٢) گلستان ص ١٤٦ – ١٤٧

ويجهل أبنـاء الوزير تـكففوا
أهل القرى وعلاهم حرمان [١][٢]

(١١)

« . . . وبعد ذلك مرت أعوام ، سافرت فيها ورجعت من دمشق الشام » [٣][٤]

* * *

ثبت المراجع :

بوستان / كليات سعدي

تاريخ الشعر العثماني [٥]

تاريخ گزيده ـ حمد الله مستوفى قزوينى — ليدن ١٣٢٨

ترجمة الجلستان ـ جبرائيل بن يوسف المخلـع — مصر ١٣٤٠

تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب / كتاب اللام والميم — ابن الفوطي — لاهور ١٩٤٠

الحوادث الجامعة ـ ابن الفوطي (؟) — بغداد ١٣٥١

---

(١) ترجمة الجلستان ص ١٥٥

(٢) گلستان ص ١٥٥ - ١٥٦

(٣) ترجمة الجلستان ص ١٦١

(٤) گلستان ص ١٦١

(٥) E. J. W. GIBB; A History of Ottoman Poetry. London 1900.

ديوان حافظ — طهران ١٣٢٠ ش

سعدي نامه ـ محمد بن عبد الوهاب القزويني — طهران ١٣١٦ ش

شد الازار في حط الأوزار عن زوار المزار ـ معين الدين

أبو القاسم جنيد شيرازي — طهران ١٣٢٨ ش

عوارف المعارف ـ السهروردي (هامش إحياء علوم الدين) مصر ١٣٠٦

غزليات / كليات سعدي

فرنودسار / فرهنگ نفيسى ـ علي أكبر نفيسى — طهران ١٣١٨ ـ ١٩ ش

فرهنگ نظام ـ سيد محمد علي داعي الإسلام — حيدر آبادالدكن ١٣٥١

فضولي البغدادي ـ الدكتور حسين علي محفوظ — بغداد ١٣٧٨

كليات سعدي ـ محمد علي فروغي — طهران ١٣٢٠ ش

گلستان / كليات سعدي

مباحث عراقية ـ يعقوب سركيس — بغداد ١٣٧٤

المتنبي وسعدي ـ الدكتور حسين علي محفوظ — طهران ١٣٧٧

مقدمة قريب ـ ميرزا عبد العظيم خان گرگانى (قريب) طهران ١٣١٠ ش

منتخبات أدبيات فارسي ـ بديع الزمان خراساني / ج ٢

مواعظ / كليات سعدي — طهران ١٣١٤ ش

الدكتور حسين علي محفوظ

اتجاه الشعر العربي الحديث

إن نهضة الأدب العربي الحديث بما يتميز به من اتجاهات تختلف تماماً عما كانت عليه الأعمالُ الأدبية في القرون الطويلة الماضية ، وتعتبر ظاهرة مدهشة ولكنها تساير الوعي الوطني والعقلي للشعوب الإسلامية بوجهٍ عام . فبعد أن خلق الإسلامُ علماً وأدباً وفناً خلال القرون الوسطى أنقذ ثقافة القدماء من النسيان وزادها ونقلها الى الشعوب الأوربية التي تنبعث وشيكاً من عالم الهمجية وبهذا قدّم الإسلامُ ولغته العربية خدمةً جليلةً للإنسانية . ولا يعرفُ التاريخ نظيراً للانطلاق الفجائي والمستوى الرفيع الذي بلغه المسلمون في العلم والأدب والفن . ولكن الظروف الجغرافية والاجتماعية والسياسية والفكرية . وقفت هذا التطور الفني فاقتصرت اللغة العربية طوال قرون على مجرد التعليقات والشروح . ولا أريد أن أتحدث عن أسباب تدهور الشعوب الإسلامية لأني سبق أن وضعت كتاباً في هذا الموضوع نشرته في لاهور باللغة الانكليزية عام ١٩٥٣ .

فعندما أضاعت الشعوب الإسلامية استقلالها السياسي قنعت بموقفها ، الى أن أيقظتها حملة نابليون من سباتها العميق . وفي خلال بضع عشرات من السنين قامت اللغة العربية ملكة اللغات السامية والتي كانت قد أوشكت أن تموت فبعثت من جديدٍ بكل أمجاد ماضيها ، مزينةً بكل ما حققته المدنية الحديثة واستطاعت أن تواجه أعداءها القدماء بكل فخار .

وقد أتيحت لي الفرصة أن أكون على اتصال وثيق بحركة التجديد والنهضة

التي شملت الشرق الإسلامي . ففي فجر شبابي التحقتُ بكلية الحقوق في استانبول قبل ٥٥ عاماً وقذفتُ بنفسي وقتئذٍ في معارك النضال الاجتماعي للدولة العثمانية . وعاصرتُ البيئة الخانقة لحكم السلطان عبد الحميد وشاهدتُ الفرح الغامر بعد خلعه عن عرشه . ثم شاهدت الآلام التي كانت تعانيها الشعوبُ خلال الحرب العالمية الأولى ثم مولد الجمهورية التركية الجديدة وهي الجمهورية الوليـدة التي قطعت جميع ارتباطها القديم بالعالم العربي وبقية المسلمين عندما أعلنت أنهـا دولة لادينية .

لقد شهد القرن العشرون تغيرات بعيدة المدى في الحياة السياسية للشعوب جعلتها تختلف اختلافاً بيناً عما كانت عليه طوال القرون . فقد تحوّلت ألمانية والنمسة وروسية وتركية الى جمهوريات ، وحتى الصين البعيدة قد ألقت عن كاهلها عرش ابن السماء .... كل هذه الأحداث كان لها أثرها العميق في أدب الأتراك .

إن الأدب هو التعبير عن أفكار الشعب ومشاعره وهو يصور الحياة الاجتماعية والاقتصادية للشعب ، وهو يتأثر تأثراً عميقاً بالاتجاهات السياسية للعصر ، ويؤثر بدوره في اتجاه السياسة . وصورة أدبٍ ما ، مجردة عن بيئتها الاجتماعية والسياسية هي صورة باهتة مضطربة .

وقد كان الأساس الاجتماعي والسياسي للأدب العربي الحديث حتى نهاية الحرب العالمية الأولى يرجع الى بيئة الدولة العثمانية التي كانت مكونة من متعدد القوميات والديانات والعناصر والمستويات الثقافية ، والتي كان كل عنصر فيهـا يحقد على العناصر الأخرى ، وقد كان المسيحيون من رعايا السلطان من الصرب والبلغاريين واليونانيين والأرمن والمارونيين يتطلعون على الدوام ، الى حماية حكومات أجنبية . وكانت حكومة تركيـة تلجأ بين الحين والحين الى اتخاذ اجراءات عنيفة ضد الخارجين عليها من القوميات الثورية .

ولو كانت الدولة العثمانيـة ، التي يحكمها أمير مسلم ، قد طبقت الشريعة الإسلامية التي تفرض عليها أن تمنح الحقوق المدنية الكاملة لغير المسلمين من رعاياها ـ كما كانت الحال في دولة العباسيين وفي الأندلس ـ لكانت أول دولةٍ تطبق مبدأ اللاعنصرية في التاريخ الحديث . وكان في الامكان أن تطبق هذا المبدأ دول أخرى بالمثل .

ولكن الروح الغربية الداعية الى التعصب العرقي ، طغت على إمكانية تطبيق مبدأ اللاعنصرية وجعلت كل قومية تتعصب لعرقها وتعادي القوميات الأخرى .

نرى من تتبع التواريخ أن الاعتبارات النظرية والأفكار الاجتماعيـة ، مهما أوتيت من منطقٍ ، فلم تكن لها القوة الحاسمة التي تستطيع أن تغير المشاعر والأفكار السائدة في ذلك العصر ، وهي التي كانت تدفع تلك الشعوب دون هوادةٍ للعمل على تحقيق أحلامها مهما كانت وعورة الطريق الذي تسلكه . . . !

وقد حاول الحكم الاستبدادي للسلطان عبد الحميد ، بكل جبروته وأساليبه الارهابية أن يقف في وجه التيار الفكري لتلك الحقبة من الزمن ومن ثمّ سعى ذلك الحكم إلى إقامة امبراطورية لا عنصرية مؤسسة على المبادئ السياسية للإسلام ، حتى انها قد وسّعت دائرتها الدينية الى المستعمرات الهولندية والبريطانية والفرنسية التي تفوّق المسلمون فيها عدداً على العناصر الأخرى . ودون أن تتفق مع حكومة عبد الحميد في أساليبها البغيضة التي اتبعتها لتحقيق أهدافها ، نستطيع أن نقول انها كانت تبذل جهداً نهائياً ـ لا يُستهان به ـ في وجه مصاعب مروعة ، في سبيل إقامة دار الاسلام المثالية في العصر الحديث .

وقد كان المنتسبون الى حزب : تركيا الفتاة ، وكذلك أنصار الفكر الوطني في مصر ينبعون من الطبقة المتوسطة القليلة العدد ، وهي الطبقـة التي كانت ترغب في تنفيذ مطالبها الثقافية والاقتصادية عن طريق اكتسابها للحرية .

لم تكن في الدولة العثمانية أية صناعة آلية ، ولم تستطع هذه العناصر التقدمية ذات الأفكار التحررية أن تكتسب تأييد الجماهير الزراعية الواسعة من الفلاحين أو جماهير الفقراء . ولهذا انحصرت الاتجاهات الثورية في مثقفي المدن ، وكانت نتيجة الضغط الذي جاء من أعلى ظهور رد فعل ثقافي وهو الذي خلق أدباً وطنياً . وقد خلقت مجلة « ثروت فنون » التركية كثيراً من الأدباء الذين تطوّروا بالرواية التركية حتى أصبحت تناقش المشاكل الاجتماعية بلغةٍ سهلةٍ يفهمها القارئ المتوسط الثقافة .

وعلى أي حال فانّ الحكم الاستبدادي للسلطان عبد الحميد لم يقتصر على إلهام الشعراء والكتاب الأتراك للتعبير عن إحساساتهم الوطنية فحسب ، بل امتد هذا الإلهام أيضاً الى أتباع السلطان من الناطقين بالضاد الباقين على ولائهم للخليفة ، والذين لم يستطيعوا أن يحبسوا دموعهم لمرأى الحالة الذليلة التي أصبحت عليها البلاد . وكانت مصر تتمتع بحرية نسبية لأنها لم تكن تحت حكم السطان بطريقة مباشرة ، ولهذا وجد فيها عدد من الكتاب العرب المضطهدين ملجأ على ضفاف النيل . وقد كان استبداد عبد الحميد هو الذي أوجد ذلك الطراز الجديد من الشعر العربي الذي يختلف تماماً عن القصائد التقليدية القديمة .

وكان من بين الضحايا العديدة لحكم السلطان عبد الحميد ولي الدين يكن المولود في استانبول والذي كان يفتخر بجنسيته المصرية ، فقد سار ضد الطغيان قائلا :

يبكي بنوك ويضحك الزمن ماذا أصابك أيها الوطنُ
ما أوشكت أن تنتهي محن إلا وجاءت بعدها محنُ
أما الرسومُ فإنها دُرست أما الرجال فإنهم دُفِنوا
العصر ، راجت سوق باطلهِ فالحق فيه ماله ثمن
يا قوم هبوا من مضاجعكم طال المدى حتّام ذا الوسنَ

وقد كان الشعور بالاضطهاد الذي أثار ولي الدين يكن في استانبول هو نفس الشعور الذي عبّر عنه جميل الزهاوي في العراق في قوله :

نحن في غفلةٍ نيام وعنّا نائبات الزمان غيرُ نيامِ
نحن في دولة تداركها الله تبيح المحظورَ للحكام
وعدها بالاصلاح جمٌّ ولكن لا يجوز الاصلاح حد الكلام
نحن قوم على إرادة شخصٍ واحدٍ ان نعيش كالأنعام

وقد اقتطع طمع الحكومات الغربية ولايةً بعد أخرى من جسم الدولة العلية ، اليونان ، ورومانية ، وبلغارية وكريت وقبرص ، ولم تُبدِ أي ولاية منها رغبةً ما في العودة الى الحكم العثماني ، حيث ينتظرها فيضٌ من الاضطهاد والتقتيل .

وما أكثر الحزن الذي ألهم الأبيات الآتية :

رعى الله شعباً أهملته رُعاتُه وملكاً كبيراً ركنه متزعزعُ
تُقطع منه كلَّ يومٍ مدينةٌ وما الكفُّ إلاّ إصبعٌ ثم اصبعُ

وقد نُفي ولي الدين يكن الى مدينة سيواس بالأناضول ، حيث بقي ينظر بقلبٍ كسيرٍ الى المصير المرّ لمواطنيه . وكان اليأس يغلب عليه أحياناً في أشعاره التي منها قوله :

يقول أحبتي صبراً وهل في النار يُصطبر
ونحن أمامنا وطنٌ تراه اليومَ يُحتضرُ
فمن يجزع فمعذور ولكن قلَّ من عُذروا
فيا أفق التهب حزناً وجد بالدمع يا مطرُ

ولكن الآمال المحطمة تحققت آخر الأمر ، فقد سار الجيش التركي تحت قيادة نيازي وأنور نحو العاصمة في عام ١٩٠٨ وأرغم عبد الحميد على إعلان الدستور .

وهنا عانق الأتراك والعرب والأكراد والشراكسة ، المسلمون منهم والمسيحيون ، بعضهم بعضاً ، وظهر أن شعباً متحداً جديداً قد نشأ من الأشلاء الممزقة التي كانت من قبل ، وبلغ الفرح أطراف أمريكا البعيدة حيث هاجر الكثيرون من العرب الفقراء .

وأقيمت الأعياد والأفراح في شتى أنحاء الدولة وظهر الشعراء كما تظهر الزهور البرية ، ففي سورية ولبنان ظهر عبد الله البستاني ومحيي الدين الخياط وشكيب أرسلان ، وإلياس فياض ، وشبلي ملاّط . وفي مصر التي اهتمت بالانقلاب الجديد بطريقة غير مباشرة ظهر أسعد رستم وسعيد شقير وغيرهما . وفي العراق ظهر الزهاوي ، والرصافي والدجيلي والعبادي والهنداوي ، الذين مجدوا قدوم الحرية . وقد وصف الزهاوي شعور بغداد في ذلك الوقت قائلاً :

وقفتُ والعينُ تبكي من مسرّتها أمام شعبٍ من الأفراح عجّاجِ
امام بحرٍ من الأفكار مضطربٌ امام جيش من الأصوات دحراج
إنّ الشعوب إذا هاجت عواطفها كالبحر يضرب أمواجًا بأمواج

أما مصرُ التي كانت بعيدةً عن الاضطراب الذي مارسته الحكومة العثمانية ، فكانت لا تزال مرتبطةً بتقاليد الخلافة . فنرى أحمد شوقي الشاعر الشهير في قصيدته التي كتبها بمناسبة اعلان الدستور يمتدح حكم السلطان عبد الحميد قائلاً :

أسدى الينا أميرُ المؤمنين يداً جلّت كما جل في الأملاك مُسديها
بيضاء ما شابها للأبرياء دمٌ ولا تكدر بالأيام صافيها
وليس مستعظماً فضل ولا كرم من صاحب السكة الكبرى ومنشيها

ولكن الشاعر لا ينسى مُطلقاً شعوره الوطني الغريزي فيقول :

يا شعب عثمان من ترك ومن عرب حيّاك مَن يبعث الموتى ويُحييها
صبرت للحق حين النفس جازعةٌ والله بالصبر عند الحق موصيها
نلتَ الذي لم ينله بالقضا أحدٌ فاهتف لأنورها واحمد نيازيها

وقد عبّر الشاعر الكبير حافظ ابراهيم عن حسن نية السلطان عبد الحميد فامتدح كرم أخلاقه :

أثنى الحجيجُ عليك والحرَمان وأجلّ عيد جلوسك الثقلان
أرضيت ربك إذ جعلت طريقه أمناً وفزت بنعمة الرضوان
وجمعتَ بالدستور حولك أمةً شتى المذاهبِ جمة الاضغان

أما سعيد شقير فيقارن بين سعادة الحاضر وآلام الماضي في أبياته الآتية :

اليومَ نمرحُ أحراراً بفضلكم نغدو ونُمسي ولا همّ ولا نَصَبُ
قد أطلق الحرّ من سجن أهين به وعاد للوطن المحبوب مُغتربُ
فلا جواسيس تخشى من وشايتهم ولا جرائد تأتينا فترتعب
ننام في الليل لا الأحلام تقتلنا وننهض الصبحَ لاخوف ولا رعب
كم بين حالٍ أتتنا كلها طربٌ وبين حال عدَتنا كلها رهب

ولكن هيهات ، فلم يبق الفرح طويلاً . إذ عاد عبد الحميد فقبض على السلطة من جديد وألغى الدستور ، واستأصل حزب تركيا الفتاة من البلاد . ولكن محمود شوكت باشا الذي ينحدر من أسرة الخليفة عمر ، قاد الجيش مرة أخرى الى استانبول وبعد قتالٍ عنيفٍ هزم القوات الموالية للسلطان وخلع عبد الحميد من عرشه .

وقد صادف خلعه ارتياح جميع العالم الإسلامي الذي شهد سلسلةً من الأشعار حول هذا الأمر ، وقد سبه فارس الخوري في قصيدة له فقال :

شادوا لك العزةَ القعساء من قِدَم فجئت تهدم ما شادوا وما رسموا
كانت لهم دولةٌ بالسيف ناهضةٌ هدّمتَ مارفعوا بعثرتَ ما نظموا

وأعلن معروف الرُصافي الشاعر العراقي في افتخار :

انما نحن أمةٌ تدرأ الضيمَ ولا تستكينُ يوماً لوال
أمة سادت الأنامَ وطابت عنصراً من أواخر وأوال

فاذا ما علا الغشوم نهضنا فقذفناه سافلاً من عال
نحن من شعلة الجحيم خُلقنا لأولي الجور ، لا من الصلصال

ونقرأ علامات التهديد في الأبيات الآتية :

يا ملوك الأنام هلاّ اعتبرتم بملوكٍ تجور في الأفعال
فاتركوا الناس مطلقين وإلاّ عشتم موثقين بالأوحال

لقد فتح الشعراء السوريون والعراقيون قلوبهم وتركوا مشاعرهم تسيل في انطلاق . ولكن مصر للأسباب التي سبق ذكرها ـ استقبلت سقوط عبد الحميد بمشاعر متضاربة . وقد ظهر لبعض الكتاب أن الاحتلال الأجنبي أكثر ضرراً من حكم السلطان عبد الحميد لأنه كان على أيّ حالٍ أمير المؤمنين .

وقد طلع القرن العشرون على الشعوب الشرقية وهي مصابة بمركّب النقص . وقد ذُقتُ بنفسي مرارة هذا الشعور الذي كان يعانيه إخوتي في الإسلام . وقد كان انتصار اليابانيين في مانشوريا على الروس عام ١٩٠٥ أول تشجيع أحيا شعورَ جميع الشرقيين . وتواترت الأنباء وقتئذ بأن اليابان ستعقد مؤتمراً إسلامياً في طوكيو مما ألهب شعور الشعوب الشرقية .

وقد أدخلت الامتيازات الأجنبية التي فُرضت على المسلمين ، والمدارس التبشيرية المسيحية في روع الشرقيين المستغَلين ، الفكرة الزائفة من أن كل أوربي هو ضرب من السوبرمان ، أي الإنسان الممتاز .

* * *

وقد أيقظ سليم البستاني الوعي في قلوب مواطنيه السوريين كما كتب الزهاوي في العراق الأبيات الآتية لتعوّض مركّب النقص :

كفى الغربَ فخراً أنه متقدم وأنْ له مالاً به يتنعَّمُ
وأنّ له في البر جيشاً عرَمرَماً يماثله في البحر جيش عرمرم
ترقّى فلما اشتدّ ساعده عتا وبات يُغيظ الشرق والشرق يكظم
يُطيل على إجحافه بحقوقه سكوتاً كأن الشرق ليس له فم
فيا أيها الغربُ المدلّ بنفسه رويدك ما هذا الغرورُ المذمَّمُ
أتزعمُ أن الشرق يلبثُ صاغراً أمامك مغصوباً وأنت المكرّمُ
وتبقى عليه هكذا متسيطراً تمصّ دم الأموال منه وتهضمُ !

وشمل الوعي الوطني جميع المسلمين الذين عاشوا تحت الحكم العثماني حتى المسيحيين في لبنان قد شعروا أيضاً بشعور الجنسية العثمانية بعد اعلان الدستور .

وقد دعى خليل زينيه المسيحي الى عقد اجتماع بالاسكندرية قال فيه :

فلتسعدوا أيها العثمانيون لأنكم اكتسبتم الدستور . فقد جاء أخيراً اليوم الذي يستطيع فيه جميع الأتباع أن يتحدوا في عناق أخوي . فبواسطة الدستور أصبحنا عثمانيين ونحن نفتخر بوصفنا عثمانيين . اننا عثمانيون قبل كل شيء الى آخر عُمرنا . وشعارنا الحرية والوطنية وفخرنا راية الهلال وملجأنا الدولة العلية .

وتغلغل هذا التحمس طوال سنتين في كل شعوب الدولة من أتراك وشراكسة وأكراد وعرب ، مسيحيين ومسلمين . كما لو كانوا قد اتحدوا ضد الاتجاهات الاستغلالية للغرب وسعوا الى خلق دولةٍ عثمانية متحدةٍ مستقلةٍ . وقد خلّد الأدب العربي المعاصر هذا الشعور في كثير من آثار الشعر والنثر . ولكن الفرح العظيم سرعان ما تبعته همومٌ ثقيلةٌ ، فان الغرب الطامع لم يقابل هذه الأشعار بأشعار مثلها ولكنه أطبق بقبضته على أجزاء جديدة من جسم الرجل المريض ، فضمت النمسة أول الأمر ولاية بوسنه ، فيئس الرأي

العام العثماني وقاطع البضائع النمسوية ، وينتحب شبلي الملاّط اللبناني بمرارة في هذه الأبيات :

ألا من يبلغ النمسا كلاماً نسجّله ونورثه البنينا
بأن عهودها كانت سراباً وكان ودادُها بَلَفاً مُبينا
فلا تجدُ السنون الى التصافي سبيلاً ما تعاقبتِ السنونا
أو النمسا تكفّر عن ذنوب جنتها فارتدت عاراً وهونا
أتحسبُ جارةُ الدانوب أنا نُذِلُّ لمثلها أبداً جبينا

واستولت بعد ذلك ايطالية على طرابلس الغرب واليونان على كريت ، وانطلق أمين ناصر الدين اللبناني في سخط يقول :

أظن بنو اليونان أن سيوفنا تثلّمن أم أخفى علينا التأخر
ألم يذكروا بالأمسِ ما كان بيننا على حين خُضنا الموت والموت يزخرُ

لقد هزم الجيش العثماني تحت قيادة أدهم باشا في عام ١٨٩٧ الجيش اليوناني هزيمةً منكرة وكان ذلك تحت الحكم غير الشعبي للسلطان عبد الحميد ، فما كان أحرى الدولة بأن تكونَ أقوى وهي متمتعة بحريتها الوطنية .

وخلتم توالي الظلم اورث شعبنا خمولاً وأصبحنا على الظلم نصبرُ
قهرناكم والملك قد كان ذاوياً فكيف وروض الملك فينان أخضر

أما الرُصافي العراقي فانه يصم ايطالية بالعار عندما اجتاحت طرابلس الغرب ونغمة قصيدته اسلامية وعثمانية معاً :

ألا انهض وشمر أيها الشرقُ للحرب وقبّل غرار السيف واسلُ هوى الكتب
ولا تغترر إن قيل عصر تمدنٍ فان الذي قد قال من أكذب الكذب
ألست تراهم بين مصر وتونس أباحوا حمى الإسلام بالقتل والنهب
وما يؤخذ الطليان بالذنب وحدهم ولكن جميع الغرب يؤخذ بالذنب

أما شعراء العراق الآخرون ، مثل رضا الشبيبي وحبيب العبيدي وخيري الهنداوي وعزيز الجواهري ، فقد أيدوا السلطان الجديد وحفزوه على درء العدوان . وفي حلقة الأدب العربي باستانبول ألقى حبيب العبيدي قصيدته ذات الخمسمائة مقطع التي تضمنت تاريخ الإسلام كله والتي تستثير الشعور الوطني الإسلامي ، وربما كانت بعضُ سطورها كافيةً كأنموذج :

كيف ترضى ياشرقُ أن يمشي الغر ... بُ أماماً وأنت تمشي وراءْ
أفلم يأن أن تجدّد عهداً ... شهدَ الصبحُ فضلَه والمساءْ
اتسامُ الهوانَ دون المنايا ... انما الموت والهوان سواءْ

وذكر حافظ ابراهيم في مصر الهجومَ الغادر على طرابلس الغرب في قصيدة طويلة .

والآن تسمحوا لي أن أذكرَ بعضَ الشؤون الاجتماعية ، وقد قرّبت التقاليد التاريخية وكذا الدين الإسلامي بين أعضاء الطبقة المتوسطة . أما الطبقة العاملة وأصحاب الحرف والفلاحين فلم يكونوا قد تيقظوا الى الوعي الاجتماعي فتبعوا كالعميان الاتجاهات الفكرية للمثقفين . كان هناك حلم حول قيام التعاون الوطني تحت حكم آل عثمان الذي تقوده الشريعة . ولكن هذا الحلم تمزّق شر ممزق تحت وطأة النظرية التورانية ، وهي النظرية التي كانت تعمل لضمان الدور القيادي للجنس التركي وحده ، لا الأتراك العثمانيون فحسب بل وكل الشعوب التي تتحدث باللغة التركية التتارية سواء في سيبريا أم في غيرها .

كانت النظرية التورانية نظريةً وطنيةً عِرقية تعمل على الإضرار في دولة مكوّنةٍ من عروقٍ مختلفةٍ وكان رنين التورانية يحكي نذير الموت للدولة العثمانية الدستورية .

وعندما اشتعلت نيران الحرب العالمية الأولى كان أعضاء حزب تركية الفتاة يحاولون أن يربطوا بين قوتين متعارضتين في سبيل المحافظة على الكيان الكلي .

فقد أعلنت الحكومة الجهاد الذي كان فريضةً واجبةً على كل مسلم ، وكانت تعمل في ضمان مؤازرة مسلمي الهند وفي أن يهب المسلمون في افريقيا ضد الفرنسيين ، ولكنها حاولت في نفس الوقت أن تضمن للطبقة الحاكمة التركية القيادة المطلقة .

اتجاه أتباع الباب العالي من غير الأتراك كان مقسَّماً : كان الفريق المتحدث باللغة العربية يؤمن بانتصار الحلفاء ، إذ لم تكن ألمانية قد ظهرت على مسرح السياسة العثمانية إلا حديثاً . أما الفريق الآخر فكان يتألف من تلك العناصر التي كانت تظاهر حزب تركية الفتاة لأسبابٍ شخصية .

ولم تستطع أحكام الإعدام التي أوقعها جمال باشا على الوطنيين السوريين أن تُطفئ اللهيب الذي امتدّ مع الوقت الى الجزيرة العربية أيضاً . وقد سقط عدد كبير جداً من الشهداء الذين ضحوا بحياتهم في سبيل الحرية ، وقد قامت القومية العربية قويةً وكأنها قد طُعّمت بدماء أولئك الشهداء الشرفاء . وقد ندب خير الدين الزركلي الشهداء في أبيات تمسّ أوتار القلب فقال :

نعى نادب العُرب شبّانَها فجدّد بالنعي أحزانها
بكى كل ذي عزّةٍ تربَهُ فهاج نزاراً وعدنانها
فمن للمدامع أن لا تفيـ ـض وتُرسل كالسيل هتّانها
فجائعُ هُنّ حديثُ القلو بِ وهيهات تسطيع سلوانها

إلاّ أن نهاية الحرب أتت على حزب تركية الفتاة ، ورفرف العلم العربي الجديد على تلك البقاع التي كانت تقام فيها المشانق قبل سنتين ، وقد حيّا الأدب العربي النضير الجديد بحماسةٍ بالغةٍ . وعبّر مصطفى الغلاييني عن آمال المستقبل السعيد بهذه الأبيات :

رايةَ العُرب رايةَ المدنيه   رايةَ المجد رايةَ الحريه
أنتِ مهوى آمالنا الوطنيه   ومنارٌ يهوى السبيل السويه
دُمتِ فينا مدى الزمان عليّه

بكِ نحمي الحِمى المفدّى ونجني   ثمراتٍ تُحيي القلوب وتُغني
ونُرجّى الحياةَ في روضِ أمْنٍ   وارف ظله خصيباً أغنّ
في حِمى دولة العُلى العربيه

ولكن هذا الحُلم المقدّس تبعثر بقسوة تحت وطأة الأطماع الأنانية ، فقد روّع النجاح حكومات الحلفاء وتغلبت الروح الاستعمارية فتنكر الحلفاء لوعودهم التي بذلوها أثناء شدّتهم ، واقتسموا تلك المساحات الشاسعة فيما بينهم كغنائم حربٍ على مذبح مصالحهم ، فصارت سورية وفلسطين تحت الانتداب ، أما الأردن ومصر والعراق فبقيت تحت الحماية البريطانية .

وكانت خيبة آمال الرأي العام العربي غايةً في المرارة ، فقد أثبتت الأيام أن المبادئ الأربعة عشر للرئيس الأمريكي ولسون لم تكن إلاّ خداعاً . فقد أطبق أخطبوط الرأسمالية الطامعة على ذوي النيات الحسنة وداسهم بالأقدام .

وقد احتجّ خير الدين الزركلي والغلاييني في سورية وحتى شعراء المهجر من وراء البحار مثل جورج صوايا والياس فرحات في البرازيل ضد الغصب الأجنبي . وهاجم الغلاييني في جرأة خداع المستعمرين وتحيتهم في السطور التالية عام ١٩٢٠ ، قال :

هبوا فأمتكم أضحت على خطرٍ   جارت عليها الأعادي جور منتقمِ
حتى تسيل ربوع الشام مفعمةً   دماً يسيل الردى في سيله العرمِ

وذمة العُربِ والأيام شاهدةٌ لنصرمنْ الوغى في السهل والظلم

حتى يخلوا بلاد العرب أجمعها من ساحل الروم حتى ساحل العجم

لقد كان الشعراء في كل مكان أبواقاً للثورة العامة . وقد أبقى الأدب العربي الوعيَ القومي حياً ، ثم قاد القضية أخيراً في طريق النصر . والآن ، ونحن في دولةٍ حرَّةٍ لا نزال في حاجة الى الكفاح ، فلسنا نستطيع أن نلقيَ سلاحنا وهو القلم إذ علينا أن ندافع عن حرية الشعب ضد الاستغلال ، وأن نحرّر الفقراء من همومهم وأن نرفعَ الجماهير الى مستوى الحياة السعيدة .

عبد الكريم جرمانوس

نظرة في

معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

الدكتور ا · ل · كليرفيل

نقله الى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط

ومحمد صلاح الدين الكواكبي

(لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب من جامعة دمشق)

— ٦ —

رقم المصطلح		رقم المصطلح	
٣٤٧٤	فخذ مسطحة ، التهاب المفصل المشوَّه الفتوي ، التهاب العظم والغضروف المشوَّه الطفلي ، التهاب مشاشة عظم الفخذ العليا ، خلع ولادي مقمص ، داء برت ليغ كالفه والدن ستروم	3474	Coxa plana, arthrite déformante, juvénile, os-téochondrite déformante infantile, épiphysite fé-morale supérieure, luxa-tion congénitale larvée Caput planum, maladie de Perthes de Legg - Calvé, de Walden - Ström

وأرجح أن يقال في ترجمة اللفظات : حرقفة [1] مسطحة ، التهاب المفصل المشوه ، الشبابي ، التهاب العظم والغضروف المشوه الطفلي ، التهاب مشاشة الفخذ العلوية ، الخلع الولادي المُستتر ، الرأس المسطَّح (وقد أهملت اللجنة ترجمته) داء برتهس (هكذا يلفظ في الألمانية لأن صاحب الاسم ألماني) ، ليغ كالفه ، والدنشتروم (ألماني) .

(١) يراجع الشرح في الكلمة السابقة (الصفحة ٩٦ من الجزء الأول من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة) .

٣٤٧٥ التهاب المفصل الحرقفي الفخذي ، التهاب المفصل الشيخوخي — 3475 Coxarthrie, Arthrite sénile

وأرجح أن يقال العلة الحرقفية ، أو علة المفصل الحرقفي الفخذي ، التهاب المفصل الشيخي . وذلك لأن اللجنة قد ترجمت بـ (Coxite) التهاب المفصل الحرقفي الفخذي أيضاً (اللفظة ٣٤٧٧) وأرى للتمييز بينهما أن يقال عن الأولى العلة باعتبارها علة تنكسية تحدث بسائق التقدم بالسن .

٣٤٧٦ فَخذ فَحجاء — 3476 Coxa valga

٣٤٧٧ فَخذ رَوحاء ، فخذ مقرَّبة الخ — 3477 Coxa vara

ان اللجنة قد ترجمت Coxa بوَرِك (٣٤٧٢) ثم بحرقفة (٣٤٧٤) وهنا بفخذ ، وجاءت لفظة فخذ ترجمة لِـ Cuisse (اللفظة ٣٦٢٦) . فأرى أن تترك حرقفة لِـ Coxa و Ischion لِوَرِك وفخذ لـ Cuisse منعاً للالتباس المذكور .

٣٤٧٩ قَشَعٌ مدنَّر — 3479 Crachats nummulaires

ويقصد منه القشع التي تكون قطعه مستديرة . وقد درجت على ترجمته بالقَشَع الدرهمي [1] وهو الشائع ، والدرهم أعم من الدينار وجاء في الترجمة الانكليزية (Coin shaped) بينما لفظة مدنَّر تفيد معنى آخر .

٣٤٨٦ معْص ، تشنج — 3486 Crampe, spasme

٣٤٨٧ مَعْص الكَتَبَة — 3487 Crampe des écrivaines

٣٤٨٨ مَعْص المَعِدة ، انجرار المعدة ، تضوُّر — 3488 Crampe de l'estomac

(١) في اللسان ، ورجل مُدنَّرٌ كثير الدنانير ، ودينار مدنَّر مضروب ، وفرس مدنَّر فيه تدنيرٌ سوادٌ يخالطه شُبهَة ، وبِرْذَوْنٌ مدنَّر اللون أشهب على مَتْنِه وعَجُزِه سوادٌ مستدير يخالطه شُهبَة .
(لجنة المجلة) تقترح : قشع نُمَّيّ . انظر اللسان (نمى) .

3489 Crampe de la jambe — ٣٤٨٩ مَعْص الساق

3490 Crampes utérines — ٣٤٩٠ مَعْص رحمي

والصحيح مَعَص بالتحريك[1] .

3493 Crâne natiforme — ٣٤٩٣ جمجمة كأليَين

وأرجح جمجمة أليِيّة الشكل . والقصد من هذا المصطلح التغير الطارئ على شكل الجمجمة باحتوائها انخفاضاً في منتصف مؤخرتها فيجعل منظرها شبيهاً بمنظر الألية[2] .

3495 Cranioclaste — ٣٤٩٥ مِشْداخ

وتعني اللفظة الفرنجية نوعاً ثقيلاً من ملقط الجنين يستعمل لتفتيت الجمجمة . لذا أرجح أن يقال في ترجمتها مُفتّتُ الجمجمة أو مِشداخ الجمجمة إذا شئت لأن الشدخ هو الكسر إطلاقاً .

3534 Crétin — ٣٥٣٤ قَميء ، فَدْم

3535 Crétinisme — ٣٥٣٥ قَماءة ، فَدامة

وتطلق اللفظة الأولى على حالة شخص ، مصاب بما تعني اللفظة الثانية من تأخر أو توقف في النموّ بدناً وفكراً ، ومَردُّ هذه الحالة الى الحياة الجنينية أو الطفولة الأولى بقصور أصاب الدَرَق . ويمتاز في الشكل النموذجي بكبر اللسان وثخن ما تحت الجلد وجفاف الجلد وعظم البطن ، مع تأخر بيّن في الملكات العقلية وقَزَم . تكثر في البقاع التي تسود فيها السلعة القرْئية (Goitre endémique) وقد تبدو فيما ندر بشكل افرادي (Blackiston's) .

---

(١) في اللسان مَعِصَ مَعَصاً فهو مَعِص ، وتمعّص ، ومَعِصت قدمه مَعَصاً التوت من كثرة المشي وقيل : المَعَص وجع يصيبها كالحفا والنح .

(٢) في اللسان : والأَلْية بالفتح العجيزة للناس وغيرهم .

واللفظة مشتقة من (Christianus) في اللاتينية وكان يقصد منها الحط من المسيحيين في إبان اضطهادهم في ذلك العهد . ومثل هذه الحالة المرضية لم تعرف في بلاد العرب قاطبة . لذلك أرجح تعريب اللفظتين بقولنا كَرَتين وكَرَتينية . ولكنني قمىء وقماءة والقَدَم وقدامة معان أخرى [1] .

2545 Cri hydrencéphalique ٣٥٤٥ صُراخ خَلَنجي

وأرجح صيحة استسقاء الرأس ، وهي توافق اللفظة الفرنجية ، إذ لا يشترط فيمن يبدىء هذا العرض أن يكون ذا اختلاج .

3607 Cryptes amygdaliennes, fossettes amygdaliennes lacunes amygdaliennes ٣٦٠٧ سِهاء اللوزة ، حُفَيرات اللوزة نُقَيرات اللوزة

وأرجح أن يقال في ترجمة هذه الألفاظ الكهوف أو المغاور اللوزية ، حفيرات اللوزة ، فَجَوات اللوزة .

3608 Cryptes de la tunique muqueuse de l'estomac ٣٦٠٨ سِهاء طبقة المعدة المخاطية

وأرجح مغاور قميص المعدة المخاطي .

حرف D

3744 Dartre ٣٧٤٤ قُوَباء

وقد عرّفها معجم بلاكستون [2] بأنها اندفاع من الاندفاعات الجلدية

(١) قَمَأَ الرَّجلُ وغيره ، وقَمُؤَ قَمْأَةً وقَماة وقماءةً : ذَلَّ وصَغُرَ وصار قميئاً . ورجل قمِيءٌ : ذليل على فعيل ، والجمع قِماء ، وقُماءٌ الأخيرة جمع عزيز ، والأنثى قَميئة .

(٢) لفظة (Tetter) في معجم بلاكستون (Blakiston's New Gould Medical Dictionary)

المختلفة ولا سيما المقبولة (Herpes) والأكزيما وداء الصدف (Psoriasis) مما يدل على أن اللفظة لا يعنى بها علة جلدية معينة . والقوباء يجدر أن تبقى ترجمة للفظة (Impetigo) وقد استعملتها اللجنة كذلك في المصطلح ذي الرقم (٧١٠٨) .

وعليه أرى الأفضل أن تكون ترجمة اللفظة طَفَح (لغة مولدة ان لم أقل عامية) أو نَتَض[1] .

3749	Débile	واهِن ، مُعتَل	٣٧٤٩
3750	Débilitant, ante	مُوهِن	٣٧٥٠
3751	Débilitation	ايهان	٣٧٥١
3725	Débilité	وَهْن	٣٧٥٢

ودرجت على ترجمة هذه اللفظات تباعاً ضعيف ، مُضعِف ، إضعاف ، وضَعْف ، تاركاً الوَهْن ترجمة للفظة (Asthénie) .

3778	Déchets	أنقاض ، حُثالات	٣٧٧٨

وأرجح نُفايات أو نُفاوات[2] .

3825	Décubitus latéral	استلقاء جانبي	٣٨٢٥

وأرجح اضطجاع[3]

(١) في اللسان : نَتَض الجلدُ نُتوضاً خرج عليه داء كآثار القُوباء ثم تقشّر طرائق . وفي التهذيب نَتَض الحمار نتوضاً اذا خرج به داء فآثار القوباء ثم تقشر طرائق بعضها من بعض .

(٢) في اللسان : ونفاية الشيء بقيته وأردؤه وكذلك نُفاوته .
النِقْض : اسم البناء المنقوض إذا هُدم والنِقْضُ ما نَقَضْت والجمع أنقاض .
وحُثالة الطعام : ما يُخرج منه من زُؤان ونحوه مما لا خير فيه فيرمى به ، والحُثالةُ والحُثال الرديء من كل شيء .

(٣) الصفحة ٨٦ من الجزء الأول من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

٣٩١٩ هذيان حُمّي 3919 Délire fébrile

وأرجح هذيان حُمَوي .

٣٩٤٣ زَيَغان ، مشية حلزونية 3944 Démarche en fauchant démarche hélicopode

ويعني باللفظة الفرنجية اضطراب المشية البادي في المفلوج فالجاً تشنجياً ، بأن يمشي راسماً برجله قوساً جانبية ، وقد درجتُ على ترجمتها بالمشية المختلجة أو التخلجية [١] ، وكذلك الكَسَح [٢] . أما الزَّيَغان فهو الميل [٣] ولا أراها تفيد المعنى المطلوب .

لذا أرجح أن يقال في ترجمة اللفظة المشية التخلجية والمختلجة أو الكسح والمشية الحلزونية .

٣٩٤٩ مشية سُهامية مخيخية أو مخيخية 3949 Démarche tabéto- - cérébelleuse ou cérébello - spasmodique

والأفضل مشية تابسية [٤] مخيخية أو مخيخية تشنجية .

٣٩٥٠ مشية سُهامية تشنجية 3950 Démarche tabéto-spasmodique

أقول مشية تابسية تشنجية [٤] .

٣٩٥٣ عَتَه خُلاعي 2953 Démence paranoïde

وقد سبق للجنة أن استعملت كلمة خُلاع ترجمة لِ Catatonie (اللفظة ذات الرقم ٣٢٤٣) (انظر الشرح الصفحة ٨٠ من الجزء الأول من المجلد الخامس

---

(١) الصفحة ٦٣٤ من الجزء الرابع من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في اللسان : الكَسَح ثقل في إحدى الرجلَين إذا مشى جرّها جرّاً .

(٣) في اللسان : الزّيغ : الميل ، زاغ يزيغ زَيْغاً وزَيَغاناً وزيوغاً وزَيْغوغة وأزغته أنا إزاغةً وهو زائغ .

(٤) الصفحة ٩٨ من الجزء الأول من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

والثلاثين من هذه المجلة ، وشتان بين معنى (Catatonie) و (Paranoïde) .
ويعنى بهذه اللفظة حالة نفسية يجتمع فيها هذيان الكبرياء والاضطهاد مع التوهم دون أن تكون الآراء الهذيانية المذكورة مرتبة ، وهذه الحالة قصيرة الأمد لا تدوم طويلاً . لذا أرجح تعريبها فأقول هذيان باراناويدي .

٣٩٥٤ عَتَه باسر ، فَتَوي ، جنون متنافر ، فِصام عقلي ، فَنَد البلوغ 3954 Démence précoce, juvénile, folie discordante, hébéphrénie hébéphrénio ca- -tatonie, Schizophrénie

وأرجح أن يقال : عَتَه باسر ، شبابيّ ، جنون متباين ، جنون المراهقة ، جنون المراهقة الجمودي ، الفصام . أما الفَنَد ، فقد جاء في اللسان : الفَنَد الخَرَف وإنكار العقل من الهَرَم أو المرض ، وقد يستعمل في غير الكبر وأصله في الكِبَر ، وقد أفند . بينما الجنون هنا متعلق بالمراهقة .

٣٩٧٢ إزالة النُخاعين 3972 Démyélinisation

ويقصد منها التجرد من النخاعين في الألياف العصبية ، لذا أرجح أن يقال في ترجمة اللفظة فَقْد النخاعين .

٣٩٧٤ استطالات هيولية ، تشجرات 3974 Dendrite

وأرجح الغصون ، وهي الفروع التي تصدر عن الخلية العصبية .

٣٩٧٥ متشجر 3975 Dendritique

وأرجح غصوني .

٣٩٨٦ مُنظف للأسنان 3986 Dentifrice

والأصح السَنُون . ففي فقه اللغة : السنون ما يُستاك به . وفي اللسان السنون : ما استَكْتَ به ، وما تَسْتَنّ به من دواء مؤلف لتقوية الأسنان وتطريتها .

٣٩٨٨ إسنان 3988 Dentition

وكذلك الإثغار . وأرجح الأخيرة لأن الإسنان تعني التقدم بالسن أيضاً [١]

٤٠٠٦ ضياع الشخصية 4006 Dépersonnalisation

وأرجح تبدد الشخصية .

٤٠٣١ قلع، جذّر ، استأصل 4031 Déraciner, extirper

وكذلك جذّ [٢] .

٤٠٣٣ إتلاف الجُرذان 4033 Dératisation

وأرجح إبادة الجُرذان .

٤٠٣٥ تحويل (ق . س . غ .) 4035 Dérivation (E C G)

ودرجتُ على ترجمة اللفظة باتجاه ؛ لأنها تشير الى الجهة التي يسير منها التيار الكهربائي الصادر عن القلب من منفذ الى آخر . وأشير الى E. C. G. بـ خ ق ك أي مخطط القلب الكهربائي . وكلمة تحويل التي اختيرت لها استعمالات أخرى .

٤٠٦٧ جلد مُستَكتَب ، استكتاب الجلد 4067 Dermographie,

خط وعائي حرَكي ، شرى صُنعي dermographisme,

raie vasomotrice, urticaire factice

وأرجح أن تكون الترجمة : الكتابة الجلدية ، خط عِرقي حرَكي ، شرى غير حقيقي .

---

(١) في اللسان : وأسن الرجل كَبِرَ وفي المحكم : كَبِرَت سنه ، يُسن إسناناً فهو مُسن وهذا أسَن من هذا أي أكبر سِناً منه .
وفي اللسان أيضاً : ثُغِر الغلام ثَغراً سقطت أسنانه الرواضع فهو مثغور ، واثّغر واتغر وادغر على البدل نبتت أسنانه .

(٢) في اللسان : الجَذُّ القطع الوحيُّ المستأصِل ، وقيل هو القطع المستأصل لم يقيد بوحاء ، جذّه يجُذه جذاً فهو مجذوذ .

4079 Descendance ٤٠٧٩ تَسَبٌ ، تَحَتُّد ، أصل

وأرجح الذُرية والعقب .

4104 Désoxydation ٤١٠٤ خَسْفَدَة

وأرجح خسف الأوكسيد أو تفكيك الأوكسيد .

4156 Diabète azotùrique ٤١٥٦ داء سكري تنترجي (مع ازدياد البولة)

تدل لفظة (Diabète) على الزَرَب[1] (مشتقة من اليونانية بمعنى السيلان) وقد عربها أطباء العرب بقولهم ديابيطس ، فمن الخطأ ترجمتها بداء سكري . لذا أرجح أن تترجم اللفظة بزَرَب بالبيلة الآزوتية أو ديابيط[2] بالبيلة الآزوتية . ولا صلة لهذه العلة بالداء السكري المعروف .

4158 Daibète insipide ou hydrurique ٤١٥٨ داء سكري تَفِه أو مائي

وأرجح بيلة تَفِهة أو ديابيطس تَفِه أو ذو البيلة المائية ، وليس من الصواب أن تكون البيلة سكرية وتفهة معاً .

4162 Diabète toxique ٤١٦٢ داء سكري سُمي

أقول ديابيطس أو زَرَب سمي .

4211 Diarrhée hydrique ٤٢١١ اسهال زَرَبي

وأرجح إسهال مائي كما هي ترجمة اللفظة .

4214 Diarrhée de putrifaction ٤٢١٤ اسهال تدعصي

وأرجح إسهال بالتَّفَسُّخ .

---

(١) في اللسان زَرِبَ الماء ونحوه اذا سال .

(٢) وقد أقر مجمع اللغة هذه اللفظة .

٤٢٣٢ تحال برغينيون الكهرباوي 4232 Diélectrolyse (de Bourguignon)

ويقصد التحلل أو التشرد البادي خلال مرور التيار الكهربائي من النُسُج ، لذلك أرجح أن تترجم اللفظة بالتحال العابر الكهربائي (بورغينيون) .

٤٢٨٤ مُمدَّد ، مرقَّق 4284 Dilué, ée

وأرجح مَذيق [1] .

٤٢٨٥ مفلَّج ، مشطور ، مُنصَّف ، نِصْفي 4285 Dimidié, ée

وتدل اللفظة على النسبة الى أحد الجانبين ، لذا أرجح أن تترجم بشِقي [2] .

٤٢٩١ خُناق غشائي 4291 Diphtérie

أرجح خانوق ودفتريا [3] .

٤٢٩٣ مصاب بخناق غشائي ، متعلق بخناق غشائي 4293 Diphtérique

أقول خانوقي أو دفتريائي .

٤٣٠١ مهووس الشراب دورياً 4301 Dipsomane périodique

٤٣٠٢ هَوَس الشراب 4302 Dipsomanie

أرجح في اللفظة الأولى وَلِع بالشراب دورياً وفي الثانية وَلَع الشراب .

٤٣٠٨ مُنفرد ، مُنعزل 4308 Discret, discrète

وأرجح ترجمة اللفظة بمتخفٍ ، خاصة ونحن نستعملها للدلالة على الشكل غير الواضح أو غير النموذجي من أحد الأمراض كقولنا الشكل المتخفي من البرداء ونقصد به الشكل الذي يشذ عن الشكل الاعتيادي الغالبة مشاهدته .

---

(١) في اللسان : مَذَق اللَّبَنَ يمذُقه مذقاً فهو ممذوق ومَذيق ومَذِق خلطه .

(٢) في القاموس : الشِق من كل شيء نصفه ويُفتح والمالُ بيني وبينك شِقّ الشَعَرة ويفتح نِصفان سواء .

(٣) الصفحة ٤٦٩ من الجزء الثالث من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

4333 Dissociation albu- -minocytologique du L C R ٤٣٣٣ تفكك آحيني خلوي للمائع الدماغي الشوكي (م. د. ش)

وأرجح التباين الآحيني الخلوي للسائل الدماغي الشوكي (س. د. ش) لأنه يقصد من هذا المصطلح أن يزداد الآحين في السائل بينما عدد الخلايا لا يجاريه في الزيادة المذكورة وأرجح ترجمة Liquide بسائل تاركاً مائع لـ (Fluide).

4334 Dissociation auriculo- - ventriculaire ٤٣٣٤ فُرقان أذيني بطيني

ودرجت على ترجمة المصطلح بالافتراق الأُذيني البطيني.

4350 Distomatose, disto- -miase hépatique ٤٣٥٠ داء ذوات الفُوَيْهتَيْن، داء ذات الفُوَيْهتَيْن الكبدية

وأفضل تعريب اللفظة بديستوما الكبد [1].

4366 Divagation ٤٣٦٦ شُرُود

وقد عرفت اللفظة بالذهول في الكلام والتفكير. فيمكن ترجمتها بالذهول أو المَرَج [2] أما الشرود فالأفضل حصرها ترجمة لكلمة (Fugue) شأن ما فعلته اللجنة في ترجمة هذه اللفظة وإن قالت عنها شُراد (اللفظة ذات الرقم ٦٠٩٢).

4367 Divaguer, déraisonner ٤٣٦٧ هذى، فند، عَسْطل

وأرجح مَرِج.

4445 Douleur hystérique ٤٤٤٥ ألم هَرَعي

وأرجح ألم هيستريائي [3].

---

(١) وأقر مجمع اللغة معرباً اللفظة بالدستولا الكبدية.

(٢) في المخصص مَرِج الأمر فهو مَريج التبس واختلط، وبابه طرب، ورجل مراج يخلط أمره ولا يحكمه.

(٣) الصفحة ٣٠٠ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة.

٤٤٨٠ ماسطات — Drastiques 4480

وأرجح مسهلات شديدة [1] .

٤٤٨٧ مَسُّ التشرد — Dromomanie 4487

وأرجح وَلَع الشرود .

٤٤٩٤ عَفَج — Duodenum 4494

والمشهور هو الإثنا عشري .

٤٥١٦ عُسْر التعرُّق ، انحباس العَرَق — Dysidrose, dyshidrose 4516

وأرجح عُسر العَرَق ، واحتباس العَرَق .

٤٥٢٠ عُسْر الهَضم ، سُوء الهَضْم — Dyspepsie 4520

٤٥٢١ عُسْر الهَضْم الحامض ، فرط حمض الكلوريدر — Dyspepsie acide, Hyperchlorhydrie 4521

والأصح التُخَمة [2] في اللفظة الأولى والتُخمة الحمضية وفرط حمض كلور المائي في الثانية .

٤٥٢٧ عُسر الهضم من التَدَعُّص — Dyspepsie par putréfaction 4527

وأرجح التخمة بالتفسخ .

---

(١) في اللسان : وماسط اسم مُوَيْه ملح وكذلك كل ماء ملح يمسط البطون فهو ماسط الى أن قال : مَسَطْتُ المِعى اذا خَرَطْتَ ما فيها باصبعك ليخرج ما فيها ، وماسط ماء ملح اذا شربته الابل مسط بطونها .

(٢) في اللسان : والتُخَمة بالتحريك الذي يصيبك من الطعام اذا استوخمته ، الى أن قال ووَخِم الرجلُ بالكسر أي اتخم ، وقد تخَمَ يتخِم وتَخِمَ واتّخم يتّخم واتخمه الطعام . وطعام وَخِم غير موافق وقد وَخُم وَخَامة وتوخّمه واستوخمه لم يستمرئه ولا تحمد مغبّته .

4541 Dystonie ٤٥٤١ وَهْن

وأرجح سوء المُقوية ، وأن تبقى وَهْن ترجمة لِ Asthénie .

4542 Dystrophia ٤٥٤٢ حَثَلٌ اغتذائي

4543 Dystrophie adiposo-génitale, Syndrome de Babinski - Fröhlich ٤٥٤٣ حَثَل شحمي تناسلي ، تناذر بابنسكي ـ فروليخ

وأرجح سوء التغذية في ترجمة (Dystrophie) لا حَثَل[١] .

حرف E

4600 Ebauche (embr.) ٤٦٠٠ تخطيط ، مخطط (مُضْغة)

4601 Ebauch fœtale ٤٦٠١ تخطيط الجنين

وأرجح في الأولى بقية ومَسْحة[٢] وكذلك في الثانية .

4628 Echange, metabolisme Economie ٤٦٢٨ تبادل ، تطور ، اقتصاد

وأرجح أن يقال : تبادل ، تطور ، انسجام حيوي[٣] .

4629 Echanges d'Energie, échanges energitiques ٤٦٢٩ تبادلات القُدرة

وأرجح تبادلات الطاقة ، التبادلات الطاقية .

---

(١) الصفحة ٦١٩ من الجزء الرابع من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في اللسان : وعليه مَسْحةٌ من جمال أي شيء منه .

(٣) في معجم لاروس : الانسجام بين الأجزاء المختلفة من الكل : الانسجام الحيواني (Economie animale) ولا أظن أن ثمة صلة هنا بالاقتصاد .

٤٦٥٤ وَقْع الصوت الثاني — 4654 Eclat du deuxième bruit

ويعنى بهذا المصطلح شدة الدقة الثانية في إحدى بؤر القلب الاصغائية .
لذلك أرجح أن تترجم برنين الدقة الثانية[1] .

٤٧٢٥ جَهْد نفسي — 4725 Effort mental

وأرجح جَهْد فِكْري .

٤٧٧٩ (معق) اضطراب مَعِدِي — 4779 Embarras gastrique indigestion

وأرجح ارتباك المعدة ، تُخَمة .

(للبحث صلة) الدكتور حسني سبح

(١) الصفحة ٣٠٥ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

التعريف والنقد

كتاب

(أضواء وأنوار)

تأليف الدكتور عبد الرحمن الكيالي

من أعضاء المجمع العلمي العربي

هو كتاب جليل، وسِفر نفيس، في مباحث عِلم النفس، وإقامة الدّين، وسُنَن الاجتماع، وفلسفة التربية، وحفظ الصحّة؛ والمؤلّف العلاّمة لم يقتصر على تاريخ نشوء هذه العلوم والفنون وارتقائها، بل فصّل الأطوار والأدوار التي مرّت بها حتّى بلغت عصرنا الحاضر، وفسّرها تفسيراً مستمدّاً من قواه وحقائقه، وعلومه ومعارفه، فكانت هذه المباحث العالية جامعة بين الآثار والأفكار، وما مرّ عليها من قرونٍ وأجيال؛ ومنها بل أهمُّها تاريخ الأديان، ما كان منها وحياً سماوياً، وما كان وضعاً إنسانيا، وبها استبان الفرق بين عبادة الرحمن، وعبادة بني الإنسان، أو الأوثان، وقد شرحها الدكتور الكيالي شرحاً وافياً، فهي «أضواء» في أُسُسِها وقواعدها، وأَنوار في مقاصدها وفوائدها. وليس لمثلي أن يخوض في التفصيل، أو أن يطرق باب التحليل والتعليل، لاعترافي بالضعف والتقصير، فَلِلْمؤلّف الجليل من الشكر أوفره، ومن الثناء أعطره.

محمد بهجة البيطار

شفاء السائل لتهذيب المسائل

رسالة لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون

حققها الأب اغناطيوس عبد خليفة اليسوعي ونشرها معهد
الآداب الشرقية وطبعتها المطبعة الكاثوليكية في بيروت عام ١٩٥٩
وهي في (١٨٧) صفحة من قطع الوسط

إن كل دراسة عن الحضارة العربية وثقافتها تبقى مبتورة ومشوهة إن لم نستكمل نشر تراثنا العربي في جميع فنونه ومراحله ، وإشاعته على الجمهور . لم تزل هذه الثروة العلمية الضخمة التي تحتفظ بأسرارها محجوزة في خزائن دور الكتب العامة والخاصة ، محجوبة عن الأنظار لا تطالها أيدي أكثر الباحثين والمحققين . فمن ذلك هذه الرسالة النادرة التي ظهرت حديثاً للوجود بعد أن بقيت أصولها قروناً رهن محبسها .

لو أن مؤرخي ابن خلدون اطلعوا على هذه الرسالة في حينه ، لما قسا عليه بعض من رموه بالزندقه والانحلال الخلقي ، بل لأكبروا فيه إيمانه وأخلاقه .

لم يأت على ذكر هذه الرسالة أحد ممن درس سيرة ابن خلدون وآثاره من القدماء والمحدثين ، وأغفلها ابن خلدون في ثبت مؤلفاته . ولا ينفي هذا السكوت نسبتها لابن خلدون ، وجميع ما فيها يؤيد صحة ذلك ، ولا يدع مجالاً للريبة فيما ذهب اليه الأستاذ المحقق .

وقع في أيام ابن خلدون نزاع بين متصوفة الأندلس ، فيما اذا كان المتصوف المريد يحتاج الى شيخ يرشده الى الطريق أو لا يحتاج . فتناظروا في هذه المسألة واستفتوا فيها علماء المغرب ، وأجابهم ابن خلدون بهذه الرسالة ، فبحث فيها عن التصوف بحث المؤرخ المبدع ، والمحقق المنصف ، ميز بين الخبيث

منها والطيب ، وحمل على فرق الشعوذة والتضليل التي نخرت الصوفية لأهوائها الدنيوية ، وحذر من غوائلها ، وقدس الصوفية الصادقة في حسن العبادة ، وصدق الطوية ، وصفاء النية ، الخالصة من شوائب البدع ، المفضية الى طريق المعرفة والسعادة . وزيف ما ذهب اليه بعض المتصوفة والمتكلمين في علوم المكاشفة ، والقائلين بالقطب والأوتاد والابدال وبين فسادها . وسلك في كشف الغطاء في طريق الصوفية وتمييزها من بين سائر الطرق سبيل من سبقوه كالغزالي ، والمحاسبي ، وابن عطاء الله ، والقشيري ، والسهروردي ، وابن الفارض ، وابن عربي ، ومسلمة المجريطي وغيرهم .

ويرى ابن خلدون ان التصوف : «هو نور يقذفه الله في القلب المزكى بالمجاهدة ، المحاذى به شطر الحق ، فاذا اطلع به على سر إلهي ، أو حكمة ربانية ، أو اتضح له مبهم من مخاطبات الشرع ، ومتشابه الكتاب والسنة ، فلا يعتد به ويقف عنده ، فان الاعتداد به حجاب قاطع ، بل يستمر على سيره الى الله ، ولا يخلقه مع ذلك بالإفشاء فسر الله أحق بالصون» . ويقرر أن هذا العلم الحاصل من المشاهدة والكشف لا يمكن أن يودع الكتب وجعله علماً مدوناً ، وأن يقتبس من التصانيف ، بل اختص به شيوخ الرسالة ومن اقتفى آثارهم ، فهم للمريد وقاية وهداية وان لا بد للسالك من الشيخ المعلم والمربي الناصح في مداركه الوجدانية والذوقية التي لا يمكن التعبير عنها إلا لمن شارك في وجدانها وذوقها .

وتشتمل الرسالة على مقدمة وستة فصول للمسائل التالية :

١ — الكلام في تحقيق طريق الصوفية وتميزه على الجملة بين طرق الشريعة ومدلول هذا اللقب من سلف منهم من الأمة .

٢ — الكلام في المجاهدات وأقسامها وشروطها .

٣ — الكلام فيما نقل المتأخرون اسم التصوف اليه والرد عليهم في ذلك .

٤ — الكلام في اشتراط الشيخ في المجاهدة وفي أي المجاهدات يجب ، وفي أيها يتأكد وفي أيها لا يجب ، ووجه ذلك .

٥ — الكلام في الفصل بين المتناظرين وتعيين الحق في أقوالها والصحيح من أدلتها .

٦ — القول فيما سمت اليه همم القوم من المجاهدات وما حملهم عليها من البواعث .

وقد جاءت هذه الرسالة رغم جهد المحقق دون الغاية المرجوة ، فقد أغفل ذكر من سبقه على نشرها ، وربما قد جهل وجودها . إن أول من نشر هذه الرسالة الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي ، طبعها في القسطنطينية سنة ١٩٥٨ ، وتغلب على هذه الطبعة الصحة ودقة التحقيق ، ولو وقف عليها الأب خليفة اسهلت عليه كثيراً من العناء والجهد ، واستدرك منها الأخطاء والهفوات التي يتعرض لمثلها كل من عول على نسخة واحدة ، وحقق غايته من صحة المتن وأناقة الطبع ، ولم يكن الأستاذ المحقق أول من كبا في هذا الميدان .

عثر في المغرب الأستاذ الطنجي على نسخة ثانية من هذه الرسالة ، أعانته على إتمام نواقص النسخة التي اعتمدها الأب خليفة ، وضبط تسلسل صفحاتها المشوشة ، من ذلك :

نقص ثلاث صفحات بعد صفحة المخطوطة رقم [9ᵇ] ثم يتسلسل بعدها الصفحات رقم [75ᵃ] الى [84ᵇ] ثم يليها الصفحات رقم [10ᵃ] الى [74ᵇ] ومن بعدها تأتي الصفحات رقم [85ᵃ] الى [88ᵃ] . ويصحح ترتيب أرقام المخطوطة على النسق الثاني :

[1ᵃ] — [9ᵇ] . . . [75ᵃ] — [84ᵇ] [10ᵃ] — [74ᵇ] [85ᵃ] — [88ᵃ]

ووقع في هذه الرسالة أخطاء مطبعية وأخطاء بقراءة بعض الألفاظ ، ومن أهمها :

صفحة	الخطــأ	الصــواب
١٠	عباد	عياد
٢٦	اذبانهم	اديانهم
٣٠	بسر وفر	بشيء وفر
•	المحبة	الجنة
•	باستيلاء الذكر	باستيلاء سلطان الذكر
•	وجود	حضور
٣٤	اقصى	اتقى
•	استهزأ	استبرأ
٣٥	وصفته	وصحبة
٣٦	القر٠آن	القرآن
•	[×]	نفس
٤٥	هدينا	هدانا
•	فسقون	فاسقون
٤٦	كفيئتكم	كهيئتكم
٥٠	افعالاً	اقوالاً
٥١	فليسوفي الشارة	فيلسوفي الاشارة
•	الى آدم	الى أن ينتهي الى آدم
•	الشهادة	المشهادة
٥٩	فآتها	فائتها
•	يشاهد	بشاهد
٦١	الخلق	الخلوة
٦٥	جمدة	جدلاً

صفحة	الخطـــأ	الصـــواب
٦٩	رايد	رأيك
٧٨	لفشو	بفشو
٨١	خلق	سخر
٨٦	بصنعة	يصنع
٨٧ — ٨٨	(غير مقروء)	الأنوار وجذب عن
٨٨	(غير مقروء)	فهو لا يدري ما الكتاب

وبرغم الجهد الذي بذله الأستاذ بتحقيق هذه الرسالة فقد ترك فيها فجوات قللت من قيمتها العلمية ، وبقيت طبعة الطنجي المرجع المفضل لهذه الرسالة .

جعفر الحسني

نحن والتاريخ

تأليف الدكتور قسطنطين زريق

(٢٤٢ صفحة)

دار العلم للملايين — بيروت ١٩٥٩

صدر في هذه الأيام كتاب جديد بقلم الأستاذ الدكتور (قسطنطين زريق) ، عنوانه (نحن والتاريخ) ، يتكلم فيه المؤلف عن الوعي التاريخي عند الأفراد والشعوب ويحلل فيه موقفنا ، نحن العرب ، من ماضينا ويبين أثر هذا الموقف في حاضرنا ومستقبلنا .

والدكتور (قسطنطين زريق) لا يحتاج الى تعريف . فهو من أبرز أعلام الفكر العربي في الوقت الحاضر ومن أخلص العاملين للقضية العربية . ولا شك في أن قراء العربية سيرحبون بكتابه هذا كما رحبوا بكتابيه السابقين : (الوعي القومي) و (معنى النكبة) .

تنكشف لنا أهمية كتاب (نحن والتاريخ) من مجرد استعراض عناوين فصوله التي تتضمن : ماهية التأريخ والغرض منه ؛ صناعة التأريخ وفضائلها ؛ التفكير التاريخي ؛ التعليل والحكم ؛ الثقافة التأريخية ؛ صنع التاريخ ؛ موقفنا من الماضي ؛ التاريخ العبء والتاريخ الحافز ؛ حكمنا في التاريخ وحكم التاريخ فينا ...

وإذا كان المؤلف لم يقصد تقديم دراسة كاملة لقواعد علم التأريخ أو مسائل فلسفة التاريخ ، فقد تعرض الى موضوعات جوهرية تتصل بذلك واعتمد في بحثه على آراء ناضجة لمفكرين أمثال (فروشه) و (توينبي) .

أما الغاية الأساسية من الكتاب فهي قومية . إنه يريد إثارة الوعي التاريخي في الأمة العربية حتى تقف الموقف الصحيح من ماضيها ، فتقوم بدراسة تأريخها دراسة علمية ، صحيحة ، انتقادية تربط بين أحداث الماضي وتكشف عن العوامل المؤثرة فيها وتحكم على نتائجها بموازين مضبوطة ، عادلة .

انتبه المؤلف الى أن بعض الناس سيتساءلون عن جدوى البحث التأريخي في هذا الوقت الذي تتصارع فيه الأمم والشعوب ويسيطر فيه على الجميع الخوف من المصير قائلين : أليس الأجدى أن ننسى الماضي كلياً ونتطلع الى المستقبل وحده ؟

وقد أجاب على هذا التساؤل فأوضح لماذا يجب علينا أن نهتم بالتأريخ . ذلك لأن كل مشكلة من المشكلات التي تعترض البشرية في الوقت الحاضر لها جذورها وأصولها في تراث الماضي . ولا سبيل الى معالجة المشاكل على وجه صحيح ، حاسم إلا بعد معرفة العلل والأسباب التي نجمت عنها . والأستاذ (قسطنطين زريق) يرحب بالثورة على الماضي ولكنه يلاحظ بأن ذلك لا يغنينا عن ضرورة الاشتغال بالتأريخ ؛ إذ لا بد لنا ، على الأقل ، من أن نكون مدركين حق الإدراك لهذا الماضي الذي نثور عليه . فالتأريخ يذكرنا ،

شئنا أم أبينا ، بالنكبات والمآسي التي نزلت بنا في نصف القرن الماضي وفي مقدمتها نكبة فلسطين . ومن واجبنا أن نتساءل عن أسباب هذه الأحداث التي توالت علينا وعن أصول العلل التي أضعفتنا وأوقفتنا زمناً طويلاً عن النهوض وأخضعتنا لغيرنا ونشرت في جسمنا الأدواء .

ثم ، من جهة ثانية ، لا بد لنا من أن نستلهم الماضي ونستمد منه عناصر القوة والفخر والاعتزاز . وكما فعلت الشعوب الأخرى التي سبقتنا الى النهضة في القرنين الماضيين يجب علينا ، نحن العرب أيضاً ، أن نتذكر ماضي أمتنا ونتغنى بأمجادنا ، وسير أبطالنا وفتوحاتنا وانتصاراتنا وتقاليدنا وما يشتمل عليه ميراث حضارتنا من روائع الفن والأدب ومآثر العلم . إنما يحذرنا الأستاذ (قسطنطين زريق) من الإغراق في التلفت الى الماضي ومن الانغماس فيه لأن ذلك قد يورث الضعف بدلاً من القوة ويشيع التواكل بدلاً من التوثب . وهو قد أجاد في ايضاح الأثرين المتناقضين للتأريخ ، فبين أن ثمة تأريخاً يثقل كاهل صاحبه ـ فرداً كان أم أمة ـ ويشل حيويته ويضعف همته ويعرقل سيره ، وأن ثمة تأريخاً آخر يحفز وينشط ويدفع الى الإبداع والتقدم . وفي الحقيقة إن التاريخ يصبح عبئاً ثقيلاً اذا سحرنا وقبض على نفوسنا وصرفنا عن مهام حاضرنا ومطامح مستقبلنا وحصرنا ضمن حدوده فضيق نظرتنا ومنعنا من المقارنة والمقابلة مع تواريخ الشعوب والحضارات الأخرى . والخطر كل الخطر في أن نكتفي بالماضي ونخضع لرسوباته ونرث عنه المفاسد من عصبيات ومنازعات . لأجل أن نستفيد من التأريخ يجب أن نعرف الماضي معرفة صحيحة وننتقده ونميز عناصره الإيجابية من عناصره السلبية .

والتجارب تثبت لنا أن صانع التاريخ ليس ذلك الذي يتجه الى المستقبل ويسبح في الرؤى والأحلام أو الذي يغرق كل الغرق في الحاضر ومشكلاته

أو الذي يحن الى الماضي ويرغب في أن يرجعه كما كان ، وإنما هو الذي يعيش في توتر دائم بين الحاضر والمستقبل والماضي . ولذلك فإنه أمين للماضي ، منسام عليه ، متغلب على الحاضر ومخطط للمستقبل .

وأخيراً يبدي المؤلف اهتماماً كبيراً بفكرة الحرية ويقول : إن الإنسان لا يستطيع أن يصنع التاريخ إذا لم يشعر بقدرته على الاختيار واذا لم يكن مستعداً لتنفيذ ما يختاره . « فالذي لا يرى السبل المختلفة المرتسمة أمامه ولا يحس أن عليه أن يختار بينها وأن يعتزم ويقرر وأنه قادر على هذا ومسؤول عنه في نهاية الأمر ـ إن الذي لا يتصف بهذه الصفات يعجز عن العمل التاريخي . » فالشعور بالحرية شرط أساسي من شروط الإقدام والإبداع والتأثير في مجرى الحياة والتاريخ .

وينتهي الأستاذ (قسطنطين زريق) الى القول بأننا « في هبتنا القومية التي تهدف الى التحرر السياسي والوحدة والتضامن والعدل الاجتماعي والكسب الحضاري نصطدم بقوى خارجية هائلة تقف دون تقدمنا كما أن هناك في داخلنا قوى يدفعها الجهل أو التعصب أو الأنانية فتشدنا الى الوراء أو تبث فينا التفرقة والانقسام . وليس لنا من عدة في سبيل التغلب على هذه القوى إلا مبلغ ما نتحلى به جميعاً من صحة نظر وسلامة فكر وحسن تخطيط وتنفيذ ومن ايمان وصدق وعزم وبذل وتضحية .... إن ضماننا هو في جلال طموحنا الى العمل التاريخي المبدع . إنه في مدى ارتفاعنا الى مستوى التحدي الرائع الجلل والرد عليه بما هو أجل وأروع » .

وهذه الإشارات والمقتطفات تكفي لتبين لنا قيمة الكتاب وتحتم علينا مطالعته بامعان للإفادة منه ..

الدكتور محمد كامل عياد

تاريخ (تطوان)
— المجلد الأول —
تأليف الأستاذ محمد داود (٥٢٠) صفحة
(من منشورات معهد مولاي الحسن)
تطوان ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م

تطوان (كما يسميها الفرنجة أو تطاون كما يقول أهلها - ويبدو أن الاسم محرف عن كلمة «تطاوين» التي تفيد العيون بلغة البربر) مدينة متوسطة من بلاد المغرب ، قريبة من شاطئ البحر الأبيض المتوسط ، تقع الى الجنوب من سبتة على مضيق جبل طارق والى الشرق من (طنجة) . وقد اتخذها الاسبان عاصمة للمنطقة التي كانوا قد احتلوها من المغرب سنة ١٩١٣ وصارت مقراً لخليفة السلطان في عهد الحماية الفرنسية — الاسبانية .

يستدل من الأخبار والآثار القديمة أن مدينة (تطوان) كانت موجودة قبل الإسلام . ونرى المؤرخين والجغرافيين العرب يشيرون اليها في القرن الثالث الهجري ويذكرون تهديمها من قبل الأدارسة في سنة (٣٣٨) هجرية ؛ ثم يصفها (البكري) في القرن الخامس كمدينة صغيرة بينما يقول عنها (الشريف الادريسي) في القرن السادس إنها حصن تسكنه قبيلة من البربر . وبعد أن بنيت (تطوان) بناء جديداً في أوائل القرن الثامن للهجرة ظلت مدينة عامرة ، محصنة الى أن خربت من قبل الاسبان في سنة ٨٠٣ هجرية (الموافقة لسنة ١٤٠٠ ميلادية) وبقيت مخربة حتى أواخر القرن التاسع .

وحوالي سنة (٨٩٠) هجرية وصل عدد من المهاجرين الغرناطيين تحت رئاسة المجاهد (أبي الحسن علي المنظري) ، أحد قادة بني الأحمر ، الى مكان (تطوان) القديمة وبدؤوا في بناء مدينة جديدة . وتتابع المهاجرون من الأندلس

ولا سيما من غرناطة واشبيلية ، وكان بينهم الكثيرون من المثقفين الذين حافظوا على طراز معيشتهم وتقاليدهم وعاداتهم . وهكذا أصبحت (تطوان) الحديثة مركزاً للحضارة الأندلسية وهي ما زالت منذ خمسة قرون تلعب دوراً هاماً في تاريخ المغرب وحياته السياسية والفكرية . وقد امتاز أهلها بحبهم للعلوم والآداب والفنون وإخلاصهم للعروبة والإسلام ودفاعهم عن الحرية والاستقلال وميلهم الى التجديد والتقدم .

إن تاريخ مدينة مثل هذه من شأنه أن يكشف لنا عن صفحات هامة من أحوال المغرب وتطور حضارته كما يساعدنا على كتابة التاريخ العام لتلك البلاد . وقد قام بتأليف كتاب «تاريخ تطوان» الأستاذ الجليل السيد (محمد داود) وهو من أفاضل أبناء تلك المدينة وكبار علمائها العاملين ، بل أحد أعلام المغرب كله .

انصرف المؤلف بعد إتمام دراسته العالية في جامعة القرويين بفاس سنة ١٩٢٢ الى التدريس والكتابة في صحف الشرق والمغرب العربي وكان المراسل الخاص لجريدة الاهرام المصرية أثناء حرب الريف ضد الاحتلال الأجنبي بزعامة بطل المغرب الخالد محمد بن عبد الكريم الخطابي . والى الأستاذ (محمد داود) يرجع الفضل في تأسيس أول مدرسة عربية - اسلامية حرة في عهد الحماية كانت النواة الأولى للنهضة العلمية الحديثة والحركة الوطنية الاستقلالية في البلاد . كذلك اشترك المؤلف في تأسيس كتلة العمل الوطني وأنشأ مجلة (السلام) وجريدة (الأخبار) للدفاع عن العروبة والإسلام . ثم تولى مدة من الزمن مديرية المعارف في شمال المغرب وأسهم في وضع مناهج التعليم الحديثة .

كان الأستاذ (محمد داود) منذ شبابه يفكر في كتابة تاريخ بلدته . فقضى زمناً طويلاً وهو يجمع المواد اللازمة لذلك . والجزء الأول الذي بين أيدينا يشهد على أن المؤلف قد بذل جهوداً كبيرة في مراجعة مختلف الوثائق

التي استطاع العثور عليها في الزوايا والمساجد والمحاكم وبيوت الناس سواء في (تطوان) أو سائر مدن المغرب ، كما سعى الى نقل ما ورد في المراجع الأجنبية من أخبار ووثائق عن بلدته .

وفي الواقع فإن من أهم مزايا كتاب «تاريخ تطوان» اشتماله على عدد من الوثائق التاريخية التي تكشف النقاب عن علاقات المغرب بالبلاد الأوروبية وعن دسائس الدول الاستعمارية وأساليب نشر نفوذها . واذا كنا نتمتع بقراءة الأخبار الطريفة في الجزء الأول من الكتاب عن بعثة الحاج (محمد تميم) حاكم تطوان الذي أرسله ملك المغرب مولاي اسماعيل في شتاء سنة ١٠٩٢ هـ . / ١٦٨٢ م . الى بلاط ملك فرنسا لويس الرابع عشر فلا شك في أننا ، من جهة أخرى ، نستخلص كثيراً من العبر بالاطلاع على التقارير التي كان يرسلها القسيس والجاسوس الانكليزي «جون هاريسون» الى حكومة بلاده ويدعي فيها أن حكام (تطوان) يعرضون عليه خدماتهم وان سكان المغرب عامة يبدون استعدادهم للقتال مع الانكليز ضد اسبانيا . ويشير (هاريسون) الى امكان استغلال حكام (تطوان) للاستيلاء على (جبل طارق) و (سبتة) والسيطرة بذلك على المضيق ..

كذلك يشتمل كتاب الأستاذ (محمد داود) على كثير من نصوص المعاهدات والرسائل السياسية والحجج الوقفية وصكوك البيع والشراء وغيرها . أضف الى ذلك طائفة من الصور الجميلة لبعض الأماكن والآثار التاريخية ولا بد أيضاً من التنويه بالفهارس المتعددة الدقيقة والمفصلة التي تساعد كثيراً على الاستفادة من الكتاب .

يتألف كتاب (تاريخ تطوان) من ثمانية أجزاء . ويتضمن الجزء الأول الذي ظهر على أربعة أبواب يتكلم فيها المؤلف عن (تطوان) القديمة قبل الإسلام وبعد الفتح الإسلامي ثم عن (تطوان) الحديثة فيستعرض ولاتها وقادتها

وقضاتها ومشاهير رجالها ويسرد الأخبار عن أهم الحوادث المتعلقة بها في كل من القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة . ويقول المؤلف أنه قد رتب كتابه على اعتبار كل قرن وحدة مستقلة يجمع أخباره في باب واحد تحته عدة فصول . ومع الاعتراف بأنه ليس هناك أي مبدأ متفق عليه لتحديد الأدوار التاريخية ، الا أننا نعتقد بأن التقسيم حسب القرون لا يمكن اعتباره صالحاً ويتبين من فهرست المجلدات الباقية من الكتاب أن المؤلف نفسه قد اضطر مثلاً الى أن يبحث في الحرب بين المغرب واسبانيا سنة ١٢٧٦ هـ / ١٨٦٠ م . كموضوع مستقل في مجلدين كاملين ، في حين أنه لم يخصص لتاريخ تطوان من عام ١٢٠١ الى عام ١٢٧٦ سوى فصل واحد .

وعلى كل حال فإن الغاية الأولى للمؤلف إنما كانت جمع كل ما يستطيع من الأخبار والوثائق والمعلومات عن بلدته وهو يتمنى أن يقوم غيره بمثل هذا العمل في سائر مدن المغرب حتى تتوفر بذلك المواد اللازمة لكتابة تاريخ المغرب كله . من هذه الوجهة يستحق كتاب « تاريخ تطوان » كل تقدير وثناء .

الدكتور محمد كامل عياد

« ما ساهم به المؤرخون العرب في المائة سنة الأخيرة في دراسة التاريخ العربي وغيره »

(٢٩٤ صفحة)

أشرفت على اخراجه : هيئة الدراسات العربية
في الجامعة الأميركية . بيروت ١٩٥٩

درجت « هيئة الدراسات العربية في الجامعة الاميركية » على أن تعقد في كل سنة مؤتمراً يشترك فيه علماء معروفون من كل البلدان العربية للبحث في موضوع معين ، ثم تنشر هذه الأبحاث في كتاب خاص لتعم الاستفادة منها . وهذه عناوين الكتب التي نشرت في السنوات الماضية : ١) موقف العرب من الحضارة الحديثة ؛ ٢) مستقبل العالم العربي ؛ ٣) المجتمع العربي ؛ ٤) الأدب العربي الحديث ؛ ٥) مهمة الجامعة في العالم العربي ؛ ٦) البحث العلمي في العالم العربي ؛ ٧) التربية السياسية في العالم العربي ؛ ٨) الضائع من الموارد البشرية في العالم العربي .

أما المؤتمر التاسع الذي عقد في أيار سنة ١٩٥٩ فقد كان موضوعه : « ما ساهم به المؤرخون العرب في المائة سنة الأخيرة في دراسة التاريخ العربي وغيره » .

وقد قسم الموضوع الى أجزاء يعالج كل واحد منها مؤرخ اختصاصي فبحث الدكتور (جورج حداد) من جامعة دمشق في « مؤلفات المؤرخين العرب في غير التاريخ العربي خلال المائة سنة الأخيرة » . ولم يقتصر الأستاذ (حداد) على استعراض الكتب فقط ، بل أضاف اليها المقالات والدراسات التي نشرت في المجلات أيضاً وعمد الى توزيعها على عشرة أبواب كما يلي :

١) تاريخ العالم والموسوعات التاريخية ؛ ٢) فلسفة التاريخ وتاريخ التأريخ ومنهج البحث التأريخي ؛ ٣) الحضارة وتاريخها ؛ ٤) تاريخ الشرق الأدنى القديم والآثار؛ ٥) تاريخ اليونان والرومان وبيزنطة والشرق المعاصر لهم ؛ ٦) التاريخ الكنسي ؛ ٧) تاريخ بلاد أوروبا ؛ ٨) تاريخ بلاد آسيا وافريقيا والدولة العثمانية ؛ ٩) تاريخ بلاد القارة الأميركية ؛ ١٠) تواريخ خاصة . كذلك رأي الأستاذ (حداد) من المفيد أن يميز بين فترتين خلال المائة سنة ، تمتد الأولى من سنة ١٨٥٠ حتى سنة ١٩١٨ والثانية من ١٩١٩ حتى الوقت الحاضر . وقد اشتملت قوائم الكتب المؤلفة والمترجمة التي ألحقها الأستاذ ببحثه (٥٦٠) كتاباً منها ٢١٥ في الفترة الأولى والبقية في الفترة الثانية . أضف الى ذلك قوائم المقالات .

كان هم الأستاذ (حداد) في دراسته أن يكشف عن العوامل التي دعت الى التأليف في الموضوعات التاريخية المذكورة وأن يبين القيمة العلمية للمؤلفات وأثرها في المجتمع العربي ، كما إنه تعرض الى أسباب الإقدام على التأليف في بعض الموضوعات والإحجام عن غيرها .

ثم عالج الأستاذ (محمد توفيق حسن) من الجامعة الأميركية المؤلفات في سيرة النبي محمد (ﷺ) فقال إن المؤرخين الأقدمين كانوا أصدق أخباراً وأصح أفهاماً وأسلم طريقة من الكتاب العرب الحديثين الذين اتبعوا أسلوب القصة التاريخية وهدفوا الى أغراض دينية .

وكان مقرراً أن يتكلم عن (تاريخ الدولة الأموية) الدكتور أحمد صالح العلي ، الأستاذ في جامعة بغداد ، ولكنه لم يستطع الحضور .

وبحث الدكتور (عبد العزيز الدوري) ، من أساتذة جامعة بغداد ، في المؤلفات عن الدولة العباسية حتى سنة ٣٣٤ هـ . فأشار الى أن هذه الفترة قد نالت قسطاً ملحوظاً من العناية ، لأنها فترة ازدهار الحضارة الإسلامية

وفترة « العصر الذهبي » بنظر الأجيال التالية وفي الخيال الشعبي . ولكن الأستاذ (الدوري) يأخذ على الكتب التي ظهرت حتى الآن قلة التحليل والنقد في معالجة المشاكل التاريخية وفقدان الآراء الجديدة والاقتصار على بعض النواحي السياسية والفكرية .

وتولى الدكتور (عبد المنعم ماجد) من جامعة (عين شمس) دراسة المؤلفات المتعلقة بالفترة الفاطمية من سنة ٣٥٨ حتى سنة ٥٦٧ . فتكلم عن المصادر العربية لذلك العهد والجهود التي بذلت لنشرها بطريقة علمية حديثة ثم عن الكتب الخاصة بالفترة الفاطمية في مصر مثل كتاب « كنوز الفاطميين » تأليف زكي محمد حسن وكتاب (الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية) تأليف محمد عبد الله عنان ؛ وكتابي (عبيد الله المهدي) و (المعز لدين الله الفاطمي ، مؤسس الدولة الفاطمية في مصر) تأليف حسن ابراهيم بالاشتراك مع طه شرف ؛ وكتابي (نظم الفاطميين ورسومهم في مصر) و (الحاكم بأمر الله ، الخليفة المفترى عليه) تأليف عبد المنعم ماجد ..

وقد بحث الدكتور (قسطنطين زريق) من أساتذة الجامعة الأميركية في بيروت ، في المؤلفات عن فترة الحروب الصليبية فتكلم عن نشر الأصول مثل كتاب (وفيات الأعيان) لابن خلكان و (الكامل) لابن الأثير والفتح القسي للعماد الكاتب الاصفهاني و (كتاب الروضتين في أخبار الدولتين) لأبي شامة و كتاب (الاعتبار لأسامة بن منقذ) وتاريخ ابن عساكر و (زبدة الحلب من تاريخ حلب) لابن العديم و (الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة) لابن شداد (وكلاهما بتحقيق الزميل الدكتور سامي الدهان) وأشار الى الشروط اللازم توفرها في النشر العلمي . ثم انتقل الى الحديث عن الكتب والمقالات التي وضعها المؤلفون العرب المحدثون في تاريخ الحروب الصليبية أو في بعض نواحيها وبين الأسباب التي دعت الى الاهتمام خاصة بتلك الفترة

كما ألمح الى العوائق التي ما زالت تحول دون تقدم الأبحاث التاريخية في هذا الموضوع .

أما المؤلفات عن عصر المماليك فقد بحث فيهـا الدكتور (نقولا زيادة) أحد أساتذة الجامعة الأمير كية في بيروت ، الذي بدأ أيضاً باستعراض المصادر القديمة التي نشرت نشراً علمياً . وانتقل بعدها الى الكتب القليلة الموضوعة حديثاً سواء عن عصر المماليك عامة أو عن شخصيات بارزة في العصر المملوكي وسعى الى تحليل كل منها وبيان قيمته .

واستعرض الدكتور (عفيف الترك) من بيروت ما ألفه المؤرخون العرب عن الأندلس في المائة سنة الأخيرة فذكر أولاً الرحلات التي قام بها أمثال الكاتب التونسي الورداني وأمير الشعراء أحمـد شوقي والأستاذ محمد كرد علي والفنان اللبناني مصطفى فروخ ثم أشار الى كتب الأستاذ أنيس النصولي في تاريخ الأندلس وكتابي الأمير شكيب أرسلان : « خلاصة تاريخ الأندلس الى سقوط غرناطة » و « الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية » ؛ وأخيراً تكلم بإسهاب عن كتاب الأستاذ محمد عبد الله عنان : « دولة الإسلام في الأندلس » وعن كتاب الدكتور عمر فروخ : « تاريخ العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط » .

ومن ذلك نرى أن ما كتبه المؤرخون العرب المحدثون عن الأندلس ضئيل جداً لا يمكن مقارنته مطلقاً بمؤلفات المستشرقين في هذا الموضوع .

وكان بين المشتركين في المؤتمر المستشرق الألماني المشهور (هلموت ريتر) الذي عاش في استانبول مدة طويلة وعهدت اليه الحكومة التركيـة برياسة لجنة تصنيف المخطوطات هناك . فتكلم عن بعض المخطوطات العربية في التاريخ الموجودة في مكتبات استانبول والتي تستحق النشر .

وأقدم كتاب تاريخ توجد مخطوطة منه في مكتبة (فاتح) هو (كتاب التاريخ) لأبي زرعة عبد الرحمن بن عامر المتوفى بدمشق سنة ٢٨٢ هـ . وفي مكتبة (رئيس الكتاب مصطفى) نسخه كاملة من (أنساب الأشراف) للبلاذري ، وهو بالحقيقة كتاب مهم جداً في التاريخ والتراجم وليس في الأنساب كما يوهم عنوانه . كذلك يوجد خمس عشرة مخطوطة من تاريخ الطبري يمكن الاستفادة منها عند اعادة نشر الكتاب التي أصبحت ضرورية . ومن أهم المخطوطات التاريخية في مكتبات استانبول كتاب (مرآة الزمان) تأليف سبط ابن الجوزي . وهناك كتاب (الروضة الزاهرة في السيرة الظاهرة) وهو يبحث في سيرة الظاهر بيبرس ومؤلفه (ابن شداد) المشهور . ثم هناك في مكتبة (أياصوفيا) نسخة بخط المؤلف (أبي بكر بن عبد الله الدواداري) من كتابه (الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر « قلاوون ») . ومن المخطوطات الهامة في مكتبة (أياصوفيا) أيضاً (٢٧) مجلداً من كتاب « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » لابن فضل الله العمري ، وهو أشبه بموسوعة جغرافية — تاريخية .

وبالاجمال فإن الأبحاث التي قدمت الى المؤتمر كانت مفيدة على الرغم من اختلاف مستواها في الإحاطة والتمحيص والحكم . وقد دلت المناقشات في المؤتمر على أن القوائم الملحقة بالأبحاث لا تشتمل على جميع المؤلفات والدراسات . وهذا طبيعي بسبب الصعوبات التي ما زالت تعترض الباحثين في التعرف الى المؤلفات العربية الحديثة . وقد أشار جميع المتكلمين في المؤتمر الى فقدان المؤسسات التي تعنى باحصاء المؤلفات وفهرستها .

لذلك فإن الكتاب الذي أخرجته هيئة الدراسات العربية في الجامعة الأميركية والذي يشتمل على ما يقارب (١٥٠٠) من المؤلفات التاريخية يسد ثغرة كبيرة ويستحق كل الشكر ...

الدكتور محمد كامل عياد

طريق الوحدة الاقتصادية
والبلاد العربية

تأليف الأستاذ يونس صالح الحربي

طبعة بيروت ، عدد صفحاته ٢٢٨ بالقطع الوسط

لقد أخرج الأستاذ يونس صالح الحربي كتاباً ، بعنوان : « طريق الوحدة الاقتصادية في البلاد العربية » أوضح فيه مفاهيم الوحدة الاقتصادية ، والطريق التي سارت عليها بعض البلاد الأجنبية ، وقد استعرض الاتحاد الجمركي بين النروج والسويد (١٨٧٤ — ١٨٩٧) واتحاد البنلوكس الذي تم بين بلجيكا واللكسمبرج وهولندا ونفذ اعتباراً من كانون الثاني سنة ١٩١٨

ثم حلل أغراض هذا الاتحاد الجمركي ، وشروط الاتفاقات الاتحادية ، وقضية موارد الجمارك والتفضيل التجاري الجمركي والضرائب غير المباشرة بين المتحدين ، وتنسيق السياسة الاقتصادية ، والاتحاد النقدي ، وقد توسع في بحث الكتلة الاسترلينيـة ، ونسبة تجارة بريطانيا مع أقطار كتلة الاسترليني ، وتنسيق السياسات النقدية ، والسياسات المالية ، ومشاريع التنمية الاقتصادية في الاتحادات ، الى غير ذلك من المباحث الهامة .

وبحث أيضاً حركة رؤوس الأموال وازدواج الضرائب ، ولم يستحسن ذلك الازدواج ، إذ قال عنه :

« فمن المعلوم أن ازدواج الضريبة ، له أثر غير ملائم اقتصادياً ، حيث يعمل في جميع الأحوال على تقييد انتقالات رؤوس الأموال لأغراض الاستثمار الاقليمي ، ما دام الأفراد ملزمين بدفع الضريبة في البلد الذي يمارسون أعمالهم فيه ، وملزمين بدفعها أيضاً ، الى سلطات الضريبة في البلد الذي ينتمون اليه رسمياً » (ص ١١٢) .

إن الأستاذ لم يعذر بعض الدول التي اضطرت الى تنفيذ ذلك ، عندما عجزت عن منع تصدير رؤوس الأموال ، التي يقوم به أفراد ، بدافع المنفعة الخاصة من بلادهم بطرق مشروعة أو غير مشروعة ، الى الخارج ، لاستثمار تلك الأموال هناك ، لقلة الضرائب ، أو لكثرة الأرباح ، ويتركون بلادهم بدون أموال تساعدهم على القيام ببعض المشاريع المنتجة .

لقد كان على الأستاذ أن يعذر تلك الدول في ايجادها لقاعدة الضرائب المزدوجة ، التي تحمي مصالح مجتمعها .

ثم دخل في بحث الاتحاد الاقتصادي بين البلاد العربية ، وبيّن ضرورته ، وذلك لتوسيع السوق وتنسيق الصناعة الجديدة ، واستثمار الأنهر في الزراعة والكهرباء ، وتحسين طرق المواصلات وتنقل الأفراد .

واستعرض ميثاق الجامعة العربية ، وعلق عليه بأنه لم ينسق السياسات والنظم والمشروعات الاقتصادية (ص ١٧٣) وان لجنة الشؤون الاقتصادية والمالية للجامعة لم تسهر على وضع قواعد واسعة للتعاون الاقتصادي (ص ١٩٤) .

وفي الحق ان ميثاق الجامعة ، ناقص من نواح عدة ، ومن الضروري تعديله لصالح البلاد العربية ، ليتسنى للجامعة القيام بما يجب عليها .

وبحث أيضاً عن الاتحاد الاقتصادي بين سورية ولبنان ، وكيف كان وكيف انتهى ، واني أعتقد أنه كان من الضروري أن يبقى بعد تعديله لفائدة الفريقين : القومي والسياسي والاقتصادي .

ثم انتهى الى القول : « ان حاجة البلاد العربية الى الوحدة الاقتصادية أمر واضح يسلم به الجميع ، وحقيقة يجب ألا يرقى اليها الشك » (ص ٢٠٥) .

« ويجدر أن نصارح بعضنا بعضاً بأن طريق الوحدة ليس بعيداً ، كما يبدو لأول وهلة .... وهذا كما نعلم شرط لازم من شروط النجاح في معترك

الحياة في عالمنا الحاضر» (ص ٢١٨) ان هذه الكلمة التوجيهية لا يختلف فيها عربي يفهم معناها وفوائدها ٠

ولو ان حضرة الأستاذ المؤلف توسع في بيان : الطرق اللازمة لتأمين الوحدة العربية وفوائد تلك الوحدة من الوجهة القومية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ، بوصفنا أمة عربية واحدة : بالقرابة والدم واللغة والمصالح والمحيط الواحد والتاريخ ، وان بلادنا هي في حاجة ملحة للوحدة ، لأنها أقرب البلاد للدول الاستعمارية التي تتطلع اليها بعين الشراهة والغدر ، لكان أنهى الموضوع على الوجه الأكمل ، ولكن ذلك لا يقلل من قيمة هذا الكتاب ، الذي بذل الأستاذ جهوداً طيبة في اخراجه ، يشكر عليها ٠

منير الشريف

الأساس الاقتصادي للحضارة الأمريكية

تأليف الدكتور شيبارد كلاو

ترجمة أحمد حلمي حجاج

طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥ م (ص ١٩٩)

الدكتور شبرد كلاو هو من علماء الاقتصاد في الولايات المتحدة ، واسع الثقافة والخبرة ، وكتابه هذا يحوي على اقتصاديات الولايات المتحدة ، فيما يتعلق بالصناعة والمواد الطبيعية ، وفنون الصناعة وعوامل النمو الصناعي ، والتوسع في الزراعة ، النقل ، والتجارة ، والنقود والبنوك ، والسكان والقوة العاملة والحركة المالية ، وتنظيم الأعمال ، والثورة الاصلاحية ، وتركيز الثروة ، والدورات التجارية ودولة الرفاهية ، والماضي والحاضر والمستقبل ، وألحق بفصوله هذه جداول تتضمن أرقاماً ، يدعم فيها مواضيعه ٠

وقد كتب الدكتور كتابه بعاطفة وطنية أمريكية ، لذلك فقد قال في صدر كتابه :

«وفي الحق انه لم ينعم شعب قط بمثل الفيض من الوفرة المادية في معيشته ، مما نشاهده الآن في متناول الشعب الأمريكي» (ص ٧)

ولما بحث المؤلف عن الصناعة في الولايات المتحدة ، وازدهارها ، قال ان دخلها القومي الذي كان في عام ١٨٧٩ عبارة عن ١٣و٩ ٪ من مجموع الدخل العام ، قد ارتفع في عام ١٩٥٠ الى ٣٠و٧ ٪ (ص ١٠) على ان الدخل القومي من الزراعة قد هبط من ٢٠ ٪ في عام ١٨٧٩ الى ٧و٢ ٪ في عام ١٩٥٠

وبين ما لدى أمريكا من المحروقات ، والمعادن ، والقوى الكهربائية ، والمعادن الكيميائية ، والغابات والآلات الصناعية ، وسلع الاستهلاك ، وقد أحسن صنعاً في ذكر ذلك ولو انه دعاية لشعبه .

وبين انتاج القطن في الولايات المتحدة ، وكيف انه ارتفع من مليوني بالة عام ١٨٦٦ الى ١٨ مليون بالة في عام ١٩٢٦ ثم هبط الى ١٢ مليون بالة بعدئذ لاشتداد المنافسة الأجنبية .

وقد أوضح أن الحكومة الأمريكية ، كانت تبيع الأراضي ، قطعاً كبيرة بداعي (أن بيع القطع الصغيرة كان عقيماً ومعقدا) وان الأراضي الزراعية في عام ١٩٤٥ كانت ملياراً و ٩٠٥ ملايين فدان تملك الحكومة منها ٥٦٠ مليون فدان والباقي يملكه الأهلون (ص ٥٧ — ٦٠) وكان عليه أن يذكر عدد المالكين ، لأن ذكرهم يظهر حماية الحكومة للأفراد ، أكثر من الجماعة .

وقد بين ما للآلات من تأثير كبير في الزراعة ، وان الزراع صاروا يؤسسون الجمعيات التعاونية ، وقد استفادوا منها (ص ٧٦) وهذا صحيح ، لأن التعاونيات الزراعية من أضر ما يكون وخاصة للشؤون الزراعية .

وبين تدخل الحكومة في الشؤون الزراعية ، وذلك بمساعدة الزراع وتسليفهم ، والعناية بمساكنهم (ص ٧٨ و ٧٩) وهذا عمل حسن ، من حكومة أسست على الرأسمالية .

وبين اهتمام الحكومة بأمر طرق المواصلات البرية والجوية والبحرية ، والبنوك ونشاطها ، واهتمام الأمريكي بالادخار ، وقد قال المؤلف عن الادخار :

« وينبغي على كل نظام اقتصادي سواء كان حراً أو شيوعياً أو اشتراكياً ، أن يشجع الادخار والتثمير لتحقيق التقدم الاقتصادي » (ص ١١٤) وهذا حق لأن كل عمل منتج يحتاج الى رأس المال ، ولا يتكون رأس المال إلا بالعمل والادخار ، ثم باستثمار المدخر .

وبين حالة تزايد السكان الذي ارتفع عددهم من ٤ ملايين عام ١٧٩٠ الى ١٥٠ مليون عام ١٩٥٠ ونسب أسباب تكاثر السكان السريع الى ارتفاع معدل الزيادة الطبيعية ، ثم الى الهجرة .

والحقيقة أن الزيادة نتجت عن الهجرة أولاً ، ثم تناسل المهاجرين هناك ، وكان عليه أن يذكر عدد المهاجرين الى أمريكا الذين بلغ عددهم منذ عام ١٩٢٠ الى عام ١٩٥٠ مقدار ٣٣٫٢٤٦٫٣٣٩ نسمة . (عن كتاب اقتصاديات الولايات المتحدة المطبوع عام ١٩٥٢ ص ٩٧) . وقد كان الرخاء في أمريكا السبب الأول في تلك الهجرة .

وبحث عن تنظيم حياة العمال في أمريكا وعدد أعضاء الاتحاد العام للعمال عام ١٩٤٩ .

وبحث عن سوق الأوراق المالية التي أنشئت في نيويورك عام ١٧٩٢ ، وعن الشركات الصناعية والمالية التي أحدثت في الولايات المتحدة ، وقد بلغ عددها عام (١٩٣٣) ٥٤٠٫٠٨٠ شركة مساهمة .

وبحث عن قضايا الاحتكار في الولايات المتحدة ، وانه قد صدر قوانين بمقاومة الاحتكار في عام ١٨٩٠ وعام ١٩١٤ وفي عام ١٩٣٥ حيث حلت بعض الشركات ، وحددت الأسعار لبعض الانتاج (ص ١٦٤ — ١٦٦) وهذا يعني أن الدولة الرأسمالية ، قد أصبحت تفكر بمصير المجموع .

وقد بحث عن الدخل القومي ، والضريبة الصناعية ، وبين أن واحداً في المئة من السكان حصلوا على ٢٠٪ من مجموع الدخل القومي في عام ١٩٢٩ ، وان الضريبة التصاعدية قد فرضت أثناء الحرب الأهلية (أي في أعوام ١٨٦١ — ١٨٦٥) لأول مرة ثم أبطلت ، وفي عام ١٩١٣ عدل الدستور (للمرة السادسة عشرة) ففرضت الضريبة التصاعدية من جديد ، ويقول ان أعلى حد لهذه الضريبة هو ٦٣٪ (ص ١٧١) ولكن كتاب احصاءات الولايات المتحدة الصادر عام ١٩٥٢ يقول ان نسبة تلك الضريبة القصوى كانت في عام (١٩٤٤) ٨٨،٩٪ وفي عام (١٩٥١) ٨٦٪ بينما لم تكن في عام ١٩١٣ الا خمسة بالمئة .

ثم بحث عن تقلبات الحركات التجارية ، والأزمة الاقتصادية ١٩٢٩ — ١٩٣٢ ، وسقوط قيمة أسهم الشركات ، وازدياد قضايا الإفلاس ، بمقدار الثلث ، وارتفاع عدد العمال العاطلين عن العمل الى ١٢ مليوناً .

الحق أن تلك الأزمة ، كانت فريدة في نوعها ، في الولايات المتحدة ، وكان سببها قلة التدبير على أن الرئيس روزفلت عالجها بدقة .

وبحث عن التأمين والضمان الاجتماعي ، ذلك الضمان الذي لم يظهر في الولايات المتحدة إلا عام ١٩٣٥ بينما ظهر أثره في القرن التاسع عشر ، وهذا الضمان قد أمن الحياة للملايين من الناس هناك .

كما أنه بحث عن ضريبة الأيلولة (الميراث) التي فرضت لأول مرة في

الولايات المتحدة عام ١٩١٦ ، وقد فرضت على الهبة أيضاً للحيلولة ، دون تهرب المتقدمين في السن من الضريبة ، عن طريق وهب ثروتهم الى من يريدونه ، وهي تصاعدية ، ولم يبين المؤلف نسبتها ، ومقادير ما يجبى منها ، لذلك أقول أن نسبة ضريبة الميراث التصاعدية التي تستوفيها الحكومة الاتحادية في الولايات المتحدة ترتفع الى ٧٧ ٪ وذلك بحسب قرابة الوارثين من المتوفى ، وفي الوقت نفسه فان ضريبة الولايات هناك من ذلك الميراث أيضاً تبلغ ٢٠ ٪ في الولايات المتحدة الامريكية .

وأما ضريبة الهبات فهي ترتفع الى ٥٧ ٪ ، وذلك كما جاء في كتاب : (المنال الأمريكي لعام ١٩٥٣ ص ٦١٢ — ٧٥١) .

هذا ملخص كتاب المؤلف ، الذي أوضح فيه أن الولايات المتحدة كانت سائرة في طريق الرأسمالية الفردية ، ثم بدأت تعدل أنظمتها ، لتماشي الطبقة المتوسطة والعاملة .

وقد ختم المؤلف كتابه بقوله :

« والانتقاد مستمر لبعض المساوئ كالفساد في مصالح الحكومة ، وانتشار العصابات ، وتفشي المخدرات بين الأحداث ، والأساليب الملتوية ، التي يلجأ اليها رجال الأعمال ، ولكن هذا الانتقاد ليس إلا مظهراً من مظاهر العمل على استئصال الشر » (ص ١٩٣) .

ثم يبحث عن المخاطر التي قد تتعرض لها الولايات المتحدة ، ثم خرج الى القول : « لأن مواردنا الطبيعية آخذه في الاضمحلال ، ولأننا غير واثقين من قدرتنا على الاستعاضة عما لدينا بما نستورده من الخارج » (ص ١٩٨) .

وهو كأمريكي محب لبلاده ، يجلب النظر الى تلك المنات في قومه ، والى تلك المخاطر الاقتصادية المقبلة ، ثم يقول ان بامكان أمريكا استبقاء

تلك الرفاهية إذا تجنبت الحروب الطاحنة ، ولكن لم يذكر كثرة ما تستورده بلاده من الخارج ، عند بحثه عن المستورد عام ١٩٥٠ بينما قد بلغ مقدار ثمانية مليارات و ٥٦ مليون دولار ، مع أنه لم يصدر في تلك السنة إلا ما قيمته عشرة مليارات و ٢٧٢ مليون دولار . (عن احصاء الحكومة الأمريكية الذي قدمته الى جامعة الأمم) .

كما أن الولايات المتحدة مديونة الى شعبها بمبالغ ضخمة ، قد بلغت في عام (١٩٥٠) ٢٥٦ مليار دولار بينما لم تكن في عام ١٩٤٠ سوى ٤٣ مليار دولار ، وذلك ميراث الحرب العامة الثانية ، ومن الصعوبة بمكان تسديد هذه الديون مع فوائدها ، التي تتزايد سنة بعد أخرى .

وصفوة القول . ان هذا الكتاب ، جدير بالقراءة ، لأن مؤلفه من علماء الاقتصاد ، وقد درس اقتصاديات بلاده ، وكتب عنها كرجل محب لقومه ، ومتفائل أكثر من متشائم بمستقبل بلاده .

منير الشريف

آراء وأنباء

قرار في موضوع

« مدى التعريب في ألفاظ تصنيف المواليد »

ألقى رئيس المجمع العلمي العربي في المؤتمر السادس والعشرين لمجمع اللغة العربية بالقاهرة بحثاً نشرناه في هذا العدد من المجلة (١٧٧ — ١٨٥) . وقد أحاله المؤتمر على لجنة الأحياء والزراعة ، فاتخذت فيه القرار التالي :

اجتمعت لجنة علوم الأحياء والزراعة (في الساعة الخامسة من مساء الأربعاء ١٤ من رجب سنة ١٣٧٩ هـ الموافق ١٣ من يناير سنة ١٩٦٠ م) بحضور السادة الأساتذة : الدكتور علي توفيق شوشة والأستاذ الأمير مصطفى الشهابي والدكتور عبد الحليم منتصر (أعضاء المجمع) ، والدكتور عبد العظيم حفني والدكتور حامد عبد الفتاح جوهر والدكتور أحمد محمد مجاهد والدكتور أحمد حماد الحسيني (خبراء اللجنة) . واعتذر عن التخلف الأستاذ ابراهيم مصطفى عضو المجمع .

ونظرت اللجنة في بحث الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي وعنوان البحث « مدى التعريب في ألفاظ تصنيف المواليد » وهو السابق إحالته من المؤتمر الى اللجنة (في جلسته السابعة بتاريخ ٤ / ١ / ٥٩) .

وبعد أن تباحث أعضاؤها ملياً في هذا الموضوع ، وفي مدى الترجمة والتعريب والنحت في ألفاظ تصنيف المواليد من نبات وحيوان وجماد ، رأت

أن القواعد المقترحة لا تخالف القواعد العامة التي وضعها المجمع وسار عليها حتى الآن ، وأن في تلك القواعد المقترحة تفصيلات يفيد منها واضعو المصطلحات العلمية في علوم الأحياء .

وبعد المداولة فيها رأت اللجنة أن تقترح على المؤتمر الموافقة على القرارات الآتية :

١ — ترجمة الألفاظ العلمية بمعانيها هو المجال الأوسع في حلقات التصنيف العليا وهي الشُعَب (١) والطوائف (٢) والرتب (٣) .

٢ — أسماء الفصائل (٤) والقبائل النباتية (٥) تكون عربية أو معربة على حسب اسم النبات الذي تنسب اليه .

٣ — أجناس المواليد التي ليس لها أسماء عربية تعرب أسماؤها العلمية إذا كانت منسوبة الى أعلام ، وتترجم بمعانيها إذا أمكنت ترجمتها في كلمة عربية واحدة سائغة . وإن لم يكن ذلك ممكنا رُجح تعريبها .

٤ — لا مجال للتعريب في الألفاظ العلمية الدالة على أنواع النبات لأن جميع هذه الألفاظ أو معظمها نعوت أو صفات أو منسوبات إلى أعلام ، تُترجم ترجمة في جميع اللغات الحية .

٥ — يوجد مجال للترجمة وللتعريب جميعاً في الألفاظ الدالة على السلالات (٦) وعلى الأصناف (الضروب) (٧) .

٦ — لا مجال للنحت ولا للتركيب المزجي في تصنيف المواليد ولا حاجة اليهما .

٧ — تجمع أسماء الشعب (١) والطوائف (٢) والرتب (٣) جمعاً مؤنثاً سالماً (بالألف والتاء) ، وتُجمع أسماء الفصائل (٤) والقبائل (٥)

---

١ — Phylum (Embranchement Fr.)
٢ — Class (Classe Fr.)
٣ — order (ordre Fr.)
٤ — Family (Famille Fr.)
٥ — Tribe (Tribu Fr.)
٦ — Strain (Souche ou race Fr.)
٧ — Variety (Variété Fr.)

بالتاء المربوطة [١] .

صَوْغ «مَفْعَلَة» من أسماء الأعيان الثلاثية الأحرف مما وسطه حرف علة

كان رئيس مجمعنا ذاكر أعضاء لجنة المجلة في موضوع صوغ «مَفْعَلة» من كلمات تُوْت وخَوْخ وتين وأشباهها مما وسطه حرف علة ، للمكان الذي تكثر فيه تلك الأعيان .

وتساءل الأعضاء هل يُكتفى بقاعدة الإعلال فيقال مَتاتة ومَخاخة ومَتانة ، أم يجوز التصحيح فيقال أيضاً مَتْوَتة ومَخْوَخة ومَتْيَنة ؟

ورأى رئيس المجمع أنه من الضروري طرح هذا السؤال على مجمع اللغة العربية في القاهرة لما له من قرارات مفيدة في قياسية بعض القواعد تسهيلاً لعمل واضعي المصطلحات العلمية ومحققيها .

---

(١) وافق مؤتمر مجمع اللغة العربية على قرار اللجنة دونما تعديل ، وذلك في جلسته المعقودة في الرابع عشر من كانون الثاني « ينساير » سنة ١٩٦٠

ويلاحظ أن اللجنة أضافت على القواعد التي وضعها رئيس المجمع العلمي العربي (تراجع في ص ١٨٥) قاعدة سابعة تميز في الجمع حلقات التصنيف العليا وهي الشعب والطوائف والقبائل من الحلقتين اللتين تتلوانها وهما حلقة الفصائل وحلقة القبائل . فيقال مثلاً في طائفة الحشرات : رتب مستقيمات الأجنحة ومغمدات الأجنحة وعصبيات الأجنحة الخ . (بالألف والتاء) . أما الفصائل في تلك الرتب فتجمع بالتاء المربوطة فيقال في فصائل مستقيمات الأجنحة مثلاً : الجرادية والجدجدية والسرعوفية وهكذا .

وقد أحال مجمع اللغة العربية هذا الاستفسار على لجنــة الأصول فاتخذت فيه القرار الآتي :

« القاعدة في صوغ مَفعَلة مما وسطه حرف علة هي الإعلال ، فيقال في مثل توت وخوخ وتين مَتَاتة ومَخاخة ومَتَانة ؛ ولكن وردت في اللغة ألفاظ كثيرة بالتصحيح لا الإعلال ، مثل مَثْوَبة ومَشْوَرة ومَصْيَدة ومَقْودة ومَبْوَلة . ويرى النحاة أن الاحتفاظ بالأصل يُلجأ اليه أحياناً . ولا شك أن بقاء الكلمة من غير إعلال أبين في الدلالة على المعنى . والإعلال في هذا الباب غير مستحكم . وقد نقل عن أبي زيد النحوي إجازة التصحيح في أفْعَلَ واستفعلَ ، كأغْيَمَ وأغْيَلَ واستحوَذَ واستقوَمَ واستجوَبَ واستصوَبَ . واذا أجيز التصحيح في الأفعال فالإجازة في الأسماء مقبولة ، لأن الأسماء في هذا الباب محمولة على الأفعال في الإعلال » .

وفي جلسة السابع عشر من كانون الأول « ديسمبر » سنة ١٩٥٩ وافق مؤتمر مجمع اللغــة العربية على قرار لجنة الأصول هذا ، ومنه يتضح جواز التصحيح (علاوةً على الإعلال) في صوغ « مَفْعَلة » من أسماء الأعيان الثلاثية الأحرف التي ليس لها أفعال كتوت وخوخ وتين وأشباهها .

ديوان ابن عُنين

تعليق على استدراك

-٢-

تابع الأستاذ اليمني استدراكاته في مقاله المدرج في الجزء الأول من المجلد الخامس والثلاثين من مجلة « المجمع العلمي » مبتدئاً بقصيدة لابن عنين ، مدح بها الملك المعظم وقد قتل أسداً بالغور . جاء فيها :

ماذا حلوا عنك عند قتالك الليث وليس العيان كالخبر

وعلّق في الحاشية على كلمة «حلوا» . . كذا

نقول : قد يكون الأصل : (حكوا) بالكاف من حكى « يحكي » كما يقتضيه ظاهر اللفظ والمعنى .

وبعد هذا البيت :

من وثبات ومن سُطى وثبات قلّ ما يجتمعن في بشر

وعلق في الحاشية على كلمة « سطى » بقوله : « سطى أخلت به المعاجم ولعله الواوي لو ثبت » . ولم أتبين المراد من هذه العبارة . و (سطا) أثبتتها المعاجم فهذا لسان العرب ، شغلت فيه (سطا) صفحة كاملة . قال : « السطو القهر بالبطش . والسطوة المرة الواحدة . وجمعها (سطوات) وقد يكون ابن عنين جمعها على (سطى) من قبيل التجوز .

وبعد هذه القصيدة ، أبيات في رجل من أصدقائه أهدى اليه صابوناً وماء ورد ، بعد نبوة كانت بينهما :

فتى أهدى اليّ اليوم صابوناً وماء وردِ
ليغسل عرضه مما بدا منه وما يجدي
ولو بالبحر أو بالقطر أو بالغيث ان اهدي

ولا نرى محلاً هنا لقوله «ان اهدي» ولعلها «ما يهدي» فيكون المعنى : «ان هذا الرجل لا يغسل عرضه ماء البحر ولا القطر ولا الغيث فلا يجدي ما يهدي . أي لا يجديه ما يهديه ، وبهذا يستقيم المعنى .

وفي الصفحة الـ ٤٧ — ٤٨ : انه ابل من مرض ، واحتاج الى فتائل عنبر . . فكتب الى الشيخ تاج الدين . . يطلب منه شيئاً من ذلك :

يا أيها المولى الذي عرفه يضوع كالمسك مع الغاليه
مبدّل وقد البسه الله (كذا) من لطائف البرء حلى حاليه

ورأى الأستاذ أن البيت مكسور ، فوضع بعد كلمة «الله» (كذا) على ما أثبتناه هنا . وكان عليه أن يضع هذه الاشارة بعد (وقد) التي كانت سبب (العلة) فلو حذفت لاستقام البيت :

مبدّل ألبسه الله من لطائف البرء حلى حاليه

والمبدّل : المغير من حال الى حال .

وفي صفحة الـ ٥٤ :

لي حبيب الخد ماشين بالعذار منه ذلك الطرس (كذا)

وضع (كذا) على جاري عادته في البيت الذي لا يراه صحيحاً وزنه .

وقد يكون هذا البيت :

ولي حبيب الخد ماشين بالـعذار منه ذلك الطرس

وفي الصفحة الـ ٥٥ لغز في شبل :

نقطوا رأسه بنصف الثريا ولعانيه رافض الشين (كذا)

ويستقيم الوزن لو قيل «بالشين» غير أنه لم يتضح لي معنى له .

وفي الصفحة الـ ٥٦ وكأنه يصف عذار فتى :

وروضة من أديم الخد منبتها أزرى(؟)بكل حرير حيك بالذهب

وضع بعد كلة (أزرى) علامة استفهام . والبيت صحيح الوزن ويصح معناه على روايته هذه . وجائز أن يقال «أزرت» فيعود الضمير على الروضة .

وفي الصفحة الـ ٥٨ :

كالجاثليق على عُصيّته يعدو ودار خلفه القس

وعلّق في الحاشية على هذا البيت :

«وأصلنا : (أي في نسخته) داير خلفنا كذا . قال : والنسختان فيهما سقم» .

والذي نراه أن الصواب : يعدو ودار وراءه القس .

وأصوب منه : يعدو ويعدو خلفه القس .

هذا ما تنبهنا له ، فوقفنا عنده نلفت نظر الأستاذ له .

وفي الصفحه الـ ٥٩ سطرها الثاني بيت أعيد بنصه مرة ثانية في الصفحة الـ ٦٠ ، كنا نريد أن تتنزه مجلة «المجمع» عن نشره . وهي هفوة تؤخذ على الأستاذ ، وعلى لجنة المجلة .

ومن المفيد في خدمة هذا الديوان ، أن ينشر البيتان : بيت المطبوعة ، وبيت المخطوطة ، لتجوز المقارنة بينهما لا أن يكتفي بالكلة أو الكلتين ، لأن المفاضلة في مثل هذه الحالة متعذرة إلاّ بالرجوع الى الديوان وهي مراجعة تطول .

ففي أبيات النسخة المطبوعة أبيات تفضل المخطوطة ، وفي هذه ما يفضل تلك .

من أمثال ذلك ما جاء في الصفحة الـ ١٥٣ لغزاً في الميزان . ففي المطبوعة :

لنا حاكمٌ أعمى سديدٌ قضاؤه ولو كان ذا عين لما سدّد الحكما

وفي المخطوطة :

لنا حاكم أعمى سديد قضاؤه ولو كان ذا عينين ما سدّد الحكما

ورواية المطبوعة في هذا البيت خير من المخطوطة سبكاً ومعنى . فالميزان ذو العينين يصح حكمه ولا يصح حكمه اذا كان ذا عين واحدة ......

وبعد هذا البيت بيت آخر في اللغز نفسه • وروايته المخطوطة أفضل من المطبوعة • والبيت على ما جاء في طبعة الديوان :

إذا خزَّ منه الرأس ثم نكسته غدا ناريا فاعجب وصفُ لك الاسما

وأشار الأستاذ المردمي رحمه الله في الحاشية الى رواية ثانية لهذا البيت وهي :

إذا جز منه الرأس ثم نكسته غدا ناريا فاعجب وصفتُ لك الاسما

والروايتان دون رواية المخطوطة وهي :

إذا حُزَّ منه الرأس ثم نكسته غدا نازيا فاعجب وصفتُ لك الاسما

فالميزان اذا حُزَّ رأسه أي حذفت الميم منه وعكس غدا « نازيا » •

فالمضي في هذه المقارنات والموازنات تقتضي نشر البيتين كليهما ـ على ما قلناه ـ والرأي بعد للأستاذ الميمني وفقه الله • **عارف النكدي**

تصحيحات

في المقالين المدرجين في الجزء الأول المجلد الـ ٣٥

الصفحة الـ ١٣	قاعدة معروفة	ضوابها :	قواعد معروفة
〃 الـ ١٤	لايستقيم لها اتساق	〃	اتساق
〃 الـ ١٦	حدد ذكر مصادرها	〃	فقد ذكر
〃 الـ ١٦	وجاء له	〃	جاء له
〃 الـ ١٧	ان يُمرّ به	〃	ان تُمرَّ

ملاحظة

في الصفحة الـ ١٢٨ في مقال الأستاذ عبد الله كنون صدر بيت من الشعر :

« قدّت فؤادي من الشباك إذ نظرت »

وعلقت لجنة المجلة على كلمة (فؤادي) حاشية قالت فيها :

« كذا . ولعل (قلبي) بدل (فؤادي) ليستقيم الوزن » .

وحاشية اللجنة من قبيل السهو . فالشعر مستقيم وزنه مع كلمة (فؤادي) ولا يستقيم مع كلمة (قلبي) .

عارف النكدي

استدراك

قرأت في المجلة (الصفحة ١٧٤ جزء كانون الثاني ١٩٦٠) احتجاج الأستاذ الجباوي لدعواه أن الفصاحة لا تزال في بعض قبائل العرب بمقالتي (الأعرابي والشعر) المنشورة في الرسالة سنة ١٩٣٩ والتي هي في كتابي (صور وخواطر) مع أنها قصة أدبية كل ما فيها من عندي ، فلا لقبيلة (السوالم) ولا للأعرابي ولا لشيء مما كان وجود .

علي الطنطاوي

خطأ مطبعي

جاء في الجزء الأول من المجلد الخامس والثلاثين في الصفحة ٨ والسطر ١٢ : ان الابدال اللغوي والصواب حذف (اللغوي) .

حول ديوان ابن عنين

قرأت في الجزء الرابع من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة ، القسم الأول من مقال مفيد للأستاذ العلامة عبد العزيز الميمني في وصف نسخة ناصعة من ديوان ابن عنين الذي نشره الأستاذ الرئيس الراحل خليل مردم بك رحمه الله سنة ١٣٦٥ عن ثمان نسخ خطية توجد في مكتبات مختلفة من بلاد العرب وأوربا .

ولما كانت المخطوطة الهندية التي وصفها الأستاذ الميمني تحتوي على ٣٤ زيادة ، ما بين مقاطيع وقصائد فاتت النسخ المطبوع عليها ، وبعض أخبار وروايات لا يخلو استدراكها من فائدة ، فقد ضمن الأستاذ مقاله هذه الزيادات والاستدراكات خدمة للديوان المذكور ، وإفادة لعموم القراء

وأثناء قراءتي للمقال ، لاحظت بعض الهفوات في بعض الأبيات مما لم يعن الميمني بتصحيحه أو لم يتوفر عليه بهمته المعروفة في التحقيق ، فأحببت أن أنبه عليها ، واخترت أن يكون ذلك بعد نشر أقسام المقال كلها . وإذا بالجزء التالي من المجلة يحمل تعليقاً في الموضوع بقلم الأستاذ عارف النكدي عضو المجمع العلمي . فلما قرأته ، وجدته قد أشار الى ما وقع في نفسي من تلك الهفوات وصححها على الوجه الصواب فيها ، إلا بعضاً منها غفل عنه أو لم يوافق نظري في تصحيحه نظره ، فها أنا أبادر بما عنّ لي في ذلك مشاركاً الزميلين الكريمين في خدمة هذا الديوان الذي يعد من أنفس الآثار الأدبية في لغة الضاد .

في قصيدة ابن عنين الأولى التي استدركها العلامة الميمني (ص ٥٨٩) من جزء المجلة المذكور وقع هذا البيت :

فما الخِضَمّ الطامي غواربُه   ولولا الغيوث الهواطل النُطُف

وهو هكذا لا يتزن ، وقد صوبه الأستاذ النكدي بحذف الواو من (ولولا) ولكن هذا التصويب يقيم اللفظ ولا يقيم المعنى ، فالظاهر أن صوابه هكذا :

فما الخضم الطـامي غواربه ولا الغيوث المواطل النطف

أي بحذف لو . والمعنى أنه بعد أن دعا طالبي العارفات الى الاغتراف من ندى الممدوح في البيت قبله استشعر عظمة ذلك الندى فجعل البحر والمطر مما يصغر عنده فقال منكراً : (فما الخضم ؟) .

وفي القصيدة الثانية من المستدرك (ص ٥٩٠) جاء المطلع في المخطوطة الهندية هكذا :

حلومك أرسى من شمام وأرسخ ومجدك أعلى من (جبا) ل وأشمخ

وهذا يعني أن الحروف الواقعة بين المعقفين من زيادة المُستدرِك ، وقد نبه في الحاشية على أن محلّها من المخطوطة مأروض . وعلق الأستاذ النكدي على هذا المطلع بقوله : «على ما في هذا البيت من ضعف تزيده هذه (الحلوم) جمعاً لحلم التي تصدرت في رأس هذا المطلع ، مع هذا : لا نظن أن ابن عنين يقول مجدك أعلى من جبال ، يفضل مجد صلاح الدين على (جبال) وهي نكرة لا يصح معها تفضيل» ثم رجح أن يكون أصل الكلمة جبلاً معروفاً مثل تعار أو قنار .

وملاحظة الأستاذ على هذا البيت في محلها ، فأما كلمة حلوم فيجوز أن بعض الناسخين أبدلها من كلمة حلم لما رأى البيت لا يتزن بحلم مفرداً ، ويكون الشاعر قال : (حلمك أرسى من شمام) بثَلْم التفعيلة الأولى على مذهب القدماء . والعروضيون وان اختلفوا في جواز الثلم للمحدثين فان هؤلاء لم يبالوا بخلافهم وارتكبوه كلما دعتهم لذلك ضرورة . وأما كلمة جبال فاني أوافق الأستاذ على عدم مناسبتها للمقام ، ولكني لا أوافقه على أن يكون اسم الجبل المقصود تعاراً

أو فقاراً أو غيرهما ، مما (لام) الكلمة فيه غير لام ، كيف وهذا هو السبب الذي جعل الأستاذ الميمني يقدر أنها (جبا) ل ؟ ..

والذي يظهر لي أن اسم هذا الجبل هو إلال المذكور في شعر النابغة :

يَزُرْنَ إلالاً سيرُهنّ تَدافُع

ولا أذكر اسم جبل بهذا الوزن آخره لام إلا هذا .. وإليكم ما ورد عنه في معجم البلدان :

(ألال) بفتح الهمزة واللام وألف ولام أخرى بوزن حمام ، اسم جبل بعرفات . قال ابن دريد : جبل رمل بعرفات عليه يقوم الامام . وقيل ألال جبل عرفة نفسه . قال النابغة :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وهل يأثمن ذو أمة وهو طائع

بمصطحبات من لصاف وثبرة يزرن الالاً سيرهن التدافع

وقد روي الال بوزن بلال . قال الزبير بن بكار : « الال هو البيت الحرام والأول أصح » وأورد بعد ذلك اشتقاقه وشعراً للشريف الرضي يقول فيه :

فأقسم بالوقوف على الال ومن شهد الجمار ومن رماها

وهو يشهد لكونه الجبل .

وفي رحلة العلامة ابن رُشَيْد الفهري السبتي المسمّاة ملء العَيْبَة ، فيما جُمِع بطول الغَيْبَة ، في الوجهين الكريمتين الى مكة وطَيْبَة ، الموجود مخطوطها الوحيد بمكتبة « الاسكوريال » في اسبانيا ، وصف دقيق لهذا الجبل ، وضبط وثيق لاسمه ، أنقل هنا بعضه . قال رحمه الله : « وهي أعني هذه الصخرات عند الجبل الذي يعتني الناس بصعوده ويسمونه جبل الرحمة وجبل الدعاء ، واسمه في لسان العرب إلال على وزن فعال بكسر الهمزة ، وذكره صاحب الصحاح في اللغة بفتح الهمزة ، وهو خلاف المحفوظ . وبالعكس ضبطه أوعلي

في البارع وقال : هو جبل بعرفات . وكذلك حكاه بالعكس صاحب المجمل والمحكم وأبو عبيد وغيره من أئمة هذا الشأن . قال أبو عبيد : إلال بكسر أوله على وزن فعال كأنه جمع ألة جبل صغير من رمل عن يمين الامام بعرفة قال النابغة :

بمصطحبات من اصاف وثبرة ... يُرِدْن الالاَّ سيرُهن تدافع

وقال طفيل :

فزُرْن الالاّ لا يُنْتحبْن غيرَه ... بكل مُلبٍّ أشعثِ الرأس مُحرِمِ

وفي البارع الألّ جبل رمل بعرفات . هكذا ذكره بلفظ المفرد على وزن فعل . قال وكتب هشام بن عبد الملك الى بعض ولده : «أما بعد فاذا ورد كتابي فامض الى الال فقم بأمر الناس» فلم يدروا أي ولاية هي حتى جاء أبوبكر الهذلي فقال له : هي ولاية الموسم وأنشده بيت النابغة المذكور :

يزرن إلالاً سيرهن تدافع

وهذا الذي قاله أبو عبيد ونقله كله صحيح ، إلا قوله انه جبل رمل فليس كذلك ، وانما هو جبل مرتفع من حجر صلد ، وقد نبتت منه أجبُل بعضها أكبر من بعض يسمى بعضها النبعة ، وبعضها النبيعة بالتصغير جريًا على خيالات العرب في تسمياتها كأنها نبعتا منه» هذا الذي تعلق به الغرض من كلامه ، ولتنظر بقيته في الحلقة ١٨ من سلسلة «ذكريات مشاهير رجال المغرب» التي خصصناها بترجمة ابن رشيد .

ومما يناسب ذكره هنا أن صاحب متن الكافي في علمي العروض والقوافي عند تعرضه لحركات القافية وذِكرِه للاشباع قال : «وهُوَ حركةُ الدّخيل ككسرة لام سالِم وضمة فاء التدافُع وفتحة واو تطاوَلي» فكتب محشيه العلامة الدمنهوري على قوله وضمة فاء التدافع ما يلي : «أي من قول النابغة

(يزرن ألالاً سيرهن التدافع . .) وألا أداةُ استفتاح وتنبيـه ، ومقصوده الإخبار والتنبيه بأن هؤلاء النسوة حين بروزهن من الخدر ليس عندهن في السير تدافع ، كذا قال بعضهم ، لكن الذي في شرح العيني والأَلال بفتح الهمزة جبل بعرفات ، والالال مصدر أيضاً يقال أل الفرس ألاً كمد مداً بمعنى أسرع . فتأمل » .

وإنما نقلت كلام الدمنهوري هنا لأني رأيت بعض من ألف في العروض حديثاً نقل خطأه وأغفل صوابه ، وإنما التوفيق من الله .

ونرجع الى قصيدة ابن عنين فنقرأ فيها هذا البيت :

يلام على بذل المواهب والندى ويُلحى على إحسانه ويُبرِّخ

ولعل يرخ هذه تحريف مطبعي عن يوبخ بالواو .

وبعده : « فيعرض إعراض الكريم بسمته . . » وعليه تعليق بقول ان الأصل بسمه . وفي ظني أن اصلاحه (بسمعه) يكون أوفق .

وفي صفحتي (٥٩٤ و ٥٩٥) أورد الأستاذ حكاية ابن عنين التي اتهم فيها بعض أشراف مكة بسرقة قماشه والشعر الذي قاله في ذلك ، وأعرف رواية أخرى لهذه الحكاية ذكرها الشريف محمد بن الصادق بن رَيسون في كتابه « فتح العليم الخبير في تهذيب النسب العلمي بأمر الأمير » (مخطوط خاص) وأنا أنقلها عنه تتميماً للفائدة ، قال : « وفي جواهر العقدين في فضل الشرفين ، شرف العلم الجلي والنسب العلي للإمام جمال الدين عبد الله الحسني السمهودي رضي الله عنه ورحمه ما نصه : ومن العجب أن أبا المحاسن نصر الله بن عنين الشاعر توجه الى مكة المشرفة ومعه مال وقماش فخرج عليه بعض الأشراف من بني داود المقيمين بوادي الصفراء فأخذوا ما كان معه ، وجرحوه فكتب قصيدة الى الملك العزيز طغتكين بن أيوب صاحب اليمن ، وقد كان أخوه الملك الناصر أرسل اليه يطلبه ليقيم بالساحل المفتتح من أيدي الافرنج فزهده ابن عنين في الساحل ورغبه في اليمن وحرضه على الأشراف المذكورين وأول القصيدة :

أغنت[١] صفات نداك المقمع اللسنا وحزت في الجود حدّ الحُسْن والحسَنا
وما تريد بجسم لا حياة له من خلص الزبد ما أبقى لك اللبنا
ولا تقل ساحل الافرنج أفتحه فما يساوي اذا قايسته عدنا
وإن أردت جهاداً فادن[٢] سيفك من قوم أضاعوا فروض الله والسننا
طهر بسيفك بيت الله من دنس وما أحاط به من خسة وخنا
ولا تقل انهم أولاد فاطمة لو أدركوا آل حرب حاربوا الحسنا

فلما نظم هذه القصيدة رأى في النوم مولاتنا وسيدتنا فاطمة رضي الله عنها وهي تطوف بالبيت وسلم عليها فلم تجبه ، وتضرع اليها وتذلل ، وسألها عن ذنبه الذي أوجب ذلك فأنشدته رضي الله عنها :

حاشا بني فاطمة كلهم من خسة تعرض أو من خنا
وإنما الأيام في غدرها وفعلها السوء أساءت بنا
فتب الى الله فمن يقترف إثماً بنا لا يأمنن ما جنى
أأن أسا من ولدي واحد يجعل كل الذنب عمداً لنا
فكل ما نالك منهم ، غدا تلقى به في الحشر منا مُنى

قال أبو المحاسن بن عنين فانتبهت من منامي مرعوباً جزعاً وقد أكمل الله عافيتي من الجرح والمرض فكتبت الأبيات وحفظتها ، وتبت الى الله تعالى وقطعت تلك القصيدة وقلت :

عذراً الى بنت نبي الهدى تصفح عن ذنب محب جنى
وتوبة تقبلها من أخي مقالة توقعه في العنا
والله لو قطعني واحد منهم بسيف البغي أو بالقنا
لم أر ما يفعله سيئاً بل انه في الفعل قد أحسنا

---

(١) في الديوان : أعيت وهي أشعر .
(٢) كذا فيُقرأ بحذف الهمزة وفي الديوان رَوّ .

في هذه الرواية زيادة بيت في القصيدة الأصلية على ما في الديوان وهو قوله : (ولا تقل ساحل الافرنج البيت) وسقوط بيت من القطعة المنسوبة للسيدة فاطمة وهو : (واكرم لأجل المصطفى الخ) واختلاف في ألفاظ بعض الأبيات كالبيت الأخير من القطعة التي اعتذر بها ابن عنين . وهو على هذه الرواية واضح المعنى صحيح التركيب لا يَرِدُ عليه شيء .

وفي (ص ٥٩٨) بيت مستدرك هو :

فالملك عين خاطبته كأنْ بِها رَمَداً فكان لما عراها أثمدا

ويرى الأستاذ النكدي أنه غير متزن ، ويقيمه على هذا النحو :

فالملك عين خاطبته كأنها رمدا فكان لما عراها أثمدا

أي رمداء مؤنث أرمد بالقصر للضرورة . ولو قرأ الأستاذ (كأن) بالتخفيف لما اختل وزن البيت ، ولا احتاج الى هذا الإصلاح . وكأن مخففةً تعمل عملها مشددة وشاهده عندهم قول الشاعر :

ويوم ٍ تُوافينا بوجه ٍ مُقسَّم ٍ كأَنْ ظبيةً تعطو الى وارِق السَلَم

عبد الله كنون

تذييـــل

ذُكرتْ في آخر الجزء المشار اليه من المجلة أسماء كتب أهديت الى المجمع من بينها : شرح الحكم لمحمـد بن عباد النفري بالراء وهو بالزاي ، وشرح أرجوزة محمد العربي بن يوسف الفاسي في الزكاة وهي الذكاة بالذال المعجمة أي الذبح ، والفتح المبين في شرح الأربعين بدون ذكر اسم المؤلف وهو ابن حجر الهيتمي وشرحه هذا مطبوع بمصر ، والدر الحسان ، وهي الدرر الحسان ، وحواش على عمدة أهل التوفيق شرح عقيدة أهل التوحيد للحسن بن مسعود البوسي وهي حواش على عمـدة أهل التوفيق والتسديد لليوسي بالياء المثناة ، وعنوان النفاسة في شرح ديوان الحماسة لابن نلكور ، وهو ابن زاكور الأديب المغربي المعروف .. فوجب التنبيه على هذه الأخطاء .

كما أنه في المقال الذي نُشر لي بالجزء الأول من السنة الحالية للمجلة معنوناً بالبنيس والفاظ أخرى وقع خطأ في أرقام التاريخ الذي نشرتُ فيه كتاب المنتخب من شعر ابن زاكور وهو سنة ١٩٤٢ فجعله الطابع سنة ١٩٢٢ ولو أن حضرته رآني رؤية عين لحكم بأني أشبُّ من السن التي جعلني فيها !

وتصحف اسم الفشتالي بالفاء الى القشتالي بالقاف ، وكثيراً ما يقع ذلك في الكتب التي تطبع في المشرق ويكون فيها اسم واحد من الفشتاليين فيظنونه منسوباً الى قشتالة الاسبانية وليس كذلك وانما نسبته الى فشتالة بالفاء قبيلة مغربية معروفة . وفيما أعلم ليس عندنا اسم شخص عربي منسوب الى قشتالة فليُعلَم .

وعلقت لجنة المجلة على البيت الوارد في مقالي هذا :

قدّتْ (١) فُؤادي من الشباك إذ نظرت الخ بهذه العبارة : « كذا ولعل قلبي بدل فؤادي ليستقيم الوزن » وبقطع النظر عن كون البيت كما هو ، متزناً لا غبار عليه ، فاني حاولتُ أن أزنه على إصلاح اللجنة فلم يتزن لي .

وكذلك علقت اللجنة على اقتراحي لكلمة الزليج واحلالها في المعجم العربي محل الفسيفساء والقاشاني أو إردافها لها فقالت : « الفسيفساء غير القاشاني . وكلمة زليج تنطبق على القاشاني المشرقي وحده وهي خليقة بدخول معاجمنا العربية . »

واني بعد شكر اللجنة المحترمة على تأييدها لاقتراحي أستدرك أننا في المغرب لا نعرف اللفظين المذكورين كما قلت في مقالي ، واننا نطلق الزليج على كل منهما ، وقد جريت على هذا الاطلاق فلم أفرق في اقتراحي بين اللفظين . ومن رأى الزليج المغربي قطعاً صغيرة جداً ورأى تأليفها بحيث تُكوِّنُ رسوماً جميلة متناسبة في اللون والتنزيل لم يبعد به عن الفسيفساء ، كما أن من يرى ألواح الزليج الكبيرة الحجم المتنوعة الصور لم يبعد بها عن القاشاني فيما نفهم منه ، ولا نكره أن يتفضل أحد أعضاء المجمع الفنيين فيشرح لنا الفرق بين الفسيفساء والقاشاني المشرقيين لنزداد علماً وفائدة .

عبد الله كنون

---

(١) يعني قطعت ومزقت .

الأوزان العربية
في المصطلحات العلمية

منذ ما أولعت – عن رغبةٍ ملحّة في نفسي – بمطالعة كتب اللغة العربية كان القاموس المحيط للفيروزابادي هو الوحيد على منضدتي خلال الدراسة التجهيزية وما بعدها . فكنت أقلّب صفحاته وأطالع سطورها بإمعان وشوق ، لأطلع من أعماق هذا المحيط بالدرر الغوالي أفيد منها للمصطلحات العلمية . وكنت أقع على مئات من الكلمات على أوزانٍ جعلتني أجزم بأنها خُصّت بالدلالة على بعض العلل (وزن فَعَل) ، أو بعض الأمراض أو الآفات (وزن مفعول) ، أو بعض الحركات والاضطرابات (وزن فَعَلان) ، أو بعض البقايا والنفايات (وزن فُعالة) ، أو ما يدل على الذي يفعل (وزن مِفْعَلة) ، أو ما يفيد القابلية للفعل (وزن فَعُول) ؛ وأجد كلمات وُسمت بحرف الميم زيادةً ، للمبالغة في حالةٍ مقصودة بعينها (وزن فُعْلُم – أو فِعْلِم – أو فَعْلَم) أقول كنت أجد كل ذلك فأُدوّنه في صحيفة خاصة جعلتها لهذا الغرض ، وما لبثت كذلك حتى اجتمع لديّ الكثير من الكلمات وحصلتْ عندي قناعة بفائدة اتخاذها مقياساً أقيس عليه لوضع كثير من المصطلحات العربية لما جهله العرب القدماء من هذه العلل والأمراض والآفات التي تشعبت كثيراً بالاكتشافات الحديثة ، أو من البقايا والشوائب التي لم تخطر لهم في بال . ولم أتردد – بعد قناعتي هذه – في مباشرة العمل ، فوضعت من المصطلحات ما بلغ حتى الآن بضع مئات . وها أنا ذا أذكر بعضها على صفحات مجلة مجمعنا مع شرحها الوافي . ففي نشرها فائدتان : فائدة الاقتباس للمشتغلين بالتأليف والترجمة ، وفائدة قبول القياس في وضع مصطلحات جدد لكلمات افرنجية هي كل يوم في ازدياد .

وزن فَعَلَ :

استعمل العرب القدماء هذا الوزن للدلالة على العلل أو بعض الحالات غير الطبيعية التي كانوا يعرفونها ، أو ما ردُّوُ مما كان يقع تحت سمعهم وبصرهم ، وها كم عدداً كبيراً من أسماء هذا الوزن عثرت عليها في المعجمات :

جَرَب : علة معروفة — حَدَب : خروج الظهر ودخول الصدر — حَقَب : عسرة البول — خَزَب : ورم وتهيج في الجلد — خَنَب : خنان في الأنف — ذرب : فساد المعدة ، فساد الجرح أو سيلان صديده — شحب : تغير اللون من هزال — عكب : غلظة في الشفة أو تداني أصابع الرجل — علب : داء يأخذ في العلباءين أي عصبي عنق الحيوان — غرب : داء يصيب الشاة — كلب : جنون الكلاب وشبه جنونها المعتري الإنسان من عضها وهو مشهور — وصب : المرض — جوث : عظم البطن في أعلاه واسترخاء أسفله — لهث : العطش — شنج : تقبض في الجلد — عرج : اصابة في الرجل وهو معروف — صلج : الصمم — فحج : تداني صدور القدمين وتباعد العقبين — فخج : اسوأ الفحج — فلج : تباعد ما بين القدمين — لحج : اسوأ الغمص — نعج ، ثقل في القلب من أكل لحم الضان — نهج : البهر وتتابع النفس — هبج : ورم ضرع الناقة — جلح : انحسار الشعر عن جانبي الرأس — رسح : قلة لحم العجز والفخذين — رصح : قرب ما بين الوركين — روح : سعة بين الرجلين دون الفحج — صقح : الصلع — فلح : شق في الشفة السفلى — قلح : صفرة الأسنان — كشح : داء في الكشح يكوى منه أو ذات الجنب — لجح : لحص في العين أو غمص — وضح : البرص — بزخ : خروج الصدر ودخول الظهر (كالقعس) — فتخ : استرخاء المفاصل ولينها — فخخ : استرخاء الرجلين — بدد : تباعد ما بين الفخذين — ثرد : تشقق في الشفتين — درد : ذهاب الأسنان وهو مشهور — رمد : هيجان العين

وهو مشهور — فند : الخرف — كمد : مرض القلب من الحزن — جرذ : كل ورم في عرقوب الدابة — بثر : خراج صغير — بخر : النتن في الفم وهو مشهور — ثعر : كثرة الثآليل — جشر : خشونة في الصدر وغلظ في الصوت — جبر : القصر والقماءة — حصر [1] : ضيق الصدر — حفر : سلاق في أصول الأسنان — ختر : الخدر [2] يحصل عند شرب دواء أو سم — خدر [3] : امذلال يغشى الأعضاء — خزر : حول إحدى العينين - زور : عوج الزور أي الصدر — شتر : انقلاب الجفن من أعلى وأسفل أو انشقاقه واسترخاء أسفله ، وانشقاق الشفة السفلى — صعر : ميل في الوجه أو في أحد الشقين ، أو داء في البعير يلوي عنقه منه — صفر : داء في البطن يُصفر الوجه — ظهر : الشكاية من الظهر — عرر : الجرب وصغر السنام أو ذهابه — عور : ذهاب حس احدى العينين — غبر : فساد الجرح وداء بباطن خف البعير — فتر : الضعف — فدر : قصر العنق — قور : العور — مدر : ضخم البطنة — نجر : عطش الإبل والغنم — وقر : ثقل في الأذن أو ذهاب السمع كله —

(١) angoisse, anxiété .

(٢) الخدر ، وذكر الأستاذ الكاتب لها كلمة Anesthesie في الفرنسية ، ولاروس يعرّفها بقوله « فقدان احساس تام أو ناقص » فلعلّ كلمة (الإرقاد) التي استعملها العرب أدق . و (المرقد) كما في التاج : دواء يرقد شاربه وينوّمه ، واستعمل كلمة الخدر لضعف الاحساس الذي يعرو الرّجل مع وجود الاحساس فيمن خدرت رجله ، والفرنجة وضعوا للخدر كلمة Angourdir ، ثم رأى الأستاذ وضع كلمة خَتَر بدل خدر ولا بأس بتخصيص الأولى بلفظة Anesthesie والثانية باللفظة الفرنسية الثانية على أنها من باب الابدال كما سيجيء . (لجنة المجلة)

(٣) أيضاً عرف الخدر بتعريف القاموس : إمذلال يغشى الأعضاء ، وهو من تفسير الجليّ بالخفيّ ، وهو في القاموس كثير ، ولو انه فسر الامذلال بالخدر لكان أجلى وأولى ؛ وقبل لفظة خدر مرت لفظة (ختر) وفسرها بأنها الخدر ، فهما لفظة واحدة من باب الإبدال بين التاء والدال لتقارب مخرجيهما .
(لجنة المجلة)

رجز : داء يصيب الإبل في اعجازها — ضرز : تقلص الفكين بحيث لا يستطاع أن يفرّج بين الحنكين — علز : قلق وهلع يصيب المريض — خرس : انعقاد اللسان عن الكلام — خنس : تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة — شوس : النظر بمؤخر العين — طفس : قذر الإنسان إذ لم يتعهد نفسه — فطس : تطامن قصبة الأنف وانتشارها أو انفراش الأنف في الوجه — قعس : خروج الصدر ودخول الظهر — قوس : الانحناء في الظهر — نجس : ضد الطهر — هوس : طرف من الجنون — برش : نكت صغار في شعر الفرس تخالف لونه — خفش : ضعف البصر خلقة أو أن يبصر في الليل دون النهار وفي يوم غيم دون صحو — ربش : بياض يبدو في أظفار الأحداث — طرش : أهون الصمم — عمش : ضعف البصر خلقة مع سيلان الدمع في أكثر الأوقات — غطش : العمش — غمش : غمص في العين — غمش : سوء بصر عارض — مدش : ظلمة العين من جوع أو حر — مشش : شيء يشخص في وظيف الدابة حتى يشتد دون اشتداد العظم — نمش : نقط بيض وسود أو بقع تقع في الجلد تخالف لونه — وبش : الرقط من الجرب يتفشى في جلد البعير — برص : بياض يظهر في ظاهر البدن لفساد مزاج — حصص : قلة شعر الرأس — خوص : غؤور العين — رمص : وسخ أبيض يجتمع في الموق — شوص [1] : مثل الشوس في العين ، وهو أيضاً الوجع — غمص : ما سال من الرمص — غنص : ضيق الصدر — قفص : حرارة في الحلق وحموضة في المعدة — لحص : تغضن كثير في أعلى الجفن — لخص : غلظ الأجفان أو ورم في الجفن الأعلى — معص : التواء في عصب الرجل كأنه يقصر عصبه فيتعوّج ، أو وجع في العصب من كثرة المشي — مغص : وجع في البطن —

(١) وردت لفظة (شوص) وفسرت بالشوس وهما لفظة واحدة من الابدال بين السين والصاد كالسراط والصراط . (لجنة المجلة)

وقص : قصر العنق — هرص : الحصف في البدن — حبض : اضطراب العرق أشد من النبض — حرض : الفساد في البدن والعقل — مرض : اظلام الطبيعة واضطرابها بعد صفائها واعتدالها — مضض : وجع المصيبة — هرض : الحصف على البدن من الحر — حبط : آثار الجرح أو السياط بالبدن بعد البرء ، ووجع بطن البعير ينتفخ منه — سقط : ما لا خير فيه — شمط : بياض الرأس يخالطه سواد — قسط : يبس في العنق ، واعوجاج في العظام — قطط : قصر الشعر وجعده — ابط : الزكام — بثع : ظهور الدم في الشفتين خاصة — بشع : كراهة ريح الفم من عدم الاستياك — بقع : في الطير والكلاب كالبلق في الدواب — تلع : طول العنق — جدع : انقطاع الأنف — خرع : لين المفاصل والرخاوة — خفع : استرخاء المفاصل — رسع : فساد في الأجفان — رمع : اصفرار وتغير في وجه المرأة من داء يصيبها — زلع : شقاق في ظاهر القدم وباطنه وفي ظاهر الكف أو تفطر الجلد — زمع : الزيادة في الأصابع — سلع : البرص وتشقق القدم — صعع : التواء رأس الظليم — صلع : انحسار شعر مقدم الرأس لنقصان مادة الشعر في تلك البقعة وقصورها عنها — ضلع : الاعوجاج خلقة — فدع : اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل حتى ينقلب الكف أو القدم الى انسيها ، أو هو عوج في المفاصل كأنها قد زالت عن مواضعها وأكثر ما يكون في الأرساغ — قلع : ما على جلد الأجرب كالقشر — كلع : شقاق ووسخ يكون في القدم — كوع : اقبال الرسغين على المنكبين — لطع : بياض في وسط الشفة وأكثر ما يكون ذلك في السودان ، وتحات الأسنان الا اسناخها — وجع : المرض — رسغ : استرخاء قوائم البعير وغيره — وتغ : الهلاك والوجع — حصف : الجرب اليابس — حنف : اعوجاج في الرجل ، أو أن تقبل احدى ابهامي رجليه على الأخرى ، أو ميل في صدر القدم — خرف : فساد العقل — دنف : المرض الملازم — ذأف : سرعة

الموت — ذلف : صغر الأنف واستواء أرنبته ، أو غلظ واستواء في طرفه — صقف : طول في انحناء (كالنعام مثلاً) — سهف : شدة العطش — عجف : ذهاب السمن — غضف : استرخاء في الأذن — غطف : طول الاشفار وكثرة شعر الحاجب — قشف : قذر الجلد — قصف : انكسار الثنية من النصف — قضف : النحافة — قطف : الأثر والخدش — كتف : ظلع يأخذ من وجع الكتف — كلف : شيء يعلو الوجه كالسمسم وحمرة تعلو الوجه — وكف : الميل والعيب — هقف : قلة شهوة الطعام — هيف : ضمر البطن ودقة الخاصرة — ارق : السهر بالليل — بهق : بياض رقيق يعتري ظاهر البشرة لسوء مزاج العضو — حرق : أثر الحرق — خرق : الحمق — خلق : البالي — خوق : الجرب — سرق : ضعف المفاصل — شدق : سعة الشدق — شرق : الغصص بالريق — شمق : مرح الجنون — صنق : شدة ذفر الابط — عرق : رشح جلد الحيوان — قلق : الانزعاج — مطق : داء يصيب النخل — بعك : الكزازة في الجسم والغلظ — دعك : الحمق والرعونة — فكك : انفساخ القدم وانكسار الفك — الل : اليلل[1] — ثعل : دخول سن تحت أخرى في اختلاف النبت — حثل : سوء الرضاع والحال — حول : اقبال الحدقة على الأنف ، أو تكون العين كأنها تنظر الى الحجاج — خبل : فساد الأعضاء والفالج — خلل : منفرج ما بين الشيئين — دخل : ما داخلك من فساد في عقل أو جسم — دغل : دخل في الأمر مفسد — سدل : الميل — شلل : اليبس في اليد أو ذهابها — صحل : خشونة في الصدر وانشقاق الصوت — صهل : الصحل — غلل : داء في الغنم — فزل : أسوأ العرج — نقل : داء في خف البعير — وجل : الخوف — يلل : قصر الأسنان العليا وانعطافها

---

(١) مرت لفظة (ألل) وفسرت بلفظة (يلل) وهما شيء واحد من باب الإبدال والتعاقب بين الهمزة الأصلية والياء . (لجنة المجلة)

الى داخل الفم كالأُلل ـ ألم : الوجع ـ بشم : التخمة ـ بكم : الخرس أو مع عي وبله ـ بلم : ورم الشفة ـ دقم : ذهاب مقدم الأسنان ـ دلم : كالهدل في الشفة ـ سرم : وجع في السرم وهو طرف المعى المستقيم ـ شرم : انشقاق ما بين أرنبة الأنف ـ صمم : انسداد الأذن وثقل السمع ـ ضجم : عوج في الفم والشدق ـ عدم : الفقدان ـ عسم : يبس في مفصل الرسغ تعوجّ منه اليد والقدم ـ علم : شق في الشفة العليا ـ قزم : صغر الجسم ـ قصم : انكسار الثنية من النصف ـ قعم : ميل وارتفاع في الاليتين ـ لبم : اختلاف الكتف ـ لسم : السكوت عيّاً لا عقلاً ـ لمم : الجنون ـ نخم : الإعياء ـ نهم : افراط الشهوة في الطعام ـ وحم : شدة شهوة الحبلى لمأكل ـ وخم : داء كالباسور في الناقة ـ وذم : ثآليل في رحم الناقة تمنعها من الولد ـ ورم : نتوء وانتفاخ ـ هرم : أقصى الكبر ـ بطن : داء البطن ـ ثفن : داء في الثفنة (الركبة من البعير) ـ حبن : داء في البطن يعظم منه ويرم ـ حجن : الاعوجاج ـ حفن : أن ينقلب قدماه كأنه يحثو بهما اذا مشى ـ خفن : استرخاء البطن ـ خمن : النتن ـ درن : الوسخ وتلطخه ـ دنن : انحناء في الظهر ودنو وتطامن في الصدر والعنق ـ شجن : الهم والحزن ـ شزن : شدة الاعياء من الحفا ـ غرن : السرطان والضعف ـ كتن : الوسخ والدرن ـ وهن : الضعف ـ بله : الحمق والغفلة ـ تله : التلف والوله ـ دله : ذهاب الفؤاد من همّ ونحوه ـ سبه [1] : ذهاب العقل من الهرم ـ سفه : خفة الحلم أو نقيضه ـ عمه : التردد في الضلال ـ قره : في الجسد كالقلح في الأسنان ـ قله : القره ـ قمه : قلة شهوة الطعام ـ كمه : العمى يولد به الإنسان ـ مقه : بياض في زرقة مذموم ـ وله : ذهاب العقل حزناً ـ جوى : شدة الوجد والسل ـ ضوى : دقة العظم وقلة الجسم خلقةً أو الهزال ـ عمى : ذهاب البصر كله ، وذهاب بصر القلب .

---

(١) débilité mentale

وبعد لا أظن أن أحداً سبقني الى ذكر مثل هذا العدد الكبير من الأمثلة على المصادر التي جاءت على وزن فَعَل ودلت على الأدواء وما شاكلها . وهي وحدها كافية لقبول قياسية هذا الوزن .

المصطلحات :

برج	albugo de la cornée	غل	fourmillement
ختر	anésthésie	نزف	hémorragie
نفه	asthénie psychique	سمق	hypertrophie staturale
جحن	athrépsie	عبل	hypertrophie
بخص (انسمام)	botulisme	طمث	ménorragie
رقص	chorée	فغم	miasme
صدع	crique	أبب	nostalgie
شفع	diplopie	نصب	surménage corporel
صحل	dissonnance	قدع	surménage des yeux
عنج	douleur lombaire	قهم	inappétance
فيل	éléphantiasis	طفس	gâtisme
ثلج	engelure		

البرج — تخصيصاً لذلك المرض الذي يصيب قرنية العين .

الختر — تخصيصاً للخدر الذي يحصل عند شرب دواء أو سم ومنها (مختِرات) وزان (مفعلة) لما يوافق anesthésiques للأدوية التي يحدث عنها ختر كالأثير والكلوروفرم والمورفين .

النفه — من (نفِهت نفسه أعيت وكلّت) يرادفها بالفرنسية psychasthénie وكان الزملاء الأطباء أطلقوا عليها (وهن نفساني) تعريباً . وكلمة خير من كلمتين كما لا يخفى على المشتغلين بالتأليف والترجمة ، لسهولة الوصف والإضافة بالكلمة

الواحدة ، فيقال مثلاً : نفهي psychasthénique بدلاً من (متعلق بوهن نفساني) بكلمات ثلاث .

الحجن — من (حجن الصبي حجناً ساء غذاؤه وأحجنه غيره) وكذا (السغل) ، (ضده : مَمرْهَدَة ، من مرهدت الصبي أحسنت غذاءه ، وكذا المَلْهَدَة : من علهدته) .

البخص والبخصية — من (البخص) وهو لحم يخالطه بياض من فساد فيه . تخصيصاً للانسمام الذي يحصل من أكل هـذه اللحوم أو المحفوظات ، بدلاً من (انسمام باللحم المتفسخ) .

الرقص — من الرقص بسكون القاف . لذلك الداء المعروف بحركات اختلاجية متواترة ؛ بدلاً من (داء الرقص) لأن (فَعَل) كما رأيت دال على علة أو داء أو مرض ، أو سوء حال أو رداءة .

الصدع — من (الصدع) بسكون الدال ، وهو الشق في شيء صلب ؛ للشق الذي يشاهد على سطح سبيكة ونحوها حين تبردها .

الشفع — من قولهم (عين شافعة تنظر نظرين . وشفعت لي الأشباح أرى الشخص شخصين) ، أليست كلمة شفع هذه خيراً من (رؤية مضاعفة) ؟

الصحل — تخصيصاً لانشقاق في الصوت غير مستقيم .

العنج — من (أعنج اشتكى من صلبه) وهو وجع الصلب .

الفيل[1] — من (الفيل) ذلك الحيوان المعروف (كما قيل كلب بفتح اللام

---

(١) الحقيقة أن الداء هو للانسان يصاب به فيضخم طرفاه السفليان ضخامةً يشبهان معها ساقي الفيل . وأنا على يقين من أن العربي القديم لو وجد في المهد الذي وضَعَ فيه الافرنج كلمة (éléphantiasis) للداء الذي يصاب به الإنسان وشاهد الداء بعينه لما تردد — بسليقته الطايقة — في قول (فَيَل) كما قال (كَلَب) . فما رأي الزملاء القائلين بعدم التعريب ؟ هل يستسيغون لفظ (ألفنتيازيس) وهي كلمة عالية شائعة في جميع اللغات شيوع (الأزوتيميا) ؟ ! ولا يخفى أن جميع المصطلحات العلمية الطبية الافرنجية شائعة دائرة على ألسنة الأطباء . فهل —

لداء الكلب بسكون اللام) للداء المعروف في الطب . ولا يزال الزملاء يسمونه (داء الفيل) وهو خطأ إذ ليس للفيل داء يصاب به مثلما للكلب لتصح التسمية بـ (داء الفيل) .

الثلج — من (الثلج بسكون اللام) لذلك الالتهاب الذي يحدث بسبب البرد . والعامة تسميه التثليج من الثلج كناية عن البرد .

النمل — من (نَمِلت يده خدرت) للحالة التي يُشعر معها بوخز كأن نملاً تدب على الجلد .

النزف — من (نُزف فلان دمه كعني اذا سال حتى يُفرط) تخصيصاً للعلة والداء . وأما النزف بسكون الزاي فللمصدر . واشتقاق (نَزَفان) وزن فعلان الدال على الحركة والاضطراب أولى لأن hémorragie هو في الحقيقة (سيلان الدم) ففيه معنى الحركة والاضطراب .

السمق — من (سمق سموقاً علا وطال) ، لفرط الطول . والعامة تقول (ساموق) للطويل جداً .

— في هذا الشيوع ما يبرر قبولها كما هي واستعمالها تكلماً وكتابةً في المؤلفات ؟ لماذا يؤخذ على الزملاء المصريين إذن استعمالهم المصطلحات الافرنجية كما هي مكتوبةً بالحروف العربية ، مثال : اوديما (للخزب) — دفتريا (الخناق) — نومونيا (لذات الرئة) — رخيطس (للخرع) — أنيميا (لفقر الدم) — روماتيزم (للرثية) — بكتريميا (لتجرثم الدم) — أكلمبسيا (للارتجاج) — جُوتَر (السلعة) — اسقربوط (الحفر) — سبتاوي (للودي) — تنكروز (النخر) — متابوليسم (للتطور أو الاستقلاب) — الخ . الخ . وكلها شائع شيوع (الازوتيميا) على لسان الزملاء الأطباء ؟!

وهل يقول الأدباء والشعراء بلزوم استعمال الكلمات (بونجور — بونسوار — باي باي — اوكه — مدام — موسيو — الخ . .) لشيوعها فقط على ألسنة المتشدقين ، بدلا من (أسعد الله صباحك ، أو مساءك — أستودعك الله — بلى ، أجل — السيدة — السيد . . الخ) ؟! فالمصطلحات الطبية هي من هذا القبيل لا أقل ولا أكثر .

العبل — من (عبل ككرم ونصر وفرح ، أي ضخُم ، وأعبل غلُظ ، والعبل الضخم من كل شيء) . فالعبَل إذن يوافق المعنى المطلوب من الكلمة الافرنجيـــة .

ملاحظة : اطلع على هذا المصطلح الزميل المفضال الدكتور الأستاذ مرشد خاطر فرأى تخصيصه لما يوافق الكلمة الافرنجية (acromégalie) ، فوضعت عندئذ كلمة (ضخَم) لما يقابل (hypertrophie) فاستحسنها كذلك .

الطمث — من (طمثت كنصر وسمع حاضت) تخصيصاً للعلة والداء . أما الطمث بسكون الميم فهو المصدر ، والمس ، والدنس .

الفغم — من (أفغم مكانه ملأه بريحه) لتلك التصعدات التي تنطلق من أجسام الموجودين في بهو أو غرفة مغلقين فتملأهما وينشأ عنها تسمم . وكذا (المذح) ، اشتقاقاً من قولهم : (ما أمذح ريحه أي ما أنتنها) . وكذا (القشب) ، اشتقاقاً من قولهم (قشبني ريحه أي آذاني) .

الأبّ — الحنين والاشتياق الى الوطن . وقد كان بعض الزملاء يسمونه (داء الوطن) .

النصب — من (نصبه الهم أتعبه ونصب كفرح أعيا) ، تخصيصاً للإعياء الجسدي .

القدع — من (قدعت عينه كفرح ضعفت من طول النظر الى الشيء) وهو المعنى المطلوب من الكلمة الافرنجية . وكذا (الكهم) اشتقاقاً من (أكهم بصره ، كلّ ورقّ) وهو يلائم المعنى المطلوب أيضاً .

القهم — من (قهم كفرح قل شهوته للطعام ، وأقهم عن الطعام لم يشتهه) .

الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي

فهرس الجزء الثاني من المجلد الخامس والثلاثين

التعريف والنقد

آراء وأنباء

مجلة

المجمع العلمي العربي

١ تموز سنة ١٩٦٠ م ٧ المحرم سنة ١٣٨٠ هـ

ألفاظ زِراعية حضارية[١]

كنتُ منذ بضع سنوات ألقيت على الزملاء الأفاضل بحثاً عنوانه « توحيد المصطلحات العلمية في البلاد العربية » دعوت فيه الى قيام تآزر بين مجمع اللغة العربية ، وجامعة الدول العربية ، ورهط من العلماء المختصين بمختلف العلوم ومصطلحاتها ، لتأليف معجم أعجمي عربي في مصطلحات العلوم الحديثة وألفاظ الحضارة .

وفي مؤتمر المجامع اللغوية العلمية العربية الذي عُقد في دمشق في ٢٩ من أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٥٦ عدتُ الى التحدث في الموضوع نفسه ، فاتخذ المؤتمر فيه التوصية الآتية :

« يوصي المؤتمر بوضع معجم إنكليزي فرنسي عربي شامل ، للمهم من

(١) بحث ألقاه الأمير مصطفى الشهابي رئيس المجمع العلمي العربي في الدورة السادسة والعشرين (١٩٥٩ — ١٩٦٠) لمؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة .

المصطلحات العربية والمعربة ، على أن تعرّف الألفاظ فيه بالعربية تعريفاً موجزاً ، وتقوم الأمانة العامة (لجامعة الدول العربية) بالتعاون مع اتحاد المجامع لإخراج هذا المعجم » .

وكانت نتيجة هذه التوصية ما تعرفونه من عدم قيام الاتحاد ، ومن بقاء التوصية المذكورة حِبراً جميلة على القرطاس ! (١)

وظل مؤلفو المعجمات والكتب العلمية في البلاد العربية يضعون المصطلحات على حسب ما عند كل منهم من معرفة بلغتنا وبخصائصها . ولا شك أن جميعهم لهم حرص محمود على التعبير عن العلوم بلساننا ، ولكن معظمهم يجتهدون في وضع المصطلحات من دون أن يتصل بعضهم ببعض ، ومن دون أن يطلعوا على المصطلحات الكثيرة التي وضعها مجمعنا هذا .

وها كم دليلاً واحداً على ذلك : فقد عنّ على بالي مراجعة الألفاظ التي وُضعت لكلمة (Frein) الفرنسية ، ومن المعروف أنها أداة على أشكال شتى تُستعمل لجعل وسائل النقل أو غير النقل تبطئ أو تقف . فهذا المجمع الموقر كان وضع لها ، في سنةٍ من سنواته الأولى ، كلمة « الكَمّاحة » ، وهي في نظري كلمة حسنة اشتُقت من الكَمْح أي رَدّ الفرس باللجام .

وعدم اطلاع كثير من المؤلفين عليها أدّى الى وضعهم عدة كلمات أخرى لهذه الأداة نفسها ، ففي المعجم العسكري العراقي سُميت المُوْقِف . وفي معجم عسكري كان وُضع للجيش السوري (الجيش الأول للجمهورية) سُميت الماسك في المدفعية ، والمِكْبَح في السيارات المختلفة . وهي اللجام في المعجم الفرنسي العربي للنجاري ، والحَكَمة في معجم بِلّو اليسوعي ، والضابِطة والكابِحة في

(١) صُرف النظر عن إنشاء الاتحاد عندما اتجه الرأي الى توحيد مجمعي القاهرة ودمشق ، على أن يضم المجمع الموحد أعضاء عاملين من سائر البلاد العربية .

المعجم الإنكليزي العربي لأنطون الياس ، والمِيثَقَب في أحد الكتب الصناعية ، والفَرْمَلة في مجموعة المصطلحات التي أصدرها المجمع ، والمُوثَقة في الجزء الحادي عشر من مجلة المجمع ، وهي اقتراح لأحد زملائنا الأفاضل في هذا المجمع ، وأخيراً القران (وتُلفظ بالإمالة) وهي الكلمة المعربة الدارجة على ألسن الناس في الشام .

هذه أحد عشر اسماً عربياً أو معرباً أطلقت على أداة واحدة معروفة ومشهورة . وربما فاتتني لها أسماء أخرى في معجمات أو في كتب لم أطلع عليها . ولذلك ما برحت أقول إن اختلاف المصطلحات العلمية يكاد يصبح داءً من أدواء لغتنا العربية ، وإن أنجع دواء لهذا الداء الإسراع الى وضع المعجم الأعجمي العربي الذي ألمعتُ اليه وإلى نشره في البلاد العربية .

ولكن يلوح لي أن هذه الأمنية لن تحقق في زمن قريب ؛ وأسهل من ذلك ، على ما أعتقد ، أن ينظر المجمع الموقر في اتخاذ طريقة تيسّر وجود مجلاته ومجموعات مصطلحاته في المؤسسات العلمية والأدبية ، وفي المكتبات العامة والتجارية ، لا في الإقليم المصري وحده ، بل في سائر الأقطار العربية .

فقد لاحظتُ ولاحظ غيري أن معظم العلماء والأدباء العرب يرجحون مصطلحات المجمع على غيرها كلما أمكنهم الحصول عليها . وسيكون ذلك الترجيح بارزاً عندما يصدر القرار المرتقب بتوحيد مجمعي القاهرة ودمشق في مجمع واحد ، لأنه سيكون في جملة أعضائه ممثلون للأقطار العربية ، ولأن توحيد المصطلحات العلمية هو غرض من أهم أغراضه .

وبعد فإن في الزراعة الحديثة كلمات أعجمية كثيرة يدل بعضها على علوم زراعية ، وبعضها على صناعات زراعية ، وأخرى على أماكن تُزرع فيها صنوف النبات ، وأماكن تُربى فيها الحيوانات الدواجن .

ومعظم هذه الكلمات الأعجمية لا مقابل لها في المعجمات العربية . وبعضها يُعَد من ألفاظ الزراعة وألفاظ الحضارة على السواء .

وكنتُ فيما مضى من السنين وضعتُ أو اخترت لها ألفاظاً عربية مشتقة ، وذكرت في «معجم الألفاظ الزراعية» أنه من المفيد إقرار تلك الألفاظ ، بعد عرضها على هذا المجمع الموقر ، لكي لا يظل هنالك مجال لأن يضع كل مؤلف أو مترجم للمعنى الواحد لفظاً يختلف عما وضعه الآخر . وحاولت على قدر الاستطاعة أن أتقيد في وضعها بثلاثة قرارات للمجمع منشورة في الجزء الأول والجزء الثاني من مجلته . فالقرار الأول منها يختص بالاشتقاق من أسماء الأعيان ، والثاني يختص بصياغة مصدر على وزن «فِعَالة» بالكسر للدلالة على الحرفة أو شبهها ، والثالث في صياغة «مَفْعَلَة» من أسماء الأعيان الثلاثية الأصول للمكان الذي تكثر فيه الأعيان .

وها أنذا أعرض على الزملاء الأفاضل جملة من هذه الألفاظ :

الكلمة العربية	الكلمة الفرنسية	ملاحظات
	(١) كلمات فرنسية تدل على حرف زراعية أصبحت علوماً	
غِراسة	Arboriculture	زراعة الشجر . ولم ترد الغراسة في المعجمات . ولكنها وردت عرضاً في مادة «حرج» في اللسان والتاج . ووردت في كتب زراعية قديمة .
حِراجة	Sylviculture	زراعة الحراج . علم الحراج . من حَرَجة بمعنى Forêt ج حِراج وأحْراج
زِهارة	Floriculture	زراعة الزهر أي نباتات الزهر

الكلمة العربية	الكلمة الفرنسية	الملاحظات
كِرامة	Viticulture	زراعة الكرم
كِمائة	Trufficulture	زراعة الكَمْء
بَسْتَنة	Horticulture	زراعة البساتين . وشاعت البستنة
نِحالة	Apiculture	تربية النحل . وشاعت النحالة
قِزازة	Sériciculture	تربية القَزّيّة اي دودة القز
سِماكة	Pisciculture	تربية السمك
محارة	Ostréiculture	تربية المحار
نِباذة	Vinification	صناعة النبيذ . ووردت النباذة في المعجمات
تِفاحة	Pomologie	زراعة التفاح

* * *

(٢) كلمات فرنسية لها معنيان الأول للصناعة والثاني للمصنع

(١) لِبانة (٢) مَلْبَنة	Laiterie	الأولى صناعة الألبان والثانية مصنع الألبان . وفي الشام يقولون حلابة ومحلبة .
(١) جِبانة (٢) مَجْبَنة	Fromagerie	الأولى صناعة الجبن والثانية مصنع الجبن
(١) قِطانة (٢) مَقْطَنة	Cotonnerie	الأولى زراعة القطن والثانية مزدرع القطن
(١) صِبانة (٢) مَصْبَنة	Savonnerie	صناعة الصابون ومصنع الصابون
(١) نِشاءة (٢) مَنْشاة	Amidonnerie	صناعة النشا ومصنع النشا

* * *

الكلمة العربية	الكلمة الفرنسية	ملاحظات
(٣) كلمات فرنسية تدل على أمكنة يكثر فيها النبات أو الحيوان		
مَرَزَّة	Rizière	مُزْدَرَع الرز
مَوْرَدة	Roseraie	حديقة الورد
مَتْفَحة	Pommeraie	بستان التفاح (يلاحظ أن لفظ التفاح غير ثلاثي)
مَتَاتة أو مَتْوَتة (على الإعلال أو التصحيح)	Mûraie ou Mûreraie	بستان التوت
مَقْصَبَة	Roselière	غيضة القصب
مَأْسَلَة	Jonchère	أرض يكثر فيها الأَسَل
مَفْرَسة . حَرَيْسة	Haras	مكان تربية الفَرَس ولأصل الكلمة الفرنسية بحث طويل
مَطارة أو مَطْيَرَة (على الإعلال أو التصحيح)	Volière	بيت دواجن الطير
مَبْقَرة	Bouverie	حَظيرة البقر . والصِّيْرة حظيرة الغنم والبقر

* * *

(٤) كلمات مختلفة

مَزْبَدة	Beurrerie	مصنع الزبد
(١) مَقْشَدة (٢) مَلْبَنة	Crêmerie	الأولى مصنع القشدة ، والثانية الدكان يباع فيه اللبن والزبد والجبن والبيض

الكلمة العربية	الكلمة الفرنسية	ملاحظات
مَبقَلة. مَبقُلة. بقّالة	Potager ou jardin potager	البستان الذي يُتخذ لزراعة البقول. والعربيات الثلاث صحيحة وقد شاعت
مَثْمَرة. مَثّارة	Fruitier ou Jardin fruitier	البستان الذي يُتخذ لزراعة الفواكه. وهو أيضاً المكان الذي تحفظ فيه الثمار
رَوْضة. رَبيمة	Parc	حديقة واسعة للزينة تكون عامة أو خاصة
بَنانة	Square	البنانة في اللغة الروضة النضيرة
زَهْراء	Parterre	جزء الحديقة المختص بالزهر
شَجْراء	Massif	جزء الحديقة المختص بالشجر
غَضْراء. غَضيرة	Pelouse	أرض مخضوضرة عشبها الأخضر كثيف قصير وهي جزء من الروضة
خَضير. مَخْضَرة	Gazon	تدل الفرنسية على عشب كثيف أخضر من النّجيليّات خاصةً. وتدل توسعاً على أرض ذلك العشب. وشاعت العربيتان
تَخضير	Gazonnement	في المعجمات خَضَّر الشيء جعله أخضر. وهو هنا إيجاد الخاضر إما ببذر البزور وإما بقلع الخضير من أحد المروج ونقله كتلاً الى الحديقة.

الكلمة العربية	الكلمة الفرنسية	ملاحظات
عَرِيش	Berceau ou Tonnelle	وهي العُرُش والعُرُوش . وفي المخصص ج ٥ ص١٣٥ العريش الظُّلّة من شجر أو نحوه . وقد شاعت .
ظُلّة	Pergole ou pergola	ضرب من العُرش . وقد شاعت
زَهَّار . زَهْرِيّ	Fleuriste	بستاني الزهر وبائعه . ولم أجد كلمة زهار بهذا المعنى . وهي على وزن شَجّار التي استعملها ابن البيطار في مادة « فرصعنة » وهي موافقة لقرار المجمع . أما مَزْهرة فهي على وزن مَفْعَلة للمكان الذي يُجعل مستنبتاً للزهر
زَهْرِيّة	Pot ou vase à fleurs	أصيص الزهر وإناء الزهر وهي إجّانة أو إناء يُستنبت أو يوضع فيه الزهر . وقد شاعت الزهرية وأعتقد أنها مرت على المجمع فأقرها .
تكييس	Ensachage ou Ensachement	وضع الأشياء في الأكياس كالحبوب ، أو كالعناقيد ، لصدّ الحشرات ، أو كالكبائس لتنظيم إثمار البُسْر (وهذا يسمى القَمّ والقَمْل والقَمْن ولكنها كلها

الكلمة العربية	الكلمة الفرنسية	ملاحظات
		مهجورة ومحدودة المعاني) . والتكبيس عامة وشائعة في الشام . وهي مشتقة من الكبس ، وليس لها هذا المعنى في كتب اللغة ، فيفيد تضمينها إياه .
مُكَبِّس	Ensacheur	واضع الأشياء في الأكياس
مُكَبِّسة	Ensacheuse ou Ensachoir	آلة تُبقي الأكياس مفتوحة أثناء ملئها .
تأصيص	Empotage ou Empotement	وضع النبات في أصيص . وهو عمل مشهور في حدائق البيوت خاصةً . والتأصيص مشتق من الأصيص . والأصيص وعاء من خزف تُزرع فيه بزور الأزهار ، أو تُنقل اليه نباتاتها .
تعشيب	Sarclage	المعنى المراد إبادة الأعشاب في الحدائق والحقول لينمو النبات المزدرَع نمواً حسناً . وليس لكلمة التعشيب هذا المعنى في المعجمات ، فيفيد إقراره ، وقد شاع في الشام ، وأعتقد أنه شائع في مصر أيضاً .

مصطفى الشهابي

بين العربية والفارسية (١)

القسم الأول

إذا سلمنا بأن اللغة ظاهرة اجتماعية وجب علينا أن نقول إنها أبرز الظواهر الاجتماعية ، وأعلاها شأناً وأعظمها قدراً ، وأن نقول أيضاً إنها ضرورة اجتماعية لا غنى عنها ، لأنها أداة التعليم والتعلم والتفاهم ونقل العلوم والمعارف من جيل الى آخر ، ومرآة صادقة للمجتمع ، وسجل أمين لتطوراته في مختلف عصور حياته .

وأن نقول مع هذا وفوق هذا إنها كائن حي يعتريها ما يعتري الكائن الحي من قوة وضعف ، وتقدم وتأخر ، وفتوة وشيخوخة . وهي تتأثر في أطوار حياتها بما يتأثر به الكائن الحي من عوامل ومؤثرات في مقدمتها الوراثة والبيئة ، فلكل لغة مميزات أو خواص ترثها عن أصلها أو أصولها التي انحدرت عنها ، وكل لغة تتأثر بالبيئة التي تعيش فيها ، طبيعية كانت تلك البيئة أو اجتماعية ، فليست لغة البدو كلغة الحضر ، وليست لغات سكان الأقاليم الاستوائية كلغات سكان المناطق المعتدلة أو الباردة ، ولغات القبائل البدائية محدودة ليس فيها من الألفاظ والعبارات ما يكفي للتعبير عن تجارب الإنسان المتشابكة المتنوعة ، وعلومه ومعارفه الراقية ، وظروف حياته المتغيرة المتقلبة . أما لغات الأمم والشعوب الراقية الناهضة فتساير نهضتهم ، وتتسع للتعبير عن احساساتهم الدقيقة وعواطفهم

(١) بحث ألقاه الأستاذ الأديب اللغوي حامد عبد القادر عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، في الدورة السادسة والعشرين (١٩٥٩ — ١٩٦٠) لمؤتمر المجمع ، ووافق على نشره في هذه المجلة .

الرقيقة ، ولتسجيل علومهم ومعارفهم ، ونقل ثقافتهم ومظاهر حضارتهم من جيل الى جيل .

ونستطيع أن نسير في تشبيه اللغة بالكائن الحي الى أبعد من هذا فنقول : إن اللغات قد تشعبت واختلفت فانقسمت الى طوائف أو سلالات كما انقسم النوع الإنساني الى أجناس ؛ وقديماً كانت اللغات تنقسم الى سامية وحامية ويافثية تبعاً لانقسام النوع الإنساني الى ساميين وحاميين ويافثيين أيضاً . ولا يزال تقسيم اللغات يُبنى في عصرنا هذا على أساس تقسيم الجماعة البشرية الى طوائف تؤلف بين أفراد كل منها روابط مختلفة منها رابطة اللغة .

ونخطو خطوة أخرى في هذا التشبيه فنقول : إن كل لغة تتكون من أفراد هي ألفاظها أو كلماتها ، فهي بمثابة الجماعة ، وألفاظها بمثابة الأفراد ، وإن كل كلمة لها شخصية قائمة بذاتها ذات ناحيتين هما الناحية اللفظية أو الصوتية ، والناحية المعنوية ، فلفظ الكلمة أو صوتها بمثابة جسم الإنسان أو مادته التي يتكون منها ، ومعناها بمثابة روح الإنسان التي تسري في جسمه وتكسبه الحياة . وكما يتطور الإنسان جسماً وروحاً تتطور الكلمة لفظاً ومعنى .

واللغات تتصارع وتتغالب كما تتصارع الشعوب ، فيغلب القوى منها الضعيف ، ولا يزال يصرعه حتى يقضي عليه .

ونذهب الى أبعد من هذا كله فنقول : إن بعض أفراد اللغة أو ألفاظها قد تنتقل أو تهاجر من لغة الى أخرى كما يهاجر بعض الناس من بلد الى بلد ؛ وعوامل الهجرة اللغوية تكاد تكون هي عينها عوامل الهجرة البشرية التي تشمل العوامل الثقافية والسياسية والاجتماعية والتجارية والحربية .

وكما تتصل الأمم والشعوب بعضها ببعض ، ويتأثر كل منها بالآخر ، تتصل اللغات بعضها ببعض ، وتتأثر كل منها بغيرها ، نتيجةً لهذا الاتصال . وكذلك

نجد أن اللغات أو اللهجات المختلفة قد يندمج بعضها في بعض ، فتتحد وتعتبر لغة واحدة ، حين تتحد الشعوب وتكون جماعة بشرية واحدة ، كما في الدول الإسلامية والولايات المتحدة الأمريكية . ويمدنا التاريخ بمثل يؤكد لنا هذه الحقيقة بصورة بارزة : ذلكم هو مثل اللغة الأردية التي ولدت في عهد الإمبراطور أكبر إمبراطور الهند (١٥٥٦ — ١٦٠٥ م) نتيجةً لاجتماع طوائف مختلفة من الجنود في معسكر واحد جمعَ بين الفارسي والهندي والأفغاني والتركي ، ومن ثم كانت هذه اللغة خليطاً من العربية والفارسية والهندية والأفغانية والتركية ، فما أشبه هذه اللغة بأصحابها ! .

هذا هو شأن اللغة أية لغة . وليست اللغة العربية بدعاً من اللغات ، بل إنها قد خضعت في نشأتها وتطورها لما خضعت له لغات غيرها من أسباب التطور ، وعوامل القوة أو الضعف ، ولولا القرآن الكريم كتاب العربية المقدس ومنار المسلمين في جميع أقطار الأرض لكان مصير العربية كمصير اللاتينية والسنسكريتية وغيرهما من اللغات القديمة التي فنيت أو حلت محلها فروعها .

ولئن كانت اللغة العربية قد اتصلت في عصور حياتها المختلفة بعدة لغات فان اتصالها باللغة الفارسية كان أقوى وأظهر . وبيان الصلة بين هاتين اللغتين هو الموضوع الذي نتحدث فيه .

وانه لموضوع طويل متعدد النواحي ، لا يكفي لتفصيل القول فيه جلسة واحدة تُتلى فيها صفحات معدودات ، ذلك لأنه بحث يتطلب عرض ما كان بين العرب والفرس من علاقات سياسية وتجارية وغيرها قبل الإسلام وبعده . وغني عن البيان أن هذه العلاقات هي أساس ما حدث بين الشعبين العربي والفارسي من صلة لغوية وثيقة قبل الإسلام وبعده .

ولا ريب أن تفصيل هذه الصلة وبيان تلك العلاقات حقيق بأن يملأ صفحات وصفحات ؛ ومن ثم أراني مضطراً الى التزام جانب الإيجاز المعتدل ، والاكتفاء

أحياناً بالإشارة الى المراجع المطولة ، ليرجع اليها من يود التوسع في البحث والإسهاب في التحصيل .

ولأبدأ اليوم بالكلام على صلة العربية بالفارسية قبل الإسلام مرجئاً الى جلسة أخرى الحديث عن هذه العلاقة بعد الإسلام .

لست أشك في أنكم على يقين من أن بلاد العرب لم تكن بمعزل عن العالم قبل الإسلام ، فالواقع الذي لا مراء فيه أن جزيرة العرب وبخاصة أطرافها كانت على صلة بما حولها وما جاورها من البلاد .

كانت على صلة وثيقة ببلاد فارس الواقعة في شماليها الشرقي ، وكانت العراق أو بعبارة أدق كانت الحيرة مملكة المناذرة حلقة الاتصال بين العرب والعجم ، وكانت بلاد العرب على صلة ببلاد الروم الواقعة في أقصى شماليها الغربي ، وكانت مشارف الشام مملكة الغسانيين حلقة الاتصال بين العرب والروم .

وفي القرون الأخيرة قبل الميلاد ، والقرون الأولى بعده ، كان العرب على صلة بالأنباط [1] الذين امتدت بلادهم من شبه جزيرة طور سينا الى ما حولها في الركن الشمالي الغربي من جزيرة العرب .

وقديماً قامت في الجزء الجنوبي من بلاد العرب دول يمنية قوية كان لكل منها شأن عظيم في مجرى الحوادث التاريخية ، منهم المعينيون ، والسبئيون ، والحميريون ، والحضرميون . وكانت اليمن حلقة الاتصال بين العرب والأحباش بطريق « بوغاز » باب المندب ، وبين العرب والهنود والصينيين عبر البحر العربي وبحر الهند وغيرهما .

---

(١) كانت دولة الأنباط بين فلسطين وبلاد العرب ، وكانت دولة ذات مدنية وحضارة اشتهرت بالزراعة ، وقيل إن العرب أخذوا عنهم الكتابة ، واستمرت هذه الدولة من القرن الرابع ق . م الى أن استولى عليها الرومان سنة ١٠٦ م .

وكان اليهود يجاورون العرب في فلسطين . وكانت لهم جالية بالعراق وأخرى في الحجاز .

وكانت اليمن تمتاز في العصور القديمة بموقع جغرافي يصل بينها وبين أمم العالم القديمة ، ويجعلها حلقة الاتصال التجاري بين الشرق والغرب ، فكان الهنود يحملون اليها من بلادهم ومن الصين البضائع التي يحتاج اليها المصريون والآشوريون والفينيقيون والروم ، كالذهب ، والقصدير ، والأحجار الكريمة ، والعاج ، وخشب الصندل ، والقطن والتوابل والأفاويه كالفلفل والزنجبيل وبعض أنواع من الحرير . وكان التجار يأتون من بلاد إفريقية الشرقيـة بالعطور وخشب الآبنوس وريش النعام والعاج والذهب ويحملونها الى اليمن . فكان اليمنيون ينقلون هذه البضائع وتلك الى الأمم المذكورة آنفاً بطريق البر أو بطريق البحر ، وكانوا يحملون الى هذه الأمم ما تخرجه بلادهم من المر والبخور كالعود والند ، وبعض الأحجار الكريمة كاليشب والعقيق .

وكانت قوافل التجارة تسير في قلب الجزيرة مخترقة طرقاً خاصة بعيدة عن الجبال ومغاصات الرمال ، ذات مراحل ومرافق يقوم على حراستها أشخاص يختارون من البدو .

وكان أهم هذه الطرق طريق عُمان أو حضرموت ، وكان يمر بالدهناء فنجد ، ويصل الى الحجاز ، فيمر بمكة فالمدينـة فبطرا ، ثم يمتد شمالاً الى فينيقية وفلسطين وتدمر ، أو غرباً الى مصر .

وكما كانت قوافل التجارة تنقل بضائع الصين والهند وبلاد افريقية الشرقية من الجنوب الى الشمال كانت قوافل أخرى تنقل بضائع البلاد الشمالية الى اليمن ومن ثم الى الهند والصين وشرقي افريقية ، أو تنقل بضائع أخرى مخترقة قلب الجزيرة من الغرب الى الشرق أو العكس .

فقد هيئت طرق القوافل منذ القدم بين مكة والشام ، وبينها وبين اليمن ، أو العراق ، أو مصر . وكان لتجارة الحبشة طريق معبد يبدأ من جدة على البحر الأحمر وينتهي بالقطيف على خليج العرب ببلاد الأحساء .

ويروي المؤرخون أن كسرى برويز (٥٩٠ — ٦٢٨ م) كان يجهز كل سنة لطيمة أي قافلة تجارية تباع بعكاظ ، وأن بني عامر بن صعصعة غزوا لطيمة في بعض السنين ، فكان ذلك سبباً في نشوب حرب بين النعمان بن المنذر أبي قابوس (٥٨٥ — ٦١٣ م) صديق كسرى وعامله على الحيرة وبين بني عامر . وتسمى هذه الحرب بوم السلان وفيها انهزمت جيوش النعمان .

ويشير القرآن الكريم الى انتشار التجارة في بلاد العرب فيقول : «أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لهم حَرَماً آمِناً يُجْبَى اليهِ ثَمَراتُ كلِّ شيءٍ[1]» ويقول : «لإِيلافِ قُرَيْشٍ إِيلافِهِم رِحْلَةَ الشتاءِ والصيفِ» .

ويروي المؤرخون أيضاً أن القدماء من المصريين والآشوريين غزوا بلاد العرب في عصور مختلفة تمتد من أوائل القرن السابع عشر الى منتصف القرن السابع قبل الميلاد ، وأن الفرس خلفوا البابليين في الاستيلاء على العراق في عهد كيروش حوالى سنة ٥٣٨ ق م . ويقال ان العرب أو فريقاً منهم كانوا يؤدون له الجزية ، وأنهم كانوا عوناً لقمبيز خليفة كيروش حين أغار على مصر (٥٢٩ — ٥٢٢ ق م) .

ويروون كذلك أن الأحباش غزوا اليمن سنة ٥٢٥ م وظلوا يحكمونها حتى سنة ٥٩٩ م ، وأن الفرس حاربوا الأحباش وأخرجوهم من اليمن سنة ٥٩٩ م في عهد كسرى برويز (٥٩٠ — ٦٢٨ م) .

(١) القصص : ٥٧ . والمراد بالحرم الآمن بيت الله الحرام بمكة وكان العرب يقدسونه ويحجونه ويأتون اليه رجالاً وركباناً من كل جانب حاملين اليه الخيرات المختلفة الأصناف والبضائع المختلفة الأنواع ليشهدوا منافع لهم بالتجارة ونحوها فكانت حركة البيع والشراء تشتد في أيام الحج في سوق عكاظ .

وقد نشبت بين العرب والفرس قبل الإسلام حربان عظيمتان كان النصر فيهما للعرب الأولى حرب استخلاص الملك لبهرام كور ، وسيأتي الكلام عليها ، والأخرى حرب ذي قار (يوم ذي قار) وكانت في عهد كسرى برويز (٥٩٠ — ٦٢٨ م) وإياس بن قبيصة ملك الحيرة (٦١٣ — ٦١٨ م) ، وفيها دارت الدائرة على الفرس فانهزموا بصفوفهم وخيلهم على كثرة عددهم . وقد وقعت هذه الحرب سنة ٦١٤ م أو في السنة الثالثة من البعثة المحمدية .

وتدل بعض الروايات التاريخية على أنه كانت بين الفرس والعرب بعض صلات اجتماعية ، فمن ذلك أن كسرى برويز كتب الى المنذر الرابع أن يبعث له بقوم من العرب يترجمون الكتب له فبعث له بعدي بن زيد الشاعر وأخوين له فكانوا بين كتابه يترجمون له .

وقيل ان الأكاسرة كانوا في أوائل عهد دولة المناذرة يعجبون بنشاط العرب وأنفتهم ، ويعهدون اليهم بتربية أولادهم وتثقيفهم وذلك كما في حال بهرام كوربن يزدكرد التي سنقص قصصها فيما بعد .

وقيل أيضاً إن كسرى أنوشروان (٥٣١ — ٥٧٨) هَمَّ بتزويج بعض أولاده من بنات العرب ، فاستشار في ذلك زيد بن عدي الشاعر المعروف ، فأشار عليه أن يطلب من النعمان بن المنذر بعض بنات عمه ، وأثنى على جمالهن ، فأمره أن يذهب في طلبهن . ولذلك قصة لا يتسع المقام لذكرها .

كل هذه الحوادث وغيرها مما لا قبل لنا باستقصائه تدل دلالة قاطعة على حقيقتين لا مناص من التسليم بصحتهما :

أما الأولى فهي أن العرب قد اتصلوا في عصور حياتهم المختلفة قبل الإسلام بجميع الدول التي شاع أمرها في العصور القديمة ، وأن هذه الصلة كانت متعددة النواحي شملت السياسية والاقتصادية والحربية والاجتماعية .

وأما الثانية فناشئة عن الأولى ، وخلاصتها أن اللغة العربية قد احتكت بأمهات اللغات القديمة وتأثرت بها . ومن بين هذه اللغات : الفارسية واليونانية ، والنبطية والآرامية ، والعبرية ، والحبشية ، والهندية .

ومن ثم نعرف السبب الأساسي في أننا نجد في اللغة العربية كلمات أو أصولاً لغوية منقولة أو مهاجرة من هذه اللغات ، حتى لقد قيل إن معظم الألفاظ الدالة على الحضارة والملك والأثاث والرياش منقولة عن الفارسية ، وإن معظم الألفاظ المتصلة بالعلم والفلسفة منقولة عن اليونانية ، وإن كثيراً من الكلمات الدالة على النباتات وشؤون الزراعة منقول عن النبطية ، وإن ما يدل على طقوس دينية أكثره منقول عن العبرية أو السريانية أو الحبشية ، وإن ما يدل على التوابل والأفاويه والعقاقير والأطياب والأحجار الكريمة فأصله في الغالب سنسكريتي أو هندي .

وقد ذكر علماء اللغة من الألفاظ اللاتينية أو اليونانية الأصل : القسطاس والدرهم والقنطار والقبان والاصطرلاب والترياق والبطريق والقنطرة ، ومن الألفاظ العبرية الأصل : الملكوت والرحموت والجبروت والمشناة واللهم وحبر وكاهن وعاشوراء ومعظم أسماء الأنبياء ، ومن الألفاظ الحبشية الأصل : كفلين ومشكاة وهرج ومنبر ونفاق وحواري (رسول) وبرهان (منبر واضح) ومصحف ، ومن الكلمات السنسكريتية الأصل : صبح وبهاء وضياء ومسك ، ومن الألفاظ الهندية الأصل : كافور وزنجبيل وفلفل .

دخلت العربية هذه الألفاظ وغيرها من مئات الكلمات فصقلت بالمصقلة العربية ، وصارت عربية الصبغة ، ودخلت في كيان اللغة العربية ، ونزل القرآن الكريم فاستخدم كثيراً منها[1] ، ولم يقدح ذلك في أنه أنزل بلسان عربي مبين .

---

(١) راجع في هذا الموضوع الإتقان في علوم القرآن ، والمزهر للسيوطي ، والأصل والبيان في معرب القرآن للشيخ حمزة فتح الله .

أما ما نُقل من الفارسية الى العربية من الألفاظ فكثير لا يكاد يُحصى ، ذلك لأن علاقة العرب بالفرس كانت قبل الإسلام أوثق وأبعد مدى مما يعتقد كثير من الناس . لذا أرجو أن يُسمح لي بالتوسع في بيان هذا الموضوع .

قلت من قبل إن المناذرة ملوك الحيرة كانوا حلقة الاتصال بين العرب والفرس ؛ ومع أنهم كانوا يحكمون العراق بالنيابة عن الفرس فقد كان ملوكهم ذوي حول وطول وأصحاب سلطان ونفوذ ، وكان لكل منهم مكانة مرموقة ومنزلة رفيعة لدى الأكاسرة .

ولقد بلغ من ثقة الأكاسرة بملوك المناذرة واعتمادهم عليهم في مهام أمورهم أن كان بعضهم يرسلون أبناءهم الى البادية لينشؤوا بها في رعاية ملوك الحيرة وتحت إشرافهم . وتلك حقيقة تتجلى بأجلى مظاهرها فيما كان من أمر يزدكرد الأول بن بهرام الأثيم (٣٩٩ — ٤٢٠ م) وابنه بهرام كور (٤٢٠ — ٤٣٨ م) الذي أجمع مؤرخو العرب والعجم على أنه تربى في بلاد العرب .

ويعد بهرام هذا أبرز حلقة اتصال بين العرب والفرس ثم بين العربية والفارسية قبل الإسلام . ويذكر المؤرخون في سبب تربيته في بلاد العرب أن أباه يزدكرد كان لا يعيش له ولد ، فلما ولد له بهرام هذا أصابته علة في صغره ولما يزل رضيعا ، فأشار عليه الأطباء أن يخرجه الى بلاد العرب ليعيش في مكان هواؤه طلق نقي يساعد على شفائه ، فدفعه الى أحد ملوك الحيرة ليربيه ويشرف على علاجه .

وهنا نسأل : مَن كان ملك الحيرة الذي أشرف على تربية بهرام گور ؟ فنجد أن المؤرخين قد اختلفوا في الجواب عن هذا السؤال ، فقال فريق منهم وعلى رأسهم حمزة الأصفهاني انه كان المنذر بن النعمان بن امرئ القيس (٤٣١ — ٤٧٣ م) الذي تولى الملك بعد أن تركه أبوه النعمان السائح وتزهد . وقال فريق آخر انه كان النعمان بن امرئ القيس (٤٠٧ — ٤٣٠ م) .

ويبدو لي أن الرأي الثاني هو الصواب ، لأن الرأي الأول لا يستقيم وما ذكره المؤرخون عن تاريخ حكم المنذر للحيرة وحكم بهرام لفارس ، فالمنذر تولى ملك العراق سنة ٤٣١ م ، وبهرام جلس على عرش فارس سنة ٤٢٠ م ، ومعنى هذا - اذا صح هذان التاريخان - أن المنذر تولى الملك في العراق بعد أن تولاه بهرام في فارس بنحو احدى عشرة سنة ، ومن ثم لا يمكن أن يكون هو الذي تولى تربية بهرام وساعده على استرداد عرشه ممن اغتصبه كما سنذكر فيما بعد .

ومهما يكن من أمر هذا المربي فما لا شك فيه أن بهرام كور تربى في بلاد العرب ، وربما كان ذلك في مكان قريب من بادية الشام ، وقد عني ملك الحيرة بعلاجه حتى برأ من علته . ويقال انه أحضر له ثلاث مراضع إحداهن فارسية والأخريان عربيتان ، وانه هيأ له وسائل التربية الصحية والعقلية ، وأعد له عدداً كافياً من المربين والمعلمين ، فعلموه القراءة والكتابة والرماية والفروسية . وكان لبيباً فطناً ، فأجاد التعلم في صغره ، وطلب من المشرف على تربيته أن يأتي له بمعلمين آخرين ، لأنه قد استوعب جميع مالدى معلميه من علم ومهارة .

وقد أهله ذكاؤه النادر لأن يجيد تعلم اللغة العربية ويقرض الشعر العربي الموزون المقفى الذي لم يَر له نظيراً في الفارسية .

يقول محمد عوفي في كتابه «لباب الألباب» الذي ألفه بالفارسية في الأدب الفارسي في أوائل القرن السابع الهجري ما خلاصته مترجمةً :

« نشأ بهرام گور بين الأعراب ، وتعلم العربية ، وألم بأسرارها ، ووقف على دقائقها . ويقال إنه كان في صباه متوقد الذكاء سريع الخاطر مرهف الحس ، وكان شجاعاً مقداماً بَزّ السابقين من أبطال العجم . ويُروى أنه كان ينظم شعراً جيداً بالعربيه . »

ويمضي محمد عوفي فيقول انه اطلع في إحدى دور الكتب على ديوان شعر لبهرام يحتوي على قصائد باللغة العربية ، وانه قرأ بعض هذه القصائد وكتبها وحفظها ، ويذكر من بين تلك القصائد واحدة نظمها بهرام في رفضه الزواج بعد أن عاد الى بلاده وساعده العرب على الجلوس على عرش أبيه يزدكرد . وسبب ذلك أن جماعة من أقاربه ورجال دولتـه مثلوا بين يديه وقالوا له : أيها الملك العظيم إن أيام الشباب هي موسم انتهـاز الفرص لتحقيق الرغبات . وليس من المقبول أن تقضيها في عزلة ووحدة ، وإن ماء الحياة إذا شربه الشاب من كأس العزوبة يفقد ما قد يكون فيه من عذوبة ، فهل تتفضل فتأذن لنا أن نختار إحدى المخدَّرات من أكفاء الأميرات لتكون لك زوجاً تؤانسك وتذهب بوحشتك ؟ فما كان منه إلا أن أجابهم بقطعة من الشعر منها هذان البيتان :

يرومون تزويجي من الكفء طلَّباً وما لي من جنس الملوك عديل

أرى أن مثلي كالمحالِ وجودُه وليس الى مثل المحال سبيـل

ويروي العوفي لبهرام بيتين آخرين وهما :

فقلت له لمـا نظرت جنوده كأنك لم تسمع بصولات بهرام

فإني لحامي ملكِ فارسَ كلّه وما خيرُ ملكٍ لا يكون له حام

ولبهرام كور أشعار كثيرة بالفارسية كان يغنيها المغني الفارسي الشهير المسمى « باربد » في بلاط كسرى برويز ، ولكن هذه الأشعار لم تكن موزونة مقفاة كالشعر العربي ، بل إنها كانت خالية من الروي والقافية ، ولم تخضع انظام البحور الذي اتبعه العرب .

ويروي أن أول بيت نظمه بهرام على مثال الشعر العربي هو قوله :

منم آن شير كله منم آن بيل بله نام من بهرام كور و كنيتم بوجبله

«أنا ذلك الليث الكاسر أنا ذلك الفيل الثائر اسمي بهرام كور و كنيتي أبو جبله»

ويروي دولتشاه السمرقندي في كتابه « تذكرة الشعراء » الذي ألفه بالفارسية في الأدب الفارسي حوالى سنة ٨٩٢ هـ في بيان السبب في نظم هـذا البيت ما خلاصته مترجمة :

« لم يجد العلماء والأدباء شعراً نُظم باللغة الفارسية قبل الإسلام، ولم تقع أنظارهم على أسماء الشعراء في ذلك العصر .

بيد أنه قد شاع على ألسنة الناس أن بهرام گور كان أول من نظم الشعر بالفارسية . وسبب ذلك أنه كان يعشق فتاة اسمها دلآرام جنكي (جذابة القلوب في ميدان الحروب) ، وكانت ممشوقة القوام، مستقيمة الطبع ، رشيقة الحركات ، حاضرة البديهة ، طريفة الفكاهة . ولما كان بهرام لا يصبر على فراقها فقد كان يصحبها كلما خرج للصيد والقنص .

وذات يوم خرجا للصيـد فرأى بهرام أسداً في احدى الغابات ، فطارده وظفر به ، فأخذ بأذنيه ، وربط احداهما بالأخرى ، وعاد به الى عشيقته . وقد بلغ من إعجابه بنفسه واغتباطه بشجاعته أن جرى على لسانه قوله :

منم آن پيل دمان منم آن شـير يله

« أنا ذلك الفيـل الثائر أنا ذلك الليث الكاسر »

وكانت عادة دلآرام أن تعلق على كل عبارة يقولها بهرام بما يناسبهـا ، فحين جرت على لسانه العبارة السابقة قال لها : ماذا لديك يا دلآرام في مناسبة هذا الكلام ؟ فأجابت :

نام بهـرام ترا وپـدرت بوجبلـه

« فبهـرام لك اقـب وبوجبـله لك الأب »

فوافق هذا الكلام ذوق بهرام ، وحسن وقعه على نفسه ، وعرضه على الادباء ، فقرروا أنه موزون مقفى من النوع الذي عُرف فيما بعد باسم المثنوي في الفارسية والمزدوج في العربية .

ومن ثم يرى مؤرخو الأدب الفارسي أن بهرام كور كان أول من نظم الشعر الموزون المقفى بالفارسية ، وأنه هو الذي ابتكر نظام المثنوي ·

هذا وإن رواية دولتشاه للبيت ليست كرواية محمد عوفي له · فليت شعري هل أخذت بهرام نشوة أدبية حينما سمع كلام دلآرام فقال مردداً لما قالاه في صورة جديدة :

منم آن شير كله منم آن ببل يله

نام من بهرام كور وكنيتم بوجبله ؟

وكان لبهرام كور مغامرات في أثناء إقامته في بلاد العرب منها ما رواه المُلاّ حسين الواعظ الكاشفي في كتابه «أخلاق محسني» الذي ألفه بالفارسية في أواخر القرن التاسع الهجري حيث يقول ما ترجمته :

« لقد أقام بهرام كور بعض الوقت في بلاد العرب في صحبة النعمان بن المنذر (١) ، وكان النعمان هذا يقوم على تربية بهرام بناء على طلب أبيه يزدكرد ، فحدث ذات يوم أن خرج بهرام لصيد الظباء ، فلاحت له ظبية ، فقصد الى رميها ، فقفزت وفرت هاربةً ، فطاردها واقتفى أثرها ، واشتد الحر فأدرك الظبية شيء غير يسير من الجهد والنصب من العطش ومتابعة العَدْو ، فاضطرت الى أن تأوي الى ديار احدى قبائل العرب · »

« ودخلت خباء أعرابي اسمه قَبيْصة ، فأخذها وعقلها ، وما إن فعل ذلك حتى رأى رجلاً يصل الى باب خيمته ، متنكباً قوسه ، متلهفاً يطلب الظبية ، ويصيح بأعلى صوته : يا صاحب هذه الدار هنا صيدي فاخرج به الي · فقال قبيصة - ولم يكن يعلم من الواقف ببابه - «أيها الفارس الطلق المحيا ليس من المروءة في شيء أن أسلم حيواناً احتمى بداري ، ولجأ الى جواري الى يد إنسان ليقتله · »

(١) لعل الصواب : بن امرىء القيس كما بينا من قبل .

«وسمع بهرام هذا الكلام فاستشاط غضباً ، وأخذ يكلم قبيصة في غلظة ، فقال قبيصة : لا تكثر من الكلام ، فما دمتُ حياً ولم يصبني أذى من سهمك الذي في قوسك فلن تمتد يدُك بسوء الى هذه الظبية ، ولئن قتلتني ليتبعنك قومي ليأخذوا بثأري ويستردوا الظبية منك ، فاربأ بنفسك وتخلَّ عن هذه الظبية ، واذا أردتَ عوضاً عنها فأمامك جوادي العربي مسرجاً ملجماً مقيداً أمام خبائي ، فخذه هدية مني اليك ، واركبه واجعل جوادك جنيبه من ورائك ، والحق بأهلك وديارك .»

«فأعجب بهرام بهذا الكلام ، وأكبر في الأعرابي حمايته لجارته الضعيفة ، ولم يلتفت الى جواد الأعرابي ، بل إنه لوى عنان جواده هو ، وأغذَّ السير حتى وصل الى موكبه .»

«ولما جلس بهرام على عرش أبيه (على النحو الذي سنشرحه) ، ودخل في طاعته أبناء وطنه ، أرسل في طلب قبيصة ، ولما وفد عليه أكرم وفادته ، وأطلق عليه لقب «مجير الظباء» فصارت مثلاً .»

وبينما كان بهرام گور يرتع ويلعب في رحاب البادية ، ويستمتع بهوائها الطلق النقي ، إذ بلغه أن أباه يزدكرد قد مات ، وأن الفرس قد ملَّكوا عليهم رجلاً اسمه كسرى من سلالة أردشير بن بابك ، وعلم أن السبب في ذلك هو أن عظماء الفرس وأشرافهم تعاهدوا فيما بينهم على الا يملكوا عليهم أحداً من نسل يزدكرد بعد وفاته لسوء سلوكه فيهم ، ولأن ابنه الأكبر بهرام نشأ بين العرب ، وتخلق بأخلاقهم الجافة في نظرهم ، ولا علم له بسياسة الملك ، ولأن ابنه الأصغر محب لنفسه ، يؤثر مصلحته الخاصة على مصلحة الوطن ؛ فقد كان والياً على أرمينية ، ولما بلغته وفاة أبيه تركها وشأنها دون أن ينيب عنه من يرعاها ، وأسرع في العودة الى عاصمة الدولة ليجلس على عرش أبيه قبل أن يسبقه اليه أخوه الأكبر بهرام .

علم بهرام بذلك لجن جنونه ، وهرع الى النعمان بن امرئ القيس يستمد به على قومه ، ويتوسل اليه أن يعاونه على استرداد عرشه المسلوب ، فلبى النعمان طلبه وقال له : لا يهولنك ذلك حتى ألطف الحيلة فيه ، ثم جهز جيشاً ضخماً اقتحم به أرض فارس ، ورآه الفرس فأفزعتهم كثرة عَدده وعُدده ، وانتهى الأمر بانتصار العرب واذعان الفرس لبهرام وجلوسه على العرش ، وعاد الجيش العربي منصوراً مؤزراً ، وكانت للنعمان منزلة عظمى لدى بهرام ، وأدرك الفرس ذلك فتوسلوا اليه أن يخاطب بهرام في أن يعفو عن عظمائهم وأشرافهم الذين كانوا قد خرجوا عليه ففعل .

وكان للجيش العربي موقف مشرف آخر مع بهرام كور ، وذلك حين نشبت الحرب بين الفرس والروم ، وحاصر الروم مدينة نصيبين من أرض الجزيرة ، فاستنصر بهرام بالمنذر بن النعمان بن امرئ القيس (٤٣١ — ٤٤٣ م) ، فلبى طلبه ، واضطرب أهل القسطنطينية ، فاضطر ملك الروم الى طلب الصلح ، وعاد الجيش العربي ظافراً منصوراً .

هذه هي قصة بهرام كور ، وأذكر هنا على سبيل الاستطراد أن كلمة بهرام معناها المريخ ، وأن كلمة كور معناها الحمار الوحشي . وقد لقب بهرام بهذا لأنه كان مولعاً بصيد الحمر الوحشية ، وقد ظل على هذه العادة طول حياته حتى كانت سبباً في هلاكه ، ذلك أنه بينما كان يطارد حماراً وحشياً ، إذ عدا جواده الى نهر من الرمل ، فغاصت فيه قوائمه ، فهلك وهلك معه راكبه .

وإنما أطلت في سرد هذه القصة لأقرر :

١ — أن بعض الأكاسرة كانوا يرسلون أبناءهم الى بلاد العرب ليتعلموا بها .

٢ — أن الأكاسرة كثيراً ما كانوا يستعدون العرب ، ويستعينون بالجيش العربي ، في تحقيق أغراض عسكرية يعجزون عن تحقيقها .

٣ – أن بهرام كور أجاد العربية نثراً ونظماً ، ونقل الى الفارسية نظام الشعر العربي المنظوم ، المقفّى ، وابتكر نظام المثنوي أو المزدوج .

٤ – أن الاتصال الوثيق بين العرب والعجم لكل ما ذكرت من الأسباب قد أدى الى أن يدخل العربية في العصر الجاهلي كثير من الألفاظ الفارسية . وجاء الإسلام ، ونزل القرآن الكريم وقد صقل هذه الكلمات الصيقل العربي ، واندمجت في كيان اللغة العربية ، فاستعمل القرآن بعضها مثل سندس وإستبرق وابريق لا على أنها كلمات أعجمية بل على أنها كلمات عربية الصيغة والصبغة .

ولم يكن بهرام كور هو وحده الذي تعلم العربية ، فإن بعض التراجمة ورجال الدولة من الفرس كانوا يعرفونها أيضاً ، يؤيد ذلك ما ورد في قصة وفود النعمان على كسرى ومعه عدد كبير من خطباء العرب ، وكذلك ما رُوي من أن كسرى أرسل زيد بن عدي الى النعمان بن المنذر في طلب بنات عمه ليكنّ زوجات لأبناء كسرى ، وأنفذ معه سفيراً يعرف العربية ليسمع جواب النعمان .

وكما كان بعض الفرس يجيدون العربية كان بعض العرب يجيدون الفارسية وبخاصة من كانوا يسكنون الحيرة وما حولها . وقد ذكرنا من قبل أن بعض الكتاب والمترجمين في بلاط كسرى كانوا من العرب .

من هذا كله نستطيع أن نستخلص حقيقة لا مجال للشك في صحتها هي في الواقع خلاصة هذا البحث : تلك هي أن صلة العرب بالعجم قبل الإسلام قد أدت الى أن اتصلت العربية بالفارسية ، وتأثرت كل منها بالأخرى .

أما تأثر العربية بالفارسية فيؤيده ما دخل العربية من كلمات فارسية ذُكر بعضها معرباً في القرآن الكريم . وأما تأثر الفارسية بالعربية فأمر طبيعي معقول على الرغم من أنه ليس بين أيدينا الآن من المراجع أو الأدلة اليقينية ما يثبته ،

لأن لغة فارس قبل الإسلام كانت اللغة الفهلوية التي حلت محلها العربية ، كما حل الإسلام محل الزرادشتية ، وحل القرآن الكريم محل الزند والأبستاق .

على أن تأثر كل من العربية والفارسية بالأخرى قبل الإسلام كان في حدود نطاق ضيق ، ذلك لأن الفرس تأثروا في العصر الساساني بالآرامية التي كانت لغة شبه رسمية في الشرق الأوسط جميعه ، وقد ثبت أن الفرس قد استبدلوا بالخط المسماري الخط الآرامي ، وأنهم اتبعوا في الكتابة والقراءة طريقة الهُزْوارِش أو الزوارش أو ما يسميه ابن النديم الزوارش ، ذلك أنهم كانوا يكتبون كثيراً من الكلمات بالآرامية ويقرؤونها كلمات فارسية تؤدي معانيها ، كأن يكتبوا بالحروف الآرامية ملكان ملكا (ملك الملوك) ويقرؤوا شاهان شاه ، أو يكتبوا كلمة بسر (لحم) ويقرؤوا كوشت ؛ أو يكتبوا كلمة زانا (ذلك) ويقرؤوا آن ، أو يكتبوا لحما (خبز) ويقرؤوا نان [1] .

إن هذا يرجح أن تأثر الفرس بالآرامية كان أشد من تأثرهم بالعربية قبل الإسلام ، أما فيما بعد الإسلام فقد تغيرت الأوضاع فتعلم الفرس العربية التي حلت محل الآرامية في الانتشار . ولما جد الفرس في إحياء لغتهم وآدابهم في القرن الثالث الهجري اتخذوا الأبجدية العربية .

ويبدو أن تعصب العرب للغتهم قد جعلهم ينفرون من تقبل الكلمات الفارسية التي لم يشعروا بحاجة اليها فاننا اذا نظرنا في هذه الكلمات وجدنا :

١ — أنها قليلة لا تكاد تُذكر بجانب الكلمات الأصيلة ، لأنها دخلت العربية بعد أن نمت وأثبتت صلاحيتها للبقاء ، ولم تكن في حاجة لأن تقتبس من غيرها الا القليل النادر من الألفاظ التي تدل على معان مستحدَثة أو على مسمَّيات لم يكن لها نظائر في بلاد العرب .

(١) راجع كتاب : قصة الأدب الفارسي : ٨٤ — ٨٦ .

٢ — أنها أسماء ، إذ لم يأخذ العرب عن غيرهم حروفاً ولا أفعالاً ، وإنما أخذوا عنهم أسماء . غير أن العرب بما طبعوا عليه من مرونة لغوية كانوا كثيراً ما يشتقون من الأسماء الدخيلة أفعالاً ، فاشتقوا من زركش (الراسم بالذهب) زَرْكَشَ أي نقشَ أو رسمَ بالذهب ، ومن كهرباء كَهْرَبَ ، ومن مغناطيس مَغْطَسَ ، ومن قسطاس قَسَطَ بمعنى ظلم وأَقْسَطَ بمعنى عدل ، ومن لجام أَلْجَمَ ، ومن مهر (خاتم) مَهَرَ الكتاب بمعنى ختمه أو ذيله بتوقيعه ، ومن ديوان دَوَّنَ وهكذا ، ثم اشتقوا من هذه الأفعال أفعالاً ومشتقات أخرى كما لا يخفى .

٣ — أنها أسماء من أنواع خاصة ، كأسماء النبات أو الحيوان أو المعادن أو الآلات أو المأكولات أو المشروبات أو الملابس أو غيرها مما يدل على معان فلسفية أو على أشياء لم يعهدها العرب من قبل .

على أن العرب قد نقلوا الى لغتهم ألفاظاً محدودة العدد لها نظائر في لغتهم إما لخفتها على اللسان أو السمع ، وإما ليدلوا على سعة اطلاعهم على الفارسية وشدة اتصالهم بالفرس . فمن النوع الأول الكلمات : ورد ، ومسك ، وتوت ، وهاوُن ، ورصاص ، وميزاب ، فقد استعملها العرب بدلاً من حَوْجَم ، ومشموم ، وفِرْصاد ، ومِهْراس ، وصَرَفان ، ومِثْعَب .

ومن النوع الثاني : بُوصي (معرب بوري) ، وجَرْدقة ، وسَجَنْجَل ، وموزج ، فقد استعملت بدلاً من : سفينة ، ورغيف ، ومرآة ، وخف .

٤ — أنها تنقل عن شعوب عُرفوا بالمهارة والاختصاص أو السبق في استعمال مدلولاتها ، فقد أخذ العرب عن الفرس كلمات يدل معظمها على أنواع من الطعام أو الشراب أو الملابس أو الزهور وما اليها ، وأخذوا عن اليونان بعض كلمات تدل على معان فلسفية ، وعن الأنباط ألفاظاً تتصل بالزراعة وآلاتها .. وهكذا كما سبق شرحه .

وللسبب نفسه أخذت اللغات الأوربية عن العربية بعض المصطلحات الرياضية مثل : الجبر والصفر واللوغاريتمات (الخوارزميات) (١) وبعض المصطلحات الكيميائية كالكحل والقلويات وبعض كلمات أخرى كتعريفة وقالب .

٥ — أنها كثيراً ما تخضع في أصواتها وموازينها الصرفية لما هو متبع في العربية ، وهنا تظهر مهارة العرب واعتزازهم بلغتهم ، فإنهم لم يُخضعوها للموازين والصيغ الغريبة عنها ، وإنما أخضعوا لها ما كان غريباً عنها من أصوات أو موازين متبعين في ذلك قواعد معينة أهمها :

أولاً : قلب هاء السكت المتطرفة جيماً كما في كوسج (أي الأمرد) ، وموزج (الخف) وطازج (الغض الطري) ، وبنفسج ، فأصولها على الترتيب هي : كوسه ، وموزه ، وتازه ، وبنفشه . وقد تقلب هذه الهاء قافاً كما في جوسق (أي القصر) ، وجردقة (الرغيف أو الكعك) ، وكربق (الحانوت) ، وبَرَق (الحَمل) ، وباشَق (صقر الصيد) ، فأصولها على الترتيب هي : جوسه ، وكرده ، وكربه ، وبره ، وباشه .

واذا كان ما قبل هذه الهاء دالاً قُلبت الدال ذالاً ، والهاء جيماً ، كما في : ساذج ، ونموذج ، وفالوذج ، فأصولها هي على الترتيب : ساده ، ونموده ، وپالوده .

واذا كان قبل الهاء تاء قُلبت دالاً ، وقلبت الهاء قافاً ، كما في بودقة فأصلها بوته .

وإنما قلبوا هذه الهاء لأنه ليس في العربية اسم ينتهي بهاء السكت أي ليست من أصول الكلمة ، وإنما قلبوها جيماً لأنها تقلب كافاً فارسية عند الجمع أو النسب أو اشتقاق اسم المعنى في الفارسية كما في بندكان (عبيد) مفرده بنده ، وبندگی (العبودية) . والجيم من أقرب الحروف الى الكاف ، ويليها الكاف ثم القاف كما سنرى بعد .

---

(١) نسبة الى أبي جعفر محمد بن موسى الخوارزمي صاحب كتاب « الجبر والمقابلة » .

ثانياً : قلب الكاف الفارسية جيماً كما في الجام ، وبنج ، وجربز (المكار الخادع) وجورب وجلنار (زهر الرمان) فأصولها : لگام ، وبنك ، وگربز ، وگورب ، وگلنار .

وقد تقلب الكاف كافاً كما في كوش (الأذن) وكردن (العنق) ، وكنز ، وبركار . فأصولها : گوش ، وگردن ، وگنج ، وبرگار .

وقلما تُقلب هذه الكاف قافاً أو غيناً كما في قربز (جربز) ، وقندفير (العجوز الشمطاء المحطمة) وغربال ، فأصولها : گربز ، وگنده پير ، وگربال .

ثالثاً : قلب الباء الثقيلة فاء أو باء خفيفة كما في فرند السيف (جوهره) وفالوذج ، وفستق وفيروزج ، وبندق (المأكول المعروف) ، وبيدق (الجندي الماشي) ، فأصولها : پرند ، وپالوده ، وپسته ، وپيروزه ، وپندق ، وپياده .

رابعاً : قلب الشين سيناً في بعض الحالات كما في : بنفسج ، ودست (السهل) ، وسكر ، وعسكر ، وسروال ، وسلجم (اللفت) ، فأصولها : بنفشه ، ودشت ، وشكر ، وشلوار ، وشلغم .

خامساً : قد تُقلب السين صاداً كما في صرد (البرد) وصنجة فأصلها : سرد ، وسنج أوسنك . هذا وقد دخل العربية كثير من الكلمات الفارسية المركبة مثل الزركشة : (زر = ذهب + كش = الراسم) ، والجلنار : (گل = زهر + نار = الرمان) ، والسرداب : (سرد = بارد + آب = الماء أي ذو الماء البارد) ، والميزاب : (ميز = مسيل + آب = الماء) ، والسراب (سير = مملوء + آب = الماء ، ثم استعمل فيما يظن الرائي من بعد أنه ماء) ، والجلاب : (گل = زهر أو ورد + آب = ماء) ، وخشاف : (خوش = حلو + آب = الماء) ، وسربوش : (سر = الرأس + پوش = غطاء) ، وبابوج أي الخف : (پا = القدم + بوج ، پوش = غطاء) ، والمهردار أي صاحب الختم

أو حامل أختام الدولة : (مهر = خاتم + دار = صاحب) ، والمهاندار أي المضيف أو من يقوم بشؤون الضيوف : (مهان = ضيف + دار = صاحب) .

ومن يرجع الى المطولات من معاجم اللغة العربية يجد كلمات كثيرة من هذا النوع .

* * *

(القسم الثاني)

بعـــد الإسلام

بينتُ في القسم الأول من هذا البحث ما كان بين العرب وغيرهم من الأمم المجاورة لهم من صلات وعلاقات سياسية وتجارية وغيرها ، وأوضحت ما ترتب على هذه العلاقات من صلات لغوية أدت الى تسرب كثير من الكلمات الأجنبية الى اللغة العربية ، وقلت ان القرآن الكريم نزل وقد صقل هذه الكلمات الصيقل العربي فاستعمل بعضها ، لا على أنها أعجمية ، بل على أنها كلمات معربة عربية الصيغة والصبغة .

كان هذا قبل الإسلام أما بعده فقد بلغت صلة العرب بالفرس منتهاها من القوة بعد أن دخل الإسلام بلاد الفرس ، وامتزجت الثقافة العربية بالثقافة الفارسية ، وتكونت منهما ثقافة اسلامية واحدة موطدة الأركان شامخة البنيان .

وكان دخول الإسلام بلاد الفرس إحدى نتائج انتصار العرب على الفرس انتصاراً نهائياً في عهد عمر بن الخطاب ، وكانت الموقعة الفاصلة بين الفريقين موقعة نهاوند (سنة ٢١ هـ = ٦٤٣ م) التي لم يقع للعرب مثلها ولذا سُميت : « فتح الفتوح » .

وقد كان من الطبيعي أن يتبع الفتح العربي لبلاد الفرس انتشار الإسلام بها ، وأن يتعلم الفرس اللغة العربية لغة القرآن والدين ، وأن تحل الأبجدية العربية محل الأبجدية الآرامية ، وأن يحدث في إيران انقلاب أخذ يقوى شيئاً فشيئاً حتى شمل جميع مظاهر الحياة ، وتغيرت العقلية الفارسية ، فأخذت تنظر نحو الحياة الدنيا والحياة الأخرى نظرة جديدة ، ولم يكن في استطاعة الفرس أن يقاوموا القوة المادية الروحانية الإسلامية التي غمرتهم وأحدقت بهم من كل جانب .

غير أن آثاراً من دينهم القديم وتقاليدهم السابقة ظلت عالقة بأذهانهم ، فأثرت - دون شعور منهم - في عقائدهم وتقاليدهم الجديدة ، وبقيت آثار من لغتهم وآدابهم كامنة في صدورهم ، أو مدونة في بطون كتبهم ، أو متداولة فيما بينهم في منازلهم ، الى أن ظهر أمرها حين قامت قائمتهم ، وتألق نجمهم في أفق التاريخ مرة أخرى ، فحاولوا إعادة سالف مجدهم وإحياء ما درس من علومهم وآدابهم .

أما الآثار الدينية فقد تجلت في مذهب الشيعة الذي ظهر أمره بعد قتل الإمام علي كرم الله وجهه . وأما التقاليد القديمة فقد ظهرت آثارها في بعض الأعياد التي استمرت في عهد الدولة الإسلامية ، وأما الآثار اللغوية الأدبية فمنها إدخال كثير من الألفاظ الفارسية في اللغة العربية التي تعلموها .

ولا يُعرف الا قليل عن أحوال ايران الداخلية في أثناء المائة والخمسين سنة التي تلت الفتح الإسلامي ، اذ كانت البلاد من الوجهة السياسية جزءاً من الخلافة الإسلامية يؤدي الزكاة أو الجزية ، ويراقب مراقبة شديدة طبقاً لنظام دقيق وضعه معاوية أول خلفاء بني أمية . وقد قضى الخليفة عمر على البقية الباقية من أنواع الآداب الأجنبية الأخرى ، بحجة أنها زائدة على حاجة المسلمين ، وأنه من الممكن الاستغناء عنها بالقرآن الكريم الذي يجب أن يكون مرجع جميع الآداب ، ومستقى جميع المعلومات ، ومن ثم كانت اللغة

العربية هي اللغة الرسمية في هذا العصر وفيما تلاه الى عصر الدولة السلجوقية .

يقول دولتشاه السمرقندي في كتابه تذكرة الشعراء ما خلاصته مترجمة : [(١)]

« لما أخضع العرب بلاد فارس أرادوا نشر الشريعة الإسلامية ، والقضاء على كل ما كان من التقاليد والآثار الفارسية ، وقد لقيت اللغة والشعر والآداب الفارسية المصير نفسه ، ونسي الفرس أو تناسوا شعرهم وآدابهم . وكان حكام ايران من العرب في عهد الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية يأبون الا أن يكون الشعر والكتابة الفنية والحكم والأمثال باللغة العربية . »

« يقول نظام الملك وزير السلاجقة في كتابه « تاريخ الملوك » إن الوثائق والقوانين والنشرات والأمثال كانت كلها تصدر من بلاط السلاطين مكتوبة باللغة العربية من عهد الخلفاء الراشدين الى عهد السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي (٣٨٨ — ٤٢١ هـ) ، وكانوا يعيبون على السلاطين أن يكتبوا الرسائل ونحوها بالفارسية . »

« وفي أيام وزارة عميد الملك أبي نصر كندري (٤٥٠) وزير ألب أرسلان ابن طغرل بك السلجوقي أصدر هذا الوزير أمراً الى الكتاب أن يضربوا صفحاً عن هذه العادة ، وأن يكتبوا الرسائل ونحوها بالفارسية » .

ومن ثم يمكن أن يقال إن الأدب الفارسي كان في عصر صدر الإسلام في حالة ركود تام وظلام دامس .

وفي أواخر الدولة الأموية ، تذمر العرب والعجم من سوء تصرف الخلفاء ، فأجمعوا أمرهم على أن يخرجوا عليهم ، وبلغ التذمر قمته بقيام ثورة عامة ضد حكم بني أمية كان للفرس فيها النصيب الأوفر بقيادة أبي مسلم الخراساني ، وانتهت الثورة بسقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ و ٧٥٠ م ،

---

(١) انظر ص ٢٩ من هذا الكتاب .

وحلت بغداد محل دمشق فكانت عاصمة الخلافة العباسية ، وكان انتصار المأمون على أخيه الأمين (١٩٨ هـ) انتصاراً آخر للفرس أنصار الأول على العرب أنصار الثاني .

ويمتاز القرن الأول من الخلافة العباسية (١٣٢ — ٢٣٢ هـ) ـ الذي يوصف أحياناً بأنه العصر الذهبي للخلافة الإسلامية ـ من الوجهة السياسية بقوة نفوذ الفرس ، وتوليهم زمام الحكم ، وفي مقدمتهم البرامكة الذين كانت لهم الغلبة في إدارة شؤون الخلافة زهاء خمسين سنة ، ومن الناحية الثقافية الفكرية بانعقاد مجالس الحوار والمناقشة في قصور الخلفاء ، تلك المجالس التي كان يحضرها الخليفة ، ويشترك فيها في البحث والجدل ذوو العبقريات الممتازة من العلماء والأدباء ، وبكثرة الكتب المترجمة من اللغات الأخرى وبخاصة من اليونانية والفارسية والنبطية ؛ ومن الناحية الدينية بقوة سلطان الشيعة ، وتغلب مذهب المعتزلة الذين كانوا يصفون أنفسهم بأنهم « أهل العدل والتوحيد » ، ويصفهم الفرنجة بأنهم « أرباب التفكير الحر في الإسلام » ؛ ومن الناحية الاجتماعية بشيوع بعض التقاليد الفارسية كالاحتفال بعيدي النيروز (يوم ٢١ / ٣) والمهرجان (يوم ٢١/ ٩) ، ولبس القلنسوة والملابس الفارسية المزركشة في قصور الخلافة ، وقيل إن أباجعفر المنصور كان أول من لبس القلنسوة ؛ ومن الناحية اللغوية الأدبية باهتمام الفرس بدراسة اللغة العربية وآدابها ، وعنايتهم بدراسة علوم اللغة والشريعة حتى صاروا في طليعة الكتاب والمؤلفين .

ومن يدرس تاريخ التدوين والتأليف في الإسلام يجد أن معظم السباقين في هذا الميدان كانوا من الفرس ، فليس من ينكر فضل هؤلاء حتى في أشد العلوم اتصالاً باللغة العربية ، والقرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والشريعة الإسلامية ، فمنهم معظم أئمة اللغة والمفسرين وجامعي الأحاديث وعلماء الفقه .

وفي هذا الموضوع يقول ابن خلدون :

« من الغريب الواقع أن حملة العلم الإسلامي أكثرهم العجم ، إلا في القليل النادر ؛ وإن كان منهم العربي في نسبته فهو عجمي في مرباه ومشيخته ، مع أن الملة عربية وصاحب شريعتها عربي . فكان صاحب صناعة النحو سيبويه (١٨٠ هـ) والفارسي من بعده (٣٧٧ هـ) والزجاج (٣١١ هـ) من بعدهما ، وكلهم عجم في أنسابهم ، وإنما ربوا في اللسان العربي ، فاكتسبوه بالمربي ومخالطة العرب ، وصيروه قوانين وفناً من بعدهم[١] ؛ وكذلك حملة الحديث الذين حفظوه عن أهل الإسلام أكثرهم عجم أو مستعجمون باللغة والمربى ؛ وكان علماء أصول الفقه كلهم عجماً كما يُعرف[٢] ، وكذا أكثر المفسرين ، ولم يقم بحفظ العلم وتدوينه إلا الأعاجم » .

« وأما العرب الذين أدركوا هذه الحضارة وسوقها ، وخرجوا اليها من البداوة فشغلتهم الرياسة في الدولة العباسية ، فانهم كانوا أهل الدولة وحماتها ، وأولي سياستها ، مع ما يلحقهم من الأنفة عن انتحال العلم حينئذ بما صار من جملة الصنائع ، والرؤساء يستنكفون عن الصنائع والمهن وما يجري اليها ، ودفعوا ذلك الى من قام به من العجم والمولدين » .[٣]

ومع أن الفرس قد حذقوا العربية ، وأتقنوا علومها ، وكانت لهم الأسبقية

(١) هكذا يقول ابن خلدون . والمعروف أن أبا اسحق إبراهيم الزجاج توفي سنة ٣١١ ه أي قبل أبي علي الفارسي بنحو ٦٦ سنة ، فهو متقدم على الفارسي لا متأخر عنه كما يقول ابن خلدون . ويؤيد ذلك ما ذكره السيوطي في « بغية الوعاة » وهو أن الفارسي أخذ عن الزجاج ومبرمان وابن السراج .

(٢) هكذا قال ابن خلدون ، ولا يخفى ما فيه من مبالغة ، فالمشهور أن الإمام الشافعي « عالم قريش » كان أول المؤلفين في أصول الفقه ، وليس هنالك من يشك في عروبته .

(٣) المقدمة ص ٣١٢ — المطبعة الخيرية لعمر حسين الخشاب سنة ١٣٢٢ ه .

في التأليف في كثير من علوم اللغة والشريعة فقد مارس كثير منهم صناعة الشعر بالعربية ، ولم يزالوا يمارسونها حتى نبغوا فيها .

وقد عني العلامة الثعالبي في كتابه « يتيمة الدهر » بهذا الموضوع ، فتحدث عن كثير من شعراء العربية من الفرس الذين نشؤوا في أحضان الدولة البويهية في بغداد والعراق العربي وأواسط فارس ، وفي رعاية الدولة الزيارية بطبرستان ، وبخاصة في عهد شمس المعالي قابوس بن وشمكير ، وفي حماية الأمراء السامانيين في خراسان وخوارزم .

فهذا الكتاب الأدبي القيم يعطينا فكرة واضحة عن حالة الأدب العربي من سنة ٣٥٠ هـ حتى سنة ٤٠٣ هـ في بلاد إيران كلها من بغداد إلى خوارزم ، ومنه نعلم أن أدباء الفرس قد مهروا في صناعة الشعر العربي ، وأن سوق هذا الشعر كانت نافقة في طول إيران وعرضها ، حيث كان الشعراء من الفرس ينظمون القصائد بلسان عربي فصيح ، ويقدمونها لسادتهم من بني وطنهم فيعجبون بها ويجزونهم عليها .

وخلاصة القول أن قوة النفوذ الفارسي في العصر العباسي لم تضعف من شأن اللغة العربية وآدابها ، بل ان هذه اللغة قد بقيت على ما كانت عليه من قبل لغة الدين والسياسة والعلم ، واتخذها علماء الفرس وأدباؤهم أداة للتعبير عن أفكارهم ، وتسجيل آرائهم ، وتصوير أخيلتهم وعواطفهم .

أما اللغة الفارسية فقد بقيت قابعة في عقر دارها خلال القرنين الأول والثاني من التاريخ الهجري ، وجاء عصر المأمون فأخذت هذه اللغة تتنفس الصعداء وتتحفز للظهور في ذلك العصر الذي غلبت عليه الصبغة الفارسية .

يقول محمد عوفي في كتابه « لباب الألباب » ما خلاصته مترجمة :

« لقد ظل الشعر الفارسي مجرداً من الوزن والقافية ، غير خاضع لنظام البحور الشعرية العربية إلى أن دخل الإسلام بلاد الفرس ، وحذق أدباء الفارسية

اللغة العربية ، ودرسوا نظام الشعر العربي ، وعرفوا بحوره ، وفهموا معنى الروي والقافية ، والزحاف والعلة ، وكيفية تقطيع الأبيات ، وغير هذا وذاك مما هو مذكور في علمي العروض والقافية . حينئذ أخذ أدباء الفرس ينظمون في أول الأمر الشعر بالعربية ، ثم أخذوا ينظمون الشعر بالفارسية على نحو ما هو متبع في الشعر العربي » .

وقد سلكوا في الأمرين مسلك التدرُّج ، لذلك نجدهم حين بدؤوا نظم الشعر بالعربية يلحنون أو يخطئون في النطق بالحروف العربية كالحاء والعين ، ويدخلون في شعرهم العربي بعض كلمات أو عبارات فارسية .

ويُروى أن أول من نظم الشعر الموزون المقفى بالفارسية بعد الإسلام أديب يسمى خواجه زاده عباس ، وكان شاعراً ماهراً ، بصيراً باللغتين العربية والفارسية . وأول قصيدة فارسية من نظمه كانت القصيدة التي أنشدها سنة ١٩٣ هـ بمدينة مرو أمام الخليفة المأمون بن هرون الرشيد ومطلع هذه القصيدة :

أي رسانيده بدولت فرق خود تا فرقدين ... كسترانيده بجود وفضل در عالم يدين

مرخلافت را توشايسته چو مردم ديده را ... دين يزدان را توبايسته چو رخ را هردوعين

(يامن سعد بدولته حتى ناطح برأسه الفرقدين ... يامن بسط بالجود والفضل والعالم كلتا اليدين

ان الخلافة منك كالإنسان من العين ... وان حاجة دين الله اليك كحاجة الرخ الى العينين)

وفيها يقول :

كس برين منوال پيش ازمن چنين شعرى نگفت

مرزبان پارسى راهست تا اين نوع بين

ليك زآن گفتم من اين مدحت ترا تا اين لغت

گيرد ازمدح وثناء حضرتِ توزيب وزين

(لم ينسج أحد من قبلي شعراً على هذا المنوال

وكان بين الفارسية وهذا الشعر بعد المشرقين

ولكني مدحتكم على هذا النمط الشعري

كي تكتسب هذه اللغة من مدحكم كل بهاء وزين)

ولما انتهى الشاعر من إنشاد قصيدته أطراه المأمون وأمر بالإنعام عليه بألف دينار من الذهب، وأن يختص بكثير من العطف والعناية.

وعلم الأدباء بالشعر والشاعر فأقبلوا يطرونها، ويشيدون بذكرهما، وأخذوا يحاولون نظم الشعر بالفارسية.

ولكننا لا نعرف أن أحداً نظم الشعر بالفارسية بعد هذا الى أن جاء العصر الذي استقلت فيه بعض الأوطان الفارسية، وأخذ أمراؤها ينافس بعضهم بعضاً في نظم الشعر، ويحببون اليهم العلماء والشعراء، ويشجعونهم على أن ينظموا الشعر بالفارسية يسجلون به مآثرهم ويخلدون ذكرهم. فحينئذ أخذت اللغة الفارسية وآدابها تهب من سباتها، وجاءت الدولة السامانية فاتجهت عناية أمرائها الى إحياء الثقافة والآداب الفارسية القومية، فنهضت تلك اللغة والآداب نهضة لم تعهدها من قبل.

وقد بدأ استقلال الأوطان الفارسية في عهد المأمون وبرغبته، فقد أراد أن يكافئ كبار أعوانه وأنصاره من القواد فجعلهم ولاة على أقاليم يستقلون بإدارة شؤونها. وكان طاهر بن حسين أول من حظي بهذا الشرف فأسس الدولة الطاهرية في خراسان، وامتد حكمها لهذا الإقليم من سنة ٢٠٦ هـ الى سنة ٢٥٩ هـ أي ما يزيد قليلاً على نصف قرن، ثم حلت محلها الدولة الصفارية (٢٥٤ — ٢٩٠ هـ) والدولة السامانية (٢٦١ — ٣٨٩ هـ).

وكانت الدولة الطاهرية عربية النزعة حريصة على التقاليد والثقافة العربية فلم تنتشر في عهدها التقاليد والآداب الفارسية.

يروي دولتشاه السمرقندي في كتابه « تذكرة الشعراء »[١] ما ترجمته أن عبد الله بن طاهر بن حسين أحد أمراء الدولة الطاهرية بخراسان (٢١٣ — ٢٣٠ هـ) كان ذات يوم بنيشابور فجاء رجل وقدم اليه كتاباً على أنه هدية أثرية ، فقال عبد الله : أي كتاب هذا ؟ فقال : هذه قصة وامق وعذراء ، وانها لقصة طريفة ألفها الأدباء باسم الشاه نوشيروان . فقال الأمير : نحن قوم نقرأ القرآن ، ولا نقرأ شيئاً آخر غير القرآن الكريم والحديث الشريف ، فليس لهذا الكتاب ولا لما يشبهه قيمة ولا فائدة لدينا ، هذا الى أن مؤلفه مجوسي ، ومن ثم كان مردوداً في نظرنا .

ثم أمر عبد الله بالكتاب فرمي في اليم ، وأمر من كانوا في إمارته أن يحرقوا كل ما لديهم من الكتب وغيرها من مخلفات العجم .

وفي عهد الدولة الصفارية ظهر نظام شعري جديد شاع أمره في الشعر الفارسي ثم في الشعر العربي ذلك هو نظام الدوبيت أو الرباعي .

يقول دولتشاه السمرقندي في كتابه الآنف ذكره في بيان ذلك ما ترجمته : «يُحكى أن يعقوب بن الليث الصفاري (٢٥٤ — ٢٦٥ هـ) أول من شقوا عصا الطاعة من الفرس على بني العباس كان له ابن يحبه حباً جما ، وكان هذا الطفل يلعب في أحد الأعياد لعبة الجوز مع غيره من الأطفال ، وجاء الأمير يعقوب ووقف بعض الوقت على قارعة الطريق يتفرج على ابنه وهو يلعب ، فرآه يلقي الجوز على الأرض فتقع سبع جوزات في الحفرة ، ولم تلبث إحداها أن قفزت وخرجت من الحفرة ، فأسف ابن الأمير وفقد الأمل في عودة الجوزة الى الحفرة . ولكنه رآها تعود مسرعةً وتتحرك نحو الحفرة فسر الأمير الطفل ، واشتد اغتباطه وحينئذ جرى على لسانه هذه العبارة : »

(١) راجع ص ٢٩ من هذا الكتاب .

غلطان غلطان همى رود تاب گو

« متدحرجة متدحرجة جاءت تسعى نحو الحفرة » .

« وقع هذا الكلام موقعاً حسناً على مسمع الأمير يعقوب ، فاستدعى اليه الأدباء والوزراء ، وقال لهم إن هذا الكلام جيد ، جارٍ على نمط شعري . وتناول أبو دلف وابن الكعبي هذه العبارة بالبحث والدرس ، وبعد تقطيعها وجد أنها يمكن أن تكون شطر بيت من بحر الهزج في إحدى صوره أو أضربه ، فأكملا البيت بالشطر الثاني ، ثم نظما بيتاً ثانياً من البحر والضرب نفسه ، وبذلك أكملا بيتين . وجرى الأدباء على أن يطلقوا على هذه الصورة الشعرية ، أي القطعة المكونة من بيتين في نظام معين اسم « دوبيت » وبعد ردح من الزمن عدلوا عن هذه التسمية وسموا مثل هذه القطعة « الرُّباعي » .

ويروي شمس الدين محمد بن قيس الرازي ـ من رجال القرن السابع الهجري ـ في كتابه « المعجم في معايير أشعار العجم » رواية أخرى في نشأة الرباعي فيقول :

إن بعض شعراء الفرس ـ ويظنه الرودكي ـ اخترع الرباعي حين مر في يوم عيد على صبية يلعبون ضرباً من اللعب بالجوز وفيهم غلام صبيح نشيط ألقى جوزة فلم تستقر في الحفرة وخرجت منها ثم تدحرجت ورجعت اليها فصاح الغلام :

غلتان ـ غلتان . همى رود تا بُن گو

فأعجب الشاعر هذا النغم ، وما زال يعالجه حتى بنى عليه أنغام الرباعي .

والروايتان متقاربتان . وليس لدينا من الأدلة ما يرجح إحداهما على الأخرى . على أنهما تتفقان على أن الرباعي من مستحدثات الفرس . مثله في ذلك مثل المثنوي الذي اتفق الرواة على أنه من ابتكار بهرام گور ـ كما بينا في القسم الأول من هذا البحث .

ويمكن أن يقال على وجه الإجمال أن النهضة الأدبية الفارسية الحديثة قد بدأت في عهد الدولة السامانية ، فاليها يرجع الفضل في تشجيع أدباء الفرس

وإغرائهم بالمال والسلطان أن ينهضوا باللغة الفارسية وآدابها بجانب العربية وآدابها . ولم يحل اشتغال أمراء هذه الدولة بالحروب المتواصلة دون عنايتهم بالفنون والآداب ، ومن ثم نجد كثيراً من المؤرخين والشعراء يلتفون حولهم يدونون انتصاراتهم ويتغنون بمفاخرهم . وكان كثير من شعرائهم يجيدون الشعر بالعربية والفارسية ، وان هذا لدليل على أنهم كانوا على علم تام بلغة العرب ، وبحور الشعر العربي ، ونظام تكوين القصيدة ، بالإضافة الى ما ابتكروه من البحور والصور الشعرية .

وقد طرقوا أبواباً أو فنوناً متعددة من فنون الشعر في مقدمتها الوصف والمدح . وكان وصف الخمر والتحدث عن آثارها في النفس موضوعاً محبباً لديهم أجادوه أيما إجادة ، وجاءوا فيه بضروب من التشبيهات المستطرفة ، وأتوا بأنواع من المعاني المبتكرة ، فكان وصفاً خلاباً جذاباً لم يخل من الغلو والإغراق في المبالغة . فمن هذه المعاني قول أبي شكور البلخي : إن الخمر حين يعصرها البستاني روح مشرقة ، ولو رأى قطرة منها من لا عين له لقال هذه عيني ، ولو رآها الميت لقال هذه روحي ، وإنها كالهلال حين تُصب من القنينة الى الكأس ، وكالبدر حين تستقر في الكأس . ومنها قول الرودكي : إن تأثيرها يصل الى أعالي المخ قبل أن تذاق ، ولو سقطت قطرة منها في نهر النيل لظل التمساح ثملاً من رائحتها مائة عام ، وان غزال السهل الوادع لو شرب قطرة منها لصار أسداً عربيداً لا يكترث بالفهد .

ويبدو أن ولع هؤلاء الشعراء بذكر الخمر والتغني بها يرجع الى بيئتهم الغنية ببساتينها الفيحاء وحدائقها الغناء المليئة بأنواع الأزهار والفواكه التي تُعتصر منها الخمر .

كما يرجع إقبالهم على المدح والمبالغة فيه الى شدة اتصالهم بأمراء الدويلات المختلفة وولاتها ، والى تنافس هؤلاء الأمراء والولاة في اجتذاب الشعراء والأدباء نحوهم باغداق العطايا والهبات عليهم ليشيدوا بذكرهم ، ومن ثم نشأ

التكسب بالشعر ثم شاع أمره بين الشعراء ، وها هو ذا أبو زراعة الجرجاني يقرر أن تلك العطايا والهبات هي التي تغري الشعراء وتطلق ألسنتهم بعذب الكلام وجيد المدح . وذلك حيث يقول ما ترجمته :

أعطني جزءاً من ألف مما نال الرودكي من عطايا الملوك أعطك شعراً أعذب من شعره ألف مرة .

وقد سلكوا في المدح أيضاً مسلك الغلو والمبالغة ، وتكاد مدائحهم تنحصر في وصف الممدوحين بالسخاء والشجاعة وحسن السياسة وإحكام التدبير .

وقد طرق هؤلاء الشعراء أبواباً أخرى من أبواب الشعر كالرثاء ، والحث على طلب المعالي ، وعلى الإباء والشمم وعلو النفس ، وعلى العدل وحسن المعاملة ، والدعوة الى توحيد الله تعالى وتنزيهه ، والى القناعة والصبر والتوكل على الله والرضا بقضائه وقدره . ولا شك أنهم تأثروا في كثير من هذه بالدعوة والتعاليم الإسلامية .

ويبدو أن هذه النهضة الأدبية الفارسية التي شملت الألفاظ والأساليب وأغراض الشعر وفنونه تشبه ما جدّ في الأدب العربي في العصر العباسي وبخاصة أشعار بشار (ت ١٦٧ هـ) ، وأبي نواس (١٤٥ — ١٩٩) ، وصريع الغواني مسلم (ت ٢٠٨) ، وأبي تمام (١٩٠ — ٢٣١) ، والبحتري (٢٠٦ — ٢٨٤) ، وابن الرومي (٢٣١ — ٢٨٣) ، ومَن أتوا بعدهم وحاكوهم في الاهتمام بالزخرف اللفظي والمبالغة في المدح والوصف ، واتخاذ الشعر وسيلة للتكسب والتقرب الى الخلفاء والأمراء وقادة الجيوش .

وهنا نسأل : أي الأدبين تأثر بالآخر في هذه المظاهر اللفظية والمعنوية ؟ ويبدو أن أصح جواب عن هذا السؤال هو أن نهضة الأدبين كليهما كانت وليدة الظروف الجديدة وإحدى نتائج امتزاج الشعبين العربي والفارسي بعد الإسلام ،

فهذه قد أدت الى تغير العقلية لدى كل من الفريقين ، وقد وجد هذا التغير متنفساً له في الأدب العربي ثم في الأدب الفارسي ، لأن تلك النهضة كانت في الأدب العربي أسبق منها في الأدب الفارسي .

ونسأل مرة أخرى فنقول : ماذا كانت العناصر المتغلبة في هذا المزيج ، أكانت العناصر العربية أم كانت العناصر الفارسية ؟ ويكاد يكون من المرجح في نظري أن العناصر الفارسية كانت لها الغلبة وإن كانت للعناصر العربية فضل السبق ، شأن الأدب في ذلك شأن التدوين والتأليف في العلوم والفنون المختلفة .

وقد يؤيد ذلك ما نراه من فروق واضحة بين الأساليب والمعاني الأدبية العربية قبل الإسلام وبين نظائرها بعد أن اختلط العرب بالعجم . وفي هذا المعنى يقول بعض الظرفاء : لغة العرب علم ، أما لغة الفرس فعمل .

ومن مظاهر الصلة بين العربية والفارسية الترجمة من إحدى اللغتين الى الأخرى نثراً أو شعراً : فقد ترجم تاريخ الطبري الى الفارسية أبو علي محمد البلعمي وزير منصور الأول بن نوح الثاني الساماني (٣٥٠ — ٣٦٦ هـ) ، وفي العصر نفسه ترجم فريق من العلماء تفسير الطبري للقرآن الكريم من العربية الى الفارسية ، وكذلك « كتاب الأبنية عن حقائق الأدوية » لأبي منصور الموفق الهروي (حوالى سنة ٣٦٢) . .

وترجم كليلة ودمنة الى الفارسية شعراً أبو جعفر الرودكي شاعر الدولة السامانية (ت ٣٢٩) ، ويُروى أن بديع الزمان الهمذاني (٣٩٨) كان يجيد اللغتين ، فقد طلب اليه الصاحب بن عباد (٣٢٦ — ٣٨٥) ذات يوم أن ينظم له قصيدة فقال بديع الزمان : تفضل فاقترح عليّ ما تريد . فأنشد الصاحب ثلاثة أبيات بالفارسية ثم قال : ترجم هذه الى العربية شعراً . فقال بديع الزمان : تفضل فعين القافية التي تريدها ، فاختار الصاحب قافية الطاء ، فقال بديع الزمان :

هل تتفضل فتمين البحر كما تشاء ؟ فقال الصاحب أسرع يا بديع في البحر السريع .
فأنشد بديع الزمان على البديهة :

سرقتُ من طرته شعرة حين غدا يمشطها بالمشاط
ثم تدلجتُ بها مسرعاً تدلج النملَ بجحر الخناط
قال أبي من ولدي منكما كلاكما يدخل سم الخياط

ويروى أيضاً أن أبا الفتح البستي (ت ٤٠٠) كان يجيد اللغتين كذلك فقد ذكر أنه ترجم الى العربية بيتين في الغزل نظمهما أبو شكور البلخي من شعراء الدولة السامانية معناهما :

نظرت من بعد كي أراك فجرحت وجنتك ذات الحسن والملاحة
فنظرت بطرفك العليل فجرحت قلبي وهذا عدل فان الجروح قصاص

وهذه هي ترجمة أبي الفتح للبيتين :

رميتك عن حكم القضاء بنظرة ومالي عن حكم القضاء مناص
فلما جرحت الخد منكم بمقلتي جرحت فؤادي والجروح قصاص

وغني عن البيان أن في الترجمة شيئاً من التعسف وسوء التعبير .

وقد ترجم بدر الدين الجاجرجي (من الطبقة الرابعة من شعراء الفرس) الى الفارسية شعراً قصيدة أبي الفتح التي مطلعها :

زيادة المرء في دنياه نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان

* * *

ومن مظاهر تأثر كل من اللغتين بالأخرى استعمال العرب الكثير من الكلمات الفارسية بعد تعريبها تبعاً للقواعد التي ذكرناها من قبل ، واستعمال الفرس لعدد أكبر من الكلمات العربية في لغة التخاطب ولغة الأدب في كلتا الحالتين .
أما الظاهرة الأولى فقد شاعت بين العرب في القرن الأول الهجري وبخاصة

بين سكان الكوفة والبصرة والمدينة الذين اختلطت بهم جاليات فارسية كثيرة العدد ، فقد قيل إن سيلاً من التجار والصناع وغيرهم كانوا يردون البصرة والكوفة ، وسرعان ما كوّنوا مع أسرى الحرب الكثيري العدد ذوي الأصل الفارسي أغلبية السكان .

ففي البصرة كانت اللغة الفارسية حينئذ لغة الخدمة في الجيش ، وقد تأثر بعض العرب بطريقة النطق الفارسية ، فقد قيل ان عبد الله بن زياد (٣٠ — ٦٧ هـ) كان يقلب الحاء هاءً والقاف كافاً . وفي قصة يزيد[1] بن ربيعة ابن مفرغ الحميري أنه غلا في هجاء آل أبي سفيان فحُكم عليه بأن يُسقى نبيذاً حلواً خُلط بالشبرم فأسهل بطنه ثم أمر به فجر في طرق البصرة في ثياب مهلهلة مشدوداً الى هرة وخنزير ، وكان الصبيان يسخرون منه ويسألونه بالفارسية : اين چيست ؟ (ما هذا ؟) فكان يجيبهم بالفارسية أيضاً ويقول :

آب است — نبيذ است — عصارت زبيب است — سميه روسفيد است (أو روسبي)

(هو ماء هو نبيذ هو عصارة الزبيب سمية مشهورة أو بغي)

وقد حذا الكوفيون حذو البصريين فكانوا يؤثرون استعمال كلمات فارسية على استعمال نظيراتها العربية ، فكانوا يقولون : خيار (قثاء) وباذَرُوج (حَوْك ، حَبَق) وفيدى (مجذوم) ووازار (بازار ، سوق) وچهار سوك (چهارسو ، مربعة أي سوق على مقطع طريقين) .

وفي سنن ابن ماجة ما يفيد أن أبا هريرة رضي الله عنه مرض فالتفت اليه الرسول ﷺ وقال شكم درد ؟ فقال : نعم . فقال : قم فصلّ فان في الصلاة شفاء . ومعنى شكم : معدة ومعنى درد : ألم ، فمعنى الجملة : هل وجعت معدتك ؟[2] وقيل انه عليه الصلاة والسلام قال : العنب دُوْدو ، والتمر يَكْ يك =

(١) البيان والتبيين : ١٤٣ — ١ تحقيق الأستاذ عبد السلام هرون .
(٢) شفاء الغليل ص ٥

كلوا العنب اثنتين اثنتين ، وكلوا التمر واحدة واحدة [١] وفي البيان والتبيين أن أهل المدينة نزل بهم ناس من الفرس فعلقوا بألفاظهم فسموا البطيخ الخِرْبز والسميط (أي المنتوف الوبر) الروزق ، والمصوص (أي المزبل) المزوز . [٣]

وقد ورد في الشعر العربي بعض كلمات فارسية فقد استعمل جرير (ت ١١٠ هـ) كلمة روذق بمعنى الحمل المنتوف الوبر في قوله :

لا خير في غضب الفرزدق بعدما سلخوا عجانك سلخ جلد الروذق

كما استعمل كلمة بيدق (إحدى قطع الشطرنج) بمعنى الشيء التافه في قوله :

سبعون والوصفاء مهر بناتنا اذ مهر جعثن مثل حر البيدق

واستعمل الفرزدق الكلمة نفسها مفرداً وجمعاً في قوله يخاطب جريراً :

ونحن اذا عدَّت تميمٌ قديمَها مكانَ النواصي من وجوه السوابق

منعنك ميراثَ الملوك وتاجَهم وأنت لدرعي بيذق في البياذق [٢]

يقول الجاحظ في هذا الموضوع :

وقد يتملح الأعرابي بأن يدخل في شعره شيئاً من كلام الفارسية كقول العماني للرشيد في قصيدته التي مدحه فيها :

من يلقه من بطل مُسْرَنْدِ في زَغْفة محكمة بالسَّرْدِ

تجول بين رأسه والكَرْدِ [٤]

يريد العنق . وفيها يقول أيضاً :

لَمّا هَوَى بين غِياض الأُسْدِ وصار في كف الهِزَبْر الوَرْدِ

آلى يذوق الدهرَ آبَ سَرْدِ

(١) شفاء الغليل .

(٢) المصدر نفسه ص ٣ — ٤ .

(٣) راجع كتاب «العربية» تأليف يوهان فوك ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار — ص ٢٠ — ٢١ .

(٤) المسرندي : المتغلب ، والزغفة : درع واسعة محكمة ، والسرد : سمر الزرد .

وكقول الآخر :

ودلني وقع الأسنة والقنـا وكافر كوباتٍ لها عُجَر قفدُ
بأيدي رجال ما كلامي كلامهم يسموني مرداً وما أنا والمرد [١]

وكقول أسود بن أبي كريمة :

لَزِمَ الغـرّام ثوبي بُكرةً في يوم سبتِ
فتمايلتُ عليهـم مثـل زنگي بمـتي
قد حسا الداذيّ صرفاً أو عقـاراً بايخست
ثم گفـتم دورباد ويحـكم آن خرگفت
إن جلدي دبغته أهل صنعـاء بجفت
وأبو عمـرة عنـدي آن كوربد نمست
جالس اندرمكناد أبا عمـد بهشت ولعل الصواب : «أيا مرد» [٢]

(أمسكَ الغرماء بثوبي بوم سبتٍ صباحاً — فملت عليهم كما يميل الزنجي الثمل وقد احتسى شراب الفساق الخالصة أو الخمر المخلوطة بقليل من الماء ، ثم قلت : معاذ الله ويحكم لقد قال هذا الحمار ان جلدي قد دبغه أهل صنعاء بثمر البلوط ، وما أبو عمرة عندي الا أعمى . وليس ثملاً حاشا لله أن نجالس في الجنة أيها الرجل) .

ومما يتصل بهذا الموضوع أن يتظرف الشاعر الملم بالفارسية فيذكر في شعره بالعربية بعض إشارات أو عبارات لا يفهمها إلا من يجيد الفارسية ، كما في قول أبي علي الساجي يمدح مدينة مرو :

(١) كافركوب = المقرعة ، والعجرة : العقدة في الخشب ونحوه ، والاقفد : الغليظ العنق .
(٢) البيان والتبيين السابق ذكره ١٤١ — ١/١٤٢ .

بلد طيب وماء معين وترى طيبه يفوق العبيرا
وإذا المرء همّ بالسير عنه فهو ينهاه باسمه أن يسيرا

يشير الشاعر بالبيت الثاني الى اسم مدينة مرو فانه اذا قرئ (مَرَوْ) كان معناه بالفارسية : لا تذهب .

وكما في قول أبي القاسم العلوي الأطروش في بعض رؤساء جرجان :

خليليّ فرّا من الدهخُدا خذا حذَراً من ودادِهْ خُذا
يكنّى بسعد ونحسا حذا وكلُّ الخلائق منه كذا

فالدهخدا معناه : عميد القرية وبينه وبين ودادِهْ خُدا جناس تام .

ويشير الشاعر في البيت الثاني الى المعنى الأصلي للاسم « دهخدا » وهو عطية الله ، ويقول ان هذا الاسم على غير مسمى لأن العميد يسيء معاملة رعيته .[1]

ومما تأثر به الشعر العربي في الشرق الإكثار من ذكر عيدي النيروز (٢١/٣) ، والمرجان (٢١/٩) الذي يسمى رام روز ، أي يوم الرام .[2]

يقول الثعالبي : ومن عجيب ما يروى عن أبي الطيب الطاهري أنه كتب الى أخيه أبي طاهر الطيب بن محمد بن طاهر بكرة يوم الرام بهذين البيتين :

واني والمؤذنَ يومَ رامِ لمختلفان في هذي الغداة
أنادي بالصَّبوح كه كياداً اذا نادى بحي على الصلاة

واذا برسول من أبي طاهر جاء برقعة فيها :

وإني والمؤذنَ يوم رامِ لمختلفان في هذا الصباح
أنادي بالصبوح كه كياداً اذا نادى بحي على الفلاح

(١) يتيمة الدهر : ٤٧ ، ٦٧ ، ٤/٧٦ .
(٢) رام : اليوم الحادي والعشرون من كل شهر ، هذا هو الأصل ، ولكنه اختص بالحادي والعشرين من سبتمبر « ايلول » أو بالملك الذي يشرف على هذا اليوم .

وكان التقاء رسوليهما بالرقعتين في منتصف الطريق ! [1]

وفي كل من الرسالتين نجد كلمتين فارسيتين هما كه = أن ، وكيادا أي كياده بمعنى الخمول أو الكسل ، فالمعنى : أنادي بالصبوح قائلاً : خمولاً أو حي على الخمول .

أما عيد النيروز فقد ورد ذكره في كثير من القصائد المسماة « بالنيروزيات » ، فمن ذلك قول أبي محمد الحسن بن علي بن مطران في إحدى نيروزياته :

قد أتاك النيروز وهو بعيـد مرّ من قبله قريباً رسيل
ـل سبيلاً فيه الى راحة النفـــس براح كأنهـا سلسبيل
وهدايا النيروز ما يفعـل النا س ولكن هديتي ما أقول [2]

وأما الظاهرة الثانية وهي استعمال الكلمات العربية في الفارسية فأمرها بيّن ، فقد كانت القاعدة المقررة لدى أدباء الفرس هي أنه يسوغ لكل أديب أن يقتبس في نثره أو شعره ما يشاء أن يقتبس من آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول والحكم والأمثال بنصوصها العربية ، وأن يستعمل في حديثه وكتابته ما يختار من ألفاظ اللغة العربية الفصحى . ونكتفي أن نمثل لهذه الظاهرة من الشعر الفارسي بقول سعدي الشيرازي في البوستان (٥٨٠ — ٦٩١ هـ) : يمدح الرسول :

كريمِ السجايا جميـل الشيم نـبيّ البرايا شفيعِ الأمم
إمامِ رُسُل بيشواي سبيل أمينِ خُدا مهبطِ جبرئيـل
شفيع الورى خواجة بعث ونشر إمام الهدى صدر ديوان حشر . . .
چه نعت پسنديده گويم ترا عليك السلام اي نبي الورا

---

(١) اليتيمة : ٤/٦٩ .
(٢) اليتيمة : ٤/١٢٩ .

ويقول حافظ الشيرازي (ت ٧٩١ هـ) في مطلع قصيدة من غزلياته :

ألا يأيها الساقي أدر كأساً وناولها كه عشق آسان نمود أول ولى افتاد مشكلها

* * *

وقد تأثر الشعر الفارسي بنظام الشعر العربي الموزون المقفى ، وقد بينا في القسم الأول من هذا البحث أن بهرام گور كان أول من أدخلوا هذا النظام في الشعر الفارسي . غير أن أدباء الفرس لم يحاكوا البحور الشعرية العربيـة كما هي ، بل انهم أدخلوا فيها بعض التعديلات ، فأطالوا بعضها فجعلوا الهزج من مفاعيلن ثماني مرات ، والرجز من مستفعلن ثماني مرات ، والرمل من فاعلاتن ثماني مرات أيضاً ، وأهملوا الطويل والبسيط والوافر والكامل . واستحدثوا بحوراً أخرى أهمها المشاكل (فاعلاتن مفاعيلن مفاعيلن) ، والجديد (فاعلاتن فاعلاتن مستفعلن) ، والقريب (مفاعيلن مفاعيلن فاعلاتن) . وأكثروا من اختصار «مفاعيلن» في أول المصراع أو وسطه أو آخره في بحر الهزج فجعلوه أخرم (مفعولن) ، أو أخرب (مفعول) أو أشتر (فاعلن) أو أهتم (فعول) .

وقد أكثروا من اتباع نظام الرباعي وهو من اختراعهم كما قلنا من قبل ، وكذلك المثنوي أو المزدوج وهو من اختراعهم أيضاً ، وكانوا يلتزمونه في الشعر القصصي كما في الشاهنامه (٦٠ الف بيت) للفردوسي (٣٢٣ — ٤١٦ هـ) ، والكنوز الخمسة (پنج كنج) للنظامي الكنجوي (٥٣٥ — ٥٩٩ هـ) ، وفي الشعر التصوفي كما في حديقة الحكيم السنائي (ت ٥٤٥ هـ) ، والمثنوي (٢٦ الفاً) لجلال الدين الرومي (٦٠٤ — ٦٧٢ هـ) .

* * *

ويمتاز الشعر الفارسي بنظام خاص بلغ فيـه تزاوج اللغتين أقصى مدى ، ووصل فيه ائتلافهما الى أبعد غاية ، ذلك هو نظام المُلَمَّع ، وهو أن يأتي

م (٤)

الشاعر ببيت من الشعر من احدى اللغتين ، ثم يتبعه بآخر من اللغة الأخرى جارٍ على نظام البيت الأول ، وهكذا بحيث يتكون من مجموع الأبيات قصيدة طويلة أو قصيرة متصلة المعاني مسلسلة الأفكار متحدة القافية والروي .

وتمثل لذلك بقول رابعة بنت كعب القزداري (في عصر الدولة الغزنوية) :

١ — شاقني نائحٌ من الأطيار هاج سقمي وهاج لي تذكاري
٢ — دوش برشاخك درخت آن مرغ نوحه ميكرد وميگريست بزاري
٣ — قلت للطير لِمْ تنوح وتبكي في دجى الليل والنجوم دراري
٤ — من جدايم زيارازآن مى نالم توجه نالى كه يا مساعد ياري

(٢ = أمس كان ذلك الطائر ينوح ويبكي متألماً وهو على غصن شجرة) .

(٤ = اني بمعزل من الحبيب ولذا أئن وأتألم فلم تئن أنت يا من سعدت بصحبة الحبيب؟)

ويقول فخر الدين محمد السرخسي :

١ — أخلائي أخلائي فديتكم أخلائي أعينوني أعينوني على همي وبلوائي
٢ — شدم ازدست يكباره من مجنون شيدائى خداوندا خلاصم ده زدست هجر وتنهائى
٣ — ألا يا عبرتي سيلي ألا يا مهجتي ذوبي فقد أصبحت مرحوماً لأحبابي وأعدائي
٤ — ألاای دلبر عاشق كش خونخواره وقت آمد كه برجان وجوانى من بيدل ببخشائي
٥ — تموج أبحر العبرات في خدي وآماقي إذا ما أوقد الهجرانُ ناراً بين أحشائي
٦ — ألاای چشم گرينده چه بينى بى رخش عالم برآى اى جان غم كُشته درين قالب چه مى پائى
٧ — ترفق أيها القاسي على وجدي وآلامي وحق الله خاصني من الهجران مولائي

(٢ = لم ألبث أن أصابني جنون العشق دفعةً واحدةً فيارب نجني من يد الهجران والوحشة) .

(٤ = ألا يا من تخطف قلب العاشق وتقتله وتشرب دمه — لقد آن الأوان لأن تعطف على روحي وشبابي الفاقد القلب) .

(٦ = ألا أيتها العين الباكية كيف ترين العالم بدون (أن تري) وجنته ؟ وأنت أيتها الروح التي أهلكها الهم اخرجي لم تبقين في هذا القالب الجسماني ؟)

ويقول عبد الواسع الجبلي (ت : ٥٥٥ هـ) الملقب بذي البلاغتين من ملمع ذكر منه العوفي ٢٣ بيتاً[1] :

١ — أيا قرة العين هات المدام فما العيش إلا السرور المدام
٢ — شرابى كه ازغيايت صفوتش نه بينى چو بر كف نهى جزحسام
٣ — إذا فاح طيباً أراح الحشا وإن لاح ليلاً أزاح الظلام
٤ — كند شخص بيچاره رازورمند كند طبع غمخواره راشاد كام
٥ — إذا ماعلاه الحباب التقى عقيق مذاب ودر تؤام
٦ — منه برزمان وجهان دل كه نيست زمان‌را قرار وجهان‌را مقام
٧ — فما لبث برق مرى في الدجى وما مكث طيف يرى في المنام
٨ — مخور تاتوانى غم روزگار همى خور بشادى مى لعل فام
٩ — وقم نستطب عيشنا ساعة بقرب الغواني وشرب المدام

(٢ = الشراب الذي بلغ غاية الصفاء حتى انك اذا وضعته على كفك لا ترى غير حسام « براق ») .

(٤ = انه يجعل الجبان شجاعاً والمحزون مسروراً) .

(٦ = لا تركن الى الزمان ولا الى العالم فليس للزمان قرار ولا للعالم بقاء) .

(٨ = لا تأبه ما استطعت بهموم الدهر . وواظب على شرب الخمر الحمراء في نشوة وسرور) .

* * *

وقد حاكى العرب الفرس في نظم المثنويات والرباعيات ، ويقال ان أول من نظم المثنويات باللغة العربية كان إبان بن عبد الحميد اللاحقي (ت ٢٠٠ هـ) الذي نظم كليلة ودمنة في مثنويات أولها :

(١) لباب الألباب ١٠٨ — ٢/١١٠ .

هذا كتاب أدب ومحنه وهو الذي يدعى كليلة دمنه
فيه احتيالات وفيه رشد وهو كتاب وضعته الهند

ومن ثم يكون اللاحقي هذا أسبق الى نظم كليلة ودمنة في مثنويات من الرودكي الذي نظم هذا الكتاب بالفارسية .

وقد حذا حذو اللاحقي الوزيرُ الشريف أبو يعلى أحمد الحسين المعروف بابن الهبارية المتوفى سنة ٥٠٤ هـ في كتاب سماه : « نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة » بدأه بقوله :

الحمد لله على ما خولا من نعمة جاد بها تطولا

وفيه يقول يزكي نفسه :

متبعاً فيه إبان اللاحقي وليس وهو سابقي بلاحقي
فإن يكن أقدم مني عصرا فانني أحسن منه شعرا
ما قدم العصر مفيد فضلا قد يفضل الفرع الزكي أصلا

وقد اشتهر أبوالفضل السكري بترجمة الأمثال الفارسية في مثنويات عربية منها(١) :

١ــ من رام طمس الشمس جهلاً أخطا الشمس بالتطيين لا تُغَطّى
٢ــ نالَ الحمارُ بالسقوط في الوَحَلْ ما كان يهوى ونجا من العمل
٣ــ أحسن ما في صفة الليل وُجِدْ الليل حبلى ليس يدري ما يلد

وهذا بالفارسية : شب آبستن است فرداچه زايد ؟

٤ــ إذا الماء فوق غريق طما فقاب قناةٍ وألف سوا

وهذا بالفارسية : چوآب ازسر درگذشت چه يك نيزه وچه صد نيزه

(اذا جاوز الماء رأس (الغريق) فما (الفرق بين) رمح ومائة رمح ؟)

* * *

(١) اليتيمة ٤/٨٣ .

أما الرباعي فهو وحدة شعرية مكونة من أربعة مصاريع متحدة في البحر والقافية ، ولا بد من اتحاد الأول والثاني والرابع في الروي . وقد التزم فيه الفرس بحر الهزج ، وتوسعوا في الهزج ، فجعلوا له حوالي ٢١ ضرباً . وأشهر الرباعيات الفارسية رباعيات عمر الخيام .

ولم يتبع شعراء العربية هذا النظام إلا نادراً ، ولم يلتزموا فيه بحر الهزج . وقد ذكر الثعالبي [1] رباعيين من شعر أبي العلاء السروي أحدهما في وصف النرجس وهو :

حيِّ الربيع فقد حيَّا بباكور — من نرجس ببهاء الحسن مشهور
كأنما جفنه بالغنج منفتحاً — كأس من التبر في منديل كافور

والآخر في وصف تفاحة وهو :

وتفاحةٍ قد هِمْتُ وجداً بظرفها — فما شعرُ ذي حِذقٍ يحيط بوصفها
أُشَبِّهُ بالمعشوق حمرةَ نصفها — وبالعاشق المهجور صفرةَ نصفها

ولعمر بن الفارض (٥٧٦ — ٦٣٢ هـ) بعض رباعيات نذكر منها قوله :

ما جئت مِنىً أبغي قِرىً كالضيف — عندي بك شُغل عن نزول الخيف
والوصلُ يقيناً منك ما يقنعني — هيهات فدعني من محال الطيف

وقوله :

يا ليلةَ وصلٍ صبحُها لم يَلُحِ — من أولها شربته في قدحي
لما قصُرت طالت وطابت بلقا — بدرٍ يحيي في حبه من منحي

وقوله :

أهوى رشأً كلّ الأسى لي بعثا — مذ عاينه تصبري ما لبثا
ناديت وقد فكرت في خلقته — سبحانك ما خلقت هذا عبثا

حامد عبد القادر

(١) اليتيمة ٤/٤٨ .

الاصطلاحات الفلسفية

- ٩ -

الباطـل

في اللاتينية	Falsus
في الفرنسية	Faux
في الانكليزية	Fals

البطلان نقيض الحق ، ويرادفه الخطأ والكذب والفساد والعدم ، تقول بطل الشيء بطلاناً أي ذهب ضياعاً وخسراناً ، وبطل الشيء سقط حكمه ، وأبطل فلان جاء بكذب وادّعى باطلاً .

والباطل على مذهب بعضهم هو عدم مطابقة الحكم للاعتقاد ، وهو في نظرنا عدم مطابقة الفعل الذهني لموضوعه الخارجي ، سواء أكان ذلك الفعل حكماً أم تصوراً . ومعنى ذلك أن الحق والباطل لا يستعملان في الاعتقاد والتصديق فحسب ، بل يستعملان أيضاً في التصور ، على الرغم من أن التصور لا ينطوي بالفعل على الإيجاب أو النفي .

والباطل اجمالاً هو الذي لا يكون صحيحاً بأصله ، على ان له في الاصطلاح عدة معان منها :

١) الباطل هو عدم مطابقة الفعل للأمر الذي تريده ، فتفعل فعلاً لأمر ما وذلك الأمر لا يكون من ذلك الفعل .

٢) والباطل أيضاً هو ما أبطل الشرع حسنه ، وعند الفقهاء من الحنفية هو كون الفعل بحيث لا يوصل الى المقصود الدنيوي أصلاً ، وذلك الفعل يسمّى

باطلاً ، ولذا قالوا : الباطل ما لا يكون مشروعاً بأصله ولا بوصفه (راجع كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي) .

٣) والباطل هو ما لا فائدة منه ولا أثر ولا غاية له ، قال (ابن باجه) : « إن من الأمور التي يجب أن يعترف بها ان الطبيعة لا تصنع أمراً باطلاً ، ولا في الوجود أمر باطل أصلاً . وكل موجود إما أن يكون لأجل غيره أو لأجله ، وما هو لأجل غيره فغايته اتصاله بذلك الشيء الذي وجد له » (ابن باجه ، كتاب النفس : ص ٧٠) .

٤) والباطل من الأعيان ما فات معناه المخلوق له من كل وجه بحيث لم يبق الا صورته .

٥) والباطل من الكلام ما يلغى ولا يلتفت اليه ، لعدم الفائدة في سماعه ، وخلوه من معنى يعتدّ به ، وان لم يكن كذباً ولا فحشاً .

٦) والباطل عند الصوفية عبارة عما سوى الحق .

والبطلان بالجملة ضد البقاء . قال (ابن سينا) : « وليس اذا وجب حدوث شيء مع حدوث شيء يجب أن يبطل مع بطلانه . انما يكون ذلك اذا كانت ذات الشيء قائمة بذلك الشيء وفيه . وقد تحدث أمور عن أمور وتبطل هذه الأمور ، وتبقى تلك الأمور اذا كانت ذواتها غير قائمة فيها » (النجاة : ص ٣٠٤ — ٣٠٥) .

الباطني

في الفرنسية Esotérique

في الانكليزية Esoteric

والكلمة من اليونانية (Esoterikos) ومعناها الداخل والباطن .

الباطن خلاف الظاهر . وهو من أسماء الله عز وجل . وفي التنزيل هو

الأول والآخر ، والظاهر والباطن . وقيل : الباطن هو علم السرائر والخفيّات وقيل : هو المحتجب عن أبصار الخلائق وأوهامهم ، وقيل : هو العالم بكل ما بطن ، يقال : بطنت الأمر اذا عرفت باطنه .

والباطني هو الرجل الذي يكتم اعتقاده ، فلا يظهره إلاّ لمن يثق به ، وقيل : هو المختص بمعرفة أسرار الأشياء وخواصها . وقيل هو الذي يحكم بأن لكل ظاهر باطناً ولكل تنزيل تأويلاً . فلفظ (الباطني) يدل إذن على ثلاثة معان :

١) الباطني هو الداخلي ويطلق على التعليم الذي يلقى داخل المدارس على طلاب بلغوا من العلم درجة تمكنهم من تفهم مسائله العويصة ، كالدروس التي كان أرسطو يخصّ بها طلابه صباحاً ، فلا يتكلم فيها الا على المسائل البعيدة عن أفهام العامة ، خلافاً للدروس التي كان يلقيها مساءً على الجمهور فلا يعالج فيها إلاّ المسائل الخلقية والسياسية القريبة من الأفهام .

٢) والباطني هو الخاص ، ويطلق على كل تعليم تختص به عدداً محدوداً من السامعين ، فلا تظهره الا لنفسك أو الذين يقومون منك مقام نفسك ، لاعتقادك أن الحق مضنون به على غير أهله ، وأنه يجب أن يصان عن المتبذلين والجاهلين ، فلا يبلّغ إلا إلى من رزقه الله فطنة وقادة ودربة وعادة . والى ذلك أشار (ابن سينا) بقوله : « فان وجدت من تثق بنقاء سريرته واستقامة سيرته ، وبتوقفه عما يتسرع اليه الوسواس ، وبنظره الى الحق بعين الرضى والصدق فآته ما يسألك منه مدرجاً مجزّاً مفرقاً . . . وعاهده بالله وبأيمان لا مخارج لها ليجري فيما تؤتيه مجراك ، متأسياً بك ، فان أذعت هذا العلم وأضعته فالله بيني وبينك ، وكفى بالله وكيلا » (الإشارات ص ٢٢٢) .

٣) والباطني عند المعاصرين هو المختص بمعرفة الأسرار والخفيات كعلم الجفر أو علم الحروف ، وهو علم يدعي أصحابه أنهم يعرفون به الحوادث الى انقراض العالم ، أو كالقبالة (Cabale) وهو اسم يطلقه اليهود على تفسير التوراة السري بالأرقام والحروف ، أو كعلوم السحر والطلسمات ، وعلوم التنجيم والعرافة وغيرها .

والعقل الباطن عند المحدثين من علماء النفس هو اللاشعور . والاستبطان أو التأمل الباطني هو تأمل الإنسان نفسه (١) إما لمعرفة النفس الفردية من حيث هي فردية (٢) وإما لمعرفة النفس الفردية من حيث هي مثال دال على النفس البشرية عامة أو على النفس مطلقاً .

والباطنية فرقة تحكم بأن لكل ظاهر باطناً ولكل تنزيل تأويلاً ، ولهم ألقاب كثيرة فيسمون الباطنية والقرامطة والمزدكية والتعليمية والإسماعيلية ، وقد يطلق هذا الاسم أيضاً على بعض المتصوفة .

وقد خلط قدماء الباطنية كلامهم ببعض كلام الفلاسفة ، وصنفوا كتبهم على ذلك المنهاج ، فقالوا اننا لا نستطيع أن نشبه صفات الله بصفات الإنسان ، ولا ان نقول هو موجود ولا لا موجود ، ولا عالم ولا جاهل ، ولا قادر ولا عاجز ، وكذلك في جميع الصفات ، فاذا قلنا انه تعالى عالم قادر فمعنى ذلك انه وهب العلم والقدرة ، لا انه قام به العلم والقدرة أو وصف بهما ، وقالوا انه تعالى أبدع بالأمر العقل الأول الذي هو تام بالفعل ، ثم بتوسطه أبدع النفس وهي غير تامة . وكما ان في العالم العلوي عقلاً كلياً ونفساً كلية ، فكذلك يجب أن يكون في هذا العالم عقل ونفس ، فالعقل هو الناطق أو النبي ، والنفس هي الأساس أو الوصي ، بل النبي والوصي يحركان النفوس والأشخاص بالشرائع كما يحرك العقل الكلي والنفس الكلية الأفلاك السماوية ، وغاية هذا التحريك أن تبلغ النفس كمالها ، وكمالها الحقيقي هو بلوغها درجة العقل واتحادها به . (راجع الملل والنحل للشهرستاني) .

الببغائية

في الفرنسية Psittacisme

في الانكليزية Psittacism

ولفظ (Psittacisme) مشتق من لفظ (Psittakos) اليوناني (في اللاتينية Psittacus) ومعناه الببغاء .

البغائية هي الحكم والاستدلال بالألفاظ دون أن تكون المعاني حاضرة في الذهن ، وقد سمينا ذلك بالعربية (ببغائية) نسبة الى الببغاء ، لأن الببغاء طائر يسمع الكلام فيعيده دون أن يفهم معناه [1] .

قال (ليبنيز) : « كثيراً ما نفكر بالألفاظ دون أن تكون الأشياء نفسها حاضرة في أذهاننا . ان هذه المعرفة لا تؤثر في (القلب) . وهكذا ، اذا كنا نفضل الاسوء على غيره ، فمرد ذلك الى أننا نشعر بالخير الذي يحتويه دون أن نشعر بالشر الذي فيه أو بالخير الذي في ضده . فنفرض ونعتقد أو بالأحرى نردّد ، لمجرّد ثقتنا بغيرنا أو لثقتنا على الأكثر بما نتذكره من استدلالاتنا الماضية ، أن أعظم الخير في الجانب الأحسن وان أعظم الشر في الآخر . ولكن أفكارنا واستدلالاتنا المضادة للشعور هي ، عند عدم نظرنا فيها ، نوع من البغائية التي لا تؤدي الى الذهن في الحاضر شيئاً » (Leibniz, Nouveaux Essais, II, XXI, 31) .

وهذا القول يدل على أن (ليبنيز) أطلق لفظ البغائية على الاسمية (Nominalisme) المفرطة التي ترجع المعاني الى الألفاظ الدالة عليها ،

---

(١) قال أبو اسحق الصابي في وصف الببغاء :

ألفتهـا صبيحة مليحه ... ناطقة باللغـة الفصيحه
تنهي إلى صاحبها الأخبارا ... وتكشف الأسرار والأشعارا
بكماء إلا انها سميعـه ... تعيد ما تسمعه طبيعه

فلا تفرق بين كلام الإنسان وكلام الببغاء (Psittacus) . أما الاسمية المعقولة فهي بعيدة كل البعد عن الببغائية ، لأنها تجمل معنى الاسم قائماً على عدد غير معين من الصور . ومع ذلك فان هنالك ببغائية واقعية عظيمة الخطورة ، ذلك اننا كثيراً مانفكر بالإشارات (وهي في معظم الأحوال أبدال Substituts) دون أن تكون الصور التي تؤلف معانيها حاضرة في أذهاننا ، فنظن أننا نفكر ونحن في الواقع لا نفكر ، بل نردد ألفاظاً لا نفهم معناها . هذا الذي أشار اليه (ليبنيز) بقوله : اننا كثيراً ما نستبدل بلباب الأشياء قشورها . فنتمثل بالحكم المأثورة والأبيات المشهورة دون أن تكون معانيها حاضرة لدينا .

البداهة

في اللاتينية Evidentia

في الفرنسية Évidence

في الانكليزية Evidence

البداهة في اللغة أول كل شيء ، وما يفجأ منه ، تقول لحقه في بداهة جريه أي في أول جريه ، والبده أن تستقبل الإنسان بأمر مفاجأة ، والاسم البديهة أي المفاجأة ، تقول فلان صاحب بديهة أي يصيب الرأي في أول ما يفجأ به ، وأصاب على البديهة أي من غير تفكر . ويقال هذا معلوم في بدائه الأمور أي يفهم ويدرك من دون حاجة الى إعمال الروية والفكر .

والبداهة في اصطلاحنا هي الوضوح التام الذي تتصف به المعرفة عند حصولها في الذهن ابتداء . وقد عرّفوها بقولهم : «هي المعرفة الحاصلة ابتداء في النفس لا بسبب الفكر» (كليات أبي البقاء) .

والبديهي (Évident) هو الذي لا يتوقف حصوله في الذهن على نظر وكسب ، سواء احتاج الى شيء آخر من حدس أو تجربة أو غير ذلك أو لم يحتج ،

(تعريفات الجرجاني) ، وهو بهذا المعنى مرادف للضروري . ولكن قد يراد بالبديهي مالايحتاج العقل في التصديق به الى شيء أصلاً فيكون أخصَّ من الضروري لعدم شموله التصوّر .

والبديهيات قضايا أولية صادقة بذاتها يجزم بها العقل من دون برهان كقولنا : الكل أعظم من الجزء ، والأشياء المساوية لشيء واحد متساوية الخ . . وقد سميت بديهيات لأن الذهن يلحق محمول القضية بموضوعها من دون توسط شيء آخر . وهي أساس العلم ، لأن العلم إما بديهي وهو الذي لا يتوقف حصوله على نظر وكسب كتصور الحرارة والبرودة ، وكالتصديق بأن النفي والإثبات لا يجتمعان ولا يفترقان ، وإما نظري وهو الذي يتوقف حصوله على نظر وكسب كتصور المفاهيم العلمية وكالتصديق بقوانين الطبيعة .

لقد زعم (ديكارت) أن البداهة معيار الحقيقة ، وان المعاني لا تكون بديهية الا اذا كانت واضحة ومتميزة . ومع أن البداهة التي يتكلم عليها (ديكارت) هي البداهة العقلية لا البداهة الحسية ، فإنّ شرط البداهة وحده لا يمكن أن يكون معياراً صادقاً للحقيقة . هذا الذي أشار اليه (كانت) و (رينوفيه) بقولها ان هنالك بداهة شخصية خداعة ومضللة . ألا ترى أن المعاني التي نجزم ببداهتها هي المعاني الموافقة لميولنا وآرائنا ومعتقداتنا ، فنفهمها بسهولة ، ونمنحها قيمة موضوعية تامة ، دون أن تكون مطابقة للحقيقة ؟ . فليس كل ما توجبه بديهة الإنسان بصادق ، بل كثير منها كاذب ، انما الصادق بديهة العقل المؤيدة بالحس والتجربة .

البـدل

في اللاتينية	Substitutus
في الفرنسية	Substitut
في الانكليزية	Substitute

البدل لغة العوض ، وبدل الشيء غيره والخلف منه . قال سيبويه : ان بدلك زيد أي ان بديلك زيد ، قال : ويقول الرجل للرجل اذهب معك بفلان ،

فيقول معي رجل بدله أي رجل يغني غناءه ويكون مكانه . وتبديل الشيء تغييره وان لم تأت ببدل . والأصل في التبديل تغيير الشيء عن حاله ، والأصل في الإبدال جعل شيء مكان شيء آخر . يقال أبدلت الخاتم بالحلقة اذا نحيت هذا وجعلت هذا مكانه ، وبدلت الخاتم بالحلقة اذا أذبته وسويته حلقة . وحقيقته ان التبديل تغيير الصورة الى صورة أخرى والجوهرة بعينها ، أما الإبدال فهو تنحية الجوهرة واستئناف جوهرة أخرى .

والبدل في اصطلاحنا هو الشيء الذي تجعله مكان غيره أو تأخذه عوضاً عنه . وقد استعمل الفيلسوف تين (Taine) لفظ الإبدال (Substitution) في كتاب الذكاء (De l'intelligence) فجعل عنوان الفصل الأول : في الإشارات عامة والإبدال (Des Signes en général et de la substitution) ، وعنوان الفصل الثاني : في المعاني العامة والإبدال البسيط (Des idées générales et de la substitution simple) الخ . وأطلق هذا اللفظ على الصور والعلامات الحسابية والجبرية وخصوصاً على الألفاظ باعتبارها صالحة للاستدلال على الأشياء استدلالاً غير مباشر .

وإذن البدل إشارة أو علامة تساعدك على إجراء أعمال ذهنية مختلفة دون أن تحتاج الى التفكير في الشيء المدلول عليه . ان الحروف التي نستعملها في علم الجبر أبدال تقوم مقام الكميات ، والألفاظ كما قال (تين) ابدال تنوب عن الصور أو عن مجموعات مختلفة من الصور الممكنة ، دون أن تكون هذه الصور حاضرة في الذهن .

والبدل أيضاً هو الشخص الذي يقوم مقام غيره ويغني غناءه .

والأبدال عند بعضهم قوم من الصالحين ، بهم يقيم الله الأرض ، اربعون في الشام وثلاثون في سائر البلاد ، لا يموت منهم أحد إلاّ قام مكانه آخر ،

فلذلك سموا أبدالاً . (راجع كتاب الإبدال لأبي الطيب عبد الواحد بن عليّ اللغوي الحلبيّ ، الجزء الأول ، حققه وشرحه الأستاذ عز الدين التنوخي ، المقدمة : ص : ٤ — ٤٢) .

البرهــان

في اللاتينية	Demonstratio
في الفرنسية	Démonstration
في الانكليزية	Demonstration

البرهان الحجة الفاصلة البينة ، يقال برهن يبرهن برهنة اذا جاء بحجة قاطعة لِلدَدِ الخصم ، وبرهن بمعنى بيَّن ، وبرهن عليه أقام الحجة ، وفي الحديث : الصدقة برهان ، البرهان هنا الحجة والدليل .

والبرهان عند الأصوليين ما فصل الحق عن الباطل ، وميز الصحيح من الفاسد بالبيان الذي فيه (تعريفات الجرجاني) ، أما عند الفلاسفة فهو القياس المؤلف من اليقينيات سواء كانت ابتداء ، وهي الضروريات ، أو بواسطة وهي النظريات (تعريفات الجرجاني) قال (ابن سينا) : « البرهان قياس مؤلف من يقينيات لانتاج يقيني » (النجاة ص ١٠٣) والحد الأوسط في هذا القياس لا بدّ أن يكون علةً لنسبة الأكبر الى الأصغر ، فاذا أعطاك علة اجتماع طرفي النتيجة في الذهن فقط سمي برهان الإن ، وإذا أعطاك علة اجتماع طرفي النتيجة في الذهن والوجود معاً سمي برهان اللم . قال (ابن سينا) : « البرهان المطلق هو برهان اللم وبرهان الإن . أما برهان اللم فهو الذي ليس إنما يعطيك علة اجتماع طرفي النتيجة عند الذهن والتصديق بها فقط حتى تكون فائدته ان القول لِمَ يجب التصديق به ، بل يعطيك أيضاً مع ذلك علة اجتماع طرفي النتيجة في الوجود » (النجاة ص ١٠٣) . « وأما برهان الإن فهو الذي إنما يعطيك علة اجتماع طرفي النتيجة عند الذهن والتصديق » بها فقط (النجاة ص ١٠٤) .

والقدماء لا يطلقون لفظ البرهان إلا على الاستنتاج العقلي أي على الاستنتاج الذي تلزم فيه النتيجة عن المبادئ اضطراراً . أما المحدثون فيطلقون هذا اللفظ على الحجة العقلية والحجة التجريبية معاً . والمقصود من الحجة التجريبية الحجة التي تستند الى التجارب والأشياء والحوادث ، كحجة الأستاذ الذي يبرهن على صحة القانون العلمي باقامة التجارب في الصف ، أو كحجة المحامي الذي يثبت صحة دعواه بابراز بعض المستندات أو تبيين بعض الحوادث .

وأكمل أشكال البرهان البرهان الرياضي لأنه استنتاج مؤلف من يقينيات لإنتاج يقيني . وينقسم الى برهان التحليل وبرهان التركيب .

فبرهان التحليل (Démonstration analytique) هو الصعود من النتائج الى المبادئ أي من القضية المراد اثباتها الى قضية صادقة أبسط منها . قال (دوهامل) : « تسمى هذه الطريقة تحليلاً ، وتبنى على تأليف سلسلة من القضايا أولها القضية المراد إثباتها وآخرها القضية المعلومة ، فاذا مررت من الأولى الى الأخيرة كانت كل قضية نتيجة للتي بعدها ، وكانت القضية الأولى نفسها نتيجة للقضية الأخيرة وصادقة مثلها » (Duhamel, Méthode dans les Sciences de raisonnement I ch. V) .

واذا كان هذا التحليل المباشر غير ممكن سلك الرياضي طريقاً غير مباشر فحلل نقيض القضية بدلاً من القضية نفسها ، ثم استنتج من هـذا التحليل أن النقيض كاذب وان القضية بالتالي صادقة . ويسمى هذا البرهان برهان الخلف وهو برهان إلزام لا برهان إيضاح ، ونعني بذلك أنه يرغم العقل على التسليم بالنتائج من غير أن يرجع القضية المراد إثباتها الى الأوليات الواضحة .

وأما برهان التركيب (Démonstration synthétique) فهو على عكس التحليل نزول من المبادئ الى النتائج ، كالاستنتاج الرياضي الذي تلزم فيه النتيجة عن المبادئ اضطراراً ، والمبادئ هنا هي البديهيات ، والتعريفات ، والموضوعات ،

وسلسلة القضايا المنتظمة في سلك التحليل والتركيب واحدة ، إلا أن اتجاه التحليل مضاد لاتجاه التركيب .

وقصارى القول ان البرهان على الأمر هو استنتاج ذلك الأمر من المبادئ العقلية الضرورية ، وكل علم يبني حقائقه على الأوليات العقلية فهو علم برهاني ، كالرياضيات فان حقائقها نهائية على خلاف العلوم الطبيعية فان حقائقها غير نهائية ، ولا تصبح العلوم الفيزيائية برهانية إلا اذا أمكن استنتاج قوانينها من المبادئ الكلية الضرورية كمبادئ الميكانيك وقوانين الحركة ، قال ديكارت : « ان هذه السلاسل الطويلة من الحجج البسيطة والسهلة التي تعود علماء الهندسة استعمالها للوصول الى أصعب البراهين أتاحت لي أن أتخيل أن جميع الأشياء التي يمكن أن تقع في متناول المعرفة الانسانية تتعاقب على صورة واحدة ، وانه اذا تحامى المرء أن يتلقى ما ليس منها يحق على أنه حق ، وحافظ دائماً على الترتيب اللازم لاستنتاجها بعضها من بعض ، فانه لا يجد من تلك الأشياء بعيداً لا يمكن ادراكه ولا خفياً لا يستطاع كشفه » (مقالة الطريقة ص ٧٦) ، فالرياضيات عنده هي المثل الأعلى للمعرفة وبراهينها أدق البراهين ، لأنها مؤلفة من يقينيات لانتاج يقينيات .

البسيط

في اللاتينية	Simplex
في الفرنسية	Simple
في الانكليزية	Simple

بسط الثوب نشره واليد مدها ، وبسط يبسُط بساطة كان بسيطاً . والبسيط من الأرض كالبساط من الثياب ما بسط . والبسيطة الأرض العريضة الواسعة

يقال مكان بسيط وبساط . والبسيط المطر المتسع ، والرجل البسيط المنبسط بلسانه ، وبسيط اليدين منبسط بالمعروف مسماح ، وبسيط الوجه متهلل .

والبسيط جنس من العروض سمي به لانبساط أسبابه ، قال أبو اسحق انبسطت فيه الأسباب فصار أوله (مستفعلن) فيه سببان متصلات في أوله .

والبسيط عند المهندسين السطح ، قال (ابن سينا) : « الجسم ينتهي ببسيطه وهو قطعه ، والبسيط ينتهي بخطه وهو قطعه ، والخط ينتهي بنقطته وهي قطعه ، والجسم يلزمه السطح ، لا من حيث تتقوم به جسميته ، بل من حيث يلزمه التناهي بعد كونه جسماً ، فلا كونه ذا سطح ، ولا كونه متناهياً أمر يدخل في تصوره جسماً » (الإشارات ، ص : ١٠٢) .

والبسيط في اصطلاح الفلاسفة هو الشيء الذي لا جزء له أصلاً كالوحدة والنقطة ، وهو لفظ مولد يقابله المركب بمعنى الشيء الذي له جزء . قال أبو حيان التوحيدي : « وأقبل علي وقال : أيها الرجل ، ان هذه النقطة شيء لا جزء له ، فقلت : أضللتني ورب الكعبة ، وما الشيء الذي لا جزء له ؟ فقال : كالبسيط ، فأذهلني وحيرني ، وكاد يأتي على عقلي ، لولا أن هداني ربي ، لأنه أتاني بلغة ما سمعتها من عربي ولا عجمي ، وقد أحطت علماً بلغات العرب ، وقمت بها واستبرتها جاهداً ، واختبرتها عامداً ، وصرت فيها إلى ما لا أجد أحداً يتقدمني الى المعرفة به ، ولا يسبقني الى دقيقه وجليله ، فقلت . . وما البسيط فقال كالله والنفس ، فقلت له : إنك من الملحدين » (معجم الأدباء لياقوت ، الجزء الرابع ، ص ١٦٦) .

ويسمى الشيء الذي لا جزء له أصلاً بالبسيط المطلق كالمناد عند (ليبنز) فهو جوهر بسيط لا جزء له أصلاً . قال (ابن سينا) : « وكل شيء بسيط في الحقيقة والماهية فلا مقومات له » (منطق الشرقيين ، ص ١٤) ، وقال (ابن رشد) : « وأما البسيط المطلق فهو الذي يدل على ما لا ينقسم أصلاً لا بالقوة ولا بالفعل » (تفسير ما بعد الطبيعة ، جزء ٣ ص ١٦٠٣) .

والبسيط الحقيقي هو الشيء الذي لا تستطيع أن تميز فيه صفات مختلفة قابلة للتجريد ، كالألوان البسيطة في الطيف الشمسي ، فإن كونها بسيطة لا يمنع تكرر صفاتها في أجزاء مختلفة من مدرك حسي واحد .

والبسيط الحقيقي أيضاً هو الشيء الذي لا جزء له بالفعل ، كالأجسام البسيطة ، فان كل جزء مقداري منها مساو للكل بحسب الحقيقة وان كان قابلاً للانقسام بالكم والكيف .

والبسيط العقلي هو الذي لا يلتئم في العقل من أجزاء كالأجناس العالية والفصول البسيطة ، وذلك على تقدير امتناع تركب الماهية من أمرين متساويين .

والبسيط الخارجي هو الذي لا يلتئم من أجزاء في الخارج كالعقول المفارقة والنفوس عند فلاسفة العرب . قال (ابن سينا) : « فان كانت النفس بسيطة مطلقة لم تنقسم الى مادة وصورة » (النجاة ، ص : ٣٠٧) . وقال أيضاً : « ومما لا شك فيه أن ههنا عقولاً بسيطة مفارقة وتحدث مع حدوث ابدان الناس ، ولا تفسد بل تبقى » (النجاة : ٤٥٨) وقال ابن رشد : « الصور منها ما هي جوهرية ومنها ما هي غير جوهرية ، والتي هي جوهرية منها ما هي هيولانية ومنها ما ليست هيولانية . وهذا المعقول الأول هو داخل تحت هذا الجنس وهو الذي دل عليه بقوله البسيط والذي بالفعل ، وذلك انه أراد بالبسيط (الكلام على أرسطو) الصورة التي لا تشوبها الهيولى » (تفسير ما بعد الطبيعة الجزء ٣ ص ١٦٠٣) ومعنى ذلك كله أن البسيط روحاني وجسماني فالروحاني كالعقول والنفوس المجردة ، والجسماني كالعناصر والذرات .

والبسيط العرفي هو الذي لا يكون مركباً من الأجسام المختلفة الطبائع (تعريفات الجرجاني) .

والبسيط الإضافي هو الشيء الذي تكون أجزاؤه أقل بالنسبة الى الآخر كالآلات البسيطة (المخل والدولاب والبكرة وغيرهـا) والمعادلات البسيطة ، والقضايا البسيطة (كالحملية بالنسبة الى الشرطية) ، والساق البسيطة ، والزهرة البسيطة في علم النبات بمعنى أن أجزاءها أقل من غيرها . والبسيط الإضافي أيضاً هو الأمر المؤلف من عدد قليل من الأفعال العقلية كما في قول (ديكارت) : « ان أرتب أفكاري فأبدأ بأبسط الأمور وأيسرها معرفة وأتدرج في الصعود شيئاً فشيئاً حتى أصل الى معرفة أكثر الأمور تركيباً » (القاعدة الثانية من قواعد الطريقة) . وقد يدل أيضاً بالبسيط الإضافي على الأمر الذي لا يتضمن عناصر زائدة على الأصل كما في قول (كانت) : الدين في حدود العقل البسيط .

والقضية البسيطة في المنطق خلاف المعدولة ، فالبسيطة هي التي موضوعها اسم محصل ومحمولها اسم محصل . أما القضية المعدولة فهي التي موضوعها أو محمولها اسم غير محصل . فقولنا زيد نصير قضية بسيطة ، أما قولنا اللا انسان أبيض فقضية معدولة .

والبسيط عند العامة هو الرجل الطيب القلب الساذج الفكر ، ولعله ضد المركب بمعنى أن طبعه لا يشوبه مكر ولا دهاء .

البصر

في اللاتينية	Visûs
في الفرنسية	Vue
في الانكليزية	Sight, View

البصر إحدى الحواس الخمس المعروفة ، وهو يشمل جميع الإحساسات التي تدركها العين :

١ — أول الإحساسات البصرية الإحساس بالمضيء والمظلم ، وهو ينشأ عن الانطباع الذي يحدثه الضوء في عصيّات (Bâtonnets) شبكة العين .

٢ — ومن الاحساسات البصرية الاحساس باللون وهو متعلق بخاريط الشبكة .

٣ — ومنها الإحساس بالشكل وهو يتولد من تبدلات الصورة الشبكية المضافة الى حركة كرة العين .

٤ — ومنها إدراك المسافات أي إدراك القرب والبعد وهو عند التولديين (Nativistes) ادراك مباشر ، وعند التجريبيين (Empiristes) إدراك مستنبط (راجع كتابنا علم النفس ، الطبعة الثانية ، ص ٣٤٢ — ٣٥١) دمشق ١٩٤٨ .

ومدركات حاسة البصر تسمى مبصرات . والبصر أيضاً نفاذ في القلب ، وبصر القلب نظره وخاطره .

والبصيرة الفطنة والذكاء ، وهي بالنسبة الى النفس كالبصر بالنسبة الى العين لا بل هي استقصاء النظر الى الشيء والتبصر فيه وتأمله ، فكأنها رؤية عقلية تستقصى بها حقائق الأشياء وبواطنها ، أو حدس تدرك به المعقولات .

والبصير العالم الذي يشاهد الأشياء كلها ظاهرها وخافيها بغير جارحة .

والتبصر التأمل والتعرف ، وتبصر في رأيه واستبصر تبين ما يأتيه من خير وشر ، واستبصر في أمره ودينه اذا كان ذا بصيرة . وجميع هذه المعاني متصلة بفعل البصر الذي هو حس العين ، أبدل معناه فنقل من الحس الظاهر الى الحس الباطن ، ودل على إدراك الشيء والإحاطة بحقيقته لا على مجرد رؤيته بالعين .

جميل صليبا

كتاب المثنّى

تأليف

الإمام العلّامة حجّة العرب

أبي الطيّب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي

المتوفى سنة ٣٥١ هـ

مقدمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي به نستهدي وبه نستعين ، وأزكى سلامه على النبيّ العربيّ المبين ، وعلى آله وصحابته الغرّ الميامين ، مداره العرب وفحولها وحُجج العربيّة وأصولها .

أما بعد فإنّ النبيّ العربيّ يقول : « من أحب العرب فبحبي أحبهم[١] » ، ومن أحبّ العربَ أحبّ العربيةَ بحبهم ، ومن أحبّ العربيةَ أحبّ بحبّها إحياءها وإنماءها ، فعمل على حفظها بحفظ مادة لسانها وأداة بيانها ، وعمل

(١) حدثنا عبد الله بن بكر السهمي حدثنا يزيد بن عوانة عن محمد بن ذكوان خال حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن ابن عمر ، ومما قاله في هذا الحديث : « ... واختار من بني آدم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشاً واختار من قريش بني هاشم ، واختارني من بني هاشم فأنا خيار من خيار ، فمن أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم » ورواه الطبري محمد بن جرير عن ابن عمر أيضاً وكذا الطبراني في معجميه الكبير والأوسط ، وترى هذا الحديث وغيره من الأحاديث الصحيحة في فضل العرب في كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم) لمحيي السنّة الإمام ابن تيميّة رحمه الله .

على حياتها بإحياء أساليب كلامها في النثر والشعر ، أو نشر ذخائر مخطوطاتها اللغويّة والعلمية ، فهي تُراث العلم والأدب ، وعُنوان حضارة الإسلام والعرب .

وإن من نوادر هذه المخطوطات والذخائر مجموعة لغوية عثرنا عليها في خزانة مفتي الاقليم السوريّ صديقنا الأستاذ العليم السيد محمد أبي اليسر عابدين ، وقد اشتملت هذه المجموعة على كتب نادرة ثلاثة : أولها : كتاب المثنّى هذا ، والثاني كتاب الإتباع وهما لطيفان ، والثالث كتاب الإبدال الذي نشره بتحقيقنا المجمع العلمي العربيّ في هذه السنة المباركة ، وقد عزم على نشر الكتابين الآخرين مرتين : إحداهما في مجلته العلمية ، والثانية في رسالة منسولة من المجلة تطبع على حدة خدمةً لفقهاء لغتنا العربية ، ولتعميم نفعه بإعادة طبعه منفرداً ، وهاتان الرسالتان أو الكتابان اللطيفان هما على ما نعلم من المخطوطات اليتيمة الفريدة التي لم نظفر لها في خزائن الأرض بنسخ ثانيةٍ لأجل معارضتها وتصحيحها .

وصف نسخ المثنّى .— في وصف نسخة الابدال ذكرنا كيف عثرنا على المجموعة الخطية النادرة في مكتبة آل عابدين بدمشق يوم رافقنا في زيارتها عالم الهندين(١) وصديقي الحميم الأستاذ عبد العزيز الميمني ، ورأينا في صفحة الطّرة عنوان الرسالة الأولى من هذه المجموعة وهي (كتاب المثنى) لأبي الطيّب عبد الواحد بن علي اللغويّ الحلبيّ ، وظننّا يومئذ أن هذه المجموعة لا تشتمل إلا على كتاب المثنّى ، ثم أذن لي صديقي العلامة السيد أبو اليسر محمد عابدين بنسخ هذا الكتاب فيمنزله ، فما أتممت المثنّيات حتى انتقلت إلى كلامٍ في الاتباع ، بمقدار كلام المثنى ، ثم انتقلت إلى كلام في الإبدال ، وهو نحو ثلاثة أرباع هذه المجموعة اللغوية ، وعزمت يومئذ

(١) أي الهند والسند على طريقة المثنى التغليبيّ في هذا الكتاب .

على نشر ما فيها من اللغة ، ولكن الأيام شغلتني عن تحقيقها بشواغل التربية والتعليم ، فلبثت في خزانة كتبي راقدة إلى أن استرحت بالتقاعد من عناء التدريس ، وكنت نشرت في مجلة المجمع أني ظفرت بكتاب المثنى لأبي الطيب اللغوي ، وكتبت يومئذ إلى أصدقائي من العلماء بالكتب ليبحثوا معي عن نسخ أخرى لهذا الكتاب في خزائن الأرض فكانت الأجوبة تؤكد لي أن النسخة الدمشقية التي ظفرت بها هي اليتيمة الفريدة ، ثم راجعت فهارس المكاتب المشهورة في العالم فلم أجد للمثنى فيها ذكراً ؛ وأحمد الله على أن (كتاب المثنى) هذا كان واضح العنوان في صفحة الطرة ، وأنه لم يكبدني عرق القربة في معرفة مصنفه كما كبدني كتاب الابدال ، الذي يسر الله لي بأخرة إقامة الدلائل الناطقة بصحة نسبته إلى أبي الطيب اللغوي .

إن خط (كتاب المثنى) كخط كتاب الابدال من النسخي المتقن الذي يميل إلى القاعدة الأندلسية ، ولإزالة اللبس في الحروف المتشابهة وضع الناسخ كحذاق الكتاب في مقر النقطة من الجيم حاء صغيرة ليؤكد أن الحرف حاء مهملة ، ووضع عينا صغيرة تحت العين أو في بطنها للتأكيد بأن الحرف عين ؛ وإذا كان للكلمة ضبطان كالفتحة والكسرة ، أو الضمة والكسرة ضبطها بهما جميعاً ، وخط المثنى والمجموعة كلها خط ناسخ واحد ، يرجع إلى القرنين السادس أو السابع الهجري .

أما حواشي كتاب المثنى فهي كحواشي الإبدال بعضها (١) بخط الشيخ عبد القادر بن مكتوم القيسي (٦٨٢ – ٧٤٩ هـ) تلميذ الإمام أبي حيان الاندلسي ، وهي المرموز لها بالكاف المفردة المبسوطة (ك) ، وبعضها بخط المحب محمد بن محمد المعروف بابن الشحنة الصغير (٨٠٤ – ٨٩٠ هـ) ،

(١) كما جاء في الزاوية اليسرى العليا من صفحة طرة المثني .

وهي المرموز لها بحرف الشين (ش) ، ورمزنا بحرف (ع) لما فات المصنف من المثنّيات التي ذكرهـا ابن السكيت في المثنى والمكنّى ونقل أكثرها الإمام السيوطيّ في مزهره ، أو التي ذكرها ابن سيده في مخصّصه ، والتي أوردها المحبيّ في جنى الجنتين ، أو ما التقطناه من دواوين اللغـة والمجلاّت ، وبذلك يكون كتاب المثنّى هذا قد يسّر لعلماء اللغة الاطلاع على أكبر عدد مما تفرّق من المثنّيات التي لا نظائر لها في سائر اللغات .

إن مَقاس كتـاب المثنى كمقاس كتاب الإبدال (٢٥ × ١٦) ، والمسطرة تشتمل على ١٩ سطرًا ، والسطر على نحو عشر كلمات ، والورق صقيل يضرب إلى الصُفرة قليلًا ؛ ومما هو حَرِيّ بالذكر أن خط المجموعة كلها واحد لا يختلف ، فلعل ناسخهـا كان من المحبّين للّغة ولأبي الطيب اللغويّ ، فأراد أن يجمع في مجموعة واحدة ما عثر عليه من آثار أبي الطيب كما يصنع أحدنا اليوم إذا أراد أن يجمع آثار مؤلّف واحد في مجلّدة واحدة .

هذا ، وقصّة كتاب المثنى من قصّة كتاب الإبدال التي تصوّرناها في مقدّمته تصوراً يحتمل الوقوع ، وخلاصتها أن كتاب المثنى بعد أن اطلع عليه في المجموعة الخطية ابن مكتوم وابن الشحنة ، لم يطلع عليه فيما علمناه غير الأديب المحبي (– ١١١١) الذي ذكر أبا الطيب اللغويّ في كتابه (جَنى الجنّتين في تمييز نوعي المثنّيين) في مواضع كثيرة ؛ بل نقل منه لكتابه هذا ستة عشر سطراً متواليةً من باب (الإثنين في اللفظ يُراد بهما واحد) ؛ ثم لم يذكر هذه المجموعة بعد المحبّي الدمشقي أحد من علماء دمشق إلى أن تمّ انتقالها بإحدى الطرق إلى مكتبة حجّة المذهب الحنفي في عصره السيد محمد أمين عابدين صاحب الحاشية المشهورة ، ومنهـا بعد وفاته انتقلت إلى خزانة كتب مفتي الشام السيد أبي الخير عابدين ، ولعله قد كُتب لباعث النهضة العلميـة والروح القومية في ديار الشام شيخنا العلاّمة الشيخ طاهر الجزائري أن يزور يوماً مكتبة السيد أبي الخير عابدين ، وكان من خُلطائه، فأطلعه على هذه المجموعة الخطية النادرة لأنه كان يعلم

أنه من أعلم الناس بالمخطوطات وما فيها ، فرأى الرسالة الأولى منها وهي (كتاب المثنّى) ، وتحت عنوان طرته : تأليف الإمام العلاّمة حجة العرب أبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغويّ الحلبيّ ، ثم رأى تحت هذا العنوان ترجمة المؤلف للسيوطي صاحب بغية الوعاة (ص ٣١٧) ، وقد نعته بالإمام الأوحد كما نعته الصفديّ بأنه أحد العلماء المبرّزين المتقنين لعلمي اللغة والعربيّة ؛(١) ولما رأى كتاب المثنى وما كتب في طرّته ظنّ باديَ الرأي(٢) مثلنا أن هذه المجموعة اللغوية المخطوطة لا تشتمل على غير المثنى ، وكان مستشارَ المخطوطات لمجلة المقتبس ، فوصف على عجلٍ هذا الكتاب فيها ، ونقل كثيراً من أمثلته وأمثلة كتاب الاتباع ، ثم بدت له ورقات بيضاء أربع فقال ما نصه :

« وجاءت بعده قطعه أخرى في اللغة على تلك الشاكلة ، لكنها تتجاوز ثلاثة أرباع الكتاب » ، ولم يتبيّن واصف المثنى أنه انتقل بعد البياض إلى كتاب آخر ، وأن كلامه ليس على شاكلة كلام المثنى والاتباع ، لأنه من باب الإبدال ، ولا بحث عن مؤلف هذه القطعة اللغوية ، ثم ختم وصف كتاب المثنى بقوله :

« وهكذا نجد الكتاب من أوله إلى آخره سلسلة فوائد لغوية حريّة بالتدبّر والاستظهار ، فعسى أن تصح عزيمة بعض الطابعين أو المؤلفين على نشره ليُضاف إلى المجموعة اللطيفة التي طبعت مؤخّرا من كتب اللغة » قلتُ : ومن عوائق نهضة العرب وبوائقها أنه لم تقع عزيمة أحد من الطابعين أو

(١) تجد هذه الترجمة الوجيزة في صورة طرة المثنى رقم (١) ، ولذلك لم نذكرها هنا لعدم الحاجة اليها بعد أن ذكرت في الصورة ، ومن أراد الاطلاع على أوسع ترجمة له فعليه بالرجوع الى (التعريف بأبي الطيب) ص ٤٣ من مقدمة كتاب الإبدال .

(٢) هذا إن كان الشيخ طاهر رحمه الله هو الذي وصف كتاب المثنى في الصفحة ٤١٥ من المجلد الخامس من مجلة المقتبس سنة ١٣٢٨ هجرية .

المؤلفين على نشر هذه المجموعة اللغوية اليتيمة ، فحرم العرب وفقهاء اللغة من تدبّرها واستظهارها مدة نصف قرن إلى أن أذن الله بنشرها فصحّت عزيمة مجمعنا العلمي العربيّ على بعثها من مرقدها في عام الناس هذا .

المقصود من المثنى . — إنّ المراد بالمثنّى هو مادلّ على اثنين مما تكلم به عرب الجاهلية ، أو نزل به القرآن المبين ، أو رواه الحديث أو ورد في كلام صدر الإسلام ، ولا يُفهم ما جاء من ذلك كله شعرًا أو نثرًا إلاّ بفهمه حق الفهم ، ويعدّ هذا المثنى من لطائف العربية وحسن بيانها ، وله في الشعر من الرنّة ما يستهوي الفؤاد ، ولذا عُدّ من محسنات البديع (١) ، وقد عدّه بعض الفرنجة من خصائص اللغات غير المنقّحة (٢) كما جاء في دائرة معارف لاروس القرن العشرين إذ قال ما ترجمته :

« إن (العدد) في كثير من اللغات إنما يدل على معنى الوحدة أو الكثرة ، فالفرنسية مثلًا لها عددان مفرد وجمع ، أما المثنى (٣) فتختصُّ به بعض اللغات الآرية كالسنسكريتية والاغريقية والهورونية الامريكية ، وبعض اللغات السامية كاللغة العربية » .

إن ما ذكر في هذا المعجم الفرنسي من أن اللغات المثقفة لا تشتمل على المثنى ، أوان المثنى من خصائص اللغات غير المثقفة أي المنقّحة كاللغة العربية هو من المزاعم الخاطئة : لأن التعبير بالمثنى إنمّا هو تعبير عن حالة طبيعية تبعث انتباه الانسان إلى التثنية ، ذلك أن له عينين وأذنين ويدين ورجلين ، ومثنيات الطّباق من حوله لا تحصى كالقمرين الشمس والقمر

(١) كالتوشيع وهو أن نؤتى بمثنى مفسّر باسمين ثانيهما معطوف على الأول كقول النبي ﷺ : اقتلوا الأسودين : الحية والعقرب ،

(٢) Larousse XX siècle (5 / 105) : non cultivées

(٣) المثنى بالفرنسية Le duel وبالانكليزية The dual number

والسماء والأرض والليل والنهار والبر والبحر والنار والماء من المجسّمات ، أو كالخير والشر والفضيلة والرذيلة والجهل والعلم والحرب والسلم من المجرّدات .

وقد يدعو إلى التثنية حاجة الانسان الاجتماعية إلى التعبير عن التثنية أو الزوجيّة : لأنه يقضي جلّ حياته مع رفيقة عمره ، وهما زوج أو مثنّى ، فقد كان كلّ من الرجل والمرأة فردًا فأصبح زوجًا ، ومن ذلك جاء اسم الزواج في العربية ، والانسان مع صديقه اثنان ، وهو أكثر اجتماعًا به من اجتماعه بالجمع في المحافل والمجامع والجامعات والجوامع وغيرها، لذلك كان العربي المدني بطبعه في حاجة ماسة إلى التعبير عن الشخص الثاني الذي لا يكاد يفارقه بعدد هو (المثنّى) .

إن الغاليين أجداد الفرنسيّين قد اتخذوا للتعداد (العشرين) أساساً بعدد أصابع اليدين والرجلين ، وهو ما يسمى بنظام الأعداد المركبة ، ولا تزال بقية من اللغة الغالية في الفرنسية المثقّفة ، ففيها لا يعبّر الفرنسي عن عدد (الثمانين) في أواخر القرن العشرين إلا بقوله : أربع عشرينات[١] ، وعن التسعين يقول : أربع عشرينات وعشرة ، ثم أربع عشرينات وأحد عشر إلى أربع عشرينات وتسعة عشر أي تسعة وتسعون ، وكان سلفهم الغاليّ إذا أراد أن يقول : مائة وعشرين مثلًا قال (ستة عشرينات) ، ويقول : (خمسة عشر عشرينًا) بدل ثلثمائة ، فليس إذن ما زعموه من أن اللغة العربية التي تنطق بالمثنّى هي لغة غير مثقفة أي غير منقّحة ، وأن الفرنسية ذات الاعداد المركبة هي المهذّبة الراقية .

تعريف المثنى في العربية . — المثنى في العربية ما دل على اثنين بزيادة في آخره ، وصالح للتجريد ، وعطف مثله عليه ، فإذا قلت : (كتابان) مثلًا فقد دلّ هذا اللفظ على اثنين بزيادة في آخره : (ان) ، ويصلح أن

(١) Quatre — vingts

يجرد من الزيادة فيغدو (كتاب) وأصل (كتابان) كتاب وكتاب بعطف الثاني على مثله : فالكتاب مثل الكتاب ، يجمع بينهما وجه الشبه وهو اشتمال كل منهما على أوراق مضمومة مؤلفة في موضوع ما ، ووجه الشبه هذا بتعبير آخر هو القدر المشترك الجامع بينهما .

وللمثنى إعراب يخصّه ، فيعرب بالألف مفتوحاً ما قبلها في حالة الرفع ، وبالياء المفتوح ما قبلها في حالتي النصب والجرّ ، وبعد الألف والياء نون مكسورة في الأحوال الثلاثة ، وهي لغة جمهرة العرب ؛ وقد تلزم الألف المثنى في حالاته الثلاث في لغة الحرث بن كعب .

وإن ما ذكرناه من تعريف المثنى الحقيقي النحوي يوجب أن يكون الاثنان من جنس واحد : أي متماثلين مبنًى ومعنًى ولو تغليباً ، (فالعُمران) يراد بهما أبو بكر وعمر بن الخطّاب من جنس بشريّ واحد ، يجمع بينهما الحيوانية الناطقة أو الانسانية الفاضلة ، وهي القدر المشترك بينهما ، كما يجمع بين (الأحمرين) الخمر واللّحم قدر مشترك واحد هو (الحمرة) في كلٍ ، وهو كوجه الشبه في علم البيان ، فلو قلت : اللحم كالخمر ، كان وجه الشبه هو الحمرة أيضاً ، ولم يختلفوا في عدّ مثنّيات التغليب من المثنى ؛ وإنما اختلفوا في مثل (القُرأين) فهما من المثنى الحقيقيّ إن أريد بهما الطُّهران أو الحَيضان : لأنهما من جنس واحد ، وبينهما قدر مشترك ، لا بمعنى طُهر وحيض معا ، فانهما حينئذ لا يكونان متماثلين ولا من جنس واحد ، فهو لا يشبه المثنى الحقيقيّ بمعناه ، وإن اشبهه بالمبنى وأعرب إعرابَ المثنّى .

أنواع المثنى . — يمكن أن يُقسم المثنى إلى نوعين منه ما يُفرد ومالا يفرد ، فالمنفرد منهما ما صح اطلاقه على كلٍ من المسمّيين مثاله (كتابان) : إذا أفرد هذا المثنى كان مفرده كتابًا ، وكتاب يطلق على كلٍ من

المسمين أي الكتابين ؛ وأما (ما لا يُفرد) فيقسم إلى قسمين أو نوعين هما التلقيبيّ والتغليبيّ (١) .

فالمثنّى (التلقيبيّ) هو ما إذا أُفرد لم يُفد المعنى الموضوع له في التثنية ، ولذلك لا يصح إطلاقه على أحد المسمَّيين مثاله (البحران) لبحر القلزم وبحر الروم ، فإنه إذا أفرد هذا المثنى بحذف الألف والنون لم يصح اطلاقه على أحد منهما ،فلا يقال ان (البحر) هو بحر القلزم أو بحر الروم ، ومثله (الرافدان) لدجلة والفراتِ وما أشبههما .

والمثنّى (التغليبيّ) هو الذي إذا أفرد صحّ إطلاقه على المتغلّب من الاثنين مثاله (العُمَران) لأبي بكر وعمر ، مفردهما (عمر) وعمر يصحّ إطلاقه على ابن الخطاب . وهو المتغلّب من الاثنين ، ومثله (القمران) وما أشبههما .

ومن أنواع المثنّى ما هو جاهليّ وقرآني ونبويّ واسلاميّ :

فمن (الجاهليّ) : الدُّحْرضان ، وهما موضعان : أحدهما دُحرُض ، والآخر وسيع تغلّب الأول على الثاني فقيل لهما (دُحرضان) على التغليب مثاله قول عنترة :

شَرِبَت بماء الدُّحْرُضَين ، فأصبحت زوراءَ تنفرُ عن حِياضِ الدَّيْلمِ

ومن (القرآنيّ) : قوله تعالى في سورة الرحمن : ربّ المشرقين وربّ المغربين ، وقوله في سورة الزخرف : حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعدَ المشرقين فبئس القرين .

ومن (النبويّ) ما رواه الترمذيّ وغيره : أكثر ما يُدخل النّاسَ النارَ الأجوفان الفم والفرج ، وقوله : اقتلوا الأسودين : الحية والعقرب ،

(١) وقسمها المحبي في (جنى الجنتين في تمييز نوعي المثنيين) إلى المثنى الحقيقي ، والمثنى الجارى على التغليب .

وقد مرَّ بنا (ص ٤٢٦) أن هذا المثنّى هو نوع من البديع يقال له التوشيع .

ومنه (الاسلاميّ) وهو ما قيل من المثنّيات في صدر الإسلام على ألسن الصحابة والتابعين وأتباعهم فتناولته ألسنة الشعراء وأقلام أهل الإنشاء ، أو ما اشتملت عليه عبارات العلماء .

وأمّا شيخنا أبو الطيب اللغوي فقد صنّف هذه المثنّيات أصنافًا عشرة ، ورتّبها فيها ترتيبًا علميًّا جميلًا كما تراها في مقدمة كتاب المثنى ، تغمّده الله برحمته ، وأحسن إليه في دار الكرامة بمقدار ما أحسن إلى لغته وأمته ؟

دمشق الجديدة في { غرة ذي الحجة ١٣٧٩ / ٢٧ أيار ١٩٦٠ }

وكتبه محقّقه
عز الدين بن أمين التنوخي
لطف الله به

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلِّ على محمد ، وعلى آل محمد وسلِّم

قال أبو الطَّيِّب عبدُ الواحد بنُ عليٍّ اللغويُّ : إنَّه ليسَ شيءٌ من كتبنا ، وإن قَصُرتْ أبوابُهُ ، وقلَّت أوراقُهُ وضَمُرَ حَجمُهُ وصَغُر جسمُهُ بأقلَّ فائدةً في مَعناهُ لِلمتَعلِّم ، ولا أنزرَ عائدةً[1] في مَغزاهُ على المتَفهِّم من غَيرِهِ ، وإن أسهَبْنا فيهِ وأغرقْنا في مَعانيه حتى اطَّادَتْ[2] أُصولُهُ ، وانشرحتْ فُصُولُهُ ؛ بلْ كلٌّ واحدٍ بحمدِ اللهِ على غايَةِ ما يُمكننا مِن الكَمالِ فيما اقتصرْنا به عَليهِ ، ونهايَةِ التَّمامِ فيما انتَهيْنا به إِلَيْهِ ، وما شَيْءٌ

(١) أي معروفًا يقال : عاد بمعروفه عَوْدًا من باب قال : أفضلَ ، والاسم العائدة بمعنى الفائدة والمعروف .

(٢) الفرّاء : طادَ الشيءُ ثبتَ ، من باب قال ، وأصل (اطّاد) اطْتَوَد على افتعل ، وبالإعلال صارت (إطْتادَ) ، وقلبت التاء طاءً لأن التاء أخت الطاء في النطعيّة ، فلمّا تجاورتا في المخرج ، وأرادوا أن يكون العمل من وجهٍ واحدٍ ، قلبوها طاءً وأدغموها في الطاء قبلها فصارت (إطّادَ) ، فقوله (اطّادت أصوله) بمعنى ثبتت ورسخت أصوله .

تَوخَّيْناهُ[(١)] من ذلكَ ولا تعمَّدناهُ إلاّ لغَرضٍ في الإفْهامِ تَحرّيناهُ ، وحِرْصٍ على الإعلامِ الّذي أرَدْناهُ ، وكُلٌّ منَ اللهِ سُبْحانَهُ وبهِ ؛ فإذا كانتْ بغْيتُنا[(٢)] فيما نُعانيهِ ، وإرادتُنا فيما نُعيدُهُ ونُبْديهِ مَعونةَ اللّقِنِ[(٣)] المُسْتفيدِ ، والتّقريبَ على ذي الفَهمِ البَعيدِ ، وإلْحاقَ الكَهامِ[(٤)] البَليدِ بالذّكيِّ الحَديدِ ، وكانَ ذلكَ لوَجهِ اللهِ خالصًا مَوفورا ، لا نُريد بهِ جَزاءً ولا شكورا ، فإنّا غيرُ قانطينَ من تَفضّلِهِ جلَّ اسمُهُ علَينا بالإرْشادِ ، وتوفيقِهِ إيّانا للسَّدادِ ، واللهُ عندَ ظَنِّ عَبدِهِ ، وكافِلٌ لمن اسْتَرْشدَهُ برُشْدِهِ ، ولا قُوّةَ إلاّ باللهِ .

ونحن قاصِدون في كتابنا هذا قَصْدَ ما وردَ من كلامِ العرب

---

(١) تقول : توخّينا الشيءَ تحرّيناه ، وأصل التحرّي قصد الحَرا وفي الأساس : ومن المجاز : هو يَتحرّى الصّواب .

(٢) تقول : لي عنده بِغْيَة بالكسر ، وهي الحاجة التي تبغيها ، وضمها لغة .

(٣) لَقِنَ الشيءَ وتلقّنه : فهمه ، ولَقِن كفَطِن من صيغ المبالغة : سريع الفهم .

(٤) يقال للسيف الكليل واللسان العَيّ والفرس البطيء كَهام كسحاب ، وكهيم أيضًا .

مُثَنًّى في الاستعمال تَثْنيةً لازمةً ، ومُبتَدؤن بشرح وُجوهِ وتَقصِّيها ، وذكرِ ضروبِ توسُّعِهِمْ فيها فنقول:

إنّ جميعَ ما وردَ على ذلكَ من الأسماء عَشرةُ أصنافٍ :

الاثنانِ غلبَ اسمُ أحدِهما على اسْم صاحبِهِ ،

الاثنانِ جمعهما في التّثنية اتّفاق اسْمَيهما ،

الاثنانِ غلب نَعتُ أحدهما على نَعتِ صاحبِهِ ،

الاثنانِ جُمِعا في التثنية لاتّفاق نَعتَيْهما ،

الاثنانِ غلبَ عليهما لقبُ واحدٍ منهما ،

الاثنانِ يجمعهما لقبٌ واحدٌ ،

الاثنانِ ثُنِّيا باسم أبٍ أو جَدٍّ ، أو أحدُهما ابنُ الآخر فغَلبَ اسمُ الأَب ،

الاثنانِ اللّذانِ لا يُفردانِ من لَفظِهما ،

الاثنانِ في اللّفظِ يُرادُ بهما واحِد ،

الاثنانِ يُثنَّيانِ ، وإن اكتُفِيَ بأحدهما لم ينقُصِ المَعْنى :

وأمّا ما وردَ من ذلك من الأفعال فَصنفان :

الفعلُ المَبنيُّ على صِيغةِ التّثنيةِ ، والمرادُ به تكريرُ الفِعل ،

الفعلُ يَجيءُ لفظُهُ لاثنينِ ومَعناهُ لواحدٍ .

ونحن نُبَوِّبُ هذه الأَبوابَ ، ونأتي على ما فيها أو جُمْهورِهِ إن شاء اللهُ

★ ★ ★

هذا بابُ الاثنين غَلب اسمُ أحدِهما على اسم صاحبه

قال الأصمعيّ وأبوعبيدةَ قولُهم : سارَ في الناسِ سيرةَ العُمَرَين ، إنّما يُريدون أبا بكر وعمرَ رضيَ اللهُ عنهما ، وقال الفرّاء نحوَ ذلك ، وسَمِعَ مُعاذًا الهرّاء يقول : لقد قيلَ سنّةَ العُمرينِ قبلَ عُمرَ بنِ عبد العزيز ، وجاء في حديث أنهم قالوا لعثمان رضي الله عنه : نطلبُ منك سيرةَ العُمرين [1] ، فهذا يدلُّك على صِحّة ما قلنا.

والحَنْتَفَانِ : حنتف والحرث ابنا أوْس بن سيف ابن

(١) وفي رواية : تسلك سيرة العمرين ؟ الازهري : العُمران أبو بكر وعمر غُلّب عمر لأنه أخف الاسمين ، قال فإن قيل : كيف بُدىء بعمر قبل أبي بكر وهو قبله وهو أفضل منه ، فإن العرب تفعل ذلك يقولون ربيعة ومضر ، وسُلَيم وعامر ، ولم يترك قليلا ولا كثيرا ؟ وفي ل (عمر) : وروي عن قتادة أنه سُئل عن عتق أمّهات الأولاد : فقال : (قضى العمران فما بينهما من الخلفاء بعتق أمهات الأولاد) ، نفى قول قتادة : العمران عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز : لأنه لم يكن بين أبي بكر وعمر خليفة .

(★ ش) ابن السكّيت : الحنتفان الحنتف وأخوه سيف ابنا أوس ابن حِميريّ بن رياح بن يَربوع .

قلت : والحَنتف في اللغة الجراد المنتّف للطّبخ وبه سُمي الرجل .

حميري ابن رياح ، هكذا قال أبو عُبيدة ، وقال :

الأَقْرَعان[١] : الأَقْرعُ وفِراس ابنا حابِس بنِ عِقال بن محمدِ بن سُفيانَ بن مَجاشِع ؛

والزَّهْدَمان : زَهْدم وقيس ابنا حَزْن[٢] بنِ وَهْب بن رَواحةَ

(١) وفي ل (قرع) : الأقرعان : الأقرع بن حابس وأخوه مرثد ، وكذا في المخصص والمزهر .

(★ ش) الأقرع بن حابس واخوه مرثد كذا في الصحاح ، وفي الاصلاح نقلهُ رحمة الله عليه من خط رضيّ الدين الشاطبيّ أبقاه الله تعالى .

(٢) الزهدم : الصقر أو فرخ البازي أو الأسد ، وقوله (ابنا حزن) هو قول الكسائي ، وأبو عُبيد يقول : هما ابنا جزء ، وفي قوله (وهب ابن رواحة) يقول ابن الكلبيّ : وَهب بن عوير (أو عوير) بن رواحة ابن ربيعة بن مازن بن الحرث بن قَطيعة بن عبس بن بغيض ؛ قلت : فالزّهدمان أخوان عبسيّان ، وهما اللذان أدركا حاجب بن زُرارة يوم جبلة ليأسراه فغلبهما عليه مالك ذو الرُّقيبة القشيري ، وفيهما يقول قيس ابن زهير الشاهد (جزاني الزهدمان ...) ؛ وأخطأ ابن سيده في مخصّصه (١٣/٢٢٧) إذ قال في نسب الزهدمين زهدم وقيس « ابنا جَزء بن سعد العشيرة » قال الشنقيطيّ : لأن سعد العشيرة من مذحج لا من قحطان ، والزّهدمان عبسيّان غطفانيّان من قيس عَيلان من عدنان بالاتفاق .

(★ ك) وقد وهم في هذا أبو عبيد في الغريب المصنف فقال : زهدم وقيس ابنا جزء وغلّطه في ذلك علي بن حمزة البصريّ ، وقال : انما هو حَزن لا جَزء .

قلت : وانظر ترجمة هذا الامام البصريّ اللغويّ في البغية (٣٣٧) ، فقد اشتهر بردوده على جماعة من أئمة اللغة (- ٣٧٥) ، ورواية (ابنا حزن) الصحيحة هي قول الكسائي وأبي الطيّب اللغوي وابي الحسن السكري في شرح ديوان الحطيئة وغيرهم .

ابن عَبس ، وقال أبوعبيدة مرةً أُخرى : هما زَهْدمٌ وكَرْدَمٌ ، وأنشد غيرهُ لقيس بن زهير :

١ جزاني الزَّهدمان جزاءَ سَوءٍ وكنتُ المرءَ يُجْزَى بالكَرامَهْ

والشَّعْثَمان : شَعْثَم وشُعيث(١) ابنا معاوية بن ذهْل ،

---

(١) وفي الأصل شعيب ، والإصلاح من ت (شعثم) ، وذكر السيوطي في المزهر (١٠١/١) بأنه لم يكن يقال لواحد منهما شعثم ، ولكن نُسبا إلى شعثم أبيهما ، وهما شعثم الأكبر حارثة بن معاوية ، وشعثم الصغير شعيث بن معاوية ؛ أمّا البكريّ في شرحه لقول مهلهل :

فلو نُبش المقابرُ عن كليبٍ فيخبَر بالذّنائب أيُّ زيرِ
بيوم الشّعثمين لقرّ عينًا وكيف إيابُ من تحت القبورِ

فقد قال ما نصّه : (السمط ١١٢) : الشّعثمان شَعثم وشُعيث ابنا معاوية بن عامر بن ذُهل بن ثعلبة ، واسم شعثم حارثة عن ابن السكيت ، وجاء في ت عن كتاب المثنى أن الشّعثمين غائطان ، وأخطأ ابن السكيت بذلك كما أخطأ المجد اللغويّ مرتين بقوله : « وقول مهلهل (بيوم الشعثمين) لم يفسّروه ، والظاهر انه موضع كانت به وقعة » ، وقد رأينا أن البكريّ فسّره ، والخطأ الثاني قوله : إنه موضع ، وعجب أخونا الميمنيّ لذلك ولتغافل البكريّ عن تفسير القالي لشعثم بأنه موضع معروف قائلًا : (والعجب أن البكري تغافل عنه ، ولعل ذلك لأنه لم يثبت ، ولذلك لم يذكره في معجمه هو ولا ياقوت ، وكلام البكريّ هو الحجة) ، وقد سبقهم جميعًا إلى الصّواب حجّة العرب أبو الطيّب في تفسير الشعثمين ، وفي التاج : وقد اوسع الكلام فيه العلامة عبد القادر البغداديّ ، أثناء شرح الشاهد ٤٢٣ من شواهد المغني واختار أنه اسم لرجلين ، على حذف مضاف أي بيوم قتل الشعثمين ، ويؤيّد ذلك ما جاء في السمط : قال ابن اسحق (البسوس ٥٣) وقتل مهلهل [يوم واردات] الشعثمين ابني معاوية ، وهما سيّدا ذُهل وفارساها ، وفيها يقول : ويوم الشعثمين الخ .

والبَحيران[١]: بَحير و فِراس ابنا عبد الله بن عامر بن سَلَمة بن قُشَير،

والعُتْبَتان : عُتبة وعِتبان من بني زُهير بن جُشَم بن تغلب،

والعَبْدان [٢] : عَبد بن جُشَم بن بكر ومالك بن حبيب،

والمرْوَتان [٣] : الصَّفا والمَرْوَة،

والأَبوان [٤] : الأبُ والأمُّ،

---

(١) كما جاء في المزهر (٢/٩٩ بولاق) : بحير بالحاء المهملة ، وسلمة هو المعروف بسلمة الخير ، وأحمد تيمور في بحث (المثنيان) من مجلة المجمع العلمي العربي (٤/١٥٠) نقل من طبقات السبكي أن البجيرين هما بجير وفارس ابنا عبد الله بن مسلمة، وناسخ الطبقات لا أحمد تيمور هو الذي أخطأ خطأين في أن بجيرًا بالجيم وان جده مسلمة وهو سلمة، وارتاب صديقي التيموري رحمه الله في ضبط الاعلام قائلًا : (ولتحقق هذه الأسماء) وبما ذكرناه تم حقيقها.

(٢) وجاء في المخصص (١٣/٢٢٩) : وفي بني قشير (العَبدان) عبد الله بن قشير وهو الأعور، وهو ابن ُلبينى وعبد الله بن سلمة ابن قشير وهو سلمة الخير، ومرَّ الآن بنا أنه أبو البجيرين، وليس (العبدان) هنا من التغليب، في جمعها في التثنية إلا اتفاق اسميها.

(★ ش) في الصحاح : العَبدان في بني قشير : عبد الله بن قشير، وهو الأعور، وهو ابن ُلبينى وعبد الله بن سَلَمة بن قشير وهو سَلَمة الخير اهـ . قلتُ : (فالعَبدان) على هذا من الصنف الثاني الذي ذكره أبو الطيب وهو (الاثنان جمعها في التثنية اتفاق اسميها).

(٣) والمروتان أكمتان ذكرهما المحبي في جنى الجنتين ص ١٠٥،

(٤) وهو من التغليب القرآنيّ فقد جاء في النساء : ورثه أبواه فلأمه الثلث، وفي يوسف : وآوى إليه أبويه، غلّب فيها الأب على الأم، وفي الجنى للمحبيّ ص ١٤ : هما كذلك عند القرّاء أبوعمرو وأبوبكر ابن عاصم.

والسَّلْهَبان[١] : سَلْهَبٌ وأَبو سَلهب من بني عجل بن لُجَيْم ، قال رجلٌ من بني أسد :

٢ ونحن قتلنا السَّلهَبين كليهما أبا سَلْهبٍ يومَ الكثيبِ وسَلْهبا

والحيْدان : حَيْدة ووازِع ابنا مالك بن خَفاجَةَ من بني عُقَيل ، والعَقامان : العَقَام والعَقِيم ابنا جنْدَب بنِ أُحَيْمِسَ ابن عَفّانَ ابن كِنانَةَ :

والنافِعان : نافِعٌ ونُفَيع أخوا زِيادِ بن أبيهِ من أُمّه سُمَيّةَ ، والشَّريفان[٢] : الشَّرَف والشُّرَيف ، وهما ماءآن لعَبس ، والأذانان : الأذانُ والإقامَة[٣] ، ومنه قولهم : بينَ

(١) السلهب في اللغة الطويل ، ولم أجد للسلهبين ذكراً في كتب اللغة ولا في مراجع المثنى ، فهو مما انفرد به أبو الطيّب ، وما كان من هذا القبيل أو كان جلياً واضحاً فهو لا يحتاج إلى تعليق .

(* ش) في الصحاح : الشّريف مصغراً ماء لبني نُمير .

(٢) جاء في ل (شرف) : شُرَيف أطول جبل في بلاد العرب ، وشَرَف جبل آخر بقرب منه ؛ ابن السكيت : الشرف كبد نجد ، وكانت الملوك من بني آكل المُرار تنزلها ، وفيها حِمى ضَرِيّة ، وضريّة بئر ، وفي الشرف الرَّبَذة وهي الحمى الأيمن ، والشُّرَيف إلى جنبه ، يفرق بينهما وادٍ يقال له التَّسرير ، فما كان مُشَرِّقاً فهو الشُّريف ، وما كان مغربا فهو الشرف ، قال أبو منصور : وقول ابن السّكيت في الشرف والشريف صحيح ، ويوم الشُّريف من أيام العرب .

(٣) وهو كما جاء في الحديث : بين كل أذانين صلاة : يريد بها السنن والرواتب التي تصلّى بين الأذان والإقامة قبل الفرض .

كلَّ أذانين صَلاة ؛

والعِشاءآن : المَغْرِبُ والعِشاء ، وفي الحديث : أَحيُوا ما بينَ العِشاءين : أي المغرب والعِشاء .

والأَقعَسان [١] : الأَقْعَسُ وهُبَيْرةُ أبنا ضَمْضَم المُجاشِعيَّان ،

والحُرّان [٢] أخوان ، يُقال لأحدِهما الحُرُّ وللآخر أُبَيّ ،

وإيَّاهُما عَنَى الشاعرُ بقوله [٣] :

٣ ألا مَن مُبلغُ الحُرَّينِ عنّي مُغَلْغَلَةً وخُصَّ بها أُبَيّـــا

يُسَوِّقُ بي عِكَبٌ في مَعَدٍّ ويَضْربُ بالصُّمُلَّةِ في قَفَيّـا

---

(١) وجاء في ل (قعس) أبو عبيدة : الأقعسان هما أقعس ومقاعس ابنا ضمرة بن ضمرة من بني مجاشع .

(٢) جاء في ل (حرر) : وإذا كان أخوان أو صاحبان ، وكان أحدهما أشهرَ من الآخر سُمِّيا جميعًا باسم الأشهر قال المنخّل اليشكري : (ألا من مبلغ الحرين ...) وبعده :

فإن لم تثأرا لي من عِكَبٍ فلا أرْويتما أبدًا صَدَيّـا

يُطوِّف بي عِكَبٌ في مَعدٍّ ويطعَن بالصُّمُلة في قَفَيّا

قال وسبب هذا الشعر أن المتجرِّدة امرأة النعمان كانت تهوى المنخّل اليشكري وكان يأتيها إذا ركب النعمان ، فلاعبته يومًا بقيد جعلته في رجله ورجلها ، فدخل عليهما النعمان ، وهما على تلك الحال ، فأخذ المنخل ودفعه إلى عكب اللخمي صاحب سجنه فتسلَّمه فجعل يطعن في قفاه بالصُّمُلة ، وهي حربة كانت بيده .

(٣) ★ ش : الشعر للمنخل اليشكري ، واسمه أُبيّ ، وبعده : —

والقَرَبانِ [1] : القَرَبُ والطَّلَقُ ، قال الأصمعيُّ : إذا كان بينَك وبين الماء يومان وليلتان فهو الطَّلَقُ ، وإذا كان بينكَ وبينه يومٌ وليلةٌ فهو القَرَبُ ، قال أبو النَّجم :

٤ يَطْرُقُ بين القَرَبينِ المَنْهلا يَكشِفُ عَنهُ بالعَراقِيِّ الدِّلا
قطائِفَ الأَجنِ الَّذي تَخَلَّلا

والقَمَران : الشمسُ والقَمر قال الفرزدق :

٥ أخذنا بآفاقِ السَّماءِ عليكُمُ لنا قمراها والنجومُ الطَّوالعُ

وقال :

٦ لنا قَمَرُ السَّماءِ وكلُّ نَجْمٍ ونحنُ الأكثرونَ حصًى وغَابا [2]

وقال أبوعبيدةَ قولُه : (لنا قَمراها) أرادَ أبا بكرٍ وعمرَ ، والنجوم الطَّوالع) المهاجرون ؛ وقال غيره : أَراد النَّبيَّ ﷺ

ــ فإن لم تثأرا لي من عِكبٍ فلا أوردتمـــا ابدًا صُديّا

يطوف بي عكب ... البيت ، ويُروى : (مغلغلةً وقد قتلوا أُبيّا) ؛ وزعموا أن اسم المنتخل أُبَيّ ، والذي ذكره يعقوب غير ذلك ، و (صُدَيّ) كسُمَيّ اسم ماء ، ويُروى : فلا أُرْويتما ابدًا صُدَيّا) : بالحزن ، و (الصُّمُلة) : الحربة ، والصُّمُل : الشديد من الرجال ، يستغيث والأنثى صُملة .

(١) قال الخليل : والقارب طالب الماء ليلًا ، ولا يقال ذلك لطالب الماء نهاراً .

(٢) وجاء في الهامش : الغاب : الآجام وهو من الياء ..

وعليًّا رضي الله عنه ، والنُّجوم الطّوالع : الُخلَفـــاء[١] .

والمِرْبَدان : المِرْبَدُ ، والطريقُ الّذي وَراءه[٢] ، قال الفَرزدقُ :

٧ عَشِيَّةَ سالَ المِرْبَدانِ كِلاهُما عَجاجةَ مَوتٍ بالسُّيوفِ الصَّوارمِ

والطُّلَيْحَتانِ[٣] : طُلَيْحَةُ بن خُوَيلدٍ الأَسديُّ وأخوه مالكٌ ، والحِيرَتانِ : الحِيرةُ والكوفَةُ قال الشاعر :

٨ نحن سَبَيْنا أُمَّكم مُقْرِبًا يومَ صَبَحْنا الحِيرتينِ المَنونْ

وإِنَّما غَلبَ اسمُ الحِيرة لأنها أَقْدمُ ،

(١) وجاء في المزهر (٢/١٠١ بولاق) : ان الرشيد سأل المفضل الضبّي عن قول الفرزدق : (لنا قمراها والنجوم الطوالع) فقال الرشيد : أراد بالشمس إبراهيم خليل الرحمن ، وبالقمر محمداً ﷺ ، وبالنجوم الطوالع الخلفاء الراشدين من آبائك الصالحين ، قال فاشرأبّ أمير المؤمنين ، ثم قال : يا فضل بن الرّبيع : إحمل إليه مائة الف درهم ومائة الف لقضاء دينه !

(٢) والجوهري في صحاحه (ربد) يقول : وامّــا قول الفرزدق : (عشيةَ سال المربدان ...) فانه عنى به سكة المربد والسكة التي تليها من ناحية بني تميم ، جعلها المربدين كما يقال : الأحوصان ، وهمــا الاحوص وعوف بن الأحوص .

(٣) قال ابن المكرم : ل (طلح) : والطليحتان طليحة بن خويلد الاسدي وأخوه وكذا جاء في الصحاح ، وفي المزهر (٢ / ١٨٦ دار الاحياء) ؛ إلاّ أن السيوطي قال : (وأخوه حبال) لا (مالك) كما ذكر المصنّف .

والبَصْرتان : الكوفةَ والبصرة (١) قال الشاعرُ :

٩ فقُرَى العِراقِ مَسيرُ يومٍ واحدٍ ... والبَصْرتانِ وواسطٌ تكْميلُهُ

وأبانانِ : اسم جبَلين يقال لأحدهما أبانُ ؛ وللآخر سَلْمى (٢)، قال بِشْر بنُ أبي خازم (٣) :

١٠ يَؤُمُّ بها الُحداةُ مِياهَ نَخْلٍ ... وفيها عن أبانَيْنِ ازْوِرارُ

وقال أبو نصر : أبانان جبلانِ : جبلٌ أبيضُ لبني فَزارة، وجبل أسْودُ لبني ذُبْيان (٤) ، وفيه ماءٌ لبني أَسد يُقال له : مُحَيًّا ، وهو ماءٌ عذبٌ ، يَمرُّ بينهما وادٍ يقال له : الرُّمَّة (٥) .

(١) وفي اللسان والصحاح قبل ذلك، وغلّبت البصرة لأنها أقدم من الكوفة، وفي المزهر (٢ / ١٧٤ دار) : والمصران : الكوفة والبصرة أيضا وهما العراقان.

(٢) وفي ل (أبن) وانما قيل أبانان وأبان احدهما ، والآخر متالع كما يقال القمران ، قال لبيد .

درس المنا بمتالع وأبانِ ... فتقادمت بالحبْس فالسُّوبانِ

(٣) الأسدي يصف الظعائن ، والشاهد هو البيت الثالث من القصيدة (١٥) من ديوانه (ص ٦٢) : وفيه يُروى الصَّدر (تؤمُّ لها الحداة ...) ومطلعها :

ألا بان الخليط ولم يُزاروا ... وقلبك في الظعائن مستعارُ

والقصيدة في المفضّليات ٢ / ١٣٨ .

(٤) وفي اللسان : فالأبيضُ لبني أسد والاسود لبني فزارة بينهما نهر يقال له : الرُّمَةُ بتخفيف الميم ، وبينهما نحو من ثلاثة أميال ، وهو اسم علم لهما قال بشر يصف الظعائن : (يؤمُّ بها الحداة ...) .

(٥) في الأصل بضم الراء وتشديد الميم ، وفي الهامش بحذاء (الرُّمَّة) : الرُّمّة معًا : أي بضمّ الراء المشدّدة وفتحها .

والنِّيرانِ[1] : النِّير والسَّدَى، قال أبو حَيَّة النُّمَيْريُّ يصف خيلاً :

١١ تَرى آثارهنَّ وقد عَلَتها بنيرَيْها البَوارحُ والسُّيولُ

يريد : أنارتها الريح وسَدَّاها المطر ، وقال قومٌ :

المَشْرِقانِ : المغربُ والمشرق ، وقد حكى ذلك أبو عبيدة وأنشد للفرزدق يمدح الوليدَ بن عبد الملك :

١٢ رجالُ المشْرقينِ لكلِّ عانٍ وأرمَلةٍ وأصحابِ الثُّغورِ

وقال الأصمعيُّ في قول العَجَّاج :

١٣ وبالنِّباجَينِ ويَومِ مَذْحِجا

أراد : بالنِّباجِ وثَيْتَل فغلَّبَ النباج ،

والضُّمْرانِ[2] : جبلانِ يقال لأحدهما الضُّمْر وللآخر الضَّائِن ، وهُما في بلاد عُليا قَيس قال لبيد :

١٤ جَلَبنا الخيلَ سائلةً عِجافًا من الضُّمْرينِ يَخبِطُها الضَّريبُ

(١) ليس النيران في اللسان ولا التاج بهذا المعنى ، وإنما فيه : ثوب ذو نيرين : إذا نسج على خيطين ، ونسجه (المتاءمة) وأمّا الذي نير خيطا واحدًا فهو (السَّحْل) ، فإذا كان على خيطين أبيض وأسود فهو (المقاناة) ، ونسجه على خيطين أصفق وأبقى ، وعلى التشبيه يقال : رجل وناقة ورأي ذو نيرين أي شديد .

(٢) في الأصل الضَّمرين بفتح الضّاد .

والدُّحْرُضان (١) : ماءان يقال لأحدهما : الدُّحْرُض وللآخر وَسيع (٢) ، قال عَنترة :

١٥ شَرِبَتْ بماءِ الدُّحْرُضينِ فأصبَحتْ زَوْراءَ تنفِرُ عن حياضِ الدَّيلَمِ

والكِيرانِ (٣) : اسم موضعين يُقال لأحدهما : كير وللآخر حَزَان قال الشاعر :

١٦ للأنْفِ من كيرَينِ فالأَناعِمَهْ (٤)

وقالوا في قول كُثَيِّر :

١٧ إليكَ ابنَ ليلى يَمْتَطي العيسَ صُحبتي تَرامى بنا من مَبْركَينِ الأَناعِمُ

---

(١) وفي الهامش إلى جانبها : وشيع معًا ،

(٢) وقال الجوهري : الدّحرضان اسم موضع وأنشد بيت عنترة وقال بعده : ويقال : وسيع ودحرض ماءان ثنّاهما بلفظ الواحد كما يقـال القمران ، قال ابن بري : الصحيح ما قاله أخيرًا وهو قول أبي الطيّب ؛ وحكي عن أبي محمد الأعرابي المعروف بالأسود : الدُّحْرضان هما دحرض ووسيع ، وهما ماءان : فدحرض لآل الزبرقان بن بدر ، ووسيع لبني أنف الناقة .

(٣) وجاء في التاج (كير) : الكير جبل بالقرب من ضَريّة ، وهو جبل أحمر فارد قريب من إمّرة في ديار غنيّ ، قال عروة بن الورد :

إذا حلّت بأرض بني غنيّ وأهلك بـين إمّرة وكيرِ

(٤) وفي ق (النعيم) : والأنعمان واديان ، أو هما الأنعم وعاقل : أي على التغليب ، ولعل (الاناعم والاناعمـة) باعتبار ما يجاور من المواضع ومثله كثير .

أراد : من مَبْرَكٍ ومُناخٍ ،

والمَوْصِلان : المَوْصِلُ والجزيرة، قال الفرّاء أنشدني رجلٌ من طَيّئ :

١٨ فبَصْرَةُ الأزْدِ منّا فالعِراقُ لنا والمَوْصِلانِ ومنّا مِصْرُ والحَرَمُ

وقال الأصمعيُّ في قول العجّاج :

١٩ بينَ ثَبيرَيْنِ بجَمْعٍ مُعْلَمِ

قال يريد حِراءً وثَبيرًا[1] ،

وقال الأحمرُ : سأل أعرابيٌّ عن رجل يُقال له : غُصَيْنٌ وأخٍ لهُ ، فقال : ما فعل الغُصَيْنان ؟ فغلَّبَ أحدَهما على الآخر ،

وقال أبوعبيدة : الأُصُلان[2] : الغداةُ والعَشِيّ ، وإنّما الأُصُل اسمُ العَشِيّ ، فغُلِّب على اسم الغَداة ، قال :

والمَسَيان : الصَّباح والمساء ، قال أبو الطيِّب : وكان الواجبُ أن يقال : المساءان ، إلاّ أنّه كذا حكاه كأنه تثنية مقصور ،

(١) وفي ل (ثبر) : وثَبير جبل بمكة ، وهي أربعة أثْبِرةٍ : ثبير غيناء وثبير الأعرج وثبير الأحدب وثبير حِراء .

(٢) الأُصُل ج أصيل بمعنى العشيّ ، وفي ل (اصل) : ويجوز أن يكون أُصُل واحدًا كطُنُب ، وليس (الأُصُلان) بمعنى الغداة والعشي في القاموس والصحاح ولا اللسان ، وليس بيت الفرزدق هذا في الديوان .

والصَّباحانِ : الصَّباح والمَساء ،

والغَـدَوانِ : الغَداةُ والعَشيّ ،

واللَّيلانِ : الليل والنهار ،

والفُراتانِ[١] : الفُرات ودِجْلةَ قال الفرزدق :

٢٠ حَوارِيَّةٌ بين الفُراتين دارُها لها مَقعدٌ عالٍ بَرودُ الهَواجرِ

والمَطَران : المطرُ والرّيح ، قال أبوعبيدةَ تقول العربُ : هاج المطرانِ : أي المطر والريح ، و ـ البردُ بالمطرينِ : أي بالمطر والريح ، وأنشد للهذليّ[٢] :

٢١ وبالمطرينِ يأذَى السَّفْرُ فيها ومنها يُوحشُ البطلُ الأَنيسُ

يأْذَى من الأَذَى ، والأَنيسُ الذي فيها من يُؤنسهُ ،

وقالوا يقال للَّحمة المُتَدَلِّيةِ في وسَطِ الشَّفَةِ العُليا : الطُرْمَةُ ، ولمثلها من الشَّفةِ السُّفلى : التُّرْفةُ ، فاذا ثَنَّيتَهما جميعًا قلتَ : لفلانٍ طُرمَتانِ ، ولم تقلْ : تُرْفتان ، يُغَلِّبون الطُّرْمَةَ على

(١) وفي اللسان والصحاح (فرت) والمزهر (٢ / ١٨٧ دار) : والفُراتان : الفُرات ودُجَيل ، لا دجلة ، ودجيل نهر صغير ينخلـع من دجـلة .

٢) لم نعثر على هذا الشاهد في ديوان الهذليين .

التُّرْفَةِ (١) .

وكانت العربُ في الجاهليَّةِ تُسَمِّي المحرَّمَ وصَفَرَ: المُحَرَّمَينِ والصَّفَرينِ (٢)، قال أبوعُبَيدة: ومنهم من كان يَسَمِّي المحرَّمَ: صفَرَ الأكبرَ، ويُسَمِّي صَفَرًا: المحرَّمَ الأصغرَ.

★★★

هذا بابُ الاثْنَينِ جُمِعا في التَّثْنِية لاتّفاقِ اسْمَيْهما

قال أبوعُبَيْدَةَ العَامِرانِ: عامرُ بن صَعْصَعة وعامر ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة (٣)،

والسَّعْدانِ: سعد بن زيد مَناة بن تميم، وسعد بن مالك

(١) قال ابن المكرم في ل (طرم): والطُّرْمَةُ والطِّرْمة والطُّرْمة: نُتوء في وسط الشفة العليا، وهي في السُّفلى التُّرْفة، فإذا جمعوا قالوا: طُرْمَتَين، فغلَّبوا لفظ الطُّرمة على التُّرفة.

(٢) وجاء في ل (صَفَر): وقول أبي ذُؤَيب:

أقامت به كمُقام الحَنيف شَهْرَيْ جُمادى وشَهْرَيْ صَفَرْ

أراد المحرَّم وصفرًا، فإذا جمعوه مع المحرَّم قالوا صفران؛ وحكى الجوهري في صحاحه (صفر) عن ابن دريد: الصَّفَران شهران من السَّنة سُمي أحدهما في الإسلام المحرَّم.

(٣) والعامران أيضًا: عامر بن مالك بن جعفر، وعامر بن الطُّفَيل ابن مالك بن جعفر، حكاه السيوطي في مزهره (٢/١٨٧ دار الإحياء) عن ابن السكيت في المثنّى والمكنّى.

ابن زيد مناة بن تميم[١] .

والمَرْوانِ : مَروُ الشّاهجانِ[٢] ومَروُ الرُّوذ قال الشاعر :

٢٢ فلا مُطِرَا المَرْوانِ بعدكَ قَطْرةً ولا اخضرَّ فيها بعدَ عَزْلكَ عودُ

وقال الآخر[٣] :

٢٣ فإنْ تَكُ هامةٌ بِهَراةَ تَزْقو فقد أزْقَيتُ بالمَرْوينِ هامَا

والناظران[٤] : عِرقانِ يَكْتَنِفان الأَنْفَ ،

(١) الجوهري في الصحاح (سعد) : وفي العرب سعود قبائل شتّى منها سعد تميم وسعد هذيل وسعد قيس وسعد بكر قال الشاعر (طرفة بن العبد) :

رأيت سُعودًا من شعوب كثيرةٍ فلم ترَ عيني مثل سعد بن مالك

الأزهري : وأكثرها عددًا سعد بن زيد مناة بن تميم بن ضُبيعة ابن قيس بن ثعلبة ؟ قلت : (وسعد بن مالك) الذي مدحه طرفة هو ثاني السّعدين ابن مالك بن زيد مناة بن تميم .

(٢) وهي مَرو العظمى قَصَبة خراسان ، والنسبة اليها مَرْوَزيّ على غير قياس ، والثوب مَرْويّ على القياس ، وأما (مرو الرُّوذ) فبلدة تبعد عنها بخمسة أيام ، والنسبة اليها مَروُرْذي ومَرُّوذي ، والروذ بالفارسية النهر فمعناها مرو النهر ، ومرو الشاهجان هي التي ذكرها مالك بن الرّيب في قوله :

ولمّا تَراءت عند مرو منيّتي وحلّ بها سُقمي وحانت وفاتيا

(٣) أنشده ابن بَرّي كما في ل (زقا) .

(٤) وفي ل (نظر) : ابن السكيت : الناظرانِ عرقانِ مكتنفا الأنف وأنشد لجرير :

وأَشفي من تَخلُّج كلّ جنٍّ وأكوي الناظرَين من الخُنان

والخنان داء يأخذ الناس والابل أو كالزكام ، وقال أبو زيد : هما عِرقان في مجرى الدمع على الأنف من جانبيه ، وانظر المزهر (٢ / ١٧٥ دار) .

فإذا صارا الى الحَلْقِ فهما الوَريدانِ والوَدَجانِ (١) ،
فإذا اسْتَظْهَرا القَفا فهما الأَخْدَعانِ (٢) ،
فإذا اسْتَبْطنا اللّسانَ فهما الصُّرَدانِ (٣) ،
فإذا انْحَدَرا في العَضُدينِ فهما الأَلَفّانِ (٤) ،

(١) الجوهري ص (ودج) : الودَج والوِداج عرق في العنق ، وهما ودجان ، والجمع أوداج . وفي ل (ودج) الأوداج ما أحاط بالحلق من العروق ، والودَجان : عرقان غليظان عريضان عن يمين ثُغرة النحر ويسارها ، والوريدان بجنب الودَجين .

(٢) وجاء في ل (خدع) والأخدعان عرقان خفيّان في موضع الحجامة من العُنق ، وربما وقعت الشُّرْطة على أحدهما فينزف صاحبه : لأن الأخدع شعبة من الوريد ، والأخادع الجمع ، ومثله جاء في جنى الجنتين ص ١٧ .

(٣) وفي المزهر (٩٤/٢ بولاق) الذي ينقل عن المثنى والمكنى : الصُّرَدان : عرقان مُكتَنفا اللسان ، وجاء مثله في ل (صرد) وأنشد بعده ليزيد بن الصَّعِق :

وأيُّ النّاس أعذر من شآمٍ ... له صُرَدانِ مُنطلِقا اللسانِ

أي ذَرِبان ، قال الليث : الصُّردان عرقان أخضران ــ أي وريدان ــ أسفلَ اللسان فيهما يدور اللسان ومثله في جنى الجنتين ص ٧٠ .

(٤) وفي ل (لفف) والألَفّان : عرقان يَستبطنان العَضدين ، ويفرد أحدهما من الآخر قال :

(إنْ أنا لم أرْوِ فشلّتْ كفّي ... وانقطعَ العرقُ من الألَفِّ)

ليسا في المزهر ، وهما في الجنى (ص ٢٢) وزاد بأنهما في مستَبطن العَضد إلى الذّراع .

فإذا انْحَدَرا في الذراعين فهما الأَكْحلانِ (١) ، فإذا انْحدرا في المَتْنَيْن فهمـــا الأَبْهَران(٢) ، يُروى عن النّبي ﷺ أنه قال : للأَنْصاريَّة : الأُكْلَةَ التي أكلَها ابنُكِ معي لم تزل تُعَادُّني إلى أن انقطَع أبْهَري (٣) . وأنشدَ أبو عُبَيدةَ :

٢٤ عُرَاضاتُ الأباهِرِ والمُؤونِ

والأَباهِرُ جمع أبْهَر ، والمؤون جمع مَأْنَة ، وهي ما حول السُّرَّة ، قال : فإذا انْحَدَرا (٤) إلى الفَخِذين فهما النَّسَيانِ (٥) ، فإذا انْحَدَرا إلى الساقين فهما الصَّافنانِ (٦) ، قال الرَّاجز يصف فرسًا :

(١) قال ابن سيده : يقال له النَّسا في الفخذ ، وفي الظهر الأبهر وقيل الأكحل عرق الحياة يدعى نهر البدن ، وفي كل عضو منه شعبة لها اسم على حدة ، فإذا قُطع في اليد لم يَرقأ الدم ، ليسا في المزهر ، وهما في الجنى (ص ٢٢) عرقان منحدران في الذراعين .

(٢) وفي ل (بهر) : والأبهر عرق إذا انقطع مات صاحبه ، وهما أبهران يخرجان من القلب ثم يتشعّب منهما سائر الشرايين .

(٣) ويروى هذا الحديث في اللسان : مازالت أكلة خيبر تعاودني فهذا أوانُ قطعت أبهري .

(٤) في الأصل : انحدر ، وهو مسند إلى ضمير يعود إلى مثنى .

(٥) وفي النسا ، ومن جعل ألفه منقلبة عن واو قال نَسَوان في تثنيته .

(٦) أبو الهيثم : الأكحل والأبجل والصافن هي العروق التي تفصد ، وهي في الرجل (الساق) صافن ، وفي اليد أكحل ، ابن شميل : الصافن عرق ضخم في باطن الساق حتى يدخل الفخذ .

يَحْتــاجُ أن تُفْتَح بُهْرَتاهُ نعم وأن يُقطع (١) صافِنــاهُ

والعِلْبَاوانِ : عَصبتانِ تَكْتَنِفانِ القَفا (٢) ،

وهما من الفرسَ العُرْشانِ عليهما مَنْبت عُرْفهِ (٣) ،

والمِرْزَمانِ : مِرزمُ الجوزاء ومِرْزَم السِّماكِ (٤) ،

والحَزْنان : حَزْنُ بن خَفاجةَ وحزن بن معاويةَ بن خَفاجَةَ (٥) ،

---

(١) في الأصل تقطع والصافن مذكر .

(٢) العلباء في ل (علب) عصب العنق ، الازهري : الغليظ خاصة ، اللحيـاني : وهو مذكر لا غير ، وهما علباوان يميناً وشمالاً بينهما منبت العنق ، وإن شئت قلت : علبا آن : لانها همزة ملحقة بسرداح شُبهت بهمزة التأنيث التي في حمراء أو بالأصلية التي في كساء ، والجمع العَلابيّ .

(٣) وفي ل (عرش) والعُرشان من الفرس آخر شعر العُرف فوق العلباوين ، وعُرشا العنق لحمتان مستطيلتان بينهما الفقـار ، قال ذو الرّمة الديوان (رقم ٣٠) .

وعبد يغوثٍ يحجل الطيرُ حوله قد احتزّ عُرشيه الحسامُ المذكّرُ

يعني عبد يغوث بن وقّاص المحاربيّ ، وكان رئيس مذحج يوم الكُلاب .

(٤) وفي الصحاح (رزم) هما نجمان أحدهما في الشعرى والآخر في الذراع ، من نجوم المطر والبرد ، وقد يُفرد كما قال اللحياني :

أعـددتُ للمـرزم والذراعيْن فروًا عـكاظيـًّا وأيَّ خُفـّيْن

واطلع المحبيّ على مثنىً أبي الطيّب ونقل قوله إلى جنى الجنتين ص ١٠٤ .

(٥) الازهري : في بلاد العرب حَزنان : أحدهما حَزن بني يربوع وهو من مرابع العرب فيه رياض وقيعان ، وكانت العرب تقول : مَن تربّع الحَزن وتشتّى الصّمّان وتقيّظ الشرف فقد أخصب ، والحَزن الآخر ما بين زُبالة فما فوق ذلك مصعدًا في بلاد نجد .

والفَرْقَدانِ : هذانِ النجمانِ (١) ،

والقُطْبـانِ : قطْبا الفَلَكِ (٢) ،

والنَّسرانِ : النَّسْرُ الطَّائِرُ ، والنَّسْرُ الواقِعُ

والشِّعْرَيان : الشِّعْرَى العَبورُ والشِّعْرَى الغُمَيْصاء (٣)

والأَجْدَلانِ : مَلِكان من مُلوكِ غَسَّانَ ،

والزُّبانَيـانِ : نَجمان ، وهما زُبانَيا العَقْرب (٤) ،

والمَشْرِقان : مَشْرِقُ الشِّتاءِ ومشْرِق الصَّيْفِ ،

والمَغْرِبانِ : مَغْرِبُ الشِّتاء ومغربُ الصَّيْف، قال الله تَعالى:

(١) الفرقد ولد البقرة ، وفي ل (فرقد) والفرقدان نجمان لا يغربان ، ولكنهما يطوفان بالجَدي ، وقيل هما كوكبان في بنات نعش الكبرى ، يقال : لأبكينَّك الفرقدين أي طولَ طلوعهما فحذف اختصارًا واتساعا .

(٢) الشماليّ والجنوبيّ ، والقُطب قريب من الجَدْي وهو نجم القطب الذي يدور الفلك عليه . قلتُ : وسمعت عرب البادية يطلقون الجديَ على نجم القطب ، وينعتونه بسمار الفلك .

(٣) وقد زعموا انهما أختا سهيل ، والعبور في الجوزاء ، والغُميصاء في الذراع ، وسميت العبور لانها عبرت السماءَ عرضًا وحدها ، وبكت أختها على أثر عبورها حتى غمصت فسميت الغميصاء .

(٤) في الأصل : الزبانِيان بكسر النون ، وهما تثنية زُبَانَى ؛ أبوزيد يقال : زُبانَى وزبانيان وزبانَيات ، وهما قَرنا العقرب ينزلها القمر .

«ربُّ المشرقَينِ وربُّ المغربَين»[١] ،

والسِّماكانِ : السِّماكُ الرَّامِحُ والسِّماكُ الأَعْزلُ[٢]

والبائِعـان : البائِعُ والمُشْتري : لأن المشتري أيضًا بائع ، يُقال : بعتُ الشيء : إِذا اشتَريتَه ، ومنه حَديث النبي ﷺ «البائعانِ بالخيارِ ما لم يَفْترقا»[٣] ، وقال الراجز :

---

(١) وجاء في ل (غرب) : أحد المغربين أقصى ما تنتهي اليه الشمس في الصيف ، والآخر أقصى ما تنتهي إليه في الشتاء ، وأحد المشرقين أقصى ما تشرق منه الشمس في الصيف ، والآخر أقصى ما تشرق منه في الشتاء ، وبين المغرب الأقصى والمغرب الأدنى ١٨٠ مغربًا وكذلك بين المشرقين ؛ قلت : وأمّا قوله تعالى «ياليت بيني وبينك بعد المشرقين» : أي ما بين المشرق والمغرب ، فهو من التغليب .

(٢) وهما نجمان نيّران ، والذي هو من منازل القمر هو الأعزل ، وهو شآمٍ ، سمي أعزل لأنه لاشيء بين يديه من الكواكب ، كالأعزل لا رمح معه وهو من كواكب الأنواء الى جهة الجنوب ، والرامح لا نوء له وهو إلى جهة الشمال ، وهما في برج الميزان ، ويقال إنهما رِجلا الأسد . والنّاظِران : عِرقان يَكْتَنِفان الأنْفَ ، فإذا صارا إلى الحلْقِ فهما الوَريدان والوَدَجانِ ، فإذا استَظْهرا القفـا فهما الأخدَعانِ .

(٣) ورواية اللسان (بيع) للحديث (المتبايعان ...) واقتبس الشاعر من الحديث قوله :

رُدّوا المدوء كما عهدت الى الحشا والمقلتين إلى الكرى ثم اهجُروا
من بعد ملكي ومتمُ أن تغدِروا ما بعدَ فرقة بانعـبنِ تخيُّرُ

٢٦ إِذا الثّرَيّا طَلَعَتْ عِشاء
فَبِعْ لِراعِي غَنَمٍ كِسَاء

أي اشْتَرِها لهُ .

والزابِيان : الزّابي الصّغير والزّابي الكبير ، وهو الذي يسمّى الزّابَ ؛ وإِنّما أَصلُهُ الزّابي [١] ، قال الأخطل [٢] :

٢٧ أتاني، ودُوني الزّابيان كِلاهُما ودِجْلَةُ أنباءٌ أَمَرٌّ منَ الصَّبْرِ

والذّراعان : ذِراعا الأَسَدِ ، وهما الذّراع المَبْسوطة والذّراع المَقْبوضَةُ [٣] .

(١) وفي اللسان : والزابيان نهران بناحية الفرات ، وقيل في سافلة الفرات ويسمى ما حولها من الأنهار الزوابي ، وربما حذفوا الياء فقالوا : الزابان والزاب كما قالوا في البازي باز .

(٢) الديوان ٣٠١ ، برواية اليزيدي عن أبي سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي وبعده :

أتاني بأنّ ابني نِزار تناجيا وتغلبُ أوفى بالوفاء وبالغَدْرِ

ورواية الأصل للعجز (.. من الصَّبِرْ) وفوق الصبر صح .

(٣) المقبوضة هي التي تلي الشام ، والقمر ينزل بها ، والمبسوطة تلي اليمن ، وهي ارفع في السماء وأمدّ من الأخرى ، وربما عدل القمر فنزل بها ؛ والذراعان أيضًا : هَضبتان في بلاد عمرو بن كلاب ، قال الشاعر : « الى مشرب بين الذراعين بارد » ، والذراعان من الانسان من طرف كل مرفق إلى طرف الإصبع الوسطى ، ومن يدي البقر والغنم فوق الكُراع ومنه الحديث : « كان يعجبه الذراعان والكتف » ومن البعير والخيل والبغال والحمير ما فوق الوظيف .

والمَسْجِدانِ : مَسْجِد مَكَّةَ والمدينةِ قال الأَسديُّ .

٢٨ ولنا على الناسِ المكارِمُ كلُّها والمَسْجدانِ كِلاهُما والمِنْبَرُ

وقال الآخر [١] :

٢٩ لكم مَسْجدا اللهِ المَزُورانِ والحصى لكم قِبْصُهُ من بَينِ أَثْرى وأَقْتَرا

ومن هذا الباب العُمَران : فيمن قالَ : إِنَّهما عُمر بن الخطّاب وعمر بن عبد العزيز ، وإِن كان ليس يُعوَّل عليه [٢] ،

والمالِكان : مالكُ بن زيدِ مَناةَ الأَكْبَر ومالكُ بن حَنْظَلَةَ الأَصْغَر ،

وقال الأصمعيُّ : الذُّهلانِ [٣] : ذُهْلُ بن ثَعْلَبَةَ وذُهل ابن شَيْبانَ ،

والخالِدان [٤] : خالدُ بنُ نَضْلَةَ الفَقْعَسيُّ وخالدُ بن قيس

(١) وهو الكُميت يمدح بني أُمَيَّة ، والقِبص العدد ، وقوله (من بين أثرى وأقتر) يريد : من بين رجل أثرى ورجل أقتر ، أي لكم العدد الكثير من جميع الناس المثري منهم والمقتر .

(٢) يدلُّ على ذلك قول معاذ الهرّاء أول الباب الأول ص ٤٣٤ .

(٣) وفي الصحاح (ذهل) وذُهل حيٌّ من بكر ، وهما ذُهلان كلاهما من ربيعة : أحدهما ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عُكابة ، والآخرُ ذهل ابن ثعلبة بن عكابة ؛ قلت : فالثاني على ذلك شقيق شيبان وعمُّ ابنه ذُهل .

(٤) كلاهما من بني أسد ، وابو الأول نَضْلةُ بن الأشتر بن جَحوان ابن فقعس ، والثاني جدّه المضلّل بن مالك بن الاصغر بن منقذ بن طريف ابن عمرو بنُ قعَين .

ابن المُضَلَّل ، قال الشَّاعر (١) :

٣٠ وقَبليَ مات الخالدان كليهما عَميدُ بني حَجْوانَ وابنُ المُضَلَّلِ

والخَراتان : نَجْمانِ من الأَسَدِ (٢) ، قال الشَّاعِر :

٣١ ولم يَنْهَهُمْ كَوْكَبٌ في السَّماءِ نَحسُ الخَراتَينِ والعَقْربُ

والفَوْدانِ والقَرنانِ (٣) : حَرْفا الهامَةِ ،

★★★

(١) هو الاسود بن يعفر كما جاء في ل (خلد) ، قال ابن بَري : صواب إنشاده (فقبلي ...) بالفاء لأنها جواب الشرط في البيت الذي قبله وهو :

فإن يكُ يومي قد دَنا وإخالهُ كواردةٍ يومًا إلى ظِمْءِ مَنْهل

(٢) أي من نجوم الأسد ، وبينهما قدر سوط ، وهما زُبرة الأسد ، قيل سميا الخراتين [من الخرت وهو الثقب] لا نخراتها إلى جوف الأسد ، وقال كراع ل (خرت) : إنهما مُعْتلاّن واحدتها خَراة وأنشد :

إذا رأيت أنجمًا من الأسدْ جبهتَه أو الخراة والكتَدْ

بال سُهيلُ في الفَضيح ففسدْ وطاب ألبانُ اللِّقاح فبردْ

قال ابن سيده في المحكم : فإذا كان ذلك فهو من خري أو من خرو ، وقال : ولا يعرف (الخراتان) إلاّ مثنّى ، وتاء الأصل والتاء الزائدة في التثنية متساويتا اللفظ . اهـ قلت فهما كما يقال : فتاة وفتاتان .

(٣) وجاء في ل (فود) : الفَوْدان [واحدهما فَوْد] قَرْنا الرأس وناحيتاه ، يقال : بدا الشيبُ بفَوْديه ، والفَوْدان : العِدْلان قال معاوية للبيد : كم عطاؤك ؟ قال : الفان وخمسمائة ، قال : مابال العِلاوةِ بين الفَودين !

وهذا بابٌ يفوتُ الإحصاء ، ويدخل فيه :

الأُذُنانِ ، والعَيْنانِ والجبينانِ والحاجبانِ والخدّانِ والوَجْنَتانِ واللَّحْيانِ والعارضانِ وما أشْبَهَ ذلك .

★ ★ ★

﴿ هذا بابُ الاثنين غَلَبَ أحدُهما على نعتِ صاحِبِهِ ﴾

قال أبو عُبَيدةَ : الأسْمَرانِ (١) : الخبز والماء ، والماء ليس بأسمرَ ،

والأسْوَدانِ : التمرُ والماءُ ، والماء ليس بأسْوَدَ ، قال الحرث بن حِلِّزَة :

٣٢ فغزاهُمْ بالأسْوَدَينِ وأمرُ اللهِ بلْغٌ يشقى بهِ الأشقِياءُ

وقالت عائشةُ رضِيَ الله عَنها : لقَد رأيتُنا مع رسول الله ﷺ ، وما لَنا طَعامٌ إلا الأسْوَدانِ : التَّمْرُ والماءُ (٢) .

---

(١) والأسمران : البُرُّ والماء ، والرُّمح والماء ، والماءُ ليس معهما بأسمرَ .

(٢) الاصمعي : الأسودان الماء والتمر ، وإنما الأسود التمر دون الماء ، وهو الغالب على تمر المدينة ، وقال ابن سيده : وعندي أنها (عائشة) انما أرادت الحرّة والليل ، وذلك أن وجود التمر والماء عندهم شِبَع وريٌّ وخصب لا شَصْب ؛ وإنّما أرادت أن تبالغ في شدّة الحال وتنتهي في ذلك بأن لا يكون معها إلاّ الحرّة والليل وهو أذهبُ في سوء الحال من وجود التمر والماء .

والأَخْضَرانِ : البَحْرُ واللَّيْلُ ، واللَّيلُ ليس بأخضَرَ في الحَقيقةِ (١) ،

وقالوا الأَبْيَضانِ : الخُبْزُ والماءُ (٢) ، والخبزُ ليس بأبيضَ في الحقيقةِ ،

ويُقال : اجتمعَ للمرأةِ الأَبْيَضانِ ، قال قومٌ معناه : الشَّحْم والشَّباب ، والشَّبابُ ليسَ بذي لَونٍ .

والبَاكِران : الصُّبْح والمَساءِ ، وإنَّما الباكِرُ في الحقيقة الصُّبْح ، ويقال لهما : الرَّائحان ؛ وإنَّما الرَّائِحُ في الحقيقة المَساءُ ،

★ ★ ★

(١) والأخضر عند العرب أسود : لأنه يبدو للعين كالأسود ، ومنه سواد العراق ، والحديد عندهم أخضر ، وقالوا كتيبة خضراء والليل أخضر في قول ذي الرُّمة :

قد أعسِفُ النازحَ المجهول مَعْسِفُهُ ... في ظلِّ أخضرَ يدعو هامَهُ البومُ

اي في ظل ليل أخضر .

(٢) أو الحنطة والماءُ ، أو الخبز والملح ، وليس من هذا الباب الأبيضان بمعنى الشحم والبياض ، أو الشحم واللبن : إذ لا يغلب أحدهما على نعت صاحبه ، ولا بمعنى الماء واللبن عند ابن السكيت وأنشد [هُذيل الأشجعيّ] :

ولكنه يأتي ليَ الحولُ كاملاً ... ومالِيَ إلاّ الأبيضينِ شرابُ

من الماء أو من دَرِّ وَجْناءَ ثَرَّةٍ ... لها حالبٌ لا يشتكي وحِلابُ

هذا بابُ الاثنينِ جُمِعا في التَّثْنِية لاتّفاقِ نَعْتَيهما

الأَقْهَبانِ : الفيلُ والجاموسُ قال رُؤبة [١] :

٣٣ والأَقْهَبَينِ الفيلَ والجاموسَا

والأَحْمَرانِ : الخمرُ واللَحمُ ، وقال الأَصمعيُّ يقال : أَهْلَكَ النِّساء الأَحمرانِ وهُما : الزَّعْفَرانُ والذّهبُ ؛ فاذا قالوا : الأَحامرةُ أرادوا ثلاثةً وهي : الخمرَ واللّحْمُ والزَّعْفَران

٣٤ قال الشاعِر [٢] .

إِن الأَحامِرَةَ الثَّلاثةَ أَهْلكتْ مالي وكنتُ بهنّ قِدْمًا مُولَعَا
الرّاح واللحمُ السَّمينُ وأَطّلي بالزَّعْفَرانِ فلن أزالَ مُولّعا

وقال أبوعُبَيدةَ يُقال : أهلكَ الرِّجالَ الأَحمران ، وهما : اللّحْمُ والخمرُ ، وأهلَكَ النِّساء الأصفَران وهما : الذّهبُ

(١) يصف نفسه بالشدة ، وقبل هذا المشطور : (ليثٌ يدقُّ الأسدَ الهموسا) والقُهبة كما قال الأصمعيّ غُبرة الى سواد ، وقال ابن الاعرابيّ الأقهب الأبيض الأكدر وأنشد لامرىء القيس :

وأدركهنّ ثانيًا من عِنانه كغَيثِ العَشيِّ الأقهبِ المُتَودّقِ

(٢) الأعشى ، ويروى عجز الاول : (مالي وكنت بها قديماً مولعا) والبيت الثاني : (الخمر ... فلا أزال مولّعا) أي ملوّنا بالزعفران .

والزَّعْفَرانُ ، واجتمع للمرأة الأَبْيَضانِ : الشَّحْمُ والبَياضُ ، وفيه قول آخر قد تقدَّم ،

والأَصْمَعان : الرَّأْيُ الحازِمُ والقَلبُ الذَّكِيُّ ، يُقال : رَأْيٌ أَصْمَعُ وقَلْبٌ أَصْمَعُ (١) ،

والأَيْهمانِ : السَّيْلُ والبَعيرُ المُغْتَلِمُ (٢) ؛ وَيُتَعَوَّذ باللهِ منهما ، وجاء الأَعْمَيانِ أَيضًا ، وأَصْلُ الأَيْهمِ الأَعْمى .

والأَزْهران : الشَّمسُ والقَمَرُ (٣) ،

والأَطيَبانِ (٤) : النَّوم والنِّكاحُ ، ويُقال : الفَمَ والفَرْجُ ، تقول العَربُ : ذهبَ منه الأَطيبان (٤) أي الأَكلُ والنِّكاحُ ،

(١) الأصمعي : الفؤاد الأصمع والرأي الأصمع : العازم الذكيّ .

(٢) هذا عن أهل البادية ، والأيهمان في الحاضرة : السيل والحريق ، وفي المثل : أجرأ من الأيهمين ، قال أبو عبيد : وإنما سُمّي أيهم لأنه مما لا يستطاع دفعه ، ولا ينطق فيتكلم ، ولذا قيل للفلاة يهماء قال الأعشى :

ويهماء بالليل غطشى الفلا ةِ يؤنسني صوتُ فيّادها

وفي كتاب المقصور والممدود : الأيهمان السّيل والليل .

(٣) أي القمران ، والزّهراوان : البقرة وآل عمران كما جاء في الحديث أي المنيرتان .

(٤) يُضرب هذا المثل لمن قد أسنّ قال نَهشل :

إذا فات منكَ الأطيبانِ فلا تُبَلْ متى جاءك اليومُ الذي كنت تحذرُ

وفي الحديث : الأطيبان التمر واللبن .

قال أبوزَيد : والأَبْيَضان (١) : الشَّحْمُ واللَّبَنُ ، وقال ابن الأَعرابي : الأَبيضانِ : الذُّرَةُ والماء وأنشدَ (٢) :

٣٥ الأَبْيضـانِ أَبْرَدا عِظامِي الفَثُّ والماء بلا إِدامِ

وقال الأَصفَران : الذَّهب والطِّيب للنِّساء خاصَّةً ، والأَسْودانِ (٣) : اللَّيْلُ والحَرَّةُ ، قال حجازيٌّ لرجُلٍ

(١) والأبيضان : عرقان في البطن لبياضهما قال ذو الرُّمة :

وأبيضَ قــد كلَّفته بعد شُقَّةٍ تعقَّد منها أبيضـاهُ وحالبُهْ

والأبيضان عرقان في حالب البعير قال هميان بن قحافة :

قريبــة نُدوته من محمضهْ كأنمـا ييجع عِرَقَيْ أبيضهْ

(٢) أنشد أبو زيد ، وذرة البـادية ، وهي (الفَثّ) في الشاهد من أنواع الدُّخْن أو الجـاوَرس ، وفي معجم الألفاظ الزراعية لرئيس مجمعنا العلميّ العربيّ الأمير مصطفى الشهابيّ : أن الجاورس هو نبات حبّي عشبي عتيق من فصيلة النَّجيليّات اسمه الفرنسي Millet commun (Panicum miliaceum) وعن ابن الاعرابي : الفَثُّ حبّ يشبه الجاورس ، وعن ثعلب : من نَجيل السِّباخ ، وقـال أبو منصور : هو حبّ برّي يأخذه الاعراب في المجاعات يدقونه ويختبزونه ، وربما تبلَّغوا به أيّاما .

(٣) مرّ بنا (الأسودان) في الباب السابق ص ٤٥٧ ، وترى خبر هذا الحجازيّ في (المزهر ٢ / ١٧٣) نقله من كتاب المنتى لابن السكيّت ، وروايته : ضاف قوم مُزَبّدًا المدنيّ فقـال لهم : مالكم عندي إلاّ الأسودان ، فقالوا : إنّ في ذلك لَمَقْنَعًا : التمر والماء ... وفي شرح الدُّريدية لابن خالويه : والأسودان [ايضًا] : الحيّةُ والعَقرب ، ومنه الحديث : أقتلوا الاسودين .

استَضَافهُ واللهِ ما عندَنا إلا الأَسْودان ، قال له : خير كثير ، قال: لعلَّكَ تَظنُّهما التَّمْرَ والماء ، واللهِ ماهما إلاَّ اللَّيْلُ والحرَّة !

والأَيهغانِ (١) : النِّكاحُ والشِّبَع ، وهما الأَطيبان أيضًا ،

والأَمَرّانِ (٢) : الجوعُ والعُرْيُ ،

والأَنْكَدان : الثُّكْلُ والحَرْبُ (٣)

والأَصْرَمانِ : الذِّئبُ والغراب (٤) ،

(١) وفي المزهر (١٢) : ويقال : إنهم لفي الأهيغين من الخصب وحسن الحال ، قلت والأيهغان والأَهْيَغان واحد .

(٢) قال ابن خالويه : وحدثنا ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال دعا أعرابي لرجل فقال : أذاقك الله البَرْدين : يعني برد الغنى والعافية ، وماط عنك الامرَّين : يعني مرارة الفقر ومرارة العُرْي ، ووقاك شرَّ الأجوفين : يعني فرجه وبطنه ، وفي الحديث : « ماذا في الأمرَّين من الشفاء » يعني الصَّبر والثُّفاء : وهو حبُّ الرَّشاد .

(٣) والأنكدان أيضًا : مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، ويَربوع ابن حنظلة ، قال بُجير بن عبد الله بن سَلمة القُشيري .

الأنكدان مازنُ ويَربوعْ ها إنَّ ذا اليومَ لَشرٌّ مجموعْ

وأن بُجيرًا هذا أغار يومًا على بني العنبر وغنم ومضى ، فاتبعه قبائل من تميم ولحق به بنو مازن وبنو يربوع ، ولما نظر إليهم وراءه قال : هذا الوجز ، ولهُ قصة في اللسان (نكد) .

(٤) قال ابن السكيت : لأنهما انصرما عن الناس أي انقطعا قال :

ومَوماةٍ يَحار الطرفُ فيها إذا امتنعت عَلاها الأَصْرمانِ

والأصرمان : الليل والنهار لأن كل واحد منهما ينصرم من صاحبه .

والأَعْزرانِ : البحرُ والمَطَرُ ،

والأَعْمَيان[١] : الليلُ والسَّحابُ ، وبعضهم يقول : الأعميان : السَّيلُ والنّار ، وأنشدنا محمد بن عبد الواحد[٢] :

٣٦ ولمّا رأيتكَ تنسَى الصّديقَ ولا قدرَ عندكَ للمُعْدِمِ
وَتجفو الشَّريفَ إِذا ما أَخلَّ وتُدْني الدَّنِيَّ على الدِّرهَمِ
وهبْتُ إِخاءكَ للأعميينِ وللأَثْرمَينِ ، ولم أَظْلِمِ

(١) أو الأيهان وقد مرّا بنا الآن (ص ٤٦٠) وأصل الأيهم الأعمى ، وفي الحديث : تعوّذوا بالله من الأعميين : فسروه في البادية بالسَّيل والفحل الهائج ، وفي الحاضرة بالسيل والنار لأنهما إذا وقعا لا يتقيان موضعًا ولا يتجنّبان شيئًا كالأعمى الذي لا يدري أين يسلك :

(٢) هو شيخ أبي الطيب اللغوي أبو عمر الزاهد ، كما ذكرناه في ترجمة أبي الطيّب في كتاب الإبدال الذي حققناه ونشره المجمع العلميّ العربيّ ، وأنشد ثعلب أيضًا هذا الشعر (ل : ثرم) وصدر البيت الأول على روايته (... تنسى الذّمام) ، ومعنى (أخلّ) في البيت الثاني : احتاج ، والخَلّة الحاجة ، وأصل (الثَّرَم) انكسار السنّ فهو أثرم وهي ثرماء ، والأثرم من أجزاء العروض ما اجتمع فيه القبض والخرم من المتقارب والطويل ، وهذه الأبيات الثلاثة من المتقارب ، وقد وقع القبض فيها كلها : لأنه حذف الخامس الساكن أي نون (فعولن) ، وفصّلنا ذلك في كتابنا (إحياء العروض) ط . الهاشمية بدمشق .

وقال (١) الأَثْرمانِ : الدّهرُ والموتُ ،

والأَخبَثانِ : البول والغائط (٢) ، وقالوا : بل الاخبثان : السَّهَرُ والبَخَرُ ،

والأَعقّانِ : مَخزومٌ وأُمَيَّةُ ،

والأَبرّانِ : تَيْمٌ وزُهْرَةَ ،

والأَصْغَرَان : اللِّسانُ والقلبُ ، يقال : إِنّما المرء بأَصْغَريهِ أي : بلِسانهِ وقَلبهِ ،

والحَبيبانِ : الذّهبُ والفِضّة (٣) ،

(١) أي شيخه أبو عمر الزاهد ، وقلت : وهما الليل والنهار أيضا .

(٢) وفي الحديث : « لا يُصلّيَنّ أحدكم وهو يُدافع الأخبثين » ، والأخبثان أيضا (ل : خبث) : الرَّجيع والبول ، والسّهر والضجر ، والبخَر والسّهر ، وذكر الفرّاء أنهما القيء والسُّلاح ، بضم السين .

والأخبثان هما الأطيبان عند لقمان (الحكيم) وهما القلب واللسان : فقد أعطاه يومًا سيده شاة ليذبحها ويأتيه بأخبث ما فيها ، فأتاه بالقلب واللسان ، ثم أعطاه شاةً أخرى ليذبحها ويأتيه بأطيبها فجاءه بالقلب واللسان أيضًا ، فلمّا سأله سيده عن هذا التناقض قال له في الجواب : إنه لا أخبث منهما إذا خبث الجسد ، ولا أطيب منهما إذا ما طاب !

(٣) أو هما الكتاب ومحادثة الأحباب .

والأَذلاّنِ : الحمارُ والوَتِدُ قال المتَلَمّس (١) :

٣٧ ولن يُقيمَ على خسفٍ يُضامُ به إلاّ الأذلاّن: عيرُ الأَهلِ والوَتِدُ
هذا على الخسفِ مَربوطٌ برُمَّتِهِ وذا يُشَجُّ ولا يَأوِي له أحدُ

أي لا يَرِقُّ ، ويُروى ، فلا يَرْثي .

(للمثنّى بقيّة)

(١) الضُّبَعي من بني ضُبيعة بن ربيعة ، وأخواله بنو يشكر ، واسمه جرير بن عبد العُزّي ويُقال ابن عبد المسيح ، وسُمي المتلمس بقوله :
فهذا أوانُ العِرْض حيًّا ذبابُهُ زنابيرُهُ والأزرقُ المتلمّسُ
وهذان البيتان في الباب السابع من حماسة البحتري من أبيات خمسة هي في كتاب الحماسة (ط بيروت ص ٢٠) : ، قالها في مقتل عمرو بن الحُباب :
إن الهوانَ حمارُ الحيّ يعرفهُ والحرُّ ينكرهُ والرّسْلةُ الأُجُدُ
ولا يُقيم على خسفٍ يُراد بهِ إلاّ الأذلاّنِ : عيرُ الأهلِ والوَتدُ
هذا على الخسفِ معقولٌ برُمّتهِ وذا يُشجّ فلا يبكي لهُ أحدُ
فإنْ أقمتم على ضيمٍ يُراد بكم فإنّ رحلي لكم والٍ ومُعتمَدُ
وفي البلاد إذا ما خفتَ نائرةً مكروهةً عن ولاةِ السّوءِ مُنتقَدُ

نظرة في

معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

الدكتور ا ٠ ل ٠ كليرفيل

نقله الى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط

ومحمد صلاح الدين الكواكبي

(لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب من جامعة دمشق)

-٧-

رقم المصطلح		رقم المصطلح	
٤٦١٧	انحراف عن التدبير الغذائي وأرجح صُدُوف عن الحِمْية (١) ٠	4617	Ecart de régime
٤٧٩١	داء قلب مُضغي ، نَظْم جنيني	4791	Embryocardie, rhythme fœtal

ويُقصد باللفظة الفرنجية الحالة المرضية البادية في بعض علل القلب (وفي التهاب عضلة القلب خاصة) حيث تتساوى الدقتان فيصبح النظم شبيهاً بنظم القلب البادي في الجنين ٠ لذلك درجت على ترجمتها بالقلب الجنيني والنظم الجنيني ٠ أما المضغة فحري بهذه اللفظة أن تخصص بالطور البدائي من الحياة داخل الرحم ، حيث لا قلب ينبض أو يدق ٠

(١) ومن المشهور قول المعري :

صَدَفَ الطَّبيب عن الطعا م وقال ما كله يَضُرّ

وفي اللسان : الصُدوف المَيْل عن الشيء وأصدفني عنه كذا وكذا أمالني .
وحَمَى المريضَ ما يضرُّه حِمْيَة منه إياه واحتمى هو من ذلك وتحمّى امتنع .

٤٧٩٢ علم المُضغة 4792 Embryologie

وأرجح علم الأجنة وأقر مجمع اللغة هذه اللفظة .

٤٩٦٤ تَقوُّس 4964 Ensellure

٤٩٦٥ تَقوُّس قَطَني 4965 Ensellure lombaire

وأرجح (تقعر وتقعر قَطَني) ويراد بهذه اللفظة التشوه البادي في الناحية القطنية من العمود الفقاري بحيث يبدو مقعَّراً [١] وعرفت اللفظة الفرنسية بالتقعر أو الانخفاض مع ارتفاع في الجانبين (واللفظة مشتقة من سرج الخيل Selle) وجاء في ترجمة اللفظة الانكليزية (Hollow - Back) ومعناها الظهر المقعَّر أو المجوَّف . وكلمة تقوُّس تدل على نقيض ذلك وهو الانحناء [٢] .

٥٥٠٥ عَجُزي ، فوق الأمِّ الجافية 5505 Epidural, ale; sus - dure- -mérien, enne

أقول فوق الأم الجافية . أما عجزي فهي نسبة الى العجز وينبغي أن تخصص بترجمة (Sacral) شأن ما فعلته اللجنة في هذه اللفظة ذات الرقم ١١٩٩٠ .

٥٠٦٠ صَرْع ، داء مقدس ، داء هِرَقْلي 6060 Epilepsie, maladie
داء ذو هَلّة ، داء رِبّاني sacrée, herculéenne,
داء من جبل ، داء المنتدى lunatique, mal divin,
saint, de Saint Gilles,
Caduc, comitial, haut mal

وأرجح أن يقال في ترجمة هذه الألفاظ تباعاً : الصَّرْع ، الداء المقدس ،

(١) وما كان منه في الظهر يعرف بالقَمَس .

(٢) ففي اللسان : وشيخ أقوس منحني الظهر ، وقد قوّس الشيخ تقويساً أي انحنى واستقوس وتقوّس ظهره .

الهِرَقْلي ، داء الخُباط [١] ، الداء الإلهي ، داء سن جيل ، داء السقوط [٢] ، داء المنتدى [٣] والداء الكبير [٤] .

٥٠٧٨ صِماخ فوقاني 5078 Epispadias

والصحيح الإحليل الفوقاني . وأقر مجمع اللغة معرباً اللفظة بـ إبسباد (فتح المبال بظهر القضيب) . ففي اللسان : والإحليل والتَّحليل مخرج البول من الإنسان ومخرج اللبن من الثدي والضَّرع ، الإحليل مخرج اللبن من طبي الناقة وغيرها وإحليل الذكر ثُقبه الذي يخرج منه البول وجمعه الأحاليل .

أما الصِماخ فهو الخَرْق الباطن الذي يُفضي الى الرأس (اللسان) .

٥٠٩٢ تَفلية ، ازالة القمل 5092 Epouillage

٥٠٩٣ فلّى نقّى القَمْل 5093 Epouiller

وأرجح أن يقال إبادة القمل ، وأباد القمل ، إذ المراد هنا القضاء على هذه الحشرات بالطرق الكيميائية لا التفلية اليدوية .

٥١١٤ اختبار التَحمُّل ، اختبار الوُسع 5114 Epreuve de surcharge

---

(١) الأصل في هذه اللفظات الدلالة عن الأسماء الكثيرة التي يعرف بها الداء ، فتسميته بالداء المقدس والداء الإلهي مردها إلى الظن بصلته العلوية أو السماوية ، ولفظة (Lunatique) التي جاءت بين الأسماء المترادفة للداء ترجع إلى الظن بصلة بالقمر (نسبة إلى القمر ومنازله) ، كما أن اللفظة ذاتها تشير بين مدلولاتها إلى الصفة الاعتباطية التي يظهر فيها الداء ، وفي الانكليزية تشير اللفظة إلى حالة الجنون ، لذا آثرت أن تكون ترجمتها بالخُباط . فقد جاء في اللسان : والخُباط بالضم داء كالجنون وليس به ، وخبطه الشيطان وتخبّطه مسّه بأذى وأفسده . ويقال بفلان خبطةٌ من مس ، وفي التنزيل كالذي يتخبطه الشيطان من المس أي يتوطئوه فيصرعُه . اه

(٢) ترجمة Caduc وقد اهملته اللجنة .

(٣) لأن المشهور عن الداء إذا اصيب أحدهم به وهو في أحد المنتديات أو المجتمعات أن ينفض المجتمع فوراً ومنه النسبة إليه .

(٤) ترجمة Haut mal وقد أهملته اللجنة أيضاً .

والصحيح اختيار الإثقال أو النوء والتنوّاء [1] . ولفظة التحمل ينبغي حصرها في ترجمة Tolérance شأن ما فعلته اللجنة في ترجمة اللفظة ٥١١٥ (Epreuve de tolérance à l'effort) وكذلك في اللفظة ١٣٤٦٢ Tolérance فترجمتها باحتمال وتحمل .

5194 Erythrocytes non arrivées à maturité, immatures — ٥١٩٤ كريراوات غير بالغة النضوج فجة

وأرجح كريّات حمر غير كاملة . فلا أرى لزوماً للنحت في الكريات الحمر الدارجة على الألسن والنضوج لم أعثر عليه في المعاجم والمستعمل هو النَضْج والنُضْج .

5195 Erythrocytes orthochro- - mique — ٥١٩٥ كُريراوات معتدلة اللون

وأرجح كريات حمر سوية الصباغ . والاعتدال ينبغي تخصيصها لترجمة لفظة neutre .

5195 Erythrocytose primitive maladie d'Eocudero — ٥١٩٨ داء الكُريراوات البدئية داء اسكوديرو

وأرجح داء الكريات الحمر البدئي ، لأن النسبة هنا الى الداء لا الى الكريات .

5199 Erythrœdème, épidémique, dermato - polynévrite, poly névrite pellagroïde , acro -dynie infantile,trophoder - mato-neurose, maladie de Swift - Selter - feer, pink disease, maladie rose — ٥١٩٩ حُمامى خَزَيية وبائية ، التهاب الجلد والأعصاب العديدة ، داء سويفيت سلترفير ، داء وردي

---

(١) في اللسان : وقد أثقله الحِملُ وثقّل الشيء جعله ثقيلاً وأثقله حمّله ثقيلا . وناء بحِمْله يَنُوء نوءاً وتنواء نهضَ بجَهْد ومشقّة .

لقد أهملت اللجنة ترجمة بعض الألفاظ الواردة في النص الفرنسي • وأرجح أن تكون الترجمة كما يلي : وَذَمة احمرارية وافدة ، التهاب الجلد والأعصاب العديدة ، التهاب الأعصاب العديدة نظير البلاغرا ، ألم النهايات الطفلي ، الشُواش العصي الجلدي الاغتذائي ، داء سوبفت سلترفير ، الداء الوردي •

5200 Erythromélie, acrodermatite chronique atrophiante, dermatite chronique atrophiante, maladie de Pick Herxheimer. حُمامى ضُمورية ، التهاب الجلد المنتشر المزمن المضمِّر ، داء بيك هِر كزايمر ٥٢٠٠

وأرجح : احمرار الطَرَف ، التهاب جلد النهاية المزمن المضمِّر ، التهاب الجلد المزمن المضمِّر ، داء بيك هِرْكسهايمر •

5219 Espace semi - lunaire de Traube فُرْجة تراوبَه نصف القمرية ٥٢١٩

والأصح فضاء تراوبه الهلالي •

5252 Estomac مَعِدة ٥٢٥٢

(1) Cardia (١) سُدْفة

والمشهور فؤاد المعدة وقد أقر اللفظة مجمع اللغة •

5277 Etat de mal (Epilepsie) حالة النوبة (صرع) ٥٢٧٧

والترجمة ينبغي لها أن تكون حالة الداء • والأصح أن يقال الصرع الدائم أو المستمر لأن الحالة تمتاز بتواتر نُوَب الصَّرع دون توقُف • وترجمتا اللفظة الانكليزية والألمانية تؤيدان ما ذكرنا •

5333 Eugénie, eugénique, eugénisme علم اصلاح النسل ٥٣٣٣

وأرجح تحسين النسل •

5364 Eunuchisme ٥٣٦٤ خِصاء (تَطَوُّش)

وأرجح الطَوَاشية (مولدة) تاركاً الخصاء ترجمة لِـ (Castration) .

5337 Euphorie ٥٣٣٧ مَرَح ، بَغَز

5338 Euphorique ٥٣٣٧ مَرِح ، بَغِز

وأرجح الإرتياح في الأولى ومرتاح في الثانية . لأنه لا يشترط في هذه الحالة المرضية النفسية أن يبدو العليل مَرِحاً ، وإنما هو يبدي ارتياحاً ورضاء ، مع ما هو مصاب به من حالة غير طبيعية يلاحظها .

5360 Evolutif, ive ٥٣٦٠ مُنَمٍّ

وأرجح تطوري وتكاملي بحسب السياق الذي ترد فيه اللفظة .

5376 Examen d'urine ٥٣٧٦ فحص البول

وأرجح التفسرة ، وقد استعملها الأطباء العرب (١) .

5374 Examen radiologique ٥٣٧٤ فحص إشعاعي

وأرجح فحص شُعاعي تاركاً الإشعاع لِـ Radiation و Radioactivité .

5393 Excitants producteurs d'euphorie ٥٣٩٣ مُنَبِّهات المَرَح، مُبغِزات

وأرجح مثيرات الإرتياح .

5459 Exsanguino - transfusion ٥٤٥٩ نَقْل الدم بالمبادلة

والصحيح نقل الدم مع الاستنزاف ، لأن المراد بهذا المصطلح أن ينقل الدم الجديد الى العليل مع استنزاف دمه الفاسد تماماً .

(١) في اللسان : الفَسْر ، نظر الطبيب إلى الماء ، وكذلك التَفْسِرة ، قال الجوهري وأظنه مولداً ، وقيل التَفْسِرة البول الذي يستدل به على المرض وينظر فيه الأطباء يستدلون بلونه على علة العليل .

5466 Extase — ٥٤٦٦ اختطاف ، انذهال

وأرجح ذَهَل وذُهُول[1] .

5500 Extramural, ale — ٥٥٠٠ خارج النطاق ، خارج الحصار

وأرجح خارج الجدار . لأن المقصود من هذه اللفظة الآفة أو التغير الباديين في الجزء الخارجي من العضو .

5501 Extrasystole, faux. pas du cœur — ٥٥٠١ طليعة الانقباض ، عَثْرة القلب

ودرجت على استعمال الانقباض الخارجي ، لأن الانقباض البادي في القلب في هذه الحال انقباض غير نظامي وغير شرعي يقتحم انقباضات القلب الطبيعية . أما طليعة الانقباض فيستدل منها على بدء الانقباض وأنه سيتلوه انقباض آخر والأمر ليس كذلك .

F

5518 Facies adénoïdien — ٥٥١٨ سِحْنَة شبغديَّة

وأرجح السحنة نظيرة الغدية أو الغُدّانية (المجمع اللغوي) .

5572 Faux - germe — ٥٥٧٢ رجاء ، حمل كاذب ، رَحى عِدارية

وكذلك حَبَل كاذب .

5621 Fermentation alcoolique — ٥٦٢١ اختمار غولي

وارجح التخمر .

5941 Feuilles de digitale — ٥٦٤١ ورق الخثيعيَّة ، حشيشة الكشاتبين

ودعاها الأمير مصطفى الشهابي في معجم الألفاظ الزراعية قِمَعيَّة وديجيتاليس . وإني أرجح تعريب اللفظة بديجيتاليس أو ديجيتال لأننا بحاجة الى أن نشتق

(١) ولم أعثر في اللسان ولا في القاموس على انذهال .

كلمة دَجْتَلَة Digitalisation وسبق للجنة أن عربتها في اللفظة ٤٢٧١ واستعملت الدَّجْتَلة ٤٢٧٢ .

٥٦٨٣ جُذَعَة الليف (النسيج الضام) Fibroblaste 5683

وأرجح الخلية الليفية لأن (Fibrocyte) من مترادفات هذه اللفظة أيضاً .

٥٧٠١ حُمّى زائلة أو يومية Fièvre éphémère ou diaire 5701

والمشهور فيها حمى يوم[1] .

٥٧٣٥ خاثر ، جامس ، عقيد Figé 5735

وأرجح جامد ، لأن أكثر استعمال هذه اللفظة في داء باركنسون حيث يبدو المنظر جامداً (Aspect figé) .

٥٨٠٥ قارورة نُموذجية Flacon échantillon 5805

وأرجح قارورة نموذج ، لأن المقصود هنا احتواؤها على أحد النماذج المأخوذة للفحص ، لا القارورة ذاتها .

٥٨٥٠ إسراع أذيني، خفقة بالإسراع ، خفقة أذينية انقباضية Flutter auriculaire, Tachycardie permanente par Flutter, tachysystolie auriculaire 5850

وأرجح أن تترجم الألفاظ كما يلي : الرَّجَفان الأذيني ، إسراع القلب المستمر بالرجفان ، اسراع الانقباض الأذيني .

٥٨٨٠ جُرَيب غِراف Follicule de Graaf 5880

وأرجح جُرَيب دوغراف .

٥٩٣٤ شكل تحوّل في الجراثيم Forme d'involution (des bactéries) 5934

وأرجح شكل الارتداد (في الجراثيم) .

(١) انظر كامل الصناعة والقانون .

٥٩٤٦ صيغة الدم الكريضية ، مخطط الكريضات | 5946 Formule leucocytaire du sang, leucogramme

وأرجح صيغة الكريات البيض في الدم ، بيان الكريات البيض ، لأن اراءة نسبة الكريات البيض إلى بعضها تكون ببيان كتابي لا بمخطط .

٦٠٤٧ تسرع الضربات القلبية | 6047 Fréquence des battements cardiaque

والأصح تواتر دقتي القلب ، إذ لا تدل لفظة Fréquence على الإسراع .

٦٠٥٤ ابردة (جنسية) | 6054 Frigidité (sexnelle)

وأرجح فتور (جنسي) .

G

٦١٦٧ موات | 6167 Gangrène

والأفضل أن يقال غنغرينا معربة وقد أقرها مجمع اللغة كما ان هـذه اللفظة قد استعملها الأطباء العرب أيضاً ، وأن تترك لفظة موات ترجمـة لـ Sphacèle .

٦١٧٧ غراغر ، غرور ، حمامات فم | 6177 Gargarisme, bains de bouche

والأصح : الغرغرة والغرور ، المضمضة [١] .

٦١٨٤ ألم معدي ، ألم مدفي | 6181 Gastralgie, cardialgie, gastrodynie

---

(١) في اللسان : والغرغرة والتغرغر بالماء في الحلق : أن يتردد فيه ولا يسيغه .
والغرور : ما يتغرغر به من الأدوية مثل قولهم لسوق ولدود وسعوط .
وغرغر فلان بالدواء وتغرغر غرغرة وتغرغراً .
وفي اللسان أيضاً ومضمض الماء في فيه حركه وتمضمض .

وقد أهملت اللجنة ترجمة اللفظة الثالثة ، وأرى أن تكون الترجمة : ألم المعدة ، ألم الفؤاد ، وَجع المعدة (تمييزاً من ألم المعدة) .

6262 Génie épidémique ٦٢٦٢ خاصَّة وبائية

وأرجح خِطَّة الوباء .

6276 Géode ٦٢٧٦ حجر النسر ، حجر البُهْت ، وَقْبة

والكهف أفضل .

6351 Glandes surrénales ٦٣٥١ كظور ، غدد فَوْ ـ كلوين

والأصح الكظران لأنهما اثنان لا ثلاثة .

6356 Glaucome ٦٣٥٦ زَرَق

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة بغلوكوما والزَرَق قد يعني الحالة المصحوبة بالزرقة في أطراف البدن .

6372 Glossodynie, glossalgie ٦٣٧٢ ألم اللسان

وقد أهملت اللجنة اللفظة الثانية وعليه تكون الترجمة : وَجع اللسان وألم اللسان .

6390 Glycosurie meliturie ٦٣٩٠ بيلة سكرية ، تعسلن البول

وأرجح بيلة سكرية وبيلة عَسَلية .

6421 Gonorrhéique ٦٤٢١ تعقيبي ، ذو حرقة بول

وأرجح سَيَلاني نسبة الى داء السيلان وقد أقره مجمع اللغة ولا يشترط فيه حرقة البول .

6484 Granulation ٦٤٨٤ تحثير

وأرجح تحبب لكي تنسجم وترجمة الألفاظ التي تليهـا .

٦٤٨٥ حُبَيبات فائقة التلون ، Granulations métachro - 6485
جُسيمات فائقة التلون - matiques corpuscules
métachromatiques

وأرجح حُبَيْبات مُبَدِّلة الصِّباغ أو اللون ، جُسَيمات مُبَدلة الصباغ أو اللون . ويعنى باللفظة الفرنجية تبدل اللون الطارئ على أحد العناصر الملوَّنة بحيث يصبح اللون فيه غيره في العناصر الأخرى [1] .

٦٤٩٦ ورم حبيبي حول الجَذْر Granulome péri - apical 6496

والصحيح حول القمة إذا أردنا الترجمة الحرفية لهذا المصطلح لأن apex معناها قِمّة .

٦٥٣٤ خَبْطي ، نزلي وافدي Grippal, alc 6534

٦٥٣٥ خَبْطة ، نَزْلة وافدة Grippe 6535

والأفضل أن تعرب اللفظة الأولى بأنفلونزي (وقد أقرها مجمع اللغة) والثانية بانفلونزا . وفي اللسان : والخَبطة كالزُّكمة تأخذ قبل الشتاء ولا أظنها تفيد المعنى المطلوب .

٦٥٣٨ تُرْهوط ، شديد الأكل ، فَيِّد ، Gros mangeur 6538
جرّاف

وأرجح أكول [2] .

(١) الغالب أن تأتي ترجمة الصدر Mété أو Meta بالمتبدل أو المتغير كقولنا : خضاب الدم المتبدل أو اليخضور المتبدل في ترجمة (Méthémoglobine) والانسلاخ أو التحول وهو تبدل الشكل في ترجمة (Métamorphose) وغيرهما . وأرى في ترجمة اللجنة فائقة التلون دلالة عن التلون المفرط لا المتبدّل .

(٢) في اللسان : ورجل أُكَلة وأكول وأكيل كثير الأكل .

H

٦٦١٩ بُنْدُقة الساحرة ، شجرة الحمام 6619 Hamamélis

في معجم الألفاظ الزراعية للأمير الشهابي مُشْتَرِكة ، هامامالِس وإني أرجح التعريب .

٦٦٣٥ بَلاهة 6635 Hébétement

وأرجح بَلادة وفُتور تاركاً البلاهة للفظة Idiotie شأن ما فعلته اللجنة في ترجمة اللفظة الأخيرة الرقم (٧٠٢٣) .

٦٦٦٥ قَطَعٌ (نقص نهاية الطرف) 6665 Hémimélie

ودرجت على ترجمة هذا المصطلح بالطَّرَف النِصفي بمقتضى اشتقاق اللفظة من اللاتينية . ويعنى به التشوه البادي في الحياة داخل الرحم بتوقف النمو من أحد الأطراف ، وظهور الطرف ناقصاً دون أن يشترط في النقص أن يكون في النهاية . أما قَطَعٌ فقد جاء في اللسان والأقطع المقطوع اليد والجمع قُطْع وقُطعان مثل أسود وسودان ويد قَطْعاء مقطوعة وقد قَطَعَ وقَطِع قطعاً والقَطَعَةُ والقُطْعة بالضم مثل الصَلَمة والصُلمة موضع القطع من اليد وقيل بقية اليد المقطوعة . ولا أرى هذه تفي بالمعنى المطلوب .

٦٧٠١ كَبِدي 6701 Hépatique

أقول كَبِدي ومَكْبود .

٦٧٠٤ كُباد خَمَجي وبائي من نمط شبيهٍ بالمصل 6794 Hépatite infectieuse épidémique du type serum homologue

وأرجح : التهاب الكبد الانتاني أو العَفَني الوافد من نموذج المصل المماثل ويعنى بهذا المصطلح نوع من التهاب الكبد بالحمة الراشحة يكون انتقاله بحقن

دم الانسان أو مصله وما حضّر منه متى كان ملوثاً بالعامل الممرض [1] .

والتهاب الكبد أرجحه على الكُباد الذي أفضل تخصيصه بوجع الكبد أو ألمها قياساً على العُصاب والصُداع وغيره . ولفظة الخمج سبقت ملاحظتي عليها [2] ولفظة Homologue تعني مماثل وسياق الترجمة والمعنى في هذا المصطلح يدعو الى استعمال مماثل لا شبيه لأن القصد دم الإنسان ومصله لا ما يشبهه .

٦٧١٠ وراثة واحدة (من) 6710 Hérédité identique (d')

وأرجح وراثة مماثلة لـِ .

٦٧٦٥ مختلف الاقتران ، مختلف الزوجين 6765 Héterozygote

وأرجح اللاقحة المخالفة (معجم الألفاظ الزراعية) .

٦٧٧٢ اهتزاز حدَقي ، كَنَع حدَقي 6772 Hippus, athétose pupillaire

وقد درجت على ترجمة Hippus بتحرك الحدقة لأن هذا المصطلح يعني تراوح حالة الحدقة (والأصح البؤبؤ) بين التوسع والانقباض وعلى ذلك أرجح أن تكون الترجمة : تحرك البؤبؤ ، كَنَع بؤبؤي [3] .

٦٧٨٦ متجانس الجانب ، متجانس الجهة 6786 Homolatéral

وأرجح موافق الجانب .

٦٧٨٩ متجانس الاقتران (الزوجين) 6789 Homozygote

وأرجح اللاقحة المُجانسة (معجم الألفاظ الزراعية) .

---

(١) معجم Blakiston's في شرح لفظة (Hepatitis) .

(٢) انظر إلى الصفحة ٥٩ من الجزء الأول من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) لقد أقر مجمع اللغة ترجمة (Pupille) بؤبؤ وهي كلمة دارجة على ألسنة الناس عامية فصيحة فقد جاء في اللسان : البُؤبُؤ إنسان العَيْن ، وإنسان العين المثال الذي يرى في السواد . والحدَقة السواد المستدير وسط العين وفي المخصص : الحدَقة في العين هي السواد الذي في وسط البياض .

6794 Hôpital de traumatolo- مستشفى الجروح أو الرضوض ٦٧٩٤
-gie, d'accidents مستشفى الطوارئ

وأرجح مستشفى الرضوض ، مستشفى الحوادث .

6797 Hormonal, ale حاثي (هرموني) ٦٧٩٧

6798 Hormones حاثات (هرمونات) ٦٧٩٨

وأرجح أن يقتصر في الترجمة على التعريب هورموني وهورمونات تاركين الحاثات لترجمة (stimulines) .

6807 Hôte, Vecteur ثوي ، ناقل ٦٨٠٧

وأرجح ضيف ، ناقل .

6809 Hôte définitif ثوي مقرر ٦٨٠٩

6810 Hôte intermédiaire, transitoire ثوي متوسط ، عبر ٦٨١٠

وأرجح للأولى ثوي نهائي وفي الثانية ثوي متوسط ، وقتي .

6814 Huile زيت [1] ٦٨١٤

والأفضل دُهن وان يترك الزيت الى عُصارة الزيتون .

6831 Huile d'olive زيت الزيتون ٦٨٣١

والأصح الزَّيْت .

6843 Humeur مِزاج ٦٨٤٣

وأرجح الطَّبْع [2] تاركاً لفظة مِزاج ترجمة لـ Temperament شأن ما فعلته اللجنة في هذه اللفظة (الرقم ١٣١٩٨) .

---

(١) في اللسان: الزَّيْت معروف عُصارة الزيتون ، والزيتون شجر معروف والزيت دُهنه.

(٢) في اللسان : الطَّبْع والطبيعة الخليقة والسَّجيَّة التي جبل عليها الإنسان . مِزاج البدن ما أسس عليه من مِرَّة وفي التهذيب ومِزاج الجسم ما أسس عليه البدن من الدم والمرتين والبَلْغم .

6895 Hydrothorax — ٦٨٩٥ استسقاء غِشاء الجنب

وأرجح استسقاء الصدر وهو الدارج .

6916 Hyperextensibilité — ٦٩١٦ فرط ا َلمبسوطية

وأرجح فرط الانبساط .

6927 Hyperplasie — ٦٩٢٧ تَنسّج مرضي ، استنساج مرضي

وأرجح فرط التكوّن وأقر مجمع اللغة فرط التكوين .

6928 Hyperpyrétique — ٦٩٢٨ مُسمَقر

6929 Hyperpyrexie — ٦٩٢٩ اسمِقرار

وأرجح في الأولى مفرط الحمى وفي الثانية الحمى المفرطة .

6930 Hypersensibilité, hypers-
- thésie, sursensibilité — ٦٩٣٠ فرط حسي ، تحسس

وأرجح الحس المفرط وفرط الحس ، والحس الفائق في ترجمة اللفظات الثلاث تباعاً .

6931 Hypersensibilité aux mé-
-dicaments — ٦٩٣١ فرط تحسس من الأدوية

وأقر مجمع اللغة التحساس من الأدوية .

6932 Hypertension artérielle
hypertonie vasculaire — ٦٩٣٢ فرط توتّر شرياني ، فرط توتر وعائي

وأقر مجمع اللغة تضغاط شرياني ، وأرجح في اللفظة الثانيـة فرط التقوّي العِرْقي لأنه سبق ترجمة tonus بالمقوية .

6934 Hyperthyréose — ٦٩٣٤ دُرَاق مُفرط

وأقر مجمع اللغة فرط الدراقية .

٦٩٣٦ زائد التوتر Hypertonique 6936

وأرجح مفرط التقوي أو المقوية ومفرط التوتر بحسب سياق الترجمة .

٦٩٤٧ نَوْم مُفْتَعَل Hypnoes 6947

ودرجت على ترجمة المصطلح بالنوم المجلوب .

٦٩٦٣ قلة هيولَيات الدم Hypoprotéinémie, hypoproti - - dinémie 6963

وأرجح التعريب فأقول قلة بروتئينات الدم ، وان اللجنة قد ترجمت بهيولى لفظة Protoplasma (اللفظة ١١٠٥٧) ولفظة Plasma (الرقم ١٠٤٤٦) أيضاً .

٦٩٧٦ هَرَع ، شِفاء بالإقناع Hystérie, pithiatisme 6976

٦٩٧٧ هرع العوائد أو الرَّيْع Hystérie des rentes 6977

٦٩٧٨ هَرَعي ، مَهْروع ، هُرِع Hystérique 6978

أقول في ترجمة هذه المصطلحات : هيستريا [١] ، داء الامتثال [٢] أو الامتثالية ، هيستريا الكَسْب ، وهيستريائي .

(للبحث صلة) الدكتور حسني سبح

---

(١) انظر الصفحة ٣٠٠ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) ويعني بهذه اللفظة الحالة المرضية البادية بإمكان حدوث الاضطرابات العصبية إثر الإيحاء وإمكان زوال تلك الإضطرابات بالاقناع . لذا ارجح ترجمتها بداء الامتثال لأن لفظة الإمتثال تفيد المعنيين .

التعريف والنقد

مذكراتي

عن الثورة العربية الكبرى

الدكتور أحمد قدري

ط . دمشق ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٦ م

لقد صدق صديقي المؤلف رحمه الله بما قاله في فاتحة مقدمته أن إيمانه بالوحدة العربية قويّ كإيمانه بالله لا يتحلحل منه ولا يميل ، وان معنى كلمة العروبة عنده أن تنتظم بلدان العرب بأقطارها الناطقة بالضاد فانها كلها أوطانه وبلاده ولها سعيه وجهاده .

وخشي المؤلف ، وعمره قد تقدم والتاريخ يتطور أبداً أن يضيع ما يعرفه عن الثورة العربية الكبرى التي قام بها الحسين بن علي وأعوانه من أنصار الوحدة العربية ، وأن ينحرف التاريخ عن تسجيل الحقائق من أخباره فألف مذكراته هذه ، وهو ممن التحق بالثورة العربية والأمير فيصل في أبي اللّسل (أو الأسل) من مشارف الشام ، وكنت يومئذ من رجال حملته العربية ، ومن أطبائها الذين أبلوا أحسن البلاء حمدي حمودة ومرشد خاطر وعبد العزيز الكنفاني ، فالدكتور قدري يعرف كثيراً من الحقائق عن هذه الثورة ، وكان من الرعيل الأول في العمل القومي للوحدة العربية ، ولذا أرى أن هذه المذكرات من وثائق التاريخ العربي ، وقد تكلم في مقدمتها عن بدء نشوء الفكرة القومية ودواعيها ، وعن تأليف الجمعية العربية الفتاة ، وكان مركزها الأول

بباريس لأن أعضاء هيئتها الإدارية الأولى كانوا طلاباً فيها كعوني عبد الهادي وأحمد قدري ورفيق التميمي ورستم حيدر ومحمد المحمصاني وتوفيق الناطور ، وانضم اليهم الأمير مصطفى الشهابي رئيس المجمع العلمي العربي وصبحي الحسيبي وغيرهم من رجال العرب وشبابهم كالأمير طاهر الجزائري والشيخ كامل القصاب والشهيد الأمير عارف الشهابي الذي حلّف فخري البارودي اليمين بحضوره . وبحث عن جمعية الإخاء العربي والمنتدى الأدبي (١٩٠٩ — ١٩١٥) الذي كان من أقوى العوامل على نشر الفكرة العربية وقد انتظمت في سلك أعضائه ، ورئيسه يومئذ شهيد العروبة المخلص عبد الكريم قاسم الخليل ، وكان من أعضائه سيف الدين الخطيب وسامي المظم ورفيق رزق سلوم واحمد عزة الأعظمي صاحب مجلة المنتدى الأدبي وغيرهم ، وكان موئلاً لطلاب العرب في الآستانة جمع شملهم وأضرم في صدورهم جذوة العروبة ، وبثّ فيهم فكرة الوحدة القومية الكبرى التي أرسل الله لتأييدها رائد العروبة الأكبر في هذا العصر ورئيس الجمهورية العربية المتحدة (جمال عبد الناصر) أنجح الله عمله ، وحقق للعروبة الخالصة أمله .

كذلك بحث عن (جمعية العهد) العسكرية ، وهي جمعية سرية ضمت ضبّاط العرب ، ومن أعضائها ياسين الهاشمي ومولود مخلص وعزيز علي المصري ونوري السعيد وسليم الجزائري ، وكان رئيسها في حلب ياسين الهاشمي رئيس أركان الحرب لفخري باشا قائد الفيلق (١٣) ، وكنت يومئذ ضابط احتياط في حلب ، فانتظمت في سلكها بواسطة الضابط العربي الكبير يحيى كاظم أبو الشرف . ولم تكن هذه الجمعية في حلب قاصرةً على الضباط بل انضمّ اليها رجال مخلصون لعروبتهم في الشهباء أمثال التاجر المحنّك عبد الرحمن عوف ، وبحث أيضاً عن مؤتمر باريس ، وحزب اللامركزية ، والجمعية الاصلاحية البيروتية ، كما بحث عن موقف الحكومة العثمانية من العرب والحجاز بعد مؤتمر باريس ، وعن فرار الشهداء

الأمير عارف الشهابي وعبد الغني العريسي وتوفيق البساط وعمر حمد شاعر العروبة ببيروت والتجائهم الى جبل العرب ، ومنها الى الجوف وأميره يومئذ نوّاف الشعلان ، وقد وصلوا الى الجوف ، وكنت يومئذ قد سبقتهم اليه أنا وأخي الشهيد جلال البخاري ففرحنا بهم الفرح كلّه ، وبعد قليل وصل الى الجوف « دومة الجندل » الشهيد البطل أحمد مريود وخاله ، وبعد وصولهم أوصيتهم أنا وأخي جلال ، بوجوب كتمان حقيقتهم عن نوّاف الشعلان ، لأنه يخشى غائلة جمال باشا إن علم بأن نوافاً آوى اليه أعداء دولته ، ونحن قد كتمنا أمرنا عن نوّاف عملاً بوصية أحمد مريود ، ولم يعمل عبد الغني العريسي بوصيّتنا اجتهاداً منه بأن التصريح أصلح ، وأطلع ثاني يوم الأمير نوافاً على حقيقة اخوانه وأنهم فارّون من جمال باشا ، فأوجس في نفسه خيفة نوّاف ، وأوعز اليهم بالرحيل الى أي جهة يريدونها بايعاز من أبيه نوري الشعلان ، فاختاروا الرحيل الى الحجاز للعمل مع الحسين بن علي وفيصل بن الحسين ، وأمدّهم نوّاف بالزاد والدليل وبمبلغ عشرين ليرة عثمانية ، مع كتاب توصية إلى شهاب شيخ عرب الفقير الذي قلّدته الحكومة العثمانية خفارة السكة الحجازية ، وبعد نحو ستة أيام من رحيلهم بلغوا مضارب الفقير على مقربة من مدائن صالح ، ونزلوا على الشيخ شهاب وأعطوه كتاب نواف الشعلان ، والشعلان والفقير يرجعان الى عنزة فهم أقرباء ، فوعدهم بتدبير أمرهم وطمع بركائبهم فزيّن لهم السفر الى الحجاز بالسكة الحجازية قائلاً : وأرسل معكم من حاشيتي من يركبكم القطار الى المدينة فتنجون من وعثاء الأسفار ، واذا وقع القدر عمي البصر ، فوافقوه ، وذهبوا الى المدائن ، وطبيبها كما علمت من الميدان من عرق تركي ، فعرف عبد الغني العريسي بسنه الذهبية ، لا كما ذكر المؤلف من أن طبيب المحطة عرفهم بضحك الأمير الشهابي ، وأنه كان يعرفه ، ولما تأكّد ذلك أخبر قائد الموقع فأحاط بهم جنده وأرسلهم الى دمشق ومنها ارسلوا الى عاليه .

هذه خلاصة أمرهم كما علمته بعد ذلك من الشهيد البطل أحمد مريود ببغداد ، ومن صديقي الأمير الجليل طاهر الجزائري بدمشق ، ولم يذكر الدكتور قدري في مذكراته (ص ٤٢) رحلة هذه القافلة المجاهدة الى الجوف (دومة الجندل) ومنه الى مدائن صالح فقال ما نصه : «أما الباقون ـ أي الأمير عارف الشهابي وعبد الغني العريسي وعمر حمد وتوفيق البساط ـ فسلكوا طريق الصحراء الى أن وصلوا الى تبوك ، فزيّن لهم شيخ عرب الفقير سلوك طريق السكة الحديدية ، فأخذوا برأيه وركبوا القطار ، إلاّ أنهم بدلاً من أن يتواروا عن الأنظار جلسوا أمام نوافذ القطار ، وحدث أن ضحك الأمير عارف الشهابي فرآهم طبيب المحطة ، وكان يعرف الأمير عارفاً ، فسعى الى أن تعرّف عليـه ، ثم أخبر السلطة المحلية ، فألقوا القبض عليهم وساقوهم الى ديوان حرب عاليه .

إن إغفال المذكرات لرحلتهم الى الجوف بعد فرارهم إلى جبل حوران (جبل العرب) ، ومن الجوف الى المدائن ، هو خطأ تاريخي مخالف للواقع ، فقد عشنا معاً في الجوف نحو اسبوع ، ومعنا الشهيد احمد مريود وخاله وأخي جلال البخاري ، ولم يبق على وجه الأرض من يعرف هذه الحلقة التاريخيـة المفقودة غيري ، هذا نبأ القافلة الأولى ، وأما القافلة الثانية التي أوعز لها نواف بمغادرة الجوف الى أية بقعة يختارونها فتتألف من أحمد مريود وخاله محمد وأخي جلال ، فسلكوا سبيل القافلة الأولى الى مدائن صالح ، واخترت أنا الرحيل الى العراق لأن هذه الرحلة أقل تعرضاً للخطر من الرحيل الى الحجاز ، وفي المدينة فيلق من الجيش التركي فلا فرق بينها وبين دمشق ، وحينما بلغت هذه القافلة الثانية المدائن وقابلوا شهاباً الفقير عرفوا منـه مصير القافلة الأولى فارتدّوا الى الجوف ، وكان نوّاف الشعلان رحل الى أبيه النوري النازل في ظاهر ضمير ، وكنت رحلت مع عرب صليب الى العراق ، ولما بلغوا الجوف

وعلموا برحيل نوّاف الى ضمير لحقوه اليها فوجدوا الأمير طاهراً الجزائري وقد حل ضيفاً على نوري الشعلان مخافةَ عدوان جمال باشا ، وكان نيته السفر الى العراق .

وفي الصفحة (٧٥) يقول : « وقد وصل رضا الركابي بالوقت المناسب للسراي واستلم رياسة الحكم وفقاً للقرار الذي تبلّغه » قال هذا بعد هزيمة الأتراك وخروجهم من دمشق ودخول فيصل عاصمتها في ١٣/١١/١٨ ، وفاته أن يذكر أن القائد العربي الكبير رضا الركابيّ الذي عيّنه الجيش التركي قائداً عاماً للاستحكامات التي فكروا باقامتها حول دمشق دفاعاً عنها ، قد انفصل مع بعض جنده من الجيش التركي وانضمّ الى القوّة الزاحفة من جبل العرب الى دمشق ، في دير علي ، وكنت يومئذ مع هذه الحملة العربية ، وجمعت بينه وبين قوّاد هذه الحملة سلطان الأطرش وابن عمه حسين الأطرش شيخ عنز لا مع الانكليز كما افتراه عليه بعض من يكتبون التاريخ بعواطفهم ، ويوم دخوله دمشق صعد الى قصر الحكومة ، وعلى كرسيّ الحكم الأمير سعيد الجزائري ، فألقيت على لسانه كلمة حماسية ، اقترح الركابيّ أن يكون مطلعها : « قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » ثم سمّاه فيصل الحاكم العسكري العام ، وكان أول ما قام به إعلانه بأن الجيش العربي بقيادة الأمير فيصل العليا سيشنق كل من يجرؤ على الإخلال بالأمن ، وأمر بنصب المشنقة أمام قصر الحكومة ، فاستتب النظام وعادت الأمور الى مجاريها بحزم القائد الركابيّ الكبير وبحسن تدبيره وحكمته ، تغمّده الله برحمته .

وفي الصفحة (٥٠) يذكر أن جمال باشا بعد أن أمر بتوقيف الشهيد عبد الكريم الخليل واعتقال الركن العربيّ أمين لطفي قائد الحامية الاسكندرونية أخذ يبعد المثقفين من ضباط العرب ، وأرسل جميع ضباط الخدمة المقصورة من

خريجي المدارس العالية الى جبهة شناق قلعة ، وفيلق الموصل الى القفقاس وياسين الهاشمي الى جبهة الكربات ...) والحقيقة التاريخية أن جمالاً بعد حفلة النادي العربي بدمشق التي حضرها جمال احتفاء بعبد العزيز شاويش ، وسمع شبان الخدمة المقصورة وبينهم الشهيد جلال البخاري ذو الصوت الرخيم ينشدون في الفترات التي تخللت خطباء الحفلة « نحن جند الله شبان البلاد » وترجمت له ليلتئذٍ صمّم على تمزيق شمل الخدمة المقصورة ، ولم يرسل جميع الضباط الاحتياط الى جبهة شناق قلعة بل فرّقهم بعد هزيمة جيشه الزاحف الى قناة السويس فقذف بعضهم الى الأناضول ، وبعضهم الى حلب وغيرها ، وكنت يومئذ من ضباط الاحتياط فأرسلني الى حلب مع بعض إخواني في الخدمة المقصورة ، وفي حلب انتظمت كما ذكرت في سلك جمعية (اخوان العهد) التي كان ياسين الهاشمي رئيساً لها .

إن أمثال هذه المذكرات التي يتحرى أصحابها ذكر الحقيقة ويخافون عليها من النسيان هي التي تصون تاريخ نشوء الفكرة القومية في العرب ، وتحفظه من أن تشوّه الأباطيل وجهه الجميل ، وبمقابلة بعض هذه المذكرات القومية ببعض يتبيّن وجه الصواب وعلى كلٍّ من عايش أصحاب المذكرات أن يصحّح ما غفلوا عنه وأخطأوا في تقريره ، فسرعان ما تتشوّه الأخبار ، ويطرأ النسيان على الإنسان .

وقد وقع في هذه المذكرات شيء من الخطأ فقد ذكر ص ٣٤ أنه على أثر دخول تركية الحرب سنة ١٩١٤ استقال سليم البستاني من وزارة الزراعة والتجارة ، والمستقيل سليمان البستاني لا سليم ، ومن خطأ التعبير ما جاء في الصفحة (٤٨) متحدثاً عن الشريفين عبد الله وفيصل بما نصه : « وبذلك يكون الأخَان رهينتين في يد جمال باشا » ، وفي الصفحة (٦٥) قال ما نصه : « ولما لاح

الصباح غادرنا القرية قاصدين عنزة قرية حسين الأطرش» والصواب أن قريته (عنز) لا عنزة ، وفي الصفحة (٧٠) : «فأخذناه وابنه محمد معنا الى الأزرق» والصواب محمدا ، وأمثال هذه الهفوات النحوية والتاريخية لا تذهب بما لهذه المذكرات من حسنات ، تغمد الله الصديق المؤلف برحمته بمقدار ما أحب من الخير لأمته .

التنوخي

فقه اللغة

دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية

تأليف الأستاذ محمد المبارك عميد كلية الشريعة بجامعة دمشق

٢٠٤ صفحة من القطع المتوسط ـ مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٠ م

«دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية في تركيب حروفها واشتقاقها ووزنها ومعناها ، في حركتها المتطورة ، تصل بين تراثنا اللغوي والنظرات الحديثة في فقه اللغة وتكشف عن جوانب أساسية من عبقرية اللغة العربية وخصائصها» بهذا الشعار الرائع استهل الأستاذ محمد المبارك كتابه الجديد ، ثم قدمه الى القراء خير تقديم يدفع الى متابعته ، ومسابقة الزمن في قراءته ، وهو حقاً طريف في موضوعه ، رفيع في أسلوبه ، عميق في نظرته ، واضح الأهداف والغايات .

لقد جمع المؤلف ، في صفحات معدودات ، عناصر التقديم وأوجزها أجمل إيجاز ، فقال عن الباعث له على التأليف : «عهدت الي كلية الآداب في عام ١٩٤٩ تدريس فقه اللغة فيها ، فصادف هذا التكليف هوى في نفسي يرجع

الى عهد بعيد ... » ثم حدثنا عن هواه القديم والبيئة التي عاش فيها ، والرجل الذي يدين له - ويدين له أبناء هذا الجيل - بحب العربيـة وتراثها العظيم - أبيه وأستاذنا عبد القادر المبارك - فقال : « كان رحمه الله الكثرة ما عانى من كلام العرب وروى من لغتهم وعرف من سيرتهم وأخبارهم وأولع بأدبهم ، يخيل الى جليسه والمستمع إلى حديثه أنه يصغي إلى واحد من رواة اللغة الأولين وعلمائها المتقدمين » ثم ذكر أسماء المعاصرين ممن اطلع على مؤلفاتهم في العربية أو في اللغات الأجنبية وأفاد منها .

ووصف المؤلف طريقة التأليف التي انتهجها فقال انها : « كانت دراسة اللغة العربية من خلال النظرات الحديثة والأبحاث المقارنة في فقه اللغة دون أن ندخل الضيم على العربية أو نلحق بأصولها وخصائصها غبناً أو ظلماً ، فلم نحاول أن تكون دراستنا تقليداً أو احتذاء لدراسة اللغات الأخرى ، فإن للعربية عبقريتها وخصائصها ، لذلك لم نأخذ من النظرات الحديثة إلا اتجاهها ومناهجها أو بعضها ومسائلها العامة المشتركة بين اللغات » ، ثم ذكر المؤلف المصادر العربية القديمة التي نقل عنها بعض الشواهد مما سبق اليه علماء العربية من نظرات نافذة أو إبداع في البحث ذاكراً أنه يحاول في كتابه تقديم أساس لنظرية شاملة في فقه اللغة العربية في جميع عصورها على طريقة المقارنة والموازنة بين العربية واللغات الحديثة مع قصر الأمثلة غالباً على الفرنسية حتى جاءت أبحاث الكتاب مزيجاً من فقه اللغة العام والمقارن وفقه اللغة العربية » .

على أننا نلاحظ على تقديم الكتاب إغفاله الإشارة إلى سبب تفضيل المؤلف تسمية كتابه « فقه اللغة » على تسميته « علم اللغة » ، حقيقة إن المؤلف أشار إلى ذلك في الصفحة ٣٦ فقال « وإننا باستعمالنا هذه التسمية وإطلاقنا على هذا العلم أحد الاسمين نكون قد جارينا قدماءنا الذين استعملوهما كليهما وأصابوا كل الإصابة في ذلك » ولكننا لا نرى في هذا القول ، بالإضافة إلى أنه جاء

متأخراً ، تعليلاً كافياً بالنسبة لكتاب اختار مؤلفه « طريقة المقارنة والموازنة بين العربية واللغات الحديثة » وجعل « علم اللغة » عاماً يتناول اللغات المعروفة ، فاذا كان خاصاً بلغة من اللغات يتتبع ظواهرها وخصائصها وتطورها وقوانينها سمي حينئذ علم اللغة الخاص كعلم اللغة العربية - ص ٧ » ، وخير تسمية - في رأينا - لمثل هذا الكتاب بمباحثه المقارنة والغاية منها هي « المدخل إلى علم اللغة » أما تعبير « فقه اللغة » فنرى أن يقتصر فيه على المباحث التي عالجها علماء العربية في موضوعه ، وهي ولا شك جزء من « علم اللغة » ، ونحن لسنا من مؤيدي استعمال لفظتي « فقه » و « علم » أو لفظتي « فقهاء » و « علماء » مترادفتين في مواطن يحسن الاقتصار فيها على إحداهما ، كما فعل المؤلف في مواضع كثيرة فهو يقول مثلاً : أورد علماء الصرف وفقهاء اللغة أبنية الجموع وجعلوها أقساماً ، كما أورد علماء اللغة الألفاظ التي شذت عن القاعدة .. ص - ١١٣ » .

ومما لفت نظرنا أثناء مطالعة الكتاب وقوف المؤلف متردداً في أمور مضى زمن التردد فيها ، من ذلك الإجابة على الأسئلة التي تعرض للباحثين في موضوع أوزان الألفاظ وصيغها فهو يقول مثلاً - ص ١٣٢ - « هل لنا أن نأتي بصيغ جديدة ونبتدع أوزاناً مستحدثة لأداء حاجاتنا الفكرية الجديدة ، وما هي الطريقة اذا كان ذلك جائزاً ، وكيف تصاغ هذه الأوزان ؟ وهل لنا أن نحيي صيغاً حكم المتقدمون بجمودها أو موتها ، أو قالوا إنها سماعية لا يقاس على مثالها ، وانما يكتفى بما ورد عن العرب من ألفاظ على وزنها كجمع مفعول على مفاعيل أو جعل (مَفْعَلة) للمكان الذي يكثر فيه الشيء و (فُعال) للأمراض فهل لنا أن نجعلها قياسية ؟ وهل لنا أن نتوسع في معاني الصيغ والأوزان المعروفة فننقلها إلى معان أخرى أو نضيف إلى معناها معنى جديداً ؟ » ويجيب المؤلف على هذا التساؤل قائلاً : « إني سأقف هنا دون الإجابة على هذه الأسئلة لأني أعتقد أن الجواب العلمي عليها سابق لأوانه لأنه يفترض انتهاء البحث في

أصول الأبنية وتطورها والحصول على معرفة واضحة كاملة لحاضرها وماضيها ، أما استعجال الجواب بالاستناد الى ما اتضح لدينا من معرفة وما انفتح أمامنا من آفاق وتجمع لدينا من آراء فذلك ما لا يستطيع المتأمل في هذا البحث أن يجازف بالقائه وان كان الخروج من هذا الموقف أمراً لا بد منه لأننا أمام مشكلة لغوية لا نستطيع إلا أن نحلها على وجه وإن سكتنا عنها لم تسكت الألسنة التي تقول والأقلام التي تكتب لتعبر عن هذه الحياة التي أصبحت غنية بالمعاني خصبة كثيفة معقدة » .

والعصر الذي نعيشه اليوم لا يحتمل التردد في الإجابة عن الأمور التي تساءل المؤلف عنها ، إنما كل ما نحتاجه هو وضع القواعد لاستحداث الصيغ الضرورية وابتداع الأوزان اللازمة لمسايرة الحياة الفكرية ، ونحن لا ننكر جهود العلماء الذين نادوا بوضع كثير من القواعد ، كما لا ننكر قيمة القواعد الهامة التي أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة منذ سنة ١٩٣٤ والتي تشفي بعض غليل النفوس المحبة للعربية [١] ، ومن أهمها القواعد التالية :

١ — « يرى المجمع أن الكلمات التي يستعملها قدماء النحويين والصرفيين وهي : القياس ، والأصل ، والمطرد ، والغالب ، والأكثر ، والكثير ، والباب ، والقاعدة ألفاظ متساوية في الدلالة على ما ينقاس ، وان استعمال كلمة منها في كتبهم يسوّغ للمحدثين من المؤلفين وغيرهم قياس ما لم يسمع على ما سمع ، وأن المقيس على كلام العرب هو من كلام العرب [٢] » .

(١) انظر كتاب المصطلحات العلمية للأمير مصطفى الشهابي رئيس المجمع العلمي العربي ص ٦٢ وما بعدها ، القاهرة ١٩٥٥ — وانظر مقاله عن أهم القرارات العلمية لمجمع اللغة العربية في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ج ٤ م ٣٢ ص ٥٧٧ سنة ١٩٥٧ .

(٢) انظر مجلة مجمع اللغة العربية ج ٤ وشرح الشيخ أحمد الإسكندري للقرار المذكور .

٢ — «قرر المجمع أن يقاس من فَعَل اللازم المفتوح العين مصدر على وزن فُعال الدلالة على المرض [١]» .

٣ — «أقر المجمع أن يصاغ قياساً من الفعل الثلاثي على وزن مِفْعَل ومِفْعَلة ومِفعال للدلالة على الآلة التي يعالج بها الشيء [٢]» .

٤ — «أقر المجمع أن يصاغ للدلالة على الحرفة أو شبهها من أي باب من أبواب الثلاثي مصدر على وزن فِعالة بالكسر [٣]» .

٥ — أقر المجمع أن يقاس المصدر على وزن فَعَلان لفَعَل اللازم المفتوح العين إذا دلّ على تقلب واضطراب [٤]» .

٦ — «أقر المجمع أن جمع الجمع مقيس عند الحاجة كأقوال تجمع على أقاويل [٥]» .

ومما لفت نظرنا أيضاً أن الأستاذ المؤلف عندما بحث في الاشتقاق ـ ص ٦٧ وما بعدها ـ أيد النظرية التقليدية في أن الكلمة العربية ثلاثية الأحرف ، وردّ على القائلين بالثنائية ، وبذلك تابع الأستاذ عبد الله العلايلي في كتابه (مقدمة لدراسة لغة العرب) فقال : «نوافق الأستاذ العلايلي في رأيه السديد الذي يتلخص باستقرار العربية على الأساس الثلاثي واعتبار الأصل الثنائي مرحلة تاريخية لم يعد البحث فيها مجدياً إلاّ ضمن هذا الاعتبار التاريخي» ثم أضاف إلى هذا قوله : «ولكني أرى مع ذلك أن النظرية الثنائية عدا صفتها التاريخية لا تزال في بداية البحث والذين قالوا بها لم يبنوا أبحاثهم على أساس استقراء واسع ولا يكفي لإثبات صحة هذه النظرية في لغة عدد موادها لا ألفاظها تزيد

(١) انظر مجلة مجمع اللغة العربية ج ١ وشرح الشيخ الإسكندري - وانظر تعليق الأمير مصطفى الشهابي في مجلة المجمع العلمي العربي ج ٤ م ٣٢ و ج ٣ م ٣٣ .

(٢) و (٣) و (٤) انظر مجلة مجمع اللغة العربية ج ١ القاهرة سنة ١٩٣٥ .

(٥) انظر مجلة مجمع اللغة العربية ج ٦ .

على ثمانين ألفاً صدقها في عشرات الأمثلة بل في مئات منها » وهذا القول مقبول إلاّ أننا نشعر بأنه يصدم القارئ لوروده بصيغة الاستدراك على تأييد رأي الأستاذ العلايلي من جهة ولأنه لم يحو تنويهاً بجهود بعض العلماء القائلين بالثنائية في خدمة الكلمة العربية .

ويشير المؤلف في مواضع كثيرة إلى علاقة معنى الكلمة العربية بنغمتها الموسيقية ، وإلى أثر النغمة أو الجرس في لفظ بعض الحروف أو إبدالها أو إدغامها ، وإلى آثار التبدلات الصوتية في كثير من اللغات ، وفائدة دراسة ذلك في معرفة علة تباعد لفظ بعض الكلمات في اللغة الواحدة أو في اللغات المتعددة ذوات الأصل الواحد ، ونضيف إلى هذا القول بأن دراسة موسيقا اللفظ قد تنير السبيل إلى معرفة تطور كثير من الكلمات واختلاف لفظها بين قبيلة وقبيلة أو بلد وبلد أو شعب وشعب باختلاف آذانهم الموسيقية الناشئ بفعل الطبيعة الاقليمية أو الجغرافية أو بفعل الوراثة والاعتياد ، كما قد تفيد كثيراً في دراسة أصول الكلمات العربية وخاصة المزيد منها رباعياً كان أو خماسياً ، ومن الأمثلة التي تفيد في تأييد هذا الرأي ما جاء في اللسان في مادة حظظ [1] : « ومن العرب من يقول (حنظ) وليس ذلك بمقصود ، إنما هو غنة تلحقهم في المشدد ، بدليل أن هؤلاء إذا جمعوا قالوا (حظوظ) قال الأزهري : وناس من أهل حمص يقولون (الحنظ) فاذا جمعوا رجعوا الى (الحظوظ) وتلك النون عندهم غنة ، ولكنهم يجعلونها أصلية ، وإنما يجري هذا اللفظ على ألسنتهم في (المشدد) نحو الرز يقولون (الرنز) ونحو أُتْرُجّة يقولون اترنجة » .

والنون التي يشير اليها الأزهري مازالت عند بعض أهل حمص إلى يومنا هذا ، وعجائزها مازلن يطلقن على المدعي العام اسم (المندعي العام) ، وأهل

(١) انظر ج ٧ ص ٤٤٠ من الطبعة الجديدة — وانظر مقال الأب انستاس ماري الكرملي من مجلة مجمع اللغة العربية ج ١ ص ٢٧٥ .

الشام مازالو يقولون (انجاص) بدلاً من (اجاص [1]) ، حتى إن الأب الكرملي يرى أن ألفاظ (الأنجانة [2]) و (الخنزر [3]) و (القنبرة [4]) وهي من لغات العرب أصلها الإجانة والخنزير والقبرة .

ومما يتصل بهذا الرأي مثل في نقل اللغات بعضها عن بعض ، إذ يرى بعض العلماء [5] ان لفظة (العَجِل) ككتف وهي عربية النجار وتفيد معنى السريع الحركة والانتقال نقلها اليونانيون إلى لغتهم هكذا aggelos ولفظوها angelos وأرادوا بها الرسول والملك والروح الذي يعمل بمشيئة الله ، وعن اليونانية انتقلت الكلمة إلى اللاتينية بلفظ angelus ثم إلى الانكليزية بلفظ angel والى الفرنسية بلفظ ange .

ومما جلب انتباهنا في الكتاب أن المؤلف نقل في الصفحة ٨١ عن ابن جني قوله : « نعم ومن وراء هذا ما اللطف فيه أظهر والحكمة اعلى واضح ... »

---

(١) الإجّاص البُرقُوق Prunier ويطلقه الشاميون خطأ على الكمثرى ، انظر معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي طبعة ٢ ص ٥٣٩ – وانظر مقاله « نظرة في المنجد » في مجلة المجمع العلمي العربي ج ٣ سنة ١٩٥٧ ، ويلاحظ أن مؤلف المنجد لم يخطىء في تعريف الإجاص إنما الخطأ كان في تعريفه الكمثراة بأنها الإجاصة ولو أضيف إلى هذا التعريف جملة – عند أهل الشام – ورفع مخرج المعجم الصورة التي زين بها تعريف الاجاص ، لأصبح التعريفان صحيحين وانسجما مع تعريف المعجم للبرقوق بأنه إجاص بري .

(٢) الإجانة والأنجانة المركن وهو اناء تغسل فيه الثياب ، وفي اللسان الإجانة أفصح وقال الجوهري ولا تقل إنْجانة .

(٣) جاء في اللسان في مادة خزر الخنزير من الوحش العادي معروف مأخوذ من الخَزَر (الحَوَل) لأن ذلك لازم له ، وقيل هو رباعي .

(٤) جاء في اللسان القُبَّرة والقُنبَرة طائر يشبه الحُمَّرة والقَنبراء لغة فيها ، ثم قال والعامة تقول القنبرة .

(٥) الأب الكرملي في المقال المشار اليه سابقاً .

وعلق على هذا القول في الهامش قائلاً : « هكذا وردت في طبعة دار الكتب المصرية ولعلها أجلى وأنصع » ونحن نقول « لعلها - أعلى وأصنع - ففي اللسان : رجل صَنع اللسان ولسان صنع ، يقال ذلك للشاعر والكل بيّن . وفي القاموس يقال ذلك لكل بليغ » .

وفي الكتاب بعض التطبيعات أشار المؤلف الى كثير منها ، ومما لم يشر إليه لفظة وردت في قول لأعرابي يعلل اشتقاق لفظة الخيل من الخيلاء : « ألا تراها تمشي العَرَضْنَة خيلاء وتكبراً » فجاءت العرضنة بفتح العين ، وفي اللسان : « العِرَضْنَة الاعتراض في السير من النشاط ، والفرس تعدو العِرضنى والعِرَضْنَة » .

والمؤلف بعد كل هذا مشكور على جهوده العظيمة ، فكتابه جليل الفائدة ، يخدم العربية ، وينير السبيل إلى خدمتها ، لأنه - كما يقول في خاتمته - « دراسة شاملة تعطينا فكرة صحيحة عن اللغة العربية ومزاياها وخط تطورها » .

عدنان الخطيب

أنا والنثر

محاضرات ألقاها الأستاذ شفيق جبري على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية في معهد الدراسات العربية العالية بجامعة الدول العربية

في (١٨٢) صفحة من قطع الوسط ، طبع في القاهرة ، سنة ١٩٦٠

لقد طلع الأستاذ شفيق جبري على الأدب العربي بنوع خاص وطريف من الترجمة الذاتية بكتابيه « أنا والشعر » و « أنا والنثر » . فعهدنا بالترجمة الذاتية أن تكون تأريخ حياة يأخذ شكل اليوميات أو المذكرات أو السرد المسترسل ، أو تكون اعترافات أو قصة أو حكاية أزمة من أزمات النفس الإنسانية في

بحثها عن الحقيقة ، أو تكون ما يشبه كل ذلك . وقد نتعرف من لمحات في هذه الأنواع من التراجم الذاتية طريقة المبدع في إبداعه وأسلوبه في معالجة مادة فنه أو أدبه أو علمه أو فلسفته . ولكن الأستاذ جبري في كتابيه هذين يترجم لنفسه ـ أو يعبر عن تجربته الأدبية في صناعتي الشعر والنثر ـ بأسلوب قريب من النقد الأدبي بما يقتضيه من حد أدنى من الموضوعية .

ففي « أنا والنثر » ، بعد أن يبين أثر المدرسة الذي يوشك أن يكون سيئاً ، يعرض لمطالعاته وتجاربه الأولى في الكتابة ، ثم يستعرض أبواب النثر التي طرقها والتي لم يطرقها : أما الأولى فليكشف عن أسلوبه وطريقته ، وأما الأخرى فليبسط الأسباب التي جعلته يعزف عن ولوجها ، ويعرج خلال ذلك على طريقته في القراءة وولعه باللغة ورأيه بجربة الأدب ، ثم يختم كتابه بذكر مذهبه في النثر .

وما له دلالته الكتب والكتاب الذين كان لهم الأثر الأول والأكبر فيه . ففي العربية نجد ابن المقفع في كليلة ودمنة وابن خلدون في المقدمة ، وفي الفرنسية نجد أناتول فرانس في حديقة أبيقور . فابن المقفع في أسلوبه المحكم المشكوم المثقل بالأفكار ، وابن خلدون في أسلوبه المرسل وعقليته العلمية الموضوعية ، وفرانس في أسلوبه المترقرق الواضح الساخر ، يدلون على ما كان يستهوي الشاب الأديب ، ويطبعون أسلوب أديبنا بطوابعهم ، وربما على نحو واعٍ ؛ وطريقة الأستاذ جبري في القراءة (قراءة القليل مع التدبر والتأمل الطويلين) ، تؤكد ذلك .

فاذا تذكرنا اهتمامه المبكر بحروف التعدية ، وفي ذلك الدليل على التوقف عند المفاصل في التفكير ، وبالتالي في التعبير ، والدقة في الربط ـ وفيه الدليل أيضاً على الميل الى التحليل ومن ثم الى التبويب والتصنيف ؛ ويبرز هذا الميل في كل كتبه النقدية وحتى في كتابيه في الترجمة الذاتية . وتذكرنا أيضاً استمساكه المتورع بروح اللغة ، حتى انه ايزهد ـ وفي هذا مبالغة ـ بالصور الرائعة يعثر عليها في كتب أجنبية اذا رأى أن روح اللغة العربية لا تأتلف معها ـ

أقول : اذا انتبهنا الى كل هذه العوامل والدلائل تجلى لنا أسلوب الأستاذ جبري : الإحكام وقوة البنيان ومجانبة التزويق والوضوح والتصنيف والتبويب والتسلسل المنطقي ، تلك هي الخصائص الأساسية لأسلوب الأستاذ جبري .

وبعد ، إننا متشبثون بوعد الأستاذ أن يضع لنا كتابه الثالث «أنا والناس» وعندئذٍ يبرز لنا الأستاذ جبري في موقفه من الناس والمجتمع والروابط الاجتماعية ، بعد أن استبان موقفه من اللفظة والتركيب والإيقاع العاطفي والصورة والفكرة والمنطق .

تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام

تأليف : الدكتور شكري فيصل

في (٤٩٨) صفحة من قطع الوسط ، مطبعة جامعة دمشق ، سنة ١٩٥٩

موضوع هذا الكتاب الضخم « دراسة تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام » . ولكي يبلغ الدكتور شكري فيصل هذه الغاية كسر الكتاب على ثلاثة أبواب :

خصّ الغزل الجاهلي بالباب الأول منها ، فقسمه الى أربعة فصول : حدّد في الأول مكان الغزل من الشعر الجاهلي ، وعالج في الفصول الثلاثة الأخرى خصائص هذا الغزل من وقوف على الأطلال وعرض لمشاهد التحمل والارتحال ووصف للمحاسن .

وتناول في الباب الثاني الغزل في صدر الإسلام ، فقسمه الى ثلاثة فصول : عرض في الأولين لموقف الإسلام من الحياة العاطفة وبخاصة من الحب وموقفه من الشعر والشعراء ، وعالج في الثالث شعر الخمرة ممثلاً بأبي محجن الثقفي وشعر الغزل ممثلاً بحميد بن ثور الهلالي .

أما الباب الثالث الذي يشغل أكثر من نصف الكتاب فقد درس فيه شعر الغزل في العصر الأموي فقسمه الى خمسة فصول : عالج في الأولين منهما الشعر في هذا العصر والغزل في هذا الشعر ؛ وفي الثالث والرابع عالج الغزل العذري : أسباب نشوئه وماهيته والأحوال النفسية التي يعبر عنها ، ثم جميل بثينة كممثل في حبه وشعره لهذه المدرسة من الشعر ؛ وقصر الخامس ، وهو أطول فصل في الكتاب إذ ينيف في صفحاته على المائة ، على عمر بن أبي ربيعة : حياته وحبه وشعره ـ كممثل ، لا يقارب قمته شاعر آخر ، لما دعاه بالغزل العمري . ويبرر الدكتور فيصل وقفته الطويلة على عمر بأنه يعده رائد مدرسة شعرية ستتطور كثيراً وتتشعب بها الطرق على أيدي الشعراء العباسيين ثم الأندلسيين .

أما النهج الذي نهجه الدكتور في الدراسة فهو البدء بالنصوص وتحليلها بمرونة ثم الانتقال الى النظرة الكلية التي « تلم الأجزاء وتجمع المتشابه وتشير الى النادر وتقع على السمات العامة والملامح المميزة » . والذي دفعه الى اتخاذ هذا النهج ضرورات التعليم الجامعي وما لاحظه على الطلاب من عزوف عن مواجهة النصوص الأدبية وضعف في القدرة على التحليل والتركيب .

اللب في الإسلام والطب

تأليف : الدكتور شوكت الشطي

في (٣٥٣) صفحة من قطع الوسط ، مطبعة جامعة دمشق ، سنة ١٩٦٠

ليس هذا أول كتاب عالج فيه الدكتور شوكت الشطي الطب وتاريخه في الإسلام وعند العرب ، فله قبله بضعة كتب في هذا الموضوع . ولا غرابة

فالدكتور الشطي ـ الى جانب أنه أستاذ الباتولوجيا والنسج والجنين ـ اشتغل بتدريس تاريخ الطب في كلية الطب بجامعة دمشق .

ويحتوي هذا الكتاب على بابين في الطب عند العرب والمسلمين في القرون الوسطى ، والثقافة الإسلامية العربية في العلوم الطبية ، وكل باب ينقسم الى فصول ، وكل فصل الى بحوث ؛ وقد ختم بمجموعة فهارس ، منهـا تذكرة بأطباء العرب والإسلام وحكمائهم مرتبة حسب أحرف المعجم .

أندلسيات شوقي

تأليف : الدكتور صالح الأشتر

في (٢٣٩) صفحة من القطع الوسط ، مطبعة جامعة دمشق ، سنة ١٩٥٩

يعالج الدكتور صالح الأشتر أندلسيات شوقي بأسلوب مستطرف وصحيح . فقد حاول أن يتلبس التجربة التي عاناها شوقي في منفاه . فاصطحب معه ديوانه ومضى الى الأندلس يتتبع خطواته . ولم يلهه ذلك عما تقتضيه الدراسة النقدية من شروط الرجوع الى المصادر وتحقيقها ومقارنتها ، وتحليل آثار الشاعر وتتبع الأطوار التي مرت بها :

فقد قسم كتابه الى تمهيد وثلاثة فصول . بسط في التمهيد منهجه في الدراسة . وتحدث في الفصل الأول عن حياة شوقي في المنفى . وعرض في الفصل الثاني لأدب شوقي في المنفى ، فقسم بحثه الى أقسام ثلاثة : الفكرة الأندلسية عند شوقي قبل المنفى ، آثاره في المنفى ، خصائص أدبه في المنفى . وحين تعرض لآثار شوقي في المنفى وجد أنها تمر بأربع مراحل : الأولى الطريق ، الثانية

الإقامة في برشلونة ، الثالثة الرحلة الى الأندلس ، الرابعة العودة الى مصر .
ولقد رأى ، حين حلل قصائد شوقي وقارنها بنماذجها من الشعر العربي القديم ، أن ليس في شعر شوقي إلا أندلسيتان : السينية ، وموشحة صقر قريش - ولذا قد يبدو أليق بالكتاب عنوانه الفرنسي الموضوع على ظهره من عنوانه العربي .
وأما في الفصل الثالث فقد بين تأثير المتنبي في شاعرية شوقي ، ويحدده بثلاث انعطافات : (١) من شاعر القصر الى شاعر الشعب ، (٢) من شاعر القومية العثمانية الى شاعر العروبة ، (٣) من شاعر الخلافة الدينية الى شاعر الوطنية المصرية . وليس المتنبي وحده بالطبع الذي جعل شوقي يدخل بشعره في هذه المنعطفات ، فهناك أسباب أخرى : كسقوط الخلافة العثمانية وانطواء تركيا على نفسها وعلى حقد لا مبرر له على العرب والنضال ضد الاستعمار الغربي وانتشار فكرة القومية .

علم الغرائز (الفيسيولوجيا)

تأليف : الدكتور محمد شفيق البابا

يقع الجزء الأول منه (الطبعة الرابعة) في (٥٢٧) صفحة من قطع الوسط ، مطبعة جامعة دمشق ، سنة ١٩٦٠

ويبحث هذا الجزء في الأغذية العضوية والفيتامينات والأغذية غير العضوية وجهاز الهضم والدم وجهاز الدوران . وقد اتبع فيه المؤلف ، كما يقول في المقدمة ، « سنن الشمول والايجاز » للتخفيف على المطالع والطالب .

مقام العقل عند العرب

تأليف : قدري حافظ طوقان

في (٢٤٠) صفحة من القطع الصغير ، دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٦٠

منذ أكثر من ربع قرن والأستاذ قدري حافظ طوقان يطالع هذه الأمة ببحوثه التي ينصب معظمها على تراث العرب العلمي • ولذلك ربما كان الأستاذ من أقدر الباحثين على إخراج كتب الخلاصات حول هذا الموضوع بأسلوب سهل التناول •

وكتابه هذا الذي يتناول في أبوابه الخمسة : العقل في الإسلام ، الاجتهاد في الإسلام ، سلطان العقل عند المعتزلة ، مقام العقل عند بعض الفلاسفة والعلماء ، النزعة العلمية في التراث العربي ـ هذا الكتاب هو من هذا النوع من كتب الخلاصات ذات الفائدة الكبيرة في التثقيف العام وحث العقول •

عبد الكريم زهور

حكاية مغترب

تأليف الشاعر الأستاذ جورج صيدح

ديوان من الشعر طبع في « دار مجلة شعر » سنة ١٩٦٠ ببيروت

أول ما يلاحظ قارئ هذا الديوان للأستاذ جورج صيدح الشاعر المغترب هو هذا الإهداء الجميل الذي يطالعك في أولى صفحات الكتاب فقد أهداه الى (كل عربي اللسان والوجدان) ولسنا نستغرب هذه العاطفة العربية الصادقة من شاعر قضى شطراً كبيراً من حياته في البلاد الأميركية لم يفتر أثناءها عن التشوق الى بلاده واللهف على مرابع طفولته وحياته • ولعل الديوان كله

يوشك أن يكون (حكاية) لحياة هذا الشاعر المغترب كما يدل على ذلك العنوان نفسه وعدد صفحات الكتاب يبلغ أربعمائة وأربعاً وخمسين صفحة والطبع جيد واضح الحروف .

قسم الشاعر ديوانه هذا الى فصول تسعة ، وسمّها مواضيع اذا شئت ، واختار لها العناوين التالية : آفاق وأشواق ، حكاية مغترب ، أصداء ، أهواء ، تراويح ، تباريح ، أكياد ، أزباد ، . ولكنك رغم اختلاف تسمية هذه الفصول ، تجد ان أغراض القصائد متقاربة في المعنى ، متشابهة في الفكرة ، وكان من الممكن مثلاً وضع قصيدة (وحشة) التي وردت في فصل (آفاق) الى جانب قصيدة (الخطوة الأولى) التي وردت في فصل (حكاية مغترب) أو الى جوار قصيدة (نسمة الشام) من فصل (أصداء) فالتسمية كما تبدو لنا إذن شكلية لا تدل على فارق أو اختلاف بين أغراض القصائد إلا في القليل النادر منها .

أما اللغة في شعر الشاعر فلغة سليمة تدل على اطلاع وثقافة لغوية . وهذا في رأينا عنصر هام بالنسبة لكل شاعر عربي ، لا سيما إذا كان شاعراً يتوق الى وطنه ويتلهف على عروبته التي أبعدته عنها ظروف طارئة وأحوال جائرة . ولكن الشاعر يتسامح أحياناً في استعمال بعض الألفاظ والاصطلاحات الحديثة التي لم تعتمد على أصل لغوي كاستعماله كلمة (استمزج) وهي كلمة درج على استعمالها أصحاب الدوائر الرسمية بمعنى (أخذ الرأي) وليس لها أصل في المعجم ينطبق على هذا المعنى ، كما جاءت عنده كلمة (شمخ) متعدية وهي لازمة في الأصل والمتعدي منها هو المضعف (شمّخ وتشمّخ) وكذلك كلمة (رصيف) بمعنى الطريق المرصوفة ، وهي أيضاً مولدة حديثة ولم ترد على هذه الصورة في معاجم اللغة . ولكن الشاعر صيدح ، رغم هذه الهنات الهينات محافظ على لغته ، أمين في اختيار التعابير القوية الأصيلة في الكثرة الكاثرة من شعره في هذا الديوان .

وشعره يشتمل على روح عاطفية تحرك النفس وتهيج الشجون ، مع نغمة حزينة صافية كما في قصيدته (هذيان) و (سل المهملات) و (حمائم لبنان) ولعله يذكرنا بالشعراء القدامى الذين وقفوا شعرهم على التشوق والحنين الى الأوطان .

وانظر الى قوله مثلاً :

فرق الجفن عن أخيه ادكاري فرقة الأهل واغتراب الديار
طال ليلي وأبرم النجم سهدي لا تطيق النجوم طول الحوار
ان هذا السكون حرك شجوي والنسيم البليل أشعل ناري
واستبدت بالجسم روحي وهامت لا تراعي للجار عهد الجوار

أو فاستمع الى ما يقول في قصيدته (حنين الى دمشق) :

ذكرتها نائياً والدمع هتان أم تناست بفيها حالما بانوا
في قلبها من ندى أجوائها شيم وفي فؤادي لذاك القلب نيران
شتى الموارد يجري بين أنهرها من الحنو على الأهلين غدران

وأنت كيفما قلبت الديوان تجد شيئاً من هذا (الحنين) الذي يكاد يطغى عليه ويلونه بلونه الحزين وهو حنين عاقل مفكر ، لأنه ينبع من وطنية صادقة ومن شوق الى الوطن عميق صحيح ولا بدع في ذلك فالشاعر صيدح ابن دمشق البار .

وإذن فان شعر هذا الديوان شعر مطرب معجب في صوره وأخيلته ، رغم ما يلوح عليه من محاولة للتجديد ، على عادة شعراء المهجر المتأمركين . وهو يذكرنا بأنداده من أمثال القروي وفرحات ورشيد أيوب وعريضة ، والتجديد في كل شيء صعب المرتقى عسير المنال وإن بلغ شاعرنا فيه مبلغاً يصل الى حد الإعجاب .

أحمد الجندي

آراء وأنباء

تحقيقات لغوية ونحوية

كثيراً ما ترد المجمعَ أسئلةٌ عن صحة تعبيرات لغوية ونحوية ، أو عدم صحتها ، فيجيب المجمع كل سائل بما يراه في موضوع سؤاله .

ولما كانت الأسئلة ترد عفواً وفي تواريخ متباعدة ، كان من المتعذر نشرها في هذه المجلة .

وفي سنة ١٩٥٧ جمع أحد مدرّسي اللغة العربية في إقليم مصر جملةً من التعبيرات المختلف في صحتها ، وبعث بها دفعةً واحدة الى مجمع اللغة العربية في القاهرة ، فأحالها المجمع على لجنة الأصول ، فدرستها واتخذت في كل تعبير قراراً ، ثم أعادتها الى مجلس المجمع لإقرار ما يراه في كل تعبير .

وفي مجلس مجمع اللغة العربية اشترك رئيس المجمع العلمي العربي في مناقشة قرارات اللجنة المذكورة ، وقد رأى اليوم مع لجنة هذه المجلة فائدة في نشر ما استقر الرأي عليه في المجلس الملمع اليه .

وهاكم بعد هذا عـدداً من التعبيرات المذكورة ، مع تصويب السائل ، واحتجاجه للتصويب ، ورأي لجنة الأصول ، وقرار مجلس المجمع فيها :

(١) التعبـير : وليس الإنكليز جادين في الجلاء عن مصر بل هازلين .

تصويب السائل : وليس الإنكليز جادين في الجلاء عن مصر بل هازلون .

احتجاج السائل للتصويب : بل هنا للإضراب وذلك لنفي الخبر . ولذلك لا يجوز نصبه بالعطف لأنه موجب .

رأي اللجنة : ترى اللجنة أن ما ذكر من عدم انتقاض النفي هو في « ما » الحجازية . أما « ليس » فلا يُشترط في العطف على خبرها ألاّ ينتقض النفي . فالتعبير صحيح لا غبار عليه . وهذا رأي جمهور النحاة . ويخالف فريق قليل ، فيجعل « ليس » مثل « ما » .

قرار مجلس المجمع : الموافقة على رأي اللجنة .

(٢) التعبير : لا تجد المشرَّد إلا وقد حُرم رعاية الوالدَين .

تصويب السائل : لا تجد المشرد الا قد حرم رعاية الوالدين .

احتجاج السائل للتصويب : يتعين الربط بالضمير فقط في الجملة الحالية الماضية بعد إلا نحو « ما يأتيهم من رسول إلا كانوا عنه معرضين » .

رأي اللجنة : ترى اللجنة أنه يصح ربط الجملة الحالية الماضوية بالواو على قلة . فقد ورد في الشعر :

نعم امرأً هرمٌ لم تعرُ نائبةٌ إلا وكان لمرتاعٍ بها وَزَرا[1]

وقال بعض النحاة : إنه شاذ (٢٢١ ، ابن عقيل ، حاشية الخضري) . واللجنة لا ترى رأي هؤلاء وفاقاً لمن أجازه من النحاة . وفي الصبان : « وذهب بعضهم الى جواز اقترانه بالواو تمسكاً بقوله . . » ، وأورد البيت السابق .

وفي الرضي ص ٢٣١ ، الجزء الأول : وإذا كان الماضي بعد إلا فاكتفاؤه بالضمير من دون الواو وقد أكثر ، نحو ما لقيته إلا أكرمني ، لأن دخول « إلا » في الأغلب الأكثر على الأسماء ، فهو بتأويل إلا مكرماً لي ، فصار كالمضارع المثبت . وقد يجيء مع « الواو » و « قد » ، نحو قولك ما لقيته إلا وقد أكرمني ، لأن الواو مع إلا تدخل في خبر المبتدأ ، فكيف بالحال كما تقدم . ومثاله : ما رجل إلا وله نفس أمّارة .

---

(١) الوَزَرُ المَلْجأ والمَعْقِل .

(٣) التعبير : كما ثاروا قدماء المصريين .

تصويب السائل : كما ثار قدماء المصريين .

الاحتجاج للتصويب : لا يجتمع فاعلان على فعل واحد .

رأي اللجنة : ترى اللجنة التزام التعبير الأخير ، لا لأنه يترتب عليه الجمع لفاعلين ، بل لأن اللغة الفصيحة جرت على تجريد الفعل حينما يُسند الى الفاعل الظاهر مُثنى أو مجموعا .

قرار المجلس : الموافقة على رأي اللجنة .

(٤) التعبير : كان قانون الإصلاح الزراعي رحمة بهؤلاء الفلاحين البؤساء .

تصويب السائل : ... بهؤلاء الفلاحين البائسين .

الاحتجاج للتصويب : جمع فاعل على فُعَلاء يطرد في وصف مذكر عاقل دال على سجية مدح أو ذم على زنة فَعيل بمعنى فاعل « كرُماء وبخلاء » ، كما كثر في فاعل يدل على معنى كالغريزة ، في مثل عُقَلاء وشعراء وصلحاء ، وشذ في جبناء وسمحاء وحلماء لأنها ليست على الوزنين « فعيل وفاعل » . ومع نص النحاة السالف فقد أجاز المجمع جمع بائس على بؤساء للتوسعة دون احتجاج لتصويب هذا الجواز .

رأي اللجنة : ترى اللجنة أن هذا التعبير قد أجازه المجمع قبل الآن تطبيقاً لقبول السماع من المحدثين (١) .

قرار المجلس : إجازة « البؤساء » .

(٥) التعبير : تبارت مصر مع بعض الفرق الأجنبية .

تصويب السائل : تبارت مصر وبعض الفرق الأجنبية .

(١) كان مجمع اللغة العربية ، قرر قبول السماع من المحدثين مشترطاً درس كل كلمة على حدة ، واتخاذ قرار يجيزها . وكان أجاز كلمة البؤساء التي استعملها الحافظ إبراهيم اسماً لكتاب معروف ترجمه عن الفرنسية .

الاحتجاج للتصويب : تتعين واو العطف هنا لأن الفعل يدل على المشاركة ولا يقع إلا من متعدد .

رأي اللجنة : ترى اللجنة أن كلا التعبيرين جائز . وقد ورد في كتب النحو : استوى الماءَ والخشبَ والخشبُ ، والاستواء مثل التباري .

ويصح أن يقال : اجتمع زيد وعمرو ، واجتمع زيد مع عمرو . وقد أجاز الكسائي وأصحابه : اختصم زيد مع عمرو .

قرار المجلس : الموافقة على رأي اللجنة .

(٦) التعبير : تمكث في القرية ثلاثة شهور .

التصويب : تمكث في القرية ثلاثة أشهر .

الاحتجاج للتصويب : مميز الثلاثة الى العشرة يجب أن يكون جمعاً مكسراً من أبنية القلة ، ولا يكون من أبنية الكثرة إلا فيما أهمل بناء القلة فيه كرجال وجوار ، أو كان له بناء قلة شاذ قياساً كقروء ، وسماعاً كشموع إذ أن أشماعاً قليلة الاستعمال .

رأي اللجنة : ترى اللجنة أن صيغ جمع القلة والكثرة تتبادلان ، فتأتي إحداهما موضع الأخرى مجازاً ، وعلى هذا فكلا التعبيرين صحيح ، وإن كان الأكثر ما رآه الأستاذ صاحب البحث .

قرار المجلس : عندما ناقش أعضاء المجلس هذا الموضوع اتضح أن كثيراً من الكتّاب البارزين لا يتقيدون بقاعدة الكثرة والقلة في الجموع ، وأن في القرآن الكريم نفسه جاء أحياناً جمع القلة مكان جمع الكثرة كما في : « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » . ولذلك وافق المجلس على رأي لجنة الأصول .

(٧) التعبير : المصريون غيورون على وطنهم .

التصويب : المصريون غُيُر على وطنهم .

الاحتجاج للتصويب : فَعول بمعنى فاعل فيما دل على وصف يطرد جمعه على فُعُل بضمتين كصبور وصبر ، وغيور وغير .

رأي اللجنة : درست اللجنة هذا التعبير ، وترى أن اطراد جمع وصف على صيغة لا يمنع أن تُجمع تلك الصيغة جمع مذكر سالماً متى استوفت شروط هذا الجمع . وبناء على هذا يكون كلا التعبيرين صحيحاً على رأي الكوفيين الذين لا يشترطون أن يكون الوصف مما لا يستوي فيه المذكر والمؤنث .

قرار المجلس : الموافقة على رأي اللجنة .

(٨) التعبير : مديريات ومحافظات مصر .

التصويب : مديريات مصر ومحافظاتها .

الاحتجاج للتصويب : الفصل بين المتضايفين هنا غير جائز إذ أنه ليس من المسوغات التي نص عليها النحاة .

رأي اللجنة : درست اللجنة هذا التعبير ، وقد رأت أن التعبير الأول جائز ، وإن كان التعبير الثاني أفصح . واستندت في جواز التعبير الأول الى قول ابن مالك في الألفية :

ويحذف الثاني فيبقى الأول كحاله إذا به يتصل
بشرط عطف وإضافة الى مثل الذي له أضفت الأولا

ومَثَّل الشارح لهذا بقوله : قطع الله يد ورجل من قالها ، على تقدير قطع الله يد من قالها ورجل من قالها .

قرار المجلس : الموافقة على رأي اللجنة .

(٩) التعبير : وكانت المنفعة لهم والمستعمرين .

التصويب : وكانت المنفعة لهم وللمستعمرين .

الاحتجاج للتصويب : لا يكثر العطف على الضمير المخفوض إلا بإعادة الخافض حرفاً كان أو اسماً نحو : قال لها وللأرض ، قالوا نعبد إلهك وإله آبائك .

رأي اللجنة : ترى اللجنة أن أكثر مذاهب النحاة على أنه عند العطف على الضمير المجرور بحرف أو إضافة يجب تكرار الجار . وأجاز بعض النحاة العطف من دون إعادة الخافض . واستدلوا على ذلك بشواهد من القرآن الكريم والشعر . فمما ورد في القرآن :

١ — واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام .

٢ — يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه . قل قتال فيه كبير . وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام .

ومما ورد في الشعر :

فاليوم قد بتّ تهجونا وتشتمنا ... فاذهب فما بك والأيام ِ من عجب

قرار المجلس : الموافقة على رأي اللجنة .

(١٠) التعبير : الأم تُؤَثِّر على أبنائها .

التصويب : الأم تؤثر في أبنائها .

الاحتجاج للتصويب : أثَّر فيه تأثيراً ـ تركَ فيه أثراً (ق) . أثرت فيه تأثيراً ـ جعلت فيه أثراً وعلامة فتأثرَ أي قبلَ وانفعلَ (ص) .

رأي اللجنة الأول : درست اللجنة هذه الكلمة ، ورأت أن التعبير (الأم تؤثر على أبنائها) جائز على معنى التضمين بمعنى تتغلب عليهم .

قرار المجلس : لم يوافق المجلس على رأي اللجنة في جواز هذا التضمين لأن المراد أن الأم تحدث أثراً في الأبناء لا أنها تتغلب عليهم . وعندئذ اقترح أحد أعضاء اللجنة أن يكون رأيها على الصورة الآتية :

رأي اللجنة الثاني : درست اللجنة هذه الكلمة ورأت صواب التصويب وعدم إجازة التعبير (الأم تؤثر على أبنائها) .

فوافق المجلس على ذلك .

(١١) التعبير : أَنِفَ مجالسته لفقره .

التصويب : أَنف من مجالسته .

الاحتجاج للتصويب : أنف منه كفرح أنفاً وأنفةً (محركتين) استنكف (ق) .

رأي اللجنة : تجيز اللجنة كلا التعبيرين ، فقد جاء في لسان العرب أنفه كرهه واجتواه .

قرار المجلس : الموافقة على رأي اللجنة .

(١٢) التعبير : وضع على قبره باقة من الأزهار .

التصويب : وضع طاقة . .

الاحتجاج للتصويب : الباقة من البقل : حزمة منه ، والطاقة تكون من الريحان (ق)

رأي اللجنة : لا مانع من استعمال أحد اللفظين مكان الآخر ، ولو أن التصويب أفضل .

قرار المجلس : الموافقة على رأي اللجنة . وقد لاحظ الأمير مصطفى الشهابي أثناء المناقشة أنه وجد كلمة « باقة » مضافة الى الزهر في كتب قديمة كثيرة منها كتاب الأغاني ولا سيما كتاب نهاية الأرب للنويري وغيرهما ، وذلك خلافاً لما ورد في المعجمات .

(١٣) التعبير : يتبختر بمشيته .

التصويب : يتبختر في مشيته .

الاحتجاج للتصويب : التبختر في المشي . وفلان يمشي البخترية (م) .

رأي اللجنة : الشائع على الألسن يتبختر في مشيته ، وهو تعبير صحيح . ولو استُعمل يتبختر بمشيته لجاز ، وتكون الباء بمعنى في ، ومنه « وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل » .

قرار المجلس : الموافقة على قرار اللجنة ٠

(١٤) التعبير : مَباذِلُ الملك السابق ٠

التصويب : تبذل الملك السابق ٠

الاحتجاج للتصويب : البِذْلة أو المِبْذَلة بكسر أولها ما يمتهن من الثياب ٠ وابتذال الثوب وغيره امتهانه ٠ والتبذل ترك التصاون (م) ٠ وفي الأساس خرج علينا في مَباذله أي في ثيابه الرثة ٠

رأي اللجنة : المباذِل الثياب الرثة ، وليس ما يمنع من إطلاقها على الحالات السيئة التي لا تصون فيها ٠ وعلى ذلك فالتعبيران صحيحان ٠

قرار المجلس : الموافقة على قرار اللجنة ٠ وجاء في محضر الجلسة أن الأمير مصطفى الشهابي لاحظ أن الأمير شكيب أرسلان سمى الكتاب الذي ترجمه عن حياة أناتول فرنس « أناتول فرنس في مباذله » أي في لباس البيت المهمَل ٠ وقد يكون لباساً غير رث ٠

ووافق المجلس على رأي اللجنة في التعبيرات التالية : (١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠)

(١٥) التعبير : بعثت برجالها السياسيين ٠

بعث اليه هدية ٠

التصويب : بعثت رجالها السياسيين ٠

بعث اليه بهدية ٠

الاحتجاج للتصويب : كل شيء ينبعث بنفسه فان الفعل يتعدى اليه بنفسه فيقال : بعثته ٠ وكل شيء لا ينبعث بنفسه كالكتاب والهدية فان الفعل يتعدى اليه بالباء فيقال : بعثتُ به ٠ وأوجز الفارابي فقال : بعثه = أهبَّهُ ، وبعث به = وَجَّهَهُ ٠

رأي اللجنة : من الاحتجاج الذي أورده صاحب التصويب يتضح أنه يجوز بعثتْ برجالها السياسيين أي وجهتهم ، وعلى هذا فكلا التعبيرين صحيح .

(١٦) التعبير : ينبغي علينا أن نتحد .

التصويب : ينبغي لنا أن نتحد .

الاحتجاج للتصويب : انبغى الشيء : تيسرَ وتسهلَ ، وما انبغى لك أن تفعل وما ابتغى وما ينبغي (ق) ، هذا الفعل يستعمل بصيغة المضارع بمعنى الجواز أو الوجوب . ولم يُسمع عن العرب الا مقترناً باللام وهي لغة القرآن : (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) .

رأي اللجنة : ترى اللجنة أن التصويب صحيح إذ معنى لا ينبغي له : لا يليق به ، ولا يصح له . والمولدون استعملوا لا ينبغي بمعنى لا يجب فعدوهـا بعلى . ونصُّ صاحب التصويب على أنها تُستعمل بمعنى الجواز أو الوجوب يحتاج الى إثبات . وعلى أنه اذا صح ما زعمه من أنها تستعمل بمعنى الجواز أو الوجوب كان ذلك مبرراً لتعديتها بعلى .

(١٧) التعبير : بل وفي أيام السلم .

التصويب : بل في أيام السلم .

الاحتجاج للتصويب : بل حرف إضراب ، إذا تلته جملة كان حرف ابتداء ، ومعناه حينئذٍ لإبطال معنى ما قبله . وإذا وليه مفرد كان حرف عطف . ولم يسمع مقترناً مع حرف آخر إلا مع لا فانها تزاد قبل بل لتوكيد الإضراب : (وجهك البدر لا ، بل الشمس .) وعلى هذا لا معنى لوجود الواو في هذا التركيب .

رأي اللجنة : ترى اللجنة أن الأسلوب السليم : بل في أيام السلم ، بغير واو . وجرى على أقلام جماعة من المحدثين ، بل وكان كذا ، يقصدون الى نوع من التوكيد . ويمكن أن يقبل هذا الأسلوب على زيادة الواو على رأي الكوفيين .

(١٨) التعبير : تلاشت جهود مصر في عهد الطغيان .

التصويب : فنيت جهود ... ، أو اختفت ، أو ضعفت .

الاحتجاج للتصويب : الكتابة الحديثة تستعمل الفعل الثلاثي في معنيين الفناء والضعف . وعبارة القاموس : لشا ، خسّ بعد رفعة ، والفعل واوي (ق) ، ولاشاه ملاشاة فتلاشى تلاشياً ضمحله وصيره الى العدم فصار كذلك ، وهما منحوتتان من لا شيء (أقرب الموارد) . وهذا النص فيه غرابة من وجهين : استعمال الفعل ضمحل متعدياً ، وجعل النحت قياسياً في الأفعال أيضاً .

رأي اللجنة : ترى اللجنة أن الرأي الأول قد قبله بعض اللغويين مثل صاحبي القاموس وتاج العروس مادة لشا .

(١٩) التعبير : أجاب على السؤال .

التصويب : أجاب عن السؤال ، أجاب الى السؤال .

الاحتجاج للتصويب : جاوبه مجاوبةً حاوره وأجاب سؤاله . أجابه وأجاب عن سؤاله والى سؤاله ...

رأي اللجنة : ترى اللجنة أن استعمال بعض حروف الجر موضع بعض لنوع من التضمين جائز . وقد ورد استعمال على بدل عن ، ونص على ذلك ابن مالك :

. . . .

وقد مثل لها ابن عقيل بقوله :

اذا رضيت عليّ بنو قشير لعمـر الله أعجبني رضاها

أي إذا رضيت عني .

وترى اللجنة .... والجواب ردّ السؤال ، فأجاب عليه أي ردّ عليه .

وقد أجاز المجمع إنابة حروف الجر بعضها من بعض على سبيل التضمين .

(٢٠) التعبير : نجابه الحقائق .

التصويب : نجبه أو نواجه الحقائق .

الاحتجاج للتصويب : جَبَهَهُ كمنعه ، ضرب جبهتَهُ ، وردَّهُ أو لقيَهُ بما يكره ، والماءَ وَرَدَهُ ولا آلة سقيٍ فلم يكن منه إلا النظر الى وجه الماء ، والشتاءُ القومَ جاءهم ولم يتهيئوا له (ق) . ولعل المعنى الثاني يجيز لنا استعمال نجبه الحقائق أي نلقاها بما نكره ونواجهها كما يجب .

رأي اللجنة : ترى اللجنة أن إغفال المعاجم لذكر بعض المشتقات ليس بمانع من استعمال هذا المشتق ، ففاعَلَ يجيء أحياناً للمبالغة في فَعَلَ ، وأحياناً للتكثير ، فيقال : جَبَهَهُ وجَبَّهَهُ وجابَهَهُ .

ملاحظة : لاحظ بعض أعضاء مجمع اللغة العربية ، أثناء البحث في هذه التعبيرات ، أن لجنة الأصول حاولت أن تجد لكل تعبير ما يجيز استعماله ، حتى لكأن جميع تلك التعبيرات وأوجهها جائزة ومقبولة دونما تمييز . وبناء على هذه الملاحظة الوجيهة قرر مجلس المجمع أن يُكتب الى صاحب الأسئلة بخلاصة رأي اللجنة في كل تعبير ، مع مراعاة التحديد والدقة ، وبيان التعبير الأصح والأصلح .

وهناك تعبيرات أخرى ربما أمكننا نشرها في جزء المجلة التالي لما فيها من فائدة للكتّاب . ومن المعروف أن هؤلاء فريقان فريق المتشددين وفريق المتساهلين . وكلاهما حريص على نموّ لغة الضاد ، ولكن الأول أحرص من الثاني على اتباع القواعد والأساليب العربية السليمة أو الراجحة ، وأكثر منه خشيةً لمغبة التساهل .

مصطفى الشهابي

استدراك

نشرنا في هذا الشهر (كتاب الإبدال) لأبي الطيب اللغوي ، وكتب الينا صديقنا العلّامة الميمني أنه اطّلع على كتاب (تحفة المجد الصَّريح في شرح كتاب الفصيح) للصَّدر أحمد بن يوسف بن عليّ بن يوسف الفِهري اللَّبلي النحوي تلميذ أبي علي الشَّلوبين شيخ أبي حيَّان ، وذكر في مقدمته كتب أئمة اللغة ما نصُّه : ومنها (كتاب الأبدال) لعبد الواحد بن عليّ اللغوي ، والأبدال مضبوطة بفتح الهمزة ، وبعد أن زار الصديق دمشق في هذا الشهر بدعوة من وزارة الثقافة والإرشاد ، شكرته لغيرته على العلم وأهله ، وأخبرته بأن قول الصَّدر اللَّبلي يصدق على أبواب كتاب الإبدال ، كباب الجيم مثلاً لاشتماله على أبدال (ج بدَل) الجيم والحاء والخاء والدّال والذّال والراء والزاي الى آخر حروف الباب؛ وأما (الإبدال) بكسر الهمزة فهو اسم لمبحث التبادل والتعاقب بين الحروف كالقلب والنَّحت والاشتقاق ، وكل من بحث عن إبدال أبي الطيب من أئمة اللغة ضبطوه بكسر الهمزة ، وله في مُزهِر الإمام السيوطي بابٌ خاص ، وكذا سُمّي من قبله (كتاب الإبدال) لابن السكّيت وغيره ، هذا تفسير لأبدال الصَّدر ، ولا منافاة بين أبدال الحروف المتعاقبة وبين مبحث الإبدال بكسر الهمزة إن شاء الله تعالى .

ومن سَهو الطبع ما جاء في خُطبة الكتاب : « الحمدُ لله حمدُ الشاكرين » والأولى (حمدَ) بفتح الدال ، وإن كان لهذا السَهو في الإعراب وجه صحيح ، ومثله ما جاء في فاتحة (كتاب المثنّى) الذي نشرناه في هذا العدد من مجلة المجمع العلمي : (وصحابتِهِ الغرُّ الميامين مدارهُ العرب وفحولُها) على القطع ، وهو صحيح الإعراب ، وإن كان كسر الهاء واللام على الإتباع أجلى وأولى ؛ على أن القطع وترك الإتباع كثير في كلام العرب .

ومن هذا السَّهو في المثنّى شاهد الخالدَين ، فقد جاء في العجز (عميد بني جحوان) بتأخر نقطة الجيم الى الحاء ، والصواب : (جَحوان) .

التنوخي

انشاء مجمع للغة العربية بالجمهورية العربية المتحدة
يندمج فيه مجمعا دمشق والقاهرة

مذكرة
مرفوعة للسيد رئيس الجمهورية
بشأن انشاء مجمع للغة العربية بالجمهورية العربية المتحدة

بعد أن تمت وحدة اقليمي سورية ومصر، وأعلن ميلاد الجمهورية العربية المتحدة اقتضى الأمر توحيد القرارات المنظمة للمؤسسات العامة في كل من الاقليمين، ولذلك أعد مشروع القرار المرفق بانشاء مجمع موحد لعلوم اللغة العربية بالجمهورية العربية المتحدة يندمج فيه المجمعان القائمان في كل من القاهرة ودمشق مع بقاء كل منهما باعتباره مجمعاً فرعاً .

وقد منح المجمع بمقتضى هذا القرار الشخصية الاعتبارية وأفردت له ميزانية مستقلة وكفل له الاستقلال المالي والإداري .

كما حددت أغراضه ورسائله، وعدد الأعضاء وشروط العضوية ومسقطاتها، وهيئات المجمع واختصاصات كل هيئة وسلطات رئيس المجمع ونائبه والأمين العام .

وقد نص على أن تتكون موارد المجمع من الهبات والتبرعات والأوقاف والإعانات التي تقرر له في ميزانية الدولة .

وقد اعتبر القرار أعضاء مجمع اللغة العربية والمجمع العلمي العربي الحاليين في القاهرة ودمشق أعضاء في المجمع الجديد وجعل القاهرة مقره الدائم على أن يجتمع على هيئة مؤتمر مرة على الأقل كل سنة في أحد اقليمي الجمهورية .

ويتشرف وزير التربية والتعليم بعرض هذا القرار مفرغاً في الصيغة التي أقرها مجلس الدولة على السيد رئيس الجمهورية للموافقة عليه وإصداره .

وزير التربية والتعليم
(كمال الدين حسين)

قرار رئيس الجمهورية العربية المتحدة

رقم ١١٤٤ لسنة ١٩٦٠

بإنشاء مجمع للغة العربية بالجمهورية العربية المتحدة

رئيس الجمهورية بالنيابة

بعد الاطلاع على الدستور المؤقت .

وعلى القانون رقم ٤٣٣ لسنة ١٩٥٥ بشأن تنظيم مجمع اللغة العربية

وعلى المرسوم التشريعي رقم ٩٠ الصادر بتاريخ ٣٠ حزيران سنة ١٩٤٧ المتضمن الملاك الخاص للمجمع العلمي العربي والمكتبة الظاهرية .

وعلى ما ارتآه مجلس الدولة .

قــرر

مادة ١ — ينشأ مجمع للغة العربية بالجمهورية العربية المتحدة ويكون هيئة مستقلة ذات شخصية اعتبارية واستقلال مالي واداري ، مقره القاهرة وله فرعان احدهما في القاهرة والآخر في دمشق ورئيسه الأعلى وزير التربيـة والتعليم في الحكومة المركزية .

مادة ٢ — أغراض المجمع ورسائله .

أولاً — الأغراض :

أ — المحافظة على سلامة اللغة العربية والحرص على وفائها بمطالب العلوم والفنون في تقدمها وملاءمتها لحاجات الحياة في العصر الحاضر .

ب — توحيد المصطلحات في اللغة العربية .

ج — الدراسات العربية واحياء تراث العرب في العلوم والفنون والآداب وعلاقة ذلك بتاريخ العرب وآثارهم وحضارتهم وصلتها بالحضارات وأثرها فيها ، وتأثرها بها .

د — بحث كل ما له شأن في تقدم اللغة العربية وما يعهد الى المجمع في بحثه من دراسات ومشروعات ٠

ثانياً — الوسائل

أ — وضع معجمات للغة العربية ونشر بحوث في تاريخ بعض الكلمات وما طرأ على مدلولاتها من تغيير ، وتحديد ما ينبغي استعماله أو تجنبه من الألفاظ والتراكيب ٠

ب — الدراسة العلمية للهجات العربية الحديثة في الأقطار المختلفة ، وللكلمات والأعلام العربية في اللغات الأجنبية وذلك لخدمة الفصحى والبحث العلمي ٠

ج — اصدار المجلات والنشرات لنشر بحوث المجمع وقراراته وما يلائم أعماله المعجمية والثقافية من نصوص ودراسات ومصطلحات ٠

د — توثيق الصلات بالمجامع والهيئات اللغوية والعلمية ٠

هـ — نشر الوثائق والنصوص التاريخية والآثار التي خلفها أدباء العربية وعلماؤها ومفكروها ٠

و — التنويه بأعمال المؤلفين والأدباء وأصحاب البحوث التي تخدم أغراض المجمع ومنح جوائز تشجيعية ٠

ز — الدعوة الى المؤتمرات والمهرجانات والاشتراك فيها ٠

ح — التعاون بين المجمع ودور الكتب الوطنية للانتفاع بما تضمه من النصوص وكتب التراث ٠

ط — اتخاذ غير ذلك من الوسائل لخدمة أغراض المجمع ٠

ي — استصدار قرارات من وزير التربية والتعليم في الحكومة المركزية تكفل اتباع ما ينتهي اليه المجمع من أمر اللغة العربية وألفاظها وتراكيبها ٠

مادة ٣ — يتألف مجمع اللغة العربية للجمهورية العربيــة المتحدة من ثمانين عضواً عاملاً على الأكثر هم :

أ — أعضاء المجمع الفرع بالقاهرة وعددهم لايجاوز أربعين

ب — أعضاء المجمع الفرع بدمشق وعددهم لا يجاوز عشرين

ج — ممثلون للبلاد العربية الأخرى وعددهم لا يجاوز عشرين

مادة ٤ — هيئات المجمع هي :

أ — مؤتمر المجمع ويتكون من أعضاء المجمعين الفرعين وممثلي البلاد العربية

ب — المجمع الفرع في القاهرة

ج — المجمع الفرع في دمشق

د — المكتب الدائم

مادة ٥ — يشترط في عضو المجمع أن تتوافر فيه احدى الصفات الآتية على الأقل :

أ — اطلاع واسع وعميق على علوم اللغة العربية وآدابها وأصالة في البحوث اللغوية والأدبية ٠

ب — انتاج لغوي أو أدبي أو علمي متداول ٠

ج — تخصص في أحد العلوم العصرية مع اتقان للغة أو أكثر من اللغات الأجنبية القديمة أو الحديثة ، واطلاع حسن على قواعد اللغة العربية في الاشتقاق والتصريف والوضع والمصطلحات ٠

د — تخصص وتأليف في تاريخ الأمة العربية أو في آثارها أو في تراثها الأدبي أو العلمي مع التمكن في علوم اللغة العربية ٠

هـ — اهتمام بارز بالمخطوطات العربية والتراث القديم ، والمحافظة عليها مع معرفة واطلاع على علوم العرب ٠

مادة ٦ — ينتخب أعضاء كل من المجمعين الفرعين من بين المرشحين للعضوية ، ويتم الترشيح بتزكيــة اثنين من الأعضاء العاملين بالمجمع الفرع

ولا تكون جلسة الانتخاب صحيحة الا اذا حضرها الثلثان على الأقل من الأعضاء العاملين ويكون انتخاب المرشح صحيحاً اذا حصل على نصف الأصوات على الأقل ، ويكون التصويت سرياً ، ويصدر باعتماد العضوية قرار من رئيس الجمهورية بناء على عرض وزير التربية والتعليم في الحكومة المركزية .

مادة ٧ — يكون انتخاب الأعضاء الذين يمثلون البلاد العربية بترشيح من مكتب المؤتمر ويصوت على الانتخاب سرياً بأكثرية الحاضرين من أعضاء المجمع ويصدر باعتماد العضوية قرار من رئيس الجمهورية بناء على عرض وزير التربية والتعليم في الحكومة المركزية .

مادة ٨ — لكل من المجمعين الفرعين رئيس ونائب رئيس وأمين ، يختارون بالانتخاب السري وبالأكثرية المطلقة من بين أعضائه لمدة أربع سنوات قابلة للتجديد ويصدر باعتماد انتخاب الرئيس قرار جمهوري بناء على عرض وزير التربية والتعليم في الحكومة المركزية ، ويصدر باعتماد انتخاب النائب والأمين قرار من وزير التربية والتعليم في الحكومة المركزية .

مادة ٩ — للرئيس الأعلى للمجمع نائبان هما رئيسا المجمعين الفرعين وللمجمع أمين عام ومكتب دائم ويختار الأمين العام من بين أعضاء المجمع لمدة أربع سنوات قابلة للتجديد بقرار من وزير التربية والتعليم في الحكومة المركزية ويرأس المكتب الدائم .

مادة ١٠ — يجتمع المجمع اجتماعاً عادياً على هيئة مؤتمر بناء على دعوة الرئيس الأعلى مرة على الأقل كل سنة في أحد اقليمي الجمهورية العربية المتحدة ويحدد مع الدعوة مكان الاجتماع وموعده ومدته وجدول أعماله .

ويجوز أن يجتمع اجتماعاً غير عادي في غير الاقليمين بموافقة من رئيس الجمهورية .

مادة ١١ — لا تكون جلسات مؤتمر المجمع قانونية إلا اذا حضرها أكثر من نصف الأعضاء العاملين للمجمعين الفرعين ، وتتخذ قراراته بأغلبية الأعضاء الحاضرين ، واذا تساوت الأصوات رجح جانب الرئيس ·

مادة ١٢ — يختار مؤتمر المجمع بالأغلبية المطلقة بناء على ترشيح أحد فرعيه أعضاء مراسلين من مواطني الجمهورية العربية المتحدة وغيرهم ممن يرى الاستعانة بهم في تحقيق أغراضه ويصدر باعتماد عضويتهم قرار من وزير التربية والتعليم في الحكومة المركزية · وتجوز دعوتهم الى جلسات المؤتمر بموافقة الرئيس الأعلى ولهم حق المشاركة بالرأي والمشورة·

مادة ١٣ — يجوز منح لقب عضو فخري لأعضاء المجمع السابقين أو لمن يؤدي للغة والثقافة العربية خدمات جليلة ، ويصدر بمنح اللقب قرار من رئيس الجمهورية بناء على عرض وزير التربية والتعليم في الحكومة المركزية بعد ترشيح المجمع ·

مادة ١٤ — يختص مؤتمر المجمع بما يأتي :

أ — النظر فيما تم بحثه في المجمعين الفرعين من مصطلحات وألفاظ وقرارات تتصل بمادة اللغة العربية والتراث الثقافي وتوحيد الرأي فيها ·

ب — النظر فيما تم من أعمال المجمعين الفرعين خلال الدورة السابقة واتخاذ قرار فيها ·

جـ — درس ما يعرض على المؤتمر من مقترحات وبحوث ·

د — تقرير مشروعات العمل للدورة القادمة ·

هـ — اقتراح وسائل الاتصال بالمجامع والهيئات العلمية في الأقطار العربية وغيرها ومتابعة نشاطها ·

مادة ١٥ — يكون لكل مجمع من المجمعين الفرعين الهيئات الآتية :

أ — مجلس المجمع ، ويتشكل من الرئيس وجميع الأعضاء .

ب — اللجنة الادارية ، وتشكل من الرئيس ونائبه وأمينه وعضوين ينتخبان لمدة أربع سنوات قابلة للتجديد .

ج — اللجان الدائمة والوقتية ، وتبين اللائحة الداخلية تفصيل ذلك .

مادة ١٦ — يتألف مكتب مؤتمر المجمع من الرئيس الأعلى للمجمع ورئيسي المجمعين الفرعين ونائبيهما والأمينين فيهما والأمين العام للمجمع .

مادة ١٧ — مقر المكتب الدائم القاهرة ويرأسه الأمين العام للمجمع يعاونه عدد من الموظفين الفنيين والاداريين ، والمستخدمين والعمال وترصد درجاتهم ورواتبهم ومكافآتهم في الميزانية .

ويختص المكتب الدائم بما يلي :

أ — تصريف أعمال المجمع ، وتنفيذ قراراته ومتابعتها .

ب — اقتراح مشروع الميزانية .

ج — تنسيق الاتصال بين المجمعين الفرعين .

مادة ١٨ — تعتمد في الميزانية العامة للجمهورية العربية المتحدة اعانة مالية سنوية للمجمع . ومن هذه الاعانة وما يضاف اليها من غلة أموال المجمع الثابتة والمنقولة والاعانات ووفور الإيرادات من السنين الماضية وسائر الإيرادات الأخرى تتكون ميزانية المجمع والمجمعين الفرعين وهي ميزانية مستقلة تجري عليها الأحكام الخاصة بالميزانية العامة وحسابها الختامي .

مادة ١٩ — يعد المكتب الدائم مشروع الميزانية على الأسس الآتية :

أ — مشروع الميزانية الذي يقدمه المجمعان الفرعان .

ب — مشروع ميزانية المؤتمر أو المؤتمرات السنوية للمجمع وفقاً للمقررات وجدول الأعمال ، وما يتطلبه ذلك من نفقات ·

ج — مشروع ميزانية المكتب الدائم

ويتولى مكتب المؤتمر رفع مشروع الميزانية العام الى وزارة التربية والتعليم في الحكومة المركزية ·

مادة ٢٠ — تسقط العضوية :

أ — إذا صدر ضد العضو حكم ماس بالشرف أو الأمانة ·

ب — إذا أصدر مؤتمر المجمع فيما يخص أعضاءه من ممثلي البلاد العربية ـ أو إذا أصدر أحد المجمعين الفرعين ـ فيما يخص أعضاءه ـ قراراً مسبباً بالفصل بأغلبية ثلثي الأعضاء العاملين بعتمد من وزير التربية والتعليم في الحكومة المركزية ·

ج — إذا عجز العضو عن مباشرة أعماله لمرض أو لظروف أخرى ويكون اسقاط العضوية في هذه الحالة بقرار جمهوري بعد موافقة أحد المجمعين الفرعين فيما يخص أعضاءه ، أو بعد موافقة هيئة المؤتمر فيما يخص ممثلي البلاد العربية ·

د — اذا تقرر قبول الاستقالة المقدمة من العضو ·

مادة ٢١ — يدير كل من المجمع والمجمعين الفرعين أمواله في حدود ميزانيته ، وتبين اللائحة تفصيل اجراءات الصرف ·

مادة ٢٢ — يتبع في حسابات المجمع والمجمعين الفرعين القواعد والتعليمات التي تجري عليها حسابات الحكومة وهو في حساباته خاضع لتفتيش ومراجعة الجهات الحكومية المختصة · ويجب أن يقدم اليها حسابات السنة المنتهية خلال شهرين بعد انتهاء السنة المالية ·

فهرس الكتب المخطوطة

التي أهدتها السيدة إسعاف حرم السيد محمد إلياس نمور من بيروت إلى دار الكتب الوطنية الظاهرية بدمشق

إن السيدة إسعاف النابلسية من أسرة دمشقية خدمت بدمشق العلم والأدب وهديتها هذه النفيسة تدل على فضل المرأة العربية بدمشق ورغبتها في صون تراث أمتها من ذخائر كتب السلف ، فلها الشكر على هذه الهدية العلمية .

١ — كتاب الأطول على المطول : تأليف الشيخ عصام الدين إبراهيم بن محمد ابن عربشاه المتوفى سنة ٩٤٣ هـ .

٢ — أنوار التنزيل وأسرار التأويل : وهو المعروف بتفسير البيضاوي ، تأليف القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي المتوفى سنة ٦٨٥ .

٣ — التحرير الحاوي على تفسير البيضاوي : تأليف الشيخ مصطفى بن اسماعيل ابن عبد الغني النابلسي ، الجزء الأول .

٤ — التحرير الحاوي على تفسير البيضاوي : تأليف الشيخ مصطفى بن اسماعيل ابن عبد الغني النابلسي ، الجزء الثاني .

٥ — التحرير الحاوي على تفسير البيضاوي : تأليف الشيخ مصطفى بن اسماعيل ابن عبد الغني النابلسي ، الجزء الثاني .

٦ — التحرير الحاوي على تفسير البيضاوي : تأليف الشيخ مصطفى بن اسماعيل ابن عبد الغني النابلسي ، الجزء الثالث .

٧ — التحرير الحاوي على تفسير البيضاوي : تأليف الشيخ مصطفى بن اسماعيل ابن عبد الغني النابلسي ، الجزء الرابع .

مادة ٢٣ — لمؤتمر المجمع أن يقبل التبرعات التي ترد اليه عن طريق الوقف أو الوصية أو الهبة وغيرها بشرط ألا تتعارض مع الغرض الأصلي الذي من أجله أنشئ المجمع وبموافقة وزير التربية والتعليم في الحكومة المركزية .

مادة ٢٤ — يتبع في شأن أموال المجمع القواعد المتعلقة بأموال الدولة وادارتها .

مادة ٢٥ — تحدد مكافآت الرئيس ونائبه والأمين العام للمجمع والأمين في كل من المجمعين الفرعين ومكافآت الأعضاء والمكافأة على أعمال اللجان الدائمة والوقتية بقرار من وزير التربية والتعليم في الحكومة المركزية .

مادة ٢٦ — يعين بكل من المجمعين الفرعين عدد كاف من الموظفين الفنيين والإداريين والمستخدمين والعمال ولرئيس كل من المجمعين الفرعين سلطة الوزير في شؤون هؤلاء الموظفين .

مادة ٢٧ — يقترح كل من المجمعين الفرعين ، ورئيس المكتب الدائم ، اللوائح التي تنظم أعمال المجمع ونظام مكتبه الدائم ونظام العمل في المجمعين الفرعين ، ويصدر بها قرار من وزير التربية والتعليم في الحكومة المركزية .

مادة ٢٨ — تلحق دار الكتب الوطنية (الظاهرية) بالمجمع الفرع بدمشق ويحدد نظام إدارتها بقرار من وزير التربية والتعليم في الحكومة المركزية .

مادة ٢٩ — تستمر عضوية أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة والمجمع العلمي العربي بدمشق العاملين الحاليين من مواطني الجمهورية العربية المتحدة .

مادة ٣٠ — يعتبر الأعضاء في مجمع اللغة العربية بالقاهرة من البلاد العربية الأخرى أعضاء في المجمع وفقاً للمادة الثالثة من هذا القرار .

مادة ٣١ — الأعضاء المراسلون الحاليون في مجمع اللغة العربية بالقاهرة والمجمع العلمي العربي بدمشق والأعضاء غير العرب في أحد المجمعين يعتبرون أعضاء مراسلين للمجمع في الجمهورية العربية المتحدة .

مادة ٣٢ — يستكمل عدد الأعضاء في المجمع لأول مرة بقرار من رئيس الجمهورية بناء على عرض وزير التربية والتعليم في الحكومة المركزية .

مادة ٣٣ — إذا تغيرت إقامة عضو في أحد المجمعين الفرعين بالإقامة الدائمة في الإقليم الآخر ، تنتقل عضويته الى المجمع الفرع بذلك الإقليم ، بشرط ألا يزيد مجموع الأعضاء في أي من المجمعين الفرعين على العدد المنصوص عليه في القرار .

مادة ٣٤ — يستمر جميع الموظفين والمستخدمين والعمال الحاليين في مجمع اللغة العربية بالقاهرة والمجمع العلمي العربي بدمشق في وظائفهم .

مادة ٣٥ — يستمر كل من رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة وكاتم سره ورئيس المجمع العلمي العربي بدمشق ونائبه وأمين سره في الوظائف المقابلة لوظائفهم المنصوص عليها في هذا القرار لمدة تكمل أربع سنوات من تاريخ تعيين كل منهم .

مادة ٣٦ — يستمر أعضاء اللجنة الإدارية ولجنة المجلة والمطبوعات في المجمع العلمي العربي بدمشق في الوظائف المقابلة لوظائفهم المنصوص عليها في هذا القرار لمدة تكمل المدة المنصوص عليها فيه من تاريخ تعيين كل منهم .

مادة ٣٧ — يستمر العمل بأحكام اللائحتين التنفيذيتين لقانون مجمع اللغة العربية بالقاهرة والمرسوم التشريعي بانشاء المجمع العلمي العربي بدمشق فيما لا يتعارض مع أحكام هذا القرار الى أن تصدر اللوائح المنفذة له كما يستمر العمل بالمرسوم رقم ٥٩٩ بتاريخ ٩ / ٣ / ١٩٤٨ الجمهورية السورية والمرسوم رقم ٢٣٥٠ بتاريخ ٦ / ١١ / ١٩٤٨ الجمهورية السورية فيما لا يتعارض مع أحكام هذا القرار .

مادة ٣٨ — ينشر هذا القرار في الجريدة الرسمية ويعمل به من تاريخ نشره .

صدر برئاسة الجمهورية في ٢١ ذي الحجة سنة ١٣٧٩ (١٥ يونيه ١٩٦٠)

عبد اللطيف محمود البغدادي

٨ — كتاب تحفة الغريب : تأليف الشيخ شمس الدين بن أبي بكر الدماميني .

٩ — التلويح في كشف حقائق التنقيح : تأليف الشيخ سعد الدين مسعود ابن عمر التفتازاني المتوفى سنة ٧٩٢ .

١٠ — شرح بعض مشكلات الموطأ : برواية الإمام محمد بن الحسن ، تأليف علي بن سلطان محمد القاري الحنفي .

١١ — شرح الشافية في التصريف .

١٢ — شرح الكافية في النحو لابن الحاجب : تأليف الشيخ رضي الدين محمد ابن الحسن الاستراباذي النحوي .

١٣ — العناية في مختصر النهاية : وهو كتاب في الفقه ، تأليف محمد بن محمود ابن أحمد الحنفي ، الجزء الأول .

١٤ — العناية في مختصر النهاية : وهو كتاب في الفقه ، تأليف محمد بن محمود ابن أحمد الحنفي ، الجزء الثاني .

١٥ — مفتاح المفتاح : وهو شرح مفتاح العلوم ، تأليف قطب الدين محمود ابن مسعود بن مصلح الشيرازي المتوفى سنة ٧١٠ .

فهرس الجزء الثالث من المجلد الخامس والثلاثين

التعريف والنقد

آراء وأنبـاء

مجلة المجمع العلمي العربي

١ تشرين الأول سنة ١٩٦٠ م ١٠ ربيع الآخر سنة ١٣٨٠ ه

كتب الفلاحة العربية وألفاظها المولدة

(١) أهم الكتب القديمة:

يذكر مؤرخو الفلاحة في العالم العربي ، والمطلعون على المخطوطات العربية أن أقدم كتاب في الفلاحة ألف بلغتنا أو نقل اليها هو كتاب الفلاحة النبطية لأبي بكر أحمد بن علي بن المختار النبطي المعروف بابن وحشية ، وذلك في سنة ٢٩١ للهجرة تخميناً . وابن وحشية هذا كان شعوبياً يفاخر بانتسابه الى الأنباط أو الى قدماء الآراميين ، ويدعي أنه نقل كتابه عن مراجع كلدانية قديمة جداً ، وهو ادعاء مشكوك فيه .

والظاهر أن كتاب الفلاحة النبطية ليس أقدم كتاب عربي في بابه . فقد نشر الأب سباط في مجلة المعهد المصري (المجلد ١٣ ، دورة ١٩٣٠ — ١٩٣١)

أنه عثر على مخطوط عربي مؤلف من ١٦٨ صفحة ، عنوانه «كتاب فلاحة الأرض لأبطرليوس» ، وهو منسوخ في سنة ٨٣٩ هـ ، وجاء في ذلك الكتاب أنه وضع سنة ١٧٩ هـ ليحيى بن خالد بن برمك (١٢٠ — ١٩٠ هـ) ، وأن ناقليه من الرومية الى العربية هم بطرك الإسكندرية (بلطيان Politianus) ، ومطران دمشق ، وأسطات الراهب . ومن الواضح أن هذا المخطوط الذي لم يتصل بنا أنه نُشر ، هو أقدم من مخطوط الفلاحة النبطية بأكثر من قرن من الزمن .

والكتاب الذي جاء بُعيد كتاب الفلاحة النبطية ، أي في أوائل القرن الرابع الهجري ، هو كتاب الفلاحة الرومية ألفه قُسطُوس الرومي (لا قسطا بن لوقا البعلبكي) ، وترجمه سرجس بن هليا الرومي ، وطُبع في القاهرة سنة ١٢٩٣ للهجرة . وفي كشف الظنون (ج ٢ / ١٤٤٧ طبعة إسطنبول ١٩٤١ — ١٩٤٣) جاء الاسم الكامل لقسطوس هكذا : قسطوس بن اسكور اسكينه . والراجح أنه هو المعروف عند علماء الغرب باسم قسيانوس بَسُّوس Cassianus Bassus ، وهو رومي من كتّاب القرن العاشر الميلادي ، ألّف كتاب الفلاحة نقلاً عن قدماء اليونانيين والبيزنطيين .

وقد ذكر صاحب كشف الظنون أن كتاب الفلاحة الرومية لقسطوس بن أسكور اسكينه الملع اليه قد ترجمه أيضاً بالعربية قسطا بن لوقا البعلبكي وغيره ، وأن ترجمة سرجس بن هليا هي أكمل الترجمات وأصلحها . ومن المعلوم أنها هي التي طُبعت . ولم يصب طابعو هذا الكتاب وكذلك بعض المؤرخين في قولهم ان قسطا بن لوقا البعلبكي هو مؤلفه . والمظنون أن ما ترجمه قسطا بن لوقا هو كتاب الفلاحة لأناطوليوس البيروتي ، من رجال القرن الرابع المسيحي ، وأن سرجيس الرَّاسَعْنِي (أو الرَّسْعَنِي ، أو الرأس عيني نسبةً الى

رأس عين في الجزيرة ، ووفاته سنة ٥٣٦ م) قد نقله الى السريانية ، ثم نقله بعد ذلك الى العربية قسطا بن لوقا البعلبكي المتوفى تخميناً سنة ٣٠٠ للهجرة . وقد ضاعت نسخ هذه الترجمة .

ومهما يكن من أمر فكتاب الفلاحة النبطية لابن وحشية لا يزال مخطوطاً على ما نعلم ، أما كتاب الفلاحة الرومية لقسطوس الرومي (بن أسكوراسكينه) الذي نقله الى العربية سرجس بن هليا فقد طُبع في القاهرة على ما ذكرنا . وكلاهما يشتملان على معلومات زراعية عملية مفيدة ، الى جانب خرافات كثيرة لا العلم يقرها ولا العقل .

وإذا انتقلنا في حديثنا إلى الأندلس نجد أن الخرافات قد قلت ، في أول كتاب زراعي عرفناه فيها ، وهو كتاب « الفلاحة الأندلسية » لمؤلفه أبي زكريا يحيى بن محمد بن أحمد المعروف بابن العوام الإشبيلي ، من علماء القرن السادس للهجرة (توفي في نحو سنة ٥٨٠ هـ) . فهذا الكتاب هو خير كتاب زراعي ألف في القرون الوسطى ولم تذهب به عوادي الزمن . فقد وُجدت نسخة منه في مكتبة الأسكريال ، فنقلها القس بانكري Banqueri الى الإسبانية وطبعها سنة ١٨٠٢ م في قسميها العربي والإسباني ، فجاءت في مجلدين من القطع الكبير . ونقل الكتاب أيضاً إلى الفرنسية كليمان موله Clément - Mullet وطبع الترجمة في باريس سنة ١٨٦٤ — ١٨٦٧ في جزأين .

كان ابن العوام يقوم باختباراته الزراعية على جبل الشرف جنوبي إشبيلية . وقد نقل في كتابه كثيراً من المعلومات الزراعية عن مؤلفين أندلسيين عاشوا في الأندلس قبله ، وقال انه اعتمد على مصنفاتهم في تصنيف كتابه . ومن

هذه المصنفات الزراعية كتاب لابن وافد من أهالي طليطلة [١] ، وكتاب لابن البَصَّال (القَصَّال) من أهالي طليطلة أيضاً [٢] ، وكتاب لابن الحجاج [٣] ، وكتاب للحكيم أبي الخير [٤] ، وكلاهما من إشبيلية ، وهؤلاء الأربعة جميعاً هم من علماء القرن الخامس الهجري .

وجاء بعدهم في أوائل القرن السادس للهجرة عالم آخر ذكره ابن العوام ونقل عنه وهو الحاج الغرناطي [٥] . ونقل أيضاً عن كتب لم نعرف عنها وعن أصحابها شيئاً يذكر ككتاب ابن أبي الجواد ، وكتاب غريب بن أسعد وغيرهما .

وإذا عدنا من الأندلس إلى الإقليم المصري لا نجد فيه كتاباً قديماً يبحث في الزراعة وحدها ، على غرار الكتب التي تحدثنا عنها ، ولكننا نجد ذكراً لنباتات ولبحوث زراعية في الموسوعات العلمية المشهورة مثل نهاية الأرب للنويري

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكبير بن يحيى بن وافد بن مهند اللخمي ، يكنى أبا المطرف ، وقد تولى غرس جنة المأمون بن ذى النون الشهيرة بطليطلة (عن التكملة لابن الأبار) . وهو من علماء القرن الخامس : (٣٩٨ - ٤٦٧ هـ) ، اختص في الفلاحة وفي المفردات الطبية ، وسمى كتابه الزراعي « المجموعة » . وقد عثر أخيراً على نسخة منه في المغرب .

(٢) أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن البصال ، كان عالماً بالفلاحة ومعاصراً لابن وافد . وقد عُثر أخيراً على كتابه فترجم بالإسبانية ، ونشره الأستاذ مياس بييكروسا والسيد محمد عَزِيمان ، في معهد مولاي الحسن بتطوان ، سنة ١٩٥٥ . وذكره ابن العوام كثيراً في كتابه ، ونقل عنه .

(٣) أحمد بن محمد بن الحجاج ، عاصر زميليه المشار اليهما ، وكان عالماً بالنحو أيضاً ، وله كتاب « المقنع » لم ينشر ، وقد أكثر ابن العوام من النقل عنه .

(٤) لم نعثر على ترجمته ، وفي كتاب ابن العوام : الشيخ الحكيم أبو الخير الأشبيلي .

(٥) هو محمد بن مالك التجناري كان فقيهاً وزراعياً في غرناطة ، ألف كتابه لحاكمها أحد أولاد يوسف بن تاشفين . وقد ذكر بييكروسا أن مخطوطته ستطبع عما قريب .

(٦٧٧ — ٧٣٣ هـ) ، وصبح الأعشى للقلقشندي (توفي سنة ٨٢١ هـ) ؛ ونجدها أيضاً في الجزء الرابع من كتاب مباهج الفكر ومناهج العبر لجمال الدين الوطواط (توفي سنة ٧١٨ هـ) .

وأجل تصوير للأوضاع الزراعية في مصر ، في أواخر عهد الفاطميين ، وفي زمن صلاح الدين الأيوبي ، نجده في كتاب « قوانين الدواوين » لابن مَمّاتي (توفي سنة ٦٠٦ هـ) . وقد كان هذا الكتاب الثمين في أربعة أجزاء ضخمة ، فضاعت ، ولم يُعثر إلا على مختصر لها في جزء واحد اختصره غير مصنف الكتاب ، وطبعته الجمعية الزراعية في مصر سنة ١٩٤٣ ، بعد أن حققه الأستاذ عزيز سوريال عطية . وكنت كتبت بحثاً عن هذا الكتاب المختصر (مجلة المجمع : المجلد ٣٣ ، الجزء الرابع) ، وفي بعض كلماته المولدة ، ومما ذكرته ان الكتاب المذكور يشتمل على معلومات جد مفيدة عن مصر وأعمالها ونواحيها وضياعها وجزائرها ومواتيها وخلجانها وترعها وجسورها وحراجها السلطانية وأصناف مزروعاتها وأوان زراعتها وإدارة مزارعها ومساحة أراضيها وأحكام مستغلاتها وما يزرع فيها من حبوب وقطاني وبقول وشجر ، ودواوين الحكومة وسجلاتها والضرائب التي تستوفى عن الغلات الخ .

أما في الشام فقد ظهر في القرن العاشر الهجري عالم دمشقي اسمه رياض الدين محمد بن محمد بن أحمد الغزي العامري ، فألف كتاباً كبيراً في الفلاحة سماه جامع فوائد الملاحة في علم الفلاحة . ولم يتصل بنا أنه عُثر على نسخ منه . وقد اختصره الشيخ عبد الغني النابلسي (١٠٥٠ — ١١٤٣ هـ) في كتاب سماه عَلَمُ المَلاحة في عِلم الفلاحة ، طُبع في دمشق سنة ١٢٩٩ للهجرة .

هذه أهم الكتب الزراعية القديمة التي عرفناها . أما في الفروسية والبيطرة فمن الكتب القديمة كتاب « كشف الويل في معرفة أمراض الخيل » لمؤلفه

أبي بكر بدر الدين البيطار . وقد بُدل اسم الكتاب فصار « كامل الصناعتين البيطرة والزرطقة »[1] . واشتهر باسم « كتاب الناصري » لأن مؤلفه كان بيطاراً لدى الملك الناصر محمد بن قلاوون المتوفى سنة ٧٤١ للهجرة . وقد نقله الى الفرنسية الدكتور برّون Perron (١٨٥٣ — ٦٠) في ثلاثة مجلدات . وفي المكتبة الظاهرية نسخة من المخطوطة .

ومن المعلوم أن بحوث كتب الفلاحة القديمة كلها مبنية على الملاحظات وحدها ، على حين أن نهضة الزراعة بالعلوم قد بنيت على المكشوفات الكيمياوية والبيولوجية الحديثة ، بدءاً من أوائل القرن التاسع عشر للميلاد . ولذلك تكاد تقتصر فائدة الكتب القديمة المذكورة ، في زمننا هذا ، على ما فيها من مصطلحات عربية ، وعلى ما لها من مكانة في تأريخ العلوم البشرية .

ولا بد لنا من الانتقال الى النصف الثاني من القرن التاسع عشر لنشاهد بروز أقدم كتابين عربيين زراعيين بنيا على العلوم الحديثة ، وكلاهما بقلم العالم المصري أحمد ندى ، ممن درسوا في قصر العيني ثم في فرنسة (توفي سنة ١٢٩٤ هـ) . فالكتاب الأول هو « حسن البراعة في علم الزراعة » ألفه الأستاذ فيجري بك بالفرنسية ، ونقله أحمد ندى الى العربية ، وطبع في القاهرة سنة ١٢٨٣ هـ في مجلدين .

أما الكتاب الثاني فمؤلفه أحمد ندى نفسه وقد سماه « حسن الصناعة في علم الزراعة » ، وهو أيضاً في مجلدين طبعا سنة ١٢٩١ هـ في القاهرة ؛ وكان الأستاذ أحمد ندى يلقي مواضيعهما دروساً على تلاميذ مدرسة زراعية ألحقت بالمدارس الحربية في زمن الخديوي إسماعيل . ومع أن هذا الكتاب قد بني

---

(١) الزرطقة (والزردقة) كلمة مولدة كانت أطلقت في هذا الكتاب على تربية الخيل Hippotechnie ويظن مترجم الكتاب أنها من Res Rusticas أي البيت الريفي ، ولا دليل على ذلك .

كما قلت على العلوم الزراعية الحديثة فقد شاء مؤلفه أن لا يقطع صلته بكتب الفلاحة القديمة ، فنقل بعض جمل في موضوعات مختلفة عن كتب ابن وحشية وقسطوس الرومي وابن الحجاج وابن البصال والحكيم أبي الخير وابن العوام وغيرهم .

ولم تصبح كتبنا الزراعية مبنية على الأسلوب العلمي وحده الا منذ الربع الأول من هذا القرن العشرين بعد افتتاح مدرسة الجيزة الزراعيــة العليا والمدارس الزراعية المتوسطة في مصر ، ومدرسة الغوطة الزراعية (١٩١٩ — ١٩٢٠) التي نقلت الى سَلَمْيَة في سورية . أما اليوم فقد أصبح عندنا عدد غير قليل من الكتب العربية المدرسية ، في مختلف العلوم الزراعية ، ولا سيا في الجمهورية العربية المتحدة .

(٢) لغة كتب الفلاحة وألفاظها المولدة :

مما لاحظناه في كتب الفلاحة عامةً أن مستوى لغتها يهبط مع الزمن من عصر الى عصر ، على حين أن الألفاظ المولدة فيها تكثر ، وأن الأوهام والخرافات تقل . فلغة كتاب الفلاحة الرومية مثلاً أعلى وأفصح من لغة الكتب التي ألفت فيما بعد في الأندلس . ولغة هذه الكتب أعلى من لغة الكتب التي ألفت في العصور التالية في مصر والشام . وأعتقد أن السبب في ذلك كون نقلة كتب الفلاحة في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع للهجرة لم يكونوا على صلة بالفلاحين ومصطلحاتهم العامية ، وكون الفصحى في ذلك الزمن لم يكن قد دخل عليها كثير من الألفاظ الزراعية المولدة . أما المؤلفون في الأندلس ، في القرن الخامس والقرن السادس ، فقد كانوا زراعيين لهم صلة وثيقة بالزراع ، فكان لا بد لهم من استعمال ألفاظ شائعة مولدة وإن لم ترد في متون اللغــة الفصحى . ومثل ذلك يقال في كتاب قوانين الدواوين لابن مَمّاتي . وأما الكتب الزراعية التي ألفت في عصرنا هذا فأقل ما يقال في معظم مؤلفيها أنهم

درسوا في مدارس زراعية عالية ، في جامعاتنا أو في جامعات الغرب . فأتقنوا العلم الزراعي الذي ألفوا فيه ، ولكنهم لم يتقنوا لغتهم ، ولم يعرفوا ما فيها من مصطلحات زراعية صحيحة ، ولم يتحروا صحة أسماء النباتات الزراعية ، فجاءت كتبهم ركيكة العبارة ، كثيرة الأسماء المحرفة ، أو العامية ، أو المعربة اعتباطاً . وعدم العناية بسلامة اللغة في هذه المؤلفات جد مضر ، لأنها كتب مدرسية يُلقى مضمونها على الطلاب ، فيحفظون الألفاظ والمصطلحات المغلوط فيها ، وينشرونها على أنها من صحيح الكلم .

ومما يلاحظ أن العناية بالمصطلحات العربية في الكليات والمدارس الزراعية أقل منها في الكليات والمدارس السائرة . ففي كلية الطب بدمشق مثلاً أساتيذ لم يتركوا شاردة ولا واردة في كتب الطب القديمة إلا اطلعوا عليها ، ولذلك تجد في كتبهم الطبية جملةً من الألفاظ القديمة الصحيحة الى جانب ما وضعوه أو وضعه مجمع اللغة العربية من أسماء لمسميات حديثة . وفي هذا الحرص على سلامة اللغة خدمة للساننا لا تقدر بثمن . ومثل ذلك يقال في بعض أساتيذ الكيمياء والفيزياء والرياضيات والهندسة والمواليد الثلاثة ، في إقليمي جمهوريتنا ، دع بعض أساتذة الحقوق الذين وجدوا في الفقه الإسلامي معيناً لا ينضب من المصطلحات ، فراجعوها وأفادوا منها .

أما في العلوم الزراعية فمن النادر أن تجد أستاذاً جمع بين معرفة العلم الذي اختص به ، ومعرفة المصطلحات الصحيحة لذلك العلم . ومعظم الأساتذة الزراعيين يهملون لغة مؤلفاتهم عن جهل ، أو عن عمد . ويحتجون لهذا الاهمال البادي في كتبهم بأن لغة الزراعة يجب أن تكون بسيطة في متناول مدارك الفلاحين . وغرب عن بالهم أنهم إنما يكتبون للطلاب ، ولمهندسي الزراعة ، وللمستنيرين من أرباب الزراعة ، أي لطبقة متعلمة ومثقفة ، ولا يكتبون للعامة من الفلاحين . فالعامة لها ألفاظها العامية . ولستُ من القائلين بتجنب هذه الألفاظ في كتاب

زراعي ولكنني أقول بأنها اذا أثبتت فيه وجب أن توضع بين قوسين ، دلالةً على عاميتها ، وأن يكون المقام الأول للألفاظ الصحيحة التي لا يجوز أن يجهلها أستاذ من الأساتذة .

وقد كنت مزمعاً على ذكر شيء من الألفاظ المولدة في كتب الفلاحة القديمة ، ولا سيا تلك التي ما برحت تُستعمل في أيامنا هذه . ولكنني وجدت أنني كنت أشرت الى قسم منها ، في مقال عنوانه «نظرة في كتاب الفلاحة الأندلسية» نُشر في عدد نيسان سنة ١٩٣١ من هذه المجلة ، وكذلك في مقال عنوانه «كلمات مولدة مشهورة في كتاب قوانين الدواوين لابن مَمّاتي» نُشر في عدد تشرين الأول سنة ١٩٥٨ . وقد لاحظت أن مصطلحات ابن البصال في كتابه المنشور أخيراً قلما تختلف عن مصطلحات ابن العوام في كتاب «الفلاحة الأندلسية» . ومن الطبيعي القول بأن الألفاظ المولدة القديمة التي لا مقابل لها في الفصحى ـ ولا سيما التي ما برحت تستعمل في أيامنا هذه ـ يجب أن ينظر مجمع اللغة العربية في أمر إقرارها وإدخالها في معجمات لساننا ، كلما كانت جارية على أقيسة الكلام العربي من اشتقاق أو مجاز أو نحو ذلك .

أما الكتب الزراعية الحديثة فحسبي دليلاً على إهمال شأن اللغة فيها أن أعمد الى كتاب كبير عنوانه «زراعة الخضر» فأفتحه عَرَضاً ، فأقع على بحث في اللوبيا لا يتجاوز أربع صفحات ، فاذا بها تشتمل على أغلاط كثيرة منها التي تلي :

«٢٠٠ كيلوجراما» . والصحيح كيلو غرام . وقد تكرر مثل ذلك الغلط في المعدود .

«تزرع اللوبيا إما صيفي وإما نيلي» . وهو تعبير عامي .

«الذرة النيلي» . والصحيح النيلية .

« الجورة والجور » . والصحيح الحفرة والحفر .

« تعزق الأرض مرة أو اثنين » . أو اثنتين .

« تعتبر مرعى جيدة للأغنام » . مرعى جيداً .

« تعبأ في أجولة » . في أكياس .

« اللوبيا الإزمرلي » . اللوبيا الإزميرية .

« محصول الفدان من ٢ — ٣ طن » . من طنين الى ثلاثة أطنان .

« ١٠ كيلو لوبيا و ٦ — ٨ كيلو من الذرة » ، ١٠ كيلو غرامات من اللوبيا و ٦ — ٨ كيلوغرامات من الذرة .

وفي الصفحات الأربع المذكورة تعبيرات عامية يستعملها الفلاحون في الإقليم المصري ، والمؤلف لم يفسرها ، ولم يذكر ما يقابلها بالعربية ، مثل العروة الصيفي ، والعروة النيلي ، والزرع الحراتي ، والريشة البحرية ، والريشة القبلية ، ورية المحاياة وغيرها . وهذه التعبيرات وأشباهها قد فسرها المتحف الزراعي في القاهرة في كتيّب سماه « الاصطلاحات الزراعيــة » ، ومعظمها اصطلاحات عامية بيّن المتحف ما تدل عليه لدى الفلاحين .

واذا جاوزنا بحث اللوبيا في الكتاب نجد في كل صفحة من صفحاته أغلاطاً . ففي أسماء النباتات الزراعية مثلاً :

اسم النبات في الكتاب	الاسم الصحيح
كَراوية	كَرَوْيا . كروياء
كردون	حَرْشَف ، حرشف بري
سلسفيل — سلسفي	قُومي
سيسرون	سيسارون
كرات	كرّاث

اسم النبات في الكتاب	الاسم الصحيح
ينسون	أنيسون
لاوندا	خُزامى
حبهان	حب الهال . والنبات هو الهال والهيْل والقاقُلّة
حسل ـ زوفه	زُوفا . أشْنان داود
الثراجون	الطرخون
بردقوش	مَرْدَقوش . سَمْسَق
زعتر	سَعْتَر . صَعْتَر ، ولم ترد بالزاي
سذب	سَذاب . فَيْجَن
كاموميل ـ بابونيك	بابونَج
مريمة	ناعمة . مريمية
الفليا	الفُوتَنْج
بصل الشالوت	قُفْلُوط . كُرّاث أندلسي
فاصوليا ملتيفلوار	فاصوليا كثيرة الزهر
الحارة أو حب الرشاد	رَشاد . حُرْف . ثُفّاء
مي كيل	كرنب بحري
عيش الغراب	غارِيقون زراعي . فطر زراعي . وعيش الغراب عامية

الخ .

والفصيلة النباتية عنـد المؤلف هي العائلة النباتية . فقد قال مثلاً العائلة الوردية ، والعائلة الزنبقية ، على حين أن لفظ العائلة لا معنى له في تصنيف النبات والحيوان . ولفظ الفصيلة مشهور منذ زمن الأستاذ أحمد ندى

في القرن الماضي حتى زمننا هذا . وقد أقره مجمع اللغة العربيـة قبل سنتين مع سائر ألفاظ التصنيف في المواليد الثلاثة .

ويذكر مؤلف الكتاب في طبعته الثالثة أنه وُضع لطلبة كليـة الزراعة ، وللقائمين بزراعة الخضر المحترفين منهم والهواة ، ولمدرسي الخضر في المعاهد الزراعية والمدارس المتوسطة الخ . أفليس من المؤسف أن يتعلم هؤلاء الناس جميعاً الألفاظ غير الصحيحة في مثل هذا الكتاب الثمين بغزارة مادته ، وأن يتناقلوها بدلاً من الألفاظ الصحيحة ؟

وبعد إن عندنا اليوم رقياً ملموساً في العلوم الزراعية وفنونها نظرياً وعملياً . ولكن عندنا أيضاً إهمالاً ملموساً للغة تلك العلوم وتلك الفنون ، أو جهلاً بارزاً بألفاظها ومصطلحاتها الصحيحة . وهذا شيء يدعو الى التفكير العميق ، إذ لا يفيدنا التفاخر بأننا نؤلف كتباً عربية في الفلاحة الحديثة ، وبأننا ندرّسها في مدارسنا الزراعية ، ما دامت لغة تلك الكتب تنحط في مستواها عن مستوى مادتها العلمية والفنية .

مصطفى الشهابي

السفر الأول من

تحفة المجد الصريح في شرح الكتاب الفصيح

تأليف صدر الدين احمد بن يوسف بن علي بن يوسف الفهري اللَّبْلي النحوي

تلميذ أبي علي الشلوبين وشيخ أبي حيان قرأ عليه هذا الكتاب

وغيره من مصنفاته (كما في فهرست أبي حيان)

التي بخطّه لَطُف الله بهم

الدار ٢٠ ش لغة وهي بخط الشنقيطي من ١٦٨ س ١٩

وينتهي على قول الفصيح (وانقُطع بالرجل فهو منقطَع به) وشرحه في سطرين

بعد الحمد في س ١٩ ص ٣

وبعد فان الوزير الأجلّ القائد الأعلى الأمجد الأرفع الأحسب الأكمل العماد الأشرف الأطول ذا الشيم الجميلة والفضائل الجزيلة والهمة السامية الى نيل كل منقبة واحراز كل فضيلة ابو بكر ابن الوزير الجليل الماجد الأرفع الأعلى الأحق كان بكل فضيلة الأول المبارك المعظم المقدس المرحوم أبي الحسن وصل الله سعوده وحفظ على المعالي والمآثر وجوده أشار عليّ اشارةَ النصيح بشرح كتاب الفصيح حين استحسن ما شاهده من تفسيري لغريبه وشرحي لمعانيه واستصوب تنبيهي عند الإقراء على سهو مَن نسب السهو لمؤلفه فيه فأجبته الى ما سأل وبادرت الى أمره الممتثَل وشرعت في عمله شروعَ من انشرح صَدْراً بما نُدِب اليه وأكببت على تتبع ألفاظه وتبيين معانيه إكبابَ من بذل من الاجتهاد أقصى ما لديه فشرحت الكتاب شرح استيفاء واستيعاب وتكلمت على

شواهد أبياته بما عنّ في معانيها من إغراب وفي ألفاظها من إعراب ، واستدركت ما يجب استدراكه مذيلاً لكلامه ، وقاصداً لإكمال ما تحصل الفائدة به وإتمامه ، وانتصرت له حيث أمكنني الانتصار ورددت على من تعقّب عليه رداً يُرتضى بحكم الإنصاف ويختار ورتبت الكلام فيه أولاً على مدلول اللفظ ومعقوله ومسموعه ومقوله ، وان كان فعلاً أتيت بلغاته وأنواع مصادره واسم فاعله ومفعوله وربما أتيت بالمرادف والمشترك ، وسلكت من التعليل في بعض المواضع واضح المسلك ، وأخذت ذلك من كتب أئمة اللغة المشهورين بالتبريز ونفضت فيه الدواوين ما بين المستوعب منها والوجيز ككتاب السماء والعالم لأبي عبد الله محمد بن ابان بن سيِّد[1] القرطبي ، وموعب اللغة لأبي غالب تمام بن غالب المعروف بابن التياني ، وجامع اللغة لأبي عبد الله محمد بن جعفر المعروف بابن القزاز ، وواعي اللغة لأبي محمد عبد الحق بن عبد الله الازدي المحدث الاشبيلي ، والمخصَّص[2] ، والمحكم ، والعويص ، وشرح الغريب المصنف لأبي الحسن علي بن سيده ، والصِّحاح[3] لأبي نصر اسمعيل بن حماد الجوهري ، والمبرِّز لأبي عبد الله محمد بن يونس الحجازي[4] ، والجمهرة لابن دريد ، والمجمل لابن فارس ، ومختصر العين للزبيدي ، وأبنية الأفعال لأبي القاسم علي بن جعفر السعدي المعروف بابن القطاع ، والأفعال لابن القوطية ، ولابن طريف ، والمنظم لكراع ، والمجرّد والمنجّد له ، والإصلاح ، والمثنى ، والألفاظ ، وا [5] ان ، والمثنى ، وفعلت وأفعلت ليعقوب بن السكيت ، واليواقيت ، وغريب أسماء الشعراء للمطرّز ، والفصوص [6] لصاعد ، والغريب لأبي عبيد ،

(١) بالشد مضبوطاً .
(٢) بالفتح والكسر وعليهما (معا) .
(٣) بالفتح والكسر وعليهما (معا) .
(٤) بالكسر محققاً بعلامة صح .
(٥) كذا ولعله والمكنّى .
(٦) نسخته بالقرويين في فاس .

والزاهر لابن الأنباري ، وكتاب ليس لابن خالويه ، وكتاب اطرغش ، وكتاب أبنية الأفعال له أيضاً ، والآفق له أيضاً ، وكتاب الوحوش لهشام الكرنباثي ، وكتاب صعاليك العرب لأبي الحسن الأخفش والمصادر للفراء ، وكتاب فعل وأفعل لأبي عبيدة معمر بن المثنى ، وكتاب الأبدال (١) لعبد الواحد بن علي اللغوي ، وكتاب المصادر والنوادر لأم البهلول الفقعسية ، والفاخر لأبي طالب المفضل بن سلمة ، والألفاظ لأبي نصر البصري ، والمحتسب (٢) ، وشرح شعر المتنبي لأبي الفتح عثمان بن جني ، وفصل المقال في شرح الأمثال ، ومعجم ما استعجم لأبي عبيد البكري ، وكتاب المعاقبات لابن الأعرابي ، والألفاظ له أيضاً ، وشرح الأمثال لابن أغلب المرسي ، وحلى العلى لعبد الدائم القيرواني ، ولحن العامة للزبيدي ولأبي حاتم السجستاني ، واصلاح المنطق لأبي علي احمد بن جعفر الدينوري ، والأضداد لأبي بكر بن الأنباري ، والمقصور والممدود لابن ولاد ولأبي علي القالي ، وخلق الإنسان (٣) لثابت ولأبي حاتم وللأصمعي أيضاً ، والفرق لثابت ولأبي حاتم ، والتذكير والتأنيث والحشرات لأبي حاتم ، والغرائز وحيلة ومحالة والهمز وفعلت وأفعلت لأبي زيد الأنصاري ، وفعلت وأفعلت أيضاً لأبي اسحق الزجاج ولأبي علي القالي ، والمثلث وشرح (٤) الكامل وشرح أدب الكتاب لأبي محمد بن السيد البطليوسي ، والمثلث أيضاً لأبي عبد الله القزاز والصواب لابن عديس وشرح ابن عليم ، والاشتقاق لابن النحاس ، والبهي للفراء ، وكتاب الأزمنة لقطرب ، وفعلت وأفعلت ونوادر (٥) القالي ، وابي عبدالله (٦) ابن الأعرابي

---

(١) بفتح الهمزة كذا سماه — وقد نشره المجمع العلمي العربي في هذا العام .

(٢) بالفتح والكسر معا .

(٣) رأيت منه نسختين .

(٤) عندي مع شرح الوقشي .

(٥) هي والأمالي شيء .

(٦) يوجد منه الأول فقط .

وأبي الحسن اللحياني ويونس وأبي زيد وثعلب وأبي مِسحل [1] وأبي موسى الحامض وأبي محمد اليزيدي ـ وما وقع في الأغربة كغريبي الهروي والقتبي وغيرهما وما سقط إليّ من شروحاته ككتاب ابن دستوريه وابن خالويه والمطرّز ومكّي والنُدَميري وابن هشام السبتي وابن طلحة الاشبيلي وغير ذلك مما يطول إيراده ويوجد في أثناء الكتاب نقله عن قائله واسناده ٠

ولما استوفى هذا الشرح شرط صحته وكماله وتلخص منه الفريد الذي لم يُحْذَ مثالُه ولا نُسج على منواله رأى الوزير الأجلّ العماد الأطول أبو بكر أبقاه لِما له من جميل الرأي وجليل السعي أن يكون هذا الكتاب مشرّفاً برفعه الى أسمى المحالّ وأعلاها وتطريزه باسم من تطرزت به السيادة فراقت حلاها ، وهو نجل الشرف الذي ثبت أصله في قرارة السناء وسما فرعه في دوحة العلياء ، ونجم الفخار الذي يطأ بأخمصه قِمةَ السماك ومنكبَ الجوزاء شخصُ النفاسة وشمس الرئاسة ذو الوزارتين الهمام الأسعد السيد الأوحد الأمجد متلقي راية المفاخر بيمينه المتألق نور الحسب الوضاح في جبينه قطب المكارم ابو القاسم ابن ذي الوزارتين الشريفتين والرئاستين المُنيفتين عَلَم الأعلام ومُساجل الغمام وجمال الدول والأيام وحامي حمى الحق والحقيقة بالعزم والحسام ٠٠٠٠٠ أبي علي حرس الله وجودهم الذي تبأى به المحامد ٠ وكافأ جودهم الذي يعجز عن مكافأته الشاكر والحامد ، وأبقاهم للعلم يرفعون عَلَمَه ومناره ويجمعون منتقاه ومختاره ويُعِزّون من اقتفى آثاره أو كانت عنده منه أثارة فعمِلت بالرأي الأرشد في رفعه الى محلهم العالي وشرفته بنسبته الى سيد تزهى به المآثر والمعالي فصار باسمهم المرفّع مجموعاً ولخزانتهم الجليلة مرفوعاً ، وكأن الذُخر الأنفس

---

(١) عندي ، والمجمع العلمي العربي يقوم اليوم بنشره بدمشق ٠

سيق الى مستحقه ، وملكه من يعترف الفضلُ بأنه مالك رِقّه ، وتشرف بذلك المؤلف والتأليف ، واعتز المجموع الغريب والتصنيف ، وعندما حمل المقصد ، وآن أن يتاحف به السيد الأسعد انتقيت له اسماً يوافق المسمى وينطق بانتخابه للمحل الأسمى فسميته (تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح) وإني لأرجو فيه أن يحل محل القبول والاستحسان ويرتضي منه صواب المقول في علم اللسان إن شاء الله تعالى .

كنت نسخته سنة ١٩٣٥ م

العاجز عبد العزيز الميمني

بدمشق ١٩ / ٧ / ١٩٦٠ م

المجلد الأول من كتاب

العباب الزاخر واللباب الفاخر

تأليف الملتجي الى حرم الله تعالى الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني نظر الله اليه نظرة رحيمة (من ١٩ مجلداً وقفية ٧٩٧ ه لغة ١٤١ الدار)

(١ ظ) بعد الحمد : قال الملتجي الى حرم الله تعالى الحسن بن محمد ابن الحسن بن حيدر بن علي بن اسمعيل العمري ثمّ الصغاني أماله الله الى الخير وأهله : هذا كتاب جمعت فيه ما تفرق في كتب اللغة المشهورة والتصانيف المعتبرة المذكورة وما بلغني مما جمعه علماء هذا الشأن والقدماء الذين شافهوا العرب العرباء وساكنوها في داراتها وسايروها في نُقَلها من مورد الى مورد ومن منهل الى منهل ومن منتجَع الى منتجع ، ومن بعدهم ممن أدرك زمانهم ولحق أوانهم آتياً على عامة ما نطقت به العرب خلا ما ذهب منها بذهاب أهلها من المستعمل الحاضر والشارد النادر مستشهداً على صحة ذلك بآي من الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبغرائب أحاديث من هو بمعزل من خطل القول وخَلفه ، فكلامه هو الحجة القاطعة والبيّنة الساطعة ، وبغرائب أحاديث صحابته الأخيار وتابعيهم الأحبار وبكلام من له ذكر في حديث أو قصة في خبر وهو عويص ، وبالفصيح (ق ٢ و) من الأشعار والسائر من الأمثال ذاكراً أسامي خيل العرب وسيوفها وبقاعها وأصقاعها وبُرَقها وداراتها وفرسانها وشعرائها آتياً بالأشعار على الصحّة غير مختلّة ولا مغيَّرة ولا مداخلة معزواً ما عزوت منها الى قائله ، غير مقلّد أحداً من أرباب التصانيف وأصحاب التآليف ؛ لكن مراجعاً دواوينهم ، معتاماً أصحّ الروايات ، مختاراً أقوال المتقنين الثقات .

وموجبُ ما ذكرت أني رأيت فيما جمع مَن قَبلي أطلقوا في أغلب ما أوردوا وقالوا : « وفي الحديث » غير مبيّني النبوى من الصحابي والصحابي من التابعي ، وربما أطلقوا لفظ الحديث على المثل ولفظ المثل على الحديث ، وربما قالوا : « وقولهم » وهو من صحاح الأحاديث وقد سردت الأحاديث الغريبة المعاني المشكلة الألفاظ تامّـةً مستوفاة ، فان كان في حديث عدة ألفاظ مشكلة أتيت به تاماً وفسّرت كل لفظة منها في بابها وتركيبها وذكرت أن تمام الحديث مذكور في تركيب كذا ليعلم سياق الحديث ويؤمن التكرار والإعادة ـ وأقدّم قبل الشروع في بيان اللغة فصلين .

الفصل الأول في معرفة أسامي جماعة من أهل اللغة لا غنى بممارس هذا الكتاب وسائر كتب اللغة عن معرفتها ، فان أهل اللغة ذكروا بعضهم بكُناهم وبعضهم بنسبهم وبعضهم بحِرَفهم .

الفصل الثاني : في أسامي كتب حوى هذا الكتاب اللغات المذكورةَ فيها .

الفصل الأول : في أسامي جماعة من أهل اللغة (ق ٣ ظ) غير مراعى ترتيب مواليدهم .

ابراهيم بن اسحق بن ابراهيم أبو اسحق الحربي .

ابراهيم بن السري بن سهل ابو اسحق الزجاج .

ابراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة أبو عبد الله العتكي المعروف بِنِفْطويه [1] .

أحمد بن حاتم أبو نصر صاحب الأصمعي .

أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب .

أحمد بن دُؤاد بن عبد الله أبو حنيفة الدينوري .

---

(١) شكل في الأصل بفتح النون وكسرها بعلامة « معا »

أبو الحسين الرازي ·

أحمد بن محمد البُشتي الخارزنجي ·

أحمد بن محمد بن عبد الرحمن أبو عبيد الهروي ·

أحمد بن يحيى بن زيد بن سيّار ابو العباس الشيباني المعروف بثعلب ·

اسحق بن مِرار الشيباني ابو عمرو ·

اسماعيل بن حماد ابو نصر الجوهري النيسابوري ·

اسماعيل بن عباد ابو القاسم الصاحب ·

حَمْد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب ابو سليمان الخطابي ·

الحسين بن خالويه ابو عبد الله اللغوي

خالد بن يزيد أبو القاسم اليزيدي مؤدب ولد يزيد بن منصور الحميري خالِ المهدي ·

خلف بن حيان أبو صالح الأحمر ·

الخليل بن احمد ابو عبد الرحمن الفرهودي البصري ·

سحيم بن حفص ابو اليقظان ·

سعيد بن أوس بن ثابت أبو زيد الانصاري ·

سعيد بن مسعدة ابو علي ويقال ابو شعيب الأخفش الكبير الباخي المجاشعي

سهل بن محمد بن عثمان أبو حاتم السجستاني ·

شَمِر بن حَمْدويه ابو عمرو الهروي ·

عبد الرحمن بن بُزُرْجَ (١) الفارسي ·

عبد الله بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص أبو محمد الأموي اخو يحيى ·

عبد الله بن محمد بن هانئ ابو عبد الله النيسابوري ·

---

(١) ذهب عليه ، بينما الصواب كما سيأتي في أسماء الكتب : أبو محمد عبد الله بن مسلم .

عبد الملك بن قُريب بن (ق ٣ و) عبد الملك بن علي بن اصمع ابو سعيد الاصمعي .

علي بن حمزة ابو الحسن الكسائي الأسدي .

علي بن خازم ابو الحسن اللحياني .

علي بن سليمان بن الفضل ابو الحسن الأخفش الصغير .

علي بن المبارك الحرّاني الأحمر .

عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه أبو بِشر مولى بلحارث بن كعب .

عمرو بن كِرْكِرة أبو مالك البصري .

الفضل بن خالد أبو معاذ الباهلي مولاهم النحوي .

القاسم بن سلاّم أبو عبيد البغدادي .

الليث بن المظفّر .

محمد بن احمد بن الأزهر الأزهري أبو منصور .

محمد بن حبيبَ وحبيبُ أمّه وكان ولد ملاعنة أبو جعفر .

محمد بن الحسن بن دريد بن العتاهية ابو بكر الأزدي .

محمد بن زياد ابو عبد الله مولى بني هاشم المعروف بابن الاعرابي .

محمد بن سلاّم بن عبيد الله بن سالم ابو عبد الله الجُمَحي .

محمد بن السري ابو بكر السرّاج .

محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم ابو عُمر الزاهد اللغوي غلام ثعلب .

محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر الأنباري .

محمد بن المستنير ابو علي المعروف بقُطرُب .

محمد بن مسلم بن قتيبة أبو عبد الله الدينوري (١) .

---

(١) بضمتين وسكون الراء ، فارسية بمعنى : الكبير والشيخ .

محمد بن يزيد أبو العباس الثُمالِيّ المعروف بالمبرد ·

محمود بن عمر بن محمد ابو القاسم الزمخشري ·

معمر بن المثنى أبو عبيدة التيمي ·

المفضل بن سلمة بن عاصم أبو طالب ·

المفضل بن محمد بن يعلى الضبّيّ الكوفي ·

نُصير بن أبي نُصير الرازي ·

النَضْر بن شميل بن خَرَشة أبو الحسن المازني البصرى أقام بالبادية أربعين سنة ·

يحيى بن زياد أبو زكرياء الفراء العبسي ·

يحيى بن العلاء بن زَبّان أبو عمرو البصري وقيل هو ابن العلاء بن جَزْء ·
وقيل (ق ٣ ظ) زبان بن العلاء وقيل اسمه كنيته ·

يحيى بن المبارك أبو محمد اليزيدي كان يؤدب ولد يزيد بن منصور الحميري خال المهدي ·

يزيد بن عبد الله أبو زياد الكلابي ·

يعقوب بن اسحق ابو يوسف السكّيتِ (١) ·

يونس بن حبيبِ ابو عبد الرحمن الضبّيّ ·

* * *

(١) الكسر بعلامة « صح » في الأصل ، كأنه يرى أن « السكيت » أبوه لا هو .

الفصل الثاني في اسامي كتب حوى هذا الكتاب اللغات المذكورة فيها ، وهي :

غريب الحديث لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي .

ولأبي عبيد القاسم بن سلاّم البغدادي (١) .

ولأبي اسحق ابراهيم بن اسحق الحربي .

ولأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري .

ولأبي سليمان حَمْد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب بن طهمان ابن عبد الرحمن بن أُنْبويْهِ هزاربنده الخطّابي النيسابوري .

والملخص في غريب الحديث لأبي الفتح عبد الواحد بن الحسن بن محمد ابن اسحق الباقرحي .

والفائق لأبي القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري .

والغريب لأبي منصور محمد بن عبد الجبار السمعاني .

وجُمَل الغرائب لمحمود النيسابوري .

والمنمق لأبي جعفر محمد بن حبيب (٢) .

والمنمم له .

والمحبَّر له .

والموشّى له .

والمفوّف له .

---

(١) هو وما سيأتي من « الأغربة » رأيت غالب نسخها في استانبول ، مع عدة « أغربة » أخرى لم يعرفها ولا ألمّ بها .

(٢) وهو موجود بلكنو .

والمؤتلف والمختلف له ٠

وما جاء اسمان أحدهما أشهر من صاحبه له ٠

وكتاب أيام العرب له ٠

〃 الطير لأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني ٠

〃 النخلة له ٠

〃 الزينة له ٠

〃 المُفْسَد من كلام العرب والمُزال عن جهته له ٠

〃 المعمرين له ٠

وجمهرة النسب لمحمد بن السائب الكلبي ٠

وكتاب المعمرين له ٠

وأخبار كندة له ٠

وكتاب افتراق العرب له ٠

〃 أسماء سيوف العرب المشهورة له ٠ (ورقة ٤ ظ)

〃 اشتقاق أسماء البلدان له ٠

〃 ألقاب الشعراء له ٠

〃 الأصنام له ٠

〃 أيام العرب لأبي عبيدة ٠

والكتب المصنفة في أسامي خيل العرب ٠

والكتب المصنفة في المذكر والمؤنث ٠

وفي المقصور والممدود ٠

وفي أسماء الأسد ٠

وفي الأضداد ٠

وفي أسامي الجبال والمواضع والبقاع والأصقاع .

ودارات العرب .

والكتب المؤلفة في النبات والأشجار .

وفيما جاء على فَعالِ مبنيا .

والكتب المؤلفة فيما اتفق لفظه وافترق معناه .

وفي الآباء والأمهات والبنين والبنات .

ومعاجم الشعراء لدِعبِل .

والآمدي .

والمرزباني .

والمقتبَس له [١] .

وكتاب الشعراء وأخبارهم له .

» أشعار الجن له .

» التصغير لابن السكيت .

» البحث له [٢] .

» الفرق له .

» القلب والإبدال له .

» اصلاح المنطق له .

» الألفاظ له .

» الوحوش للأصمعي .

» الهمز له .

» خلق الإنسان له .

---

(١) يوجد في استانبول منتخب مختاره في مجلد .

(٢) منه نسخة حديثة ناقصة في الدار .

وكتاب الهمز لأبي زيد .

〃 يافع ويفعة له .

〃 خبأة له .

〃 أيمان عيمان له .

〃 نابه ونبيه له .

〃 النوادر للأخفش .

ولابن الأعرابي (١) .

ولمحمد بن سلّام الجمحي .

ولأبي الحسن اللحياني .

ولأبي مِسْحَل (٢) .

وللفرّاء .

ولأبي زياد الكلابي .

ولأبي عبيدة .

وللكسائي .

وكتاب المُكنَّى والمُبَنَّى لأبي سهل الهروي .

والمثلّث أربع مجلدات له .

والمُخَنَّق له .

وكتاب (ظ) معاني الشعر لأبي بكر ابن السَّرّاج .

والمجموع لأبي عبد الله الخوارزمي .

---

(١) بالخالدية في القدس مجلده الأول .

(٢) اكتشفت منه نسخة جليلة باستانبول برواية ثعلب عن اخي ابن الأعرابي ، وكنت أعلنت عن نشره قبل ٢٥ عاماً ولم أوفق إلى ذلك .

وكتاب الآفق لابن خالدية .

« ليس له .

« اطرغش وابرغش له .

« النسب للزبير بن بكار .

« المعمرين لابن شبّة .

والمجرد للهُنائي [١] .

واليواقيت لأبي عُمر الزاهد .

والموشّح له .

والمداخلات له [٢] .

وديوان الأدب للفارابي .

وديوان الأدب وميدان العرب لابن عُزَيْز [٣] .

والتهذيب للعجلي .

والمحيط لابن عباد [٤] .

وكتاب العين للخليل .

وحدائق الآداب للأبهري [٥] .

والبارع للمفضل بن سَلَمة .

والفاخر له .

واخراج ما في كتاب العين من الغلط له .

---

(١) وهو موجود في الدار وفي استانبول .
(٢) نشرته في مجلة المجمع .
(٣) بزايين مصغراً مصروفاً .
(٤) منه مجلدة في الدار وأخرى في استانبول ورأيته كاملاً في النجف .
(٥) منه نسخة جليلة باستانبول .

والتهذيب للأزهري .

وكتاب المدخل الى علم النحت له .

〃 المقاييس له .

〃 الموازنة له .

〃 عالي الغريب المصنف له .

〃 ذو وذاه[١] .

〃 الترقيص للأزدي .

〃 الجمهرة لابن دريد .

〃 الاشتقاق له .

〃 الزبرج للفتح بن خاقان .

〃 الحروف لأبي عمرو الشيباني .

〃 الجيم له .

〃 الزاهر لابن الأنباري[٢] .

والغريب المصنف لأبي عبيد .

وكتاب التصحيف للعسكري[٣] .

〃 الجبال لابن شميل .

وضالة الأديب لأبي محمد الأسود .

وفرحة الأديب له[٤] .

---

(١) على الهاء السكون بعلامة « صح » .

(٢) منه أصل قديم باستانبول ، ويقال إن اختصاره للزجاجي أحسن منه .

(٣) تام في ثلاثة أجزاء في الدار وكان طبع أولها قديماً مصحّفاً .

(٤) نسخته العتيقة بالدار وفيها اخرى منه بخط البغدادي .

ونزهة الأديب له .

وسقطات ابن دريد في الجمهرة لأبي عُمَر .

وفائت الجمهرة له .

وجامع الأفعال .

وسميته العباب الزاخر واللباب الفاخر . (ق ٥ و)

ولما كان مولانا المولى المالك الوزير الأعظم الصاحب الكبير المعظم العالم العادل المؤيد المظفر المنصور المجاهد سيد صدور العالم مؤيد الدنيا والدين عماد الإسلام والمسلمين عضد الدولة تاج الملة ركن الملك ظهير الخلافة المعظمة صفي الإمامة المكرمة ملك وزراء الشرق والغرب غياث الورى أبو طالب محمد ابن السعيد المرحوم كمال الدين ابي العباس احمد بن محمد بن علي بن العلقمي نصير أمير المؤمنين ذو الفضائل المشهورة والفواضل المشكورة والمنائح المبرورة والمآثر المأثورة الواقف على مصالح البلاد همّه ولُهاه الباذل في حراسة نفائسهم ونفوسهم أقصى جُهده ومنتهاه الذي نُحِت الوِزارة منه قطب الأمة وحبرها وأسدّها وزهيت وسادتها علما بأنه أعلم من وطئها وأكرم من توسَّدها .

ان الوزارة لم يكن كفؤاً لها إلا الوزير محمد بن العلقمي

الذي أخصب به ربع الفضائل وكان دارسا ووضح بسعيه مَعلم العلوم بعد أن كان طامسا وُحميت بسياسته المرهوبة ثغور الإسلام وكانت مخوفة وأصبحت(١) بفوائض مكارمه جوامع الآمال واضحت نوافرها آلفة مألوفة وأفاض على حفدة الأدب سجال مواهبه الغامرة وحبّبه اليهم بما أناله من مِنَحه السابغة فأضحت رباعه بعد الدروس عامرة فتنبهت هِمَمُ أولي العلوم وكانت راقدة وفاضت شعاب الفوائد (ق ٥ ظ) فيض أياديه الغزار وكانت تلك الشعاب جامدة

---

(١) افادت وأضاف أنه في الأصل : « أصبحت » .

كلما قيلَ قد تناهى أرانا   كرماً ما اهتدتْ اليه الكرامُ (١)

لا زال الإسلام محروساً بعوالي هممه والإيمان محميّاً الجنابِ بماضي سيفه وقلمه والرعايا في ظل رعايته وادعين وملوك الممالك تظل أعناقهم له خاضعين نفق بضاعتي من العلم بعد أن كانت كاسدة وأصلح بحسن نظره لي طويّة الدهر وكنت أعهدها فاسدة ، وشرّفني بمطالعة مصنفاتي وارتضاء مؤلفاتي ولقد أسفت على كل ساعة قضيتها في غير ظله وكلم عرضتها على غير فضله وودت أن تلك الساعة لم تسعني وعلمت أن تلك الكلمة كانت تقول دعني . ولمنافستي في هذا الشرف أن ينقرض فيه ذكري بعد انقضاء عمري لم أزل أفكر فيما يخلد لي مزية الانتماء الى مكرم جنابه ويجعل لوجودي خلفاً يقوم في الخدمة باحسان منابه الى أن أوعز إليّ أنفذ الله تعالى في الآفاق عالي أمره وعضد الإسلام وأهله بإفاضة البركة على عمره بأن أؤلف كتاباً في لغة العرب يكون إن شاء الله تعالى بيُمن نقيبته وفق الأدب جامعاً شتاتهـا وشواردها حاوياً مشاهير لغاتها وأوابدها يشتمل على أداني التراكيب وأقاصيها ولا يغادر منها سوى المهملة صغيرة ولا كبيرة إلا وهو يحصيها . فنبّهني مرسومه الشريف على ما كنت أرتاده وجريت في طاعته وتوخي كريم رِضاه على ما أنا معتاده وزففت هذه الخريدة الغيداء والفريدة العذراء الى أكرم كفوٍ وخِطب وأعلم كل ذي نُهية ولبّ فانه في استحقاق زفاف عقائل نتائج العقول اليه طبقة وفي المثل السائر وافق شنّ طبقة ولعل من سماه الناس عالماً (٢) ولم يغنَ في العلم يوماً كاملاً أو بعض التحذلقين ومن هو دون القُلّتين يطالع هذا الكتاب ويطلع على بيت منه غير منسوب وهو في غيره من كتب اللغة كالتهذيب والصحاح والمجمل وغيرها

(١) البيت للمتنبي .
(٢) كذا في الأصل بدل (عاملا) .

منسوب أو بيت منسوب الى غير من بسب اليه في هذه الكتب أو صدر بيت عجزه مغيَّر فيها أو حديث وقد جعلوه مثلاً أو مثل وقد جعلوه حديثاً فظن أنه وجد تمرة الغراب أو سبق المجين العِراب

هيهات تضرب في حديد بارد

أوردها سعد وسعد مشتمِلْ ما هكذا تورد يا سعد الإبل

صَمِّي صَمامِ .

أطرِق كرا أطرق كرا إنّ النعام في القُرى [1]

انظر [2] لرجلك قبل الخطو موقعها فمن علا زَلَقاً عن غِرّة زلجا

رُبّ كلمة تقول دعني إذا ناوأت الرجال فاصبر ليس بعُشّك فادرجي ما اسمك اذكر فلا يسيء الظن بي بل غيري في ذلك أولى بأن ينسب الى التزييف أو يرمى بالتصحيف والتحريف فاني قد نخلت الكتب المتداولة بين الناس نخل محصِّلة وأثرت مُبَحثِراً فصّ كل كتاب منها ومفصِلَه فوجدتُها مَشاكةً يحتميها الحافي وبعافها العافي وخصت عن بيت بيت وركضت في ميادينها الكميت فوجدتهم قد خلطوا الهَمَل بالمرعيّ ولم يكن بالمرء عِيٌّ وتناعسوا (ق ٦ ظ) فتمادى بهم النوم وطاب لهم الكرى ظلّ [3] الدّوم .

* * *

(١) تكلم عليها البغدادي في الخزانة وأفاض .

(٢) في الحماسة .

(٣) ويقال : ان الدوم لا ظل له فوجه الكلام إذن « الظل الدوم » أي الدائم .

هذا أبو منصور الأزهري

شيخ عهده وزمانه وإمام عصره وأوانه والمشار اليه في كثرة النُقَل والمضروب اليه اكبادُ الإبل أنشد في ك ل ل للعجاج :

حتى يَحُلُّونَ الرُّبَى كلا كلا

وهو لرُؤبة لا للعجّاج والرواية قوماً يحلون ، وأنشد في ركض لرؤبة :

والنسر قد يَرْكُضُ وهو هافِ

وهو للعجّاج لا لرؤبة . وأنشد في ك د س لعَبِيد :

(وخيلٍ تَكَدَّسُ بالدارعين كمشي الوعول على الظاهره)

وهو لمهلهل لا لعبيد ، وأنشد في س ك ر لأوس :

خُذلتُ على ليلة ساهره فليست بطَلْق ولا ساكره

وهو مُداخل الرواية .

خُذلتُ على ليلة ساهره بصحراء شَرْج الى ناظره
تُزاد لياليَّ في طولها فليست بطَلْق ولا ساكره

وفي كتابه من هذا الجنس أكثر من ألف موضع .

وأما أبو منصور اسماعيل بن حماد الجوهري

الذي تَخِرُّ له جباه أهل الفضل وُحكم له بحيازة السبق والنَضْل فقد قال في تركيب س ع ب قال ابن مقبل :

يعلون بالمَرْدَقُوْش الوردِ ضاحيةً على سعابيب ماء الضالة اللَّجِزِ

ثم قال أراد اللَّزِجَ فقبله وذكر في فصل اللام من باب الزاي اللَّجِز قلب اللَّزِج وأنشد البيت ، فلو كان هذا المقبل اطلع على ديوان شعر ابن مقبل لعلم أنه ليست له قصيدة زائية وانها نونية وأول القصيدة :

قد فرّق الدهرُ بين الحيّ بالظَّعَن وبين أهواء شَرب يوم ذي يَقَن

وقبل البيت الذي ذكره :

يَدْنِينَ أعناقَ أُدْم يختلِين بها حَبَّ الأراك وحبَّ الضال من دَنَن

يعلون ، فقد أخطأ في اللغة حيث قال اللجز اللزج وفي الانشاد حيث جعل القافية النونية زائية . وقال في تركيب ش س ب قال الوقّاف العُقيلي :

فقلت له حان الرواحُ ورُعتُه بأسمرَ مَلْوِيٍّ من القِدّ شاسبِ

وهو مُزاحِم العقيلي لا للوقّاف . وقال في تركيب ر ق ء وفي الحديث لا تسبّوا الإبل فإن فيها رَقوءَ الدم وانما هو قول أكثم بن صيفيّ في وصيّة كتب بها الى طيّء والوصيّة بطولها مذكورة في كتاب المعمَّرين لابن الكلبي . وقال في تركيب خضم والخِضَمّ أيضاً في قول أبي وَجزة السعدي : المُسِنّ من الإبل وإنما هو المِسَنّ بكسر الميم وفتح السينُ وهو الحَجَر الذي يُحَدّ به السكّين ولو لم (٧ ظ) يقل من الإبل لحُمل على الغلط من النسّاخ وبيت أبي وجزة الذي يذكره هو قوله :

شاكت رُخامى قذوفِ الطرف خائفةٍ هول الجنان نزور غير مخداج

حَرّى موقّعةٍ ماجَ البنانُ بها على خِضَمٍّ يُسقّى الماء عجّاجِ

وقال في تركيب زرر وإذا كانت الإبل سِماناً قيل (بَهازَرَة) والصواب (بَهازِرَة) على مثال فَعالِلَة ، والكلمة رباعية وفي هذا الكتاب ما يشاكل ما ذكرتُ منيف على ألفي موضع نبهت عليها كلها في كتابي التكملة ومجمع البحرين ، وقد صحح نسخته وحشّاها من قرأ عليّ هذا الكتاب بالهند والسند واليمن والعراق وقد صحّحتُ نسخةً وحشّيتها بخطي بمدينة السلام حماها الله تعالى للخزانة الميمونة المعمورة الوزيرية المؤيدية زاد الله صاحبها من الارتقاء في دَرَج الجلال ووقاه وذُرّيته عَينَ الكمال فمن رام مصداق ما ذكرت فليُقِرّ عينه بادارتها فيها وليرتع في رياض فرائدها وفوائد حواشيها .

وأما شيخ هذه الصناعة وفارس ميدان البراعة أبو الحسين احمد بن فارس ابن زكريا الرازي فانه مع كثرة تصانيفه وجودة تآليفه لم يسلّم جَواده في جَوادّ هذا المِضمار من الكَبْوة والعِثار وقد ذكر في المجمل في تركيب ت م م والمتتَمّم المكسَّر وهو في قول الشاعر :

(أو كانهياض المُتْعَب المتَتَمّمِ)

فمن كانت بضاعته في حفظ أشعار العرب مُزْجاةً وشدا طَرفاً من علم العروض حكم أنه من البَحر الكامل على وزان قول أبي كَبير الهذلي :

أزهيرَ هل عن شيبة من مَعْلَمِ   أم لا خلود لباذلٍ متكرّمِ

والرواية (كانهياض) بغير كلمة (أو) والبيت من الطويل وهو لذي الرُّمة وصدره [1] :

إذا نال منها نظرةً هِيض قلبه   بها . . . .

وقال في تركيب ث غ ر ثغرة النحر الهَزْمة في اللّبة قال :

وتارة في ثُغَر النحور

وهو مغيَّر والرجز للعجّاج والرواية :

يَنشِطُهنّ في كُلى الخصورِ   مَرًّا ومَرًّا ثُغَرَ النحورِ

وتارةً في طبَق الظُّهور

يصف ثوراً وحشياً يطعن الكلاب بِرَوْقَيه . وقال في تركيب ج ل ل فعلته من جلالك أي عَظَمتك قال : (وا كرامي العدى من جلالها)

والرواية : (وا كراميَ القومَ العِدَى...) ،

وصدره : (حيائي من اسماء والخرق دونها)

(١) اللجنة : ورواية اللسان :

(إذا ما رآها رؤيةً هيض قلبه   بها كانهيـاض المتعب المتَتَمّمِ)

وفي هذا الكتاب من هذا النوع حدود خمسُ مائة موضع ، وفي سائر تصانيفه من هذا الجنس من الخلل كثير وقد ذكر[1] في كتابه الموسوم بالصاحبي في فقه اللغة في حروف المعاني في ذكره كلمة رُوَيد :

وقال (٨ ظ) قالوا هو تصغير رود وهو المَهَل قال :

(كأنها مثلُ من يمشي على رُودِ)

وهذا الإنشاد مقلوب محرف والرواية :

كأنه ثَمِلٌ يمشي على الرُودِ

وصدره : يمشي ولا تكلِم البطحاء خطوتُه

ويروى وطأته ، ويروى (كأنه فاتن) أي صبي ، وقيل جارية ، والبيت للجَموح الظَفَري قاله يوم نَبْط وهو يوم ذاه[2] البَشام وكذلك سائر تصانيفه وأكثرها عندي .

وأما شيخ شيوخ هؤلاء السلف الإصليت يعقوب بن اسحق السكيت فمشار اليه في هذا الفن ، وكتابه (الإصلاح) محتاج الى الإصلاح ، وقد قال في باب فَعْل وفِعْل قال الراجز :

مُهْرَ أبي الحَبْحاب لا تَشَلّ   بارك فيك الله من ذي ألّ

والرواية (مهر أبي الحرث) وهو أبو الحارث بِشر بن عبد الملك بن بشر ابن مروان الذي يقول فيه بَشير بن النِكْث :

(بِشر بن عبد الملك بن بِشر   كالنيل يَسقي قُرَيَاتِ مصرِ)

والرجز لأبي الخُضْري اليربوعي ، وقال في باب فَعْل وفَعَل قال أبو ذؤيب :

ومُدَّعس فيه الأنيضُ اختفيتُه   بجرداء مثل الوكف يكبو غرابها

(١) في ص ١٢٤ .

(٢) ذاه بعلامة صح بدل ذات المنتشرة غلطاً .

صدر البيت من قصيدة رائيّة وعجزه (٩ و) :

بجرداء ينتاب الثميل حمارها

وليس فيه شاهد على الوكف وعجزه من قصيدة بائية وصدره :

تدلّى عليها بين سِبٍّ وخيطة

وقال في الباب : وقد أجرسني السَّبُعُ اذا سمع صوتَ جَرْسي قال :

حتى اذا أجرسَ كلّ طائر قامت تعنظي[1] بك سِمْعَ الحاضر

وبين المشطورين مشطوران وهما :

وألجأ الكاب الى المآخر تميُّزُ الليل لأحوَى جاثر

والرجز لجندل بن المثنّى الطُهَوي . وقال في باب ما جاء مضموماً : الأُبُلّة أيضاً القِدْرة من التمر قال الشاعر :

فيأكل ما رُضّ من زادنا ويأبى الأُبُلّةَ لم تُرْضَضِ

والرواية من زادها ومن تمرها ، وهو الصَّحيح أي من تمر الظبية المذكورة في البيت الذي قبله وهو :

لها[2] ظبية ولها عكّة اذا أنفضَ القومُ لم تُنْفِضِ[3]

والشعر لأبي المثلّم الهذلي . وقال في باب ما يفتح أوله وثانيه : ومن العرب من يخفف ثانيه وقال ' وقد علتني ذُرأةٌ بادي بدِي

ورَثْيةٌ تنهض في تشدّدي وصار للفحل لساني ويدي

(٩ ظ) والرجز لأبي نُخيلة السعدي والمشطور الثالث ليس في رجزه . وقال في باب ما جاء على أفعلت والعامة تقول بَفعلت قال الهذلي : (وقد همّت بإشحانِ)

---

(١) الى انه يروى بالاهمال والاعجام . وراجع السمط .

(٢) وله معاً .

(٣) بالياء والتاء معاً .

والرواية (عُراةً بعدَ إشحانِ) والهذلي هذا هو أبو قلابة وأول البيت :

إذْ عارت النبلُ والتف اللّفوفُ وإذ سَلّوا السيوف . . . . . .

وهلمّ جرّا .

وأما الصاحب بن عبّاد فانه كتابه المسمى بالمحيط لو قيل انه أحاط بالأغلاط والتصحيفات لم يبعد عن الصواب ، وكان علماء زمانه خافوا انهم لو نطقوا بشيء منها قطع رسومَهم وتسويغاتِهم فلبّوا نداءه وأمّنوا على دعائه ونجوا بالصمت . ومن جملة تصحيفاته أنه قال في تركيب ن ز م : النّزْم شدة العضّ ، والمنزم السنّ ، والنّزيم حُزمة من بقل ، وكل هذا بالباء الموحدة

(وكم مثلها فارقتُها وهي تَصفِر)

ولم أذكر ما ذكرت مما وقع فيه السهو او انحرف عن سَنَن الصواب ونهج السداد والعياذ بالله إزراءً بهم أو غضًّا منهم أو تنديداً بالهَفوات أو وضعاً من رَفيعات أقدارهم بالسَّقطات ، وكيف وما استفدت إلا من تصانيفهم ولا انتفعت إلا بتآليفهم ، وما اهتديت إلا بأنوارهم ولا اقتفيت إلا لواحِب آثارهم ، وما حملت ذلك إلا على الغلط من الناسخين لا من الراسخين أو أنهم لفرط اهتمامهم بالإفادة لم يَتفرّغوا للمعاودة والمراجعة ، فهم القدوة وبهم الأسوةُ رحمنا الله تعالى وإياهم وَجزاهم عن جِدّهم وجُهدهم خيراً ، ولو ذكرتُ لكل كتاب صُنف في اللغة نموذجاً لطال الكلام وسَلِسَ النظام ؛ فلما رايت مسلكَ التناول من هذه الكتب شائكاً وَعْراً قلتُ لنفسي [1] « أطِرّي فانك ناعلة » وُسقت

(١) في الأصل بالطاء والظاء معا ؛

(لجنة المجلة) : وهو مَثَلٌ جاء في اللسان (نعل) تفسيره بأنه أراد أدِلّي على المشي فانك غليظة القَدَمين غير محتاجة الى النعلين ، وأحال الأزهري تفسير هذا المثل على موضعه في حرف الطاء .

هذا الكلام أمام شروعي في الكتاب مَزجرةٌ لكل ناقص وقد قيل :

لا تَهنأْ من تمنّى مع نفسٍ جاهله   أن يساوي من تعنّى في نفيس الجاه له

وأسأل الله أن يجعله خالصاً لوجهه ومقرباً من رحمته فقد فسرت فيه عدة آيات من كتاب الله تعالى وقطعة صالحة من غرائب أحاديث رسول الله ﷺ وأحاديث الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ورحمهم أجمعين وأرجو من عميم فضله أن يُيسّرَ هذا الكتاب في الآفاق ويُهيبَ عليه قَبولَ القَبول ويعصمَ من الزلل والخلل والخطل وهو حسبي ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصيرُ .

عبد العزيز الميمني

بدمشق الفيحاء ١٧/٧/٦٠ م

نصوص تاريخية

رسالة الكاتب ابن أبي الخصـــال

التي نال فيها من كرامة المرابطين

عرف المرابطون بالحلم والتسامح والإغضاء حتى انهم لم يريقوا محجم دم في غير ساحة القتال . وموقف يوسف بن تاشفين من المعتمد بن عباد معروف بل ومن غيره من ملوك الطوائف ورؤساء الأندلس الذين سلموا فسلموا بعد أن كان منهم من الشغب والخلاف على اثر واقعة الزلاقة الشهيرة ما كاد يودي بحياة الشعب العربي في الأندلس مرة أخرى لولا مسارعة يوسف بتلبية رغبة هذا الشعب في النجدة والإنقاذ .

وقد أدت تصفية ملك الطوائف على النحو المعروف في التاريخ إلى إثارة حملة شعواء على المغاربة عموماً والمرابطين خصوصاً من طرف العناصر الموتورة والفئات التي كانت تستغل الوضع الفاسد الذي كان قائماً في الأندلس لمصلحتها الخاصة . ومن هؤلاء جماعة من الأدباء المتحللي الأخلاق الذين كانوا يجدون ما يرضي غوايتهم عند سادة العهد البائد ، وآخرون من ذوي الطموح السياسي الذين لم يرضوا الترضية الكافية فلجأوا الى التشنيع والتقول في الدولة الجديدة .

ولعل صاحبنا أبا عبد الله بن أبي الخصال كان من الفريق الثاني إذ لا نستطيع أن نصمه بأنه كان منحل الأخلاق وهو إلى أن يعد في العلماء وأهل الرواية والحديث أكثر من أن يعد في الأدباء فضلاً عن اصطناع المرابطين له

واستكتابهم إياه من قديم ، وهم لم يكونوا يقربون إلا أهل المروءة والدين من العلماء والأدباء . يقول ابن الأبار في ترجمته من المعجم « محمد بن أبي الخصال واسمه مسعود بن طيب بن فرج بن خلصة الغافقي ابو عبد الله ذو الوزارتين .. سكن قرطبة وأوليته من قرية بشقورة تسمى فرغليط وبها نشأ ومنها تردد في طلب العلم والأدب » وذكر جملة من مشايخه ثم قال « وعُنيَ بالحديث فأتقنه ، وأما البلاغة فاليه انتهت وعليه قصرت وبموته فقدت » وصفه بهذا أبو القاسم ابن حُبيش . وقال فيه ابن بشكوال « مفخرة وقته وجمال جماعته . » قال « وكان متفننا في العلوم مستبحراً في الآداب واللغات عالماً بالأخبار ومعاني الحديث والآثار والسير والأشعار أحد رجال الكمال » وسمعت شيخنا أبا الربيع موسى يقول لم ينطلق اسم كاتب بالأندلس على رجل مثل أبي عبد الله بن أبي الخصال ... وحكى لنا شيخنا أبو الحسين ابن السراج ان خاله أبا بكر ابن خير وأبا القاسم بن بشكوال وأبا القاسم بن غالب المعروف بالشراط قصدوا ذات يوم قبر أبي عبد الله بن أبي الخصال وقد وعدوا أحد تلاميذهم أن يقرأ هناك عليهم قصيدته البائية التي وسمها بمعراج المناقب ومنهاج الحسب الثاقب قال « وكنت فيمن صحبهم لأخذها عنهم فسمعتهم يترحمون عليه ويقولون عند انتهائهم السلام عليك يا زَيْنَ الإسلام » قال ابن الأبار « ومع كماله ، لم يَحْظَ من أمراء عصره بآماله ، وهي عادة الأيام العادية في أمثاله تَوارَى لما بهر ، وخفي أضعاف ما ظهر ، وصار أخوه أبو مروان بالكتابة عنهم أشهر ، والذي قعد بأبي عبد الله هو قيام ابن الحاج أمير قرطبة على ابن تاشفين وثورته التي نكب عنها ، ونجا ولكن كيف منها ؟ وكان حينئذ أوثق حاشيته وأسبابه ، وألصق وزرائه به وكتابه ، مع أن اختصاصه لم يكن إلا بابنه أبي يحيى أبي بكر ابن أبي عبد الله حتى وسمه بذي الوزارتين فجرت عليه تخصيصاً بعنايته ، ومكافأة لكفايته ، فكم جلّى من تلك الخطوب الجلائل ، وأبلى باليراع

والرسائل ؛ مكان ذوات العمود والحمائل ، ولما استقل ابن الحاج وولى ما ولى من أعمال المغرب . عاد ابن أبي الخصال لصحبته هناك هو وأبو بكر بن عبد العزيز وطائفة انضوت من حرمته الى الحصن الحصين والحرز الحريز . وذلك لشفوف هذا الأمير على أترابه وخفوف ذاته الراجحة في حقوق أصحابه ، ثم انهم انتقلوا بانتقاله الى سرقسطة أم الثغر الشرقي حين حلها ذاباً عن أرجائها ، ومجاهداً لأعدائها ، حلول البر التقي وإذ حُمَّت شهادته قافلاً من غزاته في التاريخ المرسوم كسد ما نفق في أيامه من بضائع العلوم ، وناصع المنثور والمنظوم ، فلزم أبو عبد الله داره خائفاً من تلك الأحقاد القديمة وراضياً بالإياب اليها من الغنيمة وفي أكثر عمره ارتدَّ على العقب مأموله ، وامتد بطول مدة ابن تاشفين خموله ... الى أن حتمت منيته بالفتنة الحمدينية فاستشهد رحمه الله ودفن بوم الاحد الثالث عشر من ذي الحجة سنة ٥٧٠ . ومولده سنة خمسين وقيل سنة ٤٦٣ » .

فهذه الأطوار التي تقلب فيها كاتبنا الكبير تدل على أنه كان ذا نفس قوية وانه لم يستغن بالعلم بل تشوف الى الظهور عن طريق السياسة ، ومن ثم شارك في ثورة ابن الحاج بقرطبة . وابن الحاج هذا هو ابو عبد الله محمد ابن داود بن عمر اللمتوني أمير قرطبة من رجالات يوسف بن تاشفين وذوي السابقة في الجهاد بالأندلس وكان قد دفع إمرة علي ابن يوسف وتلكأ عن بيعته لأول ولايته سلطانَ أبيه ومالأه الملأ من أهل قرطبة ، مشيختها وفقهائها وذلك سنة ٥٠٠ ثم نُكِب وقُبِض عليه وفسد تدبيره وهرب من كان معه من الأعيان الى أن رضي عنه علي بن يوسف وولاه مدينة فاس وما اليها من الأعمال ثم نقله الى ولاية سرقسطة وبلنسية من شرق الأندلس حيث استُشهِد سنة ٥٠٨ ، وكان ابن ابي الخصال يصحبه في هذه المدة كلها

ويكتب له ويظهر انه صحب ابنه أبا بكر الملقب بأبي يحيى قبل صحبته لأبيه وخدمه كما خدم أباه وهو الذي لقبه بذي الوزارتين كما سبق عن ابن الأبار ثم التحق بعد ذلك بخدمة أمير المسلمين علي بن يوسف • وعلى ما يُفهَم من أسجاع الفتح بن خاقان كان تلقيبُ الأمير أبي يحيى له بذي الوزارتين في حالة سكرٍ أيامَ قيامهم على عليّ بن يوسف • وابنُ خاقان وإن نوَّه به كثيراً فان كلامه عنه لا يخلو من مَغامز •

وعلى كل حال فنحن نعتقد انه بعد وفاة مخدومه الأول الأمير ابن الحاج خدَم علي بن يوسف كاتباً مع أخيه ابي مروان عبد الملك كما عند (المعجب) وربما كان أخوه هذا هو الذي سعى في استدعاء أمير المسلمين له إذ يظهر من عبارة ابن الابار انه كان محظوظاً عندهم وعالي المكانة لديهم وإذن فقد أخطأ ابن الابار في قوله : ان صاحبنا لزم داره بقرطبة بعد وفاة ابن الحاج خائفاً من تلك الأحقاد القديمة الخ ... فان أمير المسلمين كان قد عفا عن ابن الحاج وعن جميع أتباعه وهو منهم فلم يكن لديه ما يخاف منه ولو كان يريد الانتقام منه لما امتنع عليه • وأعظم من هذا أننا نرى عبد الواحد المراكشي في (المعجب) يذكر انه كتب لعليّ بن يوسف مع أخيه ابي مروان ولا يكون ذلك إلا بعد عَطَله من العمل • وفي هذه الأثناء كتب رسالته المشهورة في التشنيع على المرابطين التي استفزت حلم أمير المسلمين فعزله عن كتابته وحينئذ يكون لزم داره متخوفاً من تلك الأحقاد على حق في هذا التخوف •

وسياق الخبر كما يستفاد من (المعجب) ان علي بن يوسف كان قد استدعى كاتبنا فيمن استدعاهم من أعيان الكتاب الأندلسيين للكتابة عنه ، وانه كان من أنبههم عنده وأكبرهم مكانة لديه كما قال ابن الأبار في أخيه أبي مروان «فلم يزل أبو عبد الله هذا وأخوه كاتبين لأمير المسلمين الى أن أخَّر أميرُ

المسلمين أبا مروان عن الكتابة لِمَوْجِدة كانت منه عليه سببها أنه أمره وأخاه أبا عبد الله أن يكتبا عنه الى جند بلنسية حين تخاذلوا وتواكلوا حتى هزمهم ابن رذمير لعنه الله هزيمة قبيحة[1] وقتل منهم مقتلة عظيمة فكتب أبو عبد الله رسالته المشهورة في ذلك ، وهي رسالة كاد أهل الأندلس قاطبة أن يحفظوها ، أحسنَ فيها ما شاء وقد منعني من إيرادها ما فيها من الطول وكتب أبو مروان رسالة في ذلك الغرض أفحش فيها على المرابطين وأغلظ لهم في القول أكثر من الحاجة فمن فصولها قوله (أي بَني اللَّئيمـة ، وأعيارَ الهزيمة ، الى مَ يُزَيفكم الناقد ، ويردكم الفارس الواحد ؟

فليت لكم بارتباط الخيول ضأناً لها حالب قاعدُ)

لقد آن أن نوسعكم عقابا ، والاَّ تَلوثوا على وجه نقابا ، وان نعيدكم الى صحرائكم ، ونطهر الجزيرة من رُحَضائكم) في أمثال هذا القول . فأحنق ذلك أمير المسلمين وأخره عن كتابته ، وقال لأبي عبد الله أخيه كنا في شك من بغض أبي مروان للمرابطين والآن قد صح عندنا . فلما رأى ذلك أبو عبد الله استعفاه فأعفاه ورجع الى قرطبة بعد ما مات أخوه أبو مروان بمراكش ، وقام هو بقرطبة الى أن استشهد رحمه الله أول الفتنة الكائنة على المرابطين[2] .

وهذا النص ان كان أفادنا بسبب كتابة الرسالة التي نحن بصددها فان فيه تخليطاً على ما يظهر وبيانهُ :

(١) انظر عن حروب ابن رذمير والمرابطين ما أورده كتاب القرطاس أثناء ترجمة علي بن يوسف وبالخصوص حوادث سنتي ٥١٢ و ٥١٣ التي سقطت فيها مدينة سرقسطة بيد ابن رذمير وبلاد اخرى من شرق الأندلس وهي الحوادث المعنية بهذه الهزيمة التي صدرت فيها الرسالة على ما نظن . وابن رذمير هو الفونس الأول ملك اراغون .

(٢) المعجب ص ١٧٦ طبعة دار الكتاب .

١ — ان أمير المسلمين كلف الأخوين معاً بأن يكتب كل منهما رسالة في الموضوع فكتبا رسالتين مُقْذِعَتَيْن ولكن التي كتبها ابو مروان كانت أفحش من التي كتبها ابو عبد الله . والعجيب ان التي اشتهرت وطارت كل مطار هي التي لهذا الأخير مع أن الأمر ينبغي أن يكون على العكس وهو أن تشتهر الرسالة التي هي أكثر فحشاً والتي كانت السبب في عزل صاحبها . ثم لِمَ يكلِّفُ أميرُ المسلمين الكاتبين معاً بكتابة هذه الرسالة ؟ أكان في شك من كفاءتها فهو يريد أن يمتحنهما ؟

٢ — إن الفصل الذي أثبته المراكشي وقال انه من فصول رسالة أبي مروان هو في رسالة أبي عبد الله كما وجدناها في نصها الكامل بأحد المجامع الأندلسية من مخطوطات مكتبة الاسكوريال تحت رقم ٥٣٨ منسوبةً الى أبي عبد الله وسيراه القارئ في هذه الرسالة التي سنُثْبِتُها فيما يلي . وهو قد اقتضبه اقتضاباً وتصرف فيه بالتقديم والتأخير مما يدل على أنه أثبته من حفظه وليس من نسخة كانت عنده .

٣ — ان أحداً من المؤرخين لم يذكر عن أبي مروان شيئاً مما يفيده كلام المراكشي وانما يفيد كلامهم عنه انه كان يحل من أمير المسلمين بمنزلة المُحَبِّ المُكرَّم ، وان الذي نبا به المنزل عنده هو أبو عبد الله وهو في قول المراكشي نفسه صاحب الرسالة المشهورة التي كاد أهل الأندلس أن يحفظوها . ثم هو الذي نزح باتفاق معه من مراكش الى قرطبة وانزوى ببيته فيها خائفاً من نتيجة عمله على حين أن أبا مروان توفي بمراكش ، فلِمَ لا يكون توفي وهو في خدمة أميره متمتعاً برضاه لأنه لَمْ يعلَقْ قط بما يوجب تنحيته عن الخدمة ويسبب له سخط رئيس الدولة ؟ . . .

٤ — ان المراكشي لم يُشر الى أن رسالة أبي عبد الله كانت مدحاً أو ذماً ومقتضي سيرورتها وحفظ الأندلسيين لها انها من القبيل الثاني فلِمَ لَمْ يُعاقَب أبو عبد الله بشيء وهو صاحب السابِقَة في الخروج والتضامن مع الثائر ابن الحاج ؟ . . . .

في نظرنا أن المراكشي وقع له وَهْم في هذا الخبر لأنه كتب من حفظه بعيداً عن وطنه . وليست هذه بأولى غلطاته التاريخية التي نبهنا عليها في ترجمته من الذكريات . وان القريب إلى الصواب أن تكون الرسالة من إنشاء أبي عبد الله وانه هو الذي قال فيه أمير المسلمين لأخيه أبي مروان « لقد كنا في شك من بغض أبي عبد الله المرابطين والآن صح عندنا » لا العكس الذي جاء في عبارة المعجب واذ ذاك استعفى أبو عبد الله فأُعفِيَ ورجع الى قرطبة ولزم داره وبقيَ ابو مروان في منصبه حتى توفي .

والآن نرجع الى الرسالة التي قلنا اننا عثرنا عليها في مجموع أندلسي من مخطوطات المكتبة الاسكوريالية فنقول انها تقع في صفحتين من هذا المجموع وثلث الصفحة وكل صفحة تحتوي على ٢١ سطراً ، وخطُّها كباقي المجموع الأندلسي واضح ، وان كان لا يخلو من تحريف وهي مسبوقةٌ برسالة صادرة عن تاشفين بن علي الى أهل بلنسية لم يُسَمَّ كاتبُها ومتبوعةٌ برسالة أخرى من إنشاء كاتبنا ، مما كتب به عن أمير المسلمين عند جوازه من سبتة للجزيرة الخضراء . والمُهِمُّ انه في نهاية رسالتنا هذه وردت هذه العبارة « كمل ما كتب به الفقيه الأديب الكاتب البليغ ذو الوزارتين ابو عبد الله بن أبي الخصال عن أمير المسلمين » فلم يبق شك في أنها لصاحبنا أبي عبد الله لا لأخيه أبي مروان وبما أن العبارة التي أوردها صاحب المعجب ونسبها لأبي مروان هي من رسالة صاحبنا هذه فقد ترجح بذلك ان ليس هناك إلا رسالة واحدة في الموضوع وانها من إنشاء أبي عبد الله لا غير .

وسيرى القارئ لهذه الرسالة ان كاتبها أفحش فيها غاية الإفحاش ، وتناول

المرابطين بالقدح في دولتهم والطعن في أصلهم ، فجعلهم من بقايا بني الأصفر ، وهم - كما عُلِمَ - ينتسبون في صنهاجة الى حِمْير . ثم عيّرهم بالجبن والبداوة واللؤم ، وجعل دخولهم للاندلس نكبة ووبالاً عليها ، وانها بحاجة الى التطهير منهم ، ولم يدع سُبّة ولا كلمة تَنالُ من كرامتهم تصريحاً أو تلويحاً إلا رماهم بها ، كأنه كان يهتبل هذه الفرصة ليعبّر عن حقد دفين عليهم ، ومع ذلك يقال انه لم يحظ عندهم ولم ينل ما يستحقه من العطف والتقدير ، فالعجب كيف سلم بجلده بعد هذه الفعلة الشنعاء ! واقتصارُ أمير المسلمين مع ذلك على إعفائه من الكتابة عنه ؟ أَهُوَ في نظرنا مُغرِّبةُ الاخبار في الحلم والسماحة والصفح فلو صدر بعضُ ما في هذه الرسالة من الذم والهجاء من أحد كتاب الاندلس أو شعرائها في أحد ملوك الطوائف الذين يُقال أنهم كانوا يَبرُّون الأدباء ويكرمونهم وُيوَفُّون لهم حقهم لما كان جزاؤه الا القتل لا أن يستعفِيَ ويذهبَ لحال سبيله فيأوِيَ الى بيته خائفاً يترقب على ما قيل ؟ . . ومما يؤكد أن صاحبنا كان ناقماً على القوم لسبب ما ، وربما كان هو خيبته السياسية كما قدمنا ، انه توفي مقتالاً في فتنة ابن حَمْدِين الذي أراد أن يغتنم فرصة انحلال الدولة المرابطة فدعا لنفسه في قرطبة ولم يتم له أمر بدخول الموحدين اليها وقضائهم عليه وعلى رؤوس الفتنة جميعها . فهل شارك هو أيضاً في هذه الفتنة بما أوجب اغتياله ؟ . . . .

وبعد فهذا نص رسالته رحمه الله وعفا عنه ؛ وكنا نود أن نشرحها بما يُوضح معناها للعموم فرأينا ذلك يطول وحبذا لو وَقَع ضبطُها بالحركات في الطبع على ما ضبطناها في الخط فذلك مما يُعِينُ القارئ المتوسط على فهم أغراضها البعيدة المرمى ، ولا شك أن أمير المسلمين أدرك جميع معانيها الخفيـة حتى تأثّر بها وسرّح كاتبها من خدمته ، وهذا وحده ، مما يكفينا للدلالة على ما كان عند الأمراء المرابطين من ثقافة عربية متينة :

(من أميرِ المسلمين وناصرِ الدّين أما بعدُ يا فِرْقة خبُثَتْ سرائرُها ، وانتَكَثَتْ مرائرُها ، وطائفةً انتفخ سَحْرُها ، وغاضَ على حينِ مَدّه بحْرُها ، فقد آنَ للنّعَمِ أن تُفارِقكم ولِلأقدام أن تطأ مَفارِقكم ، حين رَكِبتُموها جلْواءَ عارِيَة ، وأصبحتُم في ادّراع عارِها أمثالاً سَواسية ، واختلط المَرْعِيُّ منكم بالهَمَل ، فما يتميّزُ الأنقصُ من الأكمَل ، فطأطأتم لها رُؤوسَ عشائرِكم ، وقضيْتُم بالفسُولة على سائرِكم ، لا جرمَ أن قد صِرْتُم سَمَرَ النّديّ ، والأحاديثَ المُلقّنة بالغداةِ والعشِيّ ، بما خامرَكمُ من الجُبْن والخوَر ، واستَهْواكم من لقاء عدوكم بالجانب الأزْوَر ، لا تُواجِهونهم طرْفةَ عيْن ، ولا تُعاطُونهم حُمةَ حَيْن ، بل تُعطُونهم الضّعةَ هَنيئاً مَريئاً ، وتتّخِذونهم وراءكم ظِهْرِيّا ، والرّماحُ نحوكم لم تُشرَع ، والخيلُ لم تُسرِع ؛ والنّفوس في حِياض المنيّة لم تكرَع ، فانكم ثُلّةُ ذِئابِهم ، وفريسةُ أنيابِهم ، قد نَقِهُوا في بُوسِكم ، وناهضُوكم بلَبُوسِكم ، وحاربُوكم عاماً على إثرِ عام ، حتى ألزَقوكم بالرّغام ، وترَكوكم أسْلحَ من حُبارى ، وأشْرَدَ من نَعام ، فالآن حين ملأتُم أيديَهم متاعاً ، ووادِيهم سِلاحاً وكُراعاً ، قد غزوكمُ في عُقْرِكم ، وأذاقوكم وبالَ أمركم ، فلُذْتُم بالجُدْران ، وبُؤْتُم بالندامة والخُسران ، يا بَقايا بني الأصفَر ، وسجايا ذواتِ الذّلّ والخفَر ، أكرِهتُم زِحافهم ، وكنتُم ـ علِمَ اللهُ ـ أضعافهم ، أنّى لكم بالمعْذِرة وأيْن ، وقد فرضَ اللهُ الواحدَ منكم بالاثنَيْن ، فقال « إنْ تكُنْ مِنكُمْ مائةٌ صابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائتَيْن » هذا وكلِمتُكم العُليا وحلوبتُكم الحياةُ الدّنيا . ما شئتُم مِن صارِم وطِرْف ونحض ورَكائبَ وسوام ، ونَضائدَ وخِيام ، فيا أسفا للحق يَدمَغُه الباطِل ، والحالي يبهرُه العاطِل ، لا يا الحنيفيّةِ تحرّزْتم ،

ولا إلى الحفيظة والإنابة تحيّزتم ، ليتَ شعري بماذا تقلّدتموها هنديّة ، واعتقلتموها سمهريّة خطّية ، وركبتموها جرداً سوابق ، وملكتموها مغاربَ ومشارق ، ثاوين في غير عدادكم ، منتزين على أضدادكم ، يؤدّون الإتاوة إليكم حين أشرفتموهم بالهوان ، وأنتم فيهم غرباء الوجه واليد واللسان ، وصيّروكم عبيدَ العصى ، ولستُوا بالأكثر منكم حصا(١) بل شرذمة قليلٌ نفعها ، كثيرٌ جمعها ، فياعجباً لذهولكم ، شبانكم وكهولكم ، تأكلون ثمرها ، ولا تصلون جمرها ، وتذهبون بحلوائها ، ولا تصبرون على لأوائها ، أي بني اللئيمة ، وأعيار الهزيمة إلى م يزيّفكم(٢) الناقد ، ويردّكم الفارس الواحد

ألا هل أتاها على نأيها بما فضحت قومها غامدُ
تمنّيتمُ مائتي فارسٍ فردّكمُ فارسٌ واحدُ
فليت لكم بارتباط الخيو ل ضأناً لها حالبٌ قاعدُ

ومن لرعاة الإبل ، بالجدّ المقبل ، لقدماً ما أذهبتم التالد والطارف ، وعجتم عجيجاً من جذامي المطارف ، وأنتم قد قدحتم في ملكينا ، وآذنتم بانتشار سلكينا ، فلولا من لدينا من ذويكم ، وضراعتهم إلينا فيكم ، لألحقناكم عجلا بصحرائكم ، وطهّرنا الجزيرة من رحضائكم بعد أن نوسعكم عقابا ، ونحدّ أن لا تلووا(٣) على وجه نقابا ، فاللؤم تحت عمائمكم ، والوهن

(١) بالأصل ولستم بالاكثرين منهم حصا ، والتصحيح من الطرة لكن ان ناسب المعنى الذي قبله فليس يناسب الذي بعده . والعبارة على كل حال مقتبسة من قول الشاعر :
ولستُ بالأكثر منهم حصاً وإنما العزّةُ للكاثر
(٢) بالأصل يريعكم والتصحيح عن المعجب فضلاً عما يقتضيه لفظ الناقد من التزييف .
(٣) بالأصل تلوا فلعل الواو الثاني سقط عند النسخ وفي المعجب تلوثوا وهي أحسن .

والفَشَلُ طيّ عزائمكم ، لكنْ ما جُبِلْنا عليه من الأناة ، وتوخّيناه قِدماً من إيقاظ ذوي الهَنات ، يكفّنا عن استيصالكم ، ويحملنا على شحذ نصالكم ، فاستنسروا يا بُغاث الهيجاء ، واستنيسوا بعد الوجاء ، واحذروا حلماً أغضبتموه ، وواديا من الصبر أنضبتموه ، وتوقّوا صدراً أحرجتموه ، وليثاً من أجمته أخرجتموه ، وأيمُ الله نُقسِم إنذاراً بكُم وإعذاراً لكُم ، لَنُورِدَنّ الفارّ منكُم من الزحف ، ما عافه من موارد الحتف ، ولنتجاوزنّ السوطَ الى السيف ، ولنبدّلنّ المعدلةَ فيكم بالحيف ، فليعلم المُحجِمُ منكم عن الإقدام ، أنّه سلِمَ من الحِمام إلى الحِمام ، وتخطّى مصرعَ الأسد الباسل ، إلى جذعٍ مائل ، وشهادةَ الأبرار ، إلى مشهد الذلّ والصغار ، كما أنّ من أُصيبَ منكمُ في حرب ، أو أبلى بطعن أو ضرب ، خلفناه في الأهل والولد ، وبعثناه الأثرةَ والكرامة يداً بيد ، فاختاروا لأنفسكم وأعقابكم ، وانضوا ثوبَ الخزي عن رقابكم ، والسلام ، على من حمى الإسلام) .

عبد الله كنون

كتب النبات

مرّ التأليف العربي في اللغة بمراحل متعددة ، فلم تظهر المعاجم بالصورة التي نراها عليها اليوم ابتداءً ، ولم يرتب اللغويون كتبهم الأولى على الحروف ، وإنما بدأ التأليف اللغوي برسائل صغيرة ، جمع فيها مؤلفوها الألفاظ المتعلقة بأحد الموضوعات ، فكان الموضوع عندهم أساسَ الجمع لا الترتيبُ وفق الحروف . وتعددت الموضوعات التي ألف فيها اللغويون رسائلهم ، مثل الإنسان ، والحيوان ، والنبات ، وغيرها من موضوعات البيئة العربية .

وقد سبق لي في كتاب « المعجم العربي » أن عالجت بعض الموضوعات التي أفرد لها اللغويون العرب رسائل خاصة ، أو خصصوا لها أبواباً وفصولاً في كتبهم العامة . وأعالج في هذا المقال أحد الموضوعات التي أعالجها هناك ، وُعني بها اللغويون عنايتهم بغيرها من الموضوعات .

* * *

تدل الآثار الباقية على أن التأليف اللغوي في النبات تأخر قليلاً عن التأليف في الحيوان ، وعلى أن نطاقه لم يتسع في الكتب المستقلة ، فيفرد كل نوع منه بكتاب ، كما حدث لأنواع الحيوان المختلفة . فكتب النبات يغلب عليها التعميم أكثر من التخصيص ؛ يظهر هذا من عناوينها ، وأغلبها : كتاب النبات أو كتاب الزرع ، أو كتاب الشجر ، أو كتاب النخل أو النخلة ، أو كتاب العشب ، أو كتاب البقل ، ويجمع بعض الرسائل بين نوعين من النبات أو أكثر .

واتجهت دراسة النبات عند العرب ثلاث وجهات : وجهة لغوية ، هي التي تعنينا في هذا البحث ، ووجهة طبية في كتب العقاقير ، التي تبين خصائص كل نبات في العلاج ، ووجهة عملية في الفلاحة ، ولا تعنينا الوجهتان الأخيرتان ، ولا نتحدث عنهما ولا عن كتبهما .

ولعل أول من عني بالتدوين اللغوي في النبات النَّضْرُ بن شُمَيْل (المتوفى ٢٠٤ هـ) ، الذي خصَّ الزرع والكرم والبقول والأشجار والرياح والسحاب والأمطار بالجزء الخامس من مجموعته اللغوية المسماة « الصفات » (ابن النديم : الفهرست ٥٣ ليبسك) .

أما أول من أفرد نوعاً من النبات بكتاب خاص ، فلعله أبو عمرو الشيباني (المتوفى ٢٠٦ هـ) مؤلف كتاب « النخلة » . وأعقبه في التأليف في النخل خاصةً الأصمعي (المتوفى ٢١٣ هـ) تحت عنوان كتاب « النخلة » (ابن النديم ٥٥) .

وقد نشر الأستاذ هفنر كتاباً نسبه إلى الأصمعي تحت عنوان كتاب « النخل » (البلغة في شذور اللغة ٦٤ — ٧٣ ، بيروت ١٩٠٨) . ويقع الكتاب في تسع صفحات ، حاول فيها المؤلف شيئاً من ترتيب ، فجعل كل فقرة أو أكثر من الكتاب ، خاصةً بجانب من الجوانب المتصلة بالنخل . وأتى بهذه الجوانب على النحو التالي : صغار النخل ـ نعوت السعف والكَرَب والقُلْب ـ حمل النخل وسقوطه ـ طَلْعُه وإدراك تمره ـ تغير تمره وفساده ـ نعوت طوله ـ نعوت حمله ـ أجناسه ـ عيوبه ـ نعوت عذوقه ـ إعراؤه ورفع تمره بعد الصّرام ـ نعوته في شربه ونباته ـ جماعاته ـ أسماء الأماكن التي يزرع فيها . ومن الطبيعي أن معظم هذه الفقرات لم تتعد أسطراً معدودات . وبالرغم من محاولة الترتيب وصغر المادة ، اضطرب المؤلف في بعضها ، فوزعه في مواضع متفرقة دون سبب . واتبع الكاتب في تناول بعض الموضوعات منهجاً زمنياً ، ولم يتبع

في بعضها الآخر منهجاً خاصاً ، فكان في الموضوعات الأولى يصف ما يتناوله منذ بدايته متدرجاً به إلى النهاية ، مبيناً أوصافه في كل مرحلة من مراحل حياته . والتفت في بعض الألفاظ التي ذكرها إلى ما فيها من لهجات ، ونسب كلاً منها إلى من يتكلم به ، فأشار إلى لهجات ينطق بها أهل الحجاز ، ونجد ، والمدينة ، وبلحارث بن كعب . وكثيراً ما كان يشير إلى مفردات الألفاظ التي يذكرها ، وجموعها ، ومرادفاتها ، وبعض ما يشتق منها عامةً ، والأفعال خاصةً . ولم يرد في الرسالة من الشواهد غير بيتين من الشعر ، نسب أحدهما إلى قائله : طرفة بن العبد ، ولم ينسب الاخر ، مع التعليق عليه في اختصار .

ونسبة الكتاب إلى الأصمعي مشكوك فيها . فقد ذكر محققه الدكتور أوغست هفنر أنه قد عثر عليه في كتاب محفوظ بالمكتبة الظاهرية في دمشق يضم مجموعة من الرسائل ، وذكر أن الرسالة لم يدون عليها اسم مؤلفها ، وإنما رجح هو أنها للأصمعي ، لأن صاحب لسان العرب قد نقل كثيراً منها ، بالحرف الواحد ، مع عزوه إلى الأصمعي . (ص ٦٤) . ورجح في موضع آخر (ص ٧٣) أن تكون الرسالة من رواية أبي حاتم السجستاني عن الأصمعي .

وعارضه في هذه الآراء لويس شيخو ، فذهب إلى احتمال كون الرسالة لأبي عبيد القاسم بن سَلّام (المتوفى ٢٢٤) ، لأن ما فيها من شروح للمفردات يوافق ما جاء في لسان العرب والمخصص لابن سيده ، منسوباً لأبي عبيد . كما ذهب إلى احتمال كونها لأبي حاتم السجستاني تلميذ الأصمعي ، رواه عن أستاذه وعن أبي عبيد أيضاً ، جمع فيه بين روايتيهما . (ص ٦٣) .

وتبين دراسة الكتاب ، ومضاهاته بما في الغريب المصنف لأبي عبيد ، أن الشاهدين الشعريين ، وبعض ما فيه من لهجات ، مروي عن غير الأصمعي ، بل لقد صرح في الرسالة بالرواية عن الكسائي . ولا ينفي هذا عن الأصمعي

اهتمامه باللهجات ، وإيراده بعض الشواهد الشعرية الأخرى ، التي أسقطت من الرسالة ، وحفظها الغريب المصنف . والأمر الذي لا شك فيه ، أن الرسالة بصورتها الحالية ليست خالصة للأصمعي ، إذ لعبت فيها أيدي الرواة بعده . وأميل إلى أنها من رواية ابن قتيبة ، لا أبي عبيد ، ولا أبي حاتم . فالرسالة موجودة مع مجموعة رسائل يُنسب بعضها لابن قتيبة ، مثل كتاب النَّعَم . والمنهج الذي اتبعه ابن قتيبة في كتاب النعم هو المنهج الذي اتبعه مؤلف هذه الرسالة . فقد اعتمد كل منهما أساساً على الغريب المصنف لأبي عبيد ، فوضعه أمامه ، وأخذ يطالع فيه ، وكلما مر أمامه اسم أحد اللغويين الذين ينقل عنهم أبو عبيد ، ضرب عليه ، وتخفف من الشواهد الشعرية الكثيرة . ولقد وقع في خطأ يدعم هذا الرأي ، إذ حذف بيتاً من الشعر ، كان قد أورده أبو عبيد عن الأصمعي ، وأهمل أن يحذف التعليق عليه ، فبقي في الرسالة قلقاً بعض الشيء . كذلك أورد كثيراً من الأقوال التي لم يروها أبو عبيد عن غيره . ومهما تكن جلية الأمر ، فالغالبية العظمى من مادة الرسالة للأصمعي ، كما يبين من تصريحات أبي عبيد في الغريب المصنف .

وهذا مثال يوضح طريقة المؤلف في تناول مادته . قال : « الطَّلْع ، وهو الكافور ، وكذلك التي تتخذ من الطِّيب . ويقال : هو الكافور . والضَّحْك : حين ينشق . ويقال : الكافور : وعاء طلع النخل . ويقال له أيضاً : قَفُّور . فإذا انعقد الطلع حتى يصير بلحاً فهو السَّيَاب (مخفف) والواحدة سَيَابة ، وبها سُمّي الرجل . فإذا اخضرّ واستدار قبل أن يشتد فأهل نجد يسمونه : الجَدَال . فإذا عظم فهو البُسْر . فاذا صارت فيه خطوط وطرائق فهو المخطَّم . فإذا تغيرت البسرة إلى الحمرة قيل : هذه شُقْحة ، وقد أشقح النخلُ . فإذا ظهرت فيه الحمرة قيل : أَزْهَى النخلُ ، وهو الزَّهْو ،

وفي لغة أهل الحجاز : الزَّهْو . فإذا بدت فيه نقط من الإرطاب قيل : قد وَكَّتَ ، وهي بُسْرة مُوَكِّتة ... »

ثم ألف ابن الأعرابي (المتوفى ٢٣١ ﻫ) كتاب « صفة النخل » (ابن النديم ٦٩ وياقوت : معجم الأدباء ١٨ : ١٩٦) . ولم يصل إلينا شيء عنه .

وألف أبو حاتم السجستاني (المتوفى ٢٥٥ ﻫ) كتاب « النخلة » (ابن النديم ٥٨ وياقوت ١١:٢٦٥) . وقد نشر الأستاذ برتلميو لجومينا Bartolomeo Lagumina في روما سنة ١٨٩١ الكتاب . ويرى الناظر فيه ظاهرة فريدة لا تتكرر في كتاب آخر ، إذ ينقسم الكتاب الى قسمين واضحين ، يستهل كل منهما ببسملة وصلاة ، كأنه كتاب مستقل . وعالج المؤلف في القسم الأول مكانة النخلة ، وأورد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأقوال المأثورة عن الصالحين في تفضيل النخل ، وبيَّن مواطن وجود النخل من الدنيا . وكل ذلك أمور لم نر أحداً من اللغويين حاول أن يتكلم عليها في رسالة أخرى من الرسائل اللغوية . ولعلي لا أتعدى الصواب حين أعدها مقدمة للكتاب ، فهي لا تشغل غير خمس صفحات .

قال : « النخلة سيدة الشجر ، مخلوقة من طين آدم صلوات الله عليه . وقد ضربها الله جل وعز مثلاً لقول : « لا إله إلا الله » ، فقال تبارك وتعالى : أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً » وهي قول : « لا إله إلا الله » ، « كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ » وهي النخلة . فكما أن قول : « لا إله إلا الله » سيد الكلام كذلك النخلة سيدة الشجر ... وإنما النخل قدّره الله جل وعز للعرب في جزيرة العرب وفي المشرق ، ومنه شيء في المغرب ، وأكثره في العراق . فالذي بالمغرب بأفريقيه على خمس ليال منها ، بموضع يقال له قصطيلية ، ثم حتى يبلغ وادي طبب بقرب مصر ، واد فيه مسيرة أيام كثيرة ... »

وحاول المؤلف في أول القسم الثاني من كتابه شيئاً من ترتيب . فصدره بذكر النوى وأوصافه وأجزائه ومنافعه وطريقة زرعه وزمنه ، ثم تتبع حياة النخلة في مراحل نموها المختلفة . ولما خرج من هذا التتبع لم يلتزم ترتيباً ما ، وإنما أخذ يعالج مجموعة من الجوانب المختلطة ، مثل أوصاف النخل وأجزائه ، ونضج البُسْر وأمراضه ، وأنواع التمر وجنيه ومرابده ، وجماعات النخل ، وخلط كل هذه الأمور بعضها ببعض . ثم ختم الكتاب ببعض الأخبار عن الأراضي التي تنتج النخل .

والسمات الواضحة على الكتاب اهتمامه باللهجات ، والإكثار من إيرادها ، وخاصة لهجات طيئ والمدينة ، لروايته عن ابن رُوَيْشِد الطائي والمحرر المدني وغيرهما ؛ والإشارة إلى الألفاظ المعربة . وذكر المؤلف بعض من روى عنهم ، كأبي زيد الأنصاري والأصمعي ، من اللغويين ؛ وأبي مجيب وأبي الحجاج ومحمد بن عبد الملك الأسدي من الأعراب . واعتمد في بعض مواده على مدونات ، فذكر أحد كتب أبي زيد (ص ١٣ ، ٢٣) ، وإن لم يصرح بعنوانه . وينفرد الكتاب عن غيره من الرسائل اللغوية بالإكثار من إيراد الأحاديث النبوية إكثاراً لافتاً للنظر ، ورواية بعض الخرافات ؛ ثم يشارك غيره في الاستشهاد بالآيات ، والأشعار ، والأمثال ، والتعليق على بعض الشواهد ، وإهمال ذلك في بعضها الآخر .

ونمثل لتناول المؤلف لمادته في الكتاب بقوله : « قال الطائي : وُيزرع النوى في آخر الشتاء مستقبلاً الصيف . فإذا وَجد النوى حرّ الأرض نَبَت بإذن الله جل وعز ، ورُبما جُعل على غرار واحد ، قال : يعني مسطر . قال الراجز : (على غرارٍ ومثالٍ واحدِ) أراد اطراد أبيات الرجز لأن قبله : (ومن طرازِ الرجز الأجاودِ) قال : وربما ضاقت الأرض ،

فصارت في الموضع اللفة . واللفة : المجتمع منه . قال : وفي كل زمان يُغرس إلا أن هذا الوقت أحب إليهم . فيمكث النوى تحت الأرض خمس عشرة ليلة إلى العشرين ، ودون ذلك . ويقال له : الزُّربعة ، والجميع الزُّرعان . ثم يطلع . فقال أبو مجيب والحارث بن دُكَين : أول أسمائها النَّقيرة . والنقيرة : سُرَّة العجمة . وقال أبو زيد : النقير : النقرة التي في ظهر النواة ... قال أبو زيد : يقال للقِنْو : المِطْو أيضاً . والعَذْق ، بالفتح ، عند أهل الحجاز : النخلة . وأما العِذْق ، بالكسر : فالقنو . ويقال : القنا . والأجمع : الأقناء . ولغة طيئ : القِنا ، بكسر القاف . وأهل الكوفة يسمون العِذق : الكِباسة ، والجميع : الكَبائس ، وثلاث كِباسات ... »

وألف الزُّبير بن بَكّار (المتوفى ٢٥٦ هـ) كتاب « النخـل » (ياقوت ١١ : ١٦٤) . ولا معلومات لدي عنه .

وينقضي القرن الرابع دون أن يصل إلينا أن أحداً من أهله ألف في النخل خاصةً أو تعرض له في أحد فصول كتبه اللغوية .

فإذا انتقلنا إلى القرن الخامس ، وجدنا ابن سِيدَه (المتوفى ٤٥٨ هـ) قد جعل للنخل كتاباً في السفر الحادي عشر من المخصص ، يبتدئ من الصفحة ١٠٢ ، ولا أدري نهايته على وجه اليقين ، إذ انتقل المؤلف من النخل إلى الأشجار والفواكه دون تنبيه ، ويحتمل أن يكون آخره في الصفحة ١٣٦ ، فيشمل بذلك ما قاله عن التمر . وقد خلط المؤلف فعلاً ، في الأبواب الأخيرة ، بين أبواب النخيل وأبواب التمر .

وسار ابن سيده مع النخل من ابتداء دورة حياته إلى نهايتها . فابتدأ بالغرس وصغار النخل ، فوَصفِ أعضائه من الأصول والسَّعَف والكَرَب والعذوق وترجيبها ، فوَصفِ طوله وقِصَره واصطفافه وشربه وجماعاته ، ثم حمله وثمره وبكوره وتأخره ونضجه وصرامه وآفاته . ثم عالج التمر وأوعيته وجماعاته

وطوائفه وعصيره ونعوته وآفاته وأجناسه وأسماءه . وقد اختل الترتيب منه في بعض الأبواب ، فوزع المادة الواحدة في أكثر من باب ، وفرّق بينها أحياناً ، ووضعها في غير موضعها في أحيان أخرى .

واعتمد المؤلف في هذا الكتاب أساساً على كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري ، فاتخذه الهيكل الذي ملأه ببعض المعلومات الإضافية ، التي استمدها من الغريب المصنف لأبي عبيد خاصةً ، ومن أبي علي القالي ثم من غيره من اللغويين الذين استمد منهم في كتبه الأخرى .

واتبع المؤلف النهج الذي كان يتبعه في كل كتب موسوعته «المخصص» ، فحاول أن يورد أقوال اللغويين في اللفظ الواحد ومشتقاته في موضع واحد ، والتفت إلى المفرد والجمع منها ، واستطرد إلى المسائل النحوية والصرفية المتصلة بألفاظه ، وتخفف من الشواهد الشعرية ، وأهمل التصريح بأسماء اللغويين الذين روى عنهم أبو حنيفة وأبو عبيد وغيرهما ، حتى إننا لا نجد اسم الأصمعي عنده إلا نادراً ، بالرغم من المادة الكثيرة التي استمدها من كتبه . ونظر إلى أبواب النخيل نظرته إلى غيرها من أبواب المخصص ، فعدّها كتاباً مكتملاً ، ولذلك بدأها بتفسير الألفاظ العامة التي يكثر دورانها في كلامه عن النخيل ، وحاول أن يجعلها مشتملة على كل ما يتصل بموضوعه لتغني عن غيرها .

قال المؤلف : «أبو عبيد : أنسَغتِ الفَسيلةُ : أخرجت قلبها . أبو حاتم : نَسَّغت . ابن دريد : نسَغت ، وقيل : التنسيغ : إخراجها سعفاً فوق سعف . ابن السكيت : هو قَلب النخلة وقُلبها وقِلبها . أبو زيد : سمي قلباً لبياضه . أبو حنيفة : والجمع القِلَبة والقلوب والأقلاب . وقد قلّبها : نزع قُلبها . وقال : قُلب النخلة : رأسها اللين الذي لم يشتد فيصير جذعا . وقيل : قلب النخلة : الخوص الذي يلي أعلاها . واحدتها : قُلبة . ويقال لقُلبها :

الجُمارة . أبو عبيد : والجمع : الجُمّار . ابن دريد : يقال للجمار : الجامور ، فصيحة ... قال سيبويه : تَمْرة وتَمْر وتُمُور وتُمْران ، وليس كلُّ جنس يجمع ، ألا ترى أنك لا تجمع البُرّ ولا الشعير . قال : وقالوا : التَّمران ، فثُنّي على إرادة النوعين من التمر . وأنشد :

أَغَرَرْتني وزعمتَ أنــــكَ لابنٌ بالصيفِ تامِرْ

أبو عبيد : تَمَرْتُ القومَ أَتْمُرهم : أطعمتهم التمر . صاحب العين : وتمرتهم كذلك . أبو عبيد : أَتْمَرَ القومُ : كثر عنـدهم التمر . صاحب العين : التتمير : تيبيس التمر . أبو عبيد : الأسودان : التمر والماء ، وقد تقدم في الماء . غيره : العتيق : التمر . وخصص بعضهم القديم منه ، وقد تقدم ...»

وفي القرن الخامس أيضاً عقد عيسى بن إبراهيم الرَّبعي (المتوفى ٤٨٠ ﻫ) باباً للنخيل في كتابه «نظام الغريب» ، شغل ثلاث صفحات (٢٠٧ — ٢٠٩) . فوصف السعف وأجزاءه ومراحل نضج التمر . وأشار قليلاً إلى بعض أوصاف النخل . وأتى ببعض الشواهد من القرآن والشعر والأمثال . ولا قيمة للباب .

قال المؤلف : «الباسقات والبواسق : هي النخيل . والسَّحُوق : أطول ما يكون من النخـل . والوَدِيّ : هو صغار النخل الملتف . والسعف : عيدان النخل إذا علاها الورق ، واحدتها سَعَفة . والوَرَق : الخوص . والشَّطْب والأُبْلُمة : واحدة الخوص ...»

ولا أعرف أحداً ألف في النخل غير السابقين ، ولكن المترجمين لأبي زيد الأنصاري (المتوفى ٢١٥ ﻫ) عزوا اليه كتاباً في «التمر» (ابن النديم ٥٥ ، وفهرسة محمد بن خير ٣٧١) . ولم يصف أحد هذا الكتاب ، لذلك لا أدري أهو قاصر على التمر أم يتحدث أبو زيد فيه عن التمر وعن النخل عامةً كالكتب التي تناولتها . ومن اعتماد ابن سيده وغيره على أبي زيد ، في كلامهم على النخل ، وفي إيرادهم أقوالاً صادرة عنه ، ربما نستنتج أن أبا زيد وصف النخل

أيضاً ، ولكننا لا نزال غير قادرين على القطع بأنه فعل ذلك في الكتاب الذي نتحدث عنه ، وإن كان ذلك هو المظنون .

وألف في الشجر خاصةً محمد بن حبيب (المتوفى ٢٤٥ هـ) ثم أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (المتوفى ٣٧٠ هـ) . وقد نشر صمويل ناجلبرج Samuel Nagelberg الكتاب الثاني سنة ١٩٠٩ ، ليحصل به على درجة الدكتوراه . وتبين دراسة الكتاب أن ابن خالويه قسم النبات الذي تناوله في كتابه إلى ثلاثة أنواع : الشجر الشائك ، والكلأ ، والجزْء . وصنف الأشجار في النوع الأول إلى صنفين : العِضاه ، وغير العضاه . وجعل العضاه في قسمين : العضاه الخالص ، وهو ما عظم واشتد شوكه ؛ وعضاه القياس . ورأى في الأخير فرعين : العِضّ والشِّرْس ، وهما ما صغر من شجر الشوك (عضاه القياس) ؛ وما ليس من العض ولا الشرس ، وهو ما فيه حُجَز صغار كأنها الشوك .

وصنف الكلأ صنفين : العشب ، وهو ما عظم منه وغلظ ؛ والبقل ، وهو ما دَقّ . أما النوع الأخير : الجزء ، وهو الذي يجزأ به (أي يستغني به) المالُ (: الإبلُ) ، فلم يصنفه .

وسار المؤلف في الشجر الشائك على نظام الأقسام : فقدّم الكلام على العضاه الخالص (ص ١ — ٤) ثم ما ليس من العض والشرس من عضاه القياس (ص ٥) ثم العض والشرس (ص ٦ — ٨) ثم ما ليس بعضاه خالص ولا عضاه قياس (٨ — ١٠) . أما القسم الخاص بالكلأ (١٠ — ١٨) فلم يفرد كل صنف من صنفيه عن الآخر ، وإنما اكتفي بالتنبيه على كون كل نبات يذكره : من العشب هو أو البقل . ومن الطبيعي أنه لا توجد تقسيمات في القسم الأخير ، والحق أنه غير خاص بشجر الجزء وحده ، بل ذكر فيه المؤلف

أشياء كثيرة . فبدأ باليابس من الشجر (١٩) ثم ما تكسر من عيدانه (١٩) ثم ما احمرّ منه (١٩) ثم المختلط يابسه برطبه (٢٠) ثم ما كسر منه (٢١) ثم المواضع التي يكثر فيها الشجر (٢٣) ثم بقيــة الشجر (٢٢) ثم شجر الجزء (٢٤) ويختمه بمتنوعات أخرى .

ويقوم منهج ابن خالويه في هــذه الأقسام على ملء كل قسم منها بأسماء النباتات التي تنتمي اليه ، ووصفها في إيجاز . ويعنى في وصفه بالصورة الخارجية للنبات ، وإقليمه ، ومواطنه من المرتفعات أو السهول أو الرمال أو ما إليها ، وأسماء زهره ، وزمن إنباته ، واستعماله وريحه أحياناً . وقد يلتفت إلى الأفعال المشتقة من أسمائه وصفاته . أما الشواهد فغاية في القلة عنده . فميزته الصحيحة إنما هي في وصف النبات وبيان عائلته ومواطن نموه وزمنه وزهره .

وهذا مثال من الكتاب ، قال : « فمن العِضاه السَّمُر ، وواحدته سَمُرة ، وهي شجرة حجازية نجدية شاكة ، ومنبتها بكل مكان ما خلا حرّ الرمل . ويقال لنَوْرها أول ما يخرج : البَرَمة ، ثم بأول ما يخرج من بدئه : الحُبْلة . وكَعْبُورهُ : نحوُ بدء البُسْرة . فتيكَ البَرَمَةُ ينبت فيها زَغَب بيض هو نَوْرُها . فإذا خرجت فتيك البَلَّةُ والفَتْلة . فإذا سقطن عن طرف العود الذي ينبتن فيه نبتت فيه الحُبْلة في طرف عودهن وسقطن . والحُبْلة : وعاء الحبِّ كأنها وعاء الباقلاء ، ولا تكون الحبلة إلا للسَّلَم والسَّمُر . وأما جميع العضاه بعدُ فالسِّنَفة مكان الحبلة ، وفيها الحب ، وهن عِراض كأنها نصالٌ غيرَ الطَّلْح ، فإن وعاء ثمرته العُلَّف ، وهو سِنَفة عراض إلا أن اسمها العُلَّف . . . »

وألف في الكَرْم خاصةً أبو حاتم السجستاني (المتوفى ٢٥٥) ، كتاباً وصل إلينا ، وحققه الدكتور هفنر (البلغــة في شذور اللغة ٧٣ — ٩٤) ،

ورجح نسبته إلى الأصمعي ، لأنه وجده مع كتاب النخل الذي سبق الكلام عليه . والحق أن الكتاب لأبي حاتم ، إذ نسب إليه ابن النديم كتاباً بهذا الاسم (الفهرست ٥٨) ، ولم ينسب أحد كتاباً في الكرم إلى الأصمعي . أضف إلى ذلك أن الكتاب في المخطوط منسوب الى أبي حاتم ، وأن سياق الكلام فيه يدل على أنه يستمد من الأصمعي أحياناً لا دائماً ، وأن نسبة كتاب النخل السابق إلى الأصمعي مشكوك فيها بل ضعيفة كما رأينا .

ويتناول هذا الكتاب كثيراً من الأمور المتصلة بالكرم ، مثل دورة حياته ، وضروبه ، وأوصافه ، ونضجه ، وحَبّه ، وأسماء الخمر ونعوتها ، وعمل الرُّبّ والكريث والخل منه ، وبعض الأدوات التي تستخدم في زراعته وما ماثل ذلك . ولكن المؤلف لا يراعي فيها الترتيب ، لأن الأهمية عنده ليست في هذه الأمور ، بل في أسمائها لدى القبائل المختلفة . ولذلك أتى برجلين : طائفي وجذامي ، لم يسمهما ، وبثالث جعدي كناه أبا علي ، ورابع كناه أبا الخطاب ولم ينسبه إلى قبيلة ما ، وربما كان أبا الخطاب عمرو بن عامر البهدلي (ابن النديم ٤٧) أو الأخفش الأكبر ؛ وأتى بجماعة أخرى من الطائف غير من ذكرناهم أولاً ، وجعل كل واحد منهم يقص عليه قصة حياة الكرم والعنب وما يتصل بها ، ويعطي كل شيء اسمه عندهم ؛ وهو يدون ما يسمع . ولذلك تغلب على الكتاب الصبغة الشخصية ، وصيغة المتكلم ، والناحية العملية ، وخاصةً في الفقرات التي تصف زراعة العنب ، والصناعات القائمة عليه . ونتج عن ذلك أيضاً أن تكررت قصة حياة العنب حوالي أربع مرات ، مع بعض اختلاف في المناحي التي التفت إليها في كل مرة ، وفي بعض الألفاظ . ولكن المؤلف كان أميل إلى الطائفي ، فأكثر من الاعتماد عليه في كل الموضوعات التي عالجها . وذلك أمر طبيعي ، لأن الطائف موطن الكرم والفواكه في شبه الجزيرة العربية .

وورد في الكتاب بعض أسماء اللغويين ، لا سيما الأصمعي ، كما يبدو أن بعض الزيادات تسربت إليه عن غير أبي حاتم . وليس للمؤلف منهج واحد في علاجه للأمور السابقة ، إذ كان المنهج زمنياً في قصة الكرم ، وعندما عالج ضروب العنب قدّم قائمة بأسمائها ، ثم تناول كل ضرب منها بالوصف والتوضيح مع المحافظة على ترتيبه في القائمة . ولكنه لم يراع ترتيباً يذكر في بقية الموضوعات . وكان في مادته يلتفت من حين إلى آخر إلى المفرد والجمع ، والأفعال المشتقة من الألفاظ التي يذكرها ، ويروي بعض المعربات في أسماء الخمر عند الأصمعي ، ويعلق على بعض الشواهد الشعرية القليلة التي يوردها .

ونمثل له بالفقرة التالية التي يتحدث فيها عن ضروب العنب : « فأما الجُرَشيّ فأبيضُ صغار الحبّ ، أولُ العنب إدراكا . وأما الأقماعيّ العربيّ فأبيض ، عظامُ الحَبَة (بتخفيف الباء) ، كثير الماء . وأما الأقماعي الفارسي فأعظم حباً من العربي ، وأقل ماء ، وأكثر شحما . وأما الشُّوكيّ فأبيض ، قليل الماء ، نحوٌ من عِظَم الأقماعي ، ينشق حبه على شجره . وأما الرازقيّ فأبيض ، داخلته زرقة ، طوال الحب . وأما أم حبيب فسوداء زرقاء تعظم عناقيدها ويعظم حَبُّها . . . »

* * *

وأول من ينسب إليه كتاب عام في النبات أبو عبيدة (المتوفى ٢١٠ هـ) ، الذي قيل إنه ألف كتاب « الزرع » (ابن النديم ٥٤ ، ياقوت ١٩ : ١٦١) . ولم يصل إلينا عنه شيء .

ونسب ابن النديم (٥٥) إلى الأصمعي (المتوفى ٢١٣ هـ) كتاب « النبات والشجر » . وقد عثر الدكتور هفنر على الكتاب وحققه (البلغة في شذور اللغة ١٨ — ٥٩) . ويشغل هذا الكتاب أربعين صفحة ، ويختلف في تنظيمه عن

كتاب النخل للمؤلف نفسه كل الاختلاف . فقد سار فيه سيراً تحكمياً ، يغلب عليه توارد الخواطر دون محاولة لتنظيم . وأراد المحقق أن يضع عناوين لبعض الفقرات ، فنجح آونةً وأخفق أخرى . وأحاول أن أنظم الموضوعات التي تناولها ، مع غض النظر عما في أقسامه من خلط كثير : وصف الأرض ذات النبات ؛ وصف بعض النباتات في مراحل حياتها المختلفة ، ويختلط هذان الموضوعان عنده تماماً ؛ أسماء أحرار البقول ، أسماء غير الأحرار منها ، ذكور البقول ، غير الذكور ، تقسيم النبات إلى شجر وحمض وخلة ، أسماء الحمض ، الشجر ، ما ليس بشجر ، النبات . ويخلط بين الأقسام الأخيرة جميعا .

وكان في الموضوعين الأولين يذكر صفة الأرض أو النبت ثم يطلق عليه اسمه الخاص ، ويكثر فيهما من الشواهد الشعرية التي ينسبها إلى أصحابها حيناً ويهملها حيناً آخر ، ويعلق عليها مرةً ويتركها ثانيةً ، ويشير إلى ما فيها من روايات في مواضع . والتفت في بعض الأحيان إلى الفعل المشتق من اللفظ الذي يعالجه . واستهل قسمي أحرار البقول وذكورها بتعريف كل منها ، ثم سرد أسماء كل نوع ، ووصفها في بعض الأحيان وصفاً موجزاً ، أو أتى بمرادف آخر . وأدخل ابن دريد بعض إضافات في هذا القسم نَبَّهَ عليها . والشواهد في هذين القسمين قليلة . وحاول المؤلف في الأقسام الأخيرة أن يتخذ شيئاً من النظام ، فأراد أن يقسم النبات إلى حمض وشجر وغير شجر ، وأن يرتب كل نوع منها وفق الموطن الذي ينبت فيه : السهول ، أو الحجاز ، أو نجد ، أو الرمال . وفعل ذلك في الحمض ، ولكن اختل الترتيب في بقية الأنواع . وتتبع في بعض المواضع مراحل حياة بعض النباتات ، واستشهد فيها بالأمثال والنثر . فالكتاب إذن يقدم مادةً حسنة في الأسماء ، وفي مواطن كل نبات ، ولكنه قليل الوصف للنبات ، كثير الاضطراب .

ونتخذ من الفقرة التالية مثالاً ، قال : « يقال : رأيت أرض بني فلان غِبَّ المطار واعدة حسنة : إذا رُجي خيرها وتمام نبتها في أول ما يظهر النبت . ويقال : وَشَمتِ الأرضُ : إذا رأيتَ فيها شيئاً من النبات . وأنشد :

كم من كَعابٍ كالمَهاةِ المُوْشِمِ

وينشد : المُرْشِم . وأَرْشَمتِ الأرضُ كذلك . والمُوشِم : التي قد نبت لها وشم من النبات أي شيء يُرعى فيه . ويقال : أَبْشَرَتِ الأرضُ : إذا حسن طلوعُ نبتها إبشارا . ويقال بَذَرَتِ الأرضُ تبذُر بَذْرا : إذا ظهر نباتُها متفرقا . ويقال : وَدَّستِ الأرضُ وَدْساً ، وودَّست توديساً حسناً في أول ما يظهر نباتُها . قال البَعيث :

كأنَّ قُتُودي فوق طاوٍ تَخلاله ببَيْنُونة القصوى عَدابٌ مُوَدَّسُ

والعداب : المكان اللين السهل ، وهو مستدقّ الرمل حيث ينقطع معظمه . وبارض النبت : أول ما يبدو منه . ويقال إذا ظهر نبات الأرض : قد بَرَّضت تبريضاً ، وتبرَّضت . فإذا ارتفع بارضُ البُهْمَى شيئاً فهو جَميم ، فإذا ارتفعت وتمت من قبل أن تتفقأ فهي الصَّمْعاء . . . »

ونسب من ترجم لأبي زيد الأنصاري (المتوفى ٢١٥ هـ) له كتاباً باسم « النبات والشجر » (ابن النديم ٥٥) . ووصفه ابن خلكان (١ : ٢٠٨) بأنه كتاب حسن جمع فيه أشياء غريبة . ويؤسفنا أننا لم نعثر عليه بعد .

ثم عقد أبو عبيد القاسم بن سَلاَّم (المتوفى ٢٢٤) كتاباً في الغريب المصنف للشجر والنبات ، شغل ١٤ صفحة ، قسمها إلى ١٥ باباً . ولم يسر المؤلف في تبويبه على نظام مطرد ، ولكنه مال إلى تقديم الكلام على بعض النواحي العامة في الأشجار ، مثل أشجار الجبال فالسهول فالرمال ، فالعضاه والحمض والخلة وآجام الأشجار . ثم تناول أحوالها في دورتها من ابتداء نباتها وتوريقها ، وإثمارها

وما يبقى منها ، ودورة حياتها ، وختم الأبواب بإيراد أسماء ضروب النبات المختلفة .

والتزم في أكثر هذه الأبواب طريقة إعطاء قوائم بأسماء النباتات ، مع الإشارة القاصرة إلى أنه نبت ، دون أن يحاول وصفه ، ووصف قليلاً مظهر النبات الخارجي من لون وصورة . فالتعريفات عنده قاصرة . ولكنه في الأبواب التي تتبع فيها حياة الأشجار سار فيها سيراً زمنياً مرضيا . وكثيراً ما التفت إلى إيراد المفرد والجمع من الألفاظ التي يوردها . وكان أكبر اعتماده في هذا الكتاب على الأصمعي ، الذي نجد اسمه في مقدمة كثير من أبوابه ، ثم على بعض اللغويين الآخرين كأبي عمرو بن العلاء ، وأبي زيد الأنصاري ، والكسائي ، وأبي عبيدة . وحافظ على أن ينسب إليهم أقوالهم صراحة . والشواهد عنده قليلة جداً ، لا تتعدى البيت من الشعر ، في البابين أو الثلاثة أو أكثر .

وهذا مثال منه ، قال : « الأصمعي : البَرِير : ثمر الأراك . والغَضّ منه : المَرْد . والنَّضِيج : الكَبَاث . والعُلَّف : ثمر الطَّلْح ، واحدته عُلَّفة . والحُبْلَة : ثمر العِضاة . أبو عمرو في الحبلة مثله . قال : والبَرَم : ثمر الطلح ، واحدته بَرَمة . الفراء : المُصْعَة : ثمر العَوْسج ، وجمعها مُصَع . الأصمعي : العُرْوة من الشجر : الشيء الذي لا يزال باقياً في الأرض لا يذهب ، وجمعه عُرًى ، وهو قول مهلهل : شجر العُرَى وعُراعِر الأقوام

قال أبو عبيدة مثله أو نحو إلا أنه قال : هذا البيت لشرحبيل رجل من بني تغلب . أبو عمرو مثل قولهما في العروة أو نحوه ... الأموي : الحُوَّاءة : نبت يشبه لون الذئب . الكسائي : القَآنين : نبت . والطَّرَاثيث : نبت . والواحد ذُؤْنون وطُرْثوث . ويقال : خرج الناس يتذأنون ويتطرثثون : إذا خرجوا يأخذون ذلك . ويتمغفرون : إذا خرجوا يأخذون المغافير ... »

ونسب ابن النديم (٦٩) وياقوت (١٨ : ١٩٦) إلى ابن الأعرابي (المتوفى ٢٣١ هـ) ثلاثة كتب من هذا اللون ، هي «النبات» و «صفة الزرع» و «النبت والبقل» ولم يصل إلينا أحدها ولا وصف لها .

كذلك نسب إلى أبي نصر أحمد بن حاتم (المتوفى ٢٣١ هـ) كتابي «الشجر والنبات» و «الزرع والنخل» (ابن النديم ٥٦ ، وياقوت ٢ : ٢٨٤ — ٥) ، وإلى هشام بن إبراهيم الكَرْنَباني تلميذ الأصمعي كتاب «النبات» (ابن النديم ٧٠ ، وياقوت ١٩ : ٢٨٥) ، وإلى محمد بن حبيب (المتوفى ٢٤٥ هـ) كتاب «النبات» (ابن النديم ١٠٧ ، وياقوت ١٨ : ١١٦) ، وإلى يعقوب بن السكيت (المتوفى ٢٤٦ هـ) كتاب «النبات والشجر» (ابن النديم ٧٣ ، وفهرسة محمد ابن خير ٣٨٢) ، وإلى الجاحظ (المتوفى ٢٥٥ هـ) كتاب «الزرع والنخل» (ياقوت ١٦ : ١٠٦) ، وإلى أبي حاتم السجستاني (المتوفى ٢٥٥ هـ) كتب «الزرع» و «العشب والبقل» و «الشجر والنبات» (ابن النديم ٥٨) ، وإلى أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري (المتوفى ٢٧٥ هـ) كتاب «النبات» (ابن النديم ٥٨ ، ونزهة الألبا ٢٧٤) . ولم يصل إلينا كتاب منها .

وألف أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (المتوفى ٢٨٢ هـ) كتابه المشهور «النبات» . ولم نعثر من هذا الكتاب إلا على مجلد واحد ، هو الجزء الخامس ، كما يذكر على الصفحة الأولى منه . وقد ذكر البغدادي في خزانة الأدب أنه رأى الكتاب في ستة أجزاء كبار . ويبدو أن التقسيم الذي أشار إليه البغدادي يتفق مع تقسيم النسخة التي عثرنا على جزئها الخامس . وهي نفسها تدلنا على وجود تقسيم آخر للكتاب ، إذ تصرح بأن هذا الجزء الخامس يضم القطعة الأخيرة من الجزء السابع ، والأولى من الثامن ، من رواية أبي سعيد السيرافي . ولا عجب في اختلاف تقسيم الكتاب في النسخ والروايات المختلفة .

وقد عثرتُ على فقرة في ختام الجزء السابع ، وصف فيها المؤلف بعض مناحي منهجه ، تنير الطريق أمامنا كثيراً ، كما ينيره مقال الأمير مصطفى الشهابي الجزء الثالث ، من المجلد السادس والعشرين ، من مجلة المجمع العلمي العربي (١ تموز ١٩٥١) ، وعنوان المقال : أبو حنيفة الدينوري ، والجزء الخامس من كتاب النبات .

رأى أبو حنيفة أن يتناول النبات عامةً بدراسة أولى عامة ، فيبين أجناسه المختلفة ، وخصائصها التي تميزها عن غيرها ، ومنافع كل منها . وقدم هذه الدراسة العامة في كتابه ، ليقتصر في وصف النباتات بعد ذلك على ما يختص بالنبات ، ثم يشير إلى نوعه فتغنيه الإشارة عن تكرير الأوصاف والمظاهر في كل نبات . وشغلت هذه الدراسة العامة الأجزاء السبعة الأولى من تصنيف السيرافي ، أو الأجزاء الأربعة الأولى وبعض الخامس من التقسيم الآخر ، أي القسط الأعظم من الكتاب . ثم تناول أفراد النبات واحداً واحداً بالوصف ، ورتبها وفقاً للحرف الأول منها وحده ، أصلياً كان أو مزيداً ، ولم يلتفت إلى ما بعده من حروف . وشغلت هذه الدراسة قطعة من الجزء الخامس الذي عثرنا عليه ، وباقي الجزء السادس في غالب الظن ، من التقسيم الذي أشار اليه البغدادي . ولست على معرفة بعدد الأجزاء التي وصل اليها تقسيم السيرافي .

وتناول المؤلف في القطعة الباقية من الدراسة العامة صنعة القسي ، ونعوتها في حال الرمي عليها ، وما تحلى به ، وصفات النَّبْل ، وأسماء أجزاء القِداح ، وما يُجعَل عليها ، وأسماء السهام . واستطاع الأمير الشهابي من عبارات وردت عرضاً في الكتاب أن يصل إلى معرفة أربعة عشر باباً كانت تشتمل عليها هذه الدراسة ، وهي أبواب النخل ، والكرم ، والزرع ، والأصباغ ، وأجناس النبات ، وأوصاف النبات العامة ، والعشب ، والنبات الطيب الرائحة ، والكلأ ،

والصموغ ، والكمأة ، وجماعات الشجر ، وأوصاف الشجر العامة ، والزناد والنيران والأدخنة ، والنبات الذي تتخذ منه الحبال والأرشية . ومن الطبيعي أن هذه الأبواب ليست كل ما كانت تشتمل عليه الدراسة العامة .

وتناول أبو حنيفة في القسم الثاني الخاص بأعيان النبات نباتاً نباتاً من حرف الألف إلى حرف الزاي . واتبع فيه أن يقدم اسم النبات ، ويبين المفرد والجمع منه ، ثم يصفه ، ويشير إلى ما يشتق من أسمائه وصفاته من أسماء أعلام وتشبيهات ، وكان يقيم وصفه للنبات على إبراز صورته الظاهرية ، وثمره ، ورائحته ، وطعمه ، وجماعاته ، ومواطنه ، وأنواعه ، ومنافعه . وكان ينتهز أية فرصة تسنح له للاستطراد ، فقد أشار مثلاً في تضاعيف كلامه عن الأثل إلى استخدامه في صناعة الأواني ، ثم اعتمد على هذه الإشارة وعقد باباً لأسماء الأواني وأنواعها وأوصافها . كذلك أكثر من الشواهد كل الإكثار ، حتى ليأتي أحياناً بثلاثة شواهد وأكثر على اللفظ الواحد ، ولم يمنح شواهده الكثرة حسب بل التنوع أيضاً ، بين القرآن والحديث والشعر .

واعتمد المؤلف فيما أورده من أقوال وأوصاف وشواهد على رواة كثيرين ، فظهرت عنده أسماء أكثر اللغويين . ولكننا نستطيع أن نتبين أنه حصل على القسط الأكبر من معارفه من ثلاثة مصادر رئيسية ، غير جماعة اللغويين : مشاهداته الخاصة ، والأعراب ، وأبي زياد الكلابي . فما أكثر المحاورات التي أوردها في الكتاب ، وكانت قد دارت بينه وبين الأعراب ، وهو يبحث عن نبات معين أو يدرس نباتاً معيناً . أما أبو زياد الكلابي ، فقد عرّفنا المؤلف به ، وهو يزيد بن عبد الله ، أحد بني عبد الله بن كلاب . فهو إذن أحد الأعراب ، الذين عددتهم مصدره الثاني في الحصول على المعرفة ، ولكن أبا زياد لما تردد اسمه في الكتاب أكثر من غيره من اللغويين ومن بقية الأعراب ، فبرز كل البروز بين من روى عنهم أبو حنيفة ، جعلته مصدراً مستقلاً .

ولم أكن في ذلك بدعاً أو مبتكراً ، بل اتبعت علي بن حمزة البصري الذي أفرد أبا زياد بالذكر من بين من روى عنهم أبو حنيفة .

وقد حصل هذا الكتاب على إعجاب الدارسين على مر العصور ، فدأبوا على عدّه القمة التي وصل اليها التأليف اللغوي في النبات ، وقيل عنه : «لم يؤلَّف في معناه مثله» . وقد أخذ عليه علي بن حمزة البصري (المتوفى ٣٧٥ هـ) بعض الأخطاء ، وجعله أحد من أفرد لهم باباً في كتابه «التنبيهات على أغاليط الرواة» (ص ٢٥ — ٤٢) من المخطوطة رقم ٥٠٢ لغة ، بدار الكتب المصرية) . واختصره موفق الدين البغدادى (المتوفى ٦٢٩) ، (كشف الظنون ٥ : ١٦٢) .

وهذا مثال من كلامه عن أفراد النبات : «آس ، والواحدة منه آسة : وهو بأرض العرب كثير ، ينبت في السهل والجبل ، وخضرته دائمة أبداً ، ويسمو حتى يكون شجراً عظاماً ، وفي دوام خضرته يقول رؤبة :

يخضرُّ ما اخضرَّ الألا والآسُ

وفي منابته من الجبال يقول الهذلي :

تالله لا يُعجزُ الأيامَ ذو حَيَدٍ بمُشْمَخِرٍّ به الظَّيَّانُ والآسُ

وللآس بَرَمة بيضاء طيبة الريح ، وثمرة تسودُّ إذا أينعت وتحلو وفيها مع ذلك عُلَيْقمة وتسمى الفَطْس ، ذكر ذلك بعض الرواة . وزعم قوم أن الآس يسمى الرَّنْد . وأنكر ذلك أبو عبيدة . وأنكره أيضاً غيره من العلماء ، وزعموا أن الرند شجر طيب الريح وليس بالآس . وسنذكره في بابه ، إن شاء الله .

البُسْر : بُسْر النخل ، والواحدة بُسْرة . وكلُّ غضٍّ طري : بُسر ، حتى الغض الذي لم يُسبَق إليه . وكل استعجال بشيء قبل إناه : ابتسار . ومنه ابتسار الفحل طَروقتَه : إذا ضربها على غير اهتياج منها ، وحتى قيل في

النخلة إذا لُقّحت قبل إنى تلقيحها . وقال ابن مُقبل في وصف نخل :

طافت به الفُرْس حتى بذّ ناهضَها عَمٌّ لُقِحن لقاحاً غير مُبْتَسَرِ

وقيل للبُهْمَى وهي غضة بعدُ : بسرة . قال ذو الرمة في صفة عَيْر :

رعى بارضَ البهمى جَميماً وبُسرةً وصَمْعاءَ حتى آنفتْها نِصالُها

وقال غيره فيما هو أبعد من هذا :

فما لَيْنَ قبلَ الطيرِ والشمسُ بُسْرةٌ عليها الوَلايا والسَّديلَ المرقَّما

فجعلها في أول طلوعها وهي غضة قبل الترحل بسرة ... »

ونُسب إلى أبي موسى الحامض (المتوفى ٣٠٥ هـ) كتاب « النبات » (ابن النديم ٧٩ ، ونزهة الألبا ٣٠٦) ، وإلى المفضل بن سلمة (المتوفى ٣٠٨ هـ) كتاب « الزرع والنبات والنخل وأنواع الشجر » (ابن النديم ٧٣ ، ياقوت ١٩ : ١٦٣) وإلى أبي عبد الله محمد بن أحمد المفجع (المتوفى ٣٢٧ هـ) كتـاب « الشجر والنبات » (ابن النديم ٨٣) ، وإلى أبي القاسم البُستي كتاب « الأشجـار والنبات » (ابن النديم ١٣٩) وكلهم لم نعثر على كتبهم .

وعقد الخطيب الإسكافي (المتوفى ٤٢١ هـ) خمسة أبواب من كتابه « مبادئ اللغة » للنبات ، شغلت ١٨ صفحة منه (١٧٠ — ١٨٨) . وعالج في الباب الأول أسماء أدوات الزرع وأجزائها وعملها ، ومراحل نضج الحبوب ، وآفات الزرع ، وأداة طحنه : الرحى ؛ وفي الثاني تعريف الشجر وأجزاءه ، ومراحل نضج البلح والكرم ، والألفاظ التي تطلق على الأحوال المختلفة في حياة الأشجار ، وتعريف بعض الفواكه أو مجرد ذكر اسمها الفارسي ، وأسماء المواضع التي تنبت فيها بعض أنواع الشجر ؛ وفي الثالث وصف بعض ضروب صغار الشجر أو مجرد ذكر اسمها الفارسي ؛ والأمر نفسه في الرابع إلا أنه عالج فيه البقول بدلاً من الشجر ؛ ووصف في الخامس بعض الرياحين . وعلاج المؤلف لمادته

غاية في الاختصار ، ولذلك تقل فيه الشواهد ، ولكنها تتنوع بين قرآن وشعر وأمثال . وقام منهجه على الإشارة السريعة للشكل الظاهري للنبات ، أو ذكر المرادف العربي أو المرادف الفارسي . ويبين هذا أنه كان يضع نصب عينيه القراء من الفرس .

ونمثل لمنهجه بقوله : « الرُّطْب ، بضم الراء وتسكين الطاء الرَّعْي الأخضر . والرطبة : روضة الفِسْفِسة ما دامت خضراء . والقَضْب ، والفِصْفِصة ، والقدّاح : الرَّطْب من القَتّ . والجُفافة : ورقه إذا جف . والخلا : الكلأ الرطب . ويقال : رَطَبْتُ فرسي رَطْباً ، وخَلَيْتُه : جززت له الخلا . وقَصَلْتُه : من القَصيل ، وجمعه قُصلان . والقُصْلة منه : قدر ما تجزه وتحمله . وخليت الخلا : قطعته . والحشيش : ما يبس منه . . . »

أما ابن سيده (المتوفى ٤٥٨) فقد كان بحراً متلاطم الأمواج ، نظر إلى النبات نظرة عامة ، فتناوله من جميع نواحيه ، ومن أبعدها ، حتى انعدمت عنده بعض الحدود الفاصلة بين الأشياء . فالسفر التاسع من كتابه يضم كتاب الأنواء ، وفيه أسماء عامة المياه والأسقية . ويمتد ذلك الكتاب إلى السفر العاشر ، فيعالج البحار والأنهار والآبار والحياض . ثم نجده يعالج الأراضي المختلفة وصلاحيتها للنبات ، وجدبها وخصبها . ويخرج من هذا الى تناول العشب والأشجار . ويمتد كلامه إلى السفر الحادي عشر ، فيكمل حديثه فيه ، ويختمه بأبواب الفاكهة والكرم والخمر . ويعقب هذا كتاب النخل ، الذي يضم في آخره — إلى جانب النخل — أنواعاً أخرى من الفاكهة والأشجار والأعشاب وما إليها . ويستمر ذلك إلى الصفحة ٢١ من السفر الثاني عشر . فابن سيده إذن حين أراد أن يتناول النبات ، نظر الى الموضوع نظرة طبيعية ، فعالج الأمطار التي ترويه ، والأرض التي هي مهده ، ثم عالجه علاجاً شاملاً لجميع

أنواعه . فكان ذلك ميزة له ، يبدو أن أبا حنيفة شاركه فيها ، إذ ينقل ابن سيده كثيراً من أقواله عنه ، حتى في وصف الأرض . ولكن هذا التوسع أدى به الى الاضطراب والتكرير وعدم وضع الفواصل المميزة ، فلا نجد عنده كتاباً خاصاً بالشجر ، كما جعل للنخل مثلاً . وكتاب النخل نفسه ، أدخل فيه ما ليس منه ، ولا أدري أين انتهى منه . فالأشجار والأعشاب تأتي قبل كتاب النخل وبعده أيضاً .

وقدّم ابن سيده الأبواب العامة أولاً ، كما فعل أبو حنيفة . فنجد أول الأبواب الخاصة بالنبات عنده أبواب الخصب ، فابتداء النبات وانتهائه ، ونعوت الكلأ في القلة والتفرق ، واجتزازه ، وما يُحمى من النبات ؛ وفي الشجر أبواب أوصافه التي تعمه دون أن تخص واحداً واحداً ، وتوريقه وتنويره ، وأوصافه التي تعمه في كثرة ورقه والتفافه أو قلته ، والحتات ورقه وسقوطه ، وأوصافه التي تعمه في عظمه ، وصغاره . ثم تناول المؤلف أسماء أجزاء الأشجار وما ينتفع بها فيه ، مع التعميم أيضاً ، مثل أبواب أسماء أصول الشجر وأعاليها . واليابس والخشن ، وعيوب العود القادح ، وأسماء الأُبَن التي في العود ، وقشر لحاء الشجر ، وغيرها .

وكان عماده الأول في جميع هذه الأبواب أبا حنيفة ، ولم يتغير منهجه فيها ، عما ألف عنه في بقية كتبه من المخصص : من حشد للآراء المختلفة في الموضع الواحد ، وعناية بالأقوال النحوية والصرفية ، وحذف لأسماء من يروى عنهم ، وما الى ذلك . ولكن الأبواب الأخيرة التي جعلها لأشجار الجبال قلّ فيها الحشو حتى كاد ينعدم ، فظهر فيها طابع أبي حنيفة غالباً . فهو يصف كل نبات ، ويجعل فصلاً خاصاً لأنواعه وأوصافها ، ثم فصلاً خاصاً للمواطن الصالحة له . وأدخل في هذه الأبواب كثيراً مما أتى أبو حنيفة به في القسم الثاني من كتابه ولكنه لم يستطع أن يتابعه في الترتيب على الحروف بحكم اختلاف الغرض من

الكتابين . فما زال ابن سيده محافظاً على منهجه المعروف عنه في المخصص ، وعلى مزاياه فيه من جمع وشمول .

ونمثل لطريقته فيه بالفقرة التالية : « أبو عبيد : الرُّبُوض : الشجرة العظيمة . وأنشد : تَجَوَّف كلَّ أرطاةٍ رَبوضٍ

أبو حنيفة : هي العظيمة الواسعة ، وجمعها رُبُض ، ومنه قيل للقرية العظيمة رَبوض ، أي ذات رَبَض ، يعني بالربض الناحية ، وأراد الجمع ، أي انها ذات أرباض كأرباض المدينة . أبو عبيد : الدَّوْحة : العظيمة . أبو حنيفة : هي المفترشة ، ومنه قيل للبيت الواسع دَوْح ، ومظلة دَوْحه ، وقيل للبطن إذا عظم : انداح . والرَّداح : مثل الدوحة . وأنشد :

أما ترى بكل عَرْضٍ مُعْرِضِ كلَّ رَداحٍ دَوْحةِ المحوَّضِ

محوضها : الشَّرَبة التي تجعل حولها لتسقى فيها . ومنه قيل للمرأة البادن العريضة : رداح . وكذلك الكتيبة العظيمة . والجمع رُدُح . وكذلك كل ضخم ثقيل . ابن السكيت : دوحة مِحلال : يُحَلّ تحتها كالتلعة المحلال . أبو حنيفة : وإذا عظمت الشجرة فهي هَيْكَلة ، والجمع هَيْكَل ، وأنشد :

في هيكل الضالِ وأرْطى هيكلِ

ومنه قيل للفرس العظيم التام الأوصال : هيكل . . . »

وجعل عيسى بن إبراهيم الربعي (المتوفى ٤٨٠ هـ) للنبات والأشجار والمراعي باباً في « نظام الغريب » ، شغل قريباً من ست صفحات ، وختمه بأسماء الرياحين في نحو صفحتين . وأورد الربعي أسماء الأشجار وفسرها بمرادفها أو بوصفها أو بوصف أوراقها أو لونها أو زهرها أو طعمها أو ما تستعمل فيه . وجمع أحياناً بين أكثر من واحد من هذه الصفات ، وترك الأسماء من غير شرح أحياناً أخرى . والباب كثير الشواهد الشعرية ، واعتمد على بعض الأمثال النثرية وعلى حديث لأبي بكر الصديق .

وهذا مثال منه : « العَوْسَج : شجر ذو شوك وورق صغار ، يكون ارتفاعه عن الأرض قدر زراعين . والسَّمَرَّد : شجر ذو شوك مُعقّق . والمَرْخ والعُشَر والطَّلْح والأراك : كل ذلك مَراعٍ . والسَّيال : الطلح ، تشبه الأسنان به لبياض شوكه . والألاءة : شجرة صغيرة ، بوزن الفَعالة . والسِّدْر والضَّال بمعنى والعُبْرِيّ : ما نبت منه على الأراك . . . »

وُنسب إلى أبي عبيد البكري (المتوفى ٤٨٧ هـ) كتاب « النبات » (فهرسة محمد بن خير ٣٧٧) ؛ وإلى موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي (المتوفى ٦٢٩) كتاب « النبات » (كشف الظنون ٥ : ١٦٢) . ولم يصل إلينا الكتابان .

وفي العصر الحديث ذهب الأستاذان عبد الفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى إلى تهذيب مخصص ابن سيده . فأخرجا في سنة ١٩٢٩ كتاب « الإفصاح في فقه اللغة » . ويعالج الباب السادس عشر منه الزرع والأشجار والثمار . ويضم ما في أصله المخصص من أبواب وفصول ، فيتناول الزرع من مبدئه إلى منتهاه ، وحصد الزرع ودَرْسه وتذريته وما إلى ذلك من أمور تعرض لها ابن سيده . ولكن المؤلفين تخففا من كثير من المادة والأقوال والشواهد التي كانت في المخصص ، وأدخلا عليها بعض التنظيم الحديث . فكاد كتابهما يشبه المعاجم الحديثة الصغيرة في خلوه من الشواهد ، وأسماء اللغويين المروي عنهم . والأقوال المتعددة المتفقة والمتضاربة ، ووضعه اللفظ المراد تفسيره في أول السطر . ولكنه لم يبلغ مبلغها في دقة التنظيم ، لأن بعض اضطراب المخصص انتقل إلى الإفصاح .

وهذا مثال من الإفصاح : « النبات : الذي ينبت ، وقد نبَت ينبُت نباتا ونَبتا ، وأنبته الله .

النَّبيت : أصل النبات الذي ينبت عليه .

المَنْبِت : المكان الذي ينبت فيه النبات .

أَنْتَشَ النبتُ : إذا خرجت رءوسه من الأرض قبل أن يُعرَف ، والاسم النَّتَش . وأنتش الحبُّ : إذا ابتل فضرب نَتَشه في الأرض . والنَّتَش : ما يبدو منه أول ما ينبت من أسفل ومن فوق .

بقل النبتُ : بقل يبقُل بقولا : وذلك أول ما يطلع ... »

وأخرج الدكتور أحمد عيسى في سنة ١٩٣٠ « معجم أسماء النبـات » . وذهب فيه مذهباً حديثاً حقاً ، نظر إليه من جهة اختصاصه . فقد كان المؤلف طبيباً ، يمر أمامه كثير من أسماء النباتات المستخدمة في الطب ، ولكنها تمر في صورة أجنبية لا يُعرف المرادف العربي لها . فبحث في كتب النبات القديمة والطب ، وتوصل إلى التوفيق بين كثير من النباتات العربية أو التي عرفها العرب ، والتي يعرفها الطب الحديث بأسماء أجنبية . فوضع هذا المعجم ليبين أسماء هذه النباتات الأجنبية بالعربية . وجعل الأسماء الأجنبية أساس الترتيب لأنها الأسماء التي يعرفها الدارسون ، ثم كتب أمام كل لفظ منها مقابله العربي . وأشار بالفرنسية إلى فصيلة كل نبات ، ومرادفه إن كان له مرادف طبي ، وذكر في بعض الأحيان اسمه في اللغتين الفرنسية والانجليزية . ومن الطبيعي أن الترتيب كان وفقاً للترتيب الافرنجي . ولكنه ألحق بالكتاب فهرسين كاملين : أحدهما للألفاظ الغربية (الفرنسية) ، وثانيهما للألفاظ العربية ، مما ييسر لغير المختصين بالطب معرفة مواقع الألفاظ أيضاً .

وهذا مثال مأخوذ منه :

« A. precatorius L. — عين الديك ـ عيون الديك

كَشْشم ـ شِشم أحمر (وهو بذور هذا النبات ويسمى البندق أيضاً) ـ حب العروس ـ عُفروس . فُلْفُل . بلَّيع (اليمن)

Fam. Leguminosae
F. Liane à réglisse ; Arbre à chapelet.
a. Wild - liquorice ; Bead - tree »

وأخرج الأمير مصطفى الشهابي في سنة ١٩٤٣ « معجم الألفاظ الزراعية » (١) نحا فيه نحو الدكتور أحمد عيسى في التنظيم والترتيب ، إذ جعل الأصل الذي رتبه الأسماء الفرنسية للمواد التي عالجها ، ورتبها على حروف الهجاء الفرنسية . ولكنه لم يقصر حديثه على النباتات وحدها ، بل تناولها وتناول كل ما اتصل بالعلوم الزراعية من ألفاظ ، مثل مصطلحات أبحاث الأتربة والاسقاء وعلم الخراج وتربية الخيل والأنعام والنحل والأسماك والطيور الأهلية ، وما له صلة بالزراعة من حيوانات وحشرات وجويات وآلات وصناعات ومعدنيات واقتصاديات وغيرها .

ولم يقصر المؤلف جهده على جمع الألفاظ العربية القديمة ، أو التي استعارها العرب القدماء من غيرهم من الأمم وأطلقوها على النباتات ، بل شارك في الوضع ، والتعريب ، والاستعارة . وقد شرح منهجه في ذلك ، فبيَّن أنه رجح الكلمات العربية أو المولدة القديمة الموافقة أو المقاربة لمعاني الكلمات الفرنسية التي أتى بها على غيرها . وما لم يجد له مقابلاً عربياً من أسماء أجناس النبات ترجمه وفق معانيه في لغاته الأصلية ، كلما أمكن ترجمته في كلمة عربية واحدة سائغة . أما الأسماء الدالة على الأنواع النباتية فكلها نعوت تترجم ترجمة في جميع

(١) طُبع المعجم في القاهرة ، سنة ١٩٥٧ ، طبعة ثانية منقحة ومزيدة نحو ألف لفظة جديدة ، فصار مجموع مواد المعجم عشرة آلاف مادة تقريباً . « لجنة المجلة »

اللغات . وما كان مسمى بأسماء أعلام اكتفى المؤلف بتعريبه ، لأنه لا سبيل إلى ترجمته .

ونهج في علاجه لمواد المعجم أن يقدم الاسم الفرنسي ، ثم يتبعه بمقابله العربي القديم أو الذي وضعه هو له ، ثم يفسر هـذا المقابل ويبين معناه ، ليوضح أسباب وضعه الاسم الذي وضعه له . ثم يذكر فصيلة النبات الذي يتكلم عنه .

وألحق بالكتاب فهرساً مشتملاً على الألفاظ العربية والمعربة والمولدة والعامية التي أوردها في كتابه ، بصفتها الموافقة أو المرادفة للألفاظ الفرنسية ، ليتيسر لقرائه العرب البحث عما يريدون البحث عنه من ألفاظ عربية .

ويتبين لنا من ذلك أنه ربما كان أجمع كتب النباتات للألفاظ النباتية ، فالمؤلف يصرح بأنه يشتمل على قريب من ٩٠٠٠ لفظ فرنسي ، ويعني ذلك أنه يشتمل على أكثر من ذلك من الألفاظ العربية ، لأنه كان يضع أمام اللفظ الفرنسي أحياناً أكثر من لفظ عربي . ومن الطبيعي أنه أوسع هـذه الكتب مجالاً ، لأنه لم يقصر جهده على الألفاظ النباتية الخاصة .

ونمثل لطريقته في التناول بقوله :[1]

تُرْمُس Lupin (Lupinus)

(جنس نباتات زراعية من الفصيلة القرنية « القطانية » ، والقبيلة الفراشية ، فيه نوع يزرع لحبه ، وأنواع تزرع لزهرها . وذكر مايرهوف أن ترمس من اليونانية Thérmos ، وأنها نقلت إلى القبطية والعبرية والآرامية ، ومنها إلى العربية والفارسية) .

---

(١) عن الطبعة الثانية . « لجنة المجلة »

ترمس شجري L. en arbre

(يزرع للتزيين وكذا الأنواع التالية عدا الجِرْجِر (L. arboreus)

أي الترمس الشائع) .

ترمس زراعي أو شائع . L, cultivé

جِرْجِر مصري . بَسيلة (L. térmis)

(في المخصص البسيل الكريه ، وسمي البسيلة للمرارة التي فيه . وهو يزرع لحبه . وفيه ضروب يزرعها الأوربيون للكلأ) .

نخرج من هذه الجولة بأن اللغويين العرب تعرضوا للنبات في كتب خاصة به ، وفي أبواب من كتب عالجت النبات وغيره من الموضوعات التي تعرضت لها الرسائل اللغوية ؛ وبأن الذين أفردوا النبات بالتأليف كان منهم من عالج نوعاً معيناً منه ، أو أخرج أكثر من كتاب جعل كلاً منها لنوع ، ومنهم من تناول عامة النبات .

ونستطيع أن نعمم القول - في غير كبير خطأ - فنحكم بأن الذين خصوا النبات بأبواب من كتبهم ، لم يوفوه حقه ، فكانت أبوابهم ضئيلة قصيرة قليلة لا قيمة لها ، ما عدا المخصص لابن سيده .

ونستطيع أن نعمم القول أيضاً ، فنحكم بأن هؤلاء اللغويين كانوا يحاولون شيئاً من الترتيب الزمني خاصة ، عندما يتيسر لهم ذلك . فكانوا يفلحون - على تفاوت - في الجوانب التي فيها تدرُّج ، ولا سيما في وصفهم لدورة حياة النبات الذي يعالجونه . ولكن هذا الترتيب سرعان ما كان ينفرط من أيديهم ، ويختل عليهم . ووصل الأصمعي في كتاب النبات والشجر ، وابن خالويه ، إلى تقسيم محكم للشجر الذي عالجاه . وحاولا أن يلتزما هذا التقسيم ، فأفلحا كثيراً ، واضطربا في أحايين . ثم التزم أبو حنيفة الترتيب على الحروف ، ولكنه كان

ترتيباً ساذجاً قاصراً لا نظر فيه إلا للحرف الحرف . واضح الترتيب عند الدكتور أحمد عيسى والأمير الشهابي ، ولكنه كان ترتيباً أجنبياً . وظهر لون من الترتيب عند صاحبي الإفصاح ، وخاصةً في طبع الكتاب .

واتجه كثير منهم إلى ما يشبه نظام القوائم ، فعل ذلك الأصمعي في كتاب النبات والشجر ، وأبو عبيد ، وابن خالويه ، والخطيب الإسكافي ، والربعي من القدماء ، وصاحبا الإفصاح والدكتور أحمد عيسى والأمير الشهابي من المحدثين . والأخير أعظمهم لزوماً لهذا النظام . وأتى هذا الشبه بالقوائم بسبب الاختصار الذي لجئوا إليه ، وقلة المادة عندهم ، وإيجازهم في وصف ما يصفون من نبات . أما أبو حنيفة ـ الذي رتب القسم الثاني من كتابه ترتيب القوائم ـ فقد بَعُد عنها بفضل المادة الغزيرة التي أوردها .

ويمكن القول بأن أكثر القدماء اتفقوا في علاجهم لموادهم على منهج يقوم على الإشارة إلى المفرد والجمع ، والمشتقات ، والإتيان بالشواهد . ولكنهم اختلفوا بعد ذلك كثيراً . فقد التزم أبو حنيفة الخطوة الأولى ، وأكثر من الشواهد جدا . ولا يدانيه أحد في الأمرين ولكن أبا حاتم السجستاني انفرد عنهم بالصبغة الدينية البارزة في الشواهد التي ذكرها في كتاب النخلة ، وانتزعها من القرآن والحديث والأخبار الخرافية .

واتفق الأصمعي وأبو عبيد وأبو حاتم وأبو حنيفة وابن خالويه في الإشارة إلى مواطن النبات الذي يصفونه ، غير أن أبا حنيفة كان أشدهم التزاماً لذلك كذلك اتفق الأصمعي وأبو حاتم وأبو حنيفة في التنبيه على اللهجات المختلفة ، وكان آخرهم ينبه على الضعيف والفصيح منها ، كما نبهوا إلى بعض المعرب . واتفق أبو حاتم وأبو حنيفة في الاعتماد على الأعراب والأخذ عنهم .

وأعتقد أن كل ذلك يؤدي بنا إلى تصديق القدماء حين يثنون على كتاب أبي حنيفة ، والتحسر لضياع القسط الأكبر ، فهو أغزرها مادة ، وأغناها بالاستطرادات النافعة ، وأكثرها شواهد أدبية ، وأجمعها لخصائص الجودة .
ولما كان ابن سيده قد اعتمد كل الاعتماد على هذا الكتاب ، إلى جانب الزيادات النحوية والصرفية التي ينفرد بها المخصص ، فإني أعتقد أني على حق حين أجعل أبواب النبات فيه تالية في المرتبة لكتاب أبي حنيفة ، وإن فاتها حسن التنظيم ، ودقة التقسيم ، مما نراه في أبواب أخرى في المخصص .

الدكتور حسين نصار

كتاب المثنّى

تأليف

الإمام العلّامة حجّة العرب

أبي الطيّب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي

المتوفى سنة ٣٥١ هـ

- ٢ -

هذا بابُ الإثنين غلبَ عليهما لقبُ واحدٍ منهما

قال أبو عبيدةَ : البُرَيكانُ : قُرطٌ وعامرٌ ابنا سَلَمَةَ ابنِ قُشَير ، وهما : البُرَيكُ وبارِكٌ[(١)] ؛

والشَّنَّتان : وَهبُ[(٢)] بنُ خالد بنِ عَبد بنِ تميمٍ ابنِ

---

(١) قال ابن المكرم ل (برك) : والبُرَيكان : أخوان من العرب ، وفي القاموس : من فرسانهم ، قال أبو عبيدة : أحدهما بارك والآخر بُرَيْك ، فغُلِّبَ بُرَيْكٌ إمّا للفظهِ وإمّا لسنّهِ وإمّا لخفة اللفظ ، ويومُ البريكين من أيامهم .

(٢) أو هو شَنّة بنُ خالد كما جاء في كتاب (ما جاء اسمان أحدهما أشهر من صاحبه فسمّيا به) تأليف أبي جعفر محمد بن حبيب ، وهو المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي (١٣٧/٤) ، ويقول المجد اللغوي (شنّ) : وشَنّة لقب وهب بن خالد ، فلا تنافي بينهما . وفي كتاب أبي جعفر : (بكر بن انسان) والصواب (بكر بن هوازن) كما ذكر أبو الطيّب ، وكما جاء في نقائض جرير والفرزدق وغيرها .

عامر بنِ مُعٰوية بنِ بكْر بنِ هَوازن ، وكان يُلقَّب الشنَّةَ (١) ، والآخرُ : الصُّدَيُّ بنُ عَزْرةَ بنِ بشر بنِ إِذْخِرَةَ ، وبعضُهم يقولُ : ابن إِجْرِدَةَ ؛

★★★

(١) أو ذا الشنّةِ : وهي القِرْبة الصغيرة الخَلَق ، وكان يقطع الطريق ومعه شنّته ، فقيل له ذو الشنَّة ، كما قيل لغَيلان ذو الرُّمّة ، وجاء في ق : وشَنّةُ لقب وهب بن خالد الجاهليّ ، وقال الزبيديّ في تاجه : تبع (المجد) فيه شيخه الذهبيّ فانه قال : أظنه جاهلياً ، وصحّح الحافظ ابن حجَر أنّه إسلاميّ جُشَميّ ، (والثاني) شَنّة بن عذرة ، واسمه صُدَيّ ، وكانا شاعرين ، وجاء في شرح ديوان الفرزدق للصاوي (ص ٥٩٤) : وقال في رجلين من بني حرام من بني جُشم بن معاوية بن بكر ابن هوازن ، وكانا لصّين في طريق البصرة ، وكانا يسميان الشنّتَين ، فتمنّى الفرزدق لقاءهما فقال [هـذا الرجز] والشّطر الثاني في الديوان :

(ببلدٍ ليس به من نتّقي)

وبعدهما : (ثم يُحاط حولنا بخندقِ ثم يقال : يا فرزدقُ اصْدُقِ)

(★ ش) في النّسب لأبي عبيدة : فمن بني غَزِيّة بن جُشَم دُرَيد ابن الصّمة ، وذو الشّنة وهو وهب بن خالد ومنهم الشّنة أيضاً وهو الصُّدَيُّ بن عَزْرةَ ولهما يقول الفرزدق :

يا ليتني والشّنتين نلتقي ثم يُحاط بيننا بخندقِ

نقلته من خطّ رضي الدين الشاطبي أيّده الله .

هذا بابُ الاثنين يجمعُهما لقبٌ واحدٌ

قال أبو عُبَيدة ، التَّوْأمانِ : جُشَمُ وزيد ابنا الخَزْرج من الأَنْصار ؛ والتَّوْأمان أيضاً : عائذةُ وتيم اللاَّتِ ابنا مالك ابنِ بكر بنِ سَعد بنِ ضَبَّةَ ؛ والتَّوأمانِ أيضًا : عَمرو وعامر ابنا قَطَن بن نَهْشَل ؛ والتَّوأمان أيضًا : بُرج من بُروج السَّماء ، وهو الجَوْزاء[1] ؛

---

(١) قال ابن المكرم ل (تأم) : التَّوْأَم من جميع الحيوان : المولود مع غيره في بطن ، وقد يستعار في جميع المزدوجات ، والجمع تَوائم وتُؤام ، قال الأزهري : ومثل تُؤام : غنم رُباب وإبل ظُؤار ، وهو من الجمع العزيز ؛ قال ابن سيده : ويقال تَوْأَم للذكر وللأنثى تَوأمة ، فإذا جمعوهما قالوا تَوْأَمان وهما تَوْأَم ؛ قال ابن برّي : وذهب بعض أهل اللغة الى أن (تَوأم) فَوْعل من الوئام وهو الموافقة والمشاكلة ، فالتوأم على هذا أصله (وَوْأَم) فقلبت الواو الأولى تاء ، قال الأزهري : فالتوأم (وَوْأَم) في الأصل ، وكذلك التولج في الأصل (وَوْلَج) وهو الكناس ، وقد ذكره أبو الطيّب في إبداله .

و (التَّوْأمان) أيضاً عُشبة صغيرة لها ثمرة مثل الكَمّون كثيرة الورق تنبت في القيعان مسلنطحة ، ولها زهرة صفراء عن ابي حنيفة ، وهي من قبيل (الاثنان في اللفظ يُراد بها واحد) ، ومثله : البَرَدان بالتحريك موضع ، والحانيان عين ، وحصنان بلد ، والريهقان : الزعفران .

والغَمامَتانِ[١] : بُرْد بْن أَفْصى بن دُعْمِيّ بن إِياد ، وغَيْلان بن دُعميّ بن إِياد ؛

والحَوْفَزان[٢] : عَمرو وعَبّاد ابنا عامِر من بني تغلب ؛

وقال أبوعُبيدة : الطَّيِّبان أبو بكر وعُمر رضي الله عنهما ، قال : وأنشدني أبو عمرو بن العَلاء لجرير[٣] :

٣٨ ما كانَ يَرْضى رسولُ الله دِينَهُمُ والطَّيِّبانِ أبو بكرٍ ولا عُمَرُ

(١) (الغمامتان والحوفزان) من فوائت كتب اللغة المطبوعة ، وهما في (جنى الجنتين) بلفظ كتاب المثنّى ، والمحبي كثير الاقتباس من مثنّى أبي الطيّب .

(★ ش) غَيلان بالمعجمة ليس إلاّ ، كذا قال الأئمة .

(٢) والحوفزان أيضًا مما ورد بلفظه مثنّى ومعناه مفرد ، قال الجوهري : الحوفزان اسم الحرث بن شريك الشيباني ، وقال ابن سيده : سمي بذلك لأن قيس بن عاصم التميمي حفزه بالرمح حين خاف أن يفوته فعرج من تلك الحفزة فسمي حوفزاناً حكاه ابن قتيبة ، وأنشد سوّار ابن حِبان المنقري مفتخراً :

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنةٍ سقته نجيعًا من دم الجوف أشكلا

(٣) هو في ديوان جرير بشرح الصاوي (ص ٢٦٣) من قصيدة يهجو بها الأخطل مطلعها :

قل للديار سقى أطلالكِ المطرُ قدهجتِ شوقاً فماذا تَرجع الذِّكرُ

والرِّدْفان: قَيسٌ وعَوفٌ ابنا عَتَّاب بن حِمْيري بن رِياح[١]:

والحُرْقَتانِ: سعدٌ وتيمٌ ابْنا قَيسِ بنِ ثعلبةَ[٢]؛

والعَوْقَتان: أعْيَنُ وقيسٌ ابْنا طَريف بن عَمرو بن قُعَين، ويُقال أعْيا وقيس؛

---

(١) وذكر المجد اللغوي (ق: الردف) ما نصه: والرِّدفان في قول جرير:

منهم عُتيبةُ والمُحِلُّ وقَعنبٌ والحَنْتفانِ ومنهمُ الرِّدفانِ

قيس وعوف ابنا عتّاب بن هَرْمِيّ، وفي اللسان (ردف)، وأما قول جرير: (منهم عتبة ...) أحد الردفين: مالك بن نُويرة والرِّدف الآخر من بنى يربوع، قلت وكانت (الرِدافة) في الجاهلية لبني يربوع، وهي أن يجلس الملك ويجلس الردف عن يمينه، فاذا شرب الملك شرب الرِّدف قبل الناس، واذا غزا الملك قعد الرِّدف في موضعه فكان خليفته على الناس حتى ينصرف، ويشبه اليوم نائب الرئيس في الجمهوريه العربية المتحدة.

و (الرِّدفان) في قول لبيد يصف السفينة:

فالتامَ طائقها القديم فأصبحت ما إنْ يُقوِّمُ دَرْأَها رِدفانِ

ملاّحان يكونان في مؤخر السفينة؛ والرِّدفان أيضاً: اللّيل والنهار، كلٌّ واحدٍ منهما رِدْف للآخر، وفي الشاهد مثنّىً آخر هو: الحنتفان وهما الحنتف وأخوه سيف ابن أوس الحميريّ.

(٢) ومثله في المزهر (٢/١٠٠)، وفي المخصّص (١٣/٢٣٠)، وقال ابن السكيت: ومما جاءَ مثنى مما هو لقب ليس باسم (الحرقتان): تيم وسعد ابنا قيس بن ثعلبة، وجاء في ل (حرق): ثعلبة بن عُكاية ابن مصعب رهط الأعشى قال (د ١٥/١٢٣):

عجبتُ لآل الحُرقتينِ كأنما رَأوني نَفِيًّا من إيادٍ وتُرْخُمِ

والأَضْجَمان[١] : ضُبَيعة بنُ رَبيعةَ بنِ نِزار ، ويَشْكُر بنُ بكر بنِ وائل قال الشاعر :

٣٩ فمن مُبْلِغٌ خيرَ الضُّبَيعاتِ كلِّها ضُبيعةَ قيسٍ لا ضُبيعةَ أضْجَما

يُريد ضُبَيعةَ بنَ قيس بن ثعلبةَ رهطَ الأَعْشى ؛

والأَفْكَلان[٢] :عبد الله ومُنَجَّى ابنا ذهل بن عامِر بن عَنَزَة ؛

---

(١) الضَّجَم : عوج في الأنف ، وربما كان مع الأنف أيضاً في الفم والشِدق ، وهو أضجم ، و (ضُبيعةُ أضجَم) في اللسان (ضجم) : قبيلة من العرب نسبت إلى رجل منهم ، وقيل : قبيلة في ربيعة معروفة ؛ ابن الاعرابي (أضجم) هو ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة ، فجعل أضجم هو ضبيعة نفسه ، فعلى هذا لا تصح إضافة ضبيعة اليه : لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه ، قال : وعندي أن اسمه ضُبَيعة ولقبه أضجم ، وكلا الاسمين مفرد ، والمفرد إذا لُقب بالمفرد أضيف اليه كقولك قيس قُفّة ونحوه ، قلت نحو سعيد كُرز ، فعلى هذا تصحّ الإضافة .

(٢) ق (الأفكل) كأحمد الرِّعدة وهو مفكول ، وفي ل (فكل) ولا يُبنى منه فعل ، وأنشد ابن بري :

بعيشكِ هاتي فغنّي لنــا فإن نَدامــاكِ لم ينهلوا
فباتت تغنّي بغربالهــا غناءً رويدًا ، له أفكلُ

والأفكل لقب الأفوه الأودي لرِعدة كانت فيه ، والأفكل أبو بطن من العرب يقال لبنيه الأفاكل ، والأفكلان لم يذكرهما اللسان ، وهما في المزهر جبلان .

والخُنْثَيان [١] : أشجع بن رَيْث ، وثَعلبة بن سَعد بن ذُبيان

قال الشاعر :

٤٠ وأمّا أشْجَعُ الخُنْثَى فولّت   تُيوساً بالشَّظِيّ لها يُعَارُ [٢]

والكتيبتان [٣] : ناشِب وطَريف ابنا بُرد بنِ حارثةَ ابنِ عوف بنِ يَشْكُر ؛

والأَسْيَان [٤] : حِبّان وقيس ابنا فَرْوة من بني بَعج من تغلبَ ؛

(١) أو هما كما في الجنى : ثعلبة بن سعد بن ذبيان ومحارب ابن خصفة ، ولم يذكرهما اللسان ولا غيره من كتب اللغة ولا المخصص والمزهر .

(٢) وفي ل (يعر) : واليُعار صوت الغنم وقيل : صوت المعزى ، ورواية صدر الشاهد فيه : (وأما أشجع الخنثى فولّوا ...) ولا ذكر فيه للخنثيين .

(٣) لا ذكر لها في اللسان والصحاح والقاموس وجنى الجنيين ، ولا المخصص ولا المزهر الذي نقل أكثر مثنيات ابن السكيت .

(٤) بضبط الأصل ، ولا ذكر ولا شرح لهما في اللسان والصحاح والقاموس ، وأما المحبي فلعله قد نقلهما بلا عزو من مُثنّى أبي الطيب لتماثل العبارة ، ولم يذكرهما المخصص ولا المزهر ، ولولا ضبطه الأصل بسكون السين المهملة لتبادر الى الذهن أنهما (الأسِيَّان) بكسر السين ، والأسيّ بمعنى المفعول : المأسوّ أي المعالَج جرحه .

والرَّأْسان : مالكٌ وجُشَمُ ابنا بكر بن حُبَيِّب(١) ، وهما الرَّوْقان(٢) أيضا ؛

وأُذنا الحمار(٣) : عبد بن جُشم بنِ بكر ومالك بن حُبيِّب ، وهما العَبدان أيضًا ، وقد مضى في بابه ؛

---

(١) من الأراقم من بطون تغلب بن وائل ، والأراقم ستة : جُشم ومالك وعمرو وثعلبة ومعاوية والحارث بنو بكر بن حبيب بن عمرو بن غَنم بن تغلب .

(٢) الرَّوْق : القَرن من كل ذي قرن ، ورأس الشيء ومقدمته كرَوق المطر والبيت والجيش والخيل ، على التشبيه لتقدم قرن الحيوان وقوته ، ومنه قرن القوم : أي رأسهم وسيدهم ، تقول : جاءنا روق من الناس كما تقول : رأس منهم وأنشد الأصمعيّ :

وأصعدَ رَوق من تميم وسافَة ... من الغيث صَوبٌ أسقيته مَصايرُه

أي رأس منهم ، ومنه أطلق القرنان على الرأسين مالك وجشم ؛

(٣) و (أذن الحمار) كما في اللسان : نبت له ورق عرضه مثل الشبر وله أصل يؤكل أعظم من الجزرة عن أبي حنيفة ، ولعله قيل أذن الحمار وأذنا الحمار على التشبيه ؛ وأذن الوعاء عروته ، وللسهم أذنان قال الطرماح :

توهَّن فيه المضرحيّةُ بعدما ... مضت فيه أُذْنا بلقعيٍّ وعاملِ

يقال : سهم بلقعيّ إذا كان صافي النصل ، وفي المثل : جاء فلان ناشراً أذنيه : أي طامعاً ، على الكناية ، ومثله جاء لابساً أذنيه أي متغافلًا ، أو لبس فلان لفلان أذنيه إذا تغافل ، وأنشد ابن الأعرابي لبعض بني فقعس :

لبست لغالب أذنيـــه حتى ... أراد برهطه أن يأكلوني

وفي المثل أيضاً : أنا أعرف الأرنب وأذنيها ، أي أعرفه ولا يخفى عليّ كما لا يخفى عليّ الأرنب .

والمِلْتان : عادِيَةُ[١] وعُتْبة من الاوْسِ بنِ تَغْلب ؛
والمِصَكّان : الحارث وعامر ابنا جَذِيمةَ من عبد القَيس[٢] ،
والقارِظان: يَذْكُر بن عَنَزَةَ ، وعامِربن هُمَيْم من عَنَزةَ ،
وقالوا : من يَشْكُر ، وهذا قول أبي عُبيدةَ ، وقال المفضَّل :
القارظان : يَذكُر و يَقْدُم رجلان من عَنَزة خرجا يطلبان
القَرَظ[٣] فلم يَرجعا ، قال بشر بن أبي خازم :

٤١ فَرَجِّي الخيرَ وانتظري إِيابي إِذا ما القارظُ العَنزيُّ آبا

(١) وعادية من أسماء العرب ، لا عاوية كما جاء في جنى الجنتين : ص ١٠٨ .

(٢) المِصَكّ : القويّ الشديد من الناس والابل والحمير ، وأنشد يعقوب :

ترى المصكّ يطرد العواشيا جِلّتها والاُخر الحواشيا

وبنو جَذِيمة من بطون عبد القيس بن أفْصَى بن دُعْميّ بن جديلة من أسد بن ربيعة بن نزار ، والنسب اليهم عبقسي . وإن شئتَ عبديٌّ ، وقد تعبقس الرجل كما يقال : تعبشم وتقيّس : ل (قيس) .

(٣) القَرَظ – قال أبو حنيفة – شجر عظام لها سوق غلاظ أمثال شجر الجوز ، وورقه أصغر من ورق التفاح ، وهو أجود ما تدبغ به الاُهُب في أرض العرب ، وهي تدبغ بورقه وثمره ، ويفهم من معجم الألفاظ الزراعية للأمير الشهابيّ أن القرظ من السنط والأقاقيا Acacia ، وابن البيطار ذكر السنط والاقاقيا في مادة القرظ ، واسمه العلمي A. arabica .

وقال أبو ذؤيب :

٤٢ وحتّى يؤوبَ القارظانِ كلاهُما ويُنْشَرَ في القَتْلى كليبٌ لوائِلِ

والأَجدّان(١) : زُهيرٌ ومُعاوية ابنا جَعْدَةَ ؛

والجُفّان : بكر وتميم(٢) ؛

والقارظ كما في ل (قرظ) هو الذي يجمع القرظ ويجتنيه ، ومن أمثالهم : لا يكون ذلك حتى يؤوب القارظان ، وهما رجلان أحدهما من عنزة والآخر عامر بن تميم بن يقدم بن عنزة ، وقال ابن الكلبي : هما قارظان وكلاهما من عنزة . فالأكبر منهما : يذكر بن عنزة كان لصلبه ، والأصغر : هو رُهْم بن عامر من عنزة ، وقال ابن بري : ذكر القزّاز في كتاب الظاء أنّ أحد القارظين يقدم بن عنزة والآخر عامر بن هيصم ابن يقدم بن عنزة .

قلت : وهناك خلاف في والد عامر ، فابن المكرم في لسانه يذكر انه ابن تميم ، والقزّاز في كتاب الظاء يذكره ابن هيصم ، وشيخنا أبو الطيب ذكر أنه ابن هُميم ، فلعل تصحيفاً وقع بين هميم وهيصم والله أعلم .

(١) مرّ بنا (الأجدّان) بمعنى الليل والنهار لتجدّدهما ، وأطلق الأجدان أيضاً على زهير ومعاوية من ملوك غسّان .

(٢) جاء في الحديث : الجفاء في هذين الجفّين ربيعة ومضر ، قال ابن الأثير : الجُفُّ والجُفّة : العدد الكثير والجماعة من الناس ومنه قيل لبكر وتميم : الجفان ؛ والجَفّة في الصحاح بالفتح والجُف بالضمّ ، وفي الجفّين يقول أبو ميمون العجليّ :

قدنا إلى الشام جيادَ المصرين من قيس عَيلانَ وخيلِ الجفّين

والكِرْشان (١) : الأزْدُ وعبد القيس ؛

والأَجْرَبانِ : عَبسٌ وذبْيان ، قال الشاعر (٢) :

٤٣ وفي عَضادته اليُمنى بنو أسدٍ والأجْربان : بنوعَبسٍ وذُبيانُ

وابنا دُخان : غَنِيٌّ وباهِلَةُ (٣) ؛

والحَرَمان : مَكَّةُ والمدينةُ (٤) ؛

والعِراقان (٤) : الكوفَةُ والبَصْرةُ ؛

(١) أما الأزد فهو أبو حيٍّ من اليمن ، وهو أزد بن غوث ابن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ، وأسْد بالسين أفصح ، يقال أزد شنوءة وأزد عمان وأزد السراة ، قالوا : ومنهم غسّان واسمه مازن ابن الأزد ، وإنما غسّان ماء نسبوا اليه ، ومنهم بنو جفنة رهط الملوك من غسان ، وقد مرّ بنا نسب عبد القيس آنفاً .

(٢) هو عباس بن مرداس السلميّ .

(٣) وهما بطنان من بني سعد بن قيس عَيلان بن مضر بن نزار ، وحكى ابن برّي أنهم إنّما سُمّوا بذلك لأن ملكاً من ملوك اليمن غزا بلادهم فدخل هو وأصحابه كهفاً فنَذِرت بهم غنيّ وباهلةُ فأخذوا بابَ الكهف وجعلوا يدخّنون عليهم حتى ماتوا ، ويقال : ابنا دخان جبلا غنيّ وباهلة ، وفي غني وباهلة يقول الفرزدق يهجو الأصمّ الباهليّ :

أأجعل دارماً كابني دخانٍ وكانا في الغنيمة كالرّكابِ

(٤) قال أبو الحسين احمد بن فارس : من حفظ أخبار الحرمين والعراقين والحضرتين فقد برّز في الحفظ : يريد بالحرمين مكة والمدينة ، وبالعراقين البصرةَ والكوفة ، وبالحضرتين بغدادَ وسُرّ من رأى .

والمِسْلَبان (١) : عَمرو وأبو عمرو من بني تَيْم اللاَّت بن ثَعْلبةَ ابن عُـكابةَ (١) ؛ وقال غيرُ أبي عُبَيدةَ : هما عمرو وعامرٌ ؛

والقَرِينان : أبوبكر وطَلْحة لمَّـا أسلما أخذهما نوفلُ ابنُ العَدَوِيّة (٢) فشَدَّهما في حَبل واحِد ؛

والهَرّاران (٣) : النَّسر الواقع وقَلب العَقْرب ، سُمِّيا بذلك لأنَّهما يطلعان في أشدِّ ما يكون من البَرد ؛ قال الرّاجزُ (٤) :

٤٤ كلُّ بَرود الصَّيف في الشِّعارِ
وَسْنَى سَخونٌ مَطْلِعَ الهَرّارِ

(١) من السّلب والاختلاس ، ويقال لتيم اللاّت تيم الله ، قال الجوهري : تيم الله حيّ بن بكر (بن وائل) يقال لهم اللهازم ، وهو تيم الله بن ثعلبة بن عكابة ، ومعنى تيم الله عبد الله ، وقالوا : تيمه الحبّ : أي عبّده وذلّله فهو متيّم .

(٢) وفي القاموس المحيط (القرن) : والقرينان أبو بكر وطلحة لأن عثمان أخا طلحة قرنهما بحبل ، والقرينان جبلان من نواحي اليمامة : عن الحفصي ؛ وجاء في المثل « كالنازي بين القرينين » وأصله أن يقرن البعير الى بعير حتى تقلّ اذيّتهما فمن أدخل نفسه بينهما خبطاه : يُضرب لمن يوقع نفسه فيما لا يحتاج اليه حتى يعظم ضرره .

(٣) وهما الكانونان أيضاً ، وقد يفرد في الشعر .

(٤) هو أبو النجم العجليّ يصف امرأة ، وقال شبيل بن عزْرة الضبعيّ :

وساق الفجر هرّاريهِ حتى بدا ضوآهما غير احتمالِ

والطَّرَفان : اللسان والفَرْج ، وقولهم : ما يَدري أيُّ طرفيهِ أطوَلُ ؟ زَعمَ قومٌ أنه أراد به اللسانَ والفَرج ، وقال آخرون: الطرفان نسَبُ الأبِ ونسب الأُمِّ ، وقولهم : أطْولُ أي أشْرفُ (١) ، قال الشاعر عون بن عبد اللهِ بن عُتْبةَ ابن مسعود (٢) :

٤٥ فكيفَ بأطرافي إذا ما شَتمتَني   وما بعدَ شتمِ الوالدينِ صُلوحُ

(١) قال ابن المكرم الخزرجيّ في لسانه (طرف) : والعرب تقول: (لا يُدرى أيُّ طرفيه أطولُ ؟) ومعناه : لا يُدرى أي والديه أشرف . قال : هكذا قال الفرّاء ، وقال أبو الهيثم يُقال للرجل : ما يَدري فلان أيُّ طرفيه أطول ؟ أي أيُّ نصفيه أطول ، آلطرف الأسفل أم الطرف الأعلى ؟ فالنصف الأسفل طرف ، والأعلى طرف ، والخَصْرُ ما بين مُنْقَطَع الضلوع إلى أطراف الوركين ، وذلك نصف البدن والسوأة بينهما ، كأنه جاهل لا يدري أي طرفيه أطول ! وقيل طرفاه إستُه وفمه لا يدري أيُّها أعفُّ ، وفي حديث قبيصة بن جابر : أن رجلا واقعَ الشراب الشديد فسُقِيَ فضَرِيَ ، فلقد رأيته في النِّطَع ، وما أدري أيُّ طرفيه أسرعُ ؟ أراد حلقه ودبره : أي أصابه القيءُ والإسهالُ ، فلم أدرِ أيها أسرعُ خروجًا من كثرتهِ .

(٢) أنشده أبو زيد الأنصاري له .

والغاران : البَطنُ والفَرجُ (١) قال الشاعر :

٤٦ أَلَمْ ترَ أنَّ الدهرَ يومٌ ولَيلةٌ وأنَّ الفَتي يَسْعى لغارَيه دائِبا

والأَنْكَدان : مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، ويَربوع بن حَنْظَلَةَ (٢) ؛

---

(١) ابن سيدة : الغاران العظمان اللذان فيهما العينان ، [وكلٌ منهما غارٌ ، فما هما من هذا الباب] ، وقيل : هما البطن والفرج ، ومنه قيل : المرء يَسعى لغاريه ، وقال : (ألم تر ان الدهر . . .) الشاهد ، ولم يعزه اللسان ، وقد يطلق الغار على الجيش والجماعة ، قال ابن الاثير : وفي حديث عليّ قال يوم الجمل : ما ظنُّك بامرىء جمع بين هذين الغارَين ؟ أي الجيشين ، قال ابن الأثير : هكذا أخرجهُ أبو موسى في الغين والواو ، وذكره الهرويّ في الغين والياء .

(٢) كذا في اللسان (نكد) ، قال بُجَير بن عبد الله بن سلمة القُشَيريّ :

الأنكَدانِ مازنٌ ويَربوعْ ها إنَّ ذا اليومَ لشَرٌ مجموعْ

وكان بُجَير هذا قد التقى هو وقَعْنب بن الحرث اليربوعيّ فقال بُجَير : يا قعنبُ ، ما فعلت البيضاء فرسك ؟ قال : هي عندي ، قال : فكيف شكرك لها ؟ قال : وما عسيت أن أشكرها ، قال : وكيف لا تشكرها وقد نجّتك مني ؟ قال قعنب : ومتى ذلك ؟ قال حيث أقول :

غطّت به البيضاءُ بعد اختلاسهِ على دهَشٍ ، وخلتني لم أُكذّبِ

وقد مرّ بنا (الأنكدان) ص ٤٦٢ من الجزء السابق .

والمَزْروعانِ (١) : عَوْف بن سَعْد، ومالك بن كَعْب بن سَعْدٍ ؛

والكُرْدوسانِ (٢) : مُعاويةُ وقيس ابْنا مالك بن زَيدِ مَناةَ ؛

والأَجْهلان (٣) : مُعاوية وربيعَةُ ابْنا قُشَيْر ؛

والأَيْهمانِ (٤) : صَخر وقَرملةُ ابنا مُجالد بن أُمَيّةَ ابن مُعاويةَ بن الأَعْور بن قُشَيْر ؛

والصِّمّتان (٥) : مُعاويةُ ومالك ابنا الحارث بن بكر بن عَلْقمةَ ،

(١) وفي اللسان (زرع) : والمزروعان من بني كعب بن سعد ابن زيد مناة بن تميم هما : كعب بن سعد ، ومالك بن كعب بن سعد .

(٢) الكراديس : كتائب الخيل واحدها كُردوس شُبهت برؤوس العظام الكبيرة ، والكردوسان بطنان من العرب ؛ وقال ابن الكلبي : الكردوسان : قيس ومعاوية ابنا مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم ، وهما في بني فُقَيم بن جرير بن دارم .

(٣) ليس (الاجهلان) في القاموس والتاج ، ولا في الصحاح واللسان .

(٤) الأيهم : البلد الذي لا علم به ، قال عمارة : اليهماء : الفلاة التي لا ماء ولا علم فيها ، ولا يُهتدى لطرقها ، وهي العَمياء : لعَمى من يسلكها كما قيل للسيل والبعير المانج : الأيهان ويقال لهما (الأعميان) .

(٥) الصِّمة ، وتجمع على صِمَم : الرجل الشجاع ، ومن أسماء الأسد ، والذكر من الحيات ، وقول جرير :

سَعرتُ عليك الحربَ تغلي قدورُها فهلاّ غداةَ الصِّمّتين تُديمها

أراد بالصِّمّتين : أبا دريد وعمّه مالكاً .

فهذا قول أبي عُبيدة ، وقال غيره : الصِّمتان زَيدٌ ومُعاويَةُ ابنا كليب بن يَربوع ؛

والأَخْنَسانِ[1] : ربيعةُ ورِزام ابْنا مالكِ بن حَنْظَلَةَ ، ويقال : الأَخنسان ، ويُقال : الأحمسان ؛

والأَخْشَبانِ : جبلا مكةَ المُطِيفانِ بها[2] ؛

والأَجدَلانِ[3] : مَلِكانِ من اليمن من مُلوكِ غسَّانَ ؛

وقال أبوعبيدةَ الاَصْبَغانِ[4] : خالد بن جعفر بن كلاب ، وابن النعمان بنِ المنذر الذي قتله الحارث بن ظالم المُرّي ، فقال فيه ابن مَيَّادةَ :

٤٧ ونحنُ قتلنا الأَصْبَغَيْنِ كليهما ونحن حملنا الأَلفَ إذهاجَ داحِسُ

(١) لم يذكرهما اللسان ولا غيره من دواوين اللغة المطبوعة ولا (الاحمسان) مذكوران .

(٢) وجاء في لسان العرب (خشب) : الأَخْشَبان : الجبلان المطيفان بمكة ، وهما أبو قبيس والأحمر ، وهو جبل مشرف وجهُه على قُعَيقعان ، وفي الحديث في ذكر مكة : لا تزول مكة حتى يزول أخشباها ، أخشبا مكة : جبلاها .

(٣) ق : والأجدل : الصقر كالأجدليّ جمع أجادل ، وفرس أبي ذر الغفاري وغيره .

(٤) الأصبغ في اللغة الفرس الأبيض الناصية والذنب ، وأصبغ وصُبَيغ من أسماء العرب ، ولا ذكرَ للأصبغين في دواوين اللغة المطبوعة ولا في المخصص والمزهر ، والأصبغان أيضاً الخصب وحسن الحال يقال : إنهم لفي الأصبغين .

والحَجَران : الذّهبُ والفضّةُ ؛

والأَرقَمَانِ (١) : خُزَيمٌ ومالكٌ ابنا جَعفر ؛

والمِلْحَبان (٢) : رَجلان من بَكر ؛

والفَرْجان (٣) : خُراسان وسِجسْتان ، قال الأَصْمعيُّ : زعموا أنه كان في عَهْد(٤) الحجّاج (إِني استعملتكَ على الفَرْجين والمِصْرينِ) ؛ فالفَرجان : خراسان وسجستان ، والمِصْران : البصرة والكوفةُ ، قال حارثةُ بن بدرٍ :

٤٨ على أحدِ الفَرجين كان مُؤَمّري

(١) ليسا في القاموس والتاج ولا اللسان والصحاح ، والأرقم في اللغة الحيّة فيها سواد وبياض ، والأراقم حيٌ من تغلب وهم جُشَم .

(٢) التهذيب : المِلْحب اللسان الفصيح ، والحديد القاطع قال الأعشى :

أُدافع عن أعراضكم وأُعيركم   لساناً كمِقراض الخفاجيّ مِلحبا

والملحب أيضاً : السبّاب البذيء اللسان ، والملحبان ليسا في كتب اللغة المطبوعة .

(٣) الفَرج هو الثّغر المخوف ، وموضع المخافة قال الشاعر (لبيد) :

فغدت كلا الفرجَين تحسب أنه   مولى المخافة خلفها وأمامها

وسمي فرجاً لأنه غير مسدود ؛ أبو عبيدة : الفرجان : السند وخراسان ، وهما عند الأصمعي : سجستان وخُراسان ، والمصنف ذكر قوله .

(٤) العَهْد كتاب التّولية من عَهِد إليه : أوصاهُ .

وقال عَديٌّ بن الرِّقاع :

٤٩ بمَجامعِ المِصْرينِ حيثُ تلاقَيا فَرْعٌ مَجامعُ شُعْبَتيهِ أصيلُ

وقال رجلٌ لرجل : عَلامَ زَوَّجكَ فلانٌ ؟ فقال : على الهـامَّين والمُلْتَفتِ والعَيْرِ الأَقْمر[1] ؛ (فالهامَّانِ) من الإِبل : اللَّذانِ قد بَلَغا ، و (الملتفت) : الذي إِذا سمعَ الإِبل تَهدِرُ الْتفتَ إِليها ، وهي هائِجة ، فيُعجبُهُ ذاكَ ، كأنّه يُريد أن يصنعَ صَنيعَها .

والَحليفان[2] : أَسدٌ وطَيّئ ، وكان يُقـال في الجاهلية الحليفان : أَسدٌ وغَطَفان لأَنهما كانا حَليفين ؛

(١) ل (قمر) : القُمرة : لون إلى الخضرة ، وقيل بياض فيه كُدْرة : حمار أقْمَر ، و (العَـيْر) الحمار ، والعرب تقول في السماء إذا رأتها كأنها بطن أتان : قمراء ، فهي أمطر ما يكون .

(٢) ويقال أيضاً لفزارة ولأسد حليفان : لأن خُزاعة لمّا أجلت بني أسد عن الحَرم خرجت فحالفت طيئاً ، ثم حالفت بني فزارة .

(★ ع) : وفاته (المحلفان) ابن سيده : كلّ شيء مختلَف فيه فهو مُحْلف لأنه داعٍ إلى الخلفِ ، ولذلك قيل : حضار والوزن محلفان ، وذلك أنهما نجمان يطلعان قبل سُهيل من مطلعه ، فيظنّ الناس بكل واحد منهما أنه سهيل ، ويحلف الآخر أنه ليس به .

(★ ش) الكاهنان قُريظة والنضير ، قال الخطّابيّ : وكانوا أهل كتاب وفهم وانكار ، في الحديث : يخرج من الكاهنين رجل يدرس القرآن دراسة لا يدرسها أحد ممن يكون بعده ، قيل : إن هذا الرجل محمد بن كعب القرظيّ .

والفَرْعانِ : عَمرُو ونَصر ابْنا قُعَين ،
والكاهِنان : حَيَّانِ من قُرَيْظَة .

★★★

هذا بابُ الإثنين ثُنِّيا باسْم أبٍ أو جَدٍّ أو أحدُهما ابنُ الآخرِ، فغلب اسمُ الابِ

المُضَرانِ[1] : قيسٌ وخِنْدِفٌ ؛

والجَوْنانِ[2] : معاوية بنُ شُرَحبيل بنِ أخضَر بنِ الجَوْنِ ، وحسّان بن عَمرو بن الجون ؛

والمِسْمَعان : مالك وعبد الملك ابْنا مِسمَع بن سُفيان ابن شهاب الجَحْدَريّ[3] ، هذا قول أبي عُبَيدةَ ؛ وقال غيره : هما مالك وعبد الملك ابْنا مِسْمع بن مالك بن مِسمع ابن

---

(١) أما قيس بن الناس بن مضر فبالنون ، وخندف امرأة الياس بن مضر .

(٢) جاء في اللسان (جون) : والجَوْنان معاوية وحسّان ابنا الجون الكنديّان ، وإياهما عنى جرير بقوله :

ألم تشهدِ الجونَينِ والشِّعبَ والغَضي ... وشدّات قَيسٍ يومَ دير الجماجِمِ

(٣) وفي ل (سمع) من قول أبي عبيدة : ابن شهاب الحجازيّ ، والذي أنشد الشاهد هو الأصمعيّ .

سِنان بن شِهاب ؛ وقال الأَصمعيُّ : المِسْمعانِ : عامر وعبد الملك ابنا مالك بن مِسْمع وأنشد :

٥٠ ثأَرتُ المِسْمعينِ وقلتُ : بُوءا بقتل أخي فَزارةَ والخيـارِ

والأَحْوَصان[1] : الأَحوَصُ بن جعفر، وعمرو بن الأَحْوَص؛ والمُصْعَبان[2] : مُصْعَبُ بن الزُّبَير ، وعيسى بن مُصْعَب ؛ والعَمْران[3] : عَمرو بن جابر وبَدر ابنهُ قال الشاعر :

(١) ابن المكرم ل (حوص) : الأحوصان : الأحوص بن جعفر ابن كلاب ، واسمه ربيعة ، وكان صغير العينين ، وعمرو بن الأحوص وقد رأسَ وقول الأعشى :

أتاني وعيدُ الحُوص من آل جعفرٍ فياعبدَ عمروٍ لو نَهيتَ الاحاوِصا

يعني عَبد بن عمرو بن شُريح بن الاحوص ، وعنى بالاحاوص من وَلده الاحوصُ : منهم عَوف بن الاحوص ، وعمرو بن الاحوص ، وشُرَيح ابن الاحوص ، وربيعة بن الاحوص . وكان علقمة بن عُلاثة بن عَوفٍ ابن الاحْوص نافرَ عامرَ بن الطفيل بن مالك بن جعفر فهجا الاعشى علقمةَ ومدحَ عامراً ، فأوعدوه بالقتل .

(٢) وفي ل (صعب) : المُصْعَب الفحلُ وبه سمي الرجل مُصعبا ، والمُصْعبان : مصعب بن الزُّبير وابنه عيسى بن مصعب . وقيل : مصعب ابن الزبير وأخوه عبد الله .

(٣) وفي ل (عمر) : والعَمْران عَمرو بن جابر بن هلال بن عُقَيل ابن سُمَيّ بن مازن بن فزارة ، وبَدر بن عمرو بن جُؤَيّة بن لَوذان ابن ثعلبة بن عَديّ بن فزارة ، وهما رَوقا (قرنا) فزارة ، وأنشد ابن السكيت لقُراد بن حَبَش الانصاريّ يذكرهما ، وأنشد البيتين : (اذا اجتمع العمران . . .) ورواية صدر الثاني : (. . . الامور إليهما) .

١٥ إذا اجتمعَ العَمرانِ عَمرُو بنُ جابرٍ وبدرُ بنُ عَمروٍ خلتَ ذُبْيان تُبَّعا
وألقَوا مقاليدَ الأمورِ إليهمُ جميعًا قِماءً كارهينَ وطُوَّعا

قِماءً : جمعُ قَمِيءٍ ؛

وقال الأصمعيّ : الشَّعْثَمان (١) : من بني عامر بن ذُهْلٍ ، ولم يكن يُقال لأحدهما : شَعْثَم ، ولكن نُسِبا إلى شعثم أبيهما ، قال : وهذا كما يُقال : المَهالِبَة والجَعافِرَة والأَصامِعَة والمسامِعَة كأنه نُسب إلى الجدِّ .

★★★

(١) الزبيدي في تاجه (شعثم) : قال ابن السكيت في كتابه المثنى : الشعثمان غائطان ، ونقل شيخنا عن أبي عبيد البكري في شرح أمالي القالي : الشعثمان : شَعْثَم وشُعَيْثٌ ابنا معاوية بن عامر بن ذُهل بن ثعلبة ، واسم شعثم حارثة عن ابن السكيت ، قال : ثم رأيت البدر الدماميني نقل كلام البكري في تحفة الغريب عقبَ نقله لكلام المصنف ، ثم قال : قلتُ فالظاهر أن هذا اليوم نسب الى أحد هذين الاخوين لاختصاصهما بالغلبة فيه ، أو لغير ذلك ، لا أنه اسم مكان أي كما توهم صاحب القاموس ؛ قال شيخنا : وما نقله البكريّ عن ابن السكيت قد صرّح ابن السكيت بخلافه في كتاب المثنى الذي سبق نقله ، وقد أوسع الكلام فيه العلاّمة عبد القادر بن عمر البغدادي أثناء شرح الشاهد ٤٢٣ من شواهد المغني ، واختار أنه اسم لرجلين ، وأنه على حذف مضاف : أي بيوم قتل الشعثمين ، وصوّبه جماعة ، قال : ويجوز الجمع بين هذه الاقوال عند من له إلمام بكلامهم وأوضاعهم والله أعلم .

هذا بابُ الإثنينِ اللَّذينِ لا يُفْردانِ من لفظهما [١]

العَصْران : اللَّيلُ والنَّهارُ [٢] ، وهما المَلَوانِ قال الشاعر :

٥٢ أُماطِلُهُ العَصْرينِ حتَّى يملَّني   وَيرضى بنصفِ الدَّين، والأنفُ راغِمُ

وقال الآخر [٣] :

٥٣ ولن يَلْبثَ العَصْرانِ : يومٌ وليلةٌ   إِذا طَلَبا ، أنْ يُدْرِكا ما تَيَمَّما

وقال تَميم بن أُبَيّ بن مُقْبل :

---

(١) وهذا ما ذكرنا في المقدمة أنه المثنّى التلقيبيّ ، فالعصر لا يطلق على الليل ولا على النهار .

(٢) وفي ل (عصر) : والعصر الليلة والعصر اليوم . وقال ابن السكيت في (باب ما جاء مثنّى) : الليل والنهار يقال لهما العصران ، قال ويقال العصران : الغداة والعشيّ وأنشد : (وأمطُره العَصرين ...) رواية أُخرى للشاهد الاول من الباب يقول : وإذا جاء في أول النهار وعدته آخره ، وفي الحديث : (حافِظْ على العصرين) يريد صلاة الفجر وصلاة العصر ، سماهما العصرين لأنهما يقعان في طَرَفيْ العصرين ، وهما الليل والنهار ، والأشبه أنه غلّب أحد الاسمين على الآخر كالعمرين لابي بكر وعمر ، والقمرين للشمس والقمر .

(٣) هو حُميد بن ثور .

٥٤ ألا يا ديارَ الحيِّ بالسَّبُعانِ[1] أَمَلَّ عليها بالبِلى المَلَوانِ
نهارٌ وليلٌ دائمٌ مَلَواهُما على كلِّ حالِ الدَّهرِ يختلفانِ
وهما الجديدان والأَجَدّان[2] ، والفَتَيان
والأَهْرَمان[3] والأَحْدَثان والجَذَعان[4] والقارحان[5] ،

(١) وفي ل (سبع) : السَّبُعان : موضع معروف في ديار قيس ، ولا يعرف في كلامهم اسم على فَعُلان غيره ، والسُّبيعان جبلان قال الراعي :

كأنّي بصحراء السُّبَيعين لم أكن بأمثالِ هندٍ قبل هندٍ مُفَجَّعا

(٢) وفي اللسان (جدد) والأجدّان والجديدان : الليل والنهار ، وذلك لأنهما لا يبليان أبدا ، و (الفتيان) الليل والنهار أيضا ، يقال : لا أفعله ما اختلفَ الفتيان يعني الليل والنهار كما يقال : ما اختلف الأجدّان والجديدان ، والأحدثان بمعنى الأجدّين . والأجدّان زهير ومعاويه ابنا جَعدة وقد مرّا بنا .

(٣) وفي النهاية لابن الأثير : اللهمَّ إني أعوذ بك من الأهرمين ، هكذا رُوي بالرّاء ، والمشهور بالدال (الأهدمين) ، قيل في تفسيره : هو أن ينهدم على الرجل بناء أو يقع في بئر أو أهويّة ، حكاه الهرويّ في الغريبين ، والأهدم أفعل من الهَدَم ، وهو ما تهدّم من نواحي البئر فسقط فيها .

(٤) الجَذَع لغةً الصغير السن ، والدهر يسمى جذَعا لأنه جديد ، والأزلم الجذع الدهر لجدّته قال الأخطل :

يا بشرُ لو لم أكن منكم بمنزلةٍ ألقى عليَّ يديه الأزلمُ الجذعُ

أي لولاكم لأهلكني الدهر .

(٥) ليس القارحان في القاموس والتاج ولا اللسان .

(★ ع) ومما فات المصنف : القُراحيتان بالضم الخاصرتان :

والقَرَّتان[1] والكَرَّتان قال الشاعر[2] :

٥٥ وحوازنٌ بيضٌ وكلُّ طِمِرَّةٍ   يَعدُو عليها القَرَّتينِ غُلامُ

ويُقال لهما : الرِّدْفان[3] والقَرنان [4] ، والصَّـرْعان[5] ، والبَرْدان والأَبْردان ، وقال بعضهم : المُراد بهذا كلّـِهِ غُدْوةٌ وعَشيّة ، قال ابن أحمر :

٥٦ وسِرْنَ الليلَ والبَرْدَينِ حتّى   إِذا أظْهرنَ رفَّعنَ الجِلالا

والصِّـرعان : العَقْل والتّقييدُ[6] قال الشاعر[7] :

(١) والقرّتان والكرّتان بمعنى واحد على البدل ، وقال ابن بزرج : الكرّتان القرّتان وهما الغداة والعشيّ لغة حكاها يعقوب .

(٢) هو لبيد بن ربيعة من المخضرمين وأصحاب المعلقات ، ورواية اللسان للصدر : (وجوارن بيض ...) بالجيم والجوارن : الدروع .

(٣) وفي ل (ردف) والرّدفان : الليل والنهار لأن كل واحد منهما رِدف صاحبه .

(٤) وليس القرنان في المطبوع من دواوين اللغة كالقاموس واللسان .

(٥) يقال فلان يأتينا الصّرعَين : أي غُدوةً وعَشيّةً .

(٦) للابل ، فالعَقل بالنهار ، وبالعِقال تتمكن الإبل من المرعى ، والتقييد بالليل لأنه يخشى عليها الشّراد ، والقيد أوثق وأضمن ؛ والصّرعان : إبلان ترد إحداهما حين تصدر الأخرى لكثرتها بالفتح والكسر ، وهما أيضًا : الليل والنهار والغداة والعشيّ : من الغُدوة إلى الزوال صرْع ، وإلى الغروب آخر ؛ ويُقال : أتيتُه صِرعَي النهار أيْ غُدوةً وعَشيّةً .

(٧) قال أبو عبيد البكري : هكذا يقول أحمد بن يحيى : صَرْعان ، وفي رواية أبي علي : صِرْعان بالكسر ، والشاعر هو ذو الرّمّة .

٥٧ كأنّني نازعٌ يَثنيه عن وَطنٍ صِرْعانِ رائحةُ عَقْلٌ وتَقييدُ

فكلٌّ هذا لا يُفرد .

ومن التثنية التي لا تُفرد، قولهم : كِلاهُما وكلتاهما للاثنين، وقولهم : إثنان لا واحدَ له من لفظِه ،

والمِذْرَوان(١) : طَرَفا الأَلْيَةِ قال عَنْتَرة :

٥٨ أَحَولي تَنفِضُ اْستُكَ مِذْرَوَيها لتقتلني فهاءنذا عمـــارا

ويُقال : عَقَلَهُ بِثِنْيايين(٢) ؛

(١) وفي المثل : جاء ينفُض مِذْرويه : أي يَتوعّد ويتهدّد ، وأول من قاله الحسن البصْري ولا يكاد يقال هذا المثل إلاّ لمن يتوعّد من غير حقيقة .

(٢) الجوهري : وأمّا (الثّناء) ممدوداً فعقال البعير ونحو ذلك من حَبل مثنيّ ، وكلّ واحدٍ من ثِنْييه فهو ثِناء لو أُفرد ، وقال الأصمعيّ يُقال : عقلتُ البعير بثنايَين ، يظهرون الياء بعد الألف ، وهي المدّة التي كانت فيها ، ولو مدّ مادّ لكان صواباً كقولك : كِساء وكساوان وكساآن قال : وواحد الثنايين ثناء مثل كساء ممدود ؛ وقال أبو منصور : الحبل يقال له : الثناية ، قال : وإنما قالوا : ثنايين ، ولم يقولوا : ثنايتين لانه حبل واحد يُشدّ بأحد طرفيه يد البعير ، وبالطرف الآخر اليدُ الاخرى . فيقال : ثَنيتُ البعير بثنايين ، كأن الثنايين كالواحد ، وإن جاء بلفظ اثنين ، ولا يُفرد له واحد ، ومثله المِذْروان : طَرَفا الاليتين جُعلا واحدًا ؛ ولو كانا اثنين لقيل مذْرَيانِ ؛ وأَمّا العقال الواحد فإنه لا يُقال له (ثناية) ، وإنّما الثنايةَ الحبل الطويل ، ومنه قول زُهير يصف السانية وشدّ قتبها عليها :

تمطو الرِّشاء وتَجْري في ثِنايتها من المحَالةِ قَتباً زائداً قَلِقا

وزعم الفَرّاء أن الأليَيْنِ والخُصْيَين لا واحدَ لهما من لفظهما، إنّما يُقال في الواحد : أَلْيةٌ وخُصْية بالهاء ، فإذا ثنّوا أسقطوا الهاء(١) ؛ وأمّا اللّحيانيُّ فحكى في الواحد : أَلْيٌ وخُصْيٌ ، وأَلْيةٌ وخُصْيةٌ ، وفي التّثنية أَلْيانِ وأَلْيَتان وخُصْيان وخُصْيتان ، وقال : هما لَغتان ، والذي يُعمَل عليه من هٰذا أن الواحدَ بالهاء أفصحُ ، والتّثنية بطَرح الهاء أفصحُ في هاتينِ الكلمتين أنشدَ الفراء :

٥٩ كأنّما عَطِيّةُ بن كَعْبِ
ظَعينةٌ واقفةٌ في رَكْبِ
تَرتجُّ أَلْياهُ ارْتجاجَ الوَطْبِ

(١) وقال الفرّاء أيضاً : كلُّ مقرونين لا يفترقان فلك أن تحذف منهما هاء التأنيث ومنه قوله : (تَرتجُّ ألياه ارتجاج الوطب) ، وقال ابن برّي : قد جاء خَصيتان وأَلْيتان بالتاء فيهما ، قال النابغة :

كذي داءٍ بإحدى خُصيتيهِ وأخرى ما تَوجّع من سَقامِ

وقال عَنترة :

متى ما تَلقَنى فَردين تَرجُفْ روانفُ أَليتيكَ وتُستطارا

أمّا (اللّيّة) فهي الألية بلغة العامّة ، وفي الفصحى عن ابن الأعرابي : قرابة الرجل وخاصته ، وهي أيضاً : العُود الذي يُستجمر به وهو الأَلُوّة ؛

٦٠ وأنشد : كأنَّ خُصْيِيهِ من التَّدَلْدُلِ
ظَرفُ عَجوزٍ فيه ثِنْتا حَنظلِ

وأنشد اللِّحيانيُّ :

٦١ يا بِأَبَا أنتَ ويا فوقَ البِأَبْ
يا بأَبا خُصْياكَ من خُصْيٍ وزُبْ

ويقال : جاءَ يَضربُ أصدَرَيهِ وأَسْدرَيهِ وأزْدَرَيهِ : إذا جاء فارِغا[1] ؛

---

(١) وفي اللسان (صدر) والأصدران عِرْقان يَضرِبان تحت الصُّدْغين لا يُفرد لهما واحد ، وجاء يَضرب أصدريه : إذا جاء فارِغاً يعني عِطفيه ، ويُروى أسْدريه بالسين ، قال أبو حاتم قال بعضهم : أصْدَراه وأزدراه وأصدغاه ، ولم يَعرف شيئاً منهنّ : وفي حديث الحسن : يضرب أصدريه أي منكبيه ، ويروى بالزّاي والسّين ، وأوّل من قال ذلك ثعلبة ابن يربوع ، كان أرسل رسولاً إلى قومه وهو معتقل عند العدوّ ، فلمّا وصل رسوله الى قومه والتمس منهم ما قرّره ثعلبة على نفسه ، قال أبوه يربوع : أنا في كثرة ، وإن أدّينا ما طلب ثعلبة اختطفتنا ذؤبان العرب طمعاً في أموالنا ، فلم يدفع يربوع الى الرسول شيئاً ، فلما عاد الرسول الى ثعلبة ، قال ثعلبة : جاء يضرب أصدَريه ، أي جاء فارغاً ، فذهب قوله مثلاً لمن يرجع من وجهته ولم ينجح سعيه ؛ قلت : وبين الصاد والسين والزاي من روايات هذا المثل تعاقب ، وهو كثير في لغتنا ؛ ومثله الصراط من قوله تعالى (اهدنا الصراط) فقد قرىء بهذه الحروف المتعاقبة الثلاثة .

ويُقالُ : هُم هَجاجَيهِ[١] : أي عن يَمينهِ وشِماله ، وقالوا المِقْراضانِ[٢] والجَلَمانِ والكَلْبتانِ يُريدون: المِقْراضَ والجَلَمَ والكلبتينِ من الحديد[٣] ، وقال الأصمعيُّ : لا يقال مِقراضٌ ولا جَلَمٌ ولا كَلبةٌ كما تقول العامّة .

★★★

(١) ل (هجج) : هَجْهَجَ الرَّجلَ : ردَّه عن كل شيء ، وهجهج السبعَ و ـ به : صاح به وزجره ليكفَّ فقال : (هيجْ !) أي كفَّ عن السَّير مثلاً ، قلت : وعامتنا لا تزال تقول : (هيشْ أو هِشْ !) لتكفَّ الدابة عن السير ، ومن هذا المعنى قولهم : هم هجاجَيه ، أو قولهم : وهجاجيكَ هٰهنا وهٰهنا : أي كف ؛ اللحياني يقال للأسد والذئب وغيرهما في التسكين : هجاجَيكَ وهذاذيكَ على تقدير الاثنين ؛ الأصمعيّ تقول للناس إذا أردتَ أن يكفّوا عن الشيء : هجاجيكَ وهذاذيكَ !

(٢) وفي ل (قرض) والمِقْراضان : الجلمان لا يُفرد لهما واحد ، هذا قول أهل اللغة ، وحكى سيبويه (مقراض) فأفرد ، وأنشد ابن برّي لعديّ بن زيد :

كلُّ صعل كأنما شقَّ فيه سَعفَ الشّري شَفرتا مقراضِ

وقال أبو الشيص :

وجناح مقصوص تحيّفَ ريشه ريبُ الزّمان تحيُّفَ المقراض

وقال ابن برّي : فقالوا مقراضاً فأفردوه ، ومثله المفراص بالفاء والصّاد ، الحاذي : قال الأعشى : (لساناً كمفراص الخفاجي ملحبًا) .

(٣) وفي ل (كلب) : الكلبتان التي تكون مع الحدّاد يأخذ بها الحديد المحمى ، يقال : حديدةٌ ذاتُ كَلبتين ، وحديدتان ذَواتا كَلبتين ، وحدائد ذواتُ كَلبتين في الجمع ، وكل ما سمي باثنين فكذلك .

هذا بابُ الإثنينِ في اللّفظ يُرادُ بهما واحدٌ

تقول العَرب : ماتَ حَتْفَ أنْفَيهِ (١) ، والمرادُ حتفَ أنفهِ : أي ماتَ على فراشهِ ولم يُقتل قال الشاعرُ :

٦٢ إذاما الغُلامُ الأحمقُ الأُمِّ ساقَني بأطْرافِ أنفَيهِ اُستمرَّ فأَسْرعا

ومن ذلكَ قولُهم : دعت المرأةُ أَلَلَيْها : إذا صرخت وجَزِعت ، وإنّما الأَلَلُ رفعُ الصوت قال الشاعر (٢) :

٦٣ وأنت ما أنتَ في غَبراء مُظْلمة إذا دعتْ أَلَلَيْها الكاعِبُ الفُضُلُ

---

(١) قال محمد بن المكرم في لسانه (حتف) الحتف : الموت والجمعُ حُتوف ولا يُبنى من فعل ، وروي في الحديث انه قال : (من مات حتف أنفه في سبيل الله فقد وقع أجره على الله) : قال أبو عبيد هو أن يموت على فراشه من غير قتل ولا غرق ولا سبع ولا غيره ، وفيه : ومن قال : (حتف أنفيه) احتمل أن يكون أراد سَمّي أنفه ، وهما منخراه ، ويحتمل أن يراد به أنفه وفمه فغلّب أحد الاسمين على الآخر لتجاورهما .

(٢) هو الكميت بن زيد الأسدي (-١٢٦هـ) الذي امتاز بكثرة مطوّلاته الجياد ، وتصرّف في المديح والهجاء ، وقوله (إذا دعت ألليها) يجوز انه أراد (الألل) المصدر ثم ثنّاه قال في اللسان وهو نادر كأنه يريد صوتاً بعد صوت ، ويكون قوله (ألَلَيها) أنه يريد حكاية أصوات ـــ

وقالوا : نزلَ القومُ عُنَيْزَتَينِ ، وإنّما أَسمُ الموضعِ : عُنَيْزةُ[١] قال عَنْترةُ :

٦٤ كيفَ المَزارُ، وقد تربَّعَ أهلُها بعُنَيزَتينِ ، وأهلُنا بالغَيْلَمِ

وناظِرةُ: اسمُ ماءٍ لبني عَبس[٢]، وقد جاءَ في الشعر بالتَّثْنيةِ قال المرّار :

٦٥ أُتِيحَ لنا بناظِرَتينِ عَوْدٌ من الآرامِ مَنظرُها جميلُ

وقال الرّاعي[٣] :

٦٦ يُطِفْنَ بِجَوْنٍ ذي عَثانينَ لم تَدعْ أشاقيصُ فيهِ والبَدِيّانِ مَصْنَعا

ـــ النساء بالنبطيّة إذا صرخن ؛ قال ابن بَري قوله (في غبراء) في موضع نصب على الحال ، والعامل في الحال ما في قوله (ما أنت) من معنى التعظيم ، كأنه قال : عظمت حالاً في غبراء .

قلت : وألّلا السكين والكتف وكل شيء عريض : وجهاه ، وقيل : ألّلا الكتف : اللحمتان المتطابقتان بينهما فجوة على وجه الكتف ، فاذا قُشِرت إحداهما عن الأخرى سال من بينهما ماء .

(١) أو هما قرية ورابية أو أكمتان .

(٢) وفي ل (نظر) : وناظرة : جبل معروف أو موضع .

(٣) النُّميري ، واسمه عُبيد بن حُصين بن معاوية ... بن نمير يكنى أبا جندل شاعر اسلامي ، والراعي لقب لُقّب به لقوله :

ضعيف العَصا بادي العروق ترى له عليها إذا ما أمحلَ الناس إصبعا

وإنّما أرادَ : بالبَدِيَّيْنِ موضعًا آسمُه : البَدِيُّ(١) ؛

ومثلهُ قولُ الآخرِ :

٦٧ أعلْقمَ يا ابنَ المسهِرَين مَنحتَني عُلالةَ نابٍ مستعـارٍ ضريبُهـا

وإنّما هو : ابنُ مُسْهِر ؛

ومثلهُ قول جرير(٢) :

٦٨ نحنُ الّذين اقتسمْنا جيشَ ذي نَجَبٍ والمنذرَين اقتسمْنا يومَ قابوس

ومثلهُ قولُ لَبيد(٣) :

٦٩ فنكّبَ حَوْضَى ما يَهُمُّ بوِرْدِها يميلُ بصحراءِ القَنانَيْنِ جادِلا

---

(١) وجاء في ل (بدا) : والبَدِيّ وَوادي البَدِيّ : موضعان قال لبيد :

جعلن جِراجَ القُرنتين وعالجاً يميناً ونكّبن البديّ شمائلا

وأما (أشاقيص) فقد جاء في ل (شقص) انه اسم موضع ، وقيل : هو ماء لبني سعد ، قال الراعي (يطفن بجون . . .) أراد به البقعة فأنّثه .

(٢) في ديوانه (الصاوي ٣٢٥) ويروى فيه :

نحن الذين هزمنا جيش ذي نجب والمنذرين اقتسرنا يوم قابوسِ

والاقتسار هنا القهر ، والمنذران : المنذر بن امرىء القيس والمنذر ابن ماء السماء كانا ملكي الحيرة .

(٣) ابن ربيعة بن مالك في جعفر بن كلاب ، وكنيته أبو عقيل مخضرم من شعراء الصّحابة .

وإنَّما هي صَحراءُ القَنانُ اسمُ جبلٍ(١) ؛

وحَكَى الفرَّاء : رَكِبَ الرَّجلُ أجبَلَيْهِ وركبَ أنْخَرَقَيْهِ ، وذلك إذا ركبَ رأسَهُ في الأمرِ ولم يَتثبتْ(٢) ، وهذا من تَوْسِعَةِ العربِ في الكلامِ ؛ وعلى هذا ربَّما جاؤوا بلفظ الجمع ، وهم يُريدونَ واحدًا قال الشاعِرُ :

٧٠ فجيئُوا بالرَّوايا من بَعيدٍ فَرَخُّوا الحزْنَ بالماءِ العِذابِ

يُريد بالماءِ العَذْبِ(٣) ؛

وقال رُؤْبةُ :

٧١ بِلالُ يا بنَ الحسَبِ الأَمحاضِ

(١) اسم جبل بعينه لبني أسد قال زهير :

جعلنا القَنانَ عن يمين وحَزنَهُ وكم بالقَنان مِن مُحلٍّ ومُحرمِ

وفي التهذيب : جبل بعالية نجد ، و (حوضَى) في البيت : اسم موضع ذكره ذو الرمة بقوله :

كأنّا رمتنا بالعُيون التي نَرى جآذرُ حَوضَى من عُيون البراقعِ

(٢) وإلى جانب (يتثبت) . في الهامش : يلتفت .

(٣) وجاء في ل (عذب) : وفي حديث الحجّاج : ماء عِذاب ، يقال : ماءةٌ عَذْبة وماء عِذاب على الجمع : لأن الماء جنس للماءة .

يزيد : الْمَحْضَ ، وقال في هذه الأُرْجوزة[١] :

٧٢ بَرْقٌ سَرى في عارضٍ نَهّاضِ
غُرِّ الذُّرَى ضَواحكِ الإيماضِ

أراد أغَرّ الذُّرى ضاحكَ الإيماضِ ،

وقال أبو الزَّحْف[٢] :

٧٣ أنا أبو الزَّحفِ وايري كاوانْ
أكْوي به أحْراحَ أُمّ الصّبيانْ

يُريد : حِرَ أُمّ الصّبيان ،

وقال كُثَيِّر[٣] :

(١) التي مطلعها : « أرّقَ عينيكَ عن انغماضِ » وفاعل (أرّقَ) برقٌ من قوله (برق سرى ...) وبعد الشطر الذي يتلوه : « يُسقَى به مَدافعُ الأنواضِ » و (الأنواض) الأودية الواحد نَوْض .

(٢) هو ابن عم جرير بن الخطفى راجز اسلاميّ .

(٣) كثير عَزة (٠٠ ــ ١٠٥ ﻫ) وهو كثير بن عبد الرحمن الخزاعي ، أبو صخر من شعراء أمية المتيّمين ، وديوان شعره مخطوط ، وللزبير ابن بكّار : اخبار كثير ، وترجمته في الأغاني ٨/٢٥ والوفيات ١/٤٣٣ والشذرات ١/١٣١ ، ومعاهد التنصيص ٢/١٣٦ ، والخزانة البغدادية ٢/٣٨١ والشعر والشعراء ١٩٨ ورغبة الآمل ٢/١٣٤ والسمط ٦١ وبروكلمن ١/٤٤ وذيله ١/٧٩ .

٧٤ بأحسنَ منها مُقْلَةً ومُقَلَّدًا إذا ما بَدتْ لَبّاتُها ونَظيمُها [١]

يريد : لَبَّتها ؛

وأنشد الفرّاء :

٧٥ إنّ سُليمى واضِحٌ لَبّاتُها لَيِّنة الأطرافِ من تحتِ السُّبَحْ

يريد: اللَّبّةَ ،

وقال الأعشى [٢]

٧٦ ومثلُكِ بيضاءَ مَمْكورةٍ صاكَ العَبيرُ بأجسادِها

يريد : بجَسدها .

ومثلهُ قولُ الآخرِ :

٧٧ ضَخْمَ الثَّنادي ناشِبًا مِغْلامًا

---

(١) هذا الشاهد من قصيدة مطلعها :

عفت غيقة من أهلها فحريمها فبرقة حَسنا قاعها وصريمها

ولم نجده في شعر كثير في الاغاني ، ولا في القصيدة ٤٧ من شرح ديوانه للمستشرق هنري پيرس من مطبوعات كلية الآداب بالجزائر حرّرها الله !

(٢) ورواية اللسان (صيك) :

ومثلكِ مُعجَبَةٌ بالشَّبا بِ صاكَ العبيرُ بأجْلادها

وفي (صاك) منه : (بأجسادها) ، وفي الصحاح (بأجلادها) ، ويقال : صاك به العبير يصيك : أيْ لصِقَ بهِ .

يُريد : ضَخم الثُّنْدُوَتينِ(١) ،

وقال الآخرُ :

٧٨ رُكِّبَ في ضَخْم الذِّفـارَى قَنْدَلِ

يُريد : الذِّفْرَيَيْنِ(٢) ،

وقال العجّاج :

٧٩ على كَـراسيعي ومِرْفَقيْهِ

وإنَّما له كُـرْسوعانِ (٣) ،

ومثله قول الآخر :

---

(١) تثنيه ثُنْدُوَة ، وهي للرجل بمنزلة الثدي للمرأة ، وقال الأصمعي : هي مَغرِز الثدي ، إذا ضَممتَ أولها همزتَ فتكون فُعْلُلَه (ثُنْدُأة) ، فاذا فتحتَه لم تهمز ، فتكون فَعْلُوة مثل تَرْقُوة وعَرقوة ، كذا في اللسان .

(٢) وجاء في لسان العرب (ذفر) : والذِّفْرَى من الناس ومن جميع الدواب : من لدن المَقَذّ (أصل الأذن) إلى نصف القَذال ، أو العظم الشاخص خلف الأذن ؛ وفي الصحاح : قال الأصمعي قلت لأبي عمرو ابن العلاء : الذفرى من الذفر ؟ قال نعم ، والمعزى من المعز ؟ فقال نعم ، وبعضهم ينوّنه في النكرة ويجعل ألفه للالحـاق بدرهم وهجرع ، والجمع : ذفرَيات وذَفارَى بفتح الراء ، وهذه الألف في تقدير الانقلاب عن الياء ، ومن ثم قال بعضهم : ذَفار مثل صَحار .

(٣) والكُوسوع : حرف الزند الذي يلي الخنصر ، وهو الناتىء عند الرّسغ وهو الوحشيّ .

٨٠ ذُبابٌ طارَ في لَهَوات لَيْثٍ ... كذاكَ اللَّيثُ يَلتَهِمُ الذُّبابا

وإنَّما هو في لَهاةِ لَيْثٍ ،

ومثلهُ قول الآخر :

٨١ تَمُدُّ لِلمَشْيِ أوْصالاً وأصْلابا

يُريد ، صُلبًا واحدًا ،

ومثلهُ قولُ الرّاجز :

٨٢ أُمِرَّ أَصْلابِي وأكْنَبَتْ يَدي(١)

أيْ : صُلْبي .

وقال الأَسْودُ بنُ يَعْفُرَ(٢) :

٨٣ فلقدأروحُ إلى التِّجارِ مُرَجَّلاً ... مَذِلاً بِمالي لَيِّنًا أجْيادِي

وإنَّما له جِيدٌ واحدٌ ،

---

(١) وفي الصحاح (كنب) : الكَنَب في اليد مثل المَجْل إذا صَلُب من العمل ، قال الأصمعيّ يقال : أكنبت يداه ، ولا يقال : كنبت يداه وأنشد أحمد بن يحي :

قد أكنبت يداكَ بعدَ لِينِ ... وبعد دهْن البانِ والمضنونِ

(٢) هو الأسود بن يعفر بن عبد الأسود بن جَندل بن نهشل التميمي ، شاعر جاهليّ يكنى أبا الجرّاح كذلك نقل ابن دريد ، ويكنى أبا نهشل ، قال البكريّ الأونبيّ (السمط ١١٤) : وقد يكون للرجل منهم كنيتان ، وهو أعشى نهشل ، ومما خاطب امرأته به : —

وقال ابو ذُؤَيْب(١)

٨٤ فالعَينُ بَعدَهمُ كأَنَّ حِداقَها سُمِلَتْ بشَوكٍ فهيَ عُورٌ تَدمع

يُريد : حدَقتها ،

ـــ إمّا تريني قد بكيتُ وغاضني ما نِيلَ من بصري ومن أجْلادي
وعصيتُ أصحابَ الصَّبابة والصِّبا وأطعتُ عـاذلتي ولانَ قيادي

(فلقد أروح على التجار ...) ، ويقال : متَدَل ومَتدِل : إذا لم يستقرّ في مكان ، وقوله : (ليتّنا أجيادي) يريد : لم أكبر ، أنا شابٌ ، وقال (أجيادي) وإنما له جيد واحد : لأنه جمعه وما حوله كما يقال : شابت مفارقه ، وإنـــا له مفرق واحد ؛ والشاهد من مفضّلية (٢/٨ التقدم ١٣٢٤) مطلعها (نام الخليُّ وما أحسُّ رقادي) وانظر ملحق ديوان الأعشى ٢٩٦ – ٢٩٨ ، والأغاني ١١/١٢٩ والبحتري (١١٧ التجارية الكبرى ١٩٢٩) ، والسيوطي ١٨٨ .

(١) الهذليّ ، قال ابن قتيبة : هو خويلد ... بن تميم بن سعد ابن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار ، جاهليٌّ اسلاميٌّ ، كان راويةً لساعدة بن جؤيّة الهذلي ، خرج مع عبد الله بن الزبير في مغزى نحو المغرب فمات .

والشاهد ديوان الهذليين (ط الدّار ٣) هو البيت العاشر من مرثيته العينية التي رثى بها أولاده الخمسة ومطلعها :

أمِنَ المنون وريبها تتوجَّع والدهر ليس بمعتب من يجــزعُ

وقوله (حداقها) ج حدَقة بالتحريك ، وهي واحدة ، وإنما جمعها باعتبارها وما حولها ، ويروي أيضا (جفونها) . و (عور) ج عوراء من العُوّار ، وهو ما يصيب العين من رمد أو قذى ، وكذلك العائر .

وأنشد أبو عُبَيدةَ :

٨٥ وسَاقانِ كَعْبَا هُما أَصْمَعانِ أَعالِيهِمــا لُكَّتــا بالزِّيَمْ

وإِنّما لَهما : أَعْلَيانِ [١] ،

وقال الآخر :

. . . . [٢]

(انتهى) عز الدين التنوخي

(١) وفي اللسان (صمع) وقال امرؤ القيس :

وساقان كعباهما أصمعا ن لحم حماتيهما مُنبتِر

وأراد بالأصمع الضامر الذي ليس بمنتفخ ، وقوله (لُكّتا بالزِّيم) أي قُذفتا بالزيم وهو اللحم المتعضّل المتفرق ليس بمجتمع في مكان فيبدن قال زهير :

قد عوليت فهي مرفوع جواشنها على قوائم عَوجٍ لحمهــا زيمُ

(٢) وهنا انتهى الموجود من (كتاب المثنى) في النسخة المخطوطة ، ولا يعلم مقدار النقص أو البتر الأخير ، ويقدر بنحو ورقةٍ ، وفي آخر كتاب المثنى المطبوع على حِدة سنذكر من فوائته ما يُعوّض نقصَ هذا البتر بعونه تعالى .

نظرة في

معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

للدكتور ا . ل . كليرفيل

نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط

ومحمد صلاح الدين الكواكبي

(لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب من جامعة دمشق)

— ٨ —

رقم المصطلح		رقم المصطلح

I

٦٩٨٧ يَرَقان مفكَّك ، مفروق — Ictère dissocié — 6987

وأرجح يَرَقان متباين ، ويعنى به اليرقان الذي لا تجتمع فيه جميع الأعراض بل ينقص بعضها ومنه التباين في الأعراض .

٦٩٨٨ يرقان غير كبدي المنشأ — Ictère extra - hépatique — 6988

وأرجح خارج الكبدي .

٦٩٩١ يَرَقان كُبادي — Ictère hépatolytique — 6991

وأرجح يرقان مذيب للكبد كما يفهم من الترجمة اللفظية لهذا المصطلح ، وسبق للجنة أن ترجمت بكُباد التهاب الكبد (اللفظة ٤-٦٧) . ويدعى اليرقان النزلي (اللفظة ٦٩٨٦) اليرقان بالتهاب الكبد .

٦٩٩٢ يَرَقان الوَليد الخَمجي، داء ونكل، داء شَبَهي، يَرَقان أسود، اسوداد الدم — 4992 Ictère infectieux du nouveau né, maladie de Winkel, Mélasictère, Maladie bronzée hématique, Tubulhématie, ictère noir Mélanémie

وأرجح أن يقال في ترجمة هذه المصطلحات تباعاً: يَرَقان الوليد الانتاني أو العفني، داء ونكل، اليرَقان القاتم (ترجمة Mélasictère وقد أهملته اللجنة) الداء الشبهي الدموي (أهملت اللجنة اللفظة الأخيرة)، إدماء الأنابيب (ترجمة Tubulhématie لظهور الكريات الحمر في الأنابيب البولية)، اليرقان الأسود، اسوداد الدم.

٦٩٩٦ يَرَقان انحباسي، يَرَقان مع بيلة صفراوية، يرقان صريح، حقيقي، أسمر — 6996 Ictère par rétention, cholostatique, cholurique, franc, vrai, biliphéique

وأرجح أن تكون الترجمة كما يلي: يَرَقان احتباسي، بركود الصفراء (وقد سهت عنه اللجنة) بالبيلة الصفراوية، صريح، حقيقي، يرقان أشهب (ترجمة biliphéique وقد سهت عنه اللجنة أيضاً).

٧٠٠٢ أفكار قَسْر، أفكار ثابتة، وساوس — 7002 Idées contraintes, idées fixes, obsessions

وأرجح أن يقال أفكار مشاكسة، أفكار ثابتة، وساوس.

٧٠١٠ بعينه — 7010 Identique

وأرجح مماثل.

7014 Idiopathie ٧٠١٤ علة ذاتية

7015 Idiopathique ٧٠١٥ متعلق بالعلة الذاتية

وأرجح في اللفظة الأولى علة عفوية أو أساسية وفي الثانية عفوي أو أساسي (لأن هذه اللفظة يغلب أن تقترن بالأساسي (Essentielle) .

7017 Idiosyncrasie ٧٠١٧ استعداد ذاتي

وأرجح السَّجيَّة الخاصة .

7021 Idiotie amaurotique familiale, maladie de Tay - Sacks ٧٠٢١ فدومة كُمْنية أسرية ، داء تاي سُكْس

وأرجح بلاهة عموية[1] أسرية ، داء تاي ـ سكس .

7043 Illusion affective ٧٠٣٤ تخيل انفعالي

وأرجح تخيل عاطفي تاركاً انفعالي لـ (Emotive) .

7062 Imbécile (développement mental entre 8 — 12 ans) ٧٠٦٢ أبله ، عجّان (نمو الدماغ ما بين ٨ — ١٢ سنة)

وقد درجت على ترجمة هذا المصطلح بالغبي تاركاً أبله لـ Idiot شأن ما فعلته اللجنة (اللفظة ٧٠١٨) وأقول نموّ العقل عوضاً عن نمو الدماغ .

7063 Imbécile privé de sens moral ٧٠٦٣ أبله لا أخلاقي

وأرجح غبي خلو من الحس الخلقي .

7064 Imbécilité, débilité mentale ٧٠٦٤ بلاهة ، وَهْنٌ عقلي

وأرجح غباوة ، ضعف عقلي .

(١) انظر الى الصفحة ٤٦٢ من الجزء الثالث من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

٧٠٨٠ سُكون الحدقة — Immobilité de la pupille 7080

وأرجح ثبات البؤبؤ [١] .

٧٠٨٢ مناعة ، تمنيع — Immunisation 7082

وأرجح تحصين لأن هذه الكلمة مستعملة وتمنيع لم أعثر عليها .

٧٠٩٧ طَهْمَل ، ما لا يُلمَس — Impalpable 7097

وأرجح غير محسوس كقولنا الطحال غير محسوس ، وقد ترجمت اللجنة (Palpable) بقابل الجس ، جسوس (اللفظة ٩٠٨١) .

٧٠٩٨ غَزْو بُرَدائي ، إصابة بُرَدائية — Impaludation 7098

وأرجح تلقيح بردائي أو إحداث البرداء لأن ما يراد بهذا المصطلح هو إحداث نُوَب البرداء بتلقيح الشخص بعاملها الممرض بغية إثارة الحرارة المتقطعة في بدنه لشفائه من الشلل العام .

٧١٣٧ خواء (المَوْت) — Inanition (mort de) 7137

والمشهور عن ترجمة هذا المصطلح المَخْمَصة (الموت بالـ) [٢] . ويجدر تخصيص كلمة خواء لفراغ المعدة من الطعام .

٧١٤٦ انحباس — Incarcération 7146

٧١٤٧ انحباس الغائط — Incarcération stercorale 7147

---

(١) انظر الى الصفحة ٤٧٨ من الجزء الثالث من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في فقه اللغة : اول مراتب الحاجة إلى الطعام الجُوع ثم السَغَب ثم الغَرَث ثم الطوي ثم الخمصة ثم الضَرَم ، ثم السُعار . اقول والأخيرتان لهما دلالة اخرى . وفي اللسان : الخَمْصُ والخَمَص والمَخمَصة الجوع وهو خلاء البطن من الطعام جوعاً والخمصة المجاعة وقد تخمّصه الجوع خمصاً وَمَخمصةً . والخَواء خلو الجوف من الطعام .

ودرجت على ترجمة هذا المصطلح بالحُصْر [١] ، مخصصاً الاحتباس (لا الانحباس) لترجمة Rétention (شأن ما فعلته اللجنة في ترجمة هذه اللفظة ذات الرقم ١١٧٩٩ وقد قرنت معها كلمة حَصْر) .

٧١٤٩ وُرود 7149 Incidence

وذُكر في المعجم الأصلي لهذه اللفظة معنيان : الأول يصح أن يترجم بوُرود كقولنا زاوية الوُرود (Angle d'incidence) والثاني نسبة أو كثرة أو مدى ظهور أحد الأمراض (Fréquence d'apparition d'une maladie) [٢] .

لذا أرجح أن تكون الترجمة ورود أو سقوط ثم كثرة الاصابة أو نسبة الإصابة (بأحد الأمراض) .

٧١٥٠ وارد 7150 Incident

وأرجح طارئ .

٧١٨٤ سَلَس فلجي 7184 Incontinence paralytique

وأرجح سَلَس شَلَلي . فقد آثرت اللجنة الشلل في ترجمة (Paralysie) (اللفظة ٩٧٧٣) و (Hémiplégie) بفالج (اللفظة ٦٦٦٨) .

٧١٨٥ سَلَس تصبُّباً ، سَلَس متناقض ، أمر شاذ ، سَلَس كاذب 7185 Incontinence par regorgement, incon-tinence d'urine paradoxale, Ischurie paradoxale fausse incontinence

ويعني بهذه المصطلحات الحالة المرضية التي يبدي فيها العليل سَلَساً بولياً

(١) في اللسان : الحُصْرُ والحُصُر احتباس البطن وقد حُصِر غائطه (على ما لم يسم فاعله) وأُحْصِر . الحُصْر من الغائط والأسر من البول .

(٢) وعلى ذلك جاء في الترجمة الانكليزية المعنى الأول (The act of falling upon (angle of I.) وفي الثاني (The range of occurence (as a disease) وفي الألمانية (Einfall) للمعنى الأول وفي الثاني (Häufigkeit des Vorkommens (einer Krankheit Z. B.)

(عدم استمساك البَول) مع امتلاء مثانته بالبول ، لأن الغالب في سلس البول أن لا يتيح للمثانة أن يبقى فيها بول . وأرجح أن تكون الترجمة كما يلي : سَلَس البول بالطَفح[1] أو بالفيض ، سَلَس البول العجيب (ترجمة لِـ Paradoxale) والأُسر العجيب ، سَلَس أو مَثَن[2] كاذب .

7208 Indigestion ٧٢٠٨ سوء هَضم ، تُخَمَة ، بَشَم

كذا وردت كلمة تُخمة في أقرب الموارد . وفي اللسان : والتُخَمَة بالتحريك الذي يصيبك من الطعام اذا استوخمته . وفي القاموس المحيط والتُخَمَة كهُمَزة الداء يصيبك منه وتسكن خاؤه في الشعر . إذن الأصح تُخَمَة .

7217 Induction (Electr.) ٧٢١٧ تحريض (كهربا)

7218 Induit, uite ٧٢١٨ مُتَحَرِّض

وأقر مجمع اللغة التأثير للفظة الأولى ومتأثر للثانية (قرار الدورتين الثالثة عشرة والتاسعة عشرة) .

7242 Infection ٧٢٤٢ خَمَج ، انخماج

وأرجح أنتان وعفونة[3] .

7243 Infection par l'air ٧٢٤٣ عدوى بالهواء انخماج بالهواء

وأفضل انتان بالهواء ، لأن لفظة عدوى هي ترجمة لِـ (Contagion) شأن ما فعلته اللجنة في ترجمة هذه اللفظة (ذات الرقم ٣١٤٧) .

---

(١) في اللسان : طَفَحَ الإناء والنهر يَطْفَح طَفْحاً وطفوحاً : امتلأ وارتفع حتى يفيض .

(٢) في اللسان : مَثِنَ الرجل بالكسر فهو أمْثَن بَيِّنُ المَثَن اذا كان لا يستمسك بوله . لذا أرجح المَثَن على السَلَس .

(٣) الصفحة ٩٥ من الجزء الأول من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

7256 Infestation تَمَحْشُر ، مَحْشَرة ٧٢٥٦

ويراد بهذا المصطلح دخول أحد الطفيليات في البدن ، وقد درجت على ترجمته بالانتان الطفيلي أو العفونة الطفيلية وأكبر الظن أن اللجنة قد اشتقت لفظتي تمحشر ومحشرة من حشرة واحدة الحشرات ، والحَشَرة غير الطفيلي ، كما أن لمحشرة معناها اللغوي الخاص .

7262 Infirmerie مشفى ٧٢٦٢

7263 Infirmerie militaire مَشفى عسكري ٧٢٦٣

7263 Infirmerie sur un navire مشفى في سفينة ٧٢٦٣

ويراد باللفظة الفرنجيـة المكان المخصص للمرضى في إحدى المؤسسات . لذا أرجح أن تكون ترجمتها دار المرضى ، ومشفى الذي يعنى به مصنع الشفاء لكل من يرتاد اليه ، غاية لا تدرك حتى في المشافي (جمع مستشفى) المخصصة تخصصاً تاماً ، وقد ترجمت اللجنة لفظـة (Hôpital) (الرقم ٦٧٩١) بمستشفى وهو المفروض فيه أن يكون كامل العدة والعدد ، ومن الخطأ إطلاق مشفى عليه ، فكيف بالمكان الضيق وغير المستجمع لجميع الأدوات أن يكون مشفى يضمن به الشفاء لكل مريض ؟ وقديماً أطلق الأطباء الأقدمون كلمة بيمارستان على ما ندعوه في أيامنا مستشفى وهي كلمة فارسية ترجمتها دار المرضى وهذا ينطبق على ما اقترح استعماله في ترجمة (Infirmerie) .

7312 Injection épidurale, sacrée حَقن عجُزى ٧٣١٢

والأصح حقن فوق الأم الجافية ، عَجُزي .

7318 Injection intraveineuse massive,infusion intraveineuse حَقن وريدي بكمية كبيرة ، ري وريدي ٧٣١٨

وأرجح : حَقن وريدي كُتلي وتقطير في الوريد .

٧٥١٦ قُزَحيَّة — 7516 Iris

ولعل الاصح الحَدَقة [١] .

J

٧٦٠٠ توائم — 7600 Jumeaux

والأصح توأمان وتوائم [٢] .

K

٧٦١٢ غضار ، كاؤلين — 7612 Kaolin

الأفضل استعمال اللفظة معرّبة ، وترك غَضار ترجمة لِـ Argile كما فعلته اللجنة في ترجمة اللفظة الأخيرة (الرقم ١٠٤١) .

L

٧٦٩٨ تَأرُؤ — 7698 Lambdacisme

لقد عُرفت اللفظة الفرنجية بأنها ضرب من عيوب اللسان يمتاز بصعوبة لفظ حرف اللام ، أو باستعمال حرف اللام عوضاً عن الراء [٣] . لذا أرجح ترجمتها باللُّثغة [٤] ولم أعثر على منشأ تَرأرؤ .

---

(١) انظر الهامش رقم ٣ في الصفحة ٤٧٨ من الجزء الثالث من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) كثيراً ما تأتي ترجمة Jumeaux بتوأمين بصيغة المثنى التي اختصت بها لغة الضاد وتأتي فيما ندر بصيغة الجمع . ففي اللسان : التوأم المولود مع غيره في بطن من الاثنين الى ما زاد .

(٣) معجم بلاكستون Blakiston's في شرح لفظة Lambdacism .

(٤) في فقه اللغة في عيوب اللسان والكلام : اللُّثغة ان يُصيّر الراء لاماً والسين ثاء في كلامه . وفي اللسان : اللُّثغة أن تعدِلَ الحرفَ الى حرف غيره ، والألثغ الذي لا يستطيع ان يتكلم بالراء ، وقيل هو الذي يجعل الراء غيناً أو لاماً والنح .

7734 Lanoline hydratée graisse de laine, graisse de suint purifiée — صوفين مائي، دسم الصُوْف دسم الزُوفى المصفّى ٧٧٣٤

وأرجح : لانولين مُميه ، شحم الصوف ، شحم الرَشح [1] المنقّى .

7797 Leontiasis ossea — جَهَم العظام ٧٧٩٧

والمشهور داء الأسد العظمي .

7826 Léthargie — سُبات ٧٨٢٦

7827 Léthargique — سُباتي ٧٨٢٧

وأرجح في الأولى نوم وفي الثانية نومي [2] .

7838 Leucocytose — كثرة الكُرَيضات ٧٨٣٨

وأرجح كثرة الكريات البيض .

7839 Leucopédèse, Diapédèse leucocytaire — انسلال الكُرَيضات ٧٨٣٩

وأرجح انسلال الكريات البيض .

7840 Leucopénie — قلة الكُرَيضات ٧٨٤٠

وأرجح قلة الكريات البيض أو نقصها .

7841 Leucoplasie, leucokératose — طَلاوة ، تقرُّن أبيض ٧٨٤١

7842 Leucoplasie buccale, psoriasis buccal, leucokérotose buccale — طَلاوة الفم صداف الفم تقرن الفم الأبيض ٧٨٤٢

---

(١) معجم الألفاظ الزراعية .

(٢) انظر الصفحة ٩٠ من الجزء الأول من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

وأرجح أن يقال في اللفظة الأولى الطلاء الأبيض أو الطُلاوة [1] (بالفم) البيضاء وتقرن أبيض . وفي الثانية طُلاوة الفم البيضاء ، داء الصدف الفمي تقرن الفم الأبيض .

7843 Leucoplasie de la langue ٧٨٤٣ طَلاوة اللسان

وأرجح طَلا اللسان الأبيض أو طُلاوة اللسان البيضاء .

7874 Lientérie, diarrhée lientérique ٧٨٧٤ خِلفَة ، إسهال خِلفي

وتدل اللفظة الفرنجية على نوع من الإسهال يحوي البراز فيه أجزاء غير مهضومة ، كما يكون في مرور محتويات المعي السريع أو عند حدوث ناسور يوصل به عروتين معويتين بعيدتين عن بعضها ، فير ما تحويه الأمعاء دون أن تؤثر عصارتها فيه . والكلمة مشتقة من كلمتين معنى الأولى Lien الأملس والثانية المعي فتكون ترجمتها الحرفية ملوسة المعي ، وقد درجت على ترجمتها بزَلَق المعي [2] ، لعدم بقاء محتوى الأمعاء ومروره السريع . أقول زَلَق المعي أو الأمعاء وإسهال زَلَقي . وأما الخِلفة فلها معانٍ كثيرة [3] ولا أراها تفيد المعنى المقصود .

(١) في اللسان : الطَّلا والطُّلاوة والطِّلاوة والطَّلَوان والطُّلُوان الريق يتخثر ويعصب بالفم من عَطَش أو مرض ، وقيل الطُّلوان بضم الطاء الريق يجف على الأسنان لا جمع له وقال اللحياني في فمه طُلاوة أي بقية من طعام .

(٢) في اللسان : الزَّلَق الزَّلَل . زَلِق زَلَقاً وأزلَقه هو . والزَّلَق المكان المَزْلَق وأرض مَزْلَقة ومُزلقة وزَلَق وزلِق وزَلُق لا يثبت عليها قدم وكذلك الزَّلاقة ومنه قوله تعالى فتصبح صعيداً زَلَقاً أي أرضاً ملساء لا نبات فيها أو ملساء ليس بها شيء .

(٣) من معانيها الكثيرة في اللسان : خلَف الطعامُ والفمُ وما أشبهها يخلُف خلوفاً اذا تغير ، وأكل طعاماً فبقيت في فيه خِلفة فتغير فوه وهو الذي يبقى بين الأسنان وخلف فم الصائم خلوفاً تغيرت رائحته . وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ولَخُلُوف فم الصائم وفي رواية خِلفة فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، الخِلفة بالكسر تغير ريح الفم .

٧٩٣٢ التهاب المَعِدة المُهَيْكَل — 7932 Linite plastique

ويعنى بهذه اللفظة أحد أنواع التهاب المعدة بحيث يبدو الغشاء المخاطي منها بمنظر الكتّان ويضخم ضخامة يَضيق معها جوف المعدة بما كساها من نسيج مرضي • أرجح أن تترجم اللفظة بالتهاب المعدة الكَتّني الكامي أو بالالتهاب الكتني الكامي •

٧٩٣٣ شحماز ، خميرة حالّة الدسم — 7933 Lipase ferment lipolytique

وأرجح تعريب اللفظة ليباز والخميرة الحالّة الشحم •

٧٩٣٥ حَثَل شَحْمي ، حَجَن شَحْمي — 7935 Lipodystrophie

وأرجح سوء التغذية الشحمي (١) •

٧٩٣٦ تَدَسّم الدم — 7936 Lipoïdémie

وأفضل دُسُومة الدم ، ويعنى باللفظة نسبة الليبوئيدات في الدم • وعندي الليبوئيديميا معربة أرجح ، أما التدسم فله معناه اللغوي الآخر (٢) •

٧٩٣٧ شُحام عُجَري — 7937 Lipomatose nodulaire

وأرجح تنكس شحمي عُقَدي (٣) •

٧٩٥١ مائع وشيقي — 7951 Liquide allantoïdien

والأفضل السائل اللاقانقي (٤) •

٨٠٠٥ تَوضّع ، استقرار — 8005 Localisation

(١) الصفحة ٦١٩ من الجزء الرابع من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في أساس البلاغة ودسّم ثيابه فتدسمت ، وهو ادسم الثياب وَسِخُها وقوم دُسْم الثياب ، ودَسَم الخرقَ سدّه بالدِّسام وهو السِّداد .

(٣) الصفحة ٦٢٠ من الجزء الرابع من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٤) ينظر الصفحة ٣١٨ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

الأصح أن تكون الترجمة استقراراً . ولم أعثر على التوضّع بهذا المعنى المراد هنا[1] .

٨٠٠٦ هُلابة ، عَواقب الوضع Lochies,suites des couches 8006

ويعنى باللفظة الفرنجية السائل المدمى البادي في النفساء . لقد عُرِبت بلوخيا ويمكن ترجمتها بسائل النِّفَاس ولم أعثر على منشأ كلمة هُلابة في المعاجم التي بين يدي .

٨٠٠٧ انحباس الهُلابة Lochiométrie 8007

وأرجح احتباس سائل النفاس أو اللوخيا .

٨٠٤٠ عِناج خَزْرَة Lumbago 8004

والمشهور عنه الألم القطني وإن شئت قلنا قُطان على وزن فُعال قياساً على الآلام المماثلة . وقد استعملت اللجنة ألم القطن وقطان في اللفظة ذات الرقم ٨١٤٨ ترجمة لـ (Mal aux reins) .

٨٠٥٩ لُوتَئين ، جِسْفَرُون ، جِسْفَرِين Lutéine, progestérone progestine 8059

وأرجح أن يقتصر على لوتئين ثم بروجسترون وبروجستين تعريباً .

٨٠٦٦ الكبريت النباتي (مسحوق) Lycopode (poudre de) 8066

وهو رِجْل الذِّئب في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي .

٨٠٦٧ تَنَشُّؤ لنفاوي ، داء الضخامة اللنفاوية Lymphadénie, lymphadénisme hymphadénomatose, diathèse lymphogène 8067

وأرجح في ترجمة هذه المصطلحات : الحالة الغدية اللنفاوية ، الغدية اللنفاوية ،

---

(١) في اللسان : ووضّع الخائط القُطْن على الثوب والباني الحَجَر توضيعاً اضّد بعضه على بعض والتوضيع خياطة الجُبّة بعد وضع القطن .

الداء الغدي اللنفاوي الضخامي والتأهب اللنفاوي (وقد أهملت اللجنة المصطلحين الأخيرين) .

8078 Lymphocytique كريفاوي ٨٠٧٨

8079 Lymphocytose فرط الكريفاوات ٨٠٧٩

أرجح في الأولى كريوي لنفاوي وفي الثانية فرط الكريات اللنفاوية .

8087 Lyse, défervescence lente اقلاع الحمى البطيء ٨٠٨٧

وقع غلط مطبعي في المصطلح الثاني وصوابه Lysis وقد درجت على ترجمته بالتحلحل[1] فأقول بالتحلحل ترجمة لِ en Lysis واقلاع الحمى البطيء .

M

8138 Maison de santé, de cure clinique privée مَصَحّ ، مَشْفى ، مستوصف خاص ٨١٣٨

سبق للجنة أن استعملت كلمة مَصَحّ ترجمة لِ Sanatorium (الرقم ١٢٠٤١) ومَشْفى لِ Infirmérie (الرقم ٧٢٦٢) وعندي ليس بوسع الإنسان حتى الآن إيجاد مكان يليق بهذا الاسم ، ومستوصف لِ Dispensaire (الرقم ٤٣١١) .

وأرى أن تكون الترجمة : دار الصحة ، العلاج المنْزِلي ، أو المنْزِل الصحي الخاص دفعاً للالتباس بالمصطلحات السالفة .

8139 Mal (pl. maux) affection داء (جَمْعُهُ أدواء) آفة ٨١٣٩

Lésion أقول داء (جمعه أدواء) وعِلّة أما آفة ينبغي تخصيصها بترجمة شأن ما فعلته اللجنة في اللفظة الأخيرة (الرقم ٧٨٠٥) .

8145 mal perforant du pied, mal perforant plantaire قُدام ثاقب ، خُماص ثاقب ٨١٤٥

---

(١) في اللسان : ويقال تحلْحَل إذا تحرك وذهب .

ويراد بالمصطلح قرحة تبدو في أخمص القدم يزداد عمقها باطراد وهي غير مؤلمة ، لذا درجت على ترجمته بداء القدم الثاقب والداء الثاقب الأخمصي ، وأقر مجمع اللغة القرحة الثاقبة ، ولا أدري مسوغاً لاستعمال قُدام وخماص .

8163 Maladie par carence ٨١٦٣ داء الفاقة

ودرجت على ترجمته بداء العَوَز ، لأنه يتأتى عن عوز البدن لأحد العناصر الغذائية الهامة ولا سيما الفيتامينات ، ولا أرى الفاقة تفي بالمعنى المطلوب .

8166 Maladie cœliaque, cœliaquie infantilisme digestif ou intestinal, sprue non tropicale Stéatorrhée idiopathique, maladie du Gee ٨١٦٦ داء بطني ، بُطان ، طفالة هضمية أو معوية ، اسهال مداري ، سيلان الدسم الذاتي داء جي

وأقر مجمع اللغة الجُواف ترجمة للمصطلح الأول كما أنه أقر سبرو معرباً للمصطلح Sprue وقد ترجمته اللجنة باسهال . لذا تصبح ترجمة هذه الألفاظ جُواف طفالة هضمية أو معوية سبرو غير مداري الاسهال الدهني الأساسي داء جي .

8197 Maladie concomitante ٨١٦٧ داء مُعاصر

وأرجح داء مُرافق أو مُصاحب .

8176 Maladie Kystique du foie ٨١٧٦ كُباد كيْسي

وأرجح داء الكبد الكيسي وتخصيص كُباد لألم الكبد أو التهابها .

8184 Maladie mitrale ٨١٨٤ داء تاجي

وأرجح داء إكليلي كما جاء في متن الكتاب قبل تصحيح الخطأ وأن تخصص النسبة الى تاج بـ (Coronaire) .

٨١٩٢	داء من الدرجة الثانية	Maladie seconde	8192

وأرجح داء اضافي .

٨٢٢٩	مَمْسُوس	Maniaque	8229
٨٢٣٠	ما يتعلق بالمس	Maniaque	8203
٨٢٣١	مس	Manie	8231

وأقر مجمع اللغة الهَوَس ترجمة للفظة Manie وعندي تعريبها مانيا أفضل . وعلى ذلك تصبح ترجمة المصطلحات السابقة تباعاً مهوّس [1] وهَوَسِي وهَوَس .

٨٢٤٦	دَنَف	Marasme Tabescence	8246
٨٢٤٧	دَنَف التسمم الفنولي	Marasme d'intoxication phénolique	8247
٨٢٤٨	دَنَف شيخوخي	Marasme sénile	8248
٨٢٤٩	دَنَفي	Marastique	8249

ويراد بلفظة Marasme الذَوَبان التدريجي لنُسُج البدن من نقص الغذاء أو من سوء امتصاص الجيد منه [2] . وسبق لمجمع اللغة أن أقر كلمة دَنَف ترجمة لـ Cachexie [3] واذا كان لكلمة دنف أن تدل على ما تأتى من هذه الحال المرضية عن غير الشيخوخة، فان الهزال البادي في الكِبَر تنطبق عليه كلمة قُحول كل الانطباق [4] .

(١) في الأساس رجل مهوّس يحدث نفسه .

(٢) معجم بلاكستون Blakiston's في شرح كلمة Marasmus .

(٣) الصفحة ٦٣١ من الجزء الرابع من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة (المقتطف ١٩٤١) .

(٤) في اللسان : تقحّل الشيخ تقحُّلاً وتقهّل تقهُّلاً إذا يبس جلده على عظمه من البُؤْس والكِبَر . وقد قحِل يقحَل قَحَلاً اذا التزق جلده بعظمه من الهزال والبِلَى ورجل قَحْل وامرأة قَحْلة مُسنَّان ورجل إنقَحْل وامرأة إنقَحْلة بكسر الهمزة مُخلَقان من الكِبَر والهَرَم .

وعليه أقول بترجمة المصطلحات السالفة : قُحُول وقَحَل وقَحَلي .

8269 Marron d'Inde ٨٢٦٩ كَسْتَنا الهند

والأصح قَسْطَلَة[1] الهند .

8370 Mégacôlon, maladie de Hirschprung ٨٣٧٠ كولون عَرْطَل (توسع الكولون) داء هرشبرنغ

وأقر مجمع اللغة ضخامة القولون .

8377 Mélanodermie, méla-noépidermie ٨٣٧٧ قَتَام الجلد ، قَتَام البَشَرة

8378 Mélanome ٨٣٧٨ وَرَم قتاميني

وأقر مجمع اللغة مَلانيه وملانومة ـ خال للفظتين الأولى والثانية .

8412 Méningisme, pseudoméningite ٨٤١٢ تَعَبُّهٌ سَحائي ، التهاب سحايا كاذب

ودرجت على ترجمة اللفظة بالحالة السحائية وأقر مجمع اللغة شبه الالتهاب السحائي .

8430 Méralgie paresthésique Maladie de Bernhardt ٨٤٣٠ ألم الفخذ بفساد الحس داء برنهرت

وأرجح أن يقال الفُخاذ ذو تشوش الحس ، داء برنهرت ، وان اللجنة قد ترجمت Paresthésie بتشوش الحس (الرقم ٩٨٥٧) .

(للبحث صلة) الدكتور حسني سبح

---

(١) معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي .

التعريف والنقد

العلاقات العامة فن

لإدوار بيرنز وغيره من الخبراء

نقله الى العربية الأستاذان وديع فلسطين وحسني خليفة ، طبع بدار المعارف في مصر سنة ١٩٥٩ بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر ، عدد صفحاته ٢٢٢ من القطع الوسط

عنوان هذا الكتاب في اللغة الانكليزية (The Engineering of Consent) ، وترجمته الحرفية (هندسة الموافقة) ، وهو علم تطبيقي يبين الطرق والوسائل التي يمكن الاعتماد عليها للتأثير في الرأي العام وتوجيهه الى تأييد قضية من القضايا أو مشروع من المشروعات ، ومن هذه الوسائل نقل المعلومات الى الجماهير بواسطة الصحف والمجلات والنشرات والاعلانات والكتب والخطب والمحاضرات والرسائل والمآدب وبرامج الراديو والسينما والتلفزيون وغيرها ، ومنها دراسة نفسية الجمهور ومعرفة حاجاته ومنافعه لمخاطبته على قدر عقله ، ومنها وضع خطة شاملة لمواجهة الموقف وترتيب الموضوعات والرموز المؤثرة في عقول الناس ، ومنها تنظيم العمل وتدبير وسائله وتنفيذها ، وهذا كله يعتمد على دراسة الدوافع النفسية والعوامل الخلقية والاجتماعية المؤثرة في سلوك الناس .

وقد أحسن الأستاذان وديع فلسطين وحسني خليفة بترجمتهما « هندسة الموافقة » بفن العلاقات العامة لما في هذه الترجمة من دلالة واضحة على موضوع هذا الفن ، فنقلا معاني الكتاب نقلاً صادقاً دون أن يخلا بالصياغة العربية ، وتخيرا لمصطلحات هذا الفن أدق الألفاظ فلم يستعص عليهما إلا لفظا « الاستراتيجية »

و « التكتيك » لما لهما في اللغات الأجنبية من معان يصعب التعبير عنها في العربية بلفظ واحد[1] .

(١) فالاستراتيجية ، كما جاء في معجم (وبستر) : هي العلم والفن الخاصان باستخدام القوة المسلحة في دولة محاربة لتحقيق أهداف الحرب ، أو هي العلم والفن الخاصان بالقيادة العسكرية لمواجهة العدو في معركة ناجحة ، أو هي ، كما قال « كلاوسفتز » : اتخاذ المعارك وسيلة لكسب أهداف الحرب ، والاستراتيجية تصنع خطط الحرب ، وترسم الطرق العامة المؤدية الى النجاح في الحملات المختلفة ، في حين ان « التكتيك » ليس سوى أسلوب يتبعه القائد في تنظيم معركة معينة ، والمعركة الواحدة قد تكون عملاً تكتيكياً أو استراتيجياً ، فاذا وضع القائد خطة المعركة في ضوء الحرب بأسرها كان من أهل « الاستراتيجية » ، واذا أجل الأمر الى الميدان فرتب صفوفه ترتيباً خاصاً به كان من أهل (التكتيك) . ومعنى ذلك كله أن لفظي الاستراتيجية والتكتيك يدلان على معنيين متقاربين ، الا أن العمل التكتيكي ينتهي في ساحة القتال ، أما العمل الاستراتيجي فلا يقف عند الحدود ، بل يبدأ قبلها ويستمر بعدها . والفرق بين العملين إنما يكمن في ذهن واضع الخطة ، فلا يصبح العمل التكتيكي عملاً استراتيجيا إلا اذا كان قائد المعركة ينظر الى المسألة من ناحية عامة تتناول المشكلة بأسرها . وأصل الاستراتيجية في اللغة اليونانية (Strategos) وفي اللاتينية (Strategus) وهي لفظ من (Stratos) ومعناه الجيش و (Agein) ومعناه القيادة ، ثم توسع معناها فأطلق على قيادة كل معركة اقتصادية كانت أو سياسية أو اجتماعية ، وأصل التكتيك (Taktikê) وهو يدل على تدبير الجيش واستخدامه في الميدان ، ثم وسع معناه فأطلق على كل تطبيق عملي للوسائل المؤدية الى بلوغ هدف معين في السياسة والاقتصاد والتجارة والتربية وغيرها .

وفي اللغة العربية الفاظ كثيرة تدل على هذه المعاني كلفظة التعبئة أو التعبية ولفظ الترتيب والتدبير والحشد وغيرها ، فلماذا لانختار لفظ(التعبئة)للدلالة على معنى «الاستراتيجية» ولفظ الترتيب أو التدبير للدلالة على معنى «التكتيك» ؟ ان المسألة مسألة اصطلاح ، ويكفي لمطابقة اللفظ للمعنى الحديث أن يوسع شموله ومضمونه بعض الشيء . ومهما يكن من أمر فان العبرة ، كما يقول الأديب البحاثة الأستاذ وديع فلسطين ، هي في التداول ، وربما كان الخطأ الشائع أفضل من الصحيح المهجور . (جميل صليبا)

ملاحظة :

المعروف في بعض الجيوش العربية وفي كتبها التدريسية استعمال « السوقية » و « فن السوق » بمعنى (Stratégie) ، واستعمال « التعبئة » بمعنى (Tactique) . وعلمنا أن لجنة المعجم العسكري أثبتت ذلك في المعجم ، وأضافت لفظة استراتيجية ، ولفظتي تكتيك وتكتيكية لاشتهار هذه الالفاظ الثلاثة المعربة . (لجنة المجلة)

وبعد فان كتاب (العلاقات العامة فن) كتاب طريف وممتع ومفيد ، وهو يسد ثغرة كبيرة في مكتبتنا العربية ، ويطلع رجال السياسة ورؤساء الأعمال التجارية والصناعية على أساليب التكييف والاتصال والاقتناع ٠ ولا غرو فان منطق الاقتناع يختلف عن منطق العقل ، لأنه يستخدم جميع الدوافع الانفعالية في الإرضاء والإيحاء ، فطريقة المنطق العقلي هي طريقة العلماء ، أما طريقة الإرضاء والإيحاء فهي طريقة رؤساء الأحزاب والخطباء والسفراء والقادة ، أولئك يعلمون الحقائق بالبراهين العقلية ، وهؤلاء ينشرون آراءهم السياسية والاجتماعية بالتأثير في مخيلة الناس وميولهم وعواطفهم وأهوائهم ٠

لقد أحسن الأستاذان الفاضلان بنقل هذا الكتاب ، وأجادا في ترجمته كل الإجادة ، وإني لأرجو أن يتابعا نقل مثل هذه الكتب المفيدة الى لغة الضاد فيؤلفا مما يترجمان أدباً حديثاً وطريفاً يوسع أفق القارئ العربي ويزيد معلوماته الفنية والأدبية على السواء ٠

جميل صليبا

مطبوعات المجمع العلمي العراقي

الجامع الكبير

في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور

تأليف ضياء الدين بن الأثير الجزري

قام بتحقيقه والتعليق عليه : الدكتوران مصطفى جواد وجميل سعيد

إن للمجمع العلمي العراقي فضلاً على العلم واللغة العربية والأدب لا ينكر ، وحقيق بأن يشكر بما نشره من الكتب العلمية والأدبية الممتعة ، وبما حققه أعضاؤه الأفاضل من نفائس المخطوطات التي نشروها فأحيوا بها كثيراً من تراثنا العربي مما ألفه سلفنا الصالح للحياة ؛ ومن تلك المخطوطات كتاب (الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور) لصاحب (المثل السائر) ضياء الدين بن الأثير الجزري ، وقد قام بتحقيقه والتعليق عليه من قدماء أصدقائي الدكتوران الجهبذان مصطفى جواد وجميل سعيد ، وهما من أعلام العراق الذين لم يبض الأيادي على العلم والأدب ولغة العرب .

إن هذا الكتاب الموسوم بالجامع الكبير هو صنو كتاب (المثل السائر) للضياء ابن الأثير الذي اشتهر به شهرة أدبية طغت على شهرته السياسية ، وعُرف بعلوم البلاغة والبيان أكثر مما عُرف بالوزارة والديوان ، ولا أعرف أديباً له رأي في البيان وأساليبه إلا وللمثل السائر أثر بيّن في تقويم أسلوبه وإرشاده إلى وسائل الملكة العربية ، ففيه من أصول (فن الكتابة) ما يكتبه علماء الإنشاء الغربيون للشداة في الكتابة ليبيّنوا لهم أخصر الطرق وأقرب الوسائل لتحصيل ملكة الكتابة في لغاتهم ، وقد طبع المثل السائر مرات في مصر ولم يخدم الخدمة الواجبة في نشره ، والجامع أسبق بالتأليف من المثل السائر ،

لأنّ المؤلف في المثل أتم بحثاً في بعض المواضع من الجامع أو أكثر توضيحاً لمقاصده منه ولأن شخصية ابن الأثير أشد وضوحاً في المثل ، فهو فيه كثير التهجّم على مخالفيه في آرائه ، وكثير الاعتداد ببلاغة رسائله والاستشهاد بها ، وأسلوب ابن الأثير في الجامع هو ـ كما يرى المحقّقان الفاضلان ـ هادئ ، وينقل عمن تقدّمه من علماء البيان ويشير الى مواطن النقل في كثير من الأحيان ، ويجادل في الرأي جدالاً هادئاً ، مما لا نراه في المثل السائر إذ قلّما نراه يشير فيه الى رأي وهو لا يحاول تفنيده ، أو النّيل من صاحبه ، وهذا ما ألّب عليه الذين تصدّوا لنقد كتابه وتفنيد آرائه كعز الدين المدائني (ابن أبي الحديد) في كتابه الفلك الدائر على المثل السائر .

واعتمد المحققان في نشر الجامع الكبير على مصوّرة شمسية من نسخة خطية بدار الكتب المصرية (برقم ٢٧٠ بلاغة و ٣٠٠٦٤ عمومية) ، ولكنها كما يقولان : «مع وضوحها في الكتابة كثيرةُ التصحيف ، وقد أجهدنا أنفسنا في الرجوع الى كتب البلاغة ، وكان أجداها نفعاً وأكثرها معونة لنا كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر للمؤلف نفسه ... وكنا نوازن بين ما ورد هنا وورد في المثل السائر ورأينا كثيراً من الأخطاء جاءت في المثل ، وكان من الممكن أن تصلح بالرجوع الى هذا المخطوط ، وقد نبهنا الى بعض ذلك في حواشي هذا الكتاب» .

قلت : وليته كان عند هذين الصديقين المحققين مع مصوّرتها تلك النسخة المصورة عن مكتبة خدابخش بتنه فوهي ، فهي أقدم من نسخة الدار (من القرن السابع) ومكتوبة بخط نفيس مشكول (تحت رقم ١٢٠٩٥ ج بلدية) ، فلعلها كانت أشدّ معونة لهما في التحقيق وإفادة من المثل السائر ، أذكر على سبيل المثل ما جاء في هذا الجامع منقولاً عن نسخته المصورة التي اعتمد عليها المحقّقان (ص ٢٠٨/١٢) : [وهن دلائل معنىً واحداً لا غير وهو الحركة] ، وهذه

العبارة في مصورة خدا بخش الثانية : [وهن دلالات على معنىً واحد لا غير وهو الحركة] ، ومثل هذه التباينات مما يساعد التحقيق ، ومع شدة تصحيف المصوّرة التي اعتمدا عليها ، وهي المخطئة ، جاء الجامع الكبير بفضل ناشريه من أصح ما نشرته مطابعنا ، ويشهد لذلك أن كثيراً من نواقص مخطوطته المصورة التي أتمها المحققان وأكملاها بين الأقواس كانت صحيحة كما جاء في مصورة خدابخش ، مما يدلّ على صحة طبع الناشرين وقوة تحقيقهما .

ونتمنى للطبعة الثانية أن تُضبط فيها بعض الألفاظ بالشكل الكامل توضيحاً للمعاني ، وأن يُشار في الحواشي وبالأرقام إلى مواطن البحث في المثل السائر ، وأن لا تُنسى مصورة خدابخش للمعارضة ، وأن تكون صلة صديقيّ الناشرين بالمطبعة وثيقاً ، فلا يصح اعتماد الناشر على صفّافي الحروف الذين لا يهمهم الضبط أو صحة النقل كما يهمهم الإنتاج وكثرة الدخل ، يدل على ذلك ما جاء في الجامع الكبير من أخطائهم التي لا يغفرها لهم الاعتذار والاستغفار : [الرّقم الأول للصحيفة والثاني بعد الفاصل للسطر] :

١٢ / ٧ : (لم يحذف الفاء في مستقبل فِعِلَ وفَعُلَ) والصواب : في مستقبل فَعِلَ وفَعُل ، ويدل على أن المطبعة مصدر الخطأ ما جاء بعد ذلك : بل يقول وَجِلَ يَوْجَل و وضُؤَ يوْضَأ ؛

٢٣ / ٣ من المقدمة : (ولم أزل ساعياً في تقديم أوده) ص : في تقويم أوده ؛

٢٤ / ٨ : (والذين أصابهم البغي هم ينتصرون) وصواب الآية الكريمة : والذين إذا أصابهم البغي . . . ؛

٢٤ / ١٦ : (وأنا أدعوه الى كلمة سواء بيني وبينه أن يبغي أحدنا على صاحبه) ص : أن لا يبغي . . . وعليه المعنى ؛

٣٤/ ١٩ : (وكذلك فعل في حيث الرسول الكريم) ص : في حديث الرسول الكريم ؛

١١٣/ ١ : (فإنه قدم خبر كان عليها) ص : خبر كأنّ عليها ، من شطر (كأنّ قفرا رسومها قلما) .

١٨٤ / ٢١ : (وأزلفة الجنة للمتقين) وصواب الكتابة :(وأزلفت) بتاء التأنيث المبسوطة (الشعراء ٩٠) ؛

٢٠٥/ ١٠ : (ما أطلب منكم من عبادة إلهين) ص : من عبادة إلهي ، والمعنى عليه ؛

٢٠٨/ ١٢ : (ومن دلائل معنىً واحداً) ص : ومن دلائل أو دلالات على معنى واحد ؛

٢٢٩ / ٣ : (جوانح قد أيقنّ ان قبيلةً) ص : (... أن قبيله) وهو صدر البيت للنابغة عجزه : (اذا ما التقى الجمعان أول غالب) ، ويدل على أن الخطأ من الطابع وحده أن الناشرين ذكرا هذا البيت صحيحاً في الصفحة ٢٤٦ ، وهنالك من السهو المطبعيّ غير ما ذكرنا على سبيل المثال ، ومع ذلك فان كتاب الجامع الكبير لضياء الدين بن الاثير من أقلّ ما طُبع في بلادنا خطأً ، ومن أكثرها نفعاً ، وهو مما لا يستغني مدرّس البلاغة والانشاء عن الرجوع اليه في تقرير مسائلها العلمية والادبية وفي تصحيح المثل السائر ؛ ولولا قوّةُ مَلكة الصديقين الناشرين وسعة علمها وقوة صبرهما وجَلدهما على التمحيص والتحقيق مع تصحيف المصورة التي اعتمدا عليها فقوّما أودها وسدّا خللها ، لولا ذلك لما ظفرنا برؤية هذا الجامع الكبير قريباً من أصله ، فللناشرين المحقّقيْن مِنّا أطيبُ الثناء ، ولهما من الله غداً أفضل الجزاء .

المنهاج في الأدب العربي وتاريخه

تأليف عمر فرّوخ الدكتور في الفلسفة وعضو المجمع العلمي العربي

جزآن : الأول للسنة الخامسة من المدارس الثانوية بلبنان يقع في نحو ٢٠٠ صفحة والثاني للسنة السادسة في ٣٨٠ صفحة حسب المنهاج الرسمي بلبنان (طبع بيروت)

كانت وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة بلبنان فرضت على المدارس منهاجاً للأدب العربي مبنياً على فنون الأدب لاعتقادها أن دراسة الأدب حسب الفنون أحسن تقويماً للذوق وأوثق ربطاً للأغراض الأدبية ، والمؤلف يرى ذلك صحيحاً في الدراسة الجامعية ، وينتقده في المدارس الثانوية ، وقد عالج في الجزء الأول الفنون التي يطلبها المنهاج مع الكلام على ممثليها من الكتاب والشعراء معالجة وافية بالمنهاج أو أوفى قليلاً ، ولكنه نسّق تلك الفنون وأولئك الكتّاب والشعراء نسقاً تاريخياً حسب العصور ؛ ثم ان هذا الجزء غير شامل للأدب العربي ولكنه ممثل لبعض وجوهه .

والجزء الثاني من المنهاج يضم منهاج السنة السادسة أو صف البكالورية اللبنانية في الأدب العربي وهو كما يقول المؤلف وإن كان مثل أخيه الجزء الأول في البحث إلا انه بني على أساس علمي بتعابير دقيقة وأحكام معتدلة من أقوال النقّاد العرب مع الاستفادة من طريق التآليف التي عرفها الغرب ، ولم يستطع المؤلف أن يجعل هذا الجزء الثاني شاملاً لجميع مظاهر الأدب العربي ولجميع أعلامه بل اقتصر فيه على ما لا بد منه لطالب البكالورية اللبنانية في الفنون والأشخاص . وكثيراً ما استوفى البحث في هذا الجزء الممتع لأنه يرجو أن يسدي خدمة لغير طلبة البكالورية أيضاً .

إن عضو مجمعنا العلمي العربي الدكتور عمر فروخ كثير التصنيف في الفلسفة والأدب العربيّ ، يعمر أوقاته كلها بالدرس والبحث والترجمة والتأليف ومن أعلام العروبة والإسلام ، بارك الله في جلائل أعماله وأكثر فينا من أمثاله .

الأمة العربية
في معركة تحقيق الذات
للأستاذ محمد المبارك

من منشورات مؤسسة المطبوعات العربية بدمشق ، قطع وسط ، صفحة ٢١٣

منذ العهد الفرنسي المنصرم ، انتشرت في دمشق قلب العروبة الخفّاق ، عقيدتان : عقيدة دينية ويبشر بها الإخوان المسلمون ، وعقيدة قومية وكان أول من بشر بها القوميّون من الرعيل الأوّل بقايا المشانق التركية والأسر العربية المنفية ، ثم من شعُر من أتباعهم بشعورهم ، إما بدافع من صوت دمه العربيّ ، أو بدافع حزبيّ أو سياسيّ ، وانتقل هذان التبشيران الى كليتي الحقوق والآداب والى مدرسة التجهيز ، فكان جمهرة الإخوان لا يقيمون للقومية وزناً ، وقد يراها بعضهم من الإلحاد ، وكان القوميون يردّون عليهم ، وكل حزب بما لديهم فرحون .

ومن الحق أن أقول أن الأستاذ المبارك كان يوافقني على وجوب التبشير بالإسلام الذي رفع الله به ذكر العرب « وإنه لذكرٌ لك ولقومك ولسوف تُسألون » ، وعلى وجوب التبشير بالعروبة المؤمنة لا الملحدة لتجتمع عليها كلمة طلاب العرب من مسلمين ومسيحيين ، وها هو ذا يقول في كتابه هذا : « ولئن كان الإسلام بالنسبة للمسلم دينه وعقيدته ، فهو بالنسبة للعربيّ المسيحيّ تراثه القومي ومادة ثقافته ، ومن حسن الحظ أن الإسلام نفسه فسح المجال للنصرانية لتعيش معه والى جنبه ، وحمى مقدّساتها ومعتنقيها ، وصان معابدها وجعل بينه وبينها صعيداً مشتركاً ... [1] » ويقول في بحث (الصلة بين العروبة والإسلام) [2] :

(١) ص ٦٩ .
(٢) ص ٦٨ .

«لقد كان بين العرب والإسلام تجاوب خاص واتصال صميميّ مما يدل على حكمة اختيار الله للعرب للتبشير بهذه الرسالة ، كما أن بينهم وبينه تلازماً تاريخياً طويلاً ، وارتباطاً مكانياً ووحدة في المصير ، فقد كان كما قال الأستاذ ساطع الحصري : قوةً دافعةً بالنسبة اليهم وقوة واقية كذلك[1] ، فهو الذي دفعهم الى الانطلاق الى العالم لتحريره من الظلم والضلال والجهل ، فامتدّوا في الأرض وانتشروا في أطرافها ، وهو الذي حفظ تماسكهم ولغتهم وأخلاقهم» .

ولو اتسع لي مجال النقل ، لنقلت كثيراً من آراء المؤلف الإسلامية القومية الصحيحة التي تعلي كلمة الله وكلمة العرب دعاة الله الى الحق والأخلاق الكريمة ، والحضارة الإنسانية السعيدة ، وليتني كنت أستطيع الكلام من أبحاث الكتاب على : الصلة بين العروبة والإسلام ، أو العناصر الخالدة من تراث الأمة العربية ، أو القرآن والأمة العربية ، أو مراحل البطولة العربية وخصائصها وغيرها من الأبحاث التي يحتاج اليوم الى إنعام النظر فيها شبابُ العرب والإسلام ؛

إنّ لغة الكتاب مُبينة متينة كسائر كتب المؤلف ، وعملُه من التأليف والبحث المتواصل عملُ محبّ الإصلاح والداعي الى سُبل الرشاد ، وفّقه الله للحقيقة الإسلامية يكشف أسرارها ، وللعروبة الصادقة يُعلي منارها .

التنوخي

---

(١) ساطع الحصري (ما هي القومية) : الفصل الأخير .

مطبوعات المجمع العلمي العربي

كتاب الإبْدال

لحجة العرب أبي الطيب اللغويّ

بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي (عضو المجمع العلمي العربي)

طبع الجزء الأول منه بمطبعة الترقي بدمشق ، وعدد صفحاته ٤٠٠ بقطع الوسط

لا غرو أن كتب المؤلفين الأقدمين التي جمعت شمل شذور اللغة وفرائدها ، قد كانت في مبدأ الأمر رسائل لغوية تفرّقت شذرَ مذرَ في البلاد ، ومن جملتها كتب ثعلب وأصحابه ، والذين صنفوا معاجمهم الأولى لم ينصفوا علماء الكوفة ، ولا قدّروا مؤلفاتهم حقّ قدرها ، ففاتهم بذلك جملة صالحة من اللغة ظلت كالضوالّ مبعثرة في هذه الرسائل الصغيرة ، يشهد لذلك أنه ليس بأيدينا اليوم نسخة كاملة يعتمد عليها من مجالس ثعلب [1] ، فما ظنك بما ألّف بعد أبي العباس من مصنفات أصحابه كأبي علي القالي صاحب الأمالي وأبي القاسم ابن بَرهان ، وابن خالويه وابن مقسِم وأبي اسحق الطبري ، غلام أبي عمر الزاهد ، وأبي عمر الزاهد المطرّز صاحب اليواقيت وأبي موسى الحامض وأبي عبيد المرزباني صاحب الموشّح وجَعفر بن محمد الطيالسي صاحب المذاكرة عند المكاثرة ، وأبي سليمان عبد السلام بن السَّمح راوي تآليف أبي عمر الزاهد ، وهو الذي أدخلها الأندلس ؛ أو من مصنّفات أصحاب هؤلاء كحجة العرب أبي الطيب اللغويّ ، أو ما صُنّف من بعده من كتب أئمة ثقات لم نقف لأكثرها على علم أو رسم .

ثم إن أصحاب المعاجم الضخمة التي ألفت في القرن الرابع وما بعده قد انصرفوا عن الانتفاع بأتباع مدرسة الكوفة اللغوية ، فلم يعبئوا بهم ولا بآثارهم كما يجب ، وآثروا علم مدرسة البصرة وأشادوا بذكر علمائها وكتبهم ، ففاتهم

---

(١) والمطبوعة غير منقحة ولا كاملة .

بذلك فرائد لغة خلت منها معاجمهم بتّة ، ولا نعرف من المتأخرين الأئمة من عُني بلغة الكوفة وجمع فرائدها وشواردها من أصولها ودواوينها الصحيحة المضبوطة إلاّ صاحب (العُباب الزاخر واللّباب الفاخر) وهو الإمام الرضيّ الصاغاني العمريّ ، أما سائر علماء اللغة فكان همّ أكثرهم النقل والترتيب والاختصار والتفسير أو الجمع بين كتابين أو أكثر من دواوين اللغة .

وتقدّم لي أن نبّهت في مقدّمة (المداخلات) لأبي عمر الزاهد [1] على ما فات صاحب اللسان من نوادر اللغة وشواردها التي وردت في هذه الرسالة الوجيزة ، فما ظنك بكتب جليلة أخرى من مصنفات أبي عمر الزاهد وأبي الطيّب اللغويّ ممّا لم تظفر بها أيدينا ، وظاهر أنها لو وصلت الينا لوصل إلينا بها علم غزير مما فات هذه المعاجم كلّها أو جلّها ، وبما أوردناه من الشواهد يتحقق لك أنا اليوم في حاجة حاقّة الى العناية بأمثال هذه المصنفات الجليلة والتنقيب عنها ، والعناية بما بقي من أجزائها مبعثراً أو مرموساً في كثير من الخزائن الخاصة حتى نتمكن من جمع شذور لغتنا العربية وفرائدها التي يفيد منها التأليف الحديث .

هذا ، ولعلك كنت قد قرأت في رسالة ابن القارح أمرَ تلك المسائل اللغوية التي سأل عنها سيف الدولة ابن خالويه وأبا الطيب اللغويّ ، وكيف أجاب أبو الطيب من فوره عنها بقلم الحُمرة ، وكيف عجز عن هذا ابن خالويه مع طول باعه ، وذلك لاعتماده في اللغة على شيخه ابن دريد وعلم مدرسة البصرة خاصةً ، ولاعتماد أبي الطيب على علم رجال الكوفة اللغويين الأثبات ، ومثَل آخر ذكرته في مقدمة المداخلات [1] ، وهو أمر امتحان علماء اللغة ببغداد لأبي عمر الزاهد في ثلاثين مسألة أملاها على ابن القاضي أبي عمر محمد بن يوسف وذكر غريبها وختمها ببيتين من الشعر ، وكيف أن القاضي عرضَ على علماء اللغة

(١) مجلة المجمع العلمي العربي (٩ / ٦١٠) .

هذه المسائل فتوقف فيها كثير منهم ، وقال ابن دريد : هذه المسائل من موضوعات أبي عمر ولا أصل لشيء منها في اللغة ، فبلغ ذلك أبا عمر فسأل القاضي إحضارَ دواوين جماعة من قدماء الشعراء عيّنهم ، ففتح القاضي خزانته وأخرج له تلك الدواوين ، فلم يزل أبو عمر يخرج لكل مسألة شاهداً من تلك الدواوين ويعرضه على القاضي حتى استوفاها كلها ، ثم قال : وهذان البيتان أنشدهما ثعلب بحضرة القاضي فكتبهما بخطّه على ظهر الكتاب الفلاني فوجدهما القاضي على ظهره وبخطّه كما ذكر أبو عمر الزاهد المطرّز ، وانتهت القصّة الى ابن دريد فلم يذكر أبا عمر بلفظة الى أن مات ، واعترفوا لأبي عمر بقوة الحفظ وسعة الاطلاع ، وممّا اجمع عليه العلماء أن من حفظَ حجّةٌ على من لم يحفظ .

فأين ليت شعري ضاعت مصنفات مدرسة الكوفة ، أو سيف أية خزائن الأرض لا تزال مدفونةً ؟

ولا أدلّ على صدق أبي عمر الزاهد وتثبّته مما ينقله عن الأئمة والدواوين الموثوقة من شهادة الإمام الأزهري المحقق في ختام تهذيبه [1] حيث يقول :

هذا آخر الكتاب الذي سمَّيته تهذيب اللغة ، وقد حرصتُ أن لا أودعه من كلام العرب إلا ما صحّ لي سماعاً من أعرابيّ فصيح أو محفوظاً لإمام ثقة ، وأمّا ما وقع في تضاعيف الكتاب لأبي بكر محمد بن دريد الشاعر واللّيث ابن المظفَّر مما لا أحفظه لغيرهما من الثقات ، فاني قد ذكرت في أول الكتاب أني واقف في تلك الحروف ، ويجب على الناظر فيها أن يفحص عن تلك الغرائب التي استغربناها وأنكرنا معرفتها ، فان وجدها محفوظة في كتب الأئمة أو في شعر جاهليّ أو بدويّ اسلاميّ علم أنها صحيحة ، وما لم يصح له من هذه الجهة توقّف عن تصحيحه .

---

(١) الدار لغة ١٠ ج ١٦ ورقة ١٤٣ ــ ١٤٤ ب .

وأما النوادر التي رواها أبو عمر الزاهد وأودعها في كتابه فإني قد تأملتها ولم أعثر منها على كلمة مصحَّفة ولا مُزالة عن وجهها أو محرفة عن معناها ، ووجدت مُعظم ما روي لابن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني وأبي زيد وأبي عبيدة والأصمعيّ معروفاً في الكتب التي رواها الثقات عنهم والنوادر المحفوظة لهم ، ولا يخفى ذلك على من درس كتبهم وعُني بحفظها والتفقّد لها . ولم أذهب فيما ألفت وجمعت في كتابي هذا مذهبَ من تصدّى للتأليف لجمع ما جمع من كتب لم يحكم معرفتها ، ولم يسمعها ممن أتقنها ، وحمله الجهل وقلة المعرفة على تحصيل ما لم يحصله وتكملة ما لم يكمله حتى أفضى به ذلك إلى أن صحّف فأكثر وغيَّر فأخطأ ، ولمّا تأملت ما ألفه عنها الطبقة وجنايتهم على لسان العرب الذي نزل به الكتاب ووردت السنن والأخبار ، وإزالتهم كلام العرب عما عليه صيغة ألسنتها ، وادخالهم فيه ما ليس من لغاتها ، علمتُ أن المميِّزين من علماء اللغة قلُّوا في أقطار الأرض ، وان من درس تلك الكتب ربما اغترَّ بها واستعملها واتخذها أصولاً فبنى عليها ، وشهد الله أنَّا قد خسرنا بضياعها خسراناً لغويّا مبيناً ، ثم ها هو ذا أبو العلاء المعري الذي لا يُعلم له نظير في حفظ اللغة في مشارق الأرض ولا مغاربها ، يذكر لنا في غفرانه قوله : ولا شكّ أنه قد ضاع كثير من كتبه ومصنفاته : لأن الروم قتلوه وأباه في فتح حلب ، ويذكر أن كتابه في (الاتباع) صغير على حروف المعجم في أيدي البغداديين ، وهو دليل على أنه لم يطلع على الاتباع في غير بغداد وعلى أن سائر مصنفات أبي الطيب قد ضاعت ، وما وجد لها أثر في حلب موطنه ولا في دمشق ولا غيرها ، ومن علماء اللغة من ذكر أن إبدال أبي الطيب عشرة أمثال إبدال ابن السكيت مما يدل بدون تأمل عميق على قيمة كتب أبي الطيب ؟ أو ليس من حسن حظ اللغة العربية ويُمن طالعنا أن نعثر في هذه العصور العصيبة المتأخرة على كتب من أصول اللغة لم يَعثر على مثلها من تقدّمنا من علماء اللغة ، ولا كتب لهم

الاطلاع على فرائدها ؛ وذلك مما يوجب علينا أن نعنى بها العناية كلها فنعارضها بدواوين اللغة ، وننبه على ما فات معاجم اللغة منها ، حتى نزيد في ثروة لغتنا التي نحن في أشدّ الحاجة اليها .

وهذا كتاب (مراتب النحويين) لأبي الطيب اللغوي ، فهو والحق يقال قد امتاز على سائر كتب التراجم كبغية الوعاة وكتابي السيرافي والزُبيدي بما اشتمل عليه من أسرار العربية وتاريخها إذ تراه يحدّثك عن منشأ اللغة العربية . وما كان لعلماء المدرستين البصرية والكوفية من أثر بيّن محمود في ترقية هذه اللغة ؛ بيد أنا نجد الإمام السيرافي في طبقات البصريين قد أشاد بعلماء البصرة وأوفى كيل الثناء عليهم ، وأعرض ونآى بجانبه عن الكوفيين بل ألقاهم وراءه ظهريًّا ؛ أما أبو الطيب اللغوي فلم يقصر كلامه في المراتب على الكوفيين ، بل اعترف بفضل كلٍّ من البصريين والكوفيين على السواء ، فلا يضاهيه أيّ كتاب آخر صنف في هذا الموضوع قبله أو بعده ، ولا يُقاس به كتاب أبي بكر الزُبيديّ ولا كتاب السيرافيّ ؛ فإن هذا السيرافي العالم الكبير رُحلة الطلاب وشارح الكتاب كان عفا الله عنه لا يرى علماء الكوفة من الأحياء الموجودين ، فهو لم يذكر أحداً منهم في شرح الكتاب ، لأنه كان لا يقيم لأحدٍ منهم وَزنًا ، ولا يعترف بمكانهم أو مكانتهم ، فهل يعدّ ليت شعري هذا من الانصاف ؟ أما صاحبنا أبو الطيب اللغويّ فإنه لم يبخس الناسَ حقوقهم ، بل أعطى كلّ ذي حقٍّ حقّه ، واعترف بالفضل حيث وجده لأصحابه .

كتاب الإبدال . — إن الاختلاف اللغويّ فيما بين اللغات ، ساميةً كانت أم آرية ، يكون من جهتين : إحداهما جوهرية أصليّة ، وهي المتعلقة بأصول الكلمات أي الحروف التي تتركب منها ، والثانية فرعية لما يقع من اختلاف في بعض أحرف الكلمات لا في سائرها ، ولئن كانت الجهة الأولى تفرّق

ونشئت ترتيب الكلمات فتختلف مسافةُ حروفها ، ويتباعد أو يتقارب بعضها من بعض ، فان الكلمات في الجهة الثانية يأخذ بعضها بحُجَز بعض ، وتدنيها من صواحباتها اللغوية ونظائرها البدلية ، فتتقارب في جميع اللهجات واللغات والشُغيات بحيث تتشابه ألفاظها وتأتلف أشكالها وتراكيبها ، وتتجمَّع فتكون أسراً لغوية مشمولةً برعاية أمٍّ واحدة ؛ ولعلَّ ابن السراج حين ألف كتابه في الاشتقاق الأكبر ، أو أبا الفتح ابن جني حين تابعه فتكلم على هذا الاشتقاق ، إنما كانا يتناجيان حين ينحيان هذا المنحى ، وهذا هو السبب الذي من أجله كان (كتاب الإبدال) لأبي الطيب اللغوي الكبير هو ضالتَنا المنشودة .

فكان عموداً فقرياً مترابط الفقرات والحلقات ، بعد أن لبث حيناً من الدهر ، وكثير من حلقاته مفقودة ، ولم يبق منها إلا قليل ، فلولاه لانقصم ظهر اللغة واختلَّ من هذه الجهة أمرها ، لذلك يكاد الحزن يذيب شغاف القلوب حين نذكر ما صنعه الدُمستق بحلب ، أو ما صنعه من قبلُ هولاكو ببغداد فخسرنا ما خسرنا من كنوز اللغة وذخائر العلم والأدب .

وبما بيَّناه نرى لزاماً علينا ـ بعد أن فقدنا ما فقدناه من تُراث العربيـة ، وبعد أن أحرقَ هولاكو أمهات كتب اللغـة والأدب وأصولها المضبوطة ـ أن نقدر مجهود الإمام الصاغاني حقَّ قدره ، فهو الذي ارتشف لمصنَّفاته اللغوية من تلك المنابع اللغوية الثرَّة وعيونها الفياضة قبل إغراق كتبنا في دجلة ، وقد حُرم من الاطلاع على تلك الأصول المضبوطة المروية عن الثقات الأثبات كلُّ من جاء بعد الصاغاني أو عاصره من اللغويين ؛ ولقد ظلت بغدادُ مدينةُ السلام مركزَ العلم واللغة والأدب خمسةَ قرون متوالية ، ولم يستفد العلماء من هذه المدنية الفاضلة الاستفادة المرجُوَّة ، ولذلك جاءت كتبُ الصاغاني وعبابه الزاخر الذي اعتمد على تلك الأصول المضبوطة قبل غرقها محرَّرة ومنقحـةَ التنقيحَ كله .

هذ ، ولما زرتُ مكتبة آل عابدين بدمشق وقفت على مجموعة خطية فريدة نادرة ، والرسالة الأولى منها (كتاب المثنّى) لحجة العرب أبي الطيب اللغوي ، وكان رفيقي في هذه الزيارة العلمية أخي العزّ التنوخيّ المفتون باللغة وفنونها وشواردها ، وأردت يومئذٍ اشتراء هذه المجموعة فحال حرص الدكتور أبي اليسر عابدين على مخطوطات خزانته دون الظفر بذلك ، وكنت أعلم ما بينَ الأستاذ أبي قيس وبين أبي اليسر من الإخاء والمودّة الموروثة من الآباء فقلت ، وقد نبهتُ به عمراً : ليس لنشر هذه المجموعة وتحقيقها أحد غيرك ممن توفّرت له شرائط النشر العلميّ ، بيد أن الأستاذ التنوخيّ لبث مشغولاً عن ذلك بمشاغل التدريس ومذاهله ، ومع ذلك ما برحتُ ، أنا وصديقنا سالم الكرنكويّ ، نكتب اليه ونحثّه على نشر كتاب المثنّى وسائر رسائل تلك المجموعة اللغوية ، ثم ألحَّ المجمع العلمي العربي عليه بنشره بعد أن قرّر طبعَه على نفقاته ، وما تمكّن مع ذلك كله من تحقيق رغبتنا ، ولا صحّتَ له عزيمة على الشروع في التحقيق حتى أنعم الله عليه بنعمة التقاعد (المعاش) فتفرّغ له من بعد لأْيٍ وطول عهد ، وفَرط حضّ منا وصدّ ، وجاءنا بأَخرةٍ (كتابُ الإبدال) من خير ما نُشر في هذه العصور المتأخرة التي قلّت فيها الرغبة الصادقة في درس اللغة والبحث عن فرائدها وشواردها : ذلك أنه ليس لها مغانم مادية من ورائها ، ولكم بحث الأستاذ التنوخي في الكتاب عن شواهد الإبدال التي بلغت نحو ستمائة شاهد من كلام العرب ، ولا يوجد كثير منها في المصادر المعروفة ، وتمكن بعد صدق البحث والتنقيب من عزْوها الى قائليها ، واهتمّ بتفسير غوامض التعبير ، واستدرك من حروف الإبدال كثيراً من الفوائت التي عثر عليها في أمهات كتب اللغة مما زادت به فائدة الكتاب ، ثم نشر بأمانة جميعَ حواشيه وطُرره اللغوية المروية عن أئمة اللغة ، أو المنقولة عن كتبهم بخطوطهم ، وقد ضاع أكثرها ؛ أجَلْ ، ما كان ليطلعنا على كل ذلك إلاّ من

ذاقَ لذة العلم ، وألف الصبر على مشاقِه ، لذلك أهنئ العزّ التنوخي على عمله هذا المبرور ، وعلى ما كابده في تحرير كتابه وتصحيحه بالاختلاف المستمرّ الى المطبعة للإشراف على تجاربه التي لا ينبغي الاعتماد في تصحيحها على العمّال ، ولا سيما كتب اللغة التي تفسد ألفاظها بطمس حرف ، أو انتقال نقطة الى غير موضعها ، ممّا يجعل أمر التصحيح على أمثالهم عقبةً كؤوداً ، ونحن في زمن قلّ فيه الاهتمام بأمر الطبع ، وضعفت الصلة بين الناشرين والمطابع ، وفسد النشر باعتماد كثير من الأساتذة الناشرين على تلامذتهم الأغرار ، وجُهّال العمّال الأغمار ، فازداد بذلك التشويه والتصحيف والتحريف ، والنشر العلمي كما بيّناه لا يضطلع به إلا مَن رزقه الله فهماً في اللغة دقيقاً ، وطبعاً عربياً صحيحاً ، وكان له عناية فائقة بتمحيص المسائل وتحقيق نصوصها ثم أُوتي صبراً كصبر أيوب ، مما اجتمع للعز التنوخي ، ولذلك كله جاء (كتاب الإبدال) على ما رأيتُ ، بريئاً من التصحيف سليماً من التحريف ، ما خلا هَنات تعدُّ من طَبَع الطّبع ، وهو ممّا يشهد للمحقّق باضطلاعه وسعة اطلاعه على أسرار العربية ، ولا يجتمع ذلك إلا لقليل من علماء اللغة المحققين وفي مقدمتهم العزُّ التنوخيُّ ، فالحمد لله على ذلك ، وأنا مع هذه الكلمة المنصفة الصادقة أحثُّه من متابعة جهوده لنشر الجزء الثاني من الإبدال ، وما بقي من آثار أبي الطيب اللغويّ الحلبي ، وحقيق به ذلك ، لِأنّ أبا قيس التنوخيّ شاميّ كأبي الطيب فجزاه الله على تحقيقه هذا خيراً ، وأبقاه للعلم والأدب ، وخدمة لغة العرب .

العاجز

عبد العزيز الميمني

٢٩ / ٧ / ٦٠ م بدمشق

الإسلام

تأليف : ألفريد جيوم

ترجمة : محمد مصطفى هدّارة ، والدكتور شوقي اليماني السكري
الطبعة الأولى سنة ١٩٥٨ (القاهرة)

هذا الكتاب مؤلف من عشرة فصول ، أولها في عرب الجاهلية ، وثانيها في حياة رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام ، والثالث في القرآن ، والرابع في الامبراطورية الإسلامية ، والخامس في حديث الرسول (ﷺ) والسادس إلى العاشر في الفرق الإسلامية ، والفلسفة ونشأة العقائد ، والتصوف ، والإسلام في العصر الحديث ، وختمها بصلة الإسلام بالمسيحية .

إن المترجمين الكريمين قد ملكا ناصية البيان العربي ، ولولا إشعارنا بأن الكتاب مترجم لظننا بأنه مؤلف بلغة الضاد ، من وضوح العبارة وسلاستها ، وقد قدّما له مقدمة عرّفا فيها القارئ بالمؤلف ، وأنه رئيس قسم الشرقين الأدنى والأوسط بمدرسة اللغات الشرقية ، وأستاذ اللغة العربية بجامعة لندن ، وأنه خدم في فرنسا خلال الحرب العالمية الأولى ، ثم عمل بالمكتب العربي بالقاهرة .

ولا يخفى أن الأجنبي الذي لا يؤمن بالقرآن ، ولا يدين بالإسلام ، ولا يتلقى العلم عن أهله ، يبقى علمه فيهما ضعيفاً ، فكيف إذا بدا له أن يعترض على ما ورد في القرآن من حكم وقواعد عامة لنظم الحياة ؟ وهذا هو الذي لاحظه الأستاذان المترجمان ، فقد قالا في المقدمة : « وقد لاحظنا في هذا الكتاب خروج جيوم عن المنهج العلمي السليم في كثير من الأحيان ، لأنه كان يثبت بعض الروايات المفردة الشاذة ، ويبني عليها أحكاماً ، ويرتب عليها نتائج ، فيقع بذلك في أغراض ظاهرة ، وهو من جهة أخرى لا يذكر المصدر الذي

أخذ منه هذه الرواية أو تلك . وهذا ـ إلى جانب خروجه عن المنهج العلمي ـ قد سبب لنا متاعب كثيرة في البحث عن هذه المصادر ، من أجل ذلك قام بالتعليق على الكتاب أحد المترجمين ، وهو الأستاذ محمد مصطفى هَدّارة» .

ولعمري إنها مآخذ على المؤلف لا يستغني عنها مستشرق تهمه معرفة الحقيقة ، والوقوف عندها ، وقد دفع إليّ المجمع العلمي هذا الكتاب ، فقرأته بدقة وإمعان ، فوجدت ما تركه الأستاذ المعلّق من الأغلاط أكثر مما ذكره ، فلم يسعني إلا أن أوجّه أنظار المؤلف والقراء إلى تصويب الخطيئات التي لا يصح السكوت عنها .

وقد اقتديت بالأستاذ هدّارة بالاستغناء بالكلم الوجيز عن التطويل ، وبالله التوفيق .

ص : ٦ كان أجداد الرسول وأسلافه من الوثنيين .

ج : إنهم لم يعرفوا بعبادة الأوثان ، بل كانوا سادة قريش ، وسدنة البيت الحرام ، وقد قال تعالى خطاباً لنبيه «لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون» يس : ٦ .

ص : ٨ والصلة غير واضحة بين هذا الاسم «الله» وبين الكلمة (إله) .

ج : إن لفظ «الله» هو علم على خالق الكون ومسخره لعباده ، قال تعالى : «ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ، وسخر الشمس والقمر ، ليقولن الله» العنكبوت : ٦١ ، وأما لفظ الإله فهم يطلقونه على ما يعبدون من دون الله ، كما قال : «ويعبدون من دون الله ما لا يضرّهم ولا ينفعهم ويقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله» يونس : ١٨ .

ص : ٢٢ و ٢٣ تعرض المؤلف لسورة الفيل في القرآن وقصته .

ج : وجه العبرة في القصّة أن يؤخذ من استعزّ بالفيل ـ وهو أضخم

حيوان من ذوات الأربع جسما ـ ويهلك بحيوان صغير لا يظهر للنظر ، حيث ساقه القدر ، فأوصل إلى الجيش المعتدي مادة الجدري أو الحصبة فأهلكته .

ص : ٥٢ والنتيجة المؤسفة التي تخرج بها من هذه الآيات أنها تجيز إطلاق لفظ (مشرك) البغيض على اليهود والنصارى ، وكانت ـ حتى ذلك الوقت ـ تطلق على الكفار الذين يعبدون بنات الله ، ويشركون معه آلهة آخرين .

ج : لم يكن لفظ (المشرك) في القرآن عنواناً على أهل الكتاب ، وإنما هو عنوان على الوثنيين ، وقد قال «إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ، إن الله يفصل بينهم يوم القيامة ، إن الله على كل شيء شهيد» الحج ١٧ ، وإنما وعظهم ونهاهم عن الشرك الذي طرأ عليهم بقوله : «يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ، ولا تقولوا على الله إلا الحق ، إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وكلمته ألقاها إلى مريم ، وروح منه ، فآمنوا بالله ورسله ، ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيراً لكم ، إنما الله إله واحد ، سبحانه أن يكون له ولد ، له ما في السموات وما في الأرض ، وكفى بالله وكيلا» النساء ١٧١ .

ص : ٧٠ ومن الأعمال الهامة في الحج تقبيل الحجر الأسود الموضوع في جدار الكعبة .

ج : إن الطواف حول الكعبة من مناسك الحج ، والبدء من جانب الحجر الأسود ، ولكل شوط أدعية وأذكار ، فاذا أمكن الحاج أن يقبل الحجر أثناء مروره به أو يلمسه فحسن ، وإلا أشار إليه ، وهو من وضع أبي الأنبياء وإمام الموحدين (إبراهيم عليه السلام) ، فتقبيله شوق اليه ، لا عبادة له ، إذ هو حجر لا يضر ولا ينفع .

ص : ١٠٠ في المملكة الوهابية (حيث يسود المذهب الوهابي) .

ج : ليس للوهابية ، ولا للإمام محمد بن عبد الوهاب مذهب خاص ،

ولكنه رحمه الله كان مجدداً لدعوة الإسلام ، ومتبعاً لمذهب الإمام أحمد ابن محمد بن حنبل .

ص : ١٥١ وقد كان تأثير مدرسته (أي سيد أحمد خان) التي أنشأها عظيماً جداً ، فمن ذلك أنها أجبرت المسلمين الجادّين على النظر بعين الاعتبار إلى الأضرار الاجتماعية الناجمة عن تعدد الزوجات والطلاق والرق .... الخ

ج : لي ثلاث كلمات في هذه المسائل الثلاث ، تبيّن حكمة كل منها :

١ — إن تعدد الزوجات والطلاق لم يختص بهما الإسلام ، وإنما كانا شائعين عند اليونان والرومان والعرب وغيرهم قبل الإسلام ، وقد أباحت القوانين الأوربية والأميركية الطلاق وتعدد الزوجات على ألاّ يجمع بينهن ، وأصبح ذلك عندهم مألوفاً ، من بعد أن كان محرّماً ، ولكن التعدد في عرفهم يقصد به التنقل في اللذائذ ، والتمتع بأنواع الحياة والشهوات ، فكان ذلك من أكبر الدواعي لتناقص النسل ، لا لازدياده ، والسآمة من الحياة الزوجية لا الرغبة فيها .

أما التعدد الصحيح فله ضرورات ، منها أن تكون الزوج عقيما لا تلد ، أو عندها مانع من مرض أو زهد في الرجال ، أو دخلت في سن اليأس ، وهذه أسباب شخصية ، وأما السبب الاجتماعي العام في جميع الشعوب والأقوام ، فهو زيادة النساء على الرجال ، لا سيما بعد الحروب العامة التي يهلك فيها الملايين من المحاربين ، ويبقى الملايين من النساء بلا رجال ، فتعدد الزوجات هنا ضرورة اجتماعية ، لتجديد النسل ، وتكثير الأيدي العاملة ، وهو من مصالح النساء التي تبقى محرومة من نعمة الحياة الزوجية والأمومة .

٢ — الطلاق لا يكون إلا عن ضرورة وبصيرة ، وذلك بأن يكون الزوجان قانعين بأن لا سبيل لبقائهما على الحياة الزوجية لموانع جسمية أو نفسية ، خَلقية أو خُلُقية ، تجعل صفو العيش كدرا ، وتعرض النسل للمهانة والشقاء ،

فالفراق في هذه الحال نعمة لا نقمة ، والزوجان سعيدان به لا شقيان «وإن يتفرقا يغن الله كلاً من سعته» .

٣ — وأما رق الأفراد فقد بطل ، ولكن استرقاق الشعوب هو باق عند بعض الدول ، وقد قال الشاعر :

قتل امرئ في غابة جريمة لا تغتفر !
وقتل شعب آمن مسألة فيها نظر !!

ص : ١٧٦ الآية المشهورة : «اقتلوا المشركين حيث ثقفتموهم» قيل انها نسخت ما لا يقل عن (١٢٤) آية تحث على التسامح والصبر .

ج : لا توجد آية بهذا اللفظ ، وإنما الآية «فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم» التوبة : ٥ ، «واقتلوهم حيث ثقفتموهم ، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ، والفتنة أشد من القتل» البقرة : ١٩١ .

والمسلم لا يقاتل ابتداء ولا اعتداء ، وهذه الآيات يفسرها قوله تعالى : «أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله» الحج ٤٠ ، فقد أذن الله تعالى لمن قوتلوا وظلموا وأخرجوا من ديارهم ، بأن يدافعوا عن أنفسهم وبلادهم ، أما آية : «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبروهم ، وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين» أما هذه الآية وأمثالها من آيات المودة والعدل ، والتسامح والصبر ، فباقية على حكمها لم تنسخ ، فليطمئن المؤلف .

ص : ١٨٠ فيجب أن يحرر النساء من هذا الإسار الذي فرض عليهن حياة الجهل والخيبة ، وأن يؤذن لهن بالخروج إلى العالم ، ليأخذن المكان اللائق بهن في المجتمع .

ج : المرأة إنسان كامل كالرجل ، لها من الحقوق مثل ماله ، وعليها من

الواجبات مثل ما عليه ، قال تعالى : « ولهنّ مثل الذي عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة » البقرة ٢٢٨ ، وتلك الدرجة واضحة في قوله تعالى : « الرجال قوّامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم » النساء ٣٢ ، وقد فضل بعضهم على بعض بما خصّ به الرجال من مزيد صبر وجلد ، وبما ينفقون من أموالهم على الأهل والولد .

ثم إن الفتيات في عصرنا يحملن الشهادات الابتدائية والثانوية والعالية في العلوم والحقوق والأدب والطب ، ويحملن الدكتوراه في فن التربية والفلسفة ، وقد شاركن الرجال في أكثر الأعمال ، وأخذن المكان اللائق بهن في الأسرة والمجتمع ، فما يطلبه المؤلف لهن هو تحصيل حاصل .

محمد بهجة البيطار

Stephan and Nandy Ronart
Concise Encyclopaedia
of
Arabic Civilization
The Arab East

دائرة معارف وجيزة في الحضارة العربية

تأليف استيفان وناندي رونار

(طبع في هولندة ، في ٥٩٠ صفحة من قطع الوسط)

هذا كتاب آخر جديد في الحضارة العربية . وليس من الغريب أن نجد بين حين وآخر كتاباً جديداً يصدر في الشرق أو في الغرب يبحث في هذه الحضارة من ناحية أو أخرى ، وعلى نهج أو آخر . لأنها حضارة غنية ،

تتصف بالاتساع والشمول . ولذلك يكثر فيها الكلام ويطول ، ولا ينتهي إلى مدى .

والمؤلفان إستيفان وناندي رونار ، وهما زوجان ، أقاما مدة طويلة في الشرقين الأدنى والأوسط ، واشتغلا في هيئة الأمم المتحدة ، واشتركا في أعمال المؤسسات الخيرية والاجتماعية ، فاكتسبا بذلك معرفة وخبرة في الحياة العربية .

وقد بحث المؤلفان في الحضارة العربية من أقدم أزمانها في الجاهلية إلى عصرنا الحاضر ، في مجالاتها المختلفة في السياسة والفكر والاقتصاد والعادات وأنماط الحياة وغير ذلك مما يدخل في مفهوم الحضارة في معناها العام الواسع . ولذلك جاء الكتاب حافلاً بأبحاث في موضوع عادات الشعوب . مثال ذلك كلام المؤلفَيْن على عبارة « أهلاً وسهلاً » [1] التي يستعملها العرب في الترحيب والتحية . ومثاله أيضاً كلامهما على عبارة « الله كريم » [2] التي يقولها عامة الناس من العرب وطوائف من المسلمين أيضاً عند التصبر والتأسي ، وعبارة « الله وكيلك » [1] التي يستعملها عامة الناس عندنا لدى التأكيد على الشيء ، ولا سيما في مجال البيع والشراء ، كما ذكر المؤلفان . ولا نريد الإطالة في إيراد الأمثلة من هذا القبيل .

وليس الكتاب أثراً علمياً في الحضارة العربية ، ولكنه موجز اشتمل على على كثير من المعلومات المفيدة . وقد اعترف المؤلفان بهذا حين قالا في مقدمة الكتاب : « ليس هذا الكتاب عملاً علمياً قام به عالم مستشرق ، وإنما الغاية

(١) ص ٢٧ .
(٢) ص ٣٦ .
(٣) ص ٣٦ .

منه هي خدمة هؤلاء الذين يودون الاطلاع »[1] على أحوال العرب ، وعلى أنماط الحياة العربية .

وتحقيقاً لهذه الغاية رتب المؤلفان مواد الكتاب على الحروف الأبجدية ، ولم يرتباه على الموضوعات المختلفة ، ولا على مراحل السنين والعصور التي تطورت فيها الحضارة العربية . وهذا الترتيب يسهل أمر مطالعة الكتاب على جمهور القراء في الغرب ، فيعطيهم ما يريدون في موضوع من الموضوعات مجموعاً مختصراً في مكان واحد .

بقي أن نذكر أن الكتاب مفيد لجمهور القراء ، إذ أنه يضم بين دفتيه مجموعة معارف في الحضارة العربية ، ومعلومات عامة في شؤون العرب وبلادهم ، نظمها المؤلفان ليقرأها في الغرب خاصةً هؤلاء الذين يرغبون في الاطلاع على بعض الأمور في الحضارة العربية ، وفي معرفة شيء عن البلاد العربية وعن أنماط الحياة العربية .

ولنا أن نشير في الأخير إلى أن في الكتاب أغلاطاً علمية ولغوية وإملائية تدارك المؤلفان كثيراً منها في مستدرك ألحقاه بالكتاب .

الدكتور عزة حسن

---

(١) ص ٦ من المقدمة .

آراء وأنباء

تيسير الكتابة العربيـــة

منذ اثنتين وعشرين سنة أخذ مجمع اللغة العربية في القاهرة يعالج موضوع تيسير الكتابة العربية ، فقرر في ٢٣ من يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٣٨ تأليف لجنة تنظر في تسهيل كتابة الحروف العربية بغية تيسير القراءة الصحيحة ، وعلى ألاّ تخرج الحروف عن أصول أوضاعها العامة .

ويعرف الأدباء أن المرحوم عبد العزيز فهمي اقترح سنة ١٩٤٣ على مجلس المجمع إبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية ، فلم يُقبل اقتراحه .

وفي سنة ١٩٤٤ قرر مؤتمر المجمع وضع جائزة قدرها ألف جنيه لأحسن اقتراح في تيسير الكتابة العربية ، وحدد آخر موعد لتقديم الاقتراحات الحادي والثلاثين من مارس (آذار) سنة ١٩٤٧ . وتلقى المجمع أكثر من مائتي اقتراح في هذه المسابقة . وعقب ذلك ألف لجنة من المختصين في الخط وفي الطباعة فدرست الاقتراحات المذكورة ، وكذلك درستها لجنة الأصول في المجمع ، وقدمت اللجنتان تقريراتهما اليه .

ووردت بعد ذلك اقتراحات أخرى ، فألف مؤتمر المجمع في سنة ١٩٥١ لجنة من أعضائه تستعين بخبراء فنيين ؛ وبعد جلسات عديدة انتهى رأي اللجنة ورأي الخبراء الى أن جميع المقترحات الواردة لا تحقق التيسير المنشود ، لأن منها ما يتخذ حروفاً جديدة ورقوماً مبتكرة ، ومنها ما يتخذ إضافات وزوائد للضبط نيابةً عن الحركات ، ومنها ما يدمج التشكيل مع الحروف ، ومنها ما يقوم على

أساس الحروف اللاتينية ، ومنها ما يفصل الحروف بعضها عن بعض الخ .
وتتابعت الاقتراحات الجديدة ، بعضها من أعضاء المجمع ، وبعضها من أنحاء البلاد العربية ، وامتدت دراستها ومعالجة الموضوع حتى سنة ١٩٥٨ إذ بعث السيد كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم المركزي بكتاب الى المجمع ذكر فيه أنه ما دام مؤتمر المجمع سينعقد في أواخر تلك السنة فمن المفيد انتهاز فرصة انعقاده لاتخاذ قرار نهائي في موضوع تيسير الكتابة العربية .

وكانت لجنة التيسير قد قطعت شوطاً واسعاً في مدارسة الموضوع مع الخبراء ، واستقر رأيها على أسس عُرضت على المؤتمر في جلسة ٢٥ / ١٢ / ١٩٥٨ فوافق عليها وهي :

أولاً : يُلتزم الآن الشكل الضروري في الطباعة وخاصةً في كتب المراحل الأولى للتعليم .

ثانياً : يُترك الآن موضوع البحث في الكتابة اليدوية ، فتبقى على ما هي عليه ، فهي موجزة مختزلة ، ويمكن تشكيلها عند الضرورة .

ثالثاً : الاقتصار الآن على تيسير حروف الطباعة والآلات الكاتبة ، باختصار صور الحروف ، والاستغناء عن المتداخِل منها والمقنطَر .

رابعاً : يُلتزم الشكل في الطباعة . وتشير اللجنة بالبدء بالتزام ذلك في كتب التعليم في مراحل التعليم العام .

خامساً : يوضع النقط في موضع ثابت نفياً للاشتباه .

سادساً : يوضع الشكل في موضع ثابت ، ويراعى فيه الفن الخطي بحيث لا يطول السطر أفقياً ، ولا بأس بأن يمتد قليلاً .

سابعاً : توضع علامات للدلالة على أصوات الحروف التي لا مقابل لها في العربية ، ويطلب الى لجنة اللهجات بالمجمع دراسة هذا الموضوع وتقديم مقترحات فيه .

ثامناً : تطبيق الطريقة المقترحة لتيسير الكتابة وإجراء تجاربها الفنية لإدخال التعديلات عليها تمهيداً لوضعها في الصيغة المقبولة .

وكان وزير التربية والتعليم المركزي قد حضر إحدى جلسات مؤتمر المجمع ، في أواخر سنة ١٩٥٨ ، وذكر للأعضاء الفائدة المادية الكبيرة التي تحصل عليها الوزارة وغير الوزارة من إنقاص صور الحروف في المطابع ، وقال إنه على استعداد لاتباع ما يقره المؤتمر في موضوع التزام الشكل الكامل في الكتب المدرسية للمدارس الابتدائية على الأقل ، وإنه على استعداد أيضاً للإنفاق على ما تقتضيه الدراسات والاختبارات من نفقات .

وسار الموضوع بعد ذلك سيراً مستعجلاً ، فانضم الى لجنة تيسير الكتابة عدد من أعضاء المجمع ، وأربعة من الوزارة ، وعدد من خبراء الخط والطباعة . وشرعت هذه اللجنة بتطبيق الفقرات الملمع اليها من قرار المؤتمر . وأجمع أعضاؤها ، فيما يتعلق باختصار صور الحروف ، أن يقوم ذلك على أساسين أقرهما المجمع وهما :

أولاً : محاولة اختصار صور الحروف الى أقل عدد ممكن ، وذلك بتمثيل الحرف بصورة واحدة ، على اختلاف مواقعه من الكلمة ، ما أمكن .

ثانياً : الاحتفاظ بطبيعة الخط العربي وفنه ، وتجنب المباعدة بين القديم والجديد .

وبعد دراسة وتجارب لكل حرف من حروف النسخ العربية المستعملة في مطابعنا ، والحروف الكوفية المستعملة في العنوانات ، ولصور الهمزة ، وللعلامات

الشكل ، والعلامات الترقيم ، وللأرقام ، تمكنت اللجنة من جعل الحروف الطباعية :

٧٢	لصور الحروف على اختلاف مواضعها
٢٣	للهمزات
٥٤	لعلامات الشكل
١٠	لعلامات الترقيم
١٠	لعلامات الأرقام
١٦٩	المجموع

ويلاحظ أن صور الهمزة في حروف الطباعة قد بقيت كما هي ، أي ٢٣ صورة ، وذلك حتى ينتهي المجمع من نظر موضوع الهمزة إملائياً . ومما يستوقف النظر أنه إذا استقر الرأي على كتابة الهمزة على صورة واحدة (أي حرفاً كشأن الحروف في الإملاء) على اختلاف حركاتها ومواقع ضبطها ، يكون للهمزة في الطباعة صورة واحدة . واذا كتبت الهمزة في أول الكلمة على ألف ، وكتبت همزة فيما عدا ذلك فهي تحتاج الى خمسة حروف .

ويلاحظ أيضاً أن علامات الشكل بقيت أيضاً على حالها في حروف الطباعة الحالية ، وعددها ٥٤ ، ولكن المجمع أقر قواعد للضبط في الكتب المدرسية ، تؤدي الى اختصار استعمال علامات الشكل في الكتب من دون حصول التباس في القراءة .

ومن الطبيعي أن تبقى العلامات العشر للأرقام على حالها ، ويلاحظ في رقم ٢ أن يكتب مستقيم الرأس أفقياً ، كما قرر المجمع من قبل ، نفياً للاشتباه بينه وبين الرقم ٣ .

أما علامات الترقيم فقد تقرر أن تستعمل على النحو الذي كانت وزارة المعارف في مصر أقرته سنة ١٩٣٢ ، وعددها عشر : للفصلة ، والفصلة المنقوطة ، والوقفة ، والنقطتين الفوقيتين ، والاستفهام ، والتأثر ، والقوسين ، وعلامة

التنصيص ، والشرطة أو الوصلة ، والنقط الثلاث المتجاورة علامةً على الحذف . ولوحظ أن تكون علامة الاستفهام وجهها للكتابة .

وأما الخط الكوفي الذي يمكن استعماله في العنوانات فقد درسته اللجنة ، فوجدته صالحاً للطباعة ، وقابلاً للاختصار ، لأنه مبني على زوايا قائمة ، ولأن حروفه غير متعددة الصور . لذلك اختصرته اللجنة على أسس ذكرتها في تقريرها ، فأصبح مجموع حروف الخط الكوفي ٣٧ من ضمنها مدة مستقلة .

هذا موجز في المراحل التي قطعها موضوع تيسير الكتابة العربية . وهو مقتبس من تقريرات كثيرة للخبراء ولجان التيسير القديمة ، ولجنة التيسير الأخيرة ، ومن مناقشات الأعضاء في مجلس المجمع وفي مؤتمراته .

وفيما يلي ثلاثة نماذج : الأول لصور الحروف المختصرة والتطاريف الملحقة بها ، والثاني للكتابة بهذه الطريقة في الطباعة العربية ، والثالث للخط الكوفي حروفاً وتطبيقاً . وقد وافق عليها مؤتمر المجمع في جلسة الرابع عشر من يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٦٠ ، وهي الجلسة الختامية للدورة السادسة والعشرين (١٩٥٩ — ١٩٦٠) . والمعتقد أن وزارة التربية والتعليم المركزية ستوصي بطبع الكتب المدرسية ، أو بعضها ، بحروف هذه الطريقة ، في السنة الدراسية القادمة ، لأن الوزير السيد كمال الدين حسين الرئيس الأعلى للمجمع قد حضر هذه الجلسة ، وكان رأيه في الطريقة المذكورة مماثلاً لرأي المؤتمر في إقرارها ، وفي وضعها موضع التجربة والتنفيذ العملي .

والذي يقرأ النموذج الثاني لا يجد فرقاً يذكر ، في النظر ، بين حروفه والحروف المستعملة في الطباعة ، على حين أن الحروف في النموذج عامةً لا تبلغ نصف حروف الطباعة .

مصطفى الشهابي

نموذج لصور الحروف والتطاريف الملحقة بها

لله

ء ا ا ب ب ة ة ة ة ث ث

ج ج ج ج ح ح ح ح خ خ خ خ خ

د ذ ر ز س س ش ش ص ص ض ض

ط ط ظ ظ ع ع ع ع غ غ غ غ غ

ف ق ك ل ل م م ن ن ن

و ه ه ه لا ي ي ى ى

ں ڤ ڠ ۀ

نموذج للكتابة بالطريقة

حققت الثورة فى سنيها السبع مفاخر وأمجادا. قضت على الإقطاع فمحت التفاوت الظالم المرير بين طبقات الشعب ، ورصدت الجهود والأموال للمشروعات العمرانية الضخمة وأفسحت مجال التعليم أمام الجميع ، وأممت القناة ، وأرغمت الغاصب المحتل على أن يحمل عصاه ويرحل ؛ إنها بحق مفاخر لا يحصيها عد ولا يحدها حصر .

تلك هى الثورة التى ضربت مثلا رائعا فى الحرص على مصالح الناس لا فرق بين صغير وكبير .

نموذج للخط الكوفى (حروفا وتطبيقا)

(للعنوانات ورءوس الموضوعات)

أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض

ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ ة و لا

ـبـ ـكـ ـ ن

حققت الثورة فى سنيها السبع مفاخر وامجادا

قضت على الإقطاع فمحت التفاوت الظالم المرير

بين طبقات الشعب ورصدت الجهود والأموال

للمشروعات العمرانية الضخمة وافسحت مجال

التعليم امام الجميع واممت القنال وارغمت

الغاصب المحتل على ان يحمل عصاه ويرحل

انها بحق مفاخر لا يحصيها عد ولا يحدها حصر

تلك هى الثورة ثورة مصر

أَحصِينة أم حُصَيْنة ؟

قال لي صديقي الميمنيّ في شهر نيسان المنصرم ، ونحن في أحد متنزّهات الربوة ذات القرار والمعين : كان صديقنا الدكتور أسعد طلس ـ تغمّده الله برحمته ـ قد نشر ديوان ابن أبي حصينة وضبط (حصينة) كجُهينة بضمّ الحاء ، وسبق لي أن نبهت في مجلة المجمع العلمي العربي على أن صواب ضبطه بفتح الحاء المفتوحةِ وزان جَميلة وذكرت سبب ذلك ، ووجهت الدعوة الى الواقفين على المخطوطات بخطوط مؤلّفيها ، والأئمة في هذه الديار علّهم يروا الضبط الصحيح لهذه الكنية ، ثم إني وقفت في تموز ١٩٦٠ على نسخة من بغيـة الطلب لابن العديم الحلبي بخطّ يده ، وهي نسخة جليلة من خزانة السلطان أحمد الثالث بطوپقبو بالاستانة ، وعثرت فيها على ترجمة ابن أبي حصينة ، وشاهدت المصنف قد ضبط (حصينة) بخطّ يده بفتح الحاء وكسر الصاد ، والله الموفق للسداد .

التنوخي

استدراك

على ما نشر من المثنّى في الجزء السابق

خليق بمن ينشر كتاباً علميًّا أن يقرأ له غيره تجارب المطبعة الأولى لأن الناشر الذي تعب في تحقيق كتاب يكاد يحفظ ما ينشره ، فهو إذا قرأ التجربة يقرأها بما هو محفوظ على الصحة في ذهنه ، فلا ينتبه لما في التجربة من الخطأ كالبيت التالي :

(وقبليَ مات الخالدانِ كليهما عميد بني جحوان وابن المضلَّل)

وصواب صدره :

(وقبليَ مات الخالدانِ كلاهما . . . .)

والعصمة لله وحده .

الفهرس العام

لمواد المجلد الخامس والثلاثين

منسوقاً على حروف الهجاء

(ن)

فهرس الأعلام

أي أسماء كتّاب المقالات المنشورة في هذا المجلد

منسوقاً على حروف الهجاء

فهرس الجزء الرابع من المجلد الخامس والثلاثين